الجزء الأول من المواهب اللدنية

المقصد الاول في تشريف الله تعالى له عليه السلام ٥	مطلب خلق نور النبي عليه السلام ٩	ومن عجائب ولادته عليه السلام ٢٥	وقد اختلف في عام ولادته عليه السلام ٢٦	وقد جزم بعض العلماء بان ابويه عليه السلام حيان وليسا في النار ٣٧	ولما بلغ رسول الله اثني عشر سنة خرج مع عمه ابي طالب الى الشام ٤٢	واخرج ابن منده بسند ٤٣	وتزوج عليه السلام خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوما ٤٤	ولما بلغ عليه السلام خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان ينهدم الكعبة ٤٢	واخرج البيهقي عن طريق العلاء بن حارثة الثقفي عن بعض اهل العلم ٤٦
وذكر الحليمي ان الوحي كان ياتيه على ستة واربعين نوعا ٤٩	قال ابن الصلاح والاورع ان يقال اول من اسلم ٥١	وعن ابي ذر كان اول من اظهر الاسلام سبعة ٥٦	وقد ذكر ابن العادل في تفسيره ان جبريل نزل على النبي اربعة وعشرين الف مرة ٥٠	وقد ذكر العلماء ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من مؤمن ال فرعون ٥٣	ولما كثر المسلمون وظهر الايمان اقبل كفار قريش على من امن يعذبونهم ٥٦	وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم يقول يا ايها الناس ٥٣	ثم ان النظر بن حارث وعقبة بن ابي معيط ٥٥	ثم اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة ٥٧	واسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة ايام ٥٧
وقدم نفر من مهاجري الحبشة حين قرأ عليه السلام والنجم اذا هوى ٥٨	ثم هاجر المسلمون الثانية الى ارض الحبشة ٦١	ولما انتهى عليه السلام تسع واربعين سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوما مات عمه ابو طالب ٦٢	ماتت خديجة رضي الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن ٦٣	ولما نزل بخلة وهو موضع على ليلة من مكة صرف سبعة من جن نصيبين ٦٤	ولما كان في شهر ربيع الاول اسري بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام ٦٥	ولما اراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده ٦٦	فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج ٦٧	فلما كان العام المقبل لقيه اثني عشر رجلا ٦٩	ثم اجتمع قريش ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي في دار الندوة ٦٨
وجزم ابن اسحق بانه خرج اول يوم من ربيع الاول ٦٩	وامر رسول الله بالتاريخ فكتب من حين الهجرة ٧٦	واسس مسجد قباء وهو اول مسجد بني في الاسلام ٧٦	واقام صلى الله عليه وسلم عند ابي ايوب سبعة اشهر ٧٩	ولما كان بعد قدومه بخمسة اشهر آخى عليه السلام بين المهاجرين والانصار ٨٠	ثم حولت القبلة الى الكعبة ٨٦	ثم غزوة بدر الكبرى ٨٨	قال ابن الامام وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الادميون فعلمهم الله تعالى ٩٣	ولما التقى الجمعان ٩٤	وفي رواية فنادى عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ٩٥
وحكى العلامة ابن مرزوق ابن عمر ٩٦	وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين اربعة عشر رجلا ٩٨	ولما رجع صلى الله عليه وسلم من بدر في احد رمضان واول يوم من شوال ٩٨	وتعرف بغزوة قرقرة وهي الكدر ملتا ١٠٠	وسميت غزوة السويق ١٠١	وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما ١٠١	كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة ١٠٢	غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر ١٠٣	غزوة بحران ويسمى غزوة بني سليم ١٠٣	غزوة احد وهو جبل مشهور بالمدينة على اقل من فرسخ منها ١٠٤
غزوة حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة ١١٢	وولد حسن بن علي في هذه السنة ١١٣	سرية المنذر ابن عمرو [illegible] العين المهملة ١١٦	ثم غزوة بني النضير ١١٧	غزوة ذات الرقاع ١١٩	وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة ١٢٠	غزوة بدر الاخرة وهي الصغرى ١٢١	غزوة دومة الجندل ١٢١	غزوة المريسيع ١٢٢	غزوة الخندق وهي الاحزاب ١٢٣
الفصل الثالث في الايات حروبه عليه السلام ١٢٦	الفصل التاسع في ذكر حيله عليه السلام ١٢٧	الفصل العاشر في ذكر من وفد عليه السلام ١٢٩	وعند ابن اسحق ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظة ١٣٣	ثم غزوة لحيان بكسر اللام وفتحها ١٣٨	غزوة الغابة ١٣٨	ثم الحديبية بتخفيف الياء ١٤٤	غزوة خيبر ١٥٣	فتح مكة عنوة وهو قول الاكثر ١٧٥	وقد اختلف العلماء هل يجب على من دخل مكة الاحرام ام لا ١٧٦
ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا بالتصغير ١٨٣	ثم غزوة الطائف ١٦٧	غزوة تبوك ١٩٣	وفي هذه السنة مات عبد الله ابن ابي بن سلول ١٩٩	ويسمى حجة الاسلام ٢٠٠	المقصد الثاني في ذكر اسمائه الشريفة ٢٠٢	وكنيته المشهورة ابو القاسم ٢٠٦	الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام ٢٢٠	واما فاطمة الزهراء البتول فولدت ٢٢٣	الفصل الثالث في ذكر ازواجه الطاهرات ٢٢٥
وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ٢٢٨	واما عماته ٢٤٠	واما جداته ٢٤١	واما من الصاح ٢٤٢	الفصل الخامس في خدمه وحرسه ٢٤٣	واما حراسه ٢٤٤	الفصل السادس في امرائه ورسله وكتابه وكتبه الى اهل الشام ٢٤٥	ومنها كتابه الى اهل اليمن ٢٤٩	فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٥٥	الفصل السابع في مؤذنيه ٢٥٧
المقصد الثالث فيما فضله الله به من كمال خلقته ٢٧٥	واما فصاحة لسانه ٢٨٢	واما صوته الشريف ٢٩٨	واما ضحكه ٢٩٩	وكان بكاؤه عليه السلام ٢٩٩	واما شعره الشريف ٣٠٦	واختلف في قص الشارب ٣٠٦	واما مشيه صلى الله عليه وسلم ٣٠٩	واما لونه الازهر ٣١٠	واما ما روي ان الورد خلق من عرقه ٣١٣
الفصل الثامن فيما اكرمه الله تعالى به ٣١٨	ومن تواضعه عليه السلام ٣٢٥	واما ما روي في حيائه عليه السلام ٣٣٣	واما خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ٣٣٤	واما ما روي من شجاعته عليه السلام ٣٣٤	واما ما ذكر من سخائه وجوده وكرمه ٣٣٦	الفصل الثالث فيما يبعثوا غزوته ٣٤٠	النوع الثاني في لباسه ٣٥٩	واما الراحل ٣٧٥	واما نعله صلى الله عليه وسلم ٣٧٦
النوع الرابع في نومه عليه السلام ٣٦٣	المقصد الرابع في معجزاته عليه السلام ٣١٥	الفصل الثالث فيما خصه الله تعالى به ٤٢٠	القسم الثالث فيما اختص به ٤٣٣	القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم ٤٣٦	وافضلهم عند اهل السنة ٤٥٦	المقصد الخامس في تخصيصه عليه السلام ٤٧٥	المقصد السادس فيما ورد في اي التنزيل من تعظيم قدره ٥١٤	النوع الرابع في ايات تتضمن قدره ورفع ذكره ٥١٤	النوع الثاني في اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين ٥٢٣

النوع الثالث في وصفه تعالى له ٥٢٥	النوع الرابع في التنويه به عليه السلام ٥٣٢	النوع الخامس في ايات تتضمن اقسامه تعالى ٥٣٧	الفصل الثاني في قسمه تعالى على ما اقسم به عليه ٥٣٩	الفصل الثالث في قسمه تعالى على تصديقه ٥٤٠	الفصل الرابع في قسمه تعالى على تحقيق رسالته	الفصل الخامس في قسمه بمدة حياته ٥٤٥	النوع السادس في وصفه تعالى له ٥٤٦	النوع الثامن فيما يتضمن الادب ٥٥١	النوع التاسع في ايات يتضمن رده تعالى بنفسه ٥٥٢
النوع العاشر في ازالة الشبهات عن اياته ٥٥٤	المقصد السابع في وجوب محبته ٥٦٣	ومن علامات الحب المذكور ٥٦٦	ومن علامات محبته ان يرضى بما شرعه ٥٧٥	ومن علامات محبته عليه السلام نصر دينه بالقول والفعل ٥٧٦	ومن علامات محبته عليه السلام ٥٧٧	ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ٥٧٨	ومن علامات محبته محبة القران ٥٧٨	ومن علامات محبته عليه السلام محبة سنته ٥٧٩	الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم ٥٨٢
واما المواطن التي تشرع ٥٩٢	الفصل الثالث في ذكر محبته اصحابه ٥٩٦	المقصد الثامن في طبه ٦١٠	الفصل الاول في طبه ٦١١	النوع الاول في طبه عليه السلام ٦١٧	النوع الثاني في طبه عليه السلام ٦٣٦	النوع الثالث في طبه عليه السلام بالادوية المركبة من الالهية ٦٥٠	القسم الثاني الصادقة ٦٦١	الفصل الثالث في انبائه صلى الله عليه السلام	المقصد التاسع ٦٧٩
الفصل الثاني في وضوئه ٦٨٥	الفصل الثالث في كيفية وضوئه ٦٨٦	الفصل الرابع في مسحه ٦٩٠	الفصل الخامس في تيممه ٦٩١	الفصل السادس في غسله صلى الله عليه وسلم ٦٩١	النوع الثاني في ذكر صلاته ٦٩٤	القسم الاول في الفرائض ٦٩٥	الفصل الثاني في الاوقات ٦٩٥	الفرع الثاني في ذكر قراءته ٦٩٩	الفرع الرابع في ذكر قراءته ٧٠٢
الفرع الرابع ٧٠٣	الفرع الخامس في ذكر قراءته ٧٠٤	الفرع السادس ٧٠٥	الفرع السابع ٧٠٦	النوع الثامن في ذكر صفة ركوعه ٧٠٦	الفرع التاسع في ذكر مقدار ركوعه ٧٠٧	الفرع العاشر في ذكر ما كان يقول ٧٠٧	الفرع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده ٧٠٨	الفرع الثاني عشر ٧٠٩	الفرع الرابع عشر في ذكر تسليمه عليه السلام ٧١٤
الفرع الخامس عشر ٧١٤	الفصل الرابع في ذكر سجوده ٧١٩	الاول التهجد قبل التسليم ٧٢٠	القسم الثاني السجود ٧٢١	الفصل الخامس ٧٢٢	الباب الثاني في ذكر صلاته ٧٢٧	الباب الثالث في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه ٧٣٦	واما قيامه عليه الصلاة والسلام ليلة النصف من شعبان ٧٤١	واما قيامه عليه السلام في رمضان وهو الذي يسمى بالتراويح ٧٤٢	الباب الرابع في صلاته عليه السلام الوتر ٧٤٥
القسم الثاني في صلاته ٧٥١	الاول في النوافل المقرونة بالاوقات ٧٥١	الرابع في سنة العصر ٧٥٤	الخامس في راتبة المغرب ٧٥٤	السادس في راتبة العشا ٧٥٥	الفرع السابع في راتبة الجمعة ٧٥٥	الفصل الثاني في صلاته ٧٥٦	الفرع الثالث في الوقت ٧٥٧	الباب الثاني في النوافل المقرونة بالاسباب ٧٦١	الفصل الثاني في صلاته عليه السلام ٧٦٥
القسم الثالث في ذكر صلاته ٧٧٢	الفرع الثاني في القصر مع الاقامة ٧٧٣	القسم الرابع في ذكر صلاته صلاة الخوف ٧٧٦	القسم الخامس في ذكر صلاته ٧٧٨	الفرع الثاني في قراءة والدعا ٧٧٨	الفرع الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر ٧٧٨	النوع الرابع في ذكر صيامه ٧٨٣	الفصل الثالث في صومه ٧٨٧	الفصل الخامس في وقت افطاره ٧٨٩	الفصل السابع فيما كان يفطر عليه صلى الله عليه وسلم عند افطاره ٧٨٩
الفصل السادس في افطاره ٧٩٣	الفصل الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم ٧٩٩	الفصل السابع في صومه ايام البيض ٨٠٢	النوع الخامس في ذكر اعتكافه ٨٠٤	النوع السادس في ذكر حجه وعمرته ٨٠٨	النوع السابع في عبادته عليه السلام ٨٣٤	مطلب اباحة السماع ٨٤٥	المقصد العاشر في تمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ٨٤٧	الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف ٨٧٠	وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين ٨٨٥
الفصل الثالث في تفضيله عليه السلام في الاخرة بفضائل الاوليات ٨٨٩	مبحث لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨٩٣								

٢٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا وصلى الله على سيدنا
محمد واله وسلم الحمد لله الذي اطلع في سماء الازل شمس انوار معارف
النبوة المحمدية واشرق من افق اسرار الرسالة مظاهر تجلي الصفات الاحمدية
احمده على ان وضع اساس نبوته على سوابق ازليته ورفع دعايم رسالته
على لواحق ابديته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الفرد المتفرد
في فردانيته بالعظمة والجلال الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق
الكمال واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله اشرف نوع الانسان
وانسان عيون الاعيان المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان الممنوح ببدايع
الايات المخصوص بعموم الرسالة وغرايب المعجزات السر الجامع القرآني و
المخصوص بمواهب القرب من النوع الانساني مورد الحقايق الازلية ومصدرها
وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها اذا حضر في حظاير قدسها ومحضرها

بيت الله المعمور الذي اتخذه لنفسه وجعله ناظما لحقايق انسه منذ مبدا
نقطة الاكوان ومنبع ينابيع الحكم والعرفان المفيض من بحر مدد الوفا على
القائل من اهل المعارف والاصطفا حيث خاطب ذاته الاقدسية بالمنح الانفسية

فانت رسول الله اعظم كاين ... وانت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق اذ انت قطبه ... وانت منار الحق تعلو وتعدل
فوادك بيت الله دار علومه ... وباب عليه منه بالحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت ... ففي كل حي منه لله منهل
منحت بفيض الفضل كل مفضل ... فكل له فضل به منك يفضل
نظمت نثار الانبيا فتاجهم ... لديك بانواع الكمال مكمل
فيا مدة الامداد نقطة خطه ... ويا دورة الاطلاق اذ يتسلسل
محال يحول القلب عليك وانني ... وحقك لا اسلو ولا اتحول
عليك صلاة الله منه تواصلت ... صلاة اتصال عنك لا تتفصل

شخصت ابصار بصاير سكان سدرة المنتهى لجلال جماله وحنت ارواح رؤسا الانبيا
الى مشاهدة كماله وتلفتت لفتات انفس الملاء الاعلى الى نفايس نفحاته وتطاولت
اعناق العقول الى اعين لمحاته ولحظاته فعرج به الى المستوى الاقدس واطلعه
على السر الانفس في احاطته الجامعة وحضرات حظيرة قدسه الواسعة فوقفت
اشخاص الانبياء في حرم الحرمة على اقدام الخدمة وقامت اشباح الملائكة

في معارج الجلال على ارجل الاجلال وهامت ارواح العشاق في مقامات
الاشواق كل اليك بكله مشتاق وعليه من رقبايه احداق

يهواك واناح الحمام بايكه	اولاح برق في الدجا خفاق
شوق اليه لايزال يديره	فجميعه لجميعه عشاق

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق فشق مرائر الاشقيات المشاقين وحن لمفارقته
الجذع فتصدع فانصدعت قلوب الاغبيا المنافقين ولله در القايل وكان
انشقاق البدر اكبر اية تشق قلوب الحاسدين وتفرث وبرقت من مشكاة بعثته
بوارق طلايع الحقايق وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلايق
ولم يزل يجاهد في الله بصادق عزماته وينظم شتات الاسلام بعد افتراق
جهاته حتى كملت كمالات دينه وحججه البالغة وتمت على ساير امته الامية نعمته
السابغة وخير فاختار الرفيق الاعلى واثر الاخرة على الاولى فنقله الله قايما
على قدم السلامة الى دار السلام وفردوس الكرامة وبواه اسنى مراقي التكريم
في دار المقامة ومنحه اعلا مواهب الشرف في اليوم المشهود فهو الشاهد
المشهود والمحمود بالمحامد التي يلهمها الحامد المحمود ذو المنزلة العلية و
الدرجة السنية في حظاير القدس الاقدسية والمشاهد الانفسية واصل الله
عليه فضايل الصلوات وشرايف التسليم ونوامي البركات وعلى اله الاطهار
واصحابه الابرار صلاة وسلاما لا ينقطع عنهما المدد ولا يحصرها العدد

ابد

ابدا الابد وبعد فهذه لطيفة من لطايف نفحات العواطف الرحمانية ومنحة
من منح مواهب العطايا الربانية تنبئ عن نبذة من كمال شرف نبينا محمد عليه
افضل الصلوة وابهى التسليم واسنى الصلاة وسبق نبوته في الازمان
الازلية وثبوت رسالته في الغيابات الاحدية والتبشير باحمديته في الاعصر
الخالية والتذكير بمحمديته في الامم الماضية واشراق بوارق لوامع انوار ايات
ولادته التي سار ضوء فجرها في ساير بريته ودار بدرها في اقطار ملته وعواطف
لطايف رضاعه وحضانته وينابيع اسرار سر مسراه وبعثته وهجرته و
عوارف معارف عبوديته الساري عرف شذاها في افاق قلوب اهل ولايته
ونفايس انفاس احواله الزكية ورقايق حقايق سيرته العلية الى حين
نقلته لروضة قدسه الاحدية وتشريفه بشرايف الايات وتكريمه بكرايم
المعجزات وترفيعه في اي التنزيل برفعه ذكره وعلو خطره وتعظيم محاسن شمايله
وخلايقه وتخصيصه بعموم رسالته ووجوب محبته واتباع طرايقه وسيادته
الجامعة الجوامع السودد في مشهد مشاهد المرسلين وتفضيله بالشفاعة العظمى
العامة لعموم الاولين والاخرين الى غير ذلك من عجايب اياته ومنحه وغرايب اعلام
نبوته وحججه اوردتها تهاجا قاهرة على الملحدين وذكرى نافعة للموحدين وتنبيها
لغرايم المهتدين ولم اكن والله اهلا لذلك ولم ار نفسي فيما هنالك لصعوبة
هذا المسلك ومشقة السير في طريق لم يكن لمثلي ان يسلك وانما هو نكته سر قرا في كتاب

الشفا بحضرة التخصيص والاصطفا في مكتب التاديب والتعليم في
مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم مستجليا في مجال تجليات الانوار الاحمدية
محاسن صفات خلقته وعظيم اخلاقه الزكية • ساريا بسر سيرته في منهاج ملته
الى سما هدية الاسنا راتعا في رياض روضة سنته التريهه الحسنا • مستمدا من
فتح الباري فيض فضله الساري • فمنحني صاحب هذه المنح من مصون حقايقه •
وابرز لي مما اكنه من مكنون رقايقه • فانفتحت بالفتح المحمدي عين بصيرة الا ستيمتاع
وتنزه الناظر في رياض ارتياض رقايق الاسرار • فاستجليت من ابكار مخدرات
السنة النبوية من كل صورة معناها • واقتبست من لالاء مصباح مشكاة المعارف
من كل بارقة اضواها • وانتشقت من كل عبقة صوفية شذاها واجتنيت من افنان
لطايف تاويل آي الكتاب العزيز من كل ثمرة تشتهيها ولا زلت في جنات لطايف
هذه المنح اغدوا واروح • في غبوق وصبوح • حتى انهلت غمايم المعاني على ارض
رياض المباني • فانبعثت ازهارها • وتكاملت بنفايس جواهر العلوم اوراقها • وطابت
لمجتني رقايق الحقايق ثمارها وتدفقت حياض ينابيع الفاظها بزلال الجوامع كلماتها
وخطب خطيب قلوب اسراء الهوى على منبر الغرام الاقدس بديع عوابكمال محاسن الحبيب
الارأس فترنحت بسلاف راح الارتياح نفايس الارواح وتمايلت بمطربات الحان
الحنين الى جمال المحبوب كرايم الاشباح وزمزم زمزم الصفا بحضرة خلاصة اولي
الوفا منشدا مرددا **نظم** حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه • حسبي نعيم زال عنه حسيبه •

داوي فوادي الوصل من داوائه ... طوني لقلبي والحبيب طبيبه
صدق المحب جنيبه في حبه ... فجاء صدق الحب منه جنيبه
لباه لب فواده فاجابه ... لما دعاه الى الغرام وجيبه
وبجامع الاهوا جعل حبه ... ولحسنه خطب القلوب خطيبه

فلما سمعت هذه المواهب اذان قلوب اولي الالباب وتلفتت عيون اعيانهم
لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب في سفر يسفر عن وجه المنح النبوية منيع النقاب
فثنيت عنان القلم الى تحصيل مآربهم وتسطير مطالبهم جانحا صوب الصواب
مودعا ما كان مستودعا لي في غيابات الغيب في هذا الكتاب مستعينا في ذلك
بالقوي الوهاب حتى اتاح الله لي ذلك وتم وهنالك فاوضحت ما خفي من الدليل
ومهدت ما توعر من السبيل **وسميته المواهب اللدنية** بالمنح المحمدية ورتبته على
عشرة مقاصد تسهيلا للسالك والقاصد **المقصد الاول** في تشريف الله تعالى
له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في سابق ازليته ونشره منشور رسالته
في مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته في حظاير قدس كرامته وطهارة نسبه
وبراهين اعلام آيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقايق بعثته وهجرته
ولطايف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشاته
الى وقت بعثته ووفاته ونقلته لرياض روضته **المقصد الثاني** في ذكر اسمائه
الشريفة المنبئة عن كمال اخلاقه المنيفة واولاده الكرام الطاهرين وازواجه

الطاهرات امهات المومنين واعمامه وعماته واخوته بالرضاعة وجداته
وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام فى الشرايع والاحكام
ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام والاتحرو برود وابره والوافدين
اليه صلى الله وسلم عليه وفيه عشرة فصول المقصد الثالث فيما منحه الله تعالى
به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه سبحانه من الاخلاق الزكية وشرفه من الاوصاف
المرضية وما تدعو اضرورة حياته اليه والى الله صلاته وسلامه عليه وفيه ثلثة
فصول المقصد الرابع فى معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته و
ما اختص به من خصايص اياته وبدايع كراماته وفيه فصلان المقصد الخامس
فى تخصيصه صلى الله عليه وسلم بخصايص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطايف
التكريم فى حضرة التقرب بالمكالمة والمشاهدة والايات الكبرى المقصد السادس فيما
ورد فى اي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له بصدق نبوته
وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته و
وجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على ساير النبيين فضلا ومنة
ان ادركوه ليومنن به ولينصرنه والتنويه به فى الكتب السالفة كالتورية والانجيل فانه صاحب
الرسالة والتبجيل وفيه عشرة انواع المقصد السابع فى وجوب محبته واتباع سنته
والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة اله واصحابه وقرابته وعشرته وحكم الصلوة
والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلثة فصول المقصد الثامن فى

طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وابنائه
بالانباء المغيبات وفيه ثلثة فصول المقصد التاسع فى لطيفة من حقايق عباداته و
يشتمل على سبعة انواع المقصد العاشر فى اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه
وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله فى الاخرة بفضايل الاوليات
الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصايص الزلفى فى مشاهد
الانبيا والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد فى
مجمع جامع الاولين والاخرين وترقيه فى جنة عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه
فى يوم المزيد على مقالى الحسنى وزيادة وفيه ثلثة فصول والله تعالى جده و
عز مجده اسال بوجاهة وجه الوجيه وبنيه البنيه ان يمدنى وهذا الكتاب
العزيز بمددا الاقبال والقبول وينيلنى ومن كتبه او اقراه او سمعه والمسلمين
من العواطف النبوية لطايف السول ونهاية المامول وعلى الله قصد السبيل
وهو حسبنا ونعم الوكيل المقصد الاول فى تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق
نبوته فى سابق ازليته ونشره منشور فى مجلس مواسته وكتبه توقيع عنايته فى
حظاير قدس كرامته وطهارة نسبه وبراهين اعلام ايات حمله وولادته
ورضاعه وحضانته ودقايق حقايق بعثته وهجرته ولطايف معارف مغازيه
وسراياه وبعوثه وسيره مرتبا على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته و
نقلته لرياض روضته اعلم يا ذا العقل السليم والمتصف باوصاف الكمال والتتميم

وفقني الله واياك بالهداية الى الصراط المستقيم انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق ارادته وعلمه ثم اعلمه بنبوته وبشره برسالته هذا وادم لم يكن الا كما قال بين الروح والجسد ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الارواح فظهر بالملاء الاعلى وهو بالمنظر الاجلى فكان لهم المورد الاحلى فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به الى الاسم الظاهر فظهر

انتقل حكم الزمان برمه

محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا فهو صلى الله عليه وسلم وان تاخرت طينته فقد عرفت قيمته فهو خزانة السر وموضع نفوذ الامر فلا ينفذ الا منه ولا ينقل خيرا الا عنه

الا يا بي من كان ملكا وسيدا	وادم بين الما والطين واقف
فذاك الرسول الابطحي محمد	له في العلا مجد تليد وطارف
اتى بزمان السعد في اخر المدا	وكان له في كل عصر مواقف
اتى لانكسار الدهر يجبر صدعه	فاثنت عليه السن وعوارف
اذا رام امرا لا يكون خلافه	وليس لذاك الامر في الكون صارف

خرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو ام الكتاب ان محمدا خاتم النبيين ق عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته رواه احمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد وقوله لمنجدل يعني طريحا ملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه وعن ميسرة الضبي قال قلت يا رسول متى كنت نبيا قال وادم بين الروح والجسد هذا لفظ رواية الامام احمد ورواه البخاري في تاريخه وابو نعيم في الحلية وصححه الحاكم واما ما اشتهر على الالسنة بلفظ كنت نبيا وادم بين الماء والطين فقال شيخنا الحافظ ابو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى وقال الحافظ بن رجب في اللطايف وبعضهم يرويه متى كتبت نبيا من الكتابة انتهى قلت كذا رويناه في جزء من حديث ابي عمر واسمعيل بن نجيد ولفظه متى كتبت نبيا قال وادم بين الروح والجسد فيحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها في الخارج فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب قال الله تعالى كتب عليكم الصيام وكتب الله لاغلبن وعن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد

رواه الترمذی وقال حدیث حسن وروینا ه فی جزء من امالی ابی سهل القطان
عن سهل بن صالح الهمدانی قال سالت ابا جعفر محمد بن علی کیف صار محمد
صلی الله علیه وسلم یتقدم الانبیا وهو اخر من بعث قال الله ان الله تعالی
لما اخذ من بنی ادم من ظهورهم ذریاتهم واشهدهم علی انفسهم الست
بربکم کان محمد صلی الله علیه وسلم اول من قال بلی ولذلک صار یتقدم الانبیا
وهو اخر من بعث فان قلت ان النبوة وصف لابد ان یکون الموصوف به موجودا و
انما یکون بعد اربعین سنة ایضا فکیف یوصف به قبل وجوده وارساله اجاب
الغزالی فی کتاب النفخ والتسویة عن هذا وعن قوله علیه السلام انا اول الانبیا
خلقا واخرهم بعثا بان المراد بالخلق هنا التقدیر دون الایجاد فانه قبل
ان ولدته امه لم یکن موجودا مخلوقا ولکن الغایات والکمالات سابقة فی التقدیر
لاحقة فی الوجود قال وهو معنی قولهم اول الفکرة اخر العمل واخر العمل اول
الفکرة وبیانه ان المهندس المقدر للدار اول ما یمثل فی نفسه صورة الدار فیحصل
فی تقدیره دارا کاملة واخر ما یوجد من اعماله هی الدار الکاملة فالدار الکاملة
هی اول الاشیاء فی حقه تقدیرا واخرها وجودا لان ما قبلها من ضرب اللبنات
وبناء الحیطان وترکیب الجذوع وسیلة الی غایة وکمال وهی الدار فالغایة هی
الدار ولاجلها تقوم الالات والاعمال ثم قال واما قوله علیه السلام کنت
کنت نبیا فاشارة الی ما ذکرناه وانه کان نبیا فی التقدیر قبل تمام خلقة ادم علیه السلام

لانه

لانه لم ینشا خلق ادم الا لینزع من ذریته محمد صلی الله علیه وسلم ولیستصفی
تدریجا الی ان بلغ کمال الصفا قال ولا تفهم هذه الحقیقة الا بان للدار وجودین
وجودا فی ذهن المهندس ودماغه وانه ینظر الی صورة الدار خارج الذهن فی
الاعیان والوجود الذهنی سبب لوجود الخارج العینی فهو سابق لا محالة وکذلک
فاعلم ان الله تعالی یقدر ثم یوجد علی وفق التقدیر ثانیا وهو متعقب بقول
الشیخ تقی الدین السبکی انه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تکون
الاشارة بقوله کنت نبیا الی روحه الشریفة او الی حقیقة من الحقایق والحقایق
تقصر عقولنا عن معرفتها وانما یعلمها خالقها ومن امده الله بنور الهی ثم ان تلک
الحقایق یوتی الله کل حقیقة منها ما یشاء فی الوقت فحقیقة النبی صلی الله علیه وسلم
قد تکون من قبل خلق ادم اتاها ذلک الوصف بان یکون خلقها متهیئة لذلک وافاضه
علیها من ذلک الوقت فصار نبیا وکتب اسمه علی العرش واخبر عنه بالرسالة لتعلم
ملائکته وغیرهم کرامته عنده فحقیقته موجودة من ذلک الوقت وان تاخر جسده
الشریف المتصف بها واتصاف حقیقته بالاوصاف الشریفة المفاضة علیه
من الحضرة الالهیة وانما یتاخر البعث والتبلیغ وکل ما له من جهة الله ومن
تاهل ذاته الشریفة وحقیقته معجل لا تاخر فیه وکذلک استنباؤه وایتاؤه
الکتاب والحکم والنبوة وانما المتاخر تکونه وتنقله الی ان ظهر صلی الله علیه وسلم
وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله بانه سیصیر نبیا لم یصل الی هذا المعنی

لان علم الله تعالى محيط بجميع الاشيا ووصف النبي صلى الله عليه وسلم
بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت له في ذلك الوقت ولو كان المراد
بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وادم بين
الروح والجسد لان جميع الانبيا يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد
من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا
قدره عند الله تعالى وعن الشعبي قال رجل يا رسول الله متى استنبئت قال وادم بين الروح
والجسد حين اخذ مني الميثاق رواه ابن سعد من رواية جابر الجعفي فيما ذكره ابن رجب
فهذا يدل على انه من حين صور ادم طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم
ونبي واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر ادم حتى يخرج وقت خروجه الذي
قدر الله خروجه فيه فهو اولهم خلقا لا يقال خلق ادم قبله لان ادم كان حينئذ مواتا
لا روح فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج ونبي واخذ منه
الميثاق فهو اول النبيين خلقا واخرهم بعثا فان قلت ان استخراج ذرية ادم منه كان بعد
نفخ الروح في ادم عليه السلام اجاب بعضهم بانه عليه السلام خص باستخراجه
من ظهر ادم قبل نفخ الروح فان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق
النوع الانساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده والاحاديث السابقة صريح
في ذلك والله اعلم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا من ادم
فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث فهو حي ليؤمنن به

فيه كما دل عليه الاحاديث والذي تقرر هنا ان استخراجه ونبوته قبل نفخ الروح

ولينصرنه

ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه وهو مروي عن ابن عباس ايضا ذكرهما
العماد بن كثير في تفسيره وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم امره ان ينظر الى انوار الانبيا عليهم السلام فغشيهم من نوره ما
الله تعالى به وقالوا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله
ان امنتم به جعلتكم انبياء قالوا امنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم
قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم
من الشاهدين قال الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الاية الشريفة من التنويه بالنبي
صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير
مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق
من زمن ادم الى يوم القيمة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله
وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم
ايضا ويتبين بهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح
والجسد ثم قال فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح
نبي الانبياء ولهذا يظهر ذلك في الاخرة ان جميع الانبيا تحت لوائه وفي الدنيا كذلك
ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح وابراهيم وموسى
وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به

ونضرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم انتهى وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى
في المقصد السادس وذكر العارف الرباني عبد الله بن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس
ومن قبله بن سبع في شفا الصدور عن كعب الاحبار قال لما اراد الله تعالى ان يخلق
محمدا امر جبريل ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها قال
فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم
فغمست في معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم
طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والارض والجبال و
البحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا وفضله قبل ان يعرفوا ادم عليهما
السلام وقيل لما خاطب الله تعالى السماء والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين اجاب موضع الكعبة الشريفة ومن السماء ما يحاويها وقد قال ابن عباس
اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال بعض العلماء
هذا يشعر بان ما اجاب من الارض الا ذرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن موضع
الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في
التكوين والكائنات تبع له وقيل لذلك سمي اميا لان مكة ام القرى وذرته
ام الخليفة فان قلت تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا ان يكون مدفنه عليه السلام
بمكة حيث كانت تربته منها فقد اجاب عنه صاحب عوارف المعارف افاض الله علينا

من عوارفه وتعطف علينا بعواطفه بانه قيل ان الماء لما تموج رمى الزبد الى
النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته بالمدينة
انتهى وفي المولد الشريف لابن طغربل ويروى ان لما خلق الله تعالى ادم الهمه ان قال
يا رب لم كنيتني ابا محمد قال الله تعالى يا ادم ارفع راسك فرفع راسه فراى نور محمد
في سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في
السماء احمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا ويشهد
لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه ان ادم راى اسم محمد صلى الله عليه وسلم
مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لادم لولا محمد ما خلقتك ولله در من قال

وكان لدى الفردوس في زمن الرضى ... واثواب شمل الانس محكمة السدا
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا ... يزيد على الانوار في الضوء والهدى
فقال الهي ما الضياء الذي ارى ... جنود السما تغشوا اليه ترددا
فقال نبي خير من وطئ الثرى ... وافضل من في الخلق راح واغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا ... والبسته قبل النبيين سوددا

فان قلت ان مذهب الاشاعرة ان افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض
فكيف تكون خلقة محمد علة لخلق ادم اجيب بان الظاهر من
الادلة تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التي هي غايات ومنافع
لافعاله تعالى لا بواعث على اقدامه ولا علل مقتضية لفاعليته لان ذلك

محال لحقه تعالى لما فيه من استكماله بغيره والنصوص شاهدة بذلك كقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي قرنت الخلق بالعبادة اى خلقتهم و
فرضت عليهم العبادة فالتعليل لفظى لا حقيقى لان الله مستغن عن المنافع فلا يكون
فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة الى
الى الغير من غير واسطة العمل وروى عبد الله الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله
الانصاري قال قلت يا رسول الله بابى انت وامي اخبرني عن اول شيء خلقه الله تعالى
قبل الاشيا قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل مطلب خلق نور النبي
ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت
لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سما ولا ارض ولا شمس ولا قمر
ولا جنى ولا انسى فلما اراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزا
فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع
اربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث
باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اشيا فخلق من الاول السموات ومن
الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق
من الاول نور ابصار المومنين ومن الثاني نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن
الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقد اختلف
هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدى قال الحافظ ابو يعلى الهمداني الاصح

ان العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فهذا صريح ان التقدير
وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة
بن الصامت مرفوعا اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال رب وما اكتب
قال اكتب مقادير كل شيء رواه احمد والترمذي وصححه ورويا ايضا من حديث
ابي رزين العقيلي مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش وروي السدي باسانيد متعددة
ان الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فيجمع بينه وبين ما قبله باولية القلم
بالنسبة الى ما عدا النور النبوى المحمدى والما والعرش انتهى وقيل الاولية
فى كل بالاضافة الى جنسه اى اول ما خلق الله من الانوار نوري وكذا فى باقيها
وفى احكام بن القطان مما ذكره بن مرزوق عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده
ان النبي م قال كنت نورا بين يدي قبل خلق ادم باربعة عشر الف عام وفى
الخبر لما خلق الله تعالى ادم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبينه فيغلب
على ساير نوره ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على اكتاف ملئكته
وامرهم فطافوا به فى السموات ليرى عجايب ملكوته قال جعفر بن محمد مكث
الروح فى راس ادم مائة عام وفى صدره مائة عام وفى ساقيه وقدميه مائة عام ثم
علمه الله تعالى اسما جميع المخلوقات ثم امر الملائكة بالسجود فسجدوا الا ابليس

فطرده الله تعالى وابعده وخزاه وكان السجود لادم سجود تعظيم وتحية لا سجود
عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وادم كالقبلة
وروي عن جعفر الصادق انه قال كان اول من سجد لادم جبريل ثم ميكايل ثم
اسرافيل ثم عزرايل ثم الملائكة المقربون وعن ابي الحسن النقاش اول من سجد
اسرافيل قال ولذا جوزي بتولية اللوح المحفوظ وعن ابن عباس كان يوم الجمعة
من وقت الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى له حوا زوجته من ضليع من
اضلاعه اليسرى وهو نايم وسميت حوا لانها حي فلما استيقظ وراها سكن
اليها ومد يده لها فقالت الملائكة مه يا ادم قال ولم وقد خلقها لي فقالوا
حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم
ثلث مرات وذكر ابن الجوزي في كتاب سلوة الاحزان انه لما رام القرب
منها طلبت منه المهر فقال يا رب وماذا اعطيها قال يا ادم تصلي على حبيبي محمد
بن عبد الله عشرين مرة ففعل ثم ان الله تعالى اباح لهما نعيم الجنة ونهاهما
عن شجرة الحنطة وقيل شجرة العنب وقيل شجرة التين فحسدهما ابليس فهو اول من حسد
وتكبر فاتى الى باب الجنة واتى الى ادم وحوا فوقف وناح نياحة احزنهما فهو اول
من ناح فقالا ما يبكيك قال عليكما تموتان وتفقدان النعيم الا ادلكما على
شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما انه ناصح فهو اول من حلف كاذبا واول من غش
فاكلت حوا منها ثم زينت لادم حتى اكل وظنا احدا لا يتجاسر ان يحلف بالله كاذبا

فقال

فقال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال
بلى يا رب وعزتك ولكن ظننت ان احدا لا يحلف بك كاذبا قال الله تعالى
وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض لا تنال العيش الا كدا فاهبط من الجنة
وعن ابن عباس قال الله تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت قال زينته لي حوا
قال فاني اعقبها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ولادميتها في الشهر
مرتين وقال وهب بن منبه لما اهبط ادم الى الارض مكث يبكي ثلاث مائة سنة
لا يرقى له دمع وقال المسعودي لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع
ادم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة وقال مجاهد بكى ادم مائة عام لا يرفع راسه
الى السماء وانبت الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وانواع
الطيب وبكت حوا حتى انبت الله من دموعها القرنفل والافاوي يا بني ادم
انظروا كيف بكى ابوكم على فعلة واحدة ثلاث مائة سنة فكيف بكم يا ارباب الكباير
العظيمة فاعتبروا يا اولي الابصار كان كلما راى الملائكة تصعد وتهبط ازداد
شوقا الى الاوطان وتذكر العهد والجيران يا اصحاب الذنوب احذروا زلة
يقول فيها الحبيب هذا فراق بيني وبينك فيا ذا العقل السليم انظر كيف جلس
ابوك ادم على سرير المملكة فمد يده الى القيمة نهي عنها فاخرج من الجنة فاحذروا
يا بنيه عواقب المعاصي فانها من زلت به نزلت به وحطته عن رتبته فان قلت
هذه الفعلة التي اهبط بها ادم من الجنة ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبيا

وان كانت صغيرة فلم جري عليه ما جري بسببها من نزع اللباس والاخراج من
الجنة وغير ذلك اجاب الزمخشري بانها ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبية
من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الطاعات واعظم الاعمال و
انما جري عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلاً ليكون ذلك
لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا وابقاء المأثم ياهذا انظر كم لله من لطف
وحكمة في اهباط ادم من الجنة الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين
واجتهاد العابدين المجتهدين ولا صعدت زفرات انفاس التائبين ولا
نزلت قطرات دموع المذنبين يا ادم ان كنت اهبطت من دار القرب فاني
قريب اجيب دعوة الداع ان كان لك بالاخراج من الجنة كسر فانا عند المنكسرة
قلوبهم من اجلي ان كان فاتك في السما زجل المسبحين فقد تعوضت في الارض
انين المذنبين انين المذنبين احب الينا من تسبيحهم زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار
وانين المذنبين يزينه الانكسار لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون
ثم يستغفرون فيغفر لهم سبحان من اذا لطف بعبده في المحن قلبها منحًا واذا خذل
عبدًا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه وبالاً لقن ادم حجته والقى عليه ما نقبل
توبته وطرد ابليس بعد طول خدمته فصار عمله هباء منثورًا قال اخرج منها
فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين اذا وضع عدله على عبد لم يبق
له حسنة واذا نبسط فضله على عبد لم يبق له سيئة انظر لما ظهرت فضائل

ادم عليه السلام على الخلايق بالعلم وكان العلم لا يكمل الا بالعمل بمقتضاه
والجنة ليست دار عمل ومجاهدة انما هي دار نعيم ومشاهدة قيل له ادم
اهبط الى ارض الجهاد وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد وكانك
بالعيش الماضي وقد عاد على اكمل المعتاد ولما اظهر ابليس عليه اللعنة الحسد
وسعى في الاذى حتى كان سببا الا في اخراج السيد ادم من الجنة وما فهم
الابله ان ادم اذا خرج من الجنة كملت فضائله ثم عاد الى الجنة على اكمل من
الحال الاول قلوا وفيه اشارة كانه تعالى يقول لو عفوت في الجنة لما تبين
كرمي بان غفر لنفس واحدة بل اخرجه الى الدنيا وان بالوف من العصاة حتى اغفر له
لهم ليتبين جودي وكرمي وايضا علم الله تعالى ان في صلبه الاولاد والجنة
ليست دار توالد وايضا ليخرج من ظهره في الدنيا من لا نصيب له في الجنة ياهذا الجنة
ان شاء الله اقطاعنا وقد وصل منشور الاقطاع مع جبريل عم الى نبينا صلى الله
عليه وسلم وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الا نهار
وانما يخرج الاقطاع عمن خرج عن الطاعة نسئل الله التوفيق وقد اختلف في الجنة
التي سكنها ادم فقيل هي جنة الخلد وقيل غيرها جعلها الله دار ابتلاء لان جنة
الخلد انما يدخل اليها يوم القيمة وبانها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وامر
ونهي ودار سلامته لا دار ابتلاء وامتحان ودار قرار لا دار انتقال واحتج
القائلون بانها جنة الخلد بان الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيمة وقد

وقد دخلها نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وبان ما ذكروه من ان الجنة لا يوجد فيها ما وجده ادم من الحزن والنصب فانما هو اذا دخلها المؤمنون يوم القيمة كما يدل عليه سياق الايات كلها فان نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين اياها والله اعلم انتهى وروي انه لما اخرج ادم من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى فقال يا رب هذا محمد من هو قال الله تعالى هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا ادم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال يا رب اسئلك بحق محمد لما غفرت لي قال الله تعالى يا ادم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت على قوايم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا ادم انه لاحب الخلق الي سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلايله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه وهو اخر الانبيا من ذريتك وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابراهيم

خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا ولله در سيدي على الوفاي حيث قال في قصيدته التي اولها

سكن الفواد فعش هنيا يا جسد … هذا النعيم هو المقيم الى الابد
روح الوجود حياة من هو واجد … لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وادم والصدور جميعهم … هم اعين هو نورها لما ورد
ولو ابصر الشيطان طلعة نوره … في وجه ادم كان اول من سجد
او لو راى النمرود نور جماله … عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الحق جل فلا يرى … الا بتخصيص من الله الصمد

ولما خلق الله تعالى حواء لتسكن الى ادم ويسكن اليها فحين صار لديها فاضت بركاته عليها فولدت له في تلك الاعوام الحسنا اربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده كرامة لمن اطلع الله بالنبوة سعده ولما توفي ادم كان شيث عليه السلام وصيا على ولده ثم اوصى شيث ولده بوصية ادم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المرضية قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية

شيئ ما ولدني الانكاح الاسلام والسفاح بكسر السين المهملة الزنا والمراد به
ها هنا ان المراءة تسافح رجلا مدة ثم يتزوجها بعد ذلك وروي ابن سعد و
ابن عساكر عن هشام بن محمد بن السايب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه
وسلم خمسماية ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان في امر الجاهلية وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم
اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح الجاهلية
شيئ رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم وابن عساكر وروي ابو نعيم عن
ابن عباس مرفوعا لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب
الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تنشعب شعبتان الا كنت في خيرهما
وعنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك
نبيا وعنه ايضا في الاية قال ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب
رواه البزار
الانبياء حتى ولدته امه رواه ابو نعيم وعن جعفر بن محمد عن ابيه في قوله
تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه شيئ من ولادة الجاهلية
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح وعن انس
قال قرا صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء
وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا في ابائي من لدن سفاح كلنا نكاح رواه
ابن مردويه وفي الدلائل لابي نعيم عن عايشة عنه صلى الله عليه وسلم عن

عن جبريل

عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من
محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط
قال الحافظ شيخ الاسلام بن حجر لوايح الصحة ظاهرة على صفحات هذا
المتن وفي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير
مسلم
من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وفي
عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من
ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم و
اصطفاني من بني هاشم رواه الترمذي وعن العباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفريقين ثم
تخير القبايل فجعلني من خير القبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم
فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذي هكذا منفردا به وقال حديث
حسن اي خيرهم روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وفي حديث رواه
الطبراني عن ابن عمر قال ان الله اختار خلقه واختار منهم بني ادم ثم اختار
منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ثم اعلم انه عليه
السلام لم يشركه في ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما اليه
وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية و

ولتمام الشرف نهاية وانت اذا اخترت حال نسبه وعلمت طهارة مولده
تيقنت انه سلالة اباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي الابطحي الحرمي
الهاشمي القرشي نخبة بني هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب وعرقها
في النسب واشرفها في الحسب وانضرها عودًا واطولها عمودًا واطيبها ارومة
واعزها جرثومة وافصحها لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا واصحها
ايمانا واعزها نفرا واكرمها معشرًا من قبل ابيه وامه ومن اكرم بلاد الله على
الله وعلى عباده فهو محمد بن عبد الله الذبيح بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد
في قول ابن اسحق وهو الصحيح وقيل سمي به لانه ولد وفي راسه شيبة وقيل
اسمه عامر وهو قول ابن قتيبة وتابعه عليه المجد الشيرازي وكنيته ابو الحارث
بابن له اكبر ولده قيل وانما قيل له عبد المطلب لان اباه هاشما قال لاخيه المطلب
وهو بمكة حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فمن ثم سمي عبد الله المطلب
وقيل ان عمه المطلب جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة بذة فكان يسال عنه
فيقول هو عبدي حياء من ان يقول ابن اخي فلما ادخله واحسن من حاله اظهر
انه ابن اخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وهو اول من خضب بالسواد من العرب
وعاش مائة واربعين سنة ابن هاشم واسمه عمرو وانما قيل له هاشم لانه
كان يهشم الثريد لقومه في الجدب ابن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي تصغير
قصي اي بعيد لانه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته امه فاطمة

واسمه

واسمه مجمع قال الشاعر
ابوكم قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبايل من فهر
وقيل زيد وقال الشافعي كما حكاه عنه الحاكم
ابو احمد يزيد بن كلاب وهو اما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة نحو كالبت
العدو مكالبة واما من الكلاب جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كما سموا بسباع
وسئل اعرابي لم تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم باحسن الاسما
نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريدون
ان الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسما واسم كلاب
حكيم وقيل عروة بن مرة بن كعب وهو اول جمع يوم العروبة وكانت تجتمع اليه
قريش في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي م ويعلمهم بانه من ولده و
ويامرهم باتباعه والايمان به وينشد في ذلك ابياتا منها قوله •
ياليتني شاهد نجواء دعوته • اذا قريش تبغي الحق خذلانا
ابن لؤي تصغير
اللأي وهو الثور ابن غالب بن فهر واسمه قريش واليه ينسب قريش فما كان
فوقه فكناني لا قرشي بن مالك ابن النضير واسمه قيس بن كنانة وقيل هو جماع قريش
بن خزيمة تصغير خزمة بن مدركة ابن الياس بكسر الهمزة في قول ابن الانباري
وبفتحها في قول قاسم بن ثابت ضد الرجا واللام فيه للتعريف والهمزة للوصل
قال السهيلي وهذا اصح وهو اول من اهدى البدن الى البيت الحرام ويذكر انه
كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ابن مضر وهو اول من

المهدي للابل وكان من احسن الناس صوتا ابن نزار بكسر النون من النزر
وهو القليل قيل لانه لما ولد ونظر ابوه الى نور محمد م بين عينيه فرح
فرحا شديدا واطعم وقال ان هذا كله نزر اي قليل لحق هذا المولود فسمي نزار
لذلك ابن معد ابن عدنان قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول
الله م انما انتسب الى عدنان ولم يجاوزه انتهى   ولله در القايل

وسنبة عرهاشم من اصولها ... ومحتدها المرضي كرم محتدا
سمت رتبة علياء اعظم قدرها ... ولم تسم الا بالنبي محمد

ويرحم الله القايل وكم اب قد علا بابن ذي شرف كما علت برسول الله عدنان
ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين او ثلثا رواه في مسند الفرد وس لكن
قال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان بن مسعود
اذا قراء قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب
ونفى الله تعالى علمها عن العباد وروي عن عمر انه قال انما ينسب الى عدنان
وما فوق ذلك لا ندري ما هو وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا
يعرفون وقال عروة بن الزبير ما وجدنا احدا يعرف بعد معد بن عدنان وسئل مالك رحمه الله
عن الرجل يرفع نسبه الى ادم فكره ذلك وقال من اخبره بذلك ولذا روي عنه في
رفع نسب الانبياء عليهم السلام فالذي ينبغي لنا الاعراض عما فوق عدنان

لما فيه

لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسماء مع قلة الفائدة
وقد ذكر الحافظ ابو سعيد النيسابوري عن ابي بكر بن ابي مريم عن سعيد بن
عمرو الانصاري عن ابيه عن كعب الاحبار ان نور النبي صلى الله عليه وسلم
لما صار الى عبد المطلب وادرك نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا
قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعله ذلك فاخذه ابوه
بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا له اعلم ان اله السموات
قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قبيلة فولدت له الحرث ثم ماتت فزوجه
بعدها هند بنت عمرو وكان عبد المطلب يفوح منه رايحة المسك الاذفر
ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وكانت قريش اذا اصابها
قحط تاخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون به الى الله و
يسئلونه ان يسقيهم الغيث ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثا
عظيما ولما قدم ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي لهدم بيت الله الحرام و
بلغ عبد المطلب ذلك قال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت
ربا يحميه ويحفظه ثم جاء ابرهة فاستاق ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب
فيها اربعماية ناقة فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير فاستدارت
دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد
شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال

يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني
الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم
الجيش فلما دخل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر
مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا
لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي انه لما حضر عبد المطلب
عند ابرهة امر بسايس فيله الابيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك ابرهة
كما تسجد ساير الفيلة ان يحضره بين يديه فلما نظر الفيل الى وجه عبد الملك
برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله الفيل فقال السلام على النور
الذي في ظهرك يا عبد المطلب ولما دخل جيش ابرهة معهم الفيل لهدم الكعبة
الشريفة برك الفيل فضربوه في راسه ضربا شديدا ليقوم فابى فوجهوه
راجعا الى اليمن فقام ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل من البحر مع كل طاير
منها ثلثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال العدس لا يصيب
احدا منهم الا اهلكته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة
في جسده بداء فتساقطت انامله انملة انملة وسال منه الصديد والقيح و
الدم وما مات حتى انصدع قلبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى
بقوله لنبيه ءالم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة الى اخرها
فان قلت لم قال تعالى له عليه السلام الم تر مع ان هذه القصة كانت قبل المبعث

فالجواب

فالجواب ان المراد من الرؤية هنا العلم والتذكير هو اشارة الى ان الخبر به
متواتر فكان العلم الحاصل به ضروري مساو في القوة للرؤية وقد كانت
هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتاسيسا لنبوته
وارهاصا واعزازا لقومه لما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب
واعتقدت شرفهم وفضلهم على ساير الناس بحماية الله لهم ودفعه عنهم
مكر ابرهة الذي لم يكن لساير العرب بقتاله قدرة وكان ذلك كله ارهاصا
لنبوته عليه السلام قال الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزات على
زمان البعثة تاسيسا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله عليه السلام
يعني قبل بعثته وخالفه العلامة السيد في شرح المواقف تبعا لغيره فاشترط
في المعجز ان لا يتقدم على الدعوى بل يكون مقارنا لها كما سياتي ان شاء الله
في المقصد الرابع فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شيء من ذلك
فالجواب ان ذلك وقع ارهاصا لامر نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص
انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما ظهر وتاكدت نبوته بالدلايل القطعية
فلا حاجة الى شيء من ذلك والله اعلم ولما فرج الله سبحانه وتعالى عن
عبد المطلب ورجع ابرهة خايبا فبينما هو يوما نايما في الحجر اذ راى مناما
عظيما فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت
له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يومن به اهل السموات

والارض وليكونن في الناس علمًا مبينا فتزوّج فاطمة وحملت في ذلك
الوقت بعبدالله الذبيح وقصّته في ذبحه مشهورة مخرجة عند الرُّواة مسطورة
وكان سببها حفر ابيه عبد المطّلب زمزم لان الجرهمي عمرو بن الحارث
لما احدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله لهم من اخرجهم من مكة فعمد
عمرو الى نفايس فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفرّ الى اليمن بقومه فلم
تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعت عنها الحجب برؤيا منام راها
عبد المطّلب دلته على حفرها بامارات عليها فمنعته قريش من ذلك
ثم اذاه من السفهاء من اذاه واشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحارث ولم
يكن له ولد سواه فنذر لين جاه عشرة بنين وصاروا له اعوانا ليذبحنّ
احدهم لله قربانا بهم نام ليلة عند الكعبة ثم احتفر عبد المطلب زمزم فكانت
له فخرًا وعزًا فلمّا تكامل بنوه عشرةً وقر عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة
راي في المنام قائلا يقول يا عبد المطّلب وف بنذرك لرب هذا البيت
فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقراء والمساكين ثم نام
فراي ان قرب ما هو اكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورًا ثم نام فراي
ان قرب ما هو اكبر من ذلك فانتبه وقرب جملًا واطعمه للمساكين ثم نام
فنودي ان قرب ما هو اكبر من ذلك قال وما اكبر من ذلك قال قرب احد اولادك
الذي نذرته فاغتم غمًّا شديدًا وجمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم

الى

الى الوفا فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا فقال لياخذ كل واحد منكم قدحًا
والقدح سهم بغير نصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا واخذ قدا [حهم]
ودخل على هبل وكان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح
عنده فيستقسمون بها اي يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذي
بها قال فدفع عبد المطّلب الى ذلك القيم القداح وقام يدعو الله تعالى
فخرج على عبدالله وكان احب ولده اليه فقبض عبد المطّلب على يد ولده
عبدالله واخذ الشفرة ثم اقبل اساف ونايلة صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح
عندهما النسايك فقام اليه سادات قريش فقالوا ما تريد ان تصنع فقال
اوفي بنذري فقالوا لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولين
فعلت هذا لا يزال الرجل ياتي بابنه فيذبحه فتكون سنة وقالوا له انطلق
الى فلانة الكاهنة قُلتُ قيل اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغني في كتاب
المبهمات [قول المص] وذكر ابن اسحق ان اسمها سجاح فلعلها ان تامرك بامر فيه فرج لك
فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقصّ عليها عبد المطلب القصّة فقالت كم الدية فيكم
فقالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا
عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها [اي على الابل] بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم
فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا هكذا حتى [اي على صاحبكم وهو عبدالله] يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل
فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبدالله

وقربوا عشرا من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرج القداح على ولده ولم يزل
يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت
لا يصد عنها انسان ولا طاير ولا سبع ولهذا روى كما ان عند الزمخشري في
الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وعند الحاكم في المستدرك
عن معاوية بن ابي سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي
فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال
فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم ينكر عليه الحديث ويأتي تتمته قريبا ان شاء الله تعالى ويعني
بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابراهيم وان كان قد ذهب بعض العلماء الى
ان الذبيح اسحق فان صح هذا فالعرب تجعل العم ابا قال الله تعالى اخبارا عن بني
يعقوب عليهم السلام ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه
ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق
فجعل اسمعيل ابا وهو عم وفي حديث معاوية الموعود بتتمته قريبا قال معاويه
ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها ان ينحر بعض ولده
فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله
من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسمعيل
الذبيح الثاني قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح انه (اسمعيل) لا ريب ان الذبح كان بمكة

ولذلك

ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة و
رمي الجمرات تذكيرا لشان اسمعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم
ان اسمعيل وامه هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وامه ثم قال ولو
كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين
والنحر بالشام لا بمكة وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن سلم
نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحق سماه عليما وايضا فان الله اجرى العادة
البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سال ربه الولد
ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة
منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك فيها ولما اخذ الولد
شعبة من قلب الوالد غيره الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب
فلما قدم على ذبحه وكانت محبة الله اعظم عنده من محبة الولد خلصت
الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة
هي في العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدي
الذبيح وصدق الخليل الرؤيا انتهى وقد انشد بعضهم

ان الذبيح هديت اسمعيل • نطق الكتاب بذلك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا • وابانه التفسير والتاويل

وروي مما ذكره المعافى بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من

من علمائنا اليهود اي بني ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان
اليهود ليعلمون ان اسمعيل ولكنهم يحسد ونكم يا معشر العرب ان يكون ابا كه
للفضل الذي ذكره الله عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق
ابوهم انتهى فانظر ايها الخليل ما في هذه القصة من السر الجليل وهو ان
ان الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة فانه كان عاقبة
صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح الولد الت
الى ما الت اليه من جعل اثارهما ومواطي اقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين
ومتعبدات لهم الى يوم الدين وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من
خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضا بالرضا قال
الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم الوارثين
ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد استشكل بعض
الناس ان عبد المطلب نذر نحر بنيه اذا بلغوا عشرة وكان تزوجه
هالة ام ابنه حمزة بعد وفايه بنذره وانما كان اولاده عشرة قال
السهيلي ولا اشكال في هذا فان جماعة من العلما قالوا كان اعمامه
عليه السلام اثني عشر فان صح هذا فلا اشكال في الخبر وان صح
قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم

حقيقة لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده
عشرة رجال حين وفى بنذره ويقع ايضا في بعض السير ان عبد الله
كان اصغر بني ابيه عبد المطلب وهو غير معروف ولعل الرواية اصغر
بني امه والا فحمزة كان اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة وروي
عن العباس انه قال اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن
ثلثة اعوام او نحوها فجيء به حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لي
قبل اخاك فقبلته فكيف يصح ان يكون عبد الله هو الاصغر ولكن رواية
البكاي ولروايته وجه وهو ان يكون اصغر ولد ابيه حين اراد
نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس ولما انصرف عبد الله مع ابيه
من نحر الابل مر على امرءة من بني اسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة
واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ويقال رقيقة بنت
نوفل فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان احسن رجل رئي في قريش
لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الان لما رات في وجهه من نور النبوة
ورجت ان تحمل بهذا النبي الكريم فقالت لها انا مع ابي ولا استطيع خلافه
ولا فراقه وقيل اجابها بقوله

اما الحرام فالممات دونه … والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه … يحمي الكريم عرضه ودينه

وعند بن نعيم والخرايطى وابن عساكر من طريق عطا عن ابن عباس لما خرج
عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر بر على كاهنة من تباله متهودة قد
رات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة فى وجه عبد الله
فقالت له وذكر نحوه ثم خرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف
بن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته امنة وهى
يومئذ افضل امراة فى قريش نسبا وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين
ملكها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى فى شعب ابى طالب عند الجمرة
فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فاتى المراة التى عر
ضت عليه
ما عرضت فقال لها مالك ما تعرضين على اليوم ما عرضت بالامس قالت فارقك
النور الذى كان معك بالامس فليس لى بك اليوم حاجة انما اردت النور
فى فابى الله الا ان يجعله حيث شاء ولما حملت امنة برسول الله صلى الله عليه
وسلم ظهر لحمله عجايب ووجد لايجاده غرايب فذكروا انه لما استقرت
نطفته الزكية وذرية المحمدية فى صدفة امنة القرشية نودى فى
الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا
جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات فى صفف الصفا الصوفية
الملئكة المقربين اهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن
امنة ذات العقل الباهرة والفخر المصون قد خصها الله تعالى القريب

المجيب

المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب لانها افضل قومها حسبا وانجبهم زكا
اصلا وفرعا واطيب وقال سهل بن عبد الله التسترى فيما رواه الخطيب البغدادى
الحافظ لما اراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم فى بطن امه امنة ليلة
رجب وكانت ليلة جمعة امر الله تعالى فى تلك الليلة رضوان خازن الجنان
ان يفتح الفردوس ونادى مناد فى السموات والارض الا ان النور المخزون
المكنون الذى يكون منه النبى الهادى فى هذه الليلة يستقر فى بطن امه الذى فيه
يتم خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفى رواية كعب الاحبار رضى الله عنه
انه نودى تلك الليلة فى السما وصفاحها والارض وبقائها ان النور المكنون
الذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقر فى بطن امنة فيا طوبى لها
ثم يا طوبى واصبحت يومئذ اصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش فى جذب
شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرفد
من كل جانب فسميت تلك السنة التى حمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة الفتح والابتهاج وطوبى الطيب والحسنى والخير والخيرة قاله
فى القاموس وقال غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك عطية وقال
عكرمة نعم وفى الحديث طوبى للشام فان الملائكة باسطة اجنحتها
عليها فالمراد بها ها هنا فعلى من الطيب وغيره مما ذكر لا الجنة ولا الشجرة
ويحتمل ان تفسر بالجنة وفى حديث بن اسحق ان امنة كانت تحدث انها اتيت

حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة
وقالت ماشعرت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما يجد النسا
الا اني انكرت رفع حيضي واتاني آت وانا بين النايمة واليقظانة فقال هل
شعرت بانك حملت بسيد الانام ثم امهلني حتى اذا دنت ولادتي اتاني
فقال قولي ● اعيذه بالواحد ● من شر كل حاسد ● ثم سميه محمدا
وفي رواية غير ابن اسحق وعلقي عليه هذا لتميمة قالت فانتبهت وعند
راسي صفيحة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة

اعيذه بالواحد	من شر كل حاسد
وكل خلق رايد	من قايم وقاعد
عن السبيل حائد	على الفساد جاهد
من نافث وعاقد	وكل خلق مارد
ياخذ بالمراصد	في طرق الموارد

قال الحافظ عبد الرحيم العراقي هكذا ذكر هذه الابيات بعض اهل السير و
جعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها انتهى وعن شداد بن اوس ان رجلا من
بني عامر سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة امرك فقال بدو شاني
اني دعوة ابراهيم وبشرى اخي عيسى واني كنت بكر امي وانها حملت بي كاثقل
ما تحمل النساء وجعلت تشتكي الى صواحباتها ثقل ما تجد ثم ان امي رات في منامها

ان الذي في بطنها نورا الحديث ففيه ان امه عليه السلام وجدت الثقل في
حمله وفي ساير الاحاديث انها لم تجد ثقلا وجمع ابو نعيم الحافظ بينهما بان
الثقل به كان في ابتدا علوقها به والخفة عند استمرار الحمل بها فيكون على الحالين
خارجا عن المعتاد المعروف انتهى وخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كان من دلالة حمل امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة
كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم
ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك
الدنيا الا اصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب
بالبشارات وكذلك اهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور
حمله نداء في الارض ونداء في السما ان ابشروا فقد ان ان يظهر ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا الحديث وهو شديد الضعف وعن
غيره لم يبق في تلك الليلة دار الا اشرقت ولا مكان الا دخله النور
ولا دابة الا نطقت وعن ابي زكريا يحيى بن عايذ بقي صلى الله عليه وسلم
في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض
لذوات الحمل من النسا وكانت تقول والله ما رايت من حمل هو اخف منه ولا اعظم
بركة منه ولما تم لها من حملها شهران توفي عبد الله وقيل توفي وهو في المهد
قاله الدولابي وعن ابي خيثمة وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة وقيل

وهو ابن ثمانية وعشرين شهرًا و الراجح المشهور الاول وكان عبد الله قد رجع
ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة فتخلف عند اخواله
بني عدي بن النجار فاقام عندهم مريضا فبعث اليه الحارث شهرًا فلما قدم
اصحابه مكة سالهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضًا فبعث اليه الحارث
فوجده قد توفي و دفن في دار النابغة وقيل دفن بالابوا وقالت امنة زوجته ترثيه

عفى جانب البطحاء من ال هاشم … وجاور لحدا خارجا في الغمائم
دعته المنايا دعوة فاجابها … وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره … تعاوره اصحابه في التراحم
فان تك غالته المنايا وريبها … فقد كان معطاء كثير التراحم

ويذكر عن ابن عباس انه لما توفي عبد الله قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك
يتيما فقال الله تعالى انا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم
النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق نقله
عنه ابو حيان في البحر وروي ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت ابي
وكان من اوعية العلم قال لما حضرت ولادة امنة قال الله تعالى لملائكته
افتحوا ابواب السما كلها وابواب الجنان والبست الشمس يومئذ نورًا
عظيمًا وكان قد اذن الله تعالى تلك السنة لنسا الدنيا ان يحملن ذكورًا
كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مطعون فيه وذكره

ابو

ابو سعيد عبد الملك النيسابوري في كتابه الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب
السعادة والبشري عن كعب في حديثه الطويل ورواه ابو نعيم من حديث ابن مطلب
عباس قال كانت امنة تحدث وتقول اتاني ات حين مر بي من حملي ستة
اشهر في المنام وقال لي يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا
واكتمي شانك قالت ثم لما اخذني ما ياخذ النساء ولم يعلم بي احد لا ذكر ولا
انثى واني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة
وامرا عظيما هالني ثم رايت كان جناح طير ابيض قد مسح على فوادي فذهب
عني الرعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابني
نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن
بي فبينما انا اتعجب واقول واغوثاه من اين علمن بي قال في غير هذه الرواية
فقلن لي نحن اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور
العين واشتد بي الامر وانا اسمع الوجبة في كل ساعة اعظم واهول
مما تقدم فبينا انا كذلك اذا بديباج ابيض قد مد بين السما والارض واذا
بقايل خذاه عن اعين الناس قالت ورايت رجالا قد وقفوا في الهوا
بايديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا انا بقطعة من الطير قد اقبلت
حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن
بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها ورايت ثلثة اعلام مضروبات

علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذني المخاض
فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجدا قد رفع اصبعيه
الى السما كالمتضرع المبتهل ثم رايت سحابة بيضاء قد اقبلت من السما حتى
غشيته فغيبته عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الارض و
مغاربها وادخلوه في البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون
انه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه ثم تجلت عنه في
اسرع وقت الحديث وهو مما تكلم فيه وروى الخطيب البغدادي بسنده كما
ذكره صاحب السعادة والبشرى ايضا ان امنة قالت لما وضعته عليه السلام
رايت سحابة عظيمة لها نور اسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة
وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس
والملائكة والطيور والوحوش واعطوه خلق ادم ومعرفة شيث وشجاعة
نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة
لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع
وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمت يحيى وزهد عيسى
واغمسوه في اخلاق النبيين قالت ثم انجلت عني فاذا به قد قبض على حريرة
خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء فاذا قايل يقول

بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من اهلها
الا دخل طايعا في قبضته قالت ثم نظرت اليه واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه
يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر في يد احدهم ابريق من فضة وفي يد
الثاني طست من زمرد اخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج
منها خاتما يحار ابصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات
ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته
ساعة ثم رده الي ورواه ابو نعيم عن ابن عباس وفيه نكارة وروي الحافظ
ابو بكر بن عايد في كتاب المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في
شرح بردة المديح عن ابن عباس لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في اذنه
رضوان خازن الجنان البشر يا محمد فما بقي لنبي علم الا وقد اعطيته فانت
اكثرهم علما واشجعهم قلبا وروي محمد بن سعد من حديث جماعة منهم
عطاء وابن عباس ان امنة بنت وهب قالت لما فصل مني تعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج معه نورا اضاء له ما بين المشرق والمغرب
ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها
ورفع راسه الى السما وروي انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة
اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروي الطبراني عن عثمان بن ابي العاص عن
امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت لما حضرت ولادة

رسول الله ام رايت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورايت النجوم تدنوا
حتى ظننت انها ستقع على رواه البيهقي واخرج احمد والبزار والطبراني والحاكم
والبيهقي عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله
وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك دعوة ابي ابراهيم
وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رات وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام
رسول الله صلى الله عليه وسلم رات حين وضعته نورًا اضاء له قصور الشام
قال الحافظ بن حجر صححه ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطا بن يسار
عن ام سلمة عن امنة قالت لقد رايت ليلة وضعه نورًا اضاء له قصور الشام
حتى رايتها واخرج ايضا عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان امنة قالت رايت
كانه خرج من فرجي شهاب اضاءت له الارض حتى رايت قصور الشام وعن همام
بن يحيى عن اسحق بن عبد الله ان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
لما ولدته خرج من فرجي نورًا اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر
رواه ابن سعد والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال
وانت لما ولدت اشرقت الارض ۞ وضاءت بنورك الافق ۞ فنحن
في ذلك الضيا وفي النور وسبل الرشاد تخترق ۞ قال في الطايف وخروج
هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به اهل الارض و
زال به ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به

به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه
واما اضاءة قصور بصرى بنوره الذي خرج معه فهو اشارة الى ما خص الشام
من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان في الكتب السالفة محمد رسول
الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا
عليه الصلوة والسلام والى الشام انتها ملكه ولهذا اسري به صلى الله عليه
وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام
الى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهي ارض المحشر والمنشر
وخرج احمد وابو داود وابن حبان والحاكم في صحيحها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله في ارضه يجتبي اليها خيرته من عباده
انتهى ملخصا واخرج ابو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفا قالت
لما ولدت امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل
فسمعت قايلا يقول يرحمك الله قالت الشفا واضا له ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت الى قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني
ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قايلا يقول اين ذهبت به
قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني على بال حتى ابتعثه الله فكنت
في اول الناس اسلاما ومن عجايب ولادته صلى الله عليه وسلم ما اخرجه
البيهقي وابو نعيم عن حسان بن ثابت قال اني لغلام ابن سبع سنين

او ثمان اعقل ما رايت وسمعت ذا يهودي يصرخ ذات غداة يا معشر يهود
فاجتمعوا اليه وانا اسمع قالوا ويلك مالك قال طلع نجم احمد الذي ولد به
في هذه الليلة وعن عايشة قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كان الليلة التي
ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم مولود
قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة بين كتفيه
علامة فانصرفوا فسالوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام
فذهب اليهودي معهم الى امه فاخرجته لهم فلما راى اليهودي العلامة
خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة من بني اسرائيل يا معشر قريش اما والله
ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب رواه يعقوب بن
سفيان باسناد حسن كما قاله في فتح الباري ومن عجايب ولادته ايضا ما
روي من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط اربعة عشر شرفة من شرفاته
وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد
كما رواه البيهقي وابو نعيم والخرايطي في الهواتف وابن عساكر وفي
سقوط الاربعة عشر شرفة اشارة الى انه يملك منهم ملوك وملكات بعدد
الشرفات وقد ملك منهم في اربع سنين عشرة ذكره ابن ظفر وزاد ابن سبط
الناس وملك الباقون الى خلافة عثمان ومن ذلك ايضا ما وقع من زيادة
حراسة السما بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق

السمع

السمع ولقد احسن الشقراطيسي حيث
ضاءت لمولده الافاق واتصلت ۞ بشرى الهواتف في الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده ۞ وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت ۞ مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت ۞ ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل
وولد صلى الله عليه وسلم معذورا اي مختونا مسرورا اي مقطوع
السرة كما روي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
عند ابن عساكر وروى الطبراني في الاوسط وابو نعيم والخطيب وابن
عساكر من طرق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كرامتي
على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوءتي وصححه الضيا في المختارة
وعن ابن عمر قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه ابن
عساكر قال الحاكم في المستدرك تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم
ولد مختونا انتهى وتعقبه الحافظ الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف
متواترا فاجيب باحتمال ان يكون اراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها
في السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند ايمة الحديث ولكن قد حكى
الحافظ زين الدين العراقي ان الكمال بن العديم ضعف احاديث كونه
ولد مختونا وقال انه لا يثبت في شيء منها من ذلك واقره عليه وبه صرح ابن القيم

ثم قال ليس هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم فان ذلك كثيرا من الناس ولد مختونا وحكى الحافظ بن حجر ان العرب تزعم ان الغلام اذا ولد في القمر فسخت قلفته اي اتسعت كالمختون وفي الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبي بلغنا ان ادم خلق مختونا واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا مختنين اخرهم محمد شيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان و شعيب ويحيى وهود صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وفي هذه العبارة تجوز لان الختان هو القطع وهو غير ظاهر لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام باعتبار انه على صفة المقطوع وقد حصل من الاختلاف في ختانه ثلاثة اقوال وقد احدها انه ولد مختونا كما تقدم الثاني انه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مادبة وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس وحكاه بن عبد البر في التمهيد الثالث انه ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطي ومغلطاي وقالا ان جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط وابو نعيم من حديث ابي بكرة قال الذهبي وهذا منكر واعلم ان الختان هو قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي في اعلى الفرج من المراة ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة والرا وختان المراة خفضا بالخاء والفاء والضاد المعجمة ايضا واختلف العلماء هل هو (مطلب في الختان)

واجب

واجب فذهب اكثرهم الى انه سنة وليس بواجب وهو قول مالك وابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وذهب الشافعي الى وجوبه وهو مقتضى قول سحنون من المالكية وذهب بعض اصحاب الشافعي الى انه واجب في حق الرجال سنة في (حق) النسا واحتج من قال انه سنة لحديث ابن المليح بن اسامة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنسا رواه احمد في مسنده البيهقي واجاب من اوجبه بانه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب بل المراد به الطريقة واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم ومما روى ابو داود من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي اسلم الق عنك شعار الكفر واختتن واحتج القفال لوجوبه بان بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلوة فيجب ازالتها وقال الفخر الرازي الحكمة في الختان ان الحشفة قوية الحس فما دامت مستورة بالقلفة تقوى اللذة عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة وهو اللايق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعا لها كما تفعل المانوية فذلك افراد وبقاء القلفة تفريط فالعدل الختان انتهى واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا لما روى البخاري في صحيحه عن ابن

ابن عباس انه سئل مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
وانا يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك وقال بعض اصحابنا
يجب على الولي ان يختن الصبي قبل البلوغ والله اعلم انتهى وقد اختلف في عام
ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل وبه قال ابن عباس
ومن العلما من حكى الاتفاق عليه وقال كل قول يخالفه وهم والمشهور
انه ولد بعد الفيل بخمسين يومًا واليه ذهب السهيلي في جماعه وقيل بعده
بخمسة وخمسين يوما حكاه الدمياطي في اخرين وقيل بشهر وقيل باربعين
يومًا وقيل بعد الفيل بعشرة سنين وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة وقيل
غير ذلك والمشهور انه بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته
وتقدمة لظهوره وبعثته والا فاصحاب الفيل كما قاله ابن القيم كانوا
نصارى اهل كتاب وكان دينهم خيرًا من دين اهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا
عبادًا وثان فنصرهم الله تعالى على اهل الكتاب نصرًا لا صنع للبشر فيه
ارهاصًا وتقدمة للنبي الذي من مكة وتعظيمًا للبلد الحرام واختلف ايضًا
في الشهر الذي ولد فيه والمشهور انه ولد في شهر ربيع الاول وهو قول
جمهور العلما ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه وفيه نظر فقد قيل في
صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في رجب ولا يصح وقيل في شهر رمضان
وروي عن ابن عمر باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال ان امه حملت به

في ايام التشريق واغرب من قال ولد في عاشوراء وكذا اختلف ايضا في اي
يوم من الشهر فقيل انه غير معين انما ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير
تعيين والجمهور على انه يوم معين منه فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان
خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو اختيار اهل اكثر اهل الحديث
ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة بهذا
الشان واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم وحكى القضاعي في عيون
المعارف اجماع اهل الزيج عليه رواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم
وكان عارفا بالنسب وايام العرب اخذ ذلك عن ابيه جبير وقيل لعشر وقيل
لاثني عشرة وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت
وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل لثمان بقين منه وقيل ان هذين
القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية والمشهور انه ولد ثاني عشر
ربيع الاول وهو قول ابن اسحق وغيره وانما كان في شهر ربيع على الصحيح
ولم يكن في المحرم ولا في رجب ولا في رمضان وغيرها من الاشهر ذوات
الشرف لانه صلى الله عليه وسلم لا يتشرف بالزمان وانما الزمان يتشرف
به كالاماكن فلو ولد في شهر من الشهور المذكورة لتوهم انه تشرف بها
فجعل الله مولده صلى الله عليه وسلم في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته
عليه واذا كان يوم الجمعة الذي خلق الله فيه ادم عليه السلام خص

بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسال الله فيها خيرا الا اعطاه اياه فما
بالك بالساعة التى ولد فيها سيد المرسلين ولم يجعل تعالى فى يوم
الاثنين يوم مولده عليه السلام من التكليف بالعبادات ما جعل
فى يوم الجمعة المخلوق فيه ادم من الجمعة والخطبة وغير ذلك كراما
لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتخفيف عن امته بسبب عناية وجوده قال
الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومن جملة ذلك عدم
التكليف واختلف ايضا فى الوقت الذي ولد والمشهور انه يوم الاثنين
فعن قتادة الانصاري انه صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام
يوم الاثنين قال ذلك يوم ولدت فيه وانزلت علي فيه النبوة
رواه مسلم وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا
وفي المسند عن ابن عباس قال ولد عليه السلام يوم الاثنين
واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين
ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين وقد روي انه
ولد عند طلوع الفجر فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان بمر
الظهران راهبا يسمى عيصى من اهل الشام وكان يقول يوشك
ان يولد منكم يا اهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم
هذا زمانه فكان لا يولد مولود بمكة الا سال عنه فلما كان صبيحة

وفتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الاثنين

اليوم

اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب
حتى اتى عيصا فناداه فاشرف عليه فقال له عيصى كن اباه فقد ولد
ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين
ويموت يوم الاثنين قال ولد لى الليلة مع الصبح مولود قال
فما سميته قال محمدا قال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم
اهل هذا البيت بثلاث خصال نعرفه فقد اتى عليهن منها ان طلع نجمه
البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد رواه ابو جعفر بن ابى
شيبة وخرجه ابو نعيم فى الدلائل بسند فيه ضعف وقيل كان مولده
صلى الله عليه وسلم عند طلوع الغفر وهي ثلاثة انجم صغار
ينزلها القمر وهي مولد النبيين ووافق ذلك من الشهور الشمسية
نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين مضت منه وقيل ولد ليلا
فعن عايشة قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التى
ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد
فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد الليلة نبي هذه الامة
الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرق فرس
فخرجوا باليهودي حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي لنا ابنك
فاخرجته وكشفوا عن ظهره فراي تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا

عليه فلما افاق قالوا مالك ويلك قال ذهبت النبوة من بني اسرائيل
رواه الحاكم قال الشيخ بدر الدين الزركشي والصحيح ان ولادته
صلى الله عليه وسلم كانت نهارا قال واما ما روي من تدلي النجوم فضعفه
ابن دحية لاقتضائه ان الولادة ليلا قال وهذا لا يصلح ان يكون
تعليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم
نهارا انتهى فان قلت اذا قلنا انه عليه الصلاة والسلام ولد ليلا
فايما افضل ليلة القدر او ليلة مولده صلى الله عليه وسلم
اجيب بان ليلة مولده افضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة احدها
ان ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر
معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من اجله اشرف مما شرف
بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار
افضل الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد
شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد
افضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى فتكون ليلة
المولد الثالث ان ليلة القدر وقع التفضل فيها على امة محمد صلى الله
عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات
فهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق

فكانت

فكانت ليلة المولد اعم نفعا فكانت افضل فيا شهرا ما اشرفه
واوفر حرمة ليلة كانها لالئا في العقود ويا وجها ما اشرفه من مولود
فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا يقول لنا لسان
الحال منه وقول الحق يعذب للسميع فوجهي والزمان وشهر وضعي
ربيع في ربيع في ربيع واختلف ايضا في مدة الحمل به فقيل تسعة اشهر
وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة وولد عليه
السلام في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف اخي الحجاج ويقال بالشعب
ويقال بالردم ويقال بعسفان وارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة
عتيقة ابي لهب اعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام وقد رءي
ابو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما لك فقال في النار الا انه خفف
عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي هاتين ماء واشار براس اصبعه
فان ذلك باعتاقي لثويبة عند ما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم
وبارضاعها له قال ابن الجزري فاذا كان هذا ابو لهب الكافر الذي نزل
القران بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة النبي صلى الله عليه وسلم
به فما حال المسلم الموحد من امته عليه السلام يسر بمولده ويبذل ما
تصل اليه قدرته في محبته لعمري انما يكون جزاؤه من الكريم ان
يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال اهل الاسلام يختلفون

بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولايم ويتصدقون في لياليه بانواع
الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة
مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ومما جرب من
خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية
والمرام فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك اعيادا ليكون
اشد علة على من في قلبه مرض وعنادا ولقد اطنب ابن الحاج في
المدخل في الانكار على ما احدثه الناس من البدع والاهواء
والمغني بالالات المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله يثيبه على
قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة فانه حسبنا ونعم الوكيل
وقد ذكر انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة
اليتيمة التي لا يوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته
العظمة وقالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى
لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق
حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة
فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو
نعيم قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء
في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله

ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذاك لا يجد في ثديي
ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة
الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل
يتيم فوالله ما بقي من صواحباتي امرأة الا اخذت رضيعا غيري فلما
لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي
ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلاخذنه فذهبت فاذا
به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته
حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان يقظه من نومه لحسنه
وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا
وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء
وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه
بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال
اهل العلم اعلمه الله ان له شريكا فالهمه العدل قالت فروي وروي
اخوه ثم اخذته فما هو الا ان جئت به رحلي فقام صاحبي يعني زوجها
الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا
وبتنا بخير فقال صاحبي يا حليمة والله اني لاراك فقد اخذت نسمة
مباركة الم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم

فلم يزل الله يزيدنا خيرا قال في رواية ذكرا ابن طغربل في النطق المفهوم نظر صاحبي الى هذا قال لى اسكتي واكتمي امرك فمن ليلة ولد هذا الغلام اصبحت الاحبار قواما على اقدامها لا يهنئها عيش النهار ولا نوم الليل قالت حليمة فودعت الناس بعضهم بعضا وودعت انا ام النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني واخذت محمدا صلى الله وسلم بين يدي قالت نظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السما ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني ويقلن النساء لي وهن وراي يا بنت ابي ذؤيب اهذه اتانك التي كنت عليها وانت جائة معنا تحفظك طورا وترفعك اخرى فاقول تالله انها هي يتعجبن منها ويقلن ان لها لشانا عظيما قالت [فكنت] اسمع اتاني [تنطق] وتقول والله ان لي شانا ثم شانا بعثني الله مولى ورد لي سمني بعد هزلي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل ترين من على ظهري على ظهري خيار [النبيين] وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب رب العالمين قالت حليمة فيما ذكره بن اسحق وغيره ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت ابي ذؤيب فتروح اغنامهم جياعا

ما ينض

ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا لبنا فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزياده

لقد بلغت بالهاشمي حليمة ‏ مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها واخصب ربعها ‏ وقد عم هذا السعد كل بني سعد

واخرج ابن الطراح رايت في كتاب الترقيص لابي عبد الله محمد بن المعلى الازدي ان من شعر حليمة مما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم يا رب اذ اعطيته فابقه واعله الى العلا وارقه وادحض اباطيل العدى بحقه وكانت الشيما اخته من الرضاع تحضنه وترقصه وتقول

هذا اخ لي لم تلده امي ‏ وليس من نسل ابي وعمي
فديته من مخول معم ‏ فانمه اللهم فيما تنمي

واخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخهما وابن طغربل السياف في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قلت يا رسول الله دعاني الدخول في دينك امارة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكا واسمع وجبته يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به احمد بن ابراهيم الجبلي وهو مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد

والمتن في المعجزات حسن والمناغاة المحادثة وقد ناغت الام صبيها
لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي
انه صلى الله عليه وسلم تكلم في اوائل ما ولد وذكر ابن سبع في الخصايص
ان مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة واخرج البيهقي وابن عساكر عن
ابن عباس قال كانت حليمة تحدث اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم تكلم فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة و
اصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم
الحديث وقد روى ابن سعد وابو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال
كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع اخته
الشيما في الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته
فقالت في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظل
عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع
الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا تشبه الغلمان
قالت حليمة فلما فصلته قدمنا به على امه ونحن احرص شيء على مكثه
فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لو تركته عندنا حتى يغلظ
فانا نخشى عليه وباء علته مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به
فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين او ثلثه مع اخيه من الرضاعة لفي بهم

لنا

لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان
عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه
فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه فقال اي بني ما شانك قال جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه
ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمه لقد خشيت ان يكون
ابني قد اصيب فانطلقي نرده الى اهله قبل ان يظهر ما نتخوف قالت حليمة
فاحتملناه حتى قدمنا به الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين
عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني
شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره قالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله
ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان فدعاه عنكما وفي حديث
شداد بن اوس عن رجل من بني عامر عند ابي يعلى وابي نعيم وابن عساكر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني ليث بن بكر فبينا
انا ذات يوم في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان اذا انا برهط ثلثة
معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فاخذوني من بين اصحابي وانطلق الصبيان
هربا مسرعين الى الحي فعمد احدهم فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم
شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا
ثم اخرج احشا بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها

ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج قلبي وانا
انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده
يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده
مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه
تنح فامر يده بين ثديي ومنتهى عانتي فالتام ذلك الشق
باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم
قال للاول زنه بعشرة من امته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه
بمائة من امته فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم فقال دعوه فلو
وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي
وما بين عيني وقالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من
الخير لقرت عيناك الحديث وفي رواية ابن عباس عند البيهقي قالت حليمة
اذا انا بابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابت يا اماه
الحقا محمدا فما تلحقاه الا ميتا اتاه رجلان فاختطفه من اوساطنا وعلاه
ذروة الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه انه عليه السلام قال اتاني
رهط ثلثة بيد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة
خضراء الحديث فان قلت هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به او فعل

بغيره

بغيره من الانبياء عليهم السلام اجيب بانه ورد في خبر التابوت والسكينة
انه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء ذكره الطبري وعزاه
العماد بن كثير في تفسيره لرواية السدي عن ابي مالك عن ابن عباس فان قلت
ما الحكمة في ختم قلبه المقدس اجيب بانه اشارة الى ختم الرسالة به وهذا مسلم
ان كان الخاتم خاصا به اما اذا ورد انه ليس خاصا به بل بكل نبي وسياتي
ان شاء الله تعالى قريبا ما في الخاتم الشريف من المباحث فتكون الحكمة انه علامة
يمتاز بها عن غيره ممن ليس بنبي والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة الى
الوزن الاعتباري فيكون المراد بالرجحان في الفضل وهو كذلك
وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول عليه السلام ذلك حتى يخبر به
غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية وقد وقع شق صدره الشريف
مرة اخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء ومرة اخرى عند
الاسراء به وسياتي كل في موضعه ان شاء الله وروي الشق ايضا
وهو ابن عشر ونحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلايل
وفي فتح الباري في كتاب التوحيد غيره وذلك الحديث ابي هريرة عند
عبد الله بن احمد في زوايد المسند وقال الهيثمي في مجمع الزوايد رجاله
ثقات وثقهم ابن حبان وروي خامسة ولا يثبت والحكمة في شق صدر
الشريف في حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره عن حالات الصبا

حتى يتصف فى سن الصبا باوصاف الرجولية ولذلك نشاء عليه السلام
على اكمل الحوال من العصمة وقد روي انه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان
ينم مسكًا وانه مثل زر الحجلة ذكره البخاري وفي مسلم جمع عليه خيلان كانها
الثاليل السود عند نغض كتفه ويروي غضروف كتفه اليسري وفي كتاب
ابي نعيم الايمن وفي مسلم ايضًا كبيضة الحمامة وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع
وفي البيهقي مثل السلعة وفي الشمايل بضعة ناشزة وفي حديث عمرو بن اخطب
كيثي يختم به وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة وفي الترمذي ودلايل
البيهقي كالتفاحة وفي الروض كاثر المحجم القابضة على اللحم وفي تاريخ ابن ابي
خيثمة شامة خضر محتفرة فى اللحم وفي تاريخ القضاعي ثلث شعرات مجتمعات
وفي كتاب الترمذي الحكيم كبيضة حمامة مكتوب فى باطنها الله وحده لا شريك
له وفي ظاهرها توجه حيث كنت فانك منصور وفي كتاب المولد لابن عايذ كان
نورًا يتلألأ وفي سيرة بن ابي عاصم عذر كعذره قال ابو ايوب يعني قرطمة
الحمامة وفي تاريخ نيسابور مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم محمد
رسول الله وعن عايشة كتينة صغيرة تضرب الي الدهمة وكان مما يلي القفار
قالت فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع حكى هذا كله الحافظ مغلطاي لكن قال
في فتح الباري ما ورد من ان الخاتم كان كاثر محجم وكالشامة السودا والخضراء
مكتوب عليها محمد رسول الله او سر فانك المنصور لم يثبت منها شيء قال لا تغتر

وفيه ايضا شامة سودا تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كانها عرف الفرس

بما وقع فى صحيح ابن حبان فانه غفل حيث صحح ذلك وقال الهيثمي فى المورد الظماء
بعد ان اورد الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم مكتوب عليه محمد
رسول الله كما اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي كان يختم
به وبخط الحافظ بن حجر على الهامش البعض المذكور هو اسحق بن ابراهيم القاضي
السمرقندي وهو ضعيف وقوله زر الحجلة بالزاء والراء والحجلة بالحاء
المهملة والجيم قال النووي هي واحد الحجال وهي بيت كالقبة لها ازرار
كبار وعري هذا هو الصواب وقال بعضهم المراد بالحجلة الطاير المعروف
وزرها بيضها واشار اليه الترمذي وانكره عليه العلما وقوله جمع بضم
الجيم واسكان الميم اي كجمع الكف وهو صورته بعد ان تجمع الاصابع و
تضمها وقوله خيلان بكسر الخاء واسكان التحتية جمع خال وهو الشامة على
الجسد وقوله نغض بالنون والغين والضاد المعجمتين قال النووي النغض
والناغض اعلاء الكتف وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه وقيل ما يظهر منه
عند التحرك سمي ناغضا لتحركه وقوله بضعة ناشزة بالمعجمة والزاء اى قطعة
لحم مرتفعة على جسده وبيضة الحمام معروفة انتهى والثاليل بالمثلثة جمع
ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد واحدته كالحمصة فما دونها وفي القاموس
وقرطمتا الحمام بكسر القاف نقطتان على اصل منقاره قال بعض
العلما اختلف اقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل

شبه بما سخ له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر
فلان الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الاخرى قال القرطبي الاحاديث
الثابتة تدل على ان خاتم النبوة كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل
قدر بيضة الحمامة وكبر جمع اليد وقال القاضي عياض وهذه الروايات
متقاربة متفقة على انه شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة
واما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتتاول على وفق الروايات
الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه اصغر منه في قدر بيضة
الحمام قال وهذا الخاتم هو اثر شق الملكين بين كتفيه قال النووي وهذا
الذي قاله ضعيف بل باطل انما كان في صدره وبطنه انتهى ويشهد انه قول
انس في حديث عند مسلم فاتي في ذكر قلبه الشريف من المقصد الثالث ان
شاء الله تعالى فلقد كنت ارى اثر المخيط في صدره لكن اجيب بان في حديث
عتبة بن عبد السلمي عند احمد والطبراني على ان الملكين لما شقا صدره
قال احدهما للاخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة فلما ابنيتا ان
خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على ان الشق
لما وقع في صدره ثم خيط حتى التام كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك
اثر الختم وفهم النووي وغيره منه ان قوله بين كتفيه متعلق بالشق وليس
كذلك بل هو متعلق باثر الختم وحينئذ فليس ما قاله القاضي بباطل انتهى

قال

وقال السهيلي والصحيح انه يعني خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر
واختلف هل ولد وهو به او وضع بعد ولادته على قولين وقد وقع التصريح
بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه في حديث ابي ذر عند البزار
وغيره قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت
قال اتاني اتيان وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما بالارض وكان
الاخر بين السماء والارض فقال احدهما اهو هو قال هو هو قال زنه
برجل الحديث وفيه ثم قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني
فاخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال
احدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو
الان وولياعني وكاني ارى الامر معاينة وعند ابي نعيم في الدلائل انه
صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الماء الذي
انبعه ثلث غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على
كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة وقيل ولد به والله اعلم واخرج
الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان
عليه شامة النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم
فان شامة النبوة كانت كتفيه وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه
بازاء قلبه مما اختص به عن ساير الانبيا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم

اربع سنين وقيل ست وقيل خمس وقيل سبع وقيل تسع وقيل اثنى عشر سنة
وشهرا وعشرة ايام ماتت امه بالابواء وقيل بشعب ابى دب بالحجون وفى القا موس
ودار رابعة بمكة فيها مدفن امنة ام النبى صلى الله عليه وسلم واخرج ابن سعد
عن ابن عباس وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة دخل حديث بعضهم
فى بعض قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه
الى اخواله بنى عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه ام ايمن فنزلت به دار النا بغة
فاقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله يذكر امورا كانت فى مقامه ذلك ونظر
الى الدار فقال ههنا نزلت بى امى واحسنت العوم وبئر بنى عدي بن النجار وكان
قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو
نبى هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به امه
الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت وروي ابو نعيم من طريق الزهري عن اسما
بنت رهم عن امها قالت شهدت امنة ام النبى فى علتها التى ماتت بها
ومحمد غلام يفع له خمس سنين عند راسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام ... يا ابن الذي من حرمة الحمام
نجى بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام ... ان صح ما ابصرت فى المنام
فانت مبعوث الى الانام ... من عند ذي الجلال والاكرام

تبعث

تبعث فى الحل وفى الحرام ... تبعث فى التحقيق والاسلام
دين ابيك البر ابراهام ... فالله انهاك من الاصنام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وانا ميتة وذكرى
باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها
فحفظنا من ذلك ... نبكي الفتاة البرة الامينة

ذات الجمال العفة الرزينة ... زوجة عبد الله والقرينة
ام نبى الله ذي السكينة ... وصاحب المنبر بالمدينة

صارت لدى حفرتها رهينة ... وقد روي ان امنة امنت به صلى
الله عليه وسلم بعد موتها فروي الطبري بسنده عن عايشة ان النبى صلى
نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ماشاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا فقال
سألت ربي عز وجل فاحيى لى امي ثم ردها ورواه ابو حفص بن شاهين
فى كتاب الناسخ والمنسوخ له بلفظه قالت عايشة حج بنا رسول الله صلى
حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه
ثم انه نزل فقال يا حميراء استمسكى فاستندت الى جنب البعير فمكث
مليا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقال ذهبت لقبر امي فسالت ربي
ان يحييها فاحياها فامنت بي وكذا روي من حديث عايشة ايضا احيا
ابويه صلى الله عليه وسلم حتى امنا به اورده السهيلي وكذا الخطيب فى الناسخ

والالحق وقال السهيلي ان في اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه حديث منكر
جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هذا الحديث الموضوع يرده القرآن
والاجماع انتهى وقد جزم بعض العلماء بان ابويه صلى الله عليه وسلم
ناجيان وليسا في النار متمسكا بهذا الحديث وغيره وتعقبه عالم اخر
بانه لم ير احدا صرح بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه
فان ادعى احد الخصوصية فعليه الدليل انتهى وقد سبقه لذلك ابو
الخطاب بن دحية وعبارته من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة
بل لو امن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى وتعقبه
القرطبي في التذكرة بان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصايصه لم
تزل تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به واكرمه
قال وليس احياؤهما وايمانهما ممتنعا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب
العزيز من احياء قتيل بني اسرايل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام
يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم احيا الله على يديه جماعة
من الموتى واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة
في كرامته وفضيلته ثم قال وقوله من مات كافرا الى اخر كلامه مردود بما
روي في الخبر ان الله رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد
ذكره الطحاوي وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد

لا يتجدد به الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون احياء ابوي النبي صلى الله
عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى
وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس كما سياتي ان شاء الله تعالى وقد
تمسك القايل بنجاتهما ايضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة ولا تعذيب
قبلها لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال وقد اطبقت الايمة
الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء على ان
من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا قال وقال الامام فخر الدين
الرازي في كتابه اسرار التنزيل ما نصه قيل ان ازر لم يكن والد ابراهيم
بل كان عمه واحتجوا عليه لوجوه منها ان ابا الانبيا ما كانوا كفارا ويدل
عليه وجوه منها قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين
قيل معناه انه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد قال وفيه دلالة
على ان جميع اباء محمد كانوا مسلمين ثم قال ومما يدل على ان اباء محمد
ما كانوا مشركين قوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين
الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان
لا يكون احد من اجداده مشركا كذا قال ويتعقب بانه لا دلالة في قوله
وتقلبك في الساجدين على ما ادعاه فقد ذكر البيضاوي في تفسيره
وغيره ان معنى الاية وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما

روی انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت
الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى وقد ورد النص بان
ابا ابراهيم عليه السلام مات على الكفر كما صرح به البيضاوي وغيره
قال تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه واما قوله انه كان عمه فعدول
عن الظاهر من غير دليل انتهى ونقل الامام ابو حيان في البحر عند تفسير
قوله تعالى وتقلبك في الساجدين ان الرافضة هم القائلون ان ابا النبي عم
كانوا مؤمنين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين وبقوله عم
لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الحديث انتهى وروي ابن جرير عن
علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قدم مكة اتى رسم قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا
يا رسول الله انا راينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي
فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فما روي باكيا اكثر
من يومئذ وروي ابن ابي حاتم في تفسيره عن عبد الله ابن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوما الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر
منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب
فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست

عنده

عنده قبر امنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واني استاذنته
في الدعاء لها فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين معه ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد
ورواه الطبراني من حديث ابن عباس وفي مسلم استاذنت ربي ان
استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا
القبور فانها تذكر الاخرة قال القاضي عياض بكاؤه عليه السلام
على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان وفي مسلم ايضا ان رجلا
قال يا رسول الله اين ابي قال في النار قال فلما قفا دعاه فقال ان ابي
واباك في النار قال النووي فيه ان من مات على الكفر فهو في النار لا تنفعه
قرابة المقربين وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب
من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ
الدعوة فان هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبيا
وقال الامام فخر الدين من مات مشركا فهو في النار وان مات قبل
البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين ابراهيم واستبدلوا
بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم يزل معلوما
من دين الرسل كلهم من اولهم الى اخرهم قبح الشرك والوعيد عليه في القرآن
والاخبار وعقوبات الله لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة

البالغة على المشركين في كل وقت وحين ولو لم يكن الا ما فطر الله
عباده عليه من توحيد ربوبيته وانه يستحيل في كل فطرة وعقل ان يكون
معه اله اخر وان كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها
فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد في الارض معلومة لاهلها فالمشرك
مستحق للعذاب في النار لمخالفته دعوة الرسل وهو مخلد فيها دائما
كخلود اهل الجنة في الجنة انتهى وقد تعقب ابو عبد الله الابي من
المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووي الماضي وفيه ان
من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان في النار
الى اخره مما معناه تامل في كلامه من التنافي فان بلغتهم الدعوة ليسوا
باهل فترة لان اهل الفترة هم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل
اليهم الاول ولا ادركوا الثاني كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى
عليه السلام ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم والفترة بهذا التفسير
تشتمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود لكن الفقهاء اذا تكلموا
في الفترة فانما يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام
وذكر البخاري عن سلمان انها كانت ستمائة سنة قال البيهقي في
دلائل النبوة بعد رواية احاديث زيارة قبر امه وغيره وكيف لا يكون
ابواه وجده بهذه الصفة في الاخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا

ولم يدينوا بدين عيسى عليه السلام وكفرهم لا يقدح في زوجاتهم فلا
يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن اذا كان مثله يجوز في الاسلام
قال ابن كثير واخباره عليه السلام عن ابويه وجده عبد المطلب بانهم
من اهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة ان اهل
الفترة والاطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيمة
كما بسط سندا ومتنا عند قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب فيكون هؤلاء من جملة من
لا يجيب والحديث الذي ذكره السهيلي في اسناده مجاهيل الى ابن ابي ابن
عن عروة عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه ان
يحيي ابويه فاحياهما وامنا به فانه منكر جدا وان كان ممكنا بالنظر
الى قدرة الله تعالى لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله اعلم
نقلته من تاريخ ابن كثير المسمى بالبداية والنهاية ولما دلت القواطع
على انه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا غير معذبين فان قلت قد صحت
احاديث بتعذيب اهل الفترة كحديث رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار
ورايت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا
بصر به قال انما تعلق بمحجني اجيب باجوبة احدها انها اخبار احاد فلا
تعارض القطع والثاني قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من

بدل وغيّر من اهل الفترة بما لا يعذر به من الضلالة كعبادة الاوثان
وتغيير الشرايع فان اهل الفترة ثلثة اقسام الاوّل من ادرك التوحيد
ببصيرته ثم هولاء من لم يدخل في شريعته كقس بن ساعدة وزيد بن
عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة حق قايمة الرسم كتبع وقومه
من حمير واهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عمار بن الحويرث
القسم الثاني من اهل الفترة وهم من بدّل وغير فاشرك ولم يوحّد وشرع
لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر كعمرو بن لحي اول من سنّ للعرب عبادة
الاصنام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السايبة ووصل الوصيلة
وحمى الحام وتبعته العرب في ذلك وغيره يطول ذكره القسم الثالث
من اهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحّد ولا دخل في شريعة نبيّ
ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اختراع دين بل بقي عمره على حال غفلة
عن هذا كله وفي الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم اهل الفترة
الى الثلثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على اهل القسم الثاني لكفرهم
بما تعدّوا به من الخبايث والله سبحانه قد سمّى جميع هذا القسم كفاراً و
مشركين وانا نجد القران كلما حكى حال احد سجل عليهم بالكفر والشرك
كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ثم قال تعالى ولكنّ الذين كفروا الاية
والقسم الثالث هم اهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين واما اهل القسم

الاول كقس بن عمرو فقد قال عليه السلام في كلّ منهما انه يبعث امة وحده
واما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه واهل نجران فحكمهم حكم اهل الدين
الذي دخلوا فيه ما لم يلحق احد منهم الاسلام الناسخ لكلّ دين انتهى ملخصًا و
سياتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث ان شاء الله تعالى فهذا ما تيسر من
البحث في مسلمة والديه صلى الله عليه وسلّم وقد كان الاولى ترك ذلك
وانما جرّنا اليه ما وقع من المباحثة فيه بين علما العصر ولقد احسن الحافظ
شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال

حبى الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤفا
فاحيا امه وكذا اباه ... لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وان كان الحديث به ضعيفا

فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يوذي النبيّ صلى الله
عليه لان العرف جار بانه اذا ذكر ابو الشخص بما ينقصه او وصف بوصف
وذلك الوصف فيه نقص تاذي ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة وقد
قال م لا تؤذوا الاحيا بسب الاموات رواه الطبراني في الصغير ولا ريب
ان اذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا وسياتي مباحث ذلك
ان شاء الله تعالى في الخصايص من مقصد المعجزات ولقد اطنب بعض العلما
في الاستدلال لايمانهما فالله تعالى يثيبه الجنة على قصده الجميل قال الحافظ

بن حجر فى بعض كتبه والظن باله صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة
انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه وقال
فى الاصابة ونحن نرجوان يدخل المطلب فى جملة من يدخلها طايعا فينجوا
الا اباطالب فانه ادرك البعثة ولم يومن وقد كانت ام ايمن بركة دايه
وحاضنته بعد موت امه وكان عليه السلام يقول لها انت امى بعد امى
ومات جده عبد المطلب كافله وله ثمان سنين وقيل ثمان سنين وشهر
وعشرة ايام وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلث وفيه نظر وله
عشر ومايه سنة وقيل مايه واربعون سنة وكفله ابوطالب واسمه عبد
مناف وكان عبد المطلب قد اوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله وقد
اخرج ابن عساكر عن جليهة بن عرفطه قال قدمت مكة وهم فى قحط فقالت قريش
يا اباطالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابوطالب ومعه
غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتما وحوله اغيلمه فاخذه ابوطالب
فالصق ظهره بالكعبة ولاذ باصبعه الغلام وما فى السما قزعة فاقبل السحاب
من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي
والبادي وفى ذلك يقول ــــــــــ ابوطالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه … ثمال اليتامى عصمة للارامل

والثمال بكسر المثلثة الملجاء والغياث وقيل المطعم فى الشدة وعصمة

الارامل اي يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من رجال ونساء
ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده ارامل وهو بالنساء اخص واكثر
استعمالا والواحد ارمل وارمله وهذا البيت من ابيات فى قصيده لابى طالب ذكر ها
ابن اسحق بطولها وهى اكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالات قريش على النبى م ونفروا
عنه من يريد الاسلام واولها

لما رايت القوم لا ود عندهم … وقد قطعوا كل العرى والوسايل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى … وقد طاوعوا امر العدو المزايل
اعبد مناف انتم خير قومكم … فلا تشركوا فى امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم … تكونوا كما كانت احاديث وابل
اعوذ برب الناس من كل طاعن … علينا بسوء او ملحق باطل
وثور وما ارسى ثبير امكانه … وارق ليرقى فى حرا ونازل
وبالبيت حق البيت فى بطن مكة … وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا … ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله … ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ومعنى نناضل نجاهد ونخاصم وندافع ونبزي بضم النون وسكون الموحدة
اخره زاء اى نقهره ونغلب عليه قال ابن التين ان فى شعر ابى طالب هذا
دليلا على انه كان يعرف نبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث

لما اخبره بحيرا وغيره من شانه وتعقبه الحافظ ابو الفضل بن حجر بان ابن اسحق
ذكر ان انشاء ابي طالب لهذا الشعر كان بعد البعث ومعرفة ابي طالب بنبوته مما
جاءت في كثير من الاخبار وتمسك بهذا الشيعة في انه كان مسلما قال ورايت
لعلي بن حمزة البصري جزءا جمع فيه شعر ابي طالب وزعم انه كان مسلما
وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم انه مات كافرا واستدل
لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه ابي طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فراه
بحيرا الراهب واسمه جرجيس فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا
سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك
فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا
ولا تسجد الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة في اسفل من غضروف كتفه مثل
التفاحة وسال ابا طالب ان يرده خوفا عليه من اليهود الحديث رواه ابن
ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا
بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورا قال
الذهبي في تجريد الصحابة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث
وامن به وذكره ابن منده وابو نعيم في الصحابة وهذا يبنى على تعريفهم
الصحابي بمن راه صلى الله عليه وسلم هل المراد حال النبوة او اعم من ذلك

حتى يدخل من راه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية وهو محل
نظر وسياتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في المقصد السابع وخرج الترمذي
وحسنه والحاكم وصححه ان في هذه السفرة اقبل سبعة من الروم يقصدون
قتله عليه السلام فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم قالوا ان هذا النبي
خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليها بناس فقال افرايتم امرا
اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه
فاقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا قال البيهقي هذه
القصة مشهورة عند اهل المغازي انتهى وضعف الذهبي الحديث لقوله
في اخره وبعث معه ابو بكر بلالا فان ابا بكر اذ ذاك لم يكن متاهلا ولا
اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات
وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على انها مدرجة فيه مقتطعة
من حديث اخر وهما من احد رواته وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم
ان بحيرا راى وهو في صومعته في الركب حين اقبلوا وغمامة بيضاء
تظله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة
حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى استظل تحتها الحديث وفيه ان بحيرا قام فاحتضنه وانه جعل يساله
عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله

فبوافق ذلك ماعند بحيرا من صفته ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على
موضعه من صفته التى عنده وتقدم ان اخته الشيما بنت حليمة راته
فى الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت رواه ابو نعيم
وابن عساكر ولله در القايل

ان قال يوما ظللته غمامة ... هى فى الحقيقة تحت ظل القايل

قال الشيخ بدر الدين الزركشى عن بعض اهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم
كان معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا البرد وانه كان فى ظل غمامة
سواعتدا له كذا نقل رحمه الله واخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس
ان ابا بكر الصديق صحب النبى وهو ابن ثمان عشرة والنبى صلى الله عليه وسلم
ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام فى تجارة حتى نزل منزلا فيه سدرة فقعد
فى ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسئاله عن شئ فقال له من الرجل
الذي فى ظل الشجرة قال محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب قال هذا والله نبى
ما استظل بعدها تحتها بعد عيسى عم الا محمد ووقع فى قلب ابى بكر الصديق
فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اتبعه قال الحافظ ابو الفضل بن حجر
فى الاصابة ان صحت هذه القصة فهى سفرة اخرى بعد سفرة ابى طالب انتهى
ثم خرج صلى الله عليه وسلم ايضا ومعه ميسرة غلام خديجة بنت خويلد بن
اسد فى تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة وله اذ ذاك

خمس وعشرون سنة لاربع عشر ليلة بقيت من ذى الحجة فنزل تحت ظل
شجرة فقال نسطور الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبى وفى رواية
بعد عيسى وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس ولما
رجعوا الى مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى علية لها رات رسول الله صلعم
وهو على بعيره وملكان يظلان عليه رواه ابو نعيم وتزوج صلى الله عم
خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوما وقيل كانت سنة احدى
وعشرين سنة وقيل ثلثين وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة وكانت
تحت ابى هالة بن زرارة التميمى فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم
تزوجها عتيق بن عايذ المخزومى فولدت له هندا وكان لها حين تزوجها
بالنبى صلى الله عم من العمر اربعون سنة وبعض اخرى وكانت عرضت
نفسها عليه فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد
بن اسد فخطبها فتزوجها عليه السلام واصدقها عشرين بكرة وحضر ابو بكر
ورؤسا مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية
ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام
على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به
فان كان فى المال قل فان المال ظل زايل وامر حايل ومحمد من قد عرفتم

قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبدل لها من الصداق ما اجله و
عاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل فزوجها
والضيضئ الاصل وحضنته بنيه اى الكافلين له والقايمين بخدمته
وسواس حرمه اى متولوا امره قال ابن اسحاق وزوجه اباها خويلد وقد ذكر
الدولابى وغيره ان النبى م اصدق خديجة اثنتى عشرة اوقية ذهبا
ونشا قالوا وكل اوقية اربعون درهما والنش نصف اوقية ولما بلغ
صلى الله عليه وسلم خمسا وثلثين سنة خافت قريش ان تنهدم الكعبة
من السيول فامروا باقوم بموحدة والف فقاف مضمومة فواو
ساكنة فميم النجار النبطى مولى سعيد بن العاصى وصانع المنبر الشريف
بان يبنى الكعبة المعظمة وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم
الحجارة وكانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل
ذلك صلى الله عليه وسلم فلبط به بالموحدة كعنى اي سقط من قيام كما
فى القاموس ونودي عورتك فكان ذلك اول ما نودي فقال ابو
طالب والعباس يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني ما اصابني
الا من التعري ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وقيل واربعين
يوما وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة
خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة وقال

ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدي واربعين
من الفيل وقيل فى اول ربيع بعثه الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة
الثقلين اجمعين ويشهد لبعثته يوم الاثنين ما رواه مسلم عن ابى قتادة
انه صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل
علي وقال ابن القيم فى الهدي النبوي واحتج القايلون بانه كان فى رمضان
بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن قالوا اول ما اكرمه الله
بنبوته انزل عليه القرآن وقال الاخرون انما انزل القرآن جملة واحدة
فى ليلة القدر الى بيت العزة ثم نزل نجوما بحسب الوقايع فى ثلاث و
عشرين سنة وقيل كان ابتداء فى رجب وروي البخاري فى التعبير من
حديث عايشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الوحي الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يري رؤيا الا جاءت مثل
فلق الصبح وكان ياتي حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد
ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق
وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني
فغطني حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني
فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا فقلت ما انا بقاري
فاخذنى فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا باسم ربك

خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال
زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجه مالي و
مالي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت علي فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك
الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى اتت ورقة بن نوفل
بن اسد بن عبد العزي بن قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرأ
تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الانجيل
ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي ابن عم
اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة ابن اخي ما ذا ترى فاخبره النبي صلى الله
عليه وسلم ما راي فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني
فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك فقال ومخرجي هم فقال ورقة
نعم لم يات رجل قط بما جئت به الاعودي وان يدركني يومك انصرك
نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن
النبي م فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من روس شواهق الجبال
فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدا له جبريل فقال يا محمد
انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت
عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدا له جبريل فقال

له

له مثل ذلك وقد تكلم العلماء في معنى قوله م لخديجة قد خشيت علي فذهب
الاسماعيلي الى ان هذه الخشية كانت منه قبل ان يحصل له العلم الضروري
بان الذي جاءه ملك من عند الله وكان اشق شيء عليه ان يقال عليه مجنون
وقيل ان خشيته كانت من قومه ان يقتلوه ولا عزو فانه بشر يخشى من القتل
والاذية كما يخشى البشر وقوله ما انا بقاري اي اني امي فلا اقرا الكتب
وقال القاضي عياض وغيره انما ابتدئ م بالرؤيا ليلا يفجاءه ويأتيه صريح
النبوة بغتة فلا يحتملها قوي البشرية فبدئ باوايل خصال النبوة و
تباشير الكرامة انتهى فان قلت فلم كرر قوله ما انا بقاري ثلثا اجاب
ابو شامة كما في فتح الباري بان يحمل قوله اولا ما انا بقاري على الامتناع
وثانيا على الاخبار بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام والحكمة في الغط
ثلثا شغله عن التفات لشيء اخر واظهار للشدة والجد في الامر تنبيها
على ثقل القول الذي سيلقى اليه وقيل ابعادا لظن التخيل والوسوسة لانهما
ليسا من صفات الجسم فلما وقع ذلك بجسمه علم انه من امر الله فان قلت من
اين عرف صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن
فالجواب من وجهين احدهما ان الله تعالى اظهر على يدي جبريل عليه السلام
معجزات عرفه بها كما اظهر الله تعالى على يد محمد صلى الله عليه وسلم
معجزات عرفناه بها وثانيهما ان الله تعالى خلق في محمد صلى الله عليه وسلم

علما صرور يا بان الشيطان جبريل من عند الله ملك لا جني ولا شيطان
كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى
وان المرسل له ربه تعالى لا غيره وقول ورقة يا ليتني فيها جذعا الضمير
للنبوة اي ليتني كنت شابا عند ظهورها حتى ابالغ في نصرتها وحمايتها واصل
الجذع من اسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا واخرج البيهقي من طريق
العلاء بن حارثة الثقفي عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وسمع
منه فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يرى الا الشجر وما
حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام عليك يا رسول الله الحديث
وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا
فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت
عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا
فلم اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وذلك قبل ان تفرض الصلوة رواه
البخاري ومسلم والترمذي ولم يكن جواره عليه السلام لطلب النبوة لانها
اجل من ان تنال بالطلب والاكتساب وانما هي موهبة من الله وخصوصية
يخص بها من يشاء من عباده الله اعلم حيث يجعل رسالاته ولم تكن الرجفة المذكورة

خوفا

خوفا من جبريل فانه صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك واثبت جنانا وانما رجف
غبطة واقباله على الله عز وجل فخشي ان يشتغل بغير الله عن الله وقيل خاف
من ثقل اعباء النبوة وفي رواية البيهقي في الدلائل ان خديجة قالت لابي بكر
يا عتيق اذهب به الى ورقة فاخذه ابو بكر فقص عليه فقال عليه الصلوة
والسلام اذا خلوت وحدي سمعت نداء يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فقال
لا تفعل اذا قال فاثبت حتى تسمع ثم ائتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد
فثبت فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى اخرها ثم قال
قل لا اله الا الله الحديث واحتج به من قال باولية نزول الفاتحة والصحيح
ان اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القران اقرا كما صح ذلك عن
عايشة وروي عن ابي موسى الاشعري وعبيد بن عمير قال النووي
وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف واما ما
روي عن جابر وغيره ان اول ما نزل يا ايها المدثر فقال النووي ضعيف
بل باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي واما حديث البيهقي ان الفاتحة
كقول بعض المفسرين فقال البيهقي هذا منقطع فان كان محفوظا فيحتمل ان
يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرا باسم ربك ويا ايها المدثر
وقال النووي بعد ذكر هذا القول بطلانه اظهر من ان يذكر انتهى وقد
روي ان جبريل امر اول ما نزل بالقران على النبي امره بالاستعاذة كما رواه

الامام ابو جعفر ابن جرير عن ابن عباس قال اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله
عليه وسلم قال يا محمد استعذ فقال استعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم
ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرا باسم ربك خلق قال عبد الله وهي
اول سورة انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عماد الدين
بن كثير بعد ان ذكره وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده
ضعفا وانقطاعا والله اعلم وقد اورد ابن ابي جمرة سؤالا وهو انه لم اختص
صلى الله عليه وسلم بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من
المواضع واجاب بان هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة انه منزو
مجموع بالتحنث وهو يبصر بيت ربه والنظر الى البيت عبادة فكان له فيه
اجتماع ثلث عبادات الخلوة والتحنث والنظر الى البيت وغيره ليس
فيه ثلث هذه الثلاث ولله در المرجاني حيث قال في فضايل حراء ومما

اجتمعن

تامل حراء في جمال محياه ... فكم من اناس من حلا حسنه تاهوا
فما حوى من جاء لعلياه زايرا ... يفرج عنه الهم في حال مرقاه
به خلوة الهادي الشفيع محمد ... وفيه له غار له كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره ... وفيه اتاه الوحي في حال مبداه
وفيه تجلى الروح بالموقف الذي ... به الله في وقت البداة سواه
ويحبت تخوم الارض في السبع اصله ... ومن بعد هذا اهتز بالسفل اعلاه

ولما تجلى الله قدس ذكره ... لطور تشظى فهو احدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة ... كذا قد اتى في نقل تاريخ مبداه
وفي طيبة ايضا ثلث فعدها ... فعيرا و ورقانا واحدا رويناه
ويقبل فيه ساعة الظهر من دعا ... به وينادي من دعانا اجبناه
وفي احد الاقوال في عقبة حرا ... اني ثم قابيل لها بيل غشاه
ومما حوى سرا حوته صخوره ... من التبر اكسيرا بقا م سمعناه
سمعت به تسبيحها غير مرة ... واسمعته جمعا فقالوا سمعناه
به مركز النور الالهي مثبتا ... فلله ما احلا مقاما باعلاه

وروى ابو نعيم ان جبريل وميكائيل لما شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرا
باسم ربك الايات الحديث فقال ورقه ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به
عيسى بن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وكذا روى
شق صدره الشريف هنا ايضا الطيالسي والحارث في مسنديهما والحكمة
فيه ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال
من التطهير قال ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى له عليه السلام من الوحي
مراتب عديده احدها الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت
مثل فلق الصبح الثانية ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان
يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس

حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب الحديث رواه ابن ابي
الدنيا في القناعة وصححه الحاكم والروع الراء نفسي وروح القدس جبريل
الثالثة كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له فقد كان
يأتيه في صورة دحية الكلبي رواه النسائي بسند صحيح من حديث ابن عمر
وكان دحية جميلا وسيما اذا قدم لتجارة خرجت الظغن لتراه فان قلت
اذا لقي جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية فاين تكون روحه فان كان في الجسد
الذي له ستمائة جناح فالذي اتى لا روح جبريل ولا جسده وان كان في هذا
الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم ام يبقى خاليا من الروح
المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية اجيب كما ذكره العيني بانه لا يبعد
ان لا يكون انتقالها موجب موته فيبقى الجسد حيا لا ينقص من معارفه شيء ويكون
انتقال روحه الى الجسد الثاني كانتقال ارواح الشهداء في اجواف طير
خضر وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا بل بعادة
اجراها الله تعالى في بني ادم فلا يلزم في غيرهم انتهى الرابعة كان ياتيه في
مثل صلصلة الجرس وكان اشده عليه حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم
الشديد البرد حتى ان راحلته لتبرك به في الارض ولقد جاءه الوحي مرة
كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها قلت
وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

اذا نزل عليه اخذته رحضاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري
عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القران
حتى اقول لا امشي على رجلي ابدا ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت ان
ان تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة رواه احمد والبيهقي في الشعب والخامسة
ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح فيوحي اليه ما شاء الله
ان يوحيه وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم السادسة ما اوحاه الله تعالى
وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها السابعة كلام الله له
منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى قال وقد زاد بعضهم مرتبة
ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا بغير حجاب انتهى قال شيخ الاسلام الولي
ابن العراقي وكان ابن القيم اخذ ذلك من روض السهيلي لكنه لم يذكر
نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فقد ثبت في الطرق الصحاح ح
عن عامر الشعبي ان رسول الله وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين
ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقران واما قوله
اعني ابن القيم السادسة ما اوحاه اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج السابعة
كلام الله بلا واسطة فان اراد ما اوحاه اليه جبريل فهو داخل فيما تقدم
لانه اما ان يكون جبريل في الحالة على صورته الاصلية او على صورة الادمي
وكلاهما قد تقدم ذكره وان اراد وحي الله بلا واسطة وهو الظاهر

فهي الصورة التي بعدها واما قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي
تكليم الله تعالى له كفاحًا من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه عليه السلام
رأى ربه تعالى وهي مسئلة خلاف يأتي الكلام عليها ان شاء الله ويحتمل ان
ابن القيم اراد بالمرتبة السادسة وحي جبرئيل وغاير بينه وبين ما قبله باعتبار محل
الانحاء اي يكون فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض ولا
يلزم عليه ان تتعدد اقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبرئيل الى النبي
وهو غير ممكن لانا نقول الوحي الحاصل في السما باعتبار ما في تلك المشاهد
من الغيب نوع غير الارض على اختلاف بقاعها انتهى قلت ويزاد ايضا كلامه
تعالى في المنام كما في حديث الزهري أتاني ربي في احسن صورة فقال
يا محمد اتدري فيم يختصم الملاء الاعلى الحديث ثم مرتبة اخرى و
هي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في
الاحكام لانه اتفق على انه عليه السلام اذا اجتهد اصاب قطعا وكان
معصومًا من الخطا وهذا خرق للعادة في حقه دون الامة وهو يفارق
النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه ومرتبة
اخرى وهي مجيء جبرئيل في صورة رجل غير دحية لان دحية كان معروفا
عندهم ذكره ابن المنير وان داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها
ابن القيم وذكر الحليمي ان الوحي كان يأتيه على ستة واربعين نوعا فذكرها

وغالبها كما في فتح الباري من صفات حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر
والله اعلم وذكر ابن المنير ان الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه
فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الادمي وخاطبه من غير كد
وان نزل بوعيد ونذارة فكان حينئذ كصلصلة الجرس وقد ذكر ابن
عادل في تفسيره ان جبريل عليه السلام نزل على النبي عليه السلام اربعة وعشرين الف مرة ونزل
على ادم اثني عشر مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم
اثنين واربعين مرة وعلى موسى اربعماية مرة وعلى عيسى عشر مرات كذا قال رحمه الله
وعزاه بعضهم لمعجم الطبراني وقال على ادم اربعة عشر مرة وقد روي جابر
ان جبريل بدا له عليه السلام في احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك
السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول
لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل
ثم امره ان يتوضاء وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء
والصلوة ثم رجع عرج الى السما ورجع رسول الله عليه السلام لا يمر بحجر ولا مدر ولا
شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها
فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان
اول فرضها ركعتين ثم ان الله اقرها في السفر كذلك واتمها في الحضر وقال
مقاتل كانت الصلوة اول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى

وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار قال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم
قبل الاسراء يصلي قطعًا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض الخمس شيء
من الصلوة ام لا فقيل ان الفرض كان صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
والحجة فيه قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
انتهى وقال النووي اول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض
الله من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في اخرها ثم نسخه
بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة واما ما ذكره في هذه الرواية من
ان جبريل علمه الوضوء وامره به فيدل على ان فرضية الوضوء كانت قبل الاسرا
ثم فتر الوحي فترة حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم واحزنه وفترة الوحي عبارة
عن تاخر مدة الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع
وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة فترة الوحي ثلث سنين كما جزم به
ابن اسحق وفي تاريخ الامام احمد ويعقوب بن سفيان عن الشعبي انزلت عليه النبوة
وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلث سنين فكان يعلمه الكلمة
والشيء ولم ينزل عليه القران على لسانه فلما مضت ثلث سنين قرن بنبوته
جبريل فنزل عليه القران على لسانه عشرين سنة وكذا رواه ابن سعد والبيهقي
فقد تبين ان نبوته عليه السلام كانت متقدمة على رسالته كما قاله ابو عمرو وغيره
كما حكاه ابو امامة بن النقاش وكان في نزول سورة اقرا نبوته وفي نزول سورة

المدثر رسالته بالنذارة والبشارة والتشريع وهذا قطعا متاخر عن
الاول لانه لما كان سورة اقرا متضمنة لذكر اطوار الادمي من الخلق
والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة نزلت وهذا هو الترتيب الطبيعي
وهو ان يذكر سبحانه وتعالى ما ابتداه الى نبيه عليه السلام من العلم والفهم والحكمة
والنبوة ويمن عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما اسداه اليهم من نعمة
البيان الفهمي والنطقي والخطي ثم يامره سبحانه وتعالى بان يقوم فينذر عبده
وقد كان اول من امن بالله وصدق صديقة من النساء خديجة فقامت
باعباء الصديقية قال لها عليه السلام خشيت على نفسي فقالت ابشر فوالله
لا يخزيك الله ابدا ثم استدلت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم
على من كان كذلك لا يخزى ابدا وكان اول ذكر امن بعدها صديق الامة
واسبقها الى الاسلام ابو بكر فازره في الله وعن ابن عباس انه اول من
الناس اسلاما واستشهد بقول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة ... فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها ... بعد النبي واوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... واول الناس قدما صدق الرسلا

رواه ابو عمر وممن وافق ابن عباس وحسانا على ان الصديق اول الناس
اسلاما اسماء بنت ابي بكر والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر الاخنسي

وقيل ان علي بن ابي طالب اسلم بعد خديجة وكان في حجر النبي ع م فعلى هذا
يكون اول من اسلم من الرجال ابو بكر ويكون علي اول صبي اسلم لانه كان
صبيا لم يدرك ولذا قال   سبقتكم الى الاسلام طرا   صغيرا ما
بلغت اوان حلمي   وكان سن علي اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبري
وقال ابو عمرو وممن ذهب الى ان عليا اول من اسلم من الرجال سلمان وابو ذر
والمقداد وخباب وجابر وابو سعيد الخدري وزيد بن الارقم وهو قول
بن شهاب وقتادة وغيرهم قال واتفقوا على ان خديجة اول من اسلم مطلقا
وقيل اول رجل اسلم ورقة بن نوفل ومن ثم منع بدعي انه ادرك نبوته ع م لا رسالته
لكن جاء في السير وهو في رواية ابي نعيم المتقدمة انه قال ابشر فانا اشهد انك
الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك ستؤمر
بالجهاد وان ادرك ذلك لاجاهدن معك فهذا تصريح منه بتصديقه
برسالة محمد ع م قال البلقيني بل يكون بذلك اول من اسلم من الرجال وبه قال
العراقي في نكته على ابن الصلاح وذكره ابن منده في الصحابة وحكى العراقي
كون علي اول من اسلم عن اكثر الصحابة وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه وادعى
الثعلبي اتفاق العلماء على ان اول من اسلم خديجة وان اختلافهم انما هو
في اول من اسلم بعدها قال ابن الصلاح والاورع ان يقال اول من اسلم من
الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان والاحداث علي ومن النساء خديجة

ومن

ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال والله اعلم انتهى وقال الطبري الاولى
التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة
واول ذكر اسلم علي بن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه
واول رجل اسلم واظهر اسلامه ابو بكر بن ابي قحافة واول من اسلم من الموالي
زيد قال وهذا متفق عليه لا خلاف فيه وعليه يحمل قول من قال اول من اسلم
من الرجال ابو بكر اي الرجال البالغين الاحرار ويؤيد هذا ما روي عن الحسن
ان علي بن ابي طالب قال ان ابا بكر سبقني الى اربع لم اوتهن سبقني الى افشاء
الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته الغار واقام الصلوة وانا يومئذ
بالشعب يظهر اسلامه واخفيه الحديث خرجه صاحب فضايل ابي بكر وحيثمة
بمعناه واما ما روي من صحبته الصديق للنبي ع م وهو ابن ثمان عشرة
سنة وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا وانه وقع في قلب
ابي بكر اليقين وقول ابن مهران والله لقد امن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم
زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اليقين بصدقه وهو ما وقر في قلبه والا
فالنبي ع م تزوج خديجة وسافر الى الشام قبل المبعث ثم اسلم بعد زيد بن حارثة
عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي
وقاص وطلحة بن عبيد الله بدعاء ابي بكر الصديق فجاء بهم الى رسول الله ع م
حين استجابوا له فاسلموا وصلوا ثم اسلم ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح

ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بعد تسعة انفس والارقم بن ابي الارقم
المخزومي وعثمان بن مظعون الجمحي واخواه قدامه وعبد الله وعبيدة
بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وامرأته فاطمة بنت الخطاب وقال سعد اول امراة اسلمت بعد خديجة ام
الفضل زوج العباس واسماء بنت ابي بكر وعايشة اختها كذا قاله ابن اسحق
وغيره وهو وهم لم تكن عايشة ولدت بعد فكيف اسلمت وكان مولدها
سنة اربع من النبوة قاله مغلطاي وغيره ودخل الناس في الاسلام ارسالا
من الرجال والنسا ثم ان الله تعالى امر رسوله ع م بان يصدع بما جاء به
اي يواجه المشركين به وقال مجاهد هو الجهر بالقران في الصلوة وقال عبيدة
بن عبد الله بن مسعود مازال النبي ع م مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تومر
فجهر هو واصحابه وقال البيضاوي فاصدع بما تومر من الصدع بالحجة اذا تكلم
بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتميز وما مصدرية
او موصولة والراجع محذوف اي بما تومر به من الشرايع انتهى قالوا وكان
ذلك بعد ثلث سنين من النبوة وهي المدة التي اخفى رسول الله ع م امره الى ان
امره الله تعالى باظهاره فنادى قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله تعالى
ولم يبعد قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها وكان ذلك
في سنة اربع كما قاله العتقي فاجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله

منهم بالاسلام وحدب عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد
الامر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وتوامرت على من
اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم
بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب وبني المطلب وقال مقاتل كان
رسول الله ع م عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب
يريدون بالنبي سوء فقال ابو طالب حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها
دفعته اليكم وقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم … حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة … وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي … ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه … من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة … لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكان صلى الله ع م يطوف على الناس في منازلهم يقول يا ايها الناس ان الله يامركم
ان تعبدوه ولا تشركوا به وابو لهب ورواه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم
ان تتركوا دين ابائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه قومه على ذلك
واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب
على راسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة

وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا
فقام ابو بكر رضي الله عنه فجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو
بكر رضي الله عنه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقال ابن عمر كما
في البخاري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة
بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه
خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله وفي رواية ثم
قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد ذكر العلماء ان ابا بكر رضي الله عنه
افضل من مؤمن ال فرعون لان ذاك اقتصر حيث انتصر على اللسان واما ابو بكر
رضي الله عنه فاتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا م وفي رواية
البخاري ايضا كان عليه السلام يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في
مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور
ال فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد
وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاها فلما سجد عليه السلام وضعه بين
كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على
بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت
النبي م ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلوة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك

بعمرو

بعمرو بن هشام وعتبة ابن ربيعه وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة
وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله
لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله م
واتبع اصحاب القليب لعنة واستدل بهذا الحديث على ان من عرض له في صلوته
ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلوته فلو كانت نجاسة فازالها في الحال
ولا اثر لها صحت صلوته اتفاقا واستدل به ايضا على طهارة فرث ما يؤكل لحمه
وعلى ان ازالة النجاسة ليست بفرض وهو ضعيف واجاب النووي بانه م
لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا للاصل الطهارة وقد
تعقب بانه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة في مثل هذه الصورة واجيب
عنه بان الاعادة انما تجب في الفريضة فان ثبت انها فريضة فالوقت موسع
فلعله اعاد وتعقب بانه لو اعاد لنقل ولم ينقل وبان الله لا يقره على صلوة
فاسدة وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين لانه
لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي انه مات بارض الحبشة وله قصة
مع النجاشي اذ تعرض لامرأته فامر النجاشي ساحرا فنفخ في احليل عمارة من سحره
عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات في خلافة عمر واجيب
بان كلام ابن مسعود انه راهم صرعى في القليب محمول على الاكثر ويدل عليه
ان عقبة بن ابي معيط لم يطرح في القليب وانما قتل صبرا بعد ان رحلوا عن بدر

مرحلة وامية بن خلف لم يطرح في القليب كما سياتي ان شاء الله تعالى وقوله
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اهل القليب لعنة يحتمل ان يكون من تمام الدعاء
الماضي فيكون فيه علم عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم
بعد ان القوا في القليب اسلم حمزة بن عبد المطلب وكان اعز فتى في قريش واشد
شكيمة وكان اسلامه فيما قاله العيني سنة ست فعز به رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكفت عنه قريش قليلا وقال حمزة حين اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي … الى الاسلام والدين الحنيفي
لدين جاء من رب عزيز … خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسايله علينا … تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسايل جاء احمد من هداها … بايات مبينة الحروف
واحمد مصطفى فينا مطاع … فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم … ولما نقض فيهم بالسيوف

وعند مغلطاي وسالوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك
علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا
قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبريك منه او نعذر
فيك فقال لهم عليه السلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وانزل علي
كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم

فان

فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه
علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم والرئي بفتح الراء وقد تكسر
ثم همزة فياء مشددة حتى يرى فيحتا والمكسور للمحبوب منها قاله في القاموس
ثم ان النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط ذهبا الى احبار اليهود فسالاهم
عنه عليه السلام فقالوا لهما سلاه عن ثلثة فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل
وان لم يفعل فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول وعن رجل
طواف وعن الروح ما هو فقال لهم عليه السلام اخبركم غدا ولم يقل ان شاء
الله تعالى فلبث الوحي اياما ثم نزل قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله وانزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم اصحاب
الكهف وذكر رجل الطواف وهو ذو القرنين وقال فيما سالوه من الروح ويسالونك
عن الروح قل الروح من امر ربي الاية وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود
قال بينا انا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على عسيب اذ مر اليهود
فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح قالوا ما رابكم اليه وقال بعضهم
لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سالوه فسالوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يرد شيئا فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضي فيما
يظهر من بادي الراي ان هذه اية مدنية وانها انما نزلت حين ساله اليهود

عن ذلك بالمدينة مع ان السورة كلها مكية وقد يجاب عن هذا بانه قد تكون
نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ومما يدل على
نزولها بمكة ما رواه الامام احمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش
ليهود اعطونا شيا نسال عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسالوه فنزلت
الحديث انتهى وهذا الحديث رواه الترمذي ايضا باسناده رجاله رجال مسلم
فيحمل على تعدد النزول كما اشار اليه ابن كثير ويحمل سكوته في المرة الثانية
على توقع مزيد بيان في ذلك وقد اختلف في المراد بالروح المسئول عنه في هذا
الخبر فقيل روح الانسان وقيل جبريل وقيل عيسى وقيل ملك يقوم وحده
صفا يوم القيمة وقيل غير ذلك قال القرطبي الراجح انهم سالوه عن روح الانسان
لان اليهود لا تعترف بان عيسى روح الله ولا تجهل ان جبريل ملك وان الملائكة
ارواح وقال الامام فخر الدين المختار انهم سالوه عن الروح الذي هو سبب الحيوة
وان الجواب وقع على احسن الوجوه وبيانه ان السؤال عن الروح يحتمل عن ماهية
وهل هي متحيزة ام لا وهل هي حالة في متحيز ام لا وهل هي قديمة او حادثة و
هل تبقى بعد انفصالها من الجسد وانفنى وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير
ذلك من متعلقاتها قال وليس في السؤال ما يخصص احد هذه المعاني
الا ان الاظهر انهم سالوه عن الماهية وهل الروح قديمة او حادثة
والجواب يدل على انها شيء مغاير الطبايع والاخلاط وتركيبها فهي جوهر

بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى فكانه قال هي موجودة
محدثة بامر الله وتكوينه ولها تاثير في افادة الحياة للجسد ولا يلزم من
عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه قال ويحتمل ان يكون المراد بالامر في
قوله تعالى من امر ربي الفعل كقوله وما امر فرعون برشيد اي فعله فيكون
الجواب انها حادثة ثم قال وقد سكت السلف عن البحث في هذه الاشياء والتعمق
فيها انتهى وقال في فتح الباري وقد تنطع قوم فتباينت اقوالهم فقيل هي
النفس الداخل الخارج وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن وقيل هي
الدم وقيل هي عرض حتى ان الاقوال فيها بلغت المائة ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين
ان لكل نبي خمسة ارواح ولكل مؤمن ثلثة وقال ابن العربي اختلفوا في الروح
والنفس فقيل متغايران وهو الحق وقيل هما شيء واحد قال وقد يعبر بالروح
عن النفس وبالعكس قال ابن بطال معرفة حقيقة الروح مما استاثر الله بعلمه
بدليل هذا الخبر قال والحكمة في ابهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا
يدركون حتى يضطرهم الى رد العلم اليه وقال القرطبي الحكمة في ذلك اظهار
عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك
حقيقة الحق من باب اولى وقال بعضهم ليس في الاية دلالة على ان الله لم يطلع
نبيه على حقيقة الروح بل يحتمل ان يكون اطلعه ولم يامره ان يطلعهم وقد
قالوا في علم الساعة نحو هذا فالله اعلم انتهى ملخصا ولما اكثر المسلمون و

وظهر الايمان اقبل كفار قريش على من امن يعذبونهم ليردوهم عن دينهم
حتى انه مر على عدو الله ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب وطعنها
بحربة في فرجها فقتلها وكان الصديق اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه
منهم واعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة وعن ابي ذر كان اول من
اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار
وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمنعه الله بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سائرهم
فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وان
هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان
فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد رواه احمد في مسنده
وعن مجاهد مثله وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه الى
الصبيان يلعبون به حتى اثر الحبل في عنقه فانظر كيف فعل بلال ما فعل
من الاكراه على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان
وهذا مما وقع له ايضا عند موته كانت امرأته تقول واحزناه وهو يقول
واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة
اللقا ولله در ابي محمد القسقرطي حيث قال ———

لا في بلال بلاء من امية قد   احله الصبر فيه اكرم النزل
اذا اجهدوه نضنكا لاسر وهو على   شدايد الازل ثبت الا لم يزل
القوة ببطحاء رمضاء البطاح وقد   عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت   بظهره كندوب الطل في الطلل
ان قد ظهر ولي الله من دبر   قد قد قلب عدو الله من قبل

يعني ان كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب فقد فقد جوزي عدو الله
امية وقد قلبه ببدر لانه قتل يومئذ وكان عبد الرحمن بن عوف قد اسره
يومئذ واراد استبقاءه لاخوة كانت بينهما في الجاهلية فراه بلال معه
فصاح باعلا صوته يا انصار الله راس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا
فنهبوه باسيافهم حتى قتلوه واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر اعتق ممن
كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة فذهب بصرها وكانت ممن يعذب في الله
فتابى الا الاسلام فقال المشركون ما اصاب بصرها الا اللات والعزى فقالت
كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها والزنيرة بكسر الزاء وتشديد
النون المكسورة كسكينة كما في القاموس ثم اذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وذلك في رجب سنة خمس من النبوة
فهاجر فهاجر اليها ناس ذو عدد منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر
بنفسه وكانوا احدى عشر رجلا وقيل اثني عشر رجلا واربع نسوة وقيل
وامراتان واميرهم عثمان بن مظعون وانكر الزهري وقال لم يكن لهم

ذلك

امير وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف دينار وكان اول من خرج
عثمان بن عفان مع امراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج
يعقوب بن سفيان بسند موصول الى انس قال ابطا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبرهما فقدمت امراة فقالت قد رايتهما وقد حمل عثمان
امراته على حمار فقال ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط فلما
رات قريش استقرارهم فى الحبشة وامنهم ارسلوا عمرو بن العاص
وعبد الله بن ابى ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشى واسمه اصحمة
وكان معهما عمارة بن الوليد ليردهم الى قومهم فابى ذلك وردهما
خائبين بهديتهما واسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلثة ايام فيما ابو نعيم بدعوته
صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بابا جهل او بعمر بن الخطاب وكان
المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين واحدى عشرة وكان سبب اسلامه فيما
ذكره اسامة بن زيد عن ابيه عن جده عن عمر انه قال بلغنى اسلام اختى فدخلت
عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغنى عنك انك صبوت ثم ضربتها فسال الدم
بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت قال فدخلت وانا
مغضب فاذا كتاب فى ناحية البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت
ورميت بالصحيفة من يدى قال ثم رجعت اليهما فاذا فيها سبح لله ما فى السموات
والارض حتى بلغت امنوا بالله ورسوله فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان

محمد رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا منى فجئت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى اسفل الصفا فدخلت واخذ رجلان
بعضدى حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلونى
فجلست بين يديه فاخذ بمجمع ثيابى فجذبنى اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب
اللهم اهد قلبه قلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون
تكبيرة سمعت بطرق مكة وكان الرجل اذا اسلم استخفى ثم خرجت فذهبت الى رجل
لم يكن يكتم السر فقلت له انى صبوت قال فرفع صوته باعلاه الا ان ابن الخطاب
قد صبا فما زال الناس يضربونى واضربهم فقال خالى ما هذا قالوا ابن
الخطاب فقام على الحجر واشار بكمه فقال الا انى قد اجرت ابن اختى قال
فانكشف الناس قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام قال ابن عباس
لما اسلم عمر قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر اهل
السما باسلام عمر رواه ابن ماجة ولما رات قريش عزة النبى صلى الله عليه
وسلم بمن معه واسلام عمر وعزة اصحابه بالحبشة وفشوا الاسلام فى
القبايل اجمعوا على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب
فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله فاجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا
ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رات قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا

ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا
اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا
منهم صلحا ابدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه
في صحيفة بخط منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا
الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم
وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش
فاقاموا على ذلك سنين او ثلثا وقال ابن سعد سنين حتى جهدوا وكان لا يصل
اليهم الا سرا وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ عليه السلام والنجم
اذا هوى حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى
الشيطان في تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما ختم السورة
سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المشركون لتوهمهم انه ذكر آلهتهم بخير
وفشى ذلك في الناس واظهره الشيطان حتى بلغ ارض الحبشة ومن بها من
المسلمين عثمن بن مظعون واصحابه وتحدثوا ان اهل مكة قد اسلموا كلهم
وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد امن المسلمون بمكة فاقبلوا سراعا
من الحبشة والغرانيق في الاصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق و
غرنيق او حد سمي به لبياضه وقيل هو الكركي والغرنوق ايضا الشاب
الابيض الناعم وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم

فتبهت

ترتفع

فتبهت بالطيور التي تعلو في السما وترفع ولما تبين للمشركين عدم ذلك
رجعوا الى اشد ما كانوا عليه وقد تكلم القاضي عياض في الشفا على هذه
القصة وتوهين اصلها بما يشفي ويكفي لكن تعقب في بعضه كما سياتي
ان شاء الله تعالى وقال الامام فخر الدين الرازي مما لخصته من تفسيره هذه
القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن
الهوى ان هي الا وحي يوحى قال الله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقال البيهقي
هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخاري في صحيحه انه عليه السلام
قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن وليس
فيه حديث الغرانيق بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة
حديث الغرانيق ولا شك ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر
لان من المعلوم بالضرورة ان اعظم سعيه كان في نفي الاوثان ولو
جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الاحكام
والشرايع ان يكون كذلك ويبطل قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته فانه لا فرق في العقل
بين النقصان في الوحي وبين الزيادة فيه فبهذا الوجوه عرفنا على سبيل الا
جمال
ان هذه القصة موضوعة وقد قيل ان هذه القصة من وضع الزنادقة
لا اصل لها انتهى وليس كذلك بل لها اصل فقد خرجها ابن ابي حاتم والطبري

وابن المنذر من طرق وكذا ابن مردوية والبزاز وابن اسحاق في السيرة
وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر في السيرة كما نبه عليه الحافظ
عماد الدين بن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها
مسندة من وجه صحيح وهذا مستعقب بما سياتي وكذا نبه على ثبوت اصلها
شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل العسقلاني فقال اخرج ابن ابي حاتم والطبري
وابن المنذر من طرق من شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير قال قرا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ افرايتم اللات
والعزي ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم
فسجد وسجدوا فنزلت هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية واخرجه البزاز وابن مردوية
من طريق امية بن خالد عن شعبة فقال في اسناده عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس فيما احسب ثم ساق الحديث وقال البزار لا يروى متصلا الا بهذا
الاسناد تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور قال وانما يروى
هذا من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انتهى والكلبي متروك لا يعتمد
وكذا اخرجه النحاس بسند اخر فيه الواقدي وذكرها ابن اسحق في السيرة مطولة
واسندها عن محمد بن كعب وكذلك موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب

الزهري

الزهري وكذا ابو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس
واورده من طريق الطبري واورده ابن ابي حاتم من طريق اسباط عن السدي
ورواه ابن مردوية من طريق عباد عن صهيب عن يحيى بن ابي كثير عن
الكلبي عن ابي صالح وعن ابي بكر الهذلي وايوب عن عكرمة وسليمان التيمي
عمن حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس واوردها الطبري ايضا من طريق العوفي
عن ابن عباس ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكلها سوى طريق سعيد بن جبير
اما ضعيف واما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة اصلا مع ان
لها طريقين اخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما ما اخرجه
الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني ابو بكر بن عبد الرحمن
بن الحارث بن هشام فذكر نحوه والثاني ما اخرجه ايضا من طريق المعتمر بن
سليمان وحماد بن سلمة فرقهما عن داود بن سلمة ابي هند عن ابي العالية
قال الحافظ بن حجر وقد تجرا ابن العربي كعادته فقال ذكر الطبري في
ذلك روايات كثيرة لا اصل لها وهو اطلاق مردود عليه وكذا قول
القاضي عياض هذا الحديث لم يخرجه اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم
يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم في ذلك

ضعيفة واهية قال وقد بين البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره الا
طريق ابي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله واما
الكلبي فلا يجوز الرواية عنه لقوة ضعيفة ثم رده من طريق النظر
بان ذلك لو وقع لارتد كثير ممن اسلم قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع
ذلك لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل
ذلك على ان لها اصلا وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح
وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد
بعضها ببعض واذا تقرر ذلك تعين تاويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله
القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فان ذلك
لا يجوز حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم ان يزيد في
القران عمدا ما ليس فيه وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان
عصمته وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل جرى على لسانه حين اصابه
وهو لا يشعر فلما علم بذلك احكم الله اياته وهذا اخرجه الطبري عن قتادة
واورده القاضي عياض بانه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية
للشيطان عليه في النوم وقيل ان الشيطان الجاه الى ان قال ذلك بغير
اختياره ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان لي
عليكم من سلطان الاية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لاحد قوة

على

على طاعة وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا الهتهم وصفوهم بذلك
فعلق ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا
وقد رد ذلك القاضي عياض فاجاد وقيل لعله ذلك توبيخا للكفار
قال القاضي عياض وهذا جائز اذا كانت هناك قرينة تدل على المراد ولاسيما
وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلوة جائزا والى هذا نحا الباقلاني
وقيل انه لما وصل الى قوله ومناة الثالثة الاخرى خشي المشركون
ان ياتي بعدها بشيء يذم الهتهم به فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه
في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا
لغوا فيه ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك والمراد بالشيطان
شيطان الانس وقيل المراد بالغرانيق العلا الملائكة وكان الكفار يقولون
الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر
وله الانثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا
ورضوا بذلك فنسخ الله تلك الكلمتين واحكم اياته وقيل كان النبي صلى الله عليه
يرتل القران فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قوله
واشاعها قال وهذا احسن الوجوه ويؤيده ما ورد عن ابن عباس من تفسير
تمنى بتلى وكذا استحسن ابن العربي هذا التاويل وقال معنى قوله في امنيته

اي في تلاوته فاخبر تعالى في هذه الاية ان سنة الله في رسله اذا قالوا قولا زاد
زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا دخل في ان الشيطان زاد في قول النبي م
لا ان النبي عليه السلام قاله وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره
وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى انتهى ثم هاجر المسلمون
الثانية الى ارض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا ان كان عمار بن ياسر
منهم وثماني عشر امرأة وكان منهم عبيد الله بن جحش مع امرأته ام حبيبة
بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية وتزوج رسول الله
ام حبيبة بنت ابي سفيان سنة سبع من الهجرة الى المدينة وهي بالحبشة كما
سياتي ان شاء الله تعالى في المقصد الثاني عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم
وخرج ابو بكر الصديق مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ برك الغماد ورجع في جوار
القارة مالك بن الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون
وبضم الدال والغين وتشديد النون يعبد ربه في داره وابتنى مسجدا بفناء
داره ويصلي فيه ويقرأ القران فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم
ويعجبون منه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القران فافزع ذلك
اشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة انا قد خشينا ان يفتن نساءنا
وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان
يعلن فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك فقال ابو بكر لابن

الدغنة

الدغنة فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله الحديث رواه البخاري ثم
قام رجال في نقض الصحيفة فاطلع الله نبيه عليه السلام على ان الارضة اكلت
جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع الا اسم الله تعالى فقط فلما انزلت
لتمزق وجدت كما قال عليه السلام وذلك في السنة العاشرة ولما اتت عليه السلام
تسع واربعون سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوما مات عمه ابو طالب
وله سبع وثمانون سنة وقيل مات في النصف من شوال من السنة العاشرة
وقال ابن الجزار قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بثلث سنين وروي
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته يا عم قل لا اله الا الله كلمة
استحل لك بها الشفاعة يوم القيمة فلما راى ابو طالب حرص رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له يا ابن اخي والله لولا مخافة قريش اني انما قلتها جزعا من
الموت لقلتها لا اقولها الا لاسرك بها فلما تقارب من ابي طالب الموت نظر
العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي والله لقد
قال اخي الكلمة التي امرته بها فقال صلى الله عليه وسلم لم اسمعه كذا في رواية
ابن اسحاق انه اسلم عند الموت ورواه البيهقي في الدلائل من طريق يونس
بن بكر عن ابي اسحق حدثني العباس بن عبد الله بن سعيد بن عباس عن بعض اهله
عن ابن عباس فذكره وقال البيهقي انه منقطع واجيب عنه مع شدة وهائه
بان شهادة العباس لابي طالب لو اداها بعد ما اسلم كانت مقبولة ولم ترد

بقوله عليه السلام لم اسمع لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو اعدل لم اسمع اخذ بقول من اثبت السماع ولكن العباس شهد بذلك قبل ان يسلم مع ان الصحيح من الحديث قد اثبت لابي طالب الوفاة على الكفر والشرك كما روينا في صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وانزل الله في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهتدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ولجيب ايضا بان ابا طالب لو قال كلمة التوحيد ما نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار له وفي الصحيح عن العباس انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه يغلى منه دماغه وفي رواية يونس عن ابن اسحق زيادة فقال يغلى منها دماغه حتى يسيل على قدميه فقال السهيلي من باب النظر في حكمة الله تعالى ومشاكلة الجزاء للعمل ان ابا طالب كان مع رسول الله عليه السلام بجملته متحزبا له الا انه كان يثبتنا بقدمه على ملة عبد المطلب حتى قال

عند الموت انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة اباءه تثبتنا الله على الصراط المستقيم وفي شرح التنقيح للقرافي الكفار اربعة اقسام فذكر منها من امن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع كما حكى عن ابي طالب انه كان يقول انى لا اعلم ان ما يقوله ابن اخي لحق ولولا انى اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره يقول

لقد علموا ان ابننا لا مكذب ● يقينا ولا يعزي لقول الاباطل ●

فقال فهذا تصريح باللسان واعتقاد الجنان غير انه لم يذعن انتهى وحكي عن هشام بن السايب الكلبي او ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنان وايم الله كاني انظر الى صعاليك العرب واهل الوبر والاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت روسا قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فوادها واعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله

الارشد ولا يأخذ احد بهدية الاسعد ولو كان لنفسي مدة لكففت عنه
المزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك بعد ذلك بثلثة ايام وقيل
بخمسة في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح مانت خديجة رضي
الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن فيما ذكره
صاعد وكانت مدة اقامتها معه عليه السلام خمسًا وعشرين سنة على الصحيح
ثم بعد ايام من موت خديجة تزوج عليه السلام بسوده بنت زمعة ثم خرج
عليه السلام الى الطايف بعد موت خديجة بثلثة اشهر في لياله يقين من
شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت ابي طالب وكان معه
زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعوا اشرف ثقيفا الى الله تعالى فلم يجيبوه و
اعزوا به سفاهم وعبيدهم لسونة قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيه
بالحجارة حتى اختضبت بغلاه بالدما زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد
الى الارض فياخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون
وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وفي البخاري ومسلم
من حديث عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم
اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم
العقبة اذ عرضت نفسي على بن ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت
فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت

رأسي

رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله
قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال
لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع
قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك لتامرني بامرك ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج
الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وعبد ياليل بتحتيه و
بعدها الف ثم لام مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف
وتخفيف اللام اخره لام وكان بن عبد ياليل من اكابر اهل الطايف من ثقيف
وقرن الثعالب هو ميقات اهل نجد ويقال له قرن المنازل واذان بن سعد
ان مدة اقامته عليه الصلاة والسلام بالطايف كانت عشرة ايام ولما
انصرف عليه السلام عن اهل الطايف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني
ربيعة وهما في حايط لهما فلما رأيا ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا له مع
عداس النصراني غلامهما قطف فلما وضع صلى الله عليه وسلم قال
بسم الله ثم اكل فنظر عداس الي وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله
اهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك
قال نصراني من نينوي فقال عليه السلام من قرية الرجل الصالح يونس بن متى
فقال وما يدريك قال ذاك اخي وهو نبي مثلي فاكب عداس علي يديه وراسه

ورجليه يقبلها واسلم ولما نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة صرف
سبعة من جن نصيبين مدينة بالشام وكان عليه السلام قد قام في
جوف الليل يصلي فاستمعوا له وهو يقرا سورة الجن وفي الصحيح ان
الذي اذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد
فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل
بعر علف لدوابكم وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب
وذكر صاحب الروض من اسماء السبعة الذين اتوه عليه السلام عن
ابن دريد منشي وناشي وشاصر وماصر والاحقب لم يزد على تسمية
هولاء قال الحافظ بن كثير وقد ذكر ابن اسحق خروجه عليه السلام
الى اهل الطايف ودعاه اياهم وانه لما انصرف عنهم بات بنخلة
فقرا تلك الليلة من القران فاستمعه الجن من اهل نصيبين قال وهذا
صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن
كان استماعهم في ابتداء الايحاء ويدل له حديث ابن عباس عند احمد
قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا
فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل
ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا ياتي مقعده
الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس قال ما هذا

الا

الا من امر قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض
ورواه النساي وصححه الترمذي قال وخروجه عليه السلام الى الطايف
كان بعد موت عمه وروى ابن ابي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال هبطوا
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة فلما سمعوه
قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القران الاية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي ان رسول الله صلى الله
لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراته ورجعوا الى قومهم ثم بعد
ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج انتهى وفي
طريقه عليه السلام هذه دعا بالدعا المشهور اللهم اليك اشكو ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ارحم الراحمين انت ارحم
الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني
ام الى صديق قريب كلفته امري ان لم يكن غضبانا علي فلا ابالي غير
ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح
فيه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك ويحل بي سخطك لك العتبى
حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك ورده ابن اسحق ورواه الطبراني
في كتاب الدعا عن عبد الله بن جعفر قال لما توفي ابو طالب خرج النبي م

ماشيا الى الطايف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى
ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره قوله يتجهمني بتقديم الجيم على
الهاء اي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه ثم حمل عليه السلام مكة في
جوار المطعم بن عدي ولما كان في شهر ربيع الاول اسرى بروحه وجسده
يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج به من المسجد الاقصى الى
فوق سبع سموات وراى ربه بعيني راسه واوحي اليه ما اوحي وفرض
عليه الصلوة الخمس ثم انصرف في ليلته الى مكة فاخبر بذلك فصدقه
الصديق وكل من امن بالله وكذبه الكفار واستوصفوه بيت المقدس فمثله
الله له فجعل ينظر اليه ويصفه قال الزهري وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين
حكاه عنه القاضي عياض ورجحه القرطبي والنووي واحتج بانه لا خلاف في
ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلوة ولا خلاف انها توفيت قبل الهجرة
اما بثلاث واما بخمس ولا خلاف ان فرض الصلوة كان ليلة الاسري وتعقب
بان موت خديجة بعد البعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل
ان تفرض الصلوة ويويده اطلاق حديث عايشة ان خديجة ماتت قبل
ان تفرض الصلوة الخمس ويلزم منه ان يكون موتها قبل الاسراء وهو المعتمد
واما تردده في سنة وفاتها فيرده جزم عايشة بانها ماتت قبل الهجرة بثلاث
سنين قاله الحافظ بن حجر وقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم وادعى فيه

الاجماع

الاجماع وقيل قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السدي واخرجه
من طريقه الطبري والبيهقي فعلى هذا كان في رجب حكاه ابن عبد البر و
قبله ابن قتيبة وبه جزم النووي في الروضة وقيل كان قبل الهجرة
بسنة وثلثة اشهر فعلى هذا يكون في ذي الحجة وبه جزم ابن فارس
قيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الاثير وقال الحربي انه كان في سابع
عشري ربيع الاخر وكذا قال النووي في فتاويه لكن قال في شرح مسلم في
ربيع الاول وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ
عبد الغني بن سرور المقدسي واما اليوم الذي يسفر عن ليلتها فقيل
الجمعة وقيل السبت وعن ابن دحية يكون ان شاء الله يوم الاثنين ليوافق
المولد والمبعث والهجرة والوفاة فان هذه اطوار الانتقالات وجودا
ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة وسياتي ان شاء الله تعالى قصة الاسراء
والمعراج وما فيهما من المباحث والله الموفق والمعين ولما اراد الله تعالى
اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده خرج صلى الله عليه وسلم
في الموسم الذي لقي فيه الانصار الاوس والخزرج فعرض صلى الله
عليه وسلم نفسه على قبايل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو
عند العقبة لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا فقال لهم من
انتم قالوا نفر من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه

فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القران وكان من
صنع الله ان اليهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا اهل كتاب وكان الاوس
والخزرج اكثر منهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبينا سيبعث
الان قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبى صلى الله عليه
وسلم عرفوا النعت قال بعضهم لبعض لا يسبقنا اليهود اليه فاجابوه
الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام
فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم ابو امامة اسعد بن زرارة
وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفرا ورافع بن مالك بن العجلان
وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر ابن نابى وجابر بن عبد الله
بن رئاب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ومن اهل العلم بالسير
من يجعل فيهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر بن رئاب فقال لهم
لهم النبى صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهرى حتى ابلغ رسالة ربى فقالوا
يا رسول الله انما كانت بعاث عام الاول يوم ايامنا اقتتلنا به فان تقدم
ونحن كذا لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشايرنا لعل
الله يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم
عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك
الموسم لعام القابل وانصرفوا الى المدينة ولم يبق دار من دور الانصار

وسر سيبعث نبى

الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل
لقيه اثنى عشر رجلا وفى الاكليل احد عشر وهى العقبة الثانية وفيهم
خمسة من الستة المذكورين وهم ابو امامة وعوف بن عفرا ورافع
بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى ولم يكن فيهم
جابر بن عبد الله بن رئاب لم يحضرها والسبعة تتمة الاثنى عشر هم معاذ بن
الحارث بن رفاعة وهو ابو عفرا اخو عوف المذكور وذكوان بن عبد قيس
الزرقى وقيل انه رحل الى رسول الله الى مكة فسكنها معه فهو مهاجرى
انصارى قتل يوم احد وعبادة بن الصامت بن قيس وابو عبد الرحمن
يزيد بن ثعلبة البلوى والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلاء من الخزرج
ومن الاوس رجلان ابو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الاشهل وعويم بن
ساعدة فاسلموا وبايعوا على بيعة النساء اى وفق بيعتهم التى نزلت بعد
ذلك عند فتح مكة وهى ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا
نقتل اولادنا ولا ناتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه
فى معروف والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره واثرة
علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف فى الله
لومة لايم قال عليه السلام فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشى من ذلك
شيئا كان امره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولم يفرض يومئذ

القتال ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد بن زرارة
يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم
ابعث الينا من يقرئنا القران فبعث اليهم مصعب بن عمير وروي الدار
قطني عن ابن عباس ان النبي صلى الله وسلم كتب الى مصعب بن عمير ان تجمع
بهم الحديث وكانوا اربعين رجلا فاسلم على يدي مصعب بن عمير خلق
كثير من الانصار واسلم في جماعتهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم
باسلامهم جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد الرجال والنساء ولم يبق
منهم احد الا اسلم حاشى الاصرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فانه تاخر
باسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة ولم يكن في عبد الاشهل منافق ولا
منافقة بل كانوا كلهم حنفا مخلصين رضي الله عنهم ثم قدم على النبي صلى
الله عليه وسلم في العقبة الثالثة في العام المقبل في ذي الحجة اوسط ايام
التشريق منهم سبعون رجلا وقال ابن سعد يزيدون رجلا او رجلين وامرأتان
وقال ابن اسحق ثلث وسبعون وامرأتان وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا فكان
اول من ضرب على يده عليه السلام البراء بن معرور ويقال ابو الهيثم و
يقال اسعد بن زرارة على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى
حرب الاحمر والاسود وكانت اول اية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين

يقاتلون

يقاتلون الاية وفي الاكليل ان الله اشترى من المؤمنين الاية نقب عليهم
اثني عشر نقيبا وفي حديث جابر عند احمد باسناد حسن وصححه الحاكم
وابن حبان مكث عليه الصلاة والسلام عشر سنين يتبع الناس في منازلهم
في المواسم بمنى وغيرها يقول من يؤويني من ينصرني حتى ابلغ رسالة
ربي وله الجنة حتى بعثنا الله له من يثرب فذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني
اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم
ولكم الجنة الحديث وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه قال ابن اسحق ولما تمت
بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قريش امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام بمكة
ينتظر ان يؤذن له في الخروج فكان اول من هاجر من مكة الى المدينة ابو سلمه
بن عبد الاسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة لمكة فاذاه اهلها وبلغه
اسلام من اسلم من الانصار فخرج اليهم ثم عامر بن ربيعة وامراته ليلى ثم
عبد الله بن جحش ثم المسلمون ارسالا ثم عمر بن الخطاب واخوه زيد وعياش
بن ربيعه في عشرين راكبا فقدموا المدينة فنزلوا في العوالي ثم خرج عثمان
عفان حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب وابو بكر
كذا قال ابن اسحق قال مغلطاي وفيه نظر لما ياتي بعد وكان الصديق كثيرا

كثيرا ما يستأذن رسول الله ع م في الهجرة فيقول لا تعجل لعل الله ان يجعل لك
صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو ثم اجتمع قريش ومعهم ابليس في صورة
شيخ نجدي في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا
الا فيها يتشاورون فيما يصنعون في امره عليه الصلاة والسلام فاجمع
رايهم على قتله وتفرقوا على ذلك فان قيل لم يمثل الشيطان في صورة نجدي
فالجواب لانهم قالوا كما ذكره بعض اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة احد
من اهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل في صورة نجدي انتهى ثم اتى
جبريل عليه السلام فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه
عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فامر
عليه السلام عليا فنام مكانه وغطي ببرد اخضر فكان اول من شرى نفسه
وفي ذلك يقول   وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى   ومن طاف بالبيت العتيق
وبالحجر   رسول اله خاف ان يمكروا به   فنجاه ذو الطول الاله من المكر
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره
احد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى
يس الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف عليه السلام حيث اراد
فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم
الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق

لحاجته

لحاجته افما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على راسه فاذا عليه تراب
وفي رواية ابي حاتم مما صححه الحاكم من حديث بن عباس فما اصاب رجلا
منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي هذه نزل قوله تعالى واذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية ثم اذن الله تعالى لنبيه ع م
في الهجرة قال بن عباس بقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اخرجه الترمذي
وصححه الحاكم فان قلت ما الحكمة في هجرته عليه السلام الى المدينة واقامته
بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل اجيب بان حكمة الله تعالى قد اقتضت انه ع م
تتشرف به الاشياء لا انه يتشرف بها فلو بقي عليه السلام في مكة الى انتقاله
الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ ان شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل
فاراد الله تعالى ان يظهر شرفه عليه السلام فامره بالهجرة الى المدينة فلما
هاجر اليها تشرفت به حتى وقع الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذي
ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه وذكر الحاكم ان خروجه
عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم بن
اسحق بانه خرج اول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين
وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموي في المغازي عن بن اسحق فقال كان
مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال وخرج لهلال ربيع الاول

وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع قال في فتح الباري وعلى هذا خرج
يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين ودخوله
المدينة يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة
يوم الخميس ويجمع بينهما بان خروجه من مكة يوم الخميس وخروجه من الغار
كان ليلة الاثنين لانه اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت
وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين وكان مدة مقامه بمكة من حين النبوة
الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة ويدل عليه قول صرمة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ● ويذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وقيل غير ذلك وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر وعليه السلام عليا بمخرجه
وامره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودايع التي كانت عنده للناس قال
ابن شهاب قال عروة قالت عايشة فبينا نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحر
الظهيرة قال قايل لابي بكر هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها
قال ابو بكر فدى له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال صلى الله
عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك فقال بابي
انت وامي يا رسول الله قال السهيلي وذلك ان عايشة قد كان ابوها انكحها
منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد اذن لي

في الخروج

في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي وامي يا رسول الله قال صلى الله عليه
وسلم نعم فقال ابو بكر فخذ بابي وامي يا رسول الله احدى راحلتي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن فان قلت لم لم يقبلها الا بالثمن
وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقيل اجيب بانه انما فعل
ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في
استكمال فضل الهجرة الى الله وان تكون على اتم الاحوال انتهى قالت عايشة
فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت
ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت على فم الجراب فلذلك سميت بذات النطاقين
قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار ثور جبل باسفل
مكة وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة
ونظر الى البيت والله انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى
الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا من اصح ما يحتج به في تفضيل
مكة على المدينة ولم يعلم بخروجه عليه السلام الا علي وال ابي بكر وروي
انهما خرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار ولما فقدت
قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها واسفلها و
بعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هنالك
فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا

لذلك وجعلوا امايتر ناقة لمن ردّه وﷲ درّ الشيخ شرف الدين الابوصيري
حيث قال ويح قوم جفوا نبيا بارض   الفته ضبابها والظباء

وسلوه وحن جذع اليه   وقلوه وودّه الغرباء
اخرجوه منها واواه غار   وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت   ما كفته الحمامة الحصداء

يقال شجرة حصداء اي كثير الورق فكانه استعاره للحمامة لكثرة ريشها و ذكر قاسم بن ثابت في الدلايل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وابوبكر معه انبت الله على بابه الرات قال قاسم وهي شجرة معروفة وهي ام الاغيلان وعن ابي حنيفة تكون مثل قامة الانسان لها حيطان وزهر ابيض يحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار اعين الكفار وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صدّ المشركين وان حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له مالك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال اخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاده وروى ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب

ونسج العنكبوت فقالوا لو دخلاه لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتامل كيف اظلت الشجرة المطلوب و اضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطالب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها فحاكت ستر احتى عمي على القايف الطلب والعنكبوت اجادت حول حلتها فاتخال خلال النسج من خلل ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك وما احسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا   يجمل لبسه في كل شي
فان العنكبوت اجل منها   بما نسجت على راس النبي

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة

اقسمت بالقمر المنشق ان له   من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم   وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما   وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظن العنكبوت على   خير البرية لم ينسج ولم تحم
وقاية الله اغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الاطم

اي عموا عما في الغار مع خلق الله ذلك فيهم لانهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله عليه السلام وان العنكبوت لا تنسج عليه عليه لما جرت العادة انه من

الحيوانين مستوحشان لا بالغار معمورا فهما احسّا بالانسان فرّ امنه وما
علموا ان الله تعالى يسخر ماشاء من خلقه لمن يشاء من عباده وان وقاية
الله عبده لما يشاء تغني عبده عن التحصّن بمضاعفة من الدّروع وعن
التحصن بالعالي من الاطم وهي الحصون فلله الابوصيري من شاعر وما احسن
قوله في قصيدته اللامية حيث قال

واغيرتا حين اضحى الغار وهو به ● مثل قلبي معمور وماهول
كانما المصطفى فيه وصاحبه ● الصديق ليثان قد اواهما غيل
وحل الغار نسج العنكبوت على ● وهن فيا حبذا نسج وتحليل
عناية ضل كيد المشركين بها ● وما مكائدهم الا الاضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما ● كان ابصارهم من زيغها حول

وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو احدهم نظر الى قدميه لرانا فقال
له صلى الله عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروي ان ابا بكر قال
نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما
فاستبكيت وعلمت انه عليه السلام لم يكن تعود الحفا والجفوة وروي ايضا
ان ابا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه
راي حجرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعلت الحيات والافاعي تضربنه ويلسعنه فجعلت دموعه تحدر وفي رواية

فدخل

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجر ابي بكر
ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي
وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده رواه رزين
وروي ايضا ان ابا بكر لما راي القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله
وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فعندها
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة
والنصرة فانزلت سكينته وهي امنة تسكن عندها القلوب على ابي بكر لانه
كان منزعجا وايده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة
ليحرسوه في الغار وليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته انظر
لما راى الرسول عليه السلام حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه
قوي قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا كانت تحفة ثاني اثنين متفخرة له
دون الجميع فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر
وسبب الموت لما وقي الرسول بماله ونفسه جوزي بموارات معه في رمسه
وقام موذن التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار
ولقد احسن حسان حيث قال ● ● ●
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به اذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا ● من الخلايق لم يعدل به بدلا

وتامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود
المعية ولم يتعد منه الى اتباعه ونبينا تعدى منه الى الصديق ولم يقل
معي لانه مد ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثمة سرى سر السكينة على ابي
بكر والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي والشهود واين معية الربوبية في قصة
موسى عليه السلام من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم
قاله العارف شمس الدين ابن اللبان واخرج ابو نعيم في الحلية عن عطاء
بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه
ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وكذا نسجت على الغار الذي
دخله عبد الله بن انيس لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح
الهذلي بالعرنة فقتله ثم احتمل راسه ودخل في غار فنسجت عليه العنكبوت
وجاء الطلب ولم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين وفي تاريخ ابن عساكر
ان العنكبوت نسجت ايضا على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
لما صلب عريانا في سنة احدى وعشرين ومائة وكان مكثه صلى الله عليه
وسلم في الغار ثلث ليال وقيل بضعة عشر يوما والاول هو المشهور
وكان يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف اي ثابت المعرفة

لما يحتاج اليه لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبايت
فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط
الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها
عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما
يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلث واستاجر رسول الله ص م
وابو بكر عبد الله بن الاريقط وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له
اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلث ليال فاتاهما
براحلتيهما صبح ثلث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم
بطريق السواحل فمر وابقديد على ام معبد عاتكه بنت خالد الخزاعية و
كانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم وكان القوم مرملين
مسنتين فطلبوا لبنا او لحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها
الجهد على الغنم فسالها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي اجهد
من ذلك فقال اتاذنين ان احلبها قالت نعم بابي انت وامي ان رايت بها حلبا فا حلبها
فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا
باناء يربض الرهط اي يشبع الجماعة حتى ربضوا فحلب فيه ثجا وسقى القوم
حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى ، علا ثم بعد نهل ثم

غادره عندها وذهبوا فقل مالبث حتى جاء زوجها ابو معبد قال السهيلى
لا يعرف اسمه وقال العسكرى اسمه اكتم بن ابى الجون ويقال ابن الجون يسوق
اعنزا عجافا يسا وكن هزلا مخهن قليل فلما راى ابو معبد اللبن عجب وقال
ما هذا يا ام معبد انى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب بالبيت
فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه
يا ام معبد فقالت رجل ظاهر الوضاة ومتبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة
ولم تزره صعلة وسيم قسيم فى عينيه دعج وفى اشفاره وطف وفى صوته
صحل احور اكحل ازج اقرن شديد سواد الشعر فى عنقه سطع وفى لحيته
كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البها وكان منطقه
خرزات نظم يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر اجهر الناس واجمله
من بعيد واحلاه واحسنه من قريب ربعة لا تشنوه من طول ولا تقتحمه
عين من قصر غصن بين غصنين فهو انظر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا
له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله وامر تبادروا الى امره محفود محشود
لا عابس ولا مفند فقال والله هذا صاحب قريش لو رايته لاتبعته قالت اسما
ابا بكر ولما خفى علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم
ابو جهل بن هشام فخرجنا اليهم فقال اين ابوك فقلت والله لا ادرى اين ابى
قالت فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمة خرج منها قرطى

قالت

قالت ثم انصرفوا ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى
رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه … رفيقين حلا خيمتى ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا … فافلح من امسى رفيق محمد
فيال قصى ما زوى الله عنكم … به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم … ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها … فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت … له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب … يرددها فى مصدر ثم مورد

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
مرملين اى نفدت ازوادهم ومسنتين اى مجدبين ويروى مشتين اى دخلوا
فى الشتاء وكسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها وسكون السين جانبها وتفاجت
بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر
الموحدة اى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض
اذا لصق به واقام والثج السيلان وفى رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال
بضم المثلثة الرغوة واحده ثمالة والبها اى بها اللبن وهو وبيص رغوته
وتساوكن هزلا اى تمايلن ويروى تشاركن من المشاركة اى تساوين

فى الهزال وغاوره بالغين المعجمة ابقاه والشاعازب اى بعيد المرعي والابلج
بالجيم المشرف الوجه المضيئة والحيال بكسر الحا المهملة جمع حايل وهي
التى ليس بها حمل والوضاة والثجلة بفتح الثاء المثلثه وسكون الجيم
عظيم البطن ويروي بالنون والخا اى نحول ورقة والصعلة بفتح الصاد
صغر الراس وهي ايضا الدقة والنحول فى البدن والسيم الحسن وكذلك القسم
وفى عينيه دعج اى سواد والوطف قال فى القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين
والعينين وفي صوته صحل بالتحريك هو كالحشة بضم الموحدة وان يكون
حاد الصوت ولحور قال فى القاموس الحور بالتحريك وان تشتد بياض
بياض العين وسواد سوادها والكحل بفتحتين سواد فى اجفان العين خلقه
والرجل اكحل وكحيل والازج الدقيق طرف الحاجبين وفى القاموس و
الزجج محركة دقة الحاجبين فى طول والاقرن المقرون الحاجبين وفى عنقه
سطع بفتحتين اى ارتفاع وطول في لحيته كثاثة مثلثين الكثاثة فى اللحية ان تكون
غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم
واذا تكلم سما وعلاه اليها اى ارتفع وعلا على جلسايه وفصل بالصاد المهملة
ولا نزر بسكون الزاء ولا هذر بفتح المعجمة اى ظاهر يفصل بين الحق والباطل
ولا تشنؤه من طوله كذا جاء فى رواية اى لا يبغض لفرط طوله ويروي لا يتشنى
من طول ابدل من الهمزة ياء يقال شنيته اشنوه شناء وشناء قاله بن الاثير ولا

ولا تقتحمه عين من قصر اى لا يتجاوزه الى غيره احتقارا له وكل شئ ازدريته
فقد اقتحمته ومحفود اي مخدوم والمحشود الذي عنده حشد وهم الجماعة
ولا عابس من عبوس الوجه والمفند الذي كثير اللوم وهو التفنيد والضرة
لحمة الضرع وغادرها اى خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر واخرج ابو
سعد وابو نعيم من طريق الواقدي حدثني هشام عن ابيه عن ام سعيد قالت
بقية الشاة التى لمس عليها عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان
الرمادة زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا
وما فى الارض قليل ولا كثير ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم
المدلجي فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله ع م
بدعوات فساخت قوايم فرسه وطلب الامان فقال اعلم ان قد دعوتما
علي فادعوا لى ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فوقفا لى فركبت
فرسي حتى جئتهما قال ووقع فى نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت
عليهما الزاد والمتاع فلم يرزاني ولجتاز صلى الله عليه وسلم فى وجه
ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شانه ما رويناه من طريق البيهقي بسنده عن
قيس بن النعمان قال لما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر مستخفين
من بعيد يرعى غنما فاستسقيناه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان

انهجهنا عنا وحملت اول ما بقي لها لبن فقال دع ابها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم
ومسح ضرعها حتى نزلت وجاء ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعي
ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من انت فوالله ما رايت مثلك قال وتر
نكتم على حتى اخبرك قال نعم قال انى محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم
قريش انه صابى قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد انك نبى وانما جئت به حق
فانه ما يفعل ما فعلت الا نبى وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا
بلغك انى قد ظهرت فاتنا قال الحافظ مغلطاي بعد ذكره لقصة ام معبد وفي
الاكليل قصة اخرى شبيهة بقصة ام معبد قال الحاكم فلا ادري اهي هي ام
غيرها ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة فكانوا يغدون كل غداة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما
بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم
من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه فنادى باعلى صوته يا بنى
قيلة هذا جدكم اى حظكم ومطلوبكم فقد اقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس
والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بفناء على بن عمرو الحديث رواه البخاري
وفيه ان ابا بكر قام للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا
فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير النبى صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت

الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه
بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وظاهر
هذا انه صلى الله عليه وسلم كانت الشمس تصيبه وما تقدم من تظليل
الغمام والملك له كان بعثته كما هو صريح فى موضعه قال موسى بن عقبة
عن ابن شهاب وكان قدومه عليه السلام لهلال ربيع الاول اى اول يوم منه
وفى رواية جرير ابن حازم عن ابن اسحق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول
ونحوه عند ابى معشر لكن قال ليلة الاثنين وعن ابن سعد قدمها لاثنتى
عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وفى شرف المصطفى من طريق ابى بكر بن
حزم قدم لثلاث عشرة من ربيع الاول وهذا الذي يجمع بينه وبين
الذى قبله ما يحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال وقيل كان حين اشتد
الضحى يوم الاثنين لاثنى عشر ليلة منه وبه جزم النووي فى كتاب السير
من الروضة وقال ابن الكلبى خرج من الغار يوم الاثنين اول يوم من ربيع
الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه وقيل لليلتين منه
وعند البيهقى اثنين وعشرين ليلة قال ابن حزم خرجا من مكة وقد بقى من صفر
ثلث ليال واقام على بمكة بعد مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام ثم
ادركه بقبا يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع وكان مدة مقامه
مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة او ليلتين وامر صلى الله عليه وسلم

بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وقيل ان عمر اول من ارخ وجعله من المحرم واقام
عليه السلام بقبا في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة وفي صحيح مسلم
اقام فيهم اربع عشرة ليلة ويقال انه اقام يوم الاثنين والثلاثا والاربعا
والخميس واسس مسجد قبا الذي اسس على التقوى على الصحيح وهو اول مسجد
بني في الاسلام واول مسجد صلى فيه عليه الصلوة والسلام باصحابه جماعة
ظاهرًا واول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد
لكن لخصوص الذي بناه ثم خرج عليه السلام من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار
فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم
مائة في بطن وادي رانونا براء مهملة ونونين ممدود كعاشورا وتاسوعا واسم
المسجد الغبيب بضم المعجمة تصغير غيب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة والوادي
ذي صلب ولذا سمي مسجد الجمعة وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة
وهو على يمين السارق الى مسجد قباء وركب صلى الله عليه وسلم على راحلته
بعد الجمعة متوجهًا الى المدينة وروى انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم
اقبل الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبي صلى الله عليه
وسلم شاب لا يعرف فيلقى الرجل ابا بكر فيقول يا ابا بكر فيقول يا ابا بكر
من هذا الرجل الذي بين يديك قال فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال
فيحسب الحاسب انه انما يعني الطريق وانما يعني سبيل الخير الحديث رواه البخاري

وقد

وقد روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر اله عني الناس
فكان اذا سئل من انت قال باغي حاجة فاذا قيل من هذا معك قال هذا
الذي يهديني السبيل وفي حديث الطبراني من رواية اسما فكان ابو بكر رجلا
معروفا في الناس فاذا لقيه لاق يقول لابي بكر من هذا معك فيقول هذا يهديني
يريد الهداية في الدين ويحسبه الاخر دليلا وانما كان ابو بكر معروفا
لاهل المدينة لانه مر عليهم في سفرة التجارة وكان صلى الله عليه وسلم
لم يشب وكان عليه السلام اسن من ابي بكر وفي حديث انس لم يكن في الذين
هاجروا اشمط غير ابي بكر وكان عليه السلام كلما مر على دار من دور
الانصار يدعونه الى المقام عندهم يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة
فيقول خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مامورة وقد ارخى زمامها وما يحركها
وهي تنظر يمينا وشمالا حتى اذا اتت دار مالك بن النجار بركت على باب المسجد
وهو يومئذ مربد لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ
بن عفرا ويقال اسعد بن زرارة وهو المرجح ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم
عليها حتى بركت على باب ابي ايوب الانصاري ثم ثارت منه وبركت في مبركها
الاول والقت جرانها بالارض يعني باطن عنقها او مقدم من الذبح وارزمت
يعني صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال
هنا المنزل ان شاء الله واحتمل ابو ايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن
حارثة وكانت دار بني

بني النجار اوسط دور الانصار وافضلها وهم اخوال عبد المطلب
جده عليه السلام وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند يوسف
بن يعقوب في كتاب الذكر والدعاء له قال نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل
عليه الوحي فما بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت
يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قلت كنت احق بالعلو منا
تنزل الملائكة وينزل عليك الوحي لا والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة
انت تحتها ابدا الحديث ورواه الحاكم ايضا وقد ذكر ان هذا البيت
الذي لابي ايوب بناه له عليه السلام تبع الاول لما مر بالمدينة وترك
فيها اربعمائة عالم وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم
وساله ان يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك الى ان صارت
لابي ايوب وهو من ولد ذلك العالم قال واهل المدينة الذين نصروه عليه
السلام من ولد اولئك العلماء فعلى هذا انما نزل في منزل نفسه لا منزل غيره
كذا حكاه في تحقيق النصرة وفرح اهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم
واشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور الى القلوب قال انس بن مالك
لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها

كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
قلت انشاد هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة رواه البيهقي في الدلا
وابو الحسن بن المقري في كتاب الشمائل له عن ابن عايشة وذكره الطبري
في الرياض عن الفضل بن الحباب قال سمعت ابن عايشة يقول لرآه ابيه فذكره
وقال خرجه الحلواني على شرط الشيخين انتهى وسميت ثنية الوداع لانه عليه السلام
ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض اسفاره وقيل لانه عليه السلام
شيع اليها ويودع عندها قديما وصحح القاضي عياض هذا الاخير واستدل
عليه بقول نساء الانصار حين مقدمه عليه السلام طلع البدر علينا من ثنيات
الوداع فدل على انه اسم قديم وقال ابن بطال انما سميت ثنية الوداع لانهم
كانوا يشيعون الحاج والغزاة اليها ويودعونهم عندها واليها كانوا
يخرجون عند التلقي انتهى قال شيخ الاسلام الولي بن العراقي وهذا كله
مردود ففي صحيح البخاري وسنن ابي داود والترمذي عن السايب بن
يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس
يتلقونه من ثنية الوداع قال وهذا صريح في انها من جهة الشام ولهذا
لما نقل والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال انه وهم قال
وكلام ابن عايشة معضل لا تقوم به حجة انتهى وسبقه الى ذلك ابن القيم

بل

يعني من له فودعه عندها وقيل لان المسافرين من المدينة كان يشيع اليها صح

في الهدي النبوي فقال هذا وهم من بعض الرواه لان ثنية الوداع انما
هي من ناحية الشام لايراها القادم من مكة ولا يمر بها الا اذا توجه الى
الشام وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك لكن قال ابن العراقي ايضًا و
يحتمل ان تكون الثنية التي من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمون ها ثنية
الوداع انتهى وفي شرف المصطفى واخرجه البيهقي عن انس لما بركت الناقة على
باب ابي خرج جوار من بني النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار بني النجار ● يا حبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم اتحبني قلن نعم يا رسول الله وفي رواية الطبراني
في الصغير فقال عليه السلام الله اعلم ان قلبي يحبكم وقال الطبري
وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون جاء محمد جاء رسول الله ووعك
ابو بكر وبلال فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح في اهله ● والموت ادنى من شراك نعله

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ● بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يومًا مياه مجنة ● وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض
الوبا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة

لحبنا

كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل الوبا
منها الى الجحفة قالت يعني عايشة قدمنا المدينة وهي اوبا ارض الله فكان بطحان
يجري نجلا يعني ماء اجنا وقال عمر اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل
موتي في بلد رسولك رواه البخاري وقوله يرفع عقيرته اي صوته لان
العقيرة الساق كان الذي قطعت رجله رفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح
ذلك حكاه الجوهري وشامة وطفيل عينان بقرب مكة والمراد بالوادي
وادي مكة وجليل نبت ضعيف واقام صلى الله عليه وسلم عند ابي ايوب
سبعة اشهر وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابي شهرًا وكان
يصلي حيث ادركته الصلوة ولما اراد عليه السلام بناء المسجد الشريف قال
يا بني النجار ثامنوني بحايطكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فابى ذلك صلى الله
عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر رضي الله عنه وكان
قد خرج من مكة بماله كله قال انس وكان في موضع المسجد نخل وخرب و
مقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت
ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب
النخل وعمل فيه المسلمون وكان عمار ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة
عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام للناس اجر ولك
اجران واخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية وروينا

انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في ثيابه ويقول وهو ينقل

هذا الحمال لا حمال خيبر   هذا ابر ربنا واطهره
اللهم ان الاجر اجر الاخرة   فارحم الانصار والمهاجرة

قال ابن شهاب ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا انتهى وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا وقوله هذا الحمال بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم اي المحمول من اللبن ابر عند الله من حمال خيبر اي التي تحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك وفي رواية المستملي بالجيم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قيل وضع عليه السلام رداءه فوضع الناس وهم يقولون لبن قعدنا والنبي يعمل ذاك اذا للعمل المضلل واخرون يقولون لا يستوي من يعمل المساجد يداب فيها قايما وقاعدا ومن يري عن التراب حايدا وجعلت قبلة المسجد للقدس وجعل له ثلثة ابواب باب في موخره وباب يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وجعل طوله مما يلي القبلة الى موخره ماية ذراع وفي الجانبين مثل ذلك او دونه وجعل اساسه قريبا من ثلثة اذرع وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البنا بنى لعايشة في البيت الذي يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الاخر الذي يليه الى الباب الذي يلي ال عثمان ثم تحول عليه السلام من دار ابي ايوب الى مساكنه التي

بناها

بناها وكان قد ارسل زيد بن حارثة وابا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وخرج عبد الله بن ابي بكر معهم بعيال ابيه وكان في المسجد موضع مظلل تاوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون الصفة وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على اصحابه وتتعشى طايفة منهم منه عليه السلام وفي البخاري من حديث ابي هريرة لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء ازاره واما كسا قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته وهذا يشعر بانهم كانوا اكثر من سبعين وهولاء الذين راهم ابو هريرة غير السبعين الذين بعثهم في غزوة بير معونة وكانوا من اهل الصفة ايضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام ابي هريرة وقد اعتنى بجمع اصحاب الصفة ابن الاعرابي والسلمي والحاكم وابو نعيم وعند كل منهم ما ليس عند الاخر وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة قاله في فتح الباري وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع في المسجد قايما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وكان عمله وحنين الجذع في السنة الثامنة بالميم من الهجرة وبه جزم النجار وعورض بما في حديث الافك في الصحيحين قالت عايشة فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا ان يقتتلوا ورسول الله على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وجزم ابن سعد بان عمل المنبر كان في السنة

السابعة وعورض بذكر العباس وتميم فيه كان قدوم العباس بعد الفتح
فى اخر سنة ثمان وقدوم تميم فى سنة تسع وعن بعض اهل السير انه عليه السلم
كان يخطب على منبر من طين قبل ان يتخذ المنبر الذي من خشب وعورض بان
الاحاديث الصحيحة انه كان يستند الى الجذع اذا خطب وسياتى قصة حنين
الجذع ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ولما كان بعد قدومه بخمسة
اشهر اخى عليه السلام بين المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل
طايفة خمس واربعون على الحق والمساوات والتوارث وكانوا كذلك الى
ان نزل بعد بدر واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الاية وبنى بعايشة
على راس تسعة اشهر وقيل ثمانية وقيل ثمانية عشر شهرا فى شوال وكان الناس
كما فى السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلوة لتحين مواقيتها من غير دعوة واخرج
بن سعد فى مراسيل سعيد بن المسيب ان بلالا كان ينادي للصلوة بقوله الصلوة
جامعة الحديث وشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يجمعهم به الصلوة
وكان فيما قيل فى السنة الثانية فقال بعضهم ناقوس كناقوس النصاري وقال
اخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا راها
الناس اقبلوا الى الصلوة فراي عبد ربه فى منامه رجلا فعلم الاذان والاقامة
فلما اصبح اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بما راى وفى رواية معاذ بن
جبل عند الامام احمد قال يا رسول الله انى رايت فيما يري النايم ولو قلت انى لم

لم اكن نايما لصدقت رايت شخصا عليه ثوبان اخضران فاستقبل القبلة
فقال الله اكبر الله اكبر مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث فقال عليه السلام
انها لرؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فالق عليه ما رايت فليؤذن به فانه اندى
صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن قال فسمع ذلك
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه يقول والذى
بعثك بالحق رسول الله لقد رايت مثل ما اري ووقع فى الاوسط للطبرانى
ان ابا بكر ايضا راي الاذان وفى الوسيط الغزالي انه راه بضعة عشر رجلا
وعبارة الجيلى في شرح التنبيه اربعة عشر وانكره ابن الصلاح ثم النووى
وفى سيرة مغلطاي انه راه سبعة من الانصار قال الحافظ ابو الفضل بن
حجر رحمه الله ولا يثبت شئ من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت
فى بعض الطرق انتهى قال السهيلى فان قلت ما الحكمة التى خصت بان يراه رجل
من المسلمين فى نومه ولم يكن عن وحى من الله لنبيه كساير العبادات والاحكام
الشرعية وفى قوله عليه السلام له انها رؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها
وهل كان ذلك عن وحى من الله ام لا واجاب بانه صلى الله عليه وسلم قد راي
ليلة الاسرى فروي البزار عن علي قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان
جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى الحجاب الذي يلى الرحمن
فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال يا جبريل من هذا قال والذي بعثك

ما يحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته صد خلقت قبل ساعته
هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي
انا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان قال السهيلي وهذا اقوي من الوحي فلما
تاخر فرض الاذان واراد اعلام الناس بوقت الصلوة تلبث حتى راي عبد الله
الرؤيا فوافقت ما راي صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله
وعلم حينئذ ان مراد الله مما اراه في السما ان يكون سنة في الارض وقوي
ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصاري انتهي وتعقب بان حديث البزاق في
اسناده زيادة بن المنذر ابو الجارود وهو متروك قال في فتح الباري و
قد استشكل اثبات حكم الاذان برؤيا عبد الله بن زيد لان الرؤيا غير الانبيا
لا ينبني عليها حكم شرعي واجيب لاحتمال مقارنة الوحي لذلك ويؤيده
ما رواه عبد الرزاق وابو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمر الليثي احد
كبار التابعين ان عمر لما راى الاذان جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد الوحي قد ورد بذلك فما راعه الا اذان بلال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
سبقك بذلك الوحي وهذا اصح مما حكى الداودي ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بالاذان قبل ان يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية ايام وقد عرفت رؤيا
عبد الله بن زيد برواية ابن اسحق وغيره وذلك انه قال طاف بي وانا نائم
رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت

ندعوا

ندعوا به الى الصلوة قال افلا ادلك على ما هو خير من ذلك فقلت بلى قال تقول
الله اكبر الله اكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استاخر عني غير بعيد ثم قال
اذا قمت الى الصلوة فقل الله اكبر الى اخر كلمات الاقامة ورواه ابو داود
باسناد صحيح ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين راي النداء وقد قال رايت مثل
الذي راي وفي مسند الحارث اول من اذن بالصلوة جبريل اذن في سما الدنيا
فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر
بها فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر وظاهره ان عمر سمع ذلك
في اليقظة وقد وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة
منها للطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لما اسرى بالنبي عليه السلام
اوحى الله اليه الاذان فنزل به وعلمه بلالا وفي اسناده طلحة بن زيد
وهو متروك ومنها للدارقطني في الافراد من حديث انس ان جبريل امر النبي
النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة واسناده ضعيف ومنها
حديث البزار عن علي المتقدم قال في فتح الباري والحق انه لا يصح شيء من هذه
الاحاديث وقد جزم ابن المنذر بانه عليه السلام كان يصلي بغير اذان منذ فرضت
الصلوة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور في ذلك والله اعلم
فان قلت هل اذن عليه السلام بنفسه قط اجاب السهيلي بانه روي الترمذي
من طريق يدور على عمر بن الرماح قاضي بلخ يرفعه الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم

اذن في سفر وصلى وهم على رواحلهم الحديث قال فنزع بعض هذا الحديث
الى انه عليه السلام اذن بنفسه انتهى وليس هذا من حديث ابي هريرة انما هو
من حديث يعلى بن مرة وكذا جزم النووي بانه عليه السلام اذن مرة في السفر
وعزاه للترمذي وقواه لكن روى الحديث الدارقطني وقال فيه امر بالاذان
ولم يقل اذن قال السهيلي والمفصل يقضي على المجمل المحتمل وفي مسند احمد
من الوجه الذي منه الترمذي هذا الحديث فامر بلالا فاذن قال في فتح الباري
فعرفنا ان في رواية الترمذي اختصارا وان قوله اذن امر كما يقال اعطى الخليفة
فلانا الفا وانما باشر العطا غيره ونسب للخليفة لكونه امر انتهى نعم ثبت في صحيح
مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف ولفظه عن
المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك فتبرز رسول الله
قبل الغايط فحملت معه اداوة قبل صلوة الفجر الحديث الى ان قال فاقبلت معه
حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن ابن عوف فصلى لهم فادرك رسول
الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الاخرة
فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتم صلوته فافزع ذلك المسلمين فاكثروا التسبيح فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم
صلوته اقبل عليهم ثم قال احسنتم وقال قد اصبتم يغبطهم ان صلوا
لوقتها ورواه ابو داود وفي السنن بنحوه ولفظه ووجدنا عبد الرحمن

وقد

وقد ركع لهم ركعة من صلوة الفجر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف
مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية ثم سلم عبد الرحمن
فقام النبي صلى الله عليه وسلم في صلوته الحديث قال النووي فيه جواز اقتدا
الفاضل بالمفضول وجواز صلوة النبي صلى الله عليه وسلم خلف بعض امته
قال واما بقاء عبد الرحمن في صلوته وتاخر ابي بكر ليتقدم النبي صلى الله عليه
وسلم فالفرق بينهما ان عبد الرحمن كان قد ركع ركعة فترك النبي صلى الله عليه وسلم
التقدم لئلا يختل ترتيب صلوة القوم بخلاف صلوة ابي بكر نعم في السيرة الهاشمية
ان ابا بكر كان الامام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتم به لكنه
كما قال السهيلي حديث مرسل في السيرة قال والمعروف في الصحاح ان ابا بكر كان
يصلي بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلوة ابي بكر
لكن قد روي عن انس من طريق متصل ان ابا بكر كان الامام يومئذ واختلف فيه
عن عايشة رضي الله عنها انتهى وفي الترمذي مصححا من حديث جابر ان اخر صلوة
صلوة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد متوشحا به خلف
ابي بكر قال ابن الملقن وقد نصر هذا القول غير واحد من الحفاظ منهم الضيا و
ناصر وقال صح وثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابي بكر مقتديا في مرضه
الذي مات فيه ثلث مرات ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية وقيل
انه كان مرتين جمعا بين الاحاديث وبه جزم ابن حبان وروى الدارقطني من

طريق المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مات نبي حتى يؤمه
رجل من امته ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه لاثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر
قال الدولابي يوم الثلاثاء وقال السهيلي بعد الهجرة بعام او نحوه زيد في صلوة
العصر ركعتان وتركت صلوة الفجر لطول القراءة فيها وصلوة المغرب
لانها وتر النهار واقرت صلوة السفر وفي البخاري عن عايشة فرضت الصلوة ركعتين
ركعتين ثم هاجر عليه السلام الى المدينة ففرضت اربعا وتركت صلوة السفر
على الفريضة الاولى وقيل انما فرضت سرايا في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين
وهو قول ابن عباس قال رضي الله عنه فرض الله الصلوة على لسان نبيكم في
الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وغيره وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تع
في اول الصلوة من مقصد عبادات ... قال ابن اسحق وغيره ونصبت احبار يهود
العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وسحره لبيد بن الاعصم وهو من يهود
بني زريق فكان يخيل اليه انه يفعل الفعل وهو لا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاطة
ودفنه في بير ذي اروان واكثر اهل الحديث يقول ذروان تحت راعوفة البير
كما ثبت في الصحيح وليس هذا بقادح في النبوة فان الانبياء يبتلون في ابدانهم
بالجراحات والسموم والقتل وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم وانضاف
الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين ابايهم من الشرك و
التكذيب بالبعث الا انهم قهروا واظهروا الاسلام واتخذوه جنة من القتل و

و

ونافقوا في السر منهم عبد الله بن ابي بن سلول وكان راس المنافقين وهو
الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل كما سياتي ان شاء
في غزوة بني المصطلق واذن الله تعالى لرسوله عليه السلام قال الزهري اول
اية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصر
هم لقدير اخرجه النسايي باسناد صحيح قال في البحر والماذون فيه اي في الاية
محذوف اي في القتال لدلالة يقاتلون عليه وعلل الاذن بانهم ظلموا كانوا
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم
اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال بعد ما نهى عنه
في نيف وسبعين اية انتهى وقال غيره وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللايق
به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون اكثر عددا فلو امر المسلمون وهم قليلون
بقتال الباقين لشق عليهم فلما بغى المشركون واخرجوه عليه السلام من بين
اظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه اصحابه وقاموا
بنصره وصارت المدينة لهم دار اسلام ومعقلا يلجاون اليه شرع الله جهاد
الاعداء فبعث عليه الصلوة والسلام البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو واصحابه
حتى دخل الناس في دين الله افواجا وكان عدد مغازيه التي خرج فيها بنفسه
سبعا وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق و
قريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطايف وهذا على قول من قال فتحت مكة

عنوة وكانت السرايا التي بعث فيها سبعًا واربعين سرية وقيل انه قتل في بني
النضير وافاد في فتح الباري ان السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية
هي التي تخرج بالليل والسارية التي تخرج بالنهار قال وقيل سميت بذلك يعني السرية
لانها تخفي ذهابها وهذا يقتضي انها اخذت من السر ولا يصح لاختلاف المادة و
هي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه وهي من مائة الى خمسمائة فما زاد على
خمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة فان زاد على ثمانمائة تسمى جيشا فان زاد
على اربعة الاف سمي جحفلا والخميس الجيش العظيم وما افترق من السرية تسمى
بعثا والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر انتهى ملخصا وكان اول بعوثه صلى الله عليه وسلم
على راس سبعة اشهر في رمضان وقيل في ربيع الاول سنة اثنين وقيل بعد
ربيع الاخر بعث عمه حمزة وامره على ثلاثين رجلا من المهاجرين وقيل من الانصار
وفيه نظر لانه لم يبعث احدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا له ان يمنعوه
في دارهم فخرجوا يعترضون عيرا لقريش فيها ابو جهل اللعين فلقيه في ثلثمائة راكب
فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني
وكان عليه السلام قد عقد له لواء ابيض واللواء هو العلم الذي يحمل في
الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله صاحب الجيش وقد يدفعه
لمقدم العسكر وقد صرح جماعة من اهل اللغة بترادف اللواء والراية لكن روى
احمد والترمذي عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء

ولواء ابيض ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي عن ابي هريرة
وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وهو ظاهر في التغاير
فلعل التفرقة بينهما عرفية وذكر ابن اسحاق وكذا ابو الاسود عن عروة ان اول
ما حدثت الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية انتهى
ثم سرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ في شوال على راس ثمانية اشهر في ستين
رجلا وعقد له لواء ابيض حمله مسطح بن اثاثة يلقى ابا سفيان بن حرب وكان على المشركين
وقيل مكرز بن حفص وقيل عكرمة بن ابي جهل في مائتين ولم يكن بينهم قتال
على ان سعد بن وقاص رمى بسهم فكان اول سهم رمي في الاسلام قال ابن
اسحق فكانت راية عبيدة فيما بلغنا اول راية عقدت في الاسلام وبعض الناس
يقولون راية حمزة قال وانما اشكل امرهما لانه بعثهما معا فاشتبه ذلك
على الناس انتهى وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على راس سبعة اشهر لكن
يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا ثم تاخر خروج عبيدة الى
راس الثمانية لامر اقتضاه والله اعلم ثم سرية سعد بن ابي وقاص الى الخرار بخاء معجمة
وراءين مهملتين وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في القعدة على
راس تسعة اشهر وعقد له لواء ابيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلا
يعترض عيرا لقريش فخرجوا على اقدامهم فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد
مرت بالامس ثم غزوة ودان وهي الابواء وهي اول مغازيه كما ذكره ابن اسحق وفي

البخاري عنه اولها الابواء خرج صلى الله عليه وسلم في صفر على راس اثني عشر شهر
من مقدمه المدينة يريد قريشا في ستين رجلاً وحمل اللوا حمزة بن عبد المطلب
فكانت الموادعة اي المصالحة على ان بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعًا
ولا يعينون عدوًا واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وليس فيما وقع في سيرة
ابن اسحاق وبين ما نقله عنه البخاري اختلاف لان الابواء وودان مكانان متقاربان
بينهما ستة اميال او ثمانية ثم غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف
الواو واخره مهملة والثانية غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول
على راس ثلثة عشر من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوي بفتح الراء وسكون المعجمة
مقصور في مائتين يعترض عيرًا لقريش فيهم امية بن خلف الجمحي واستعمل على المدينة
السايب بن عثمان بن مظعون فرجع ولم يلق كيدًا اي حربًا قال ابن الاثير والكيد الا حتيال
والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدًا ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير اخره هاء
لم يختلف اهل المغازي في ذلك وفي البخاري العشيرة والعسيرة بالتصغير والاولى
بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء واما عسرة بالمهملة بغير تصغير فهي
غزوة تبوك وستاتي ان شاء الله تعالى ونسبت هذه الى المكان الذي وصلوا اليه وهو
موضع لبني مدلج بينبع وخرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادي الاولى
وقيل الاخري على راس سنة عشر من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل مائتين
رجل ومعهم ثلثون بعيرًا يعتقبونها وحمل اللوا وكان ابيض حمزة يريد عير قريش

التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت
ووادع بني مدلج من كنانة وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحق
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة فانهم
امنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصرة على رامهم ان لا يحاربوا
في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم لنصره اجابوه عليهم بذلك
ذمة الله وذمة رسوله قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابا سلمه بن
عبد الاسد غزوة بدر الاولى قال ابن اسحق ولما رجع عليه السلام من
غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي قال ابن حزم بعد العشيرة بعشرة ايام
حتى اغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم
في طلبه حتى بلغ سفوان بفتح المهملة والفاء وهو موضع من ناحية بدر
ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة
زيد بن حارثة وحمل اللواء علي ابي طالب رضي الله عنه ثم سرية امير المومنين
عبد الله بن جحش في رجب على راس سبعة عشر شهرًا وكان معه ثمانية
وقيل اثني عشر من المهاجرين الى نخلة على ليلة من مكة في رجب يترصد
قريشا فمرت به عيرهم تحمل زبيبًا وادمًا من الطايف فيها عمرو بن الحضرمي
فتشاور المسلمون وقالوا نحن في اخر يوم من رجب فان قاتلناهم
هتكنا حرمة الشهر وان تركناهم دخلوا حرم مكة فاجمعوا على قتلهم

فقتلوا عمروا واستاسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب
من هرب واستاقوا فكانت اول غنيمة في الاسلام فقسمها ابن جحش وعزل
الخمس في ذلك قبل ان يفرض ويقال بل قدموا بالغنيمة كلها فقال النبي صلى الله
ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام فاخر الاسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر
فقسمها مع غنايمها وتكلمت قريش ان محمدا سفك الدماء واخذ المال في
الشهر الحرام فانزل الله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية وفي
ذلك يقول عبد الله بن جحش

تعدون قتلا في الحرام عظيمة ... واعظم منه لو يرى ذاك راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما اوقد الحرب واقد

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الاسيرين
وهما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ففاداهما رسول الله صلى الله
فاما الحكم فاسلم وحسن اسلامه واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ثم حولت
القبلة الى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الى بيت المقدس بالمدينة سنة
عشر وقيل سبعة عشر وقيل ثمانية عشر شهرا وقال الحربي قدم عليه السلام
المدينة في ربيع الاول فصلى الى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة

اثنين ستة اشهر ثم حولت القبلة وقيل كان تحويلها في جمادى وقيل كان
يوم الثلاثاء في نصف شعبان وقيل يوم الاثنين نصف رجب وظاهر
حديث البراء في البخاري انها كانت في صلوة العصر ووقع عند النسائي
من رواية ابي سعيد بن المعلى انها الظهر واما اهل قبا فلم يبلغهم الخبر
الى صلوة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن ابن عمر انه قال بينما
الناس بقباء في صلوة الصبح اذ جاءهم ات فقال ان رسول الله صلى الله
قد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام
فاستداروا الى الكعبة وفي هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد
العلم به وان تقدم نزوله لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشا والله اعلم
وروى الطبري عن ابن عباس لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة
واليهود اكثر اهلها يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى ان يستقبل
بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله ع م
يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السما فنزلت الاية قال
في فتح الباري وظاهر حديث ابن عباس هذا ان استقبال بيت المقدس انما وقع
بعد الهجرة الى المدينة لكن اخرج احمد من وجه اخر عن ابن عباس كان النبي صلى الله
يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه قال والجمع بينهما ممكن بان
يكون امر لما هاجر ان يستمر على الصلوة لبيت المقدس واخرج الطبري ايضا

من طريق ابن جريج قال صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف
الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلث حجج ثم هاجر فصلى اليه بعد قدومه
المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة وقوله في حديث ابن عباس
الاول امره الله يرد قول من قال انه صلى الله الى بيت المقدس باجتهاد
وعن ابي العالية انه صلى الى بيت المقدس يتألف اهل الكتاب وهذا لا ينفي
ان يكون بتوقيف واختلفوا في المسجد الذي كان يصلي فيه فعند ابن سعد في
الطبقات انه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم امر ان يتوجه الى المسجد
الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ويقال انه عليه السلام زار ام بشر
بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وكانت الظهر فصلى عليه
السلام لاصحابه ركعتين ثم امر فاستدار الى الكعبة واستقبل الميزاب فسمي مسجد
القبلتين قال ابن سعد قال الواقدي هذا عندنا اثبت ولما حول الله تعالى
القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ
عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي ما لهؤلاء
تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله جوابهم في قوله قل لله المشرق و
المغرب اي الحكم والتصرف والامر كله لله فحيث ما وجهنا توجهنا فالطاعة
في امتثال امره ولو وجهنا كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه
وخدامه حيث ما وجهنا توجهنا ولله تعالى بنبينا عليه السلام وبامته

عناية عظيمة اذ هديهم الى قبلة خليله قال عليه السلام فيما رواه
من حديث عايشة ان اليهود لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم
الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها
وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام امين وقال بعض المؤمنين فكيف
صلوتنا التي صليناها نحو بيت المقدس وكيف من مات من اخواننا وهم
يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل
قال اليهود اشتاق الى بلد ابيه وهو يريد ان يرضي قومه ولو ثبت
على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي الذي ينتظر ان ياتي فانزل الله تعالى
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني ان اليهود
الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون
ان الله تعالى سيوجهك اليها بما في كتبهم عن انبيائهم ثم فرض صيام
شهر رمضان بعد ما حولت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان على راس
ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه السلام وزكاة الفطر قبل العيد بيومين
ان يخرج على الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر
او صاع من شعير او صاع من زبيب وصاع من بر وذلك قبل ان تفرض
زكوة الاموال وقيل ان الزكاة فرضت فيها وقيل قبل الهجرة والله اعلم
ثم غزوة بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهي قرية

مشهورة نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن
الحارث حافر بيرها وقيل بدر اسم للبئر التي بها سميت لاستدارتها
او لصفاء مائها ورويته البدر وقال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذي اعز
الله فيه الاسلام واهله ودفع فيه الشرك وخرب محله هذا مع قلة
عدد المسلمين وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة
الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزايد فاعز الله رسوله واظهر وحيه و
تنزيله وبيض وجه النبي عليه السلام وقبيلته واخزى الشيطان وجيله
ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة اي قليل عددكم لتعلموا ان النصر انما هو من عند الله
لا بكثرة العدد والعدد انتهى فقد كانت هذه الغزوة اعظم من غزوات
الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق على الافاق نوره و
من وقوعها اذل الله الكفار واعز من حضرها من المسلمين فهو عنده من
الابرار وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على راس
تسعة عشر شهرا ويقال لثمان خلون منه قاله ابن هشام واستخلف ابا لبابة
الانصاري وخرج معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان
عدة من خرج معه ثلثماية وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم
واجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلثة افراس بعزجة فرس المقداد

و

واليعسوب فرس الزبير وفرس لمرثد الغنوي لم يكن لهم يومئذ خيل غير هذه
وكان معهم سبعون بعيرا وكان المشركون الفا ويقال تسعماية وخمسون رجلا
معهم ماية فرس وسبعماية بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت
من رمضان وقيل يوم الاثنين وغير ذلك وكانت من غير قصد من المسلمين
اليها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي
الله امرا كان مفعولا وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير
قريش وذلك ان ابا سفيان كان بالشام في ثلثين راكبا منهم عمرو بن العاص
فاقبلوا في قافلة عظيمة فيها اموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال
وقلة العدو وقال هذه عير لقريش فيها اموال فاخرجوا اليها لعل الله ان
ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان بسيره عليه السلام استاجر ضمضم بن عمرو
الغفاري ان ياتي قريشا بمكة فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيره في
اصحابه فنهضوا في قرب من الف مقنع ولم يتخلف احد من اشراف قريش الا ابا
لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وخرج رسول الله صلى الله ع م
في اصحابه حتى بلغ الروحا فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم
واستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في طلب العير وحرب النفير وقال
ان الله وعدكم احدى الطايفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم

فقام ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو
فقال يا رسول الله امض الى ما امرك الله فنحن معك والله لانقول لك كما
قالت بنو اسرائل لموسي اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق
لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتي تبلغه
فقال عليه السلام خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه السلام ايها الناس
وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا
براء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا
نمنعك مما نمنع منه انفسنا وابناءنا ونساءنا فكان صلى الله عليه وسلم يتخوف
ان لا تكون الانصار تري عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه
وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه السلام
قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان نلقي عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند
اللقا ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر

عليه

عليه السلام بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله تعالى
وابشروا فان الله قد وعدني احدي الطايفتين والله لكاني الان انظر الى
مصادع القوم قال ثابت عن انس قال عليه السلام هذا مصرع فلان ويضع
يده على الارض ههنا وههنا قال فما ماط احدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه السلام
تنبيه قال قال ابن سيد الناس في عيون الاثر روينا من طريق مسلم ان الذي
قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ كذلك
رواه ابن اسحق وغيره واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره بن عقبة
ولا ابن اسحق في البدريين وذكره الواقدي والمدايني وابن الكلبي منهم
انتهى ثم ارتحل عليه الصلوة والسلام قريبا من بدر ونزول قريش بالعدوة
القصوى من الوادي ونزل المسلمون على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام و
حوافر الدواب واسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب
لانفسهم واصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم الظما
وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق
وفيكم نبي الله وانكم اوليا الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش
وتصلون محدثين مجنبين وما تنتظرون اعداءكم الا ان يقطع العطش رقابكم و
يذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي
فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضاؤا واوسقوا الركاب وملاؤا الاسقية

واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة
الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله تعالى ويزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به اي من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اى وسوسته
وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ فى الرمل بتلبيد
الارض وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه ثم خرج عتبه
بن ربيعة بين اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة
فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وامهما عفراء
وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا
من حاجة ثم نادي مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفانا من قومنا فقال صلى الله عليه
وسلم قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا دنوا منهم قالوا
من انتم فتسموا لهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة
بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة فقتل علي
الوليد هكذا ذكره ابن اسحق عند موسى بن عتبة كما نقله في فتح الباري
برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد
وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة
فى ركبة عبيدة ومال حمزة علي وعلي الذي بارز عبيدة فاعاناه على قتله وعند
الحاكم من طريق عبد خير عن علي مثل قول موسى بن عقبة وعند ابي الاسود

عن

عن عروة مثله واورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني ان شيبة لحمزة
وعبيدة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة واخرج ابو
داود عن علي قال تقدم عتبة وتبعه ابنه واخوه فنادي من سارر فانتدب له
شبان من الانصار فقال من انتم فاخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما اردنا
بني عمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة
فاقبل حمزة الى عتبة واقبلت الى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان
فاثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلنا واحتملنا عبيدة
قال الحافظ بن حجر وهذا اصح الروايات لكن الذي فى السير من ان الذي بارزه
علي هو المشهور وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة
بخلاف علي والوليد فكانا شابين وقد روى الطبراني باسناد حسن عن علي
قال اعنت انا وحمزة عبيدة بن الحارث فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا
ذلك وهذا موافق لرواية ابي داود والله اعلم انتهى قال ابن اسحق ثم تزاحف
الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش
ومعه ابو بكر ليس معه غيره وهو قوله عليه السلام يناشد ربه ما وعده
من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الايمان اليوم فلا
تعبد فى الارض ابدا وابو بكر يقول يا رسول الله خل مناشدتك ربك فان الله
منجز لك ما وعدك وعند سعيد بن منصور من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن عينه فقال عليه السلام وهو فى صلوته اللهم لا تخذلنى اللهم انشدك ما وعدتنى وروى النسائى والحاكم عن على قال قاتلت يوم بدر شيئا من قتال ثم جئت فاذا رسول الله صلى الله يقول فى سجوده يا حى يا قيوم فرجعت فقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر فى العريش مع الصديق اخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر فان قلت كيف جعل ابو بكر يامره بالكف عن الاجتهاد فى الدعاء ويقوى رجاه ويثبته ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل احد اجاب السهيلى بان الصديق فى تلك الساعة كان يشاء فخاف ان لا يعبد الله فى الارض فخوف ذلك عبادة انتهى وقال الخطابى لا يتوهم احد ان ابا بكر كان اوثق لربه من النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة بل الحامل للنبى صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على اصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ فى التوجه والدعا والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون ان وسيلته مستجابة فلما قال له ابو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم انه استجيب له لما وجد ابو بكر فى نفسه من القوة والطمانينة فلهذا اعقبه بقوله سيهزم الجمع

وكان للنبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة فى مقام الخوف وهو اكمل حالات الصلوة وجاز عنده ان لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا هذا هو الذى يظهر وانما قال عليه السلام اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلا تعبد بعد اليوم لانه علم انه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لا يبعث احد ممن يدعوا الى الايمان واما شدة اجتهاده عليه السلام ونصبه فى الدعا فانه راى الملائكة تنصب فى القتال وجبريل على ثناه الغبار وانصار الله يخوضون غمرات الموت والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعا ومن سنة الامام ان يكون وراء الجند لا يقاتل معه فكان الكل فى جد واجتهاد ولم يكن ليريح نفسه من احد الجدين والجهادين وانصار الله وملائكته يجتهدون ولا ليوثر الدعة وحزب الله مع اعدايه يجتلدون انتهى وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثماية وبضع عشرة رجلا دخل العريش فاستقبل القبلة ومد يده وجعل يهتف بربه اللهم انجز لى ما وعدتنى فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون

ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم مرسل اليكم مددًا لكم بالف من الملائكة مردفين
متتابعين بعضهم فى اثر بعض وعلى قراءة فتح الدال معناه اردف الله
المسلمين وجاءهم بهم مددًا وفى الاية الاخرى بثلاثة الاف من الملائكة
منزلين فقيل فى معناه ان الالف ارداف فهم ثلاثة الاف فكان الاكثر مددًا
للاقل وكان الالف مردفين لمن وراءهم والالف هم الذين قاتلوا مع الذين
المؤمنين وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين امنوا وكانوا فى صور الرجال
ويقولون للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم وقال الربيع
بن انس امد المسلمين بالف ثم صار ثلثة الاف ثم صار خمسة
الاف وقال سعيد بن ابى عروبة عن قتادة امد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة
الاف وعن عامر الشعبى ان المسلمين بلغهم يوم بدر ان كرز بن جابر يمد
المشركين فشق عليه فانزل الله الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من
الملائكة منزلين الى قوله مسومين قال فبلغت كرز الهزيمة فلم يمد المشركين
ولم يمد المسلمون بالخمسة وعن ابن عباس جاء ابليس يوم بدر فى جند من
الشياطين معه رايته فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان
للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اقبل
جبرئيل والملائكة كانت يده فى يد رجل من المشركين فانتزع يده ثم نكص
على عقبيه فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال انى ارى ما لا ترون

انى اخاف الله والله شديد العقاب روى ان جبرئيل نزل فى خمسماية فى
وميكائيل فى خمسماية فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى
رؤسهم عمايم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم وقال ابن عباس كانت
سيما الملائكة يوم بدر عمايم بيض ويوم حنين عمايم خضر وعن على كان
سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض وكان سيماهم ايضًا فى نواصى خيلهم
رواه ابى حاتم وروى ابن مردويه عن ابن عباس يرفعه فى قوله تعالى مسومين
قال معلمين وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمايم سود ويوم حنين عمايم حمر
وروى ابن ابى حاتم عن الزبير ان الملائكة نزلت وعليهم عمايم صفر قيل ولم تقاتل
الملائكة سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددًا ومددًا وبذلك
صرح العماد بن كثير فى تفسيره فقال المعروف من قتال الملائكة انما كان يوم بدر
ثم روى عن ابن عباس قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وقال ابن مرزوق
ولم تكن مقاتلة فى غيرها بل يحضر ونخاصة على المختار من الاقوال عند بعضهم
وفى نهاية البيان فى تفسير القران عند تفسير قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت
الملائكة يومئذ ام لا فيه قولان احدهما وهو قول الجمهور انها لم تقاتل انتهى وهنا
يرده حديث مسلم فى صحيحه عن سعد بن ابى وقاص انه راى عن يمين رسول الله عم
وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعنى
جبرئيل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان كاشد القتال قال النووى فيه بيان اكرامه

صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل معه وبيان ان قتالهم لم يختص
بيوم بدر قال وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في
الرد عليه قال وفيه ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبيا بل تراهم الصحابة و
والاولياء انتهى قال ابن الانباري وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميون
فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق اي الرؤس واضربوا منهم
كل بنان قال ابن عطية كل مفصل قال السهيلي جاء في التفسير انه ما وقعت
ضربة يوم بدر الا في رأس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم
باثار سود في الاعناق والبنان وعن ابن عباس قال حدثني رجل من بني غفار
قال اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننظر
الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب فبينا نحن في الجبل اذ دنت سحابة فيها
حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه
فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت رواه البيهقي وابو نعيم والدبرة
بسكون الموحدة الهزيمة في القتال وحيزوم اسم فرس جبريل قاله في القاموس
وروى ابو امامة عن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا
ليشير بسيفه الى المشرك فتقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف رواه
الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم قال الشيخ تقي الدين السبكي سئلت عن الحكمة
في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على ان يدفع الكفار

بريشة من جناحه فقلت ذلك لارادة ان يكون الفعل للنبي عليه السلام
واصحابه وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب
التي اجراها الله تعالى في عباده والله فاعل الجميع انتهى ولما التقى الجمعان
تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء
فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم وقال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلث حصيات فرمى بحصاة
في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت
الوجوه فانهزموا وقد روي عن غير واحد ان هذه الاية نزلت في رميه
عليه السلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا كما سياتي
ان شاء الله تعالى وقد اعتقد جماعة ان المراد بالاية سلب فعل رسول الله
عنه واضافته الى الرب تعالى وجعلوا ذلك اصلا في الجبر وابطال
نسبة الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده وهذا غلط
منهم في فهم القران فلو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت
ولا صمت اذ صمت ولا فعلت كل ذلك فان طردوا ذلك لزمهم في افعال العباد
وطاعتهم ومعاصيهم اذ لا فرق وان حصروه بالرسول وحده وافعاله

جميعها او رميه واحدة ناقصنوا فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما اريد بالاية ومعلوم
ان تلك الرمية من البشر لاتبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدا
الرمي وهو الحذف ومن الرب نهايته وهو الايصال فاضاف اليه رمي الحذف
الذي مبداه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظر هنا في الاية
نفسها قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى فاخبره انه تعالى وحده هو الذي تفرد بايصال الحصبا الى اعينهم
ولم يكن برسوله ولكن وجه الاشارة بالاية انه سبحانه اقام اسبابا تظهر للناس
فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا اليه وبه وهو خير الناصرين
قال ابن اسحق وقاتل وعكاشة بن محصن الاسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع
في يده فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال
له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة
فقاتل به حتى الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل
يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده
وجاءه عليه السلام يومئذ فيما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب معاذ
بن عمرو ويحمل يده ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة فبصق عليه السلام
فلصقت قال ابن اسحق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان وعن عروة بن
الزبير عن عايشة امر صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا في القليب فطرحوا فيها

الا

الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملاها فالقوا عليه ما
غيبه من التراب والحجارة وانما القوا في القليب ولم يدفنوا لانه عليه السلام
كره ان تشق اصحابه لكثرة جيف الكفار ان يامرهم بدفنهم فكان جرهم
الى القليب ايسر عليهم وفي الطبراني عن انس بن مالك قال انشاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن اهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان
ان شاء الله تعالى قال عمر فو الذي بعثه بالحق ما اخطاء الحدود التي حدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان ابن فلان
ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني
وجدت ما وعدني الله حقا وفي رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا
شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام وفي بعضه
نظر لان امية بن خلف لم يكن في القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ
فالقوا عليه من الحجارة والتراب واغيبه لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا
من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسايهم وقال ابن اسحق
حدثني بعض اهل العلم انه عليه السلام قال يا اهل القليب بيس العشيرة كنتم
كذبتموني وصدقني الناس فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كيف تكلم اما ما
لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون
ان يردوا شيئا وتاولت عايشة ذلك فقالت انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم

انهم الان ليعلمون ان الذي اقول الحق ثم قرات انك لا تسمع الموتى الاية فقولها
يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا لقوله انهم الان ليعلمون وقال قتادة
احياهم الله تعالى توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وفيه رد على من انكر انهم
يسمعون كما روي عن عايشة رضى الله عنها ومن الغريب ان في المغازي
لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد جيد عن عايشه حديثا وفيه ما انتم
باسمع لما اقول منهم واخرجه الامام احمد باسناد حسن فان كان محفوظا
فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها في رواية هذه الصحابة لكونها
لم تشهد القصة وقال الاسماعلي كان عند عايشة من الفهم والذكاء و
كثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل
الى رد رواية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالته
فكيف والجمع بين الذي انكرته واثبته غيرها ممكن لان قوله تعالى انك لا
تسمع الموتى لا ينافي قوله عليه السلام انهم الان ليسمعون لان الاسماع
هو ابلاغ الصوت من المسمع في اذن السامع فالله تعالى هو الذي اسمعهم
بان ابلغهم صوت النبي عم بذلك واما جوابها بانه انما قال انهم ليعلمون فان
كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها وقال السهيلي ما محصله
ان في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك لنبيه عم لقول الصحابة
اتخاطب قوما قد جيفوا فاجابهم بما اجابهم قال واذا جاز ان يكونوا

على

على تلك الحالة عالمين جاز ان يكونوا سامعين وذلك اما باذان روسهم
اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد والى بعضه عند المسئلة وهو قول
اهل السنة واما باذان القلب والروح على مذهب من يقول بتوجه
السوال الى الروح من غير رجوع الى الجسد او الى بعضه قال وقد روى
عن عايشة انها احتجت بقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور ان انت
الا نذير وهذه الاية كقوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي ان
الله هو يهدي ويوفق ويوصل الموعظة الى اذان القلوب لا انت وجعل
الكفار امواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو الذي
يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا نبيه احد فاذا لا تعلق بالاية
من وجهين احدهما انها انما نزلت في دعا الكفار الى الايمان الثاني انه انما
نفى عن نبيه ان يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا
هو يفعل ما يشا وهو على كل شيء قدير انتهى ولقد احسن العلامة بن جابر حيث قال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله	كواكب في افق الكواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه	فلم تغن اعداد العدو المخذل
رمى بالحصا في اوجه القوم رمية	فشردهم مثل النعائم الجفل
وجادلهم بالشرفي فسلموا	فجادله بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع	حديثهم في ذلك اليوم من علي

هم عتبوا بالسيف عتبة اذ عدا … فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت … اليه العوالي بالخضاب المعجل
وجال ابو جهل فحقق جهله … غداة تردى بالردى عن تذلل
فاضحى قليبا في القليب وقومه … يؤمون فيها الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخا … ففتح من اسماعهم كل مقفل
واخبر ما انتم باسمع منهم … ولكنهم لا يهتدون لمقول
سلاء عنهم يوم السلاء اذ تضاحكوا … فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل
الم يعلموا علم اليقين بصدقه … ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجأ … وحبك ذخري في الحشا وموئلي
عليك صلاة تشمل الال عرفها … واصحابك الاخيار اهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق ان ابن عمر رضي الله عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضي الله عنهما فلا ادري اعرف اسمي ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ ببدر ورواه الطبراني في الاوسط قال ومن ايات بدر الباقية ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون

ان

ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت ذلك وربما تاولته بان الموضع لعله صلب فيستجيب فيه حوافر الدواب فكان يقال لي انه دهس رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال قال ثم لما من علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت اسمع فما راعني وانا اسير في الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول اتسمعون الطبل فاخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت اخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به فشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي وحدث مثل هذا الصوت وانا حريص على طلب التحقيق لهذه الاية العظيمة فالقيت العود من يدي وجدت مثل هذا الصوت وجلست الى الارض او ثبت قائما وفعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا او صوتا لا اشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا ببدر فظللت اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة قال ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى وروى الطبراني من حديث ابي اليسر انه اسر العباس وقيل للعباس وكان جسيما كيف اسرك ابو اليسر

وهو ذميم ولو شئت لجعلته فى كفك فقال ما هوا لا ان لقيته فظهر فى عينى
كالخندمة وهي بالخاء المعجمة جبل من جبال مكة قاله فى القاموس ولما ولى
عمر بن الخطاب وثاق الاسرى شد وثاق العباس فسمعه النبى صلى الله عليه
وسلم وهو يئن فلم ياخذه النوم فبلغ الانصار ففهموا رضي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بفك وثاقه وسالوا ان يتركوا له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم
وفى حديث انس عند الامام احمد استشار عليه السلام الناس فى الاسارى
يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله
اضرب اعناقهم فاعرض عنه عم ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها
الناس ان الله قد امكنكم منهم فقال عمر يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض
عنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثلثا فقام ابو بكر الصديق فقال يا رسول
الله ان تعفو عنهم وان تقبل منهم الفداء فذهب من وجه رسول الله صلى الله عم
ما كان فيه من الغم فعفى وقبل منهم الفداء قال وانزل الله تعالى لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الآية
وياتى الكلام عليها فى النوع العاشر فى ازالة الشبهات عن الايات المشكلات
من المقصد السادس ان شاء الله تعالى واخرج ابن اسحق من حديث بن عباس انه عم
قال يا عباس افد نفسك وابن اخيك عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث
وحليفك عتبة بن عمر قال انى كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى قال الله

اعلم

اعلم بما تقول ان يك ما تقول حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك انك
كنت علينا وذكر موسى بن عقبة ان فداهم كان اربعين اوقية ذهبا
وعند ابى نعيم فى الدلائل باسناد حسن من حديث ابن عباس انه جعل على
الناس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس للقرابة صنعت
هذا فانزل الله تعالى يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسارى الاية فقال
العباس وددت لو كنت اخذت منى اضعافها لقوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين
وثمانية من الانصار ستة من الخزرج واثنان من الاوس تنبيه لا يقدح
فى وعد الله ان استشهد هؤلاء الصحابة وانما هذا الوعد لقوله تعالى قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا فكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنين
ناجزا والحمد لله وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون وكان من
افضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد
المطلب وكل اسلم وكان العباس فيما قاله اهل العلم بالتاريخ قد اسلم قديما و
كان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم
من لقى العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة
وقيل انه اسلم يوم بدر فاستقبل النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء

وكان معه حين فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقيل اسلم قبل فتح خيبر وقيل كان
يكتم اسلامه واظهره يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر وكان يكتب باخبار
المشركين الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكتب اليه ان مقامك بمكة خير لك وقيل ان سبب اسلامه
انه خرج لبدر بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه
في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فداه
فابى وقال اما شي خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس تركتني
اتكفف قريشا فقال له عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل
وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني ربي فقال
اشهد انك صادق فان هذا لم يطلع عليه الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله
وانك عبده ورسوله ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر في اخر رمضان
واول يوم من شوال بعث زيد بن حارثه بشيرا فوصل المدينة ضحى وقد
نفضوا ايديهم من تراب رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو
الصحيح في وفات رقية وقد روي انه عليه السلام شهد دفن بنته رقية
فقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال ايكم لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا
فامره ان ينزل لها قبرها وانكر البخاري هذه الرواية وخرج الحديث في الصحيح
فقال فيه عن انس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر

الحديث

الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر الطبراني انها ام كلثوم فحصل في حديث
الطبراني التبيين ومن قال كانت رقية فقد وهم وكان عثمان رضي الله عنه قد
تخلف لاجل رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره
وامر صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر
بن الخطاب بقتل عقبة بن ابي معيط فقتله صبرا ثم اقبل عليه قافلا الى المدينة
معه الاساري من المشركين واحتمل النفل الذي اصيب منهم وجعل عليه عبد الله
بن كعب من بني مازن فلما خرج من مضيق الصفرا اقسم النفل بين المسلمين على السواء
وامر عليا بالصفراء بقتل النضر بن الحارث ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى
قدم المدينة قبل الاساري بيوم فلما قدموا فرقهم بين اصحابه وقال استوصوا
بهم خيرا وقد استقر الحكم في الاساري عند الجمهور من العلماء ان الامام مخير
فيهم بان شاء فادي قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وان شاء
فادي بمال كما فعل باساري بدر وان شاء استرق من اسر هذا مذهب
الشافعي وطايفة من العلما وفي المسئلة خلاف اخر مقرر في كتب الفقه والله
اعلم ولما قدم ابو سفيان بن الحارث من بدر لمكة ساله ابو لهب من خبر قريش
فقال ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا
كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين
السما والارض والله لا يقوم لها شي قال ابو رافع مولى رسول الله وكان غلاما

وللعباس بن عبد المطلب قال وكان الاسلام قد دخلنا ففلت له والله تلك الملائكة
فرفع ابولهب يده فضربني في وجهي ضربة فقامت ام الفضل الى عمود فضربت
في راس ابي لهب وقالت استضعفته ان غاب عنه سيده قال فوالله ما عاش
الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها
وقيل انها تعدى اشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله وبقي بعد
موته ثلثا لا تقرب جنازته ويحاول دفنه فلما خافوا السبة في تركه حفروا
له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال
ابن عقبة اقام النوح على قتلى قريش شهرا ثم سيرة عمير بن عدي الخطمي
وكانت لخمس ليال بقين من رمضان على راس تسعة عشر شهرا من الهجرة
الى عصما بنت مروان زوج يزيد بن زيد الخطمي وكانت تعيب الاسلام وتؤذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها ليلا وكان اعمى فدخل عليها بيتها و
حولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عنها ووضع سيفه
على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله عليه وسلم
بالمدينة واخبره بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يعارض فيها معارض
ولا يسال عنها فانها هدر قالوا وهذا من الكلام المفرد الموجز البليغ الذي لم يسبق
اليه عليه السلام وسياتي لذلك نظائر ان شاء الله تعالى وفي اول صلى صلوة الفطر
وفي اول شوال ايضا وقيل بعد بدر بسبعة ايام وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث

خرج

خرج عليه السلام يريد بني سليم فبلغ ماء يقال له الكدرة وتعرف بغزوة
قرقرة وهي ارض ملسا والكدر طير في الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع
فاقام عليه السلام ثلاثا وقيل عشرا فلم يلق احدا وكانت غيبته عليه السلام
خمسة عشر ليلة واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل ابن مكتوم
وحمل اللواء علي ابي طالب وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق ثم سرية سالم بن
عمير الى ابي عفك اليهودي وكان شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة
وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فاقبل اليه سالم
ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش فصاح عدو الله
ابو عفك فثار اليه ناس ممن هو على قوله فادخلوه منزله فقتل وكان هذه
السرية في شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ثم غزوة بني قينقاع بتثليث النون
والضم اشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت يوم السبت
نصف شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع
النبي صلى الله عليه وسلم على ثلثة اقسام قسم وادعهم عليه السلام على
ان لا يحاربوه ولا يؤلبوا عدوه وهم طوايف اليهود الثلاثة قريظة والنضير
وبني قينقاع وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه وانتظروا
ما يؤول اليه امره كطوايف العرب فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة
وبالعكس كبني بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون

وكان

وكان اول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم عليه الصلوة
والسلام في شوال بعد وقعة بدر قال الواقدي بشهر واغرب الحاكم فزعم
ان اجلاء بنى قينقاع واجلاء النضير كان في زمن واحد ولم يوافق على ذلك
لان اجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة اشهر على قول عروة او بعد ذلك
بمدة طويلة على قول ابن اسحق وكان من امر بنى قينقاع ان امراة من العرب
جلست على صايغ يهودي فراودها على كشف وجهها فابت فعمد الى طرف ثوبها
فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوتها فضحكوا منها فصاحت فوثب
رجل من المسلمين على الصايغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ووقع
الشر بين المسلمين وبين بنى قينقاع فسار اليهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان
استخلف ابا لبابة بن عبد المنذر فحاصرهم اشد الحصار خمسة عشر ليلة الى هلال
ذى القعدة وكان اللواء في بيد حمزة بن عبد المطلب وكان ابيض فقذف الله في
قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان له اموالهم
وان لهم النسا والذرية فامر عليه السلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم وكلم عبد الله
بن ابى بن سلول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم والح عليه من اجلهم فامر
عليه السلام ان يجلوا وتركهم من القتل وامر بان يجلوا من المدينة فلحقوا باذ
فما كان اقل بقاهم فيها واخذ من حصنهم سلاحا والة كثيرة وكانت بنو قينقاع
حلفا لعبد الله بن ابى عبادة بن الصامت فتبرا عبادة من حلفهم فقال يا رسول الله

ابتراء الى الله والى رسوله والمومنين وابراء من حلف الكفار وولايتهم
ففيه وفي عبد الله انزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري اوليا
بعضهم اولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون ثم غزوة السويق
في ذي الحجة يوم احد بخمس خلون منها على راس اثنين وعشرين شهرا من
الهجرة وقال ابن اسحق في صفر وسميت غزوة السويق لانه كان اكثر زاد
المشركين وغنمه المسلمون واستخلف ابا لبابة وكان سبب هذه الغزوة ان ابا
سفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر ان لا يمس النسا والدهن حتى يغزو
محمدا عليه السلام وخرج في مايتي راكب من قريش ليبين يمينه حتى العريض
ناحية من المدينة على ثلاثة اميال فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الانصار فراى
ابو سفيان ان قد انحلت يمينه فانصرف بقومه راجعين وخرج عليه السلام
في طلبهم في مائتين من المهاجرين والانصار وجعل ابو سفيان واصحابه
يلقون جرب السويق وهي عامة ازوادهم يتخففون للهرب فياخذها المسلمون
ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام وكانت غيبته خمسة ايام وفي ذي
الحجة صلى الله عليه وسلم العيد وامر بالاضحية وفيه مات عثمان بن مظعون
وفي شوال ولد عبد الله بن الزبير وفي هذه السنة تزوج على بفاطمة رضي الله
عنها كما قاله الحافظ مغلطاى وغيره وقال الطبرى في كتابه ذخاير العقبى
في مناقب ذوي القربى وتزوجها في صفر في السنة الثانية وبنى بها في

في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا من التاريخ وقال ابو عمر
بعد وقعة احد وقال غيره بعد بنائه صلى الله عليه وسلم بعايشة باربعة
اشهر وبنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف وتزوجها وهي ابنة خمسة
عشرة سنة وخمسة اشهر او ستة ونصفا وسنه يومئذ احدى وعشرين
سنة وخمسة اشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وعن انس قال جاء ابو بكر
ثم عمر يخطبان فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع
اليهما شيئا فانطلقا الى علي يامرانه بطلب ذلك وقال فنبهاني لامر فقمت
اجر ردائي حتى اتيت النبي صلى الله عليه فقلت تزوجني فاطمة قال وعندك
شيء قلت فرسي وبدني قال اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها
فبعتها باربع مائة وثمانين فجئته بها فوضعها في حجره فقبض منها
قبضة فقال اي بلال ابتع لنا بها طيبا وامرهم ان يجهزوها فجعل لها سرير
مشرط ووسادة من ادم حشوها ليف وقال لعلي اذا اتتك فلا تحدث
شيئا حتى اتيك فجاءت مع ام ايمن حتى قعدت في جانب البيت
وانا في جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ها هنا اخي قالت
ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل لفاطمة ايتيني بماء فقامت
الى قعب في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت
فنضح بين يديها وعلى راسها وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان

الرجيم

الرجيم ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل بعلي ثم
قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة اخرجه ابو حاتم واحمد في المناقب
بنحوه وفي حديث انس عند ابي الخير القزويني الحاكمي خطبنا علي بعد ان خطبها
ابو بكر ثم عمر فقال عليه السلام قد امرني ربي بذلك قال انس ثم دعاني
عليه السلام بعد ايام فقال لي يا انس ادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وعبد
الرحمن وعدة من الانصار فلما اجتمعوا واخذوا مجالسهم وكان علي غايبا فقال
صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع لسلطانه
المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمايه وارضه الذي خلق الخلق
بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عم
ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وامرا
مفترضا اوشج به الارحام والزمها الانام فقال عز من قايل وهو الذي خلق
من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله تعالى يجري
الى قضايه وقضاوه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر اجل و
لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل
امرني ان ازوج فاطمة من علي بن ابي طالب فاشهدوا واني قد زوجته على اربعمائة
مثقال فضة ان رضي بذلك علي ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر
ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه

ثم قال ان الله عز وجل امرني ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ان رضيت
بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله فقال عليه السلام جمع الله شملكما
واعز جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد
اخرج الله منهما الكثير الطيب والعقد لعلي وهو غايب محمول على انه كان
له وكيل حاضرا وعلى انه لم يرد العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر
او على تخصيصه بذلك جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول
على الفور واخرج الدولابي عن اسما قالت لقد اولم علي على فاطمة فما كان
كان وليمة في ذلك الزمان افضل من وليمته رهن درعه عند يهودي بشطر
شعير وكانت وليمته آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس التمر والاقط واخرج
احمد في المناقب عن علي كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من ادم حشو
ها ليف ثم سرية محمد بن سلمة واربعة معه الى كعب بن الاشرف اليهودي لاربع
عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وروى
ابو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن وهب
بن مالك عن ابيه ان كعب بن الاشرف كان شاعرا يهجو رسول الله ويحرض
عليه كفار قريش وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها
اخلاط فاراد استصلاحهم وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين
اشد الاذى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر فلما ابى كعب بن

الاشرف ان ينزع عن اذاه امر رسول الله ع م سعد بن معاذ ان يبعث رهطا
ليقتلوه وفي رواية قال عليه السلام من لنا بابن الاشرف وفي اخرى من
لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد
خرج الى قريش فجمعهم الى قتالنا وقد اخبرني الله بذلك ثم قرا على المسلمين
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت و
يقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم
الله وفي الاكليل فقد اذانا بشعره وقوى المشركين وفي رواية ابن اسحق فقال
محمد بن سلمة اخو بني عبد الاشهل انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل
ان قدرت على ذلك قال يا رسول الله انه لا بد لنا ان نقول قال قولوا ما بدا لكم
فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن سلمة وابو نايلة بنون وبعد الالف
تحتانية سلكان بن سلامة وكان اخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر والحارث
بن اوس بن معاذ وابو عيس بن جبير وهؤلاء الخمسة من الاوس وفي رواية ابن
سعد فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلي
فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف ان قتلوه ثم انتهوا اليه فقال افلحت الوجوه قالوا
ووجهك يا رسول الله ورموا راسه بين يديه فحمد الله على قتله وفي كتاب
شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعبا حملوا راسه في مخلاة الى المدينة فقيل انه
اول راس حمل في الاسلام واصاب ذباب السيف الحارث بن اوس فخرج

ونزف الدم فتفل عليه السلام على جرحه فلم توذه بعد غزوة غطفان وهي
غزوة ذي امر بفتح الهمزة والميم وسماها الحاكم غزوة انمار وهي بناحية
نجد وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الاول على راس خمس وعشرين
شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة
جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي وسماه الخطيب غورث وغيره غورك
وكان شجاعا فندب صلى الله عليه وسلم المسلمين وخرج في اربعماية وخمسين فارسا
واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه وسلم هربوا
روس الجبال فاصابوا رجلا منهم يقال له حبان من بني ثعلبة فادخل على رسول الله
فدعاه الى الاسلام فاسلم وضمه الى بلال واصاب النبي صلى الله عليه وسلم
مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجر ليجفا واضطجع تحتها فقالوا لدعثور قد انفرد محمد
فعليك به فاقبل ومعه سيف حتى قام على راسه ثم فقال من يمنعك مني
اليوم فقال صلى الله عليه وسلم فدفع جبريل في صدره فوقع السيف
من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال من منعك مني قال لا احد وانا
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم اتى قومه فدعاهم الى الاسلام وانزل
الله يا ايها الذين امنوا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية
ويقال كان ذلك في ذات الرقاع ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت
غيبته احدى عشرة ليلة غزوة بحران ويسمى غزوة بني سليم من ناحية الفرع

بفتح

بفتح الفاء والراء كما قيده السهيلي وسببها انه بلغه عليه السلام ان بها جمعا
كثيرا من بني سليم فخرج في ثلثماية رجل من اصحابه فوجدهم قد تفرقوا في مياههم
فرجع ولم يلق كيدا وكان قد استعمل على المدينة ابن ام مكتوم كما قاله ابن هشام
وكانت غيبته عشر ليال سرية زيد بن حارثة الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون
الراء وقيل بالفاء وكسر الراء كما ضبطه ابن الفرات اسم ماء من مياه نجد وسببها
كما قاله ابن اسحق ان قريشا خافوا من طريقهم التي يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة
بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفيان بن حرب و
معهم فضة كثيرة وعند ابن سعد بعثه صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى
الاخرة على راس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة في ماية راكب يعترض عيرا لقريش
فيها صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كبير وانية فضة
فاصابوها وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسها فبلغ
الخمس قيمته عشرين الف درهم وعند مغلطاي خمس وعشرين الف درهم
وذكرها ابن اسحق قبل قتل ابن الاشرف غزوة احد وهو جبل مشهور بالمدينة على
اقل من فرسخ منها وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هناك ويقال
له ذو عينين قال في القاموس بكسر العين وبفتحها مثنى جبل باحد انتهى وهو
الذي قال فيه عليه السلام احد جبل يحبنا ونحبه قيل وفيه قبر هرون اخي موسى
عليهما السلام وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلث بالاتفاق

يوم السبت لاحد عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل
في نصفه وعن مالك بعد بدر بسنة وعنه ايضا كانت على احدي وثلثين
شهرا من الهجرة وكان سببها كما ذكره ابن اسحق عن شيوخه وموسى بن عقبة
عن ابن شهاب وابو الاسود عن عروة وابن سعد قالوا ومن قال منهم ما
حاصله ان قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة وقد اصيب اصحاب القليب وخرج
ابو سفيان بعيره قال عبد الله بن ابي ربيعه وعكرمة بن ابي جهل في جماعه ممن
اصيب اباؤهم واخوانهم وابناؤهم يوم بدر يا معشر قريش ان محمدا
قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير ابي سفيان
ومن كانت له في تلك العير تجارة لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا لذلك
فباعوها وكانت الف بعير والمال خمسين الف دينار وفيهم كما قال ابن
اسحق وغيره انزل الله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون واجتمعت قريش لحرب رسول
وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبرهم وسار بهم ابو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل
المدينة وكان رجال من المسلمين اسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وراي
صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا فلما اصبح قال اني والله قد رايت
خيرا رايت بقرا تذبح ورايت في ذباب سيفي ثلما ورايت اني ادخلت

يدي في درع حصينة فاما البقر فناس من اصحابي يقتلون واما الثلم الذي
رايت في سيفي فهو رجل من اهل بيتي يقتل وقال ابن عقبة ويقول رجال كان الذي
بسيفه ما قد اصاب وجهه فان العدو اصاب وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم
يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته وفي رواية قال عليه السلام و
اولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم الازقة قاتلناهم و
ورموا من فوق البيوت فقال اولئك القوم يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم
اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم فصلى عليه الصلوة والسلام بالناس
الجمعة ثم وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصر ما صبروا
وامرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا
وحضر اهل العوالي ثم دخل عليه السلام بيته ومعه صاحباه ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما فعمماه ولبساه وصف الناس ينتظرون خروجه عليه فقال لهم
سعد بن معاذ واسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الخروج فردوا الامر اليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي
بالهمزة الدرع وقد يترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه فندموا جميعا على
ما صنعوا فقالوا ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال ما ينبغي لنبي اذا
لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وفي حديث ابن عباس عند
احمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم عن حديث ابن اسحق وفيه اشارة النبي

عليه السلام اليهم لا يبرحوا من المدينة وأيثارهم الخروج لطلب الشهادة
ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي
لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رأيتاني في درع حصينته الحديث
وعقد عليه السلام ثلاثة الوية لواء سدا سيد بن الحضير ولواء للمهاجرين
بيد علي بن ابي الطالب وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر
وقيل بيد سعد بن عبادة وفي المسلمين ماية دراع وخرج السعدان امامه يعدوان
سعد بن معاد وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوب
وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة وادلج عليه السلام في السحر وكان قد رد جماعة
من المسلمين لصغرهم منهم اسامة وابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري
والنعمان بن بشر قال مغلطاي وفيه نظر وكان المسلمون الف رجل ويقال تسعماية
والمشركون ثلاثة الاف رجل فيهم سبعماية دارع ومايتا فرس وثلثة الاف
بعير وخمس عشرة امراة ونزل عليه السلام باحد ورجع عنه عبد الله ابن ابي
في ثلثماية ممن تبعه من قومه من اهل النفاق ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
امرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط ويقال باحد ثم صف المسلمون
باصل احد وصف المشركون بالسبخة قال بن عقبة وكان على ميمنة خيل المشركين
خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن ابي جهل وجعل صلى الله عليه وسلم
عن الرماة وهم خمسون رجلا عبد الله جبير قال ان رايتمونا تخطفنا الطير

فلا

فلا تبرحوا حتى مكانكم هنا حتى ارسل اليكم كذا في البخاري من حديث البراء وفي حديث
ابن عباس عند احمد والطبراني والحاكم انه صلى الله عليه وسلم اقامهم في موضع
ثم قال احموا ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا
قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ هذا السيف بحقه فقام
اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك فقال وما حقه يا رسول الله
قال ان تضرب به وجه العدو حتى ينحني قال انا اخذه بحقه يا رسول الله فاعطاه
اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما راه مر يتبختر قال انها المشية يبغضها
الله الا في مثل هذا الموطن قال الزبير بن العوام فيما قاله بن هشام فقلت والله
لانظرن ما يصنع ابو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء فعصب بها راسه
فقالت الانصار اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذي عاهدني خليلي ● ونحن بالسفح لدى النخيل
الا اقوم الدهر في الكيول ● اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله وقوله في الكيول بفتح الكاف وتشديد المثناة
التحتية موخر الصفوف وهو فيعول من كال الزند يكيل كيلا اذا كبا ولم يخرج نارا
فشبه موخر الصفوف به لان من كان فيه لا يقاتل قال ابو عبيدة ولم يسمع الا
في الحديث وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاه بن شرحبيل بن هاشم بن عبد
مناف والتقى حنظلة الغسيل وابو سفيان فضربه شداد ابن اوس فقتله فقال

صلى الله عم ان حنظلة لتغسله الملايكة فسالوا امراته جميلة اخت عبد الله
بن ابى فقالت خرج وهو جنب فقال عم لذلك غسلته الملايكة و بذلك تمسك
من قال من العلما ان الشهيد يغسل اذا كان جنبا و قتل على طلحة بن ابى طلحة صاحب
لواء المشركين ثم حمل لواءهم عثمان بن ابى طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه
ثم انزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم على العسكر
وكانت الهزيمة فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل و
تبعهم المسلمون حتى اجهضوهم و وقعوا ينهبون العسكر و ياخذون ما فيه
من الغنايم و فى البخاري قال البراء فقال اصحاب عبد الله بن جبير اي قوم الغنيمة
ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله عم
فقالوا والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم
فاقبلوا منهزمين و فى حديث عايشة عند البخاري ايضا لما كان يوم احد هزم
المشركون هزيمة بينة فصاح ابليس اي عباد الله اخراكم فرجعت اولاهم فاجتلدت
مع اخراهم وعند احمد والحاكم من حديث ابن عباس انهم لما رجعوا اختلطوا
اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل فى المسلمين
بعضهم من بعض و فى رواية غيرهما ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة
اهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن ابى جهل فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم
واميرهم عبد الله بن جبير و فى البخاري انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع

فقال

فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كامس
الذاهب وكان وحشي كامنا تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من
من بين وركيه فكان اخر العهد به انتهى وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله
فصاح ابن قمية ان محمدا قتل وكان الذي قتله ابن قمية وهو يظنه رسول الله
فصاح ابن قمية ان محمدا قتل ويقال كان ذلك ازب العقبة ويقال بل هو ابليس
لعنه الله تصور فى صورة جعال فقال قايل اى عباد الله اخراكم اى احترزوا
من جهة اخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزم
طايفة منهم الى جهة المدينة وتفرق سايرهم و وقع فيهم القتل وقال موسى
بن عقبة ولما فقد عليه السلام قال رجل منهم ان رسول الله قد قتل فارجعوا
الى قومكم ليؤمنوكم قبل ان ياتوكم فيقتلوكم فانهم داخلوا البيت وقال رجال منهم
ان كان رسول الله صلى الله عليه قتل افلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم
حتى تلقون الله عز وجل شهدا منهم انس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول
صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ قال فى عيون الاثر كذا وقع فى هذا الخبر انس
بن مالك وانما هو انس بن النضر عم انس بن النضر انتهى وثبت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انكشفوا عنه وثبت معه من اصحابه اربعة عشر رجلا
سبعة من المهاجرين فيهم ابو بكر الصديق وسبعة من الانصار و فى البخاري
لم يبق معه عليه السلام الا اثنى عشر رجلا فاصابوا منا سبعين وكان عليه

عليه السلام واصحابه اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين
اسيرًا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات
ثم قال افي القوم ابن الخطاب ثلث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد
قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم
وقد بقي لك ما يسوك قال يوم بيوم والحرب سجال وتوجه صلى الله عليه وسلم
يلتمس اصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فادموه وكسروا رباعيته والذي
جرح وجه رسول الله عبد الله بن قمية وعتبة بن ابي وقاص اخو سعد هو الذي
كسر رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحنث الا وهو ابخر او اهتم اي
مكسور الثنايا من اصلها يعرف ذلك في عقبة وقال ابن هشام في حديث ابي سعيد
الخدري ان عتبة بن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن هشام الزهري
شجه في جبهته وان ابن قمية وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته
ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي كان ابو عامر الفاسق يكيد بها
المسلمين وفي رواية وهشموا البيضة على راسه اي كسروا الخوذة ورموه
بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة من الحفر التي حفرها ابو عامر فاخذ علي
بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ونشبت حلقتان من المغفر

في

في وجهه فانتزعهما ابو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من
شدة غوصهما في وجهه وامتص مالك بن سنان والد ابي سعيد الخدري الدم من
وجنته ثم ازدرده فقال عليه السلام من مس دمي دمه لم يصبه النار وسياتي
ان شاء الله تعالى حكم دمه عليه السلام وفي الطبراني من حديث ابي امامة قال رمى
عبد الله بن قمية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته
فقال خذها وانا ابن قمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم
عن وجهه اقماك الله فسلط الله عليه تيس الجبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة
قطعة وروي ابن اسحق عن حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعيته صلى الله
يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس
لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ورواه احمد و
الترمذي والنسائي من طرق عن حميد به وعن ابي عائذ من طريق الاوزاعي بلغنا
انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم احد اخذ شيئا فجعل ينشف دمه
وقال لو وقع منه شيء على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وروى عبد الرزاق عن معمر
عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين
ضربة وقاه الله شرها كلها قال في فتح الباري وهذا مرسل قوي ويحتمل ان

ان يكون اراد بالسبعين حقيقتها او المبالغة انتهى وقاتلت ام عمارة نسيبة
بنت كعب المازنية يوم احد فيما قاله ابن هشام فخرجنا اول النهار حتى انتهت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقمت اباشر القتال واذب عنه
بالسيف وارمي عن القوس حتى خلصت الجراحة الى اصابني ابن قمئة قماه الله لما
ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت
ان نجا قالت فاعترضت له فضربني هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك
ولكن عدو الله عليه درعان قالت ام سعيد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحا
اجوف له غور وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله ابن اسحق
ابو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو يحني عليه حتى كثر عليه النبل وهو
لا يتحرك ورمى سعد بن ابي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سعد فلقد رايته يناولني النبل ويقول ارم فداك ابي وامي حتى انه ليناولني السهم
ماله نصل فيقول ارم به واصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت
على وجهه فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه
واحدهما نظرا ورواه الدارقطني بنحوه ويأتي لفظه ان شاء الله تعالى في مقصد
المعجزات ورمي ابو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره فبصق
عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ وانقطع سيف عبد الله بن جحش فاعطاه رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به وكان ذلك السيف
يسمى عرجونا ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من امراء المعتصم بالله
في بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر الا
ان سيف عكاشة كان يسمى العون واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون
بهم يقطعون الاذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون
انهم اصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشراف اصحابه وكان اول من عرف
رسول الله عليه السلام كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت
باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب معه ابو بكر وعمر ورهط من المسلمين
فلما اسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ادركه ابي بن خلف وهو
يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه يعطف عليه رجل
منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة
من الحارث بن الصمة فلما اخذها عليه السلام منه انتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله عليه السلام
فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعا من اضلاعه
فلما رجع الى قريش قال قتلني والله محمد اليس قد كان قال لي بمكة انا
اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة

رواه البيهقي وابو نعيم ولم يذكر فكسر ضلعا من اضلاعه قال الواقدي
وكان بن عمر يقول مات ابي بن خلف ببطن رابغ فاني لاسير ببطن رابغ بعد هوي
من الليل اذا نار تاجج لهبها د هبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها
يصيح العطش واذا رجل يقول لا تسقه فان هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا ابي بن خلف ورواه البيهقي ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب
ملاء علي بن ابي طالب درقته من المهراس وهو صخرة منقورة تسع كثيرا من الما
وقيل هو اسم ماء باحد فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل عن
وجهه الدم وصب على راسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه
نبيه وصلى النبي عليه السلام الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي اصابته وصلى المسلمون
خلفه قعودا قال ابن اسحق ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانف وبقرت عن كبد حمزة
فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ولما اراد ابو سفيان الانصراف اشرف على الجبل
ثم صرخ باعلا صوته انعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر اعل هبل وكان ابو سفيان
حين اراد الخروج الى احد كتب على سهم نعم وعلى الاخر لا واجالهما عند هبل فخرج سهم
نعم فخرج الى احد فلما قال اعل هبل اي زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمر اجبه فقل الله اعلا واجل فقال ابو سفيان انعمت فعال فقال اي اترك ذكرها فقد
صدقت في فتواها وانعمت اي اجابت بنعم فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم

فى

في النار فقال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال عليه الصلاة والسلام قولوا الله مولانا
ولا مولى لكم ولما انصرف ابو سفيان واصحابه نادى ان موعدكم بدر العام القابل
فقال عليه السلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد وذكر الطبراني
انه لما انصرف المشركون خرج النسا الى الصحابة يعينونهم فكانت فاطمة فيمن خرج
فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء
ويزداد الدم فلما رات ذلك اخذت شيئا من حصير احرقته بالنار وكمدته
حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم ثم ارسل عليه السلام محمد بن مسلمة كما
ذكره الواقدي فنادى في القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى
قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف
فوجده جريحا في القتلى وبه رمق فقال ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني
السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزي به نبيا عن امته وابلغ قومك
عني السلام وقل لهم لا عذر لكم من عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين
تطرف ثم مات وقتل ابو جابر فما عرف الا ببنانه اي اصابعه وقيل اطرافها
واحدتها بنانة وخرج صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي
قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فنظر عليه السلام الى شيء لم
ينظر الى شيء اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا
للرحم اما والله لامثلن بسبعين منهم مكانك قال فنزلت عليه خواتيم سورة النحل

فصبر وكف عن يمينه وامسك عما اراد وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله
بن جحش بن اخت حمزة ولذا يعرف بالمجذع فى الله وكان حين قتل ابن بضع و
اربعين سنة ودفن مع حمزة فى قبر واحد ولما اشرف عليه السلام على
القتلى قال انا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح فى الله الا والله يبعثه
يوم القيمة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفى رواية
عبد الله بن ثعلبة قال عليه السلام لقتلى احد زملوهم بجراحهم وروى
ابو بكر بن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا جابر الا اخبرك
ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم ابوك كفاحا فقال سلنى اعطك
فقال اسالك ان ارد الى الدنيا فاقتل فيها فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق
منى انهم لا يرجعون الى الدنيا قال اى الرب فابلغ من وراء فانزل الله ولا تحسبن
الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا الاية وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون بما
صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى انا ابلغهم
عنكم فانزل الله عز وجل على نبيه هذه الايات ولا تحسبن الذين قتلوا رواه
احمد قال بعض من تكلم على هذا الحديث قوله ثم تاوي الى قناديل يصدقه قوله

والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وانما تاوي الى تلك القناديل
ليلا وتسرح نهارا وبعد دخول الجنة فى الاخرة لا تاوي الى تلك القناديل
وانما ذلك فى البرزخ وقال مجاهد الشهداء ياكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها
وقد رد مجاهد الشهداء ياكلون من ثمر هذا القول ويشهد له ما وقع فى مسند
ابن ابى شيبة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء بنهر او على
نهير يقال له بارق عند باب الجنة فى قباب خضر ياتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا
قال الحافظ عماد الدين بن كثير كان الشهداء اقسام منهم من تسرح ارواحهم فى الجنة
ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة وقد يحتمل ان يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر
فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح قال وقد روينا
فى مسند الامام احمد حديثا فيه بشرى لكل مؤمن بان روحه يكون فى
الجنة ايضا وتسرح فيها وتاكل من ثمارها وترى ما بين فيها من النضرة
والسرور وتشاهد ما اعد الله لها من الكرامة قال وهو باسناد صحيح عزيز
عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الائمة اصحاب المذاهب المتبعة فان الامام احمد
رواه عن الشافعى عن مالك بن انس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن
مالك عن ابيه يرفعه نسمة المؤمن طاير تعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله الى
جسده يوم يبعثه وقوله تعلق اي تاكل وفى هذا الحديث ان روح المؤمن تكون
على شكل طاير فى الجنة واما ارواح الشهداء ففى حواصل طير خضر فهي

كان لزاكب بالنسبة الى ارواح عموم المومنين فانها تطير بانفسها فنسال
الله الكريم المنان ان يميتنا على الايمان وقد استشهد يوم احد من المسلمين
سبعون فيما قاله مغلطاي وغيره وقيل خمسة وستون اربعة من المهاجرين
وروي بن مندة من حديث ابي بن كعب قال استشهد من الانصار يوم احد
اربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه وقتل
من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا وقتل عليه السلام بيده ابي بن خلف
وحضرت الملايكة يومئذ ففي حديث سعد بن ابي وقاص عند مسلم في صحيحه انه
راي عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين
عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكايل يقاتلان
كاشد القتال وفيه كما قدمناه في غزوة بدر ان قتال الملايكة معه عم
لا يختص بيوم بدر خلافا لمن زعمه كما نص عليه النووي في شرح
مسلم كما قدمته والله اعلم ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون
وظهر غش اليهود تنبيه ذكر القاضي عياض في الشفا عن القاضي ابي عبد الله
بن المرابط من المالكية انه قال من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم
ليستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصيته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته انتهى وهذا موافق لمذهبنا
لكن قال العلامة البابطي من المالكية هذا القايل ان كان يخالف في اصل المسئلة

اعني حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى
وقد كان في قصة احد وما اصيب به المسلمون من الفوايد والحكم الربانية
اشياء عظيمة منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشوم ارتكاب النهي
لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي امرهم رسول الله عم ان لا يبرحوا منه
ومنها عادة الرسل ان تبتلى وتكون لهم العاقبة والحكمة في ذلك ان لو انتصروا
دايما لدخل المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انكسروا
دايما لم يحصل المقصود من البعثة واقتضت الحكمة بين الامرين ليتميز الصادق
من الكاذب وذلك ان نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت هذه
القصة واظهر اهل النفاق ما اظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا
وعرف المسلمون ان لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم
ومنها ان في تاخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لسماحتها
فلما ابتلى المسلمون صبروا وجزع المنافقون ومنها ان الله تعالى هيا
لعباده المومنين منازل في دار كرامته لا يبلغها اعمالهم فيقيض اسباب
الابتلاء والمحن ليصلوا اليها ومنها ان الشهادة من اعلا مراتب الاولياء
فساقها اليها ومنها انه اراد اهلاك اعدايه فيقيض لهم الاسباب التي يستوجبون
بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في اذى اوليايه فمحص ذنوب المومنين
ومحق بذلك الكافرين غزوة حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة

عن يسار الطريق اذا ارادت دار الخليفة وكانت صبيحة يوم احد لست عشرة مضت
او لثمان خلون من شوال على راس اثنين وثلثين شهرا من الهجرة لطلب عدوهم
بالامس ونادي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج معنا احد
الا من حضر يومنا بالامس اي من شهد احدًا وانما خرج عليه السلام مرهبًا
للعدو ليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم يوهنهم
عن عدوهم واقام عليه السلام بها الاثنين والثلاثا والاربعا ثم رجع الي
المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسًا وظفر عليه السلام في مخرجه ذلك بمعاوية
بن المغيرة بن ابي العاص فامر بضرب عنقه صبرًا قال الحافظ مغلطاي وحرمت
الخمر في شوال ويقال سنة اربع انتهى قال ابو هريرة فيما رواه حرمت الخمر ثلث
مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون
الميسر فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسئلونك
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الى اخر الاية فقال
الناس ما حرم علينا انما قال قل فيهما اثم كبير وكانوا يشربون حتى كان يومًا من
الايام صلى رجل من المهاجرين ام اصحابه في المغرب خلط في قراته فانزل الله اية
اغلظ منها يايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون وكان الناس يشربون ثم نزلت اية اغلظ من ذلك يايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر الى لعلكم تفلحون قال انتهينا ربنا والميسر القمار وقيل غيره

انتهى وولد

وولد الحسن بن علي في هذه السنة ثم سرية ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد هلال
المحرم على راس خمس وثلثين من الهجرة الى قطن جبل بناحية فيد ومعه ماية و
خمسون رجلا من الانصار والمهاجرين لطلب طلحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما
ووجد ابلا وشاء فاغار عليهما ولم يلق كيدًا ثم سرية عبد الله بن انيس وحده
يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على راس خمسة وثلثين شهرا من الهجرة الى سفيان
بن خالد الهذلي بعرنة وادي عرفة لانه بلغه صلى الله عم انه جمع الجموع لحربه فلما
وصل اليه قال له من الرجل قال من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لاكون
معك قال اجل فمشي معه ساعة ثم اغتره وقتله واخذ راسه فكان يسير
الليل ويتوارى النهار حتى قدم المدينة فقال له عليه السلام افلح الوجه
قال فلح وجهك يا رسول الله ووضع راسه بين يديه وكانت غيبته ثماني
عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم ثم سرية عاصم بن ثابت في
صفر على راس ستة وثلثين شهرا من الهجرة الى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم
اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه
سميت به وحديث عضل والقارة بفتح الضاد المعجمة بعدها لام بطن من
بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ينسبون الى عضل بن
الديش واما القارة فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون ايضا ينسبون
الى الديش المذكور قال ابن دريد القارة اكمة سوداء فيها حجارة كانهم

نزلوا عندها وتسموا بها وقصة عضل والقارة كانت فى بعث الرجيع لا
فى سرية بير معونة وقد فصل بينهما ابن اسحق فذكر بعث الرجيع فى اواخر سنة ثلاث
وبير معونة فى اوايل سنة اربع وذكر الواقدي ان خبر بير معونة والرجيع جاء
الى النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة وسياق ترجمة البخاري يوهم ان بعث
الرجيع وبير معونة شيء واحد وليس كذلك لان بعث الرجيع كان سرية عاصم
وخبيب واصحابهما وهى مع عضل والقارة وبير معونة كانت سرية القراء
وهى مع رعل وذكوان وكان البخاري ادمجها معها لقربها منها ويدل على
قربها منها ما فى حديث انس من تشريك النبى صلى الله عليه وسلم بين بنى لحيان
وبنى عصية وغيرهم فى الدعاء ولم يرد البخاري رحمه الله انها قصة واحدة
ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحا وانما وقع ذلك عند ابن اسحق فانه بعد
ان استوفى قصة احد قال ذكر يوم الرجيع حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقارة
وقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهونا فبعث
معهم ستة من اصحابه وامر عليه السلام على القوم مرثد بن ابى مرثد الغنوى
كذا فى السيرة له وفى الصحيح وامر عليهم عاصم بن ثابت كما سياتى وهو اصح
فخرجوا مع القوم حتى اتوا على الرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا
عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف

وقد غشوهم فاخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم انا والله لا نريد
قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه
ان لا نقتلكم فابوا فاما مرثد وخالد وعاصم فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا
وقاتلوا حتى قتلوا وفى البخارى وامر عليهم عاصم بن ثابت حتى اذا كانوا بالهدأة
بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب
من مائتى رجل وعند بعضهم فتبعوهم بقريب من مائة رام والجمع بينهما بان
تكون المائة الاخرى غير رماة وفى رواية ابى معشر فى مغازيه فنزلوا بالرجيع
سحرا فاكلوا تمر عجوة فسقط نواه بالارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون
بالنهار فجاءت امراة من هذيل ترعى غنما فرات النواة فانكرت صغرهن وقالت
هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها اتيتم فجاءوا فى طلبهم فوجدوهم قد كمنوا
فى الجبل فاتبعوا اثارهم حتى لحقوهم وفى رواية ابن سعد فلما احس بهم عاصم
واصحابه لجاوا الى فدفد بفاءين مفتوحتين ومهملتين الاولى ساكنة وهى
الرابية المشرفة فاحاط بهم القوم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا
ان لا نقتل منكم رجلا قال عاصم بن ثابت ايها القوم اما انا فلا انزل فى ذمة كافر
ثم قال اللهم اخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فاخبر رسوله خبرهم يوم
اصيبوا فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن
عدى وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة المشددة

وعبد الله بن طارق فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فابتاع
خبيبًا فلبث خبيبًا عندهم اسيرًا حتى اجمعوا قتله استعار من بعض بنات الحارث
موسًا ليستحد بها يعني يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل اليه الصبي
فاجلسه عنده فخشيت المرأة ان يقتله ففزعت فقال خبيب ماكنت لاغدر قال
قالت والله ما رايت [اسيرًا] خيرًا من خبيب والله ولقد وجدته ياكل قطفًا من عنب
مثل راس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان الا رزق
رزقه وهذه كرامة جعلها الله لخبيب اية على الكفار وبرهانًا لنبيه لتصحيح رسالته
والكرامة للاولياء ثابتة مطلقًا عند اهل السنة لكن استثنى بعض المحققين منهم
كالعلامة الرباني ابي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الانبيا فقال
ولا يصلون الى ايجاد ولد عن غير اب ونحو ذلك وهذا اعدل المذاهب في ذلك
وان اجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار
بما سياتي ونحو ذلك قد كثر جدًا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب الى الصلاح كا[لعادة]
فانحصر الخارق الان في نحو ما قاله القشيري وتعين تقييد من اطلق بان كل معجزة
وجدت لنبي يجوز ان تقع كرامة لولي ووراء ذلك ان ذلك الذي استقر عند العامة
ان خرق العادة على ان من وقع له ذلك يكون من اولياء الله وهو غلط فان
الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل [بذلك]
على ولاية اولياء الله الى فارق واولى ما ذكروه ان يختبر حال من وقع له فان [كان]
متمسكا بالاوامر الشرعية والنواهي كان علامة على ولايته ومن لا فلا والله
اعلم انتهى ملخصًا من الفتح ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي
ركعتين وعند موسى بن عقبة ان صلاته هما في موضع مسجد التنعيم وقال اللهم
احصهم عددًا ولا تبق منهم احدًا واقتلهم بددًا يعني متفرقين فلم يحل الحول
ومنهم احد حي وفي رواية بريدة ابن سفيان قال خبيب اللهم اني لا اجد من يبلغ
رسولك مني السلام فبلغه وفي رواية الاسود عن عروة جاء جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره بذلك الحديث ثم انشا خبيب يقول

فلست ابالي حين اقتل مسلمًا … على اي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشاء … يبارك على اوصال شلو ممزع

والاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق على العضو
لكن المراد به هنا الجسد والممزع بالزاء ثم المهملة المقطع ومعنى الكلام اعضاء جسد مقطع
وعند ابي الاسود عن عروة زيادة في هذا الشعر

لقد جمع الاحزاب حولي والبوا … قبايلهم واستجمعوا كل مجمع
الى الله اشكو غربتي بعد كربتي … وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي

وساق ابن اسحق هذه الابيات ثلاثة عشر بيتًا قال ابن هشام ومن الناس من
ينكرها لخبيب وكان خبيب اول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل
صبرًا كذا قاله ابن اسحق وقوله هذا يدل على انها سنة جارية وانما صار فعل خبيب

سنة والسنة انما هي اقوال رسول الله صلى الله عليه وافعاله وتقريره لانه فعله في حياته
صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون والصلوة خير ما
ختم به عمل العبد وقد صلى هاتين الركعتين زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
وذلك في حياته صلى الله عليه وسلم كما رويناه من طريق السهيلي بسنده الى الليث بن سعد
قال بلغني ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطايف اشترط عليه الكرى ان ينزله
حيث شاء قال فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة قال فلما
اراد ان يقتله قال له دعني اصلي ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم
صلاتهم شيا قال فلما صليت اتاني ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين قال فسمع صوتا
لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلب فلم ير شيا فرجع الي فناديت يا ارحم الراحمين
فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في راسها شعلة نار فطعنه
بها فانفذه من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا ارحم الراحمين
كنت في السما السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا ارحم الراحمين كنت في السما
الدنيا فلما دعوت الثالثة اتيتك انتهى ووقع في رواية ابي الاسود عن عروة
فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب يعني خبيبا نادوه وناشدوه اتحب ان محمدا
مكانك قال لا والله ما احب ان يفديني بشوكة في قدمه ويقال ان الذي قال ذلك
زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة المشددة وان ابا
سفيان قال له يا زيد انشدك بالله اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه

وانك

وانك في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه
شوكة تؤذيه واني لجالس في اهلي قال يقول ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب
احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس بكسر النون وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا
بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمايهم يوم بدر ولعل العظيم
المذكور عقبة بن ابي معيط فان عاصما قتله صبرا بامر النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ان انصرفوا من بدر ووقع عند ابن اسحاق وكذا في رواية بريدة بن سفيان ان عاصما
لما قتل ارادت هذيل اخذ راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعيد وهي ام مسافع وخلاس
ابني طلحة العبدي وكان عاصم قتلهما يوم احد وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها
يوم احد لئن قدرت على راس عاصم لتشربن الخمر في قحفه بكسر القاف وهو ما انفلق
من الجمجمة فبان قال الطبري وجعلت لمن جاء براسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر بفتح
المهملة وسكون الموحدة الزنابير فلم يقدروا منه على شيء وكان عاصم بن ثابت قد
اعطى الله عهدا ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا فكان عمر يقول لما بلغه خبره يحفظ
الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته وانما استجاب الله تعالى له في حماية
لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما اراد من اكرامه بالشهادة ومن كرامته
حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه سرية المنذر بن عمرو بفتح العين المهملة الى بير
معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وبعدها نون موضع ببلاد هذيل بين
مكة وعسفان في صفر على راس ستة وثلثين شهرا من الهجرة على راس اربعة اشهر من

احد وبعث معه المطلب السلمي ليد لهم على الطريق وكانت مع رعل بكسر الراء
وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون الى رعل بن عوف بن مالك وذكوان
بطن من بني سليم ايضا ينسبون الى ذكوان بن ثعلبة فنسبت الغزوة اليها وهذه
الوقعة تعرف بسرية القرا وكان من امرها كما قاله ابن اسحق انه قدم ابو براء عامر ابن
مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا
من اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه
السلام اني اخشى اهل نجد عليهم قال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فبعث عليه السلام
المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون وقيل ثلثون وقد بين
قتادة في روايته انهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفي رواية ثابت
يشترون به الطعام لاهل الصفة ويتدارسون القران بالليل فساروا حتى نزلوا
بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل العامري
ومات كافرا وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى
عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء
وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلا
فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فاحتاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم
اخذوا سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا الى اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق

فعاش

الجزء الثالث عشر

فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا واسر عمرو بن امية الضمري فلما اخبرهم انه
من مضر اخذه عامر بن الطفيل واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فلما بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ
ذلك ابا براء فمات اسفا على ما صنع عامر بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد
جسده دفنته الملائكة قال ابن سعد عن انس بن مالك ما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجد على احد ما وجد على اصحاب بئر معونة وفي صحيح مسلم عن انس ايضا
دعا صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلثين صباحا يدعوا على
رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله قال انس انزل الله في الذين قتلوا
يوم بئر معونة قرانا قراناه ثم نسخ بعد اي نسخت تلاوته بلغوا قومنا انا قد لقينا
ربنا فرضي عنا ورضينا عنه كذا وقع في هذه الرواية وهو يوهم ان بني لحيان
ممن اصاب القرا يوم بئر معونة وليس كذلك وانما اصاب هولاء رعل وذكوان
وعصية ومن صحبهم من سليم واما بنو لحيان فهم الذين اصابوا بعث الرجيع
وانما اتى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد
فدعا على الذين قتلوا اصحابه في الموضعين دعاء واحدا والله اعلم ثم غزوة بني
النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود في ربيع الاول
سنة اربع وذكرها ابن اسحق هنا قال السهيلي وكان ينبغي ان يذكرها بعد بدر لما روى
عقيل بن خالد وغيره من الزهري قال كانت غزوة بني النضير على راس ستة

اشهر من وقعة بدر وقيل احد ورجح الداودي ما قاله بن اسحق من ان غزوة
بني النضير بعد بير معونة مستدلا بقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من
اهل الكتاب من صياصيهم قال الحافظ ابو الفضل بن حجر وهو استدلال واه
فان الاية نزلت في شان بني قريظة فانهم هم الذين ظاهروا الاحزاب واما
بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب وما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم
حيي بن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة وموافقة الاحزاب حتى كان من
هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا انتهى وقد تقدم قريبا ان عامر بن
الطفيل اعتق عمرو بن امية لما قتل اهل بير معونة عن رقبة عن امه فخرج
عمر الى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمر فقال لهما عمر ممن انتما فذكرا له انهما
من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمر وظن انه ظفر ببعض ثار اصحابه فاخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لاودينهما
قال بن اسحق وغيره ثم خرج عليه السلام الى بني النضير ليستعين بهم في دية
ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية للجوار الذي كان صلى الله عليه
وسلم عقده لهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف فلما اتاهم
عليه السلام ليستعينهم في ديتهما قالوا يا ابا القاسم نعينك على ما احببت مما
استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال

وكان

وكان صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قالوا من رجل يعلو على هذا
البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش
بن كعب فقال انا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم قال سعد فقال سلام بن
مشكم لليهود لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم وانه لنقض العهد الذي بيننا
وبينه قال ابن اسحق واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد
القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضي حاجة وترك اصحابه في مجلسهم ورجع
مسرعا الى المدينة واستبطا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقاموا في
طلبه حتى انتهوا اليه فاخبرهم بما ارادت اليهود من الغدر به قال بن عقبة
ونزل في ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم الاية قال بن اسحق فامر عليه السلام بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم قال
بن هشام واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم
ست ليال قال بن اسحق فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وحرقها فنادوه
يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها
قال السهيلي قال اهل التاويل وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى انزل
الله تعالى ما قطعتم من لينة الاية الى قوله وليخزي الفاسقين واللينة الوان التمر ما
عدا العجوة والبرني ففي هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما

ما ليس يفوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وتمر
يفدوا احسن غداء والبرني ايضا كذلك ففي قوله تعالى ما قطعتم من لينة ولم يقل
من نخلة على العموم تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغدوا من شجر العدو واذا
رجى ان يصل الى المسلمين قال ابن اسحق وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم
عبد الله بن ابي بن سلول بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان
قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم
الرعب فلم ينصروهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن
ارضهم ويكف عن دمائهم وعند ابن سعد انهم حين هموا بغدره صلى الله عليه وسلم
واعلمه الله بذلك بعث اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها
وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن رئي منكم بعد ذلك ضربت
عنقه فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون وتكاروا من اناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله
بن ابي لا تخرجوا من دياركم واقيموا في حصونكم فان معي الفين من قومي من العرب يدخلون
حصنكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي فيما قاله ابن ابي فارسل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر صلى الله عليه وسلم
التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم عليه السلام في اصحابه فصلى العصر بفناء
بني النضير وعلي يحمل رايته فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم
معهم النبل والحجارة واعتزلهم ابن ابي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فيئسوا

من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم عليه السلام
اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهي باسكان اللام قال في
القاموس الدرع فنزلت يهود على ذلك وكان حاصرهم خمسة عشر يوما فكانوا
يخربون بيوتهم بايديهم ثم اجلاهم عن المدينة وولي اخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا
النساء والصبيان وتحملوا على ستماية بعير فلحقوا بخيبر وحزن المنافقون عليهم حزنا
شديدا وقبض صلى الله عليه وسلم الاموال ووجد من الحلقة خمسين درعا
وخمسين بيضة وثلثماية واربعين سيفا وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حبسا لنوائبه ولم يسهم فيها لاحد لان المسلمين لم يوجفوا
عليها بخيل ولا ركاب وانما قذف في قلوبهم الرعب وجلوا من منازلهم الى خيبر
ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم فقسمها عليه السلام بين المهاجرين ليرفع
بذلك مؤنتهم عن الانصار قد قاسموهم في الاموال والديار غير انه اعطى ابا دجانة
وسهل بن حنيف لحاجتهما وفي الاكليل واعطى سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق
وكان سيفا له ذكر عندهم غزوة ذات الرقاع واختلف فيها متى كانت فعند ابن
اسحق بعد بني النضير سنة اربع في شهر ربيع وبعض جمادي وعند ابن سعد وابن حبان
في المحرم سنة خمس وجزم ابو معشر بانها بعد بني قريظة في القعدة سنة خمس فتكون
ذات الرقاع في اخر السنة واول التي تليها قال في فتح الباري قد جنح البخاري
الى انها كانت بعد خيبر واستدل لذلك بامور ومع ذلك فذكرها قبل خيبر

فلا ادري هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازي انها كانت قبلها او ان ذلك من
الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين
كما اشار اليه البيهقي على ان اصحاب المغازي مع جزمهم بانها كانت قبل خيبر مختلفون
في زمانها انتهى والذي جزم به بن عقبة تقدمها لكن تردد في وقتها فقال
لا ندري كانت قبل بدر او بعدها او قبل احد او بعدها قال الحافظ بن حجر وهذا
التردد لا حاصل له بل الذي ينبغي الجزم به انها بعد غزوة بني قريظة لان صلوة
الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت وقد ثبت وقوع صلوة الخوف في
ذات الرقاع فدل على تاخرها بعد الخندق ثم قال عند قول البخاري وهي بعد
خيبر لان ابا موسى جاء بعد خيبر واذا كان كذلك وثبت ان ابا موسى شهد غزوة
الرقاع لزم انها كانت بعد خيبر قال وعجيب من ابن سيد الناس كيف قال جعل البخاري
حديث ابي موسى هذا حجة في ان غزوة ذات الرقاع متاخرة عن خيبر قال وليس
في خبر ابي موسى ما يدل على شيء من ذلك انتهى كلام ابن سيد الناس قال وهذا النفي
مردود والدلالة من ذلك واضحة كما قررته قال واما الدمياطي فادعى غلط
الحديث الصحيح وان جميع اهل السنن على خلافه وقد تقدم انهم مختلفون في زمانها
فالاولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث الصحيح واما قول الغزالي انها اخر الغزوات
فهو غلط واضح وقد بالغ ابن الصلاح في انكاره وقال بعض من انتصر للغزالي لعله
اراد اخر غزوة صليت فيها صلوة الخوف وهو انتصار مردود بما اخرجه ابو داود

والنسائي وصححه ابن حبان من حديث ابي بكرة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم
صلاة الخوف وانما اسلم ابو بكرة بعد غزوة الطايف بالاتفاق انتهى واما تسميتها
لانهم رفعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها
ذات الرقاع وقيل الارض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض كانها مرقعة برقاع
مختلفة فسميت ذات الرقاع وقيل ان خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن
حبان وقال الواقدي سميت بجبل هناك فيه بقع قال الحافظ بن حجر وهذا لعله
مستند ابن حبان ويكون قد تصحف عليه بجبل قال واغرب الداودي فقال
سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة
فيها انتهى قال السهيلي واصح من هذه الاقوال كلها ما رواه البخاري عن ابي موسى
الاشعري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة
نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت اقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري فكنا
نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على
ارجلنا وكان من خبر هذه كما قاله ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد
بني محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين المعجمة والمهملة لانه عليه
السلام بلغه انهم جمعوا الجموع فخرج في اربعمائة من اصحابه وقيل سبعمائة
واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وقيل ابا ذر الغفاري حتى نزل نخلا بالخاء
المعجمة موضعا من نجد من اراضي غطفان قال بن سعد فلم يجد في محالهم الا نسوة

فاخذهم وقال ابن اسحق فتلقى جمعا منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب
وقد اخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
صلاة الخوف ثم انصرف الناس قال ابن سعد وكان ذلك اول ما صلاها
وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة وسياتي ان شاء الله تعالى الكلام على
ما تيسر منها في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته عم في هذه الغزوة
خمس عشر ليلة وفي البخاري عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع
فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين
وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه يعني سله من غمده قال
تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله وعند ابي عوانة فسقط السيف من يده
فاخذه عليه السلام فقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ قال تشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله قال الاعرابي اعاهدك اني لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك
قال فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وفي رواية عند
البخاري ولم يعاقبه وانما لم يواخذه عليه السلام بما صنع وعفى عنه لشدة رغبته
عليه السلام في استيلاف الكفار ليدخلوا في الاسلام وفي رواية ابي اليمان
عند البخاري في الجهاد قال من يمنعك مني ثلث مرات وهو استفهام انكاري
اي لا يمنعك مني احد وكان الاعرابي قائما على راسه والسيف في يده والنبي
صلى الله عليه وسلم جالس لا سيف معه ويوخذ من مراجعة الاعرابي له في الكلام

ان الله سبحانه منع نبيه والا فما الذي احوجه الى مراجعته مع احتياجه الى الحظوة
عند قومه بقتله وفي قوله صلى الله عليه وسلم في جواب الله اي يمنعني منك اشارة
الى ذلك ولذلك لما عادها الاعرابي فلم يزده على ذلك الجواب وفي ذلك
غاية التهكم وعدم المبالاة به وذكر الواقدي في نحو هذه القصة انه اسلم
ورجع الى قومه فاهتدى به خلق كثير وقال فيه انه رمي بالزلخة حين هم
بقتله صلى الله عليه وسلم فندر السيف من يده وسقط الى الارض والزلخة
بضم الزاء وتشديد اللام وجع ياخذ في الصلب وقال البخاري قال مسدد عن
ابي عوانة عن بشر اسم الرجل غورث بن الحارث اي على وزن جعفر وحكى الخطابي
فيه غويرث بالتصغير وقد تقدم في غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بناحية
نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وانه قام على راسه صلى الله عليه وسلم
بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف
من يده وانه اسلم قال في عيون الاثر والظاهر ان الخبرين واحد وقال غيره من
المحققين الصواب انهما قصتان في غزوتين وفي هذه القصة فرط شجاعته و
قوة يقينه وصبره على الاذى وحلمه على الجهال صلى الله عليه وسلم وفي انصرافه
صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة ابطا جمل جابر بن عبد الله فنخسه عليه السلام
فانطلق متقدما بين يدي الركاب ثم قال بعنيه فابتاعه منه وقال لك ظهره
الى المدينة فلما وصلها اعطاه الثمن وارجح ووهب له الثمن والجمل والحديث

اصله في البخاري ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط لما وقع فيه من الاضطراب
وقيل غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم غزوة بدر الاخيرة وهي الصغرى
وتسمى بدر الموعد وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع قال ابن اسحق لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع اقام بها جمادى
الاولى الى اخر رجب ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد ابي سفيان ويقال انها كانت
في هلال ذي القعدة وميعاد ابي سفيان هو ما سبق ان ابا سفيان قال يوم احد
الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فقال عليه السلام لرجل من اصحابه قل
نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج عليه السلام ومعه الف وخمسماية من اصحابه
وعشرة افراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فاقاموا على بدر ينتظرون
ابا سفيان وخرج ابو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ويقال عسفان
ثم بدا له الرجوع فقال يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر
وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا فرجع
الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق ويشربون فيه اللبن وان عامكم هذا
عام يقولون انما خرجتم تشربون السويق واقام عم ببدر ثمانية ايام وباعوا
معهم من التجارة فربحوا للدرهم درهمين فانزل الله في المؤمنين الذين استجابوا
لله والرسول الى قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الاية والصحيح
ان هذه الاية نزلت في شان حمراء الاسد كما نص عليه العماد بن كثير غزوة دومة

الجندل وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها
من المدينة خمس عشرة او ست عشرة ليلة قال ابو عبيدة البكري سميت بدومى بن
اسماعيل كان نزلها وكانت في شهر ربيع الاول على تسعة واربعين شهرا من الهجرة وكان
سببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه السلام
لخمس ليال بقين من شهر ربيع في الف من اصحابه فكان يسير الليل ويكمن النهار واستخلف
على المدينة سباع بن عرفطة فلما دنا منهم لم يجد الا النعم والشاء فهجم على ما
شيتهم ورعايهم فاصاب ما اصاب وهرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر
اهل دومة فتفرقوا وانزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام بها
اياما وبعث السرايا وفرقها فرجعوا ولم يصب منهم احد ودخل المدينة في
من ربيع الاخر غزوة المريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين بينهما
مهملة مكسورة واخره عين مهملة وهو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع
يومين وتسمى غزوة بني المصطلق بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء
المثالة المهملة وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن
عمرو بطن من خزاعة وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس
وفي البخاري قال ابن اسحق سنة ست وقال موسى بن عقبة سنة اربع انتهى قالوا
وكانه سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمس فكتب سنة اربع والذي في مغازي
موسى بن عقبة من عدة طرق اخرجها الحاكم وابو سعد النيسابوري والبيهقي

فى الدلايل وغيرهم سنة خمس وسببها انه بلغه عليه السلام ان رئيسهم الحارث بن ابى ضرار سار فى قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيئوا للمسير معه فبعث عليه السلام بريدة بن الحصيب الاسلمى يعلم علم ذلك فاتاهم ولقى الحارث بن ابى ضرار وكلمه ورجع الى رسول صلى الله عليه وسلم وخرج عليه السلام مسرعا فى بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزاة قط مثلها واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقاد والخيل وكانت ثلثين فرسا وخرجت عايشة وام سلمة وبلغ الحارث ومن معه مسيره عم فسيئ بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وبلغ عليه السلام المريسيع وصف اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابى بكر وراية الانصار الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم امر عليه السلام اصحابه فحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة واسروا سايرهم وسبوا النسا والرجال والذرية والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد كذا ذكره ابن اسحق والذى فى صحيح البخارى من حديث ابن عمر ويدل على انه اغار عليهم على حين غفلة منهم فاوقع بهم ولفظه اغار على بنى المصطلق وهم غارون وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان يكونوا حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتال انهزموا بان يكونوا لما دهمهم وهم على الماء وتصافوا ووقع القتال بين الطايفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم قيل وفى هذه الغزوة

نزلت

نزلت اية التيمم وفى الصحيحين من حديث عايشة انها قالت خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره فذكر حديث التيمم قال فى فتح البارى قوله فى بعض اسفاره قال ابن عبد البر فى التمهيد يقال انه كان فى غزوة بنى المصطلق وجزم بذلك فى الاستذكار وسبقه الى ذلك ابن سعد وابن حبان وغزاة بنى المصطلق هى غزوة المريسيع وفيها كانت قصة الافك لعايشة وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عقدها ايضا فان كان ما جزموا به ثابتا حمل على انه سقط منها فى تلك السفرة مرتين لاختلاف القصتين كما هو بين فى سياقهما قال واستبعد بعض شيوخنا ذلك لان المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها فى الحديث حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش وهما بين مكة وخيبر جزم به النووى قال وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فانه قال البيداء هى ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة وذات الجيش وراء ذى الحليفة وقال ابو عبيد البكرى فى معجمه ادنى الى مكة من ذى الحليفة ثم ساق حديث عايشة هذا ثم قال وذات الجيش من المدينة على بريد قال وبينها وبين العقيق سبعة اميال والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قاله ابن التين وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد ومنهم محمد بن حبيب الاخبارى فقال سقط عقد عايشة فى غزوة ذات الرقاع وفى غزوة بنى المصطلق وقد اختلف اهل المغازى فى اى هاتين الغزوتين كانت اولا وقال الداودى كانت

قصة التيمم فى غزاة الفتح ثم تردد فى ذلك وروي ابن ابى شيبة من حديث ابى
هريرة قال لما نزلت اية التيمم لم ادر كيف اصنع فهذا يدل على تاخرها عن غزوة بنى
المصطلق لان اسلام ابى هريرة كان فى السنة السابعة وهى بعدها بلا خلاف
وكان البخاري يري ان غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم ابى موسى قدومه
كان وقت اسلام ابى هريرة ومما يدل على تاخر القصة ايضا عن قصة الافك
ما رواه الطبرانى من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عايشة
قالت لما كان من امر عقدي ما كان وقال اهل الافك ما قالوا خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى غزوة اخري فسقط ايضا عقدي حتى حبس الناس
على التماسه فقال لي ابو بكر يا بنية فى كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس فانزل
الله الرخصة فى التيمم فقال ابو بكر انها انك لمباركة وفي اسناده محمد بن حميد
الرازي وفيه مقال وفى سياقه من الفوايد بيان عتاب ابى بكر الذي ابهم
فى حديث الصحيح والتصريح بان ضياع العقد كان مرتين فى غزوتين انتهى وفى هذه
الغزوة قال ابن ابي لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسمعه زيد بن
ارقم واذن الواعية فحدث رسول الله عم فارسل الى ابن ابي واصحابه فحلفوا
ما قالوا فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
قد صدقك يا زيد رواه البخاري وكانت غيبته عم فى هذه الغزوة ثمانية وعشرين
يوما غزوة الخندق وهى الاحزاب جمع حزب اى طايفة فاما تسميتها بالخندق

فلاجل الخندق الذي حفرها حول المدينة بامره عليه السلام ولم يكن اتخاذ
الخندق من شان العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذي اشار بذلك سلمان
فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فامر النبي صلى الله عم
بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين فاما تسميتها بالاحزاب فلاجتماع
طوايف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن
معهم وقد انزل الله تعالى فى هذه القصة صدرا من سورة الاحزاب
وقد اختلف فى تاريخها فقال موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة اربع وقال
ابن اسحق فى شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من اهل المغازي وقال
البخاري الى قول موسى بن عقبة وقواه بقول ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عرضه يوم احد وهو ابن اربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق
وهو ابن خمس عشرة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة كانت سنة ثلاث
فيكون الخندق سنة اربع ولا حجة فيه اذا ثبت لنا انها كانت سنة خمس لاحتمال
ان يكون ابن عمر فى احد كان اول ما طعن فى الرابعة عشر وكان فى الاحزاب
استكمل الخمس عشرة وبهذا اجاب البيهقى وقال الشيخ ولي الدين بن العراقى
والمشهور انها فى السنة الرابعة وكان من حديث هذه الغزوة ان نفرا من يهود
خرجوا حتى قدموا على قريش مكة وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى
نستاصله فاجتمعوا لذلك واقعدوا له ثم خرج اولئك اليهود حتى جاؤا

غطفان من قيس غيلان فدعوهم الى حربه عليه السلام واخبر وهم انهم سيكونون
معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فخرجت قريش و
قايدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدها عيينة بن حصين في
فزارة والحارث بن عوف المري في مرة وكان عدتهم فيما ذكره ابن اسحق عشرة الاف
والمسلمون ثلثة الاف وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد انه كان مع المسلمين ستة و
ثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وبما اجتمعوا عليه
من الامر ضرب على المسلمين الخندق فعمل فيه عليه السلام ترغيبا للاجر وعمل معه
المسلمون فدأب ودأبوا وابطاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين
في عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يوارون بالضعف عن العمل
وفي البخاري عن سهل بن سعد قال كنا مع النبي صلى الله وسلم في الخندق وهم
يحفرون ونحن ننقل التراب على اكتادنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاغفر للمهاجرين والانصار والاكتاد بالمثناة
الفوقية جمع كتد بفتح اوله وكسر المثناة وهو ما بين الكاهل الى الظهر وفي بعض
نسخ البخاري اكبادنا بموحدة وهو موجه على ان يكون المراد به ما يلي الكبد من الجنب
وفي البخاري ايضا عن انس فاذا المهاجرون يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم
عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجزع فقال

اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا قال ابن بطال وقوله
اللهم لا عيش الا عيش الاخرة هو من قول ابن رواحة تمثل به عليه السلام وعند
الحارث بن ابي اسامة من مرسل طاوس زيادة في اخر الرجز
والعن عضلا والقارة • هم كلفونا نقل الحجارة • وفي البخاري من حديث
البراء قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير
الشعر فسمعته يرتجز بكلام ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى رغبوا علينا وان ارادوا فتنة ابينا

قال يمد بها صوته وفي رواية له ايضا

ان الاولى قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا

وفي حديث سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي انه صلى الله عليه وسلم
حين ضرب في الخندق قال بسم الله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا
حبذا ربا وحبذا دينا قال في النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال اي بدأت
به فلما خففت الهمزة كسر الدال فانقلبت الهمزة ياء وليس هو من بنات الياء انتهى
وقد وقع في حفر الخندق ايات من اعلام نبوته عليه السلام منها ما في الصحيح عن جابر

قال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة وهي بضم الكاف وتقديم
الذال المهملة على التحتانية وهي القطعة الصلبة فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه معصوب بالحجر ولبثنا
ثلثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم فضرب وعاد
كثيبا اهيل او اهيم كذا بالشك من الراوي وفي رواية الاسماعيلي باللام من غير
شك والمعنى انه صار رملا يسيل ولا يتماسك واهيم بمعنى اهيل وقد قيل
في قوله تعالى فشاربون شرب الهيم المراد الرمال التي لا يرويها الماء وقد وقع
عند احمد والنسائي في هذه القصة زيادة باسناد حسن من حديث البراء قال
لما كان حين امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا
في بعض الخندق صخرة لا تاخذ منها المعاول فاشتكينا ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فجاء واخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فنثر ثلثها فقال الله اكبر
اعطيت مفاتيح الشام والله لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية
فقطع ثلثا اخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس واني والله لابصر قصر المداين الابيض
الان ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح
اليمن والله اني لابصر ابواب صنعا من مكاني الساعة ومن اعلام نبوته ما ثبت
في الصحيح من حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق كما سياتي
ان شاء الله تعالى مستوفى في مقصد المعجزات مع غيره وقد وقع عند موسى

بن

بن رواحة وفي رواية الترمذي في الشمايل عن انس انه عليه السلام دخل مكة
في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله اعلم
وعامر بن الاكوع بفتح الهمزة وسكون الكاف وبالعين المهملة وهو عم سلمة بن
الاكوع واستشهد يوم خيبر ومرت قصته في غزوتها وانجشة العبد الاسود
وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة وكان حسن الحداء قال
انس كان البراء بن مالك يحدو بالرجال وانجشة يحدو بالنسا وقد كان يحدوا
وينشد القريض والرجز فقال له عليه السلام كما في رواية البراء بن مالك
رويدك رفقا بالقوارير اي النسا فشبههن بالقوارير من الزجاج لانه يسرع
اليها الكسر فلم يامن عليه السلام ان يصيبهن او يقع في قلوبهن حداؤه
فامره بالكف عن ذلك وفي المثل الغنا رقية الزنا وقيل اراد ان الابل اذا
سمعت الحداء اسرعت في المشي واشتدت فازعجت الراكب واتعبته فنهاه
عن ذلك لان النسا يضعفن عند شدة الحركة الفصل الثامن في الات
حروبه عليه السلام كدروعه واقواسه ومنطقته واتراسه اما
اسيافه عليه السلام فكان له تسعة اسياف مابور وهو اول
سيف ملكه عليه السلام وهو الذي يقال

انه قدم به الى المدينة فى الهجرة والعضب ارسله عليه سعد بن عبادة
حين سار الى بدر وذو الفقار لانه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر ويجوز
فى فايه الفتح والكسر وصار اليه يوم بدر وكان للعاصى بن منبه وكان
هذا السيف لايفارقه صلى الله عليه وسلم يكون معه ءم فى كل حرب
يشهدها وكانت قايمته وقبيعته وحلقته وذوابته وبكراته ونعله
من فضة والقلعى بضم القاف وفتح اللام وهو الذى اصابه من قلع موضع
بالبادية والتبار اى القاطع والحتف وهو الموت والمخذم وهو القاطع و
الرسوب اى يمضى فى الضريبة ويغيب فيها وهو فعول من رسب يرسب
اذا ذهب الى سفل اصابهما من الفلس بضم الفاء واسكان اللام صنم
كان لطى والقضيب واما ادراعه فسبعة ذات الفضول بالضاد المعجمة
لطولها ارسل بها اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وكانت من حديد
وهى التى رهنها عند ابى الشحم اليهودى على شعير وكان ثلثين صاعا وكانت لدين
الى سنة وذات الوشاح وذات الحواشى والسعدية ويقال
بالعين المهملة وهى درع عكير القينقاعى قيل وهى درع داود عليه م
التى لبسها حين قتل جالوت وفضة وكان قد اصابهما والبتراء لقصرها
والخرنق باسم ولد الارنب وكان عليه الصلاة والسلام
يوم احد درعان ذات الفضول وفضة وكان عليه عليه السلام

يوم

يوم احد درعان ذات الفضول والسعدية واما اقواسه عليه
الصلوة والسلام فكانت ستة الزوراء وثلاث من شاج بنى
قينقاع قوس تدعى الروحا وقوس تدعى الصفراء وسوحط
والكتوم كسرت يوم احد فاخذها قتادة والسداد وكانت له جعبة
تدعى الكافور وكانت له منطقة من اديم فيها ثلاث حلق من فضة
والابزيم من فضة والطرف من فضة واما اتراسه فكانت
له صلى الله عليه وسلم ترس اسمه الزلوق يزلق عنه السلاح
وترس يقال له الفتق وترس اهدى اليه عليه السلام فيه صورة
تمثال عقاب او كبش فوضع يده ءم عليه فذهب الله تعالى ذلك
التمثال واما ارماحه صلى الله عليه وسلم فالمثوى قال ابن الاثير
به يسمى لايثبت المطعون به من الثوى وهو الاقامة انتهى والمثنى
ورمحان اخران وكانت له صلى الله عليه وسلم حربة كبيرة اسمها
البيضا وكانت له عليه السلام حربة اخرى صغيرة دون الرمح
شبه العكاز يقال العنزة وكانت تركز امامه ويصلى اليها
وكان له عليه السلام مغفرة من حديد يسمى السبوغ او ذا السبوغ
واخر يسمى الموشح تكميل وكان له عليه السلام فسطاط يسمى الكن
وكان له محجن قدر ذراع او اكثر يمشى ويركب به ويعلقه بين يديه

على بعيره وكانت له محضرة تسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى
الممشوق وكانت له قدح يسمى الريان واخر يسمى مغيثا وقدح مضبب
بسلسلة من فضة في ثلاث مواضع واخر من عيدان واخر من زجاج وتور
من حجارة يسمى المخضب وركوة تسمى الصادرة ومخضب من نحاس ومغتسل
من صفر ومدهن وربعة اسكندرانية يجعل فيها المراة ومشط
من عاج وهو الذبل والمكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين وكان
في الربعة ايضا المقراض والسواك وهذه الربعة اهداها له المقوقس صاحب
الاسكندرية مع مارية ام ابراهيم عليه السلام وكانت له قصعة تسمى
الغرا باربع حلق وصاع ومد وقطيفة وسريره قوايمه من ساج وفراش
من ادم حشوه ليف وخاتم من حديد ملوي بفضة وخاتم من فضة فصه
منه يجعله في يمينه وقيل كان اولا في يمينه ثم حوله الى يساره منقوش
عليه محمد رسول الله واهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما وكان
له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب وجبة سندس خضراء وجبة طيالسة
وعمامة يقال لها السحاب واخرى سوداء ورداء صلوات الله وسلامه
عليه الفصل التاسع في ذكر خيله عليه السلام ولقاحه ودوابه
اما خيله عليه السلام فالسكب يقال فرس سكب اي كثير الجري
كانما يصب جريه صبا واصله من سكب الماء يسكبه وهو اول فرس

ملكه

ملكه اشتراه عليه السلام بعشرة اواق وكان اغر محجلا طلق اليمين كميتا
وقال ابن الاثير كان ادهم والمرتجز بضم الميم وسكون الراء وفتح التاء
وكسر الجيم بعدها راء سمي به لحسن صهيله ماخوذ من الرجز الذي هو ضرب
من الشعر وكان ابيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته
شهادة رجلين والظرب بالظاء المعجمة اخره موحدة واحد الظراب سمي به
لكبره وسمنه وقيل لقوته وصلابة حافره اهداها له عليه السلام فروة
بن عمرو الجذامي واللحيف بالمهملة اهداها له عليه السلام ربيعة بن
البراء سمي به لسمنه وكبره كانه يلحف الارض اي يغطيها بذنبه لطوله
فعيل بمعنى فاعل يقال لحفت الرجل باللحاف طرحته عليه ويروى بالجيم و
بالخاء المعجمة رواه البخاري ولم يحققه والمعروف بالحاء المهملة
قاله في النهاية واللزاز سمي به لشدة تلززه واجتماع خلقه ولز به الشيء
اي لزق به كانه يلتزق بالمطلوب لسرعته وهذه اهداها له المقوقس
والورد قال ابن سعد اهداها له تميم الداري فاعطاه عمر فحمل عليه
في سبيل الله ثم وجده يباع برخص والسبحة بالموحدة من قولهم فرس سابح
اذا كان حسن مد اليدين في الجري قال ابن بنين هي فرس شقراء اشتراها
من اعرابي من جهينة بعشر من الابل فهذه سبعة متفق عليها وذكر ابن
بنين فيما حكاه الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه السلام قال

وكان اشتراه من بحر قد موا من اليمن فسبق عليه مرات فجثا صلى الله عليه وسلم
على ركبتيه ومسح وجهه وقال ما انت الا بحر فسمي بحرا وقال ابن الاثير
وكان كميتا والسجل بكسر السين المهملة وسكون الجيم ذكره على بن محمد بن
الحسين بن عبدوس الكوفي ولعله ماخوذ من قوله سجلت الماء فانسجل
اي صببته فانصب وذو اللمة بكسر اللام وتشديد الميم ذكره ابن حبيب
وذو العقال بضم العين المهملة وتشديد القاف وحكى بعضهم
تخفيفها والسرحان بكسر السين المهملة وسكون الراء ذكره ابن خالويه
والطرف بكسر الطاء المهملة وسكون الراء بعدها فاء ذكره ابن
قتيبة في المعارف وذكر في رواية انه هو الذي اشتراه من الاعرابي
وشهد له بخزيمة بن ثابت والمرتجل بكسر الجيم ذكره ابن خالويه من قولهم
ارتجل الفرس ارتجالا اذا خلط العنق بشيء من الهملجة والمرواح بكسر الميم
من ابنية المبالغة كالمطعام مشتق من الريح لسرعته او من الاء الرواح لتوسعه
في الجري اهداه له قوم من مذحج ذكره ابن سعد وملاوح بضم الميم و
كسر الواو ذكره ابن خالويه والمندوب ذكره بعضهم في خيله
صلى الله عليه وسلم والنجيب ذكره ابن قتيبة وان في رواية انه
الذي اشتراه من الاعرابي وشهد له بخزيمة واليعبوب
ذكر واليعسوب ذكرهما قاسم بن ثابت في كتاب الدلايل كان له

صلى

صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل يدا لين مضموستين وكانت
شهباء اهداها له المقوقس وفضة اهداها له فروة بن عمرو
الجذامي واخرى اهداها له ابن العلماء صاحب ايلة وكانت بيضاء رواه
البخاري في كتاب الجزية والموادعة بعد الجهاد واخرى من عند النجاشي
قيل واهدى له كسرى بغلة اخري وفي ذلك نظر لان كسرى مزق
كتابه صلى الله عليه وسلم وكان له صلى الله عليه وسلم من
الحمير عفيرا اهداه له المقوقس ويعفورا اهداه فروة بن عمرو و
يقال هما واحد وذكر ان سعد بن عبادة اعطى للنبي صلى الله عليه
وسلم حمارا فركبه وكان له صلى الله عليه وسلم من اللقاح
القصوى وهي التي هاجر عليها والعضبا والجدعاء ولم يكن بهما
عضب ولا جدع وانما سميت بذلك وقيل كان باذنها عضب وقيل
العضبا والجدعاء واحدة والعضبا هي التي كانت لا تسبق فجاء اعرابي
على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه و
سلم ان حقا على الله ان لا يرفع من الدنيا شيئا الا وضعه وغنم
صلى الله عليه وسلم يوم بدر جملا لابي جهل في انفه برة من فضة
فاهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين وكانت له خمسة واربعون
لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة منها اطلال واطراف وبردة وبركة

والبغوم والحثاء ورمزة والرياء والسعدية وسقيا والستمرا
والشقراء وعجرة والعريش وعوثة وقيل غيثة وقمر ومروة و
مهرم وورشة والعشيرة وكانت له صلى الله عليه وسلم ماية شاة وكانت
له صلى الله عليه وسلم ستة اعنز منايح ترعاهن ام ايمن الفصل العاشر
في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا
لديه قال النووي الوفد الجماعة المختار للتقدم في لقي العظما واحدهم
وافد انتهى وقد كان ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه عليه السلام
من الجعرانة في اخر سنة ثمان وما بعدها وقال ابن اسحق بعد غزوة
تبوك وقال ابن هشام كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود وقد
سرد محمد بن سعد في الطبقات الوفود وتبعه الدمياطي في السيرة
له وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ زين الدين العراقي ومجموع
ما ذكروه يزيد على الستين فقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد
هوازن كما رواه البخاري وغيره وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطايف في شوال الى
الجعرانة وفيها السبي يعني سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن
مسلمين فيهم تسعة نفر من اشرافهم فاسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا
يا رسول الله ان فيمن اصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات فقال ساطلب لكم وقد

عقبة انها قاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة وعند الواقدي اربعا
وعشرين يوما وفي الهدي النبوي لابن القيم قاموا شهرا ولما فرغ رسول الله ع م
من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة الاف من احابيشهم
ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة ونزل عيينة بن حصين في غطفان ومن تبعهم
من اهل نجد الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
حتى جعلوا ظهورهم الى سلع وكانوا ثلثة الاف رجل فضرب هنالك عسكره
والخندق بينه وبين القوم وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة و
لواء الانصار بيد سعد بن عبادة وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الحرس الى
المدينة خوفا من على الذراري من بني قريظة قال ابن اسحق وخرج عدو الله
حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم
وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فاغلق
كعب دونه باب حصنه وابى ان يفتح له وقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤم
واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني ما رايت منه الا وفاء
وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح له فقال يا كعب جئتك بعز الدهر
جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني
على ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده
وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله ع م وعن عبد الله بن الزبير

قال كنت يوم الاحزاب انا وعمر وابن ابي سلمة مع النسا في اطم حسان فنظرت
فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت
يا ابة رايتك تختلف قال رايتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عم
قال من ياتي بني قريظة فياتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابي وامي اخرجه الشيخان وقال الترمذي
حديث حسن وفي رواية اصحاب المغازي فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات
بن جبير ليعرفوا الخبر فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتبرؤا من عقده وعهده ثم اقبل السعدان ومن
معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عضل والقارة اي كغدرهما
باصحاب الرجيع فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم
من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المومنون كل ظن ونجم النفاق من بعض
المنافقين وانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الايات وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب
لا مقام لكم فارجعوا وقال اوس بن قيظي يا رسول الله ان بيوتنا عورة من
العدو فاذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال ابن عائذ واقبل
نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق

فقتله الله

الجزء الرابع عشر

فقتله الله وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا نعطيكم الدية على ان تدفعوه الينا فندفنه فرد اليهم صلى الله عليه وسلم
انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب
لنا في ديته وقال ابن اسحق واقام عليه السلام والمسلمون وعدوهم يحاصرهم
ولم يكن بينهم قتال الا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن ود العامري اقتحم
هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة
فبارزه علي فقتله وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله
علي ورجعت بقية الخيول منهزمة ورمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل
وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة عرق في وسط الذراع قال
الخليل وهو عرق الحياة يقال ان في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الاكحل
وفي الظهر الابهر وفي الفخذ النسا اذا قطع لم يرقا الدم وكان الذي رمى سعدا ابن
العرقة احد بني عامر بن لوي قال خذها مني وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله
وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني
لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهد من قوم اذوا رسولك وكذبوه واقام عم
واصحابه بضع عشرة ليلة فمشى نعيم بن مسعود الاشجعي وهو مخف اسلامه
فثبط قوما عن قوم واوقع بينهم شرا لقوله عليه السلام الحرب خدعة
فاختلفت كلمتهم وروي عن حذيفة قال لقد رايتنا ليلة الاحزاب

وابو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة اسفل منا نخافهم على ذرارينا وما
اتت علينا ليلة اشد ظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستاذنون ويقولون
بيوتنا عورة فمر بي النبي م وانا جاث على ركبتي ولم يبق معه الا ثلثمائة فقال
فاتني بخبر القوم قال ودعا لي فاذهب الله عني القر والفزع فدخلت عسكرهم
فاذا الريح فيه لا يجاوز شبرا فلما رجعت رايت فوارس في طريقي فقالوا اخبر
صاحبك ان الله كفاه القوم وفي رواية ان حذيفة لما ارسله عليه السلام
لياتيه بالخبر سمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار
مقام ولقد هلك الخف والكراع واختلفنا وبنو قريظة ولقينا من هذا الريح
ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قايم
ووقع في البخاري انه عليه السلام قال يوم الاحزاب من ياتينا بخبر القوم
فقال الزبير انا ثم قال بخبر القوم فقال الزبير قالها ثلثا وقد اشكل ذكر الزبير
في هذه فقال ابن الملقن وقع هنا ان الزبير هو الذي ذهب والمشهور انما هو
حذيفة ابن اليمان قال الحافظ بن حجر وهذا الحصر مردود فان القصة التي ذهب
لكشفها فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم و
بين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين وقصة حذيفة كانت لما اشتد
الحصار على المسلمين بالخندق وتمالات عليهم الطوايف ثم وقع بين الاحزاب
الاختلاف وحذرت كل طايفة من الاخرى وارسل الله عليهم الريح واشتد البرد

تلك

تلك الليلة فانتدب عليه السلام من ياتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة
بعد تكراره طلب ذلك وقصته في ذلك مشهورة لما دخل بين قريش في
الليل وعرف قصتهم وفي البخاري من حديث عبد الله بن ابي اوفى قال
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل
الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وروى
احمد عن ابي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله
فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا
قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح وفي ينبوع الحياة لابن ظفر قيل انه
صلى الله عليه وسلم دعا فقال يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين
اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وباصحابي فنزل جبريل فبشره
بان الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم اصحابه ورفع يديه قائلا
شكرا شكرا وهبت ريح الصبا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية
وكفات القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في
ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا
ما استثقلوا من متاعهم قال فذلك قوله تع فارسلنا عليهم ريحا وجنودا
لم تروها وفي البخاري عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ملا الله
بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس

ومقتضى هذا انه استمر اشغاله بقتاله المشركين حتى غابت الشمس ويعارضه ما في
صحيح مسلم عن ابن مسعود انه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صلوة العصر حتى احمرت الشمس واصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة
الوسطى الحديث ومقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية قال الشيخ تقي الدين
بن دقيق العيد الحبس انتهى الى ذلك الوقت اي الحمرة والصفرة ولم تقع الصلوة
الا بعد المغرب انتهى وفي البخاري عن عمر بن الخطاب انه جاء يوم الخندق
بعد ما كادت الشمس تغرب فقال صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها
فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضاء للصلوة وتوضانا لها
فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وقد يكون ذلك
للاشتغال باسباب الصلوة او غيرها ومقتضى هذه الرواية المشهورة
انه لم يفت غير العصر وفي الموطاء الظهر والعصر وفي الترمذي عن ابن
مسعود ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات
يوم الخندق وقال ليس باسناده باس الا ان لم يسمع من عبد الله قال ابن
العربي الى الترجيح وقال الصحيح ان التي اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم
واحدة وهي العصر وقال النووي طريق الجمع بين هذه الروايات ان وقعة
الخندق بقيت اياما فكان هذا في بعض الايام وهذا في بعضها قال واما تاخير
عليه السلام صلوة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلوة الخوف

قال

قال العلما يحتمل انه اخرها نسيانا لا عمدا وكان السبب في النسيان
الاشتغال بامر العدو ويحتمل انه اخرها عمدا للاشتغال بالعدو وكان
هذا عذرا في تاخر الصلوة قبل نزول صلوة الخوف واما اليوم فلا يجوز
تاخير الصلوة عن وقتها بسبب العدو والقتال بل يصلي صلوة الخوف
على حسب الحال وقد اختلف في المراد بالصلوة الوسطى وجمع الحافظ
الدمياطي في ذلك مولفا مفردا اسماه كشف المغطى عن الصلوة الوسطى فبلغ تسعة
عشر قولا وهي الصبح او الظهر او العصر او المغرب وجميع الصلوات وهو ثنتا او
الفرايض والنوافل واختاره ابن عبد الله البر او الجمعة وصححه القاضي حسين
في صلوة الخوف من تعليقه او الظهر في الايام والجمعة يوم الجمعة او العشا
لانها بين الصلوتين لا يقصران او الصبح والعشا او الصبح والعصر لقوة الادلة
فظاهر القران الصبح ونص السنة العصر او صلوة الجماعة او الوتر او صلوة
الخوف او صلوة عيد الاضحى والفطر او صلوة الجماعة او الوتر او صلوة
الاضحى او واحدة من الخمس غير معينة او الصبح او العصر على الترديد وهو
غير القول السابق او التوقف انتهى فانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة
الخندق يوم الاربعا لسبع ليال بقين من ذي القعدة وكان قد اقام بالخندق
خمسة عشر يوما وقيل اربعة عشر يوما وقال عليه السلام لن تغزوكم
قريش بعد عامكم هذا وفي ذلك علم من اعلام النبوة فانه عليه الصلوة والسلام

اعتمر فى السنة السادسة فصدتهم قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم الى
ان نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الامر كما قال عليه السلام وسياتى
ذلك ان شاء الله تعالى وقد اخرج البزار من حديث جابر باسناد حسن شاهدا لهذا
ولفظه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وقد جمعوا له جموعا
كثيرة لا تغزونكم بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم ولما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة
يوم الاربعا هو واصحابه ووضعوا السلاح جاه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة
من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفى رواية البخاري من حديث عايشة
انه لما رجع صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد
وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بنى قريظة وعند ابن
اسحق ان الله يامرك بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم فمزلزل بهم فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم موذنا فاذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين
العصر الا ببنى قريظة وعند ابن عايذ قم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم
دق البيض على الصفا وبعث يومئذ مناديا ينادى يا خيل الله اركبى وعند
الحاكم والبيهقى وبعث عليا على المقدمة وخرج صلى الله عليه وسلم فى اثره وعند
ابن سعد ثم سار اليهم فى المسلمين وهم ثلثة الاف والخيل ستة وثلثون فرسا قال وذلك
يوم الاربعا لسبع بقين من ذى القعدة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فيما قال ابن هشام
ونزل عليه السلام على بئر من ابار بنى قريظة وتلاحق به الناس فاتا رجال من بعد عشاء الاخرة

ولم

ولم يصلوا العصر لقوله عليه السلام لا يصلين احد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا
العصر بها بعد عشاء الاخرة فما عابهم الله تعالى بذلك فى كتابه ولا عنفهم
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن ابن عمر فادرك بعضهم العصر
فى الطريق فقال بعضهم لا نصلى حتى ناتيها وقال بعضهم بل نصلى لم يرد منا
ذلك فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم كذا وقع فى
جميع النسخ من البخاري انها العصر واتفق عليه جميع اهل المغازي ووقع
فى مسلم انها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم روايته عن شيخ واحد باسناد
واحد ووافق مسلما ابو يعلى واخرون وجمع بين الروايتين باحتمال
ان يكون بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر ولم يصلها لا يصلين احد الظهر
ولمن صلاها لا يصلين احد العصر وجمع بعضهم باحتمال ان يكون طايفة
منهم راحت بعد طايفة فقيل للطايفة الاولى الظهر وللطايفة التى بعدها
العصر والله اعلم قال ابن اسحق وحاصرهم عليه السلام خمسا وعشرين
ليلة حتى اجتهدهم الحصار وعند ابن سعد خمس عشرة وعند ابن عقبة بضع
عشرة ليلة وقذف الله فى قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن
اسد ان يؤمنوا فقال لهم يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض
عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هى قال نبايع هذا الرجل ونصدقه
فوالله لقد تبين انه لنبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتامنون على دمائكم

واموالكم وابنائكم ونسائكم تابوا قال فاذا ابيتم على هذا فهلم تقتل ابنائنا ونسانا
ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ما نخشى عليه
فقالوا اى عيش لنا بعد ابنائنا ونسائنا فقال ان ابيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت
وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه
غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من علمت
فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ وارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابعث الينا ابا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر نستشره فى امرنا فارسله اليهم
فلما راوه قام اليه الرجال وجرش اليه النسا والصبيان يبكون فى وجهه
فرق لهم فقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده
الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت
انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يات رسول الله عم
حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكانى هذا حتى يتوب
الله على مما صنعت وعاهد الله ان لا يطاء بنى قريظة ابدا ولا ارى فى بلد خنت
الله ورسوله فيه ابدًا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره كان
قد استبطاه قال اما لو جاءنى لاستغفرت له واما اذا فعل ما فعل فما انا بالذى
اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه قال واقام ابو لبابة مرتبطا بالجذع
ست ليال تاتيه امراته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فترتبطه

بالجذع

وقالوا
بالجذع

وقال ابو عمر روى وهب عن مالك عن عبد الله بن ابى بكر ان ابا لبابة ارتبط
بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع وكاد يذهب
بصره وكانت ابنته تحله اذا حضرت الصلاة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا
فرغ اعادته وعن عبد الله ابن قسيط ان توبة ابى لبابة نزلت على رسول الله صلى الله
وهو فى بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من
السحر وهو يضحك فقالت قلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على ابى لبابة قالت
قلت افلا ابشره يا رسول الله قال بلى ان شئت قالت فقامت على باب حجرتها وذلك
قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت
فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله عم هو الذى
يطلقنى بيده فلما مر عليه خارجا الى صلوة الصبح اطلقه وروى البيهقى
دلائله بسنده عن مجاهد فى قوله تعالى اعترفوا بذنوبهم قال هو ابو لبابة
اذ قال لقريظة ما قال واشار الى حلقه بان محمدًا يذبحكم ان نزلتم على حكمه قال
البيهقى وزعم محمد بن اسحق بن يسار ان ارتباطه كان حينئذ وقد روينا عن
ابن عباس ما دل على ان ارتباطه بسارية المسجد كان بتخلفه عن غزوة تبوك
كما قال ابن المسيب قال وفى ذلك نزلت هذه الاية ولما اشتد الحصار ببنى
قريظة اذعنوا ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم
فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله فى خيمة فى المسجد الشريف لامراة من اسلم

يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه اتاه قومه فحملوا على حمار
وقد وطاله بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله
فلما انتهى سعد الى رسول الله والمسلمين قال عليه السلام قوموا الى سيدكم
فلما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله عليه وسلم الانصار
واما الانصار فيقولون عمت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك
امر موالیك لتحكم فيهم فقال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم
الاموال وتسبى الذرارى والنسا فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت
فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعه والرقيع السما سميت بذلك لانها
رقعت بالنجوم ووقع في البخاري قال قضيت بحكم الله الذي حكم وربما
قال بحكم الملك اي بكسر اللام وفي رواية محمد بن صالح لقد حكمت اليوم
فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات وفي حديث جابر عند عايذ
فقال احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله احق بالحكم قال قد امرك الله ان تحكم
فيهم وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمنه صلى الله عليه وسلم وهي مسئلة
اختلف فيها اهل اصول الفقه والمختار الجواز سواء كان في حضرته ام لا
وانما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان القطع ولا يضر ذلك
لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته كما في هذه القصة
وغيرها انتهى وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال كما قاله

الدمياطي

الدمياطي والخميس كما قاله مغلطاي خلون من ذي الحجة وامر عليه السلام
بنى قريظة فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدود في السوق وجلس عليه السلام
ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين ستماية وسبعماية
وقال السهيلي المكثر يقول انهم ما بين الثماماية الى السبعماية وفي حديث جابر
عند الترمذي والنسايي وابن حبان باسناد صحيح انهم كانوا اربعماية مقاتل
فيحتمل في طريق الجمع ان يقال ان الباقين كانوا اتباعا واصطفى رسول الله صلى الله
لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها وقيل كان يطاها بملك اليمين وامر بالغنايم
فجمعت واخرج الخمس من المتاع والسبى ثم امر بالباقي فبيع ممن يريد وقسمه
بين المسلمين فكانت على ثلثة الاف واثنين وسبعين سهما للفرس سهمان
ولصاحبه سهم وصار الخمس الى محمية بن جزء الزبيدي فكان النبي
يعتق منه ويهب ويخدم منه من اراد وكذلك صنع مما صار اليه من
الرثة وهو السقط من المتاع وانفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا وفي البخاري
انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الى ان اجاهدهم فيك من قوم كذبوا
رسولك اللهم اظن انك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها
فانفجرت من لبتها فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا الدم يسيل
اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا ياتينا من قبلكم فاذا سعد يغذ جرحه
دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه في هذه القصة مجابا

وذلك انه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون
ابتداء القصة فيه من المشركين فانه عليه الصلاة والسلام تجهز الى العمرة
فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب ان يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى وهو
الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ثم
وقعت الهدنة واعتمر عليه السلام من قابل واستمر ذلك الى ان نقضوا العهد فتوجه
اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله اظن انك قد وضعت الحرب اي
ان يقصدونا محاربين وهو كقوله عليه السلام تغزوهم ولا يغزونا كما تقدم
وقد بين سبب انفجار جرح سعد في مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد ولفظه انه
مرت به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع النحر فانفجرت حتى مات وحضر
جنازته سبعون الف ملك واهتز لموته عرش الرحمن رواه الشيخان قال النووي
اختلف العلما في تاويله فقالت طايفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه
فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ولا
مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول
هو ظاهر الحديث وهو المختار قال المازري قال بعضهم هو على حقيقته
وان العرش تحرك لموته قال وهذا لا ينكر من جهة العقل لان العرش جسم من
الاجسام يقبل الحركة والسكون قال لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك الا ان
يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة للملايكة على موته وقال اخرون المراد

بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم
لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله
عليها وقال الحربي هو عبارة عن تعظيم شان وفاته والعرب تنسب الشي
المعظم الى الاعظم الاشيا فيقولون اظلمت لموت فلان الارض وقامت
له القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول
باطل يرده صريح الروايات التي ذكرها مسلم اهتز لموته عرش الرحمن
وانما قال هؤلاء هذا التاويل لكونهم لم يبلغهم هذه الروايات التي ذكرها
مسلم والله اعلم انتهى وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش
وصحح الترمذي من حديث انس قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون
ما اخف جنازته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملايكة كانت تحمله وعن
البرا قال اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها
ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم تعجبون من لين هذه لمناديل سعد
بن معاذ في الجنة خير منها والين هذا لفظ رواية ابي نعيم في مستخرجه على مسلم
والمناديل جمع منديل بكسر الميم في المفرد وهو معروف قال العلما وهذا
اشارة الى عظم منزلة سعد في الجنة وان ادنى ثيابه فيها خير من هذه لان
المنديل ادنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره افضل انتهى واخرج ابن
سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل ابن حسنة قال

قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها ثم نظر اليها بعد
ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله
حتى عرف ذلك في وجهه فقال الحمد لله لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا
منها ضم ضمة ثم فرج الله عنه واخرج ابن سعد عن ابى سعيد الخدري قال
كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قال الحافظ
مغلطاي وغيره وفي هذه السنة فرض الحج وقيل سنة ست وصححه غير واحد
وهو قول الجمهور وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه جماعة
من العلما وسياتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى في ذكر وفد عبد القيس
من المقصد الثاني وفي ذكر حجه عليه السلام من مقصد عباداته ثم سرية
محمد بن مسلمة الى القرطاء بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية
ضربة بالبكرات وبين ضربة والمدينة سبع ليال لعشر ليال خلون من المحرم
سنة ست على راس ستة وخمسين شهرا من الهجرة وبعثه في ثلاثين راكبا
فلما اغار عليهم هرب سايرهم وعند الدمياطي فقتل نفرا منهم وهرب سايرهم
واستاق نعما وشاء وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن اثال
الحنفي اسيرا فربط بامره عليه السلام بسارية من سوار المسجد ثم اطلق بامره عم
ايضا فاغتسل واسلم وقال يا محمد والله ما كان على الارض وجه ابغض الي من
وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك

فاصبح

فاصبح دينك احب الاديان كلها الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح
بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره
النبي عم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل صبوت قال لا ولكن اسلمت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا تاتيكم من اليمامة حبة حنطة
حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قصته البخاري ثم غزوة
لحيان بكسر اللام وفتحها لغتان في ربيع الاول سنة ست من الهجرة وذكرها ابو
اسحق وفي جمادى الاولى على راس ستة اشهر من قريظة قال ابن حزم الصحيح انها
في الخامسة قالوا وجد رسول الله صلى الله وسلم على عاصم بن ثابت واصحابه وجدا
شديدا فاظهر انه يريد الشام وعسكر في مايتي رجل ومعهم عشرون فرسا
واستخلف على المدينة عبد الله بن ام مكتوم ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غران
واد بين امج وعسفان وبينها وبين عسفان خمس اميال حيث كان مصاب اصحابه
اهل الرجيع الذين قتلوا ببير معونة فترحم عليهم ودعا لهم فسمعت به بنو
لحيان فهربوا في رؤس الجبال فلم يقدر منهم على احد فاقام يوما او يومين
يبعث السرايا في كل ناحية ثم خرج حتى اتى عسفان فبعث ابا بكر في عشرة فوارس
لتسمع به قريش فيذعرهم فاتوا كراع الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا احدا و
انصرف عم الى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول آيبون تايبون عابدون
لربنا حامدون وغاب عن المدينة اربع عشرة ليلة غزوة الغابة وتعرف بذي

قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وهو ماء على بريد من المدينة في ربيع الاول
سنة ست قبل الحديبية وعند البخاري انها كانت قبل خيبر بثلاثة ايام وفي مسلم
نحوه قال مغلطاي وفي ذلك نظر لاجتماع اهل السير على خلافهما انتهى وقال
القرطبي شارح مسلم لا يختلف اهل السير ان غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية
وقال الحافظ بن حجر ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد اصح مما ذكره اهل السير
انتهى وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة وهي ذوات
اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة وكان ابو ذر فيها فاغار عليهم
عيينة بن حصن الفزاري ليلة الاربعاء في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا
ابن ابي ذر وقال بن اسحق وكان منهم رجل من غفار وامراة فقتلوا الرجل وسبوا
المراة فركبت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا حين غفلتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها
فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته بذلك فقال لا نذر في معصية
ولا لاحد فيما لا يملك ونودي يا خيل الله اركبي وكان اول ما نودي بها وركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة وقيل سبعمائة واستخلف على المدينة
ابن ام مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلثمائة يحرسون المدينة وكان قد عقد
للمقداد بن عمرو لواء في رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك
فادرك اخريات العدو وقتل ابو قتادة مسعدة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسه وسلاحه وقتل عكاشة بن محصن ابان بن عمرو وقتل من المسلمين محرز بن

فضلة

فضلة قتله مسعدة وادرك سلمة بن الاكوع القوم وهو على رجليه
فجعل يرميهم بالنبل ويقول خذها وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع يعني
يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع اي رضع اللوم في بطن امه وقيل
معناه اليوم يعرف من ارضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره
ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء قال سلمة
فقلت يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في
ايديهم من السرح واخذت باعناق القوم فقال صلى الله عليه وسلم ملكت
فاسجح وهي بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة اي فارفق
واحسن والسجاحة السهولة اي لا تاخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية
في العدو ولله الحمد ثم قال انهم الان ليقرون في غطفان وذهب الصريخ
الى بني عمرو بن عوف فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تاتي والرجال على
اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بذي قرد فاستنقذوا عشرة لقاح وافلت القوم بما بقي وهي عشر وصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف واقام يوما وليلة
ورجع قد غاب خمس ليال وقسم في كل مائة من اصحابه جزورا ينحرونها
سرية عكاشة بن محصن الاسدي الى غمر مرزوق بالغين المعجمة المكسورة
وهو ماء لبني اسد على ليلتين من فيد في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة

فی اربعین رجلا فخرج سریعا فنذر به القوم بکسر الذال المعجمة کفرح فهربوا
فنزلوا علیاء بلادهم فاستاقوا مائتی بعیر وقدموا علی رسول الله صلی الله علیه
وسلم ولم یلقوا کیدا ثم سریة محمد بن مسلمة الی ذی القصة بالقاف والصاد
المهملة المشددة المفتوحتین موضع بینه وبین المدینة اربعة وعشرون میلا
فی شهر ربیع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الی بنی ثعلبة فوردعلیهم
لیلا فاحدق به القوم وهم مایة رجل فتراموا ساعة من اللیل ثم حملت الاعراب
علیهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جریحا وجردوهم من ثیابهم
ومر رجل من المسلمین بمحمد بن مسلمة حتی ورد به المدینة فبعث رسول الله ابا
عبیدة بن الجراح فی ربیع الاخر فی اربعین رجلا الی مصارعهم فاغاروا علیهم
فاعجزوهم هربا فی الجبال واصاب رجلا واحدا فاسلم وترکه واخذ نعما من نعمهم
فاستاقه ورثة من متاعهم وقدم به المدینة فخمسه رسول الله صلی الله
علیه وقسم ما بقی علیهم قال فی القاموس الرثة السقط متاع البیت
کالرثة بالکسر ثم سریة زید بن حارثة الی بنی سلیم بالجموم ویقال الجموح
ناحیة ببطن نخل من المدینة علی اربعة امیال فی شهر ربیع الاخر سنة ست
فاصابوا امرأة من مزینة یقال لها حلیمة فدلتهم علی محلة من محال بنی سلیم فاصابوا
نعما وشاء واسری فکان فیهم زوج حلیمة المزنیة فلما قفل زید بما اصاب
وهب رسول الله صلی الله علیه وسلم للمزنیة نفسها وزوجها ثم سریة زید

بن

بن حارثة ایضا الی العیص موضع علی اربع لیال من المدینة فی جمادی الاولی
سنة ست ومعه سبعون راکبا لما بلغه علیه السلام ان عیرا لقریش قد اقبلت
من الشام یتعرض لها فاخذوها وما فیها واخذ یومئذ فضة کثیرة لصفوان
بن امیة واسر منهم ناسا منهم ابو العاص بن الربیع وقدم بهم المدینة فاجارته
زوجته زینب ابنة النبی صلی الله علیه وسلم ونادت فی الناس حین صلی الله
علیه وسلم الفجر انی قد اجرت ابا العاص فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم
ما علمت بشیء من هذا وقد اجرنا من اجرت ورد علیه ما اخذ منه وذکر
ابن عقبة ان اسره کان علی ید ابی بصیر بعد الحدیبیة وکانت هاجرت قبله
وترکته علی شرکه وردها النبی صلی الله علیه وسلم بالنکاح الاول قیل
بعد سنتین وقیل بعد ست سنین وقیل قبل انقضاء العدة وفی حدیث
عمرو بن شعیب عن ابیه عن جده ردها له بنکاح جدید سنة سبع سریة زید
بن حارثة ایضا الی الطرف وهو ماء علی ستة وثلثین میلا من المدینة فی جمادی
سنة ست فخرج الی بنی ثعلبة فی خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهرب الاعراب
وصبح زید بالنعم المدینة وهی عشرون بعیرا ولم یلق کیدا وغاب اربع لیال
ثم سریة زید ایضا الی حسمی بکسر المهملة وراء ذات القری وکانت فی جمادی
الاخرة سنة ست وسببها انه اقبل دحیة بن خلیفة الکلبی من عند قیصر
وقد اجازه وکساه فلقیه الهنید فی ناس من جذام بحسمی فقطعوا علیه الطریق

فسمع بذلك نفر من الظبيب فنفروا اليهم فاستنقذوا الدحية متاعه وقدم
دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة
وخمسماية رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار فاقبل
بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فارجعوا
وقتلوا الهنيد وابنه واغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسايهم فاخذوا من
النعم الف شاء وماية من النسا والصبيان فاخذوا فرحل زيد بن رفاعة الجذامي
في نفر من قومه فدمع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كتب له
ولقومه ليالى قدم عليه واسلم وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى زيد بن حارثة يامره
ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم فرد عليهم ثم سرية زيد ايضا الى وادي
القري ايضا في رجب سنة ست فقتل من المسلمين قتلا وارتث زيد اي حمل من
المعركة رثيثا اي جريحا وبه رمق وهو مبني للمجهول قاله في القاموس ثم سرية
عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شعبان سنة ست قالوا دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فاقعده بين يديه قال اغز باسم الله
وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب
بدومة الجندل وقالوا ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن
حتى قدم دومة الجندل فكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام فاسلم الاصبغ
بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان راسهم واسلم معه ناس كثير من قومه

واقام

واقام من اقام على اعطا الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم المثناه الفوقية
وكسر الضاد المعجمة بنت الاصبغ وقدم بها المدينة فولدت له ابا سلمة ثم سرية
علي بن ابي طالب في شعبان سنة ست من الهجرة ومعه ماية رجل الى بني سعد بن بكر
لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون ان يميدوا يهود خيبر
فاغاروا عليهم بين فدك وخيبر فاخذوا خمسماية بعير والفي شاة وهربت
بنو سعد وقدم علي ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ثم سرية زيد بن حارثة
الى ام قرفة فاطمة بنت ربيعة بن زيد الفزاريه بناحية وادي القري على سبع
ليال من المدينة في رمضان سنة ست من الهجرة وكان سببها ان زيد بن حارثة خرج
في تجارة الى الشام ومعه بضايع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما
كان معهم بوادي القري لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا
اصحابه واخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
فبعثه اليهم فكمن واصحابه بالنهار وساروا بالليل ثم صبحهم زيد واصحابه
فكبروا واحاطوا بالحاضر واخذوا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة واخذوا ابنتها
جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر الى ام قرفة وهي
عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا وربطه بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين
ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب
النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وساله

فاخبره بما ظفر الله به سرية عبد الله بن عتيك لقتل ابي رافع عبد الله ويقال سلام
بن ابي الحقيق اليهودي وهو الذي حزب الاحزاب يوم الخندق وكانت هذه
السرية في شهر رمضان سنة ست كذا ذكره ابن سعد ها هنا وذكر في ترجمة عبد الله
بن عتيك انه بعثه في ذي الحجة الى ابي رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة وقيل في
جمادي الاخرة سنة ثلاث وفي البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف
وارسل معه اربعة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن ابليس وابا قتادة والاسود
بن خزاعي ومسعود سنان وامرهم بقتله فذهبوا الى فكمنوا فلما هدات الرجل
جاؤا الى منزله فصعدوا درجة له وقدموا عبد الله بن عتيك لانه كان
يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية ففتحت له امراته فلما رات
السلاح ارادت ان تصيح فاشار اليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه
الا ببياضه فعلوه باسيافهم وفي البخاري وكان ابو رافع يوذي رسول الله
ويعين عليه وكان في حصن له فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح
الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف
للبواب لعلي ان ادخل فاقبل حتى دني من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضي حاجة
وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان كنت تريد ان تدخل فادخل
فاني اريد ان اغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق
الاغاليق قال فقمت الى الاغاليق فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر

عنده

عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت
كلما فتحت بابا اغلقت علي من داخل فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط
عياله لا ادري اين هو من البيت قلت ابا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت
فاضربه ضربة بالسيف وانا دهش فما اغنيت وصاح فخرجت من البيت فامكث
غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل
ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته ولم اقتله ثم
وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتلته وفي رواية
له ثم جئت كاني اغيثه فقلت له ما لك يا ابا رافع وغيرت الصوت فقال
لامك الويل دخل علي رجل فضربني قال فعمدت له ايضا فاضربه اخرى فلم
تغن شيئا فصاح وقام اهله قال ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث واذا
هو مستلق على ظهره فاضع السيف في بطنه ثم انكفاء عليه سمعت صوت العظم
فجعلت افتح الباب الابواب حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلي وانا ارى
اني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها
بعمامة فلما صاح الديك قام الناعي على السور فانطلقت الى اصحابي فقلت النجا
فقد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط
رجلك فمسحها فكانما لم اشتكها قط هذا لفظ رواية البخاري وفي رواية محمد
بن سعد ان الذي قتله عبد الله بن انيس والصواب ان الذي دخل عليه فقتله

عبد الله بن عتيك وحده كما في البخاري سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن
رزام اليهودي بخيبر في شوال سنة ست وكان سببها انه لما قتل ابو رافع
سلام بن ابي الحقيق امرت يهود عليها اسيرا فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم
لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة
نفر في شهر رمضان سرا فسال عن خبره وغرته فاخبر بذلك فقدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره فندب صلى الله عليه وسلم الناس فانتدب له ثلاثون
رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه وقالوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك
فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف
من المسلمين حتى اذا كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن انيس وكان في السرية
بالسيف فسقط عن بعيره ومالوا على اصحابه فقتلوهم غير رجل ولم يصب من المسلمين
ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين
سرية كرز بن جابر الفهري بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاء الى العرنيين
بضم العين وفتح الراء المهملتين حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد
هنا الثاني كذا ذكره ابن عقبة في المغازي وذكر ابن اسحق ان قدومهم كان بعد
غزوة ذي قرد وكانت في جمادى الاخرة سنة ست وذكر البخاري بعد
الحديبية وكانت في ذي القعدة منها وعند الواقدي في شوال منها وتبعه ابن

سعد

سعد وابن حبان وفي البخاري في كتاب المغازي عن انس ان ناسا من عكل وعرينة
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع
ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراعي
وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا
ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في اثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم
وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم وفي لفظ وسمروا
اعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا وفي لفظ ولم يحسمهم اي لم يكوِ مواضع
القطع فينحسم الدم وقال انس انما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينهم
لانهم سملوا اعين الرعاء رواه مسلم فيكون ما فعل بهم قصاصا وفي رواية
انهم كانوا ثمانية وعند البخاري ايضا في المحاربين انهم كانوا في الصفة قبل
ان يطلبوا الخروج الى الابل وفي رواية قال انس فلقد رايت احدهم يكدم الارض
بفيه حتى مات وعند الدمياطي كابن سعد ان اللقاح كانت خمسة عشر لقحة
بكسر اللام وسكون القاف ويقال لها الى ذلك اشهر وفي صحيح مسلم ان السرية
كانت قريبا من عشرين فارسا من الانصار وروى ابن مردويه عن سلمة بن
الاكوع قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم مولى يقال له يسار فنظر اليه
يحسن الصلوة فاعتقه وبعثه في لقاح له بالحرة فكان بها قال فاظهر قوم

الاسلام من عرينة وجاوا وهم مرضى موعكون قد عظمت بطونهم وعدوا
على يسار فذبحوه وجعلوا في عينيه ثم طردوا الابل فبعث النبي صلى الله عليه
وسلم في اثارهم خيلا من المسلمين امير كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم اليه
فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم قال ابن كثير غريب جدا وروى ابن
جرير عن محمد بن ابراهيم عن جرير بن عبد الله البجلي قال قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة الحديث وفيه قال جرير فبعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونفرا من المسلمين حتى ادركناهم فقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف وسمل اعينهم فجعلوا يقولون الماء ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله عز وجل سمل الاعين فانزل الله
هذه الاية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى اخر الاية وهو حديث غريب
ضعيف وفيه ان امير السرية جرير بن عبد الله البجلي قال مغلطاي وفيه نظر لان
اسلام جرير كان بعد هذه بنحو اربع سنين وفي مغازي ابن عقبة ان امير هذه السرية
سعيد بن زيد كذا عنده بزيادة ياء وعند غيره انه سعد بسكون العين بن زيد
الاشهلي وهذا انصاري فيحتمل انه كان راس الانصار وكان كرز امير الجماعة
واما قوله وكره الله سمل الاعين فانزل الله هذه الاية فانه منكر
فقد تقدم في صحيح مسلم انهم سملوا اعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا
والله اعلم تنبيه قال في فتح الباري وزعم ابن التين تبعا للداودي ان

عرينة

عرينة هم عكل وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان عكل من عدنان وعرينة
من قحطان ثم سرية عمرو بن امية الضمري الى ابي سفيان بن حرب بمكة لانه
ارسل للنبي من يقتله غدرا فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما راه
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا فجذبه اسيد بن الحضير
بداخلة ازاره فاذا بالخنجر فسقط في يده فقال صلى الله عليه وسلم اصدقني
ما انت قال انا امن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم وبعث
عمرو بن امية ومعه سلمة بن اسلم ويقال جبار بن صخر الى ابي سفيان
وقال ان اصبتما غرة فاقتلاه ومشى عمرو بن امية يطوف بالبيت ليلا
فراه معاوية بن ابي سفيان فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان
فاتكا في الجاهلية فحشد له اهل مكة وتجمعوا فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو
عبيد الله بن مالك التيمي فقتله وقتل اخر ولقي رسولين لقريش بعثهما
يتجسسان الخبر فقتل احدهما واسر الاخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو يضحك ثم الحديبية بتخفيف
الياء وتشديدها وهي بئر سمي المكان بها وقال المحب الطبري قرية قريبة من
مكة اكثرها في الحرم وهي على تسعة اميال من مكة خرج عليه السلام يوم الاثنين
هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة واخرج معه زوجته ام سلمة
في الف واربعمائة ويقال الف وخمسمائة وقيل الف وثلثمائة والجمع

بين هذا الاختلاف انهم كانوا اكثر من الف واربعماية فمن قال الف وخمسماية جبر
الكسر ومن قال الف واربعماية الغاه ويؤيده رواية البراء الف واربعماية او اكثر
واعتمد على هذا الجمع النووي واما رواية الف وثلثماية فيمكن حملها على ما
اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم والزيادة
من الثقة مقبولة واما قول ابن اسحق انهم كانوا سبعماية فلم يوافقه احد عليه
لانه قاله استنباطا من قول جابر نحرنا البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين
بدنة وهذا لا يدل على انهم نحروا غير البدن مع ان بعضهم لم يكن احرم
اصلا وجزم موسى بن عقبة بانهم كانوا الفا وستماية وعند ابن ابي
شيبة من حديث سلمة بن الاكوع الف وسبعماية وحكى ابن سعد الفا وخمسماية
وخمسة وعشرين واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ولم يخرج معه
بسلاح الا سلاح المسافر السيوف في القرب وفي البخاري في المغازي
عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله عم عام الحديبية
في بضع عشرة مائة من اصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعر و
احرم منها وفي رواية احرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار
النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الاشطاط اتاه عينه فقال
ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك و
صادوك عن البيت ومانعوك فقال اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل

الى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون ان يصدونا عن البيت
وفيه قال ابو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد
ولا حرب احد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله
وزاد احمد كان ابو هريرة يقول ما رايت احدا قط كان اكثر مشاورة لاصحابه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري حتى اذا كانوا ببعض الطريق
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش
طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش
فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي عم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط
عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت يعني تمادت على عدم القيام
فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي عم ما خلأت القصواء
وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل اي حبسها الله عن دخول مكة
كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك
الصورة وصدهم قريش لوقع بينهم القتال المفضي الى سفك الدماء ونهب الاموال
كما لو قدر دخول الفيل لكن سبق في علم الله انه سيدخل في الاسلام منهم
خلق ويستخرج من اصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون ثم قال صلى الله عم
والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم
اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية

على ثمدٍ قليل الماء يعني حفرة فيها ماء قليل يتبرضه تبرضا اى ياخذونه قليلا
قليلا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال الجيش
بالري حتى صدروا عنه فبينما هم اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من
قومه من خزاعة وكانوا غيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل
تهامة فقال انى تركت كعب بن لوى وعامر بن لوى نزلوا اعداد مياه الحديبية
معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ
بالدال المعجمة جمع عايذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات
التى معها اطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليرووا
بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوك او كنى بذلك النسا معهن الاطفال والمراد
انهم خرجوا بنسايهم واولادكم لارادة طول المقام ليكون ادعى الى عدم
الفرار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جينا
معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم
مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاؤا فان اظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل
فيه الناس فعلوا والا فقد جموا يعني استراحوا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده
لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي اى صافحة العنق كنى بذلك عن القتل
ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا

قد جيناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شيتم ان نعرضه عليكم
فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة ان تخبرنا عنه بشئ قال ذو الراي منهم هات
ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى م فقام عروة
بن مسعود فقال اى قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى
قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا
علي وهو بالمهملة اى تمنعوا من الاجابة جيتكم باهلي وولدي ومن اطاعني
قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد اى خصلة خير وصلاح
اقبلوها دعوني اتيه فاتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى م
نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اى محمدا رايت ان استاصلت
امر قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى
فانى والله لا ارى وجوها وانى لارى اشوابا يعني اخلاطا من الناس خليقا
ان يفروا ويدعونك فقال له ابو بكر الصديق رضى الله عنه امصص بظر الا
اللات نحن نفر عنه او ندعه قال العلما وهذا مبالغة من ابى بكر فى سب عروة
وهو ضمه مقام امته وحمله على ذلك اغضبه به بل نسبته الى الفرار والبظر
بالموحدة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة قطعة تبقى بعد الختان في فرج
المراة واللات اسم صنم والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم انتهى فقال
اى عروة من هذا فقالوا ابو بكر فقال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك

عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي م فكلما تكلم اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قايم على راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوي عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله عليه وسلم قال العلماء وقد كانت عادة العرب ان يتناول الرجل لحية من يكلمه لاسيما عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي لعروة استمالة له وتاليفا والمغيرة يمنعه اجلالا للنبي م وتعظيما انتهى قال فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية وقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء واسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء ثم عروة جعل يرمق اصحاب النبي م بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم امرا ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال في فتح الباري فيه اشارة الى الرد على ما خشيه من فرارهم فكانهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن به انه يفر عنه ويسلمه

لعدوه بل

بل هو اشد اغتباطا به وبدينه ونصره من هذه القبايل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم والله اعلم انتهى قال فرجع عروة الى اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسري والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني اتيه فقالوا ايته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهولاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني اته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي عليه م فبينا هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم وفي رواية ابن اسحق قد دعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل فصالحه

فقال صلى الله عليه وسلم قد ارادت قريش الصلح حين بعثت هذا فلما انتهى الى
النبى صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على
ان يوضع الحرب بينهم عشر سنين وان يامن بعضهم بعضا وان يرجع
عنهم قال معمر قال الزهري فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات
اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبى
صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن
الرحيم فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب
فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله
عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وفي
حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم فكتب هذا ما صالح محمد رسول الله اهل مكة
الحديث فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت
ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم
والله انى لرسول الله وان كذبتمونى وفى رواية له ولمسلم فقال النبى صلى الله
لعلى امحه فقال ما انا بالذى امحاه وهى لغة فى امحوه قال العلما وهذا الذى فعله
على من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبى صلى الله عليه وسلم تحتيم محو على
نفسه ولهذا لم ينكر عليه ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلى تركه انتهى ثم قال صلى الله
عليه وسلم ارنى مكانها فاراه مكانها فمحاه وكتب ابن عبد الله وفى رواية البخاري

فى المغازي فاخذ رسول الله الكتاب وليس ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه
محمد بن عبد الله وكذا اخرجه النسايي واحمد ولفظه فاخذ الكتاب وليس يحسن
ان يكتب فكتب مكان رسول الله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال فى فتح الباري
وقد تمسك بظاهر هذه الرواية ابو الوليد الباجى فادعى ان النبى صلعم كتب بيده
بعد ان لم يكن يحسن ان يكتب فشنع عليه علما الاندلس فى زمانه ورموه
بالزندقة وان الذى قاله يخالف القران حتى قال قايلهم شعرا
برئت ممن شرى دنيا باخرة . وقال ان رسول الله قد كتبا فجمعهما الامير
فاستظهر الباجى عليهم بما لديه من المعرفة وقال هذا لا ينافى القران بل
يوخذ من مفهوم القران لانه قيد النفى بما قبل ورود القران قال تعالى وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وبعد ان تحققت امية وتقررت بذلك
معجزته وامن الارتياب فى ذلك لا مانع من ان يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم
فتكون معجزة اخري وذكر ابن دحية ان جماعة من العلما وافقوا الباجى
على ذلك منهم شيخه ابو ذر الهروي وابو الفتح النيسابوري واخرون
من علما افريقية واحتج بعضهم لذلك بما اخرجه ابن ابى شيبة من طريق
مجالد بن عون بن عبد الله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب
وقرا قال مجاهد فذكرته للشعبى فقال صدق قد سمعت من يذكر ذلك
وقال القاضى عياض وردت اثار تدل على معرفته حروف الخط وحسن تصويرها

كقوله لكاتبه صنع القلم على اذنك فانه اذكر لك وقوله لمعاوية الق الدواة
وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم الى غير ذلك قال وهذا وان لم
يثبت انه كتب فلا يبعد ان يرزق علم وضع الكتابة فانه اوتي علم كل شيء واجاب الجمهور
بضعف هذه الاحاديث وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب
فيها هو علي بن ابي طالب وقد صرح في حديث المسور بن مخرمة بان عليا هو
الذي كتب فيحمل على ان النكتة فاخذت الكتاب وليس يحسن يكتب لبيان
ان قوله ارني اياها انه انما احتاج الى ان يريه موضع الكلمة التي امتنع علي
من محوها الا لكونه كان لا يحسن الكتابة وعلى ان قوله بعد ذلك فكتب
فيه حذف تقديره فمحاها فاعادها لعلي فكتب واطلق كتب بمعنى امر بالكتابة
وهو كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا
يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير عالما
بالكتابة ويخرج عن كونه اميا فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض
الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الاسماء ولا يخرج بذلك عن
كونه اميا ككثير من الملوك ويحتمل ان يكون جرت يده بالكتابة حينئذ و
هو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فتكون معجزة اخرى في ذلك الوقت
خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه اميا وبهذا اجاب ابو جعفر السمناني احد ائمة
الاصول من الاشاعرة وتبعه ابن الجوزي وتعقب ذلك السهيلي وغيره بان

هذا وان كان ممكنا وتكون اية اخرى لكنه يناقض كونه اميا لا يكتب وهي
الاية التي قامت بها الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز ان يصير
بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك
والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا والحق ان معنى قوله فكتب امر عليا ان
يكتب انتهى قال وفي دعوى ان كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة
يستلزم مناقضة المعجزة ويثبت كونه غير امي نظر كثير والله اعلم انتهى
واما قوله اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله الرحمن فوالله ما ادري
ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم الى اخره فقال العلماء وافقهم في ترك كتابة
بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله
وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع انه لا مفسدة في هذه الا مور
اما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذا قوله محمد بن عبد الله هو ايضا
رسوله وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي
ذلك ولا في ترك وصفه ايضا هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه وانما كانت
المفسدة تكون لو طلبوا ان يكتب ما لا يحل من تعظيم الهتهم ونحو ذلك انتهى قال في رواية
البخاري فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم على
ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا
ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان

علی دینك الا رددتہ الینا قال المسلمون سبحان الله کیف یرد الی المشرکین وقد جاء مسلماً
والضغطة بالضم قال فی القاموس الضیق والاکراه والشدة انتهی فان قلت ما
الحکمة فی کونه علیه السلام وافق سهیلا علی انه لا یاتیه منهم رجل وان کان علی دین
الاسلام الا ورده الی المشرکین فالجواب ان المصلحة المترتبة علی اتمام هذا الصلح ماظهر
من ثمراته الباهرة وفوایده المتظاهرة التی کانت عاقبتها فتح مکة واسلام اهلها
کلهم ودخول الناس فی دین الله افواجا وذلك انهم قبل الصلح لم یکونوا یختلطون
بالمسلمین ولا یتظاهر عندهم امور النبی صلی الله علیه وسلم کما هی ولا یخلون
بمن یعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحدیبیة اختلطوا بالمسلمین وجاؤا
الی المدینة وذهب المسلمون الی مکة وخلوا باهلهم واصدقایهم وغیرهم
ممن یستنصحونه وسمعوا منهم احوال النبی صلی الله علیه وسلم ومعجزاته الظاهرة
واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سیرته وجمیل طریقته وعاینوا بانفسهم کثیرا
من ذلك فمالت نفوسهم الی الایمان حتی بادر خلق منهم الی الاسلام قبل فتح مکة
فاسلموا بین صلح الحدیبیة وفتح مکة وازداد الاخرون میلا الی الاسلام فلما
کان یوم الفتح اسلموا کلهم لما کان قد تمهد لهم من المیل وکانت العرب من غیر قریش
فی البوادی ینتظرون باسلامهم اسلام قریش فلما اسلمت قریش اسلمت العرب فی
البوادی قال الله تعالی اذا جاء نصر الله والفتح ورایت الناس یدخلون فی دین الله
افواجا فالله ورسوله اعلم انتهی قال فی روایة البخاری فبینا هم کذلك دخل ابو جندل

بن سهل بن عمرو یرسف فی قیوده قد خرج من اسفل مکة حتی رمی بنفسه بین
اظهر المسلمین فقال سهیل هذا یا محمد اول ما اقاضیك علیه ان ترده الی فقال
صلی الله علیه وسلم انا لم نقض الکتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك علی شیء ابدا
قال النبی علیه السلام فاجزه لی قال ما انا بمجیز ذلك قال بلی فافعل قال ما انا
بفاعل قال مکرز بلی قد اجزناه لك قال ابو جندل ای معشر المسلمین ارد الی المشرکین
وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقیت وکان قد عذب فی الله عذابا شدیدا
زاد ابن اسحق فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم یا ابا جندل اصبر واحتسب فانا
لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا ومخرجا ووثب عمر یمشی الی جنبه ویقول اصبر
فانما هم المشرکون وانما دم احدهم کدم قال الخطابی تاول العلماء ما وقع فی
قصة ابی جندل علی وجهین احدهما ان الله قد اباح التقیة للمسلم اذا خاف
الهلاك ورخص له ان یتکلم بالکفر مع اضمار الایمان ان لم تمکنه التوریة فلم یکن
رده الیهم اسلاما لابی جندل الی الهلاك مع وجود السبیل الی الخلاص من الموت
بالتقیة والوجه الثانی انه انما رده الی ابیه والغالب ان اباه لا یبلغ به الی الهلاك
وان عذبه او سجنه فله مندوحة بالتقیة ایضا واما ما یخاف علیه من الفتنة
فان ذلك امتحان من الله یبتلی به صبر عباده المومنین واختلف العلماء هل یجوز
الصلح مع المشرکین علی ان یرد الیهم من جاء مسلما من عندهم ام لا فقیل نعم
علی ما دلت علیه قصة ابی جندل وابی بصیر وقیل لا وان الذی وقع فی القصة

منسوخ وان ناسخه حديث انا بريء من مسلم بين المشركين وهو قول الحنفية وعند
الشافعية يفصل بين العاقل والمجنون والصبي فلا يرد ان وقال بعض الشافعية
ضابط جواز الرد ان يكون المسلم بحيث لا يجب عليه الهجرة من دار الحرب والله
اعلم قاله في فتح الباري قال في رواية البخاري فقال عمر بن الخطاب فاتيت النبي م
فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال
قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري
قلت وليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا ناتيه
العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس
هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال فلم نعط
الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره
فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اوليس كان يحدثنا انا سناتي البيت فنطوف
به قال بلى افاخبرك انا ناتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال العلماء لم يكن
سوال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا
على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين
واذلال المبطلين واما جواب ابي بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي م
فهو من الدلايل الظاهرة على عظيم فضله وبارع عمله وزيادة عرفانه
ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره وكان الصلح بينهم عشر سنين كما في

السير

الجزء السادس عشر

السير واخرجه ابو داود من حديث ابن عمر ولابي نعيم في مسند عبد الله بن
دينار كانت اربع سنين وكذا اخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك والاول
اشهر وكان الصلح على وضع الحرب بحيث يامن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض
ولا ان لا يدخل البيت الا العام القابل ثلثة ايام ولا يدخلوها الا بجلبان السلاح
وهو القراب بما فيه والجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم
يوضع فيه السيف مغمودا ورواه القتيبي بضم الجيم واللام وتشديد البا
وقال هو اوعية السلاح بما فيها وفي بعض الروايات ولا يدخلها الا بجلبان
السلاح السيف والقوس وانما اشترطوا ذلك ليكون علما وامارة للسلم
اذا كان دخولهم صلحا وقال مكي بن ابي طالب القيرواني في تفسيره وبعث م
بالكتابة اليهم مع عثمان بن عفان وامسك سهيل بن عمرو عنده فامسك
المشركون عثمان فغضب المسلمون وقال مغلطاي فاحتبسه قريش عندهما
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان
تحت الشجرة على الموت وقيل ان لا يفروا انتهى ووضع النبي م شماله في
يمينه وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى
هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده الحديث ولما سمع المشركون بهذه البيعة
خافوا وبعثوا وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن

المؤمنين وحلق الناس مع النبي عم ونحروا هداياهم بالحديبية قال مغلطاي وارسل
الله ريحًا حملت شعورهم فالقتها في الحرم واقام عليه السلام بالحديبية بضعة
عشر يومًا وقيل عشرين يومًا ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء فانزل الله سورة الفتح
ليسليهم بها ويذكرهم نعمه فقال الله تعالى انا فتحنا لك فتحًا مبينًا قال ابن عباس
وانس والبراء بن عازب الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح بعد ان كان المنافقون
يظنون ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدًا اي حسبوا انهم لا يرجعون
يقتلون كلهم واما قوله تعالى واثابهم فتحًا قريبًا فالمراد فتح خيبر على الصحيح
لانها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين وقد روى احمد وابو داود والحاكم
من حديث مجمع بن جارية قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله عم
واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس قرأ عليهم انا فتحنا لك فتحًا مبينًا
الاية فقال رجل يا رسول الله او فتح هو قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح وروى
سعد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي انا فتحنا لك فتحًا مبينا الحديبية وغفر
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبايعوا بيعة الرضوان واطعموا نخيل خيبر
وظهرت المسلمون على فارس وفرح المسلمون بنصر الله واما قوله اذا جاء الله
والفتح وقوله لا هجرة بعد الفتح ففتح مكة بالاتفاق قال الحافظ ابن حجر فبهذا يرتفع
الاشكال ويجتمع الاقوال والله اعلم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي
هذه السنة كسفت الشمس وظاهر اوس بن الصامت من امرأته خولة وفي هذه السنة

ايضا استسقى في رمضان ومطر الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس
مؤمنا بالله وكافرا بالكواكب قاله مغلطاي وجزم الدمياطي في سيرته بان
تحريم الخمر كان سنة الحديبية وذكر ابن اسحق انه كان في وقعة بني النضير وهي
بعد احد وذلك سنة اربع على الراجح وفيه نظر لان انسا كان الساقي يوم حرمت
وانه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فاراقها فلو كان ذلك سنة اربع لكان انس
يصغر عن ذلك واخرج النسائي والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس انما نزل
تحريم الخمر في قبيلتين من الانصار شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض
فلما ان اصبحوا جعل الرجل يرى في وجهه وراسه الاثر فيقول صنع هذا اخي
فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغاين فيقول والله لو كان بي رحيما
ما صنع بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغاين فانزل الله هذه الاية يا ايها
الذين امنوا انما الخمر والميسر الى فهل انتم منتهون فقال ناس من المتكلفين
هي رجس وهي في بطن فلان وفلان وقد قتل يوم احد فانزل الله تعالى
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى المحسنين واية تحريم الخمر
نزلت في عام الفتح قبل الفتح والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي به عصير
العنب اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرًا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا
وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء قال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب
ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر انتهى واما الحشيشة العنب الهندي والجندر

والقلندرية فلم يتكلم فيها ائمة الاربعة ولا غيرهم من علماء السلف لانها لم تكن
في زمنهم وانما ظهرت في اواخر المائة السادسة واول السابعة واختلف هل
هي مسكرة فيجب فيها الحد او مفسدة للعقل فيجب التعزير والذي اجمع الاطباء انها
مسكرة وبه جزم الفقهاء وصرح به الشيخ ابو اسحق الشيرازي في كتابه التذكرة في
الخلاف والنووي في شرح المهذب ولا نعرف فيه خلافا عندنا ونقل عن ابن
تيمية انه قال الصحيح انها مسكرة كالشراب فان آكلتها ينشون عنها ولذلك يتبينا
ولونها بخلاف البنج وغيره فانه لا ينشي ولا يشتهى قال الزركشي ولم ار من
خالف في هذا الا القرافي في قواعده فقال نص العلماء بالنبات في كتبهم انها
مسكرة والذي يظهر لي انها مفسدة في كلام تعقبه الزركشي يطول ذكره وقد
تظافرت الادلة على حرمتها ففي صحيح مسلم كل مسكر حرام وقد قال تعالى ويحرم عليهم
الخبائث واي خبيث اعظم مما يفسد العقول التي اتفقت الملل والشرايع على ايجاب
حفظها ولا ريب ان متناول الحشيشة يظهر له اثر التغيير في انتظام الفعل والقول
المستمد كماله من نور العقل وقد روي ابو داود باسناد حسن عن ديلم الحميري
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا بارض باردة نعالج
فيها عملا شديدا وانا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على اعمالنا وعلى برد بلادنا
قال هل يسكر قلت نعم قال فاجتنبوه قلت فان الناس غير تاركيه قال فان لم يتركوه
فقاتلوهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تنبيه على العلة التي لاجلها حرم المزز

ان كل شيء عمل عمله يجب تحريمه ولا شك ان الحشيش يعمل ذلك فوقه وروي
احمد في مسنده وابو داود في سننه عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن كل مسكر ومفتر قال العلماء المفتر كل ما يورث الفتور والخدر في الاطراف وهذا
الحديث دل دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من المخدرات فانها لم تكن مسكرة
كانت مخدرة ولذلك يكثر النوم من متعاطيها وتثقل رؤوسهم بواسطة
تبخيرها في الدماغ وقد نقل الاجماع على تحريمها غير واحد منهم القرافي
وابن تيمية وقال ان استحلها فقد كفر وتعقبه الزركشي بان تحريمها ليس معلوما
بالدين بالضرورة سلمنا ذلك لكن لا بد ان يكون دليل الاجماع قطعيا
على احد الوجهين وقد ذكر اصحابنا ان المسكر من غير عصير العنب في وجوب الحد
لكن لا يكفر مستحله للاختلاف فيه واختلف العلماء هل يحرم تعاطي اليسير الذي لا يسكر
فقال النووي في شرح المهذب انه لا يحرم اكل القليل الذي لا يسكر من الحشيش
بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذي لا يسكر والفرق ان الحشيش طاهر والخمر نجس
فلا يجوز شرب قليله للنجاسة وتعقبه الزركشي بانه صح في الحديث ما اسكر
كثيره فقليله حرام قال والمتجه انه لا يجوز تناول شيء من الحشيش لا قليل ولا كثير
واما قول النووي انها طاهرة وليست بنجسة فقطع به ابن دقيق العيد وحكى
الاجماع عليه قال والافيون وهو لبن الخشخاش اقوى فعلا من الحشيش
لان القليل منه يسكر جدا وكذلك السيكران وجوز الطيب مع انه طاهر بالاجماع

انتهى وقد جمع بعضهم فى الحشيشة ماية وعشرين مضرة دينية وبدنية
حتى قال بعضهم كل ما فى الخمر من المذمومات موجود فى الحشيش وزيادة
فان اكثر ضرر الخمر فى الدين لا فى البدن وضررها فيهما فمن ذلك فساد العقل
وعدم المروة وكشف العورة وترك الصلوات والوقوع فى المحرمات وقطع
والبرص والجذام والاسقام والرعشة والابنة ونتن الفم وسقوط شعر
الاجفان وحفر الاسنان وتسويدها وتضييق النفس وتصفير الالوان و
وتنقيب الكبد وتجعل الاسد كالجعل وتورث الكسل والفشل وتنسى الشهادة
وتذهب السعادة تعيد العزيز ذليلا والصحيح عليلا والفصيح ابكما والصحيح ابلها
فصاحبها بعيد عن السنة طريدا عن الجنة موعود من الله باللعنة الا ان يقرع
من الندم سنه ويحسن بالله ظنه ولقد احسن القايل

قل لمن ياكل الحشيشة جهلا يا خسيسا قد عشت شر معيشة دية العقل بدرة فلما
يا سفيها قد بعتها بحشيشه

غزوة خيبر هى مدينة كبيرة ذات حصون و
مزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحق خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى بقية المحرم سنة سبع فاقام يحاصرها بضع عشرة
ليلة الى ان فتحها وقيل كانت فى اخر سنة ست وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن
حزم قال الحافظ ابن حجر والراجح ما ذكره ابن اسحق ويمكن الجمع بان من اطلق سنة
ست بناه على ان ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع الاول واغرب ابن

سعد

سعد وابن ابى شيبة فرويا من حديث ابى سعيد الخدري خرجنا مع رسول الله صلعم
الى خيبر لثمان عشرة من رمضان واسناده حسن لكنه خطاء ولعلها كانت الى حنين
فتصحفت وتوجيهه بان غزوة خيبر كانت ناشية عن غزوة الفتح وغزوة الفتح
خرج صلى الله عليه وسلم فيها فى رمضان جزما قال وذكر الشيخ ابو حامد فى التعليقة
انها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق الى خيبر وكان معه صلعم
الف واربع ماية راجل ومايتا فارس ومعه ام سلمة زوجته وفى البخاري من حديث
سلمة ابن الاكوع قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال
رجل من القوم لعامر يا عامر الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو
بالقوم يقول اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما ابقينا وثبت الاقدام ان لاقينا والقين سكينة علينا
انا اذا صيح بنا اتينا وبالصياح عولوا علينا وفى رواية اياس بن سلمة عن
احمد فى هذا الرجز من الزيادة ان الذين قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى رواية
البخاري من هذا السايق قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم
وجبت يا نبى الله لولا امتعتنا به الحديث وفى رواية احمد فجعل عامر يرتجز
ويسوق الركاب وهذه كانت عادتهم اذا ارادوا تنشيط الابل فى السير
ينزل بعضهم فيسوقها ويحدوا فى تلك الحال وقوله اللهم لولا انت ما اهتدينا

كذا الرواية قالوا وصوابه في الوزن لاهم او تالله كما في الحديث الاخر وقوله فداء لك قال
المازري هذه اللفظة مشكلة فانها لا يقال للباري سبحانه فديتك لان ذلك انما يستعمل
في مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخص اخر ان يحل ذلك به ويفديه منه قال ولعل
هذا وقع من غير قصد الى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله ولا يريد بذلك حقيقة
الدعاء عليه وكقوله عليه السلام تربت يداك وتربت يمينك وفيه كله ضرب
من الاستعارة لان المفادي مبالغ في طلب رضى المفدي حين بذل نفسه عن نفسه
للمكروه فكان مراد الشاعر ابذل نفسي في رضاك وعلى كل حال فان المعنى وان امكن
صرفه الى جهة صحيحة فاطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر الى ورود الشرع
بالاذن فيه قال وقد يكون المراد بقوله فداء لك رجلا يخاطبه وفصل بين الكلام
بذلك ثم عاد الى تمام الاول فقال ما ابقينا قال وهذا تاويل يصح معه اللفظ والمعنى
لولا ان فيه تعسفا اضطرنا اليه تصحيح الكلام انتهى وقيل انه يخاطب بهذا الشعر
النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تواخذنا تقصيرنا في حقك ونصرك وعلى هذا
فقوله اللهم لم يقصد بها الدعا وانما افتتح بها الكلام والمخاطب بقول الشاعر لو
لا انت النبي لكن يعكر عليه بعد ذلك فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا
فانه دعاء تعالى ويحتمل ان يكون المعنى فاسال ربك ان ينزل ويثبت والله اعلم
وقوله اذا صيح بنا اتينا اي اذا صيح بنا للقتال ونحوه من المكاره اتينا وفي رواية
ابينا بالموحدة بدل المثناة اي ابينا الفرار وقوله وبالصياح عولوا علينا اي استغاثوا بنا

و

واستفزعوا للقتال قيل هو من التعويل عن الشيء وهو الاعتماد وهو الصوت
وقوله هذا من السايق قالوا عامر قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت
اي ثبتت له الشهادة وسيقع قريبا وكان معلوما عندهم ان من دعا له النبي م
هذا الدعا الموطن استشهد فقالوا هلا امتعتنا به اي وددنا انك لو اخرت
الدعاء له بهذا الى وقت اخر لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة وفي البخاري
من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا وكان اذا اتى قوما بليل
لم يغز بهم حتى يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم
فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر
انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية فرفع يديه وقال
الله اكبر خربت خيبر والخميس الجيش سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام المقدمة
والساقة والميمنة والميسرة والقلب ومحمد خبر مبتدا اي هذا محمد قال
السهيلي يوخذ من هذا الحديث التفاول لانه عليه السلام لما راى الة الهدم عرف
ان مدينتهم ستخرب انتهى ويحتمل كما قاله في فتح الباري ان يكون قال خربت خيبر
بطريق الوحي ويويده قوله بعد ذلك انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح قريبا من خيبر بغلس
ثم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
وقال مغلطاي وغيره وفرق عليه السلام الرايات لا بخيبر وانما كانت

الالوية وقال الدمياطي وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم السوداء من
برد لعايشة وفي البخاري وكان علي بن ابي طالب تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم
وكان رمدا فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال لاعطين الراية غدا وليأخذن
الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فلما اصبح الناس غدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون ان يعطيها فقال اين علي بن
ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به
وجع فاعطا الراية فقال رسول الله قاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك
حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من
حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر
النعم الحديث ولما تصاف القوم كان سيف عامر قصيرا فتناول ساق
يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه
فلما قفلوا قال سلمة قلت يا رسول الله فداك ابي وامي زعموا ان عامرا حبط عمله
قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب من قاله وان له اجرين وجمع بين اصبعيه انه
لجاهد مجاهد رواه البخاري ايضا وعن يزيد بن ابي عبيدة قال رايت اثر ضربة
بساق سلمة فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتها يوم خيبر فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فنفثت فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة

اخرجه

اخرجه البخاري وعنده ايضا عن ابي هريرة شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال
قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل
الم الجراحة فاهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر بنفسه فاشتد رجال
من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه
فقال قم يا فلان فاذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان
الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة الحديث
وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم اهل خيبر وقاتلوه اشد القتال و
استشهد من المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلثة وتسعون وفتحها
الله حصنا حصنا وهي النطاه وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة
الزبير فالشق وحصن ابي وحصن البراء والقموص والوطيح والسلالم
وهو حصن بني ابي الحقيق واخذ كنز آل ابي الحقيق الذي كان في مسك الحمار وكانوا
قد غيبوه في خربة فدل رسول الله رسوله عليه فاستخرجه وقلع علي باب
خيبر ولم يحركه سبعون رجلا الا بعد جهد وفي رواية ابن اسحق سبعة واخرجه
من طريقه البيهقي في الدلايل ورواه الحاكم عن البيهقي من جهة ليث بن ابي سليم

عن ابي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر ان عليا حمل الباب يوم وانهزب
بعد ذلك ولم يحمله اربعون رجلا وكنت ضعيف وفي رواية للبيهقي ان عليا
لما انتهى الى الحصن اجتبذ احد ابوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون
رجلا فكان جهدا ان اعاد والباب مكانه قال شيخنا وكلها واهية ولذا انكره
بعض العلما انتهى وفي البخاري وتزوج عليه السلام بصفية بنت حيي بن اخطب
وكان قد قتل زوجها كنانة ابن الربيع بن ابي الحقيق وكانت عروسا فذكر له جمالها
فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهبا حلت له يعني طهرت من الحيض
فبنى بها عليه السلام فصنع حيسا في نطع صغير ثم قال لانس اذن من حولك فكانت
تلك وليمته على صفية قال ثم خرجنا الى المدينة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم
يحوي لها وراه بعباه ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية
رجليها على ركبته حتى تركب وفي رواية له فقال المسلمون احدي امهات
المومنين او ما ملكت يمينه قالوا ان حجبها وهي احدي امهات المومنين
وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطا لها ومد الحجاب وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم قتل المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية
فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
عتقها صداقها وفي رواية فاعتقها وتزوجها وفي رواية قال صلى الله عليه
وسلم لدحية خذ جارية من السبي غيرها وفي رواية لمسلم انه صلى الله عليه وسلم

اشتري

اشتري صفية منه بسبعة اروس واطلاق الشراء على ذلك على سبيل المجاز و
ليس في لا في قوله سبعة اروس ما ينافي قوله في رواية البخاري خذ جارية
من السبي غيرها اذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة والله اعلم وانما اخذ صلى الله
عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم وليست ممن يوهب لدحية
لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل
صفية في نفاسها فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة
العامة ارتجاعها منه واختصاصه عليه السلام بها فان في ذلك رضى الجميع
وليس ذلك من الرجوع في الهبة في شي انتهى وقال مغلطاي وغيره
وكانت صفية قبل رات ان القمر سقط في حجرها فتؤول بذلك قال
الحاكم وجري لجويرية وفي هذه الغزوة حرم صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر
الاهلية كما في البخاري ولفظه فلما امسى الناس مساء اليوم الذي
فتحت عليهم يعني خيبر اوقدوا نيرانا كثيرة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما هذه النيران على اي شي توقدون قالوا على لحم قال على اي لحم
قالوا لحم حمر الانسية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل
يا رسول الله او نهريقها ونغسلها قال او ذاك والمشهور في الانسية كسر
الهمزة منسوبة الى الانس وهم بنو ادم وحكي ضم الهمزة ضد الوحشة ويجوز
فتحها والنون ايضا انست به انس انسا وانسة وفي رواية نهى يوم خيبر عن

عن لحوم الحمر الاهلية و رخص في الخيل قال ابن ابي و في فتح ثنا انه لما نهى
عنها لانها لم تخمس و قال بعضهم نهى عنها البتة لانها كانت تاكل العذرة قال
العلما و انما امر باراقتها لانها نجسة محرمة و قيل انما نهى عنها للحاجة اليها
و قيل لاخذها قبل القسمة و هذان التاويلان للقايلين باباحة لحومها
و الصواب ما قدمناه و اما قوله صلى الله عليه و سلم اكسروها فقال رجل
او نهريقها او نغسلها قال او ذاك فهذا محمول على انه صلى الله عليه و سلم
اجتهد في ذلك فراى كسرها ثم تغير اجتهادها فاوحي اليه بغسلها و اما لحوم
الخيل فاختلف العلما في اباحتها فذهب الشافعي و الجمهور من السلف و الخلف
انها مباح لا كراهة فيه و به قال عبد الله بن الزبير و انس بن مالك و اسماء بنت
ابي بكر و في صحيح مسلم عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه
و سلم فاكلنا و نحن بالمدينة و في رواية الدارقطني فاكلناه نحن و اهل بيت
النبي صلى الله عليه و سلم قال في فتح الباري و يستفاد من قولها و نحن بالمدينة
ان ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استند الى منع اكلها لعلة انها
من الة الجهاد و من قولها و اهل بيت النبي صلى الله عليه و سلم الرد على من
زعم انه ليس فيه ان النبي صلى الله عليه و سلم اطلع على ذلك مع ان ذلك لو لم
يرد لم يظن بال ابي بكر انهم يقدمون على فعل شيء في زمنه صلى الله عليه و سلم
الا و عندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به عليه السلام و عدم مفارقتهم

له هذا مع توفر داعية الصحابة الى سواله عليه السلام عن الاحكام و من ثمه
كان الراجح ان الصحابي اذا قال كنا نفعل كذا على عهده صلى الله عليه و سلم كان له الرفع
لان الظاهر اطلاعه صلى الله عليه و سلم على ذلك و تقريره و اذا كان في مطلق الصحابة
فكيف بال ابي بكر و قال الطحاوي ذهب ابو حنيفة الى كراهة اكل الخيل و خالفه
صاحباه و غيرهما و احتجوا بالاخبار المتواترة في حلها انتهى و قد نقل بعض
التابعين الحل عن الصحابة مطلقا من غير استثناء احد فاخرج ابن ابي شيبة بسند
صحيح على شرط الشيخين عن عطاء قال لم يزل سلفك ياكلونه قال ابن جريج قلت
له اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال نعم و اما ما نقل في ذلك
عن ابن عباس من كراهتها فاخرجه ابن ابي شيبة و عبد الرزاق بسندين ضعيفين
و قال ابو حنيفة في الجامع الصغير اكره لحوم الخيل فحمله ابو بكر الرازي
على التنزيه و قال لم يطلق ابو حنيفة فيه التحريم و ليس هو عنده كالحمار
الاهلي و صحح اصحاب المحيط و الهداية و الذخيرة عنهم التحريم و هو قول اكثرهم
و قال القرطبي في شرح مسلم مذهب مالك الكراهة و قال الفاكهاني المشهور
عند المالكية الكراهة و الصحيح عند المحققين منهم التحريم و قال ابن ابي جمرة
الدليل على الجواز مطلقا واضح لكن سبب كراهة مالك لاكلها لكونها تستعمل
غالبا في الجهاد فلو انتفت الكراهة لكثرة استعماله و لو كثر لافضى الى فنائها فيؤل
الى النقص من ارهاب العدو الذي وقع الامر به في قوله تعالى و من رباط الخيل

ترهبون فعلى هذا فالكراهة لسبب خارج وليس البحث فيه فان الحيوان المتفق على اباحته لو حدث امر يقتضي انه لو ذبح لافضى الى ارتكاب محذور لامتنع ولا يلزم من ذلك القول بحرمته انتهى واما قول بعض التابعين لو كانت حلالا لا لجازت الاضحية بها فمنتقض بحيوان البر فانه ماكول ولم تشرع الاضحية به واما حديث خالد بن الوليد عند ابي داود والنسائي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الخيل والبغال والحمير فضعيف ولو سلم ثبوته لا ينهض معارضا لحديث جابر الدال على الجواز وقد وافقه حديث اسماء ضعيف حديث خالد بن الوليد احمد والبخاري والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق واخرون وزعم بعضهم ان حديث جابر دال على التحريم لقوله رخص لان الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع فدل على انه رخص لهم بسبب المخمصة التي اصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك على الحل المطلق واجيب بان اكثر الروايات جاء بلفظ الاذن كما رواه مسلم وفي رواية له اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي وعند الدارقطني من حديث ابن عباس نهانا صلى الله عليه وسلم عن الحمر الاهلية وامر بلحوم الخيل فدل على ان المراد بقوله رخص اذن ونوقض ايضا بالاذن في اكل الخيل ولو كان رخصة لاجل المخمصة لكانت الحمر الاهلية اولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ فدل على ان الاذن في اكل الخيل انما كانت للاباحة العامة لا لخصوص

الضرورة

الضرورة وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم انهم احتجوا للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقرروا ذلك باوجه احدها ان اللام للتعليل فدل على انها لم تخلق لغير ذلك لان العلة المنصوصة تفيد الحصر فاباحة اكلها يقتضي خلاف ظاهر الاية ثانيها عطف البغال والحمير فدل على اشتراكها معهما في حكم التحريم فيحتاج حكم ما عطفت عليه الى دليل ثالثها ان الاية سيقت مساق الامتنان ولو كان ينتفع بها في الاكل لكان الامتنان به اعظم والحكيم لا يمتن بادنى النعم ويترك اعلاها ولا سيما وقد وقع الامتنان بالاكل في المذكورات قبلها رابعها لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة واجيب بان اية النحل مكية اتفاقا والاذن في اكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة باكثر من ست سنين فلو فهم النبي صلى الله عليه وسلم من الاية المنع لما اذن في الاكل وايضا فاية النحل ليست نصا في منع الاكل والحديث صريح في جوازه وايضا فلو سلمنا ان اللام للتعليل لم نسلم افادة الحصر في الركوب والزينة فانه ينتفع بالخيل في غيرهما وفي غير الاكل اتفاقا وانما ذكر الركوب والزينة لكونهما اغلب ما تطلب له الخيل ونظيره حديث البقرة المذكورة في الصحيح حين خاطبت راكبها فقالت لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فانه مع كونه اصرح في الحصر ما يقصد به الا الاغلب والا فهي تؤكل وينتفع بها في اشياء غير الحرث اتفاقا وقال البيضاوي واستدل بها اي باية النحل على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم

من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبًا ان لا يقصد منه غيره اصلًا انتهى و
ايضا فلو سلّم الاستدلال للزم منع حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير
ولا قايل به وامّا عطف البغال والحمير فدلالة العطف انما هي دلالة اقتران
وهي ضعيفة وامّا انها سيقت مساق الامتنان فالامتنان انما قصد به غالب
ما كان يقع به امتناعهم بالخيل فخوطبوا بما الفوا وعرفوا ولم يكونوا يعرفون
اكل الخيل لعزتها في بلادهم بخلاف الانعام فان اكثر انتفاعهم بها كان لحمل
الاثقال وللاكل فاقتصر في كل من الصنفين على الامتنان باغلب ما ينتفع به فلو
لزم من ذلك الحصر في هذا الاضر وامّا قولهم لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها الى
اخره فاجيب عنه بانه لو لزم من الاذن في اكلها ان تفنى للزم مثله في البقر
وغيرها مما ابيح اكله ووقع الامتنان به وانما اطلت في ذلك لامر اقتضاه والله
اعلم وفي هذه الغزوة ايضًا نهى صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب من السباع
وعن بيع المغانم حتى تقسم وان لا توطا جارية حتى تستبرا وفي هذه الغزوة ايضًا
سمّت النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم كما في
البخاري من حديث ابي هريرة ولفظه لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
شاة فيها سمّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي من كان ههنا من اليهود
فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سايلكم عن شيء فهل انتم
صادقون عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ابوكم قالوا ابونا فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم
بل ابوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل انتم صادقوني عن شيء ان
سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار فقالوا نكون فيها
يسيرًا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها
والله لا نخلفكم فيها ابدًا ثم قال لهم هل انتم صادقوني عن شيء ان سالتكم
عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم في هذه الشاة سمًا فقالوا نعم فقال ما
حملكم على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كذابًا ان نستريح منك وان كنت
نبيًا لم يضرك وفي حديث جابر عن ابي داود ان يهودية من اهل خيبر
سممت شاة مصلية ثم اهدتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول
الله فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه فقال رسول الله ارفعوا ايديكم و
ارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني
هذه في يدي للذراع قالت نعم قلت ان كان نبيًا فلن يضره وان كان لم يكن
نبيا استرحنا واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل
الذي اكل من الشاة وفي رواية غيره جعلت زينب بنت الحارث امراة ابن
مشكم تسال اي الشاة احب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنز لها
فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سمّ لا يبطئ يعني لا يلبث ان يقتل من ساعته

منه فعفى عنها صلى الله عليه وسلم
وسلم ولم يعاقبها وتوفى
اصحابه الذين اكلوا من
الشاة

وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت
الشاة واكثرت في الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من
اصحابه وفيهم بشر بن البراء وتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش
منها وتناول بشر بن البراء عظما آخر فلما ازدرد لقمته ازدرد بشر
بن البراء ما في فيه واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان
هذا الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه ان بشر بن البراء مات وفيه انه
دفعها صلى الله عليه وسلم الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها رواه الدمياطي
وقد اختلف هل عاقبها صلى الله عليه وسلم فعند البيهقي من حديث ابي هريرة
فما عرض لها ومن طريق ابي نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها وقال الزهري
اسلمت فتركها قال البيهقي يحتمل ان يكون تركها اولا ثم لما مات بشر بن البراء
من الاكلة قتلها وبذلك اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم
لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل ان يكون تركها لكونها اسلمت وانما
اخر قتلها حتى مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه وفي مغازي
سليمان التيمي انها قالت ان كنت كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان لي
الآن انك صادق وانا اشهدك ومن حضر لي اني على دينك وان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فانصرف عنها حين اسلمت وفيه
موافقة الزهري على اسلامها فالله اعلم وفي هذه الغزوة ايضا نام صلى الله

عليه

عليه وسلم عن صلوة الفجر لما وكل به بلالا كما في حديث ابي هريرة عند مسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى
ادركه الكرى عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام
صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما قارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه
الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ رسول الله
ولا بلال ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله اولهم
استيقاظا فقال اي بلال فقال بلال اخذ بنفسي الذي بابي وامي انت يا رسول الله
بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ صلى الله عليه وسلم
وامر بلالا فاقام الصلوة فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلاة قال من نسي
الصلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال اقم الصلوة لذكري وفيها
قدم جعفر ومن معه من الحبشة واختلف في فتح خيبر هل كان عنوة
او صلحا وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن انس التصريح بانه كان عنوة
وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا بالحصنين الذين اسلمهما
اهلها لتحقن دماؤهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار
وقتال انتهى ثم فتح وادي القرى في جمادى
الآخرة بعد ما اقام بها اربعا يحاصرهم ويقال اكثر من ذلك واصاب مدعما
مولاه سهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الشملة التي غلها من خيبر اشتعل

عمرة القضا

عليه نار وصالحه اهل تيماء على الجزية قاله الحافظ مغلطاي ثم سرية عمر بن الخطاب
رضى الله عنه الى تربة فى شعبان سنة سبع ومعه ثلثون رجلا فخرج معه دليل من
بنى هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فاتى الخبر الى هوازن فهربوا وجاء عمر
بن الخطاب الى محالهم فلم يلق منهم احدا فانصرف راجعا الى المدينة ثم سرية
ابى بكر الصديق رضى الله عنه الى بنى كلاب ناحية ضرية فى شعبان سنة سبع
ويقال الى فزارة فسبى منهم جماعة وقيل اخرين وفى صحيح مسلم فزارة وهو
الصواب ثم سرية بشير بن سعد الانصاري الى بنى مرة بفدك فى شعبان سنة
سبع ومعه ثلاثون رجلا فقتلوا وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه وقيل
قد مات وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله ع م ثم قدم بعد بشير
بن سعد ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي الى الميفعة بناحية نجد من المدينة
على ثمانية برد فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائتين وثلثين رجلا
فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من اشرف لهم واستاقوا نعما وشاء
الى المدينة قالوا وفى هذه السرية قتل اسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد
ان قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه الا شققت عن قلبه
فتعلم اصادق هو ام كاذب فقال اسامة لا اقاتل احدا يشهد ان لا اله الا الله
وفى الاكليل فعل ذلك اسامة فى سرية كان هو اميرها سنة ثمان
وفى البخاري عن ابى ظبيان قال سمعت اسامة بن زيد يقول بعثنا رسول الله ص م

الى

الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم
فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري عنه وطعنته برمحي حتى
قتلته فلما قدمنا بلغ النبى ع م فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله
قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت انى لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم
ثم سرية بشير بن سعد الانصاري ايضا الى يمن وجبار بفتح الجيم وهى ارض
لغطفان ويقال لفزارة وعذرة فى شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه
ثلثماية رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار
فلما بلغهم مسير بشير هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها واسر رجلين
وقدم بهما الى المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما ثم
عمرة القضية وتسمى عمرة القضا لانه قاضى فيها قريشا لا لانها قضاء
عن العمرة التى صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت
قضاء عمرة تامة ولهذا عدوا اعمر النبى صلى الله ع م اربعا كما سيأتى ان شاء الله
وقال اخرون بل كانت قضاء العمرة الاولى وعدوا عمرة الحديبية فى العمر
لثبوت الاجر فيها لا لانها كملت وهذا الخلاف مبنى على الاختلاف فى وجوب
القضا على من اعتمر فصد عن البيت فقال الجمهور يجب عليه الهدى ولا قضا
عليه وعن ابى حنيفة عكسه وعن احمد رواية انه لا يلزمه هدى ولا قضا
واخرى يلزمه القضا والهدى من الهدى فحجة الجمهور قوله تع فان احصرتم فما استيسر

وحجة ابي حنيفة ان العمرة تلزم بالشروع فاذا احصر صار له تاخيرها فاذا
زال الحصر اتى بها ولا يلزم من التحلل بين الاحرامين سقوط القضا وحجة
من اوجبها ما وقع للصحابة فانهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا
قابل وساقوا الهدي وحجة من لم يوجبها ان تحللهم بالحصر لم يتوقف
على نحر الهدي بل امر من معه هدي ان ينحره ومن ليس معه هدي ان يحلق انتهى
قال الحاكم في الاكليل تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم لما هل ذو القعدة
يعني سنة سبع امر اصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون
عنها بالحديبية وان لا يتخلف ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم الا رجال
استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين
الفان واستخلف على المدينة ابا رهم الغفاري وساق عم ستين بدنة وحمل
السلاح والبيض والدرع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذي
الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه
بشير بن سعد واحرم صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون معه
ومضى محمد بن مسلمة في الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفر من قريش فسالوه
فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تع
فاتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا ونزل رسول الله عم بمر الظهران وقدم السلاح
الى بطن ياجج حيث ينظر الى انصاب الحرم وخلف

علیه

عليه اوس بن خولي الانصاري في مائتي رجل وخرجت قريش من مكة الى
رؤس الجبال وقدم رسول الله عم الهدي امامه فحبس بذي وخرج رسول الله
على راحلته القصوى والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله عم
يلبون فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة اخذ بزمام راحلته
وفي رواية الترمذي في الشمائل من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم
دخل مكة في عمرة القضا وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول
شعرا فقال صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح
النبل ورواه عبد الرزاق من حديث انس ايضا من وجهين بلفظ

خلوا بني الكفار عن سبيله   قد انزل الرحمن في تنزيله
بان خير القتل في سبيله   نحن قتلناكم على تاويله
كما قتلناكم على تنزيله

واخرجه الطبراني والبيهقي في الدلايل وفيه

اليوم نضربكم على تنزيله   ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله   يا رب اني مومن بقيله

وعند ابن عقبة في المغازي بعد قوله انزل الرحمن في تنزيل في صحف تتلى على

رسوله

لكنه لم يذكر انشا وزاد ابن اسحق بعد قوله يارب اني مؤمن بقيله اني رايت
الحق في قبوله وقال ابن هشام ان قوله نحن ضربناكم على تاويله الى اخر
الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم حنين قالوا ولم يزل رسول الله صلى الله
يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون
يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفي البخاري عن ابن عباس قال المشركون
انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فامرهم النبي م ان يرملوا الاشواط
الثلاثة وان يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعهم ان يرملوا الاشواط كلها
الا الابقاء عليهم وفي رواية قال ارملوا ليرى المشركون قوتهم والمشركون
من قبل قيقعان ومعنى قوله الا الابقا عليهم انه لم يمنعه من امرهم بالرمل
في جميع الطوفات الا الرفق بهم والاشفاق عليهم ثم طاف رسول الله م
بين الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد
وقف الهدي عند المروة قال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عند المروة
وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناسا منهم الى اصحابهم ببطن ياجج فيقيموا على السلاح ويأتي الاخرون فقضوا
نسكهم ففعلوا واقام رسول الله م بمكة ثلاثا وفي البخاري من حديث البرا
فلما دخلها يعني مكة ومضى الاجل علينا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى
الاجل فخرج النبي فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فاخذ بيدها

وقال لفاطمة دونك بنت عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال
علي انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي فقال زيد
بنت اخي فقضى بها النبي م لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام الحديث وانما اقرهم
النبي م على اخذها مع اشتراط المشركين بان لا يخرج باحد من اهلها اراد الخروج
لانهم لم يطلبوها وقوله الخالة بمنزلة الام اي في هذا الحكم الخاص لانها
في الحنو والشفقة والاهتداء الى ما يصلح الولد ويؤخذ منه ان الخالة في
الحضانة مقدمة على العمة لان صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ
واذا قدمت على العمة مع كونها اقرب العصبات من النسا فهي مقدمة على
غيرها ويؤخذ انه تقديم الاقارب الام على اقارب الاب انتهى قال ابن عباس
وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال وقد استدرك
ذلك على ابن عباس وعد من وهمه قال سعد بن المسيب وهل ابن عباس وان كانت
خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حل ذكره البخاري ووهل بكسر
الها اي غلط وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني رسول الله صلى الله
ونحن حلالان بسرف رواه مسلم وسياتي في الخصايص من مقصد معجزاته
ان شاء الله تعالى ان له م النكاح في حال الاحرام على اصح الوجهين عند الشافعية
ثم سرية ابن ابي العوجاء السلمي الى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا
فاحدق بهم الكفار من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم واصيب

ابن ابي العوجاء جريحًا مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اول صفر سنة ثمان ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي الى بني الملوح بالحاء
المهملة بالكديد بفتح الكاف في صفر سنة ثمان من مهاجره فغنم وفي هذا
الشهر قدم خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة وعمرو بن العاص المدينة
فاسلموا وقال ابن ابي خيثمة كان ذلك سنة خمس وقال الحاكم سنة سبع
ثم سرية غالب ايضًا الى مصاب اصحاب بشير بن سعد سنة ثمان ومعه مائتا
رجل فاغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى واصابوا نعمًا ثم سرية
شجاع بن وهب الاسدي الى بني عامر بالسي ماء من ذات عرق الى وجرة
على ثلاث مراحل من مكة الى البصرة وخمس من المدينة في شهر ربيع الاول
سنة ثمان ومعه اربعة وعشرون راجلا الى جمع من هوازن وامره ان
يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فاصابوا نعمًا وشاء
واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا
الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرًا وعدلوا البعير بعشر من الغنم ثم سرية
كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح وراء ذات القرى في ربيع الاول سنة
ثمان في خمسة عشر رجلًا فساروا حتى انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا
جمعًا كثيرًا فقاتلهم الصحابة اشد القتال حتى قتلوا وافلت منهم رجل جريح
في القتلى قال مغلطاي قيل هو امير فلما برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول الله

فاخبره

فاخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى
موضع اخر فتركهم ثم سرية موتة بضم الميم وسكون الواو بغير همز لاكثر
الروايات وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز
وحكى غيرهما الوجهين وهي من عمل البلقا بالشام دون دمشق في جمادى
الاولى سنة ثمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ارسل الحارث
بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل موتة عرض له شرحبيل بن عمرو
الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره
فامر صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة الاف وقال ان قتل فجعفر
بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون برجل
من بينهم يجعلوه عليهم وفي حديث عبد الله بن جعفر عند احمد و
النسائي باسناد صحيح ان قتل زيد فامير جعفر الحديث قالوا وعقد لهم صلى الله
عليه وسلم لواء ابيض ودفعه الى زيد بن حارثة واوصاهم ان ياتوا مقتل
الحارث بن عمير وان يدعوا هناك الى الاسلام فان ابوا والا استعانوا
عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعًا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف
فودعهم فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين
غانمين فقال ابن رواحة لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ
تقذف الزبدا فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام

فيهم شرحبيل بن عمرو وجمع اكثر من ماية الف وقدم الطلايع امامه وقد
نزل المسلمون معان بفتح الميم موضع من ارض الشام وبلغ الناس كثرة العدو
وتجمعهم وان هرقل نزل بارض البلقا فى ماية الف من المشركين فاقاموا
ليلتين لينظروا فى امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره
الخبر فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضى فمضوا الى موتة ووافاهم
المشركون فجاء منهم ما لا قبل لاحد به من العدد والسلاح والكراع والديباج
والحرير والذهب والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء يومئذ
على ارجلهم فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم
حتى قتل طعنا بالرماح ثم اخذ اللواء جعفر ابن ابى طالب فنزل عن فرس له شقرا و
قاتل حتى قتل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد فى احد نصفيه بضعة
وثمانون جرحا وفيما اقبل من بدنه اثنتين وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح
قال فى رواية البخاري وجدنا ما فى جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية
وفى رواية ان عمر وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل قال فعددت به خمسين بين
طعنة وضربة ليس منها فى دبره وذكر ابن اسحق باسناد حسن وهو عند ابى
داود من طريقه عن رجل قال والله لكانى انظر الى جعفر بن ابى طالب حين اقتحم
عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل قالوا ثم اخذ اللواء عبد الله
بن رواحة فقاتل حتى قتل فاخذ اللواء ابن اقرم العجلانى الى ان اصطلح الناس على

خالد

خالد بن الوليد فاخذ اللواء فانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون
فقتل من قتل من المشركين وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم
مقتلة عظيمة واصاب غنيمة وقال ابن سعد انما انهزم بالمسلمين وقال ابن
اسحق انحازت كل طايفة من غير هزيمة ورفعت الارض لرسول الله صلى الله
حتى نظر الى معرك القوم وعن عبد الله بن الزبير قال حدثنى ابى الذى ارضعنى
وكان احد بنى مرة قال شهدت موتة مع جعفر بن ابى طالب واصحابه فرايت جعفر
حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل
خرجه البغوى فى معجمه وقطعت فى تلك الوقعة يداه جميعا ثم قتل فقال
رسول الله ان الله بدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء خرجه
ابو عمر وفى البخاري عن عايشة رضى الله عنها لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة
وجعفر بن ابى طالب جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف منه الحزن
الحديث واخرج الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن جعفر قال قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هنيئا لك ابوك يطير مع الملايكة فى السماء وعن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جعفر بن ابى طالب
يطير مع الملايكة اخرجه الترمذي والحاكم وفى اسناده ضعف لكن له
شاهد من حديث على عند ابن سعد وعن ابى هريرة ايضا عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال مر بى جعفر الليلة فى ملا من الملايكة وهو مخضب الجناحين بالدم

اخرجه الترمذى والحاكم باسناد على شرط مسلم واخرج ايضا هو والطبرانى
عن ابن عباس مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرايت فيها جعفر بن ابى طالب
يطير مع الملائكة وفى طريق اخرى عنه ان جعفرا يطير مع جبريل وميكايل له
جناحان عوضه الله من يديه واسناد هذا جيد فقد عوضه الله تعالى عن قطع
يديه فى هذه الوقعة حيث اخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم اخذ بشماله فقطعت
ثم احتضنه فقتل قال السهيلى له جناحان ليسا كما يسبق الى الوهم كجناحى
الطاير وريشه لان الصورة الادمية اشرف الصور واكملها فالمراد
بالجناحين صفة ملائكية وقوة روحانية اعطيها جعفر وقد عبر القراز
عن العضو بالجناح توسعا فى قوله واضمم يدك الى جناحك وقال العلما
فى اجنحة الملائكة انها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فقد ثبت ان
لجبريل ستماية جناح ولا يعهد للطير ثلاثة اجنحة فضلا عن اكثر ذلك واذا
لم يثبت خبر فى بيان كيفيتها فيؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى قال الحافظ
بن حجر وهذا الذى جزم به فى مقام المنع والذى حكاه عن العلما ليس صريحا
فى الدلالة لما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما ذكره من
المعهود وهو قياس الغايب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة
البشرية اشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لان الصورة باقية وقد روى
البيهقى فى الدلايل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة ان جناحى جعفر من ياقوت

وجاء

فى جناحى جبريل انهما من لؤلؤ اخرجه ابن منده فى ترجمة ورقة وذكر موسى
بن عقبة فى المغازى ان يعلى بن امية قدم بخبر اهل موتة فقال له رسول الله صلى الله
ان شئت فاخبرنى وان شئت اخبرتك فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم
حرفا لم تذكره وعند الطبرانى من حديث ابى البشر الانصارى ان ابا عامر الاشعرى هو الذى
اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمصابهم ثم سرية عمرو بن العاص الى ذات السلاسل وسميت
بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا وقيل لانها بماء يقال
له السلسل وراء ذات القرى من المدينة على عشرة ايام وكانت فى جمادى الاخرة
سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع وبه جزم ابن ابى خالد فى كتاب صحيح التاريخ
ونقل ابن عساكر الاتفاق على انها كانت بعد غزوة موتة الا ابن اسحق فقال قبلها
وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا للاغارة
فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلثماية من سراة المهاجرين
والانصار ومعهم ثلاثون فرسا فسار الليل وكمن فلما قرب منهم بلغه ان لهم
جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث بفتح الميم الجهنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده
فبعث اليه ابا عبيدة ابن الجراح وعقد له لواء وبعث له معه مايتين من سراة
المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر رضى الله عنهم وامره ان يلحق بعمرو
وان يكونا جميعا ولا يختلفا فاراد ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما
قدمت على مددا وانا الامير فاطاع له بذلك ابو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس

وسار حتى وصل الى العدو وبلى وعذره فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد
وتفرقوا ثم سرية ابى عبيدة بن الجراح وسماها البخاري غزوة سيف البحر وتعرف
بسرية الخبط وبعث معه صلى الله عليه وسلم ثلثماية كما فى الصحيحين وغيرهما
وهو المشهور لكن فى رواية النسائى وبضع عشرة فان صحت هذه الرواية فلعله
اقتصر فى الرواية المشهورة على الثلثماية اسقطها لا لامر الكسر والاخذ بالزيادة
مع صحتها واجب وكان فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتلقى عيرا لقريش رواه
مسلم وعنده ايضا الى ارض جهينة ولا منافات بينهما فالجهة ارض جهينة
والقصد تلقى عير قريش وهى الابل المحملة للطعام وغيره لكن فى كتب السير ان
البعث الى حى من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة مما يلى ساحل البحر وبينها
وبين المدينة خمس ليال ولعل البعث لمقصدين رصد عير قريش ومحاربة
حى من جهينة قال ابن سعد وكانت فى رجب سنة ثمان وفيه نظر فان تلقى
عير قريش ما يتصور ان يكون فى هذه المدة لانهم حينئذ كانوا فى الهدنة
فالصحيح ان تكون هذه السرية فى سنة ست او قبلها قبل هدنة الحديبية نعم
يحتمل ان يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة ولهذا لم يقع فى
شئ من طرق الخبر انهم قاتلوا احدا بل فيه انهم اقاموا نصف شهر او اكثر فى
مكان واحد والله اعلم قاله الحافظ ابن حجر لكن قال شيخ الاسلام ابن العراقى
فى شرح التقريب قالوا وكانت هذه السرية فى رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك

بعد

بعد نكث قريش وقبل الفتح فانه كان فى رمضان من السنة المذكورة انتهى
وزودهم صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر فلما فنى اكلوا الخبط وهو بفتح
المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السلم وفى رواية ابى الزبير وكنا نضرب
بعصينا الخبط ونبله بالماء فناكله وهذا يدل على انه كان يابسا خلافا لمن زعم
انه كان اخضر رطبا وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوى ويدل عليه حديث البخارى
فى الجهاد خرجنا ونحن ثلثماية زادنا على رقابنا ففنى زادنا حتى كان الرجل منا
ياكل تمرة تمرة واتباع قيس بن سعد جزورا ونحرها لهم واخرج الله لهم من
البحر دابة تسمى العنبر فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا وفى
رواية جابر عند الايمة الستة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثماية
راكب اميرنا ابو عبيدة بن الجراح فاقمنا على الساحل حتى فنى زادنا حتى اكلنا
الخبط ثم ان البحر القى لنا دابة يقال لها العنبر فاكلنا منها نصف شهر حتى صلحت
اجسامنا فاخذ ابو عبيدة ضلعا من اضلاعه فنصبه ونظر الى اطول بعير فجاز
تحته الحديث زاد الشيخان فى رواية فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم
شئ من لحمه فتطعمونا قال فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل منه
ثم سرية ابى قتادة بن ربعى الانصارى الى خضرة وهى ارض محارب بنجد فى
شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا الى غطفان فقتل من اشرف

منهم وسبى سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتى بعير والغنم الفى شاة
وكانت غيبته خمسة عشر ليلة ثم سرية ابى قتادة ايضا الى بطن اضم فيما بين
ذى خشب وذى المروة على ثلاث برد من المدينة فى اول شهر رمضان سنة ثمان
وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم ان يغزوا اهل مكة بعث ابا قتادة فى ثمانية
نفر سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية
ولان تذهب بذلك الاخبار فلقوا عامر بن الاضبط فسلم عليهم بتحية
الاسلام فقتله محلم بن جثامة فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام
لست مؤمنا الى اخر الاية رواه احمد وعند ابن جرير من حديث عمر نحوه وزاد
فجاء محلم بن جثامة فى بردين فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليستغفر له فقال رسول الله لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه
ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الارض وعند غيره ثم عادوا
به فلفظته الارض فلما غلب قومه عمدوا الى صدين فسطحوه ثم رضوا عليه الحجارة
حتى واروه وفى رواية ابن جرير فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن يريد الله ان يعظكم ونسب
ابن اسحق هذه السرية لابن ابى حدرد ومعه رجلان الى الغابة لما بلغه صلى الله
ان رفاعة بن قيس يجمع لحربه فقتلوا رفاعة فهزموا عسكره وغنموا غنيمة عظيمة
حكاه مغلطاى ثم فتح مكة زادها الله شرفا وهو كما قال فى زاد المعاد الفتح

الاعظم

الاعظم الذى اعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الامين واستنقذ به
بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من ايدى الكفار والمشركين وهو الفتح
الذى استبشر به اهل السما وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس
فى دين الله افواجا واشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا خرج له صلى الله عليه وسلم
بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية
فانه كان قد وقع الشرط انه من احب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله
وعهده فعل ومن احب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو
بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله وعهده وكان
بين بنى بكر وخزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام
فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر فى بنى الديل حتى
بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فاصاب منهم رجلا يقال له
منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال
وامدت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا وخرج عمرو بن
سالم الخزاعى فى اربعين راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبرونه بالذى اصابهم ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت
ان لم انصركم مما انصر منه نفسى وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ميمونة
انها سمعته صلى الله عليه وسلم يقول متوضايه ليلا لبيك لبيك ثلاثا نصرت

نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضائك
تقول لبيك لبيك ثلثا نصرت نصرت ثلثا كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد
فقال صلى الله ع م هذا راجل بنى كعب يستصرخني ويزعم ان قريشا اعانت عليهم
بني بكر ثم خرج عليه السلام فامر عايشة ان تجهزه وتعلم احدا فقالت فدخل عليها
ابو بكر فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت والله ما ادري فقال والله ما هذا زمان
غزو نبي الاصفر فاين يريد رسول الله قالت والله لا علم لى قالت فاقمنا ثلثا
ثم صلى الصبح بالناس وسمعت الراجز ينشد

يا رب انى ناشد محمدا   حلف ابينا وابيه الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا   وانقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تدعو احدا   فانصر هداك الله نصرا ابدا
وادعوا عباد الله ياتوا مددا   فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيم خسفا وجهه تربدا   قال في القاموس وتربد يعني بالراء تغير انتهى
وزاد ابن اسحق هم بيتونا بالوتير هجدا   وقتلونا ركعا وسجدا
وزعموا ان لست تدعوا احدا   وهم اذل واقل عددا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم فكان ذلك ما هاج
فتح مكة وقد ذكر البزار من حديثا بى هريرة بعض الابيات المذكورة وقدم ابو سفيان
بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يساله ان يجدد العهد ويزيد

فى المدة فابى عليه فانصرف الى مكة فتجهز رسول الله ع م من غير اعلام احد بذلك
فكتب حاطب كتابا وارسله الى مكة يخبر بذلك فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
ع م لعلى بن ابى طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها
ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن
بالظعينة قلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لنلقين
الثياب قال فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله ع م فاذا فيه من حاطب
ابن ابى بلتعه الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله ع م
فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرا ملصقا فى قريش
يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات
يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم
يدا يحمون قرابتى ولم افعله ارتدادا عن دينى ولا رضى بالكفر بعد الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله
دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع
على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى
قوله فقد ضل سواء السبيل رواه البخاري قال في فتح البارى وانما قال
عمر رضى الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق

رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة
في الدين وبغض المنافقين فظن ان من خالف ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم
استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استاذن في قتله واطلق عليه منافقا
لكونه ابطن خلاف ما اظهر وعذر حاطب ما ذكره فانه صنع ذلك متأولا ان لا ضرر فيه
وعند الطبراني من طريق الحارث عن علي في هذه القصة فقال اليس قد شهد
بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
فارشد الى علة ترك قتله وعند الطبري ايضا عن عروة فاني غافر لكم وهذا
يدل على ان المراد بقوله غفر على طريق التعبير عن الاتي بالواقع مبالغة
في تحققه قال والذي يظهر ان هذا الخطاب خطاب اكرام وتشريف تضمن
ان هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا ان يغفر لهم
ما يستانف من الذنوب اللاحقة وقد اظهر الله تعالى صدق رسوله في كل من
اخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على اعمال اهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا
ولو قدر صدور شيء من احدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى
يعلم ذلك من احوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم قاله القرطبي وذكر بعض
اهل المغازي وهو في تفسير يحيى بن سلام ان لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب
اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش يسير
كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له فانظروا لانفسكم والسلام

كذا

الجزء الثامن عشر

مطلب كون عشرة الاف في غزوة الفتح

كذا حكاه السهيلي وروى الواقدي بسند له مرسل ان حاطبا كتب الى سهيل بن
عمرو وصفوان بن امية وعكرمة ان رسول الله اذن في الناس بالغزو ولا اراه
يريد غيركم وقد احببت ان تكون لي عندكم يد انتهى وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى من حوله من العرب فجلبهم اسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم
فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح
عشرة الاف وفي الاكليل وشرف المصطفى اثنا عشر الفا ويجمع بينهما بان
العشرة الاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الالفان واستخلف على
المدينة ابن ام مكتوم وقيل ابا رهم الغفاري وخرج عليه السلام يوم الاربعاء
لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة قاله الواقدي
وعند احمد باسناد صحيح عن ابي سعيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان فما قاله الواقدي ليس بقوي لمخالفته
ما هو اصح منه وفي تعيين التاريخ اقوال اخر منها عند مسلم لست عشرة ولاحمد
ثماني عشر وفي اخرى لثنتي عشرة والذي في المغازي دخل لتسع عشر مضت
وهو محمول على الاختلاف في اول الشهر ووقع في اخرى تسع عشرة على الشك
ولما بلغ صلى الله عليه وسلم
الكديد بفتح الكاف الماء الذي بين قديد وعسفان افطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ
الشهر رواه البخاري وفي اخرى له افطر وافطروا الحديث وكان العباس قد خرج

قبل ذلك باهله وعياله مسلمًا مهاجرًا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجحفة وكان قبل ذلك مقيمًا بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه راضٍ وكان ممن لقيه فى الطريق ابو سفيان بن الحارث بن عمه عليه السلام
واخوه من رضاع حليمة السعدية ومعه ولده جعفر ابن ابى سفيان وكان
ابو سفيان يالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عاداه وهجاه و
كان لقاؤهما له عليه السلام بالابواء واسلما قبل دخول مكة وقيل بل لقيه
هو وعبد الله ابن ابى امية بن عمته عاتكه بنت عبد المطلب بين السقا والعرج
فاعرض صلى الله عليه وسلم عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو
فقالت له ام سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك وقال على لابى سفيان
فيما حكاه ابو عمر وصاحب ذخاير العقبى ايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد اثرك الله علينا
وان كنا خاطئين فانه لا يرضى ان يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك ابو سفيان
فقال صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
ويقال انه صلى الله وسلم منذ اسلم منه قالوا ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما
كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها القبايل ثم نزل مر الظهران عشاء
فامر اصحابه فاوقدوا عشرة الاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون
فبعثوا ابو سفيان بن حرب وقالوا ان لقيت محمدًا فخذ لنا منه امانًا فخرج ابو سفيان بن

حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى اتوا مر الظهران فلما دنوا
العسكر افزعهم وفى البخاري فاذا هم بنيران كانها نيران عرفة فقال ابو سفيان
ما هذه لكانها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بنى عمرو فقال ابو
سفيان عمرو اقل من ذلك فراهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم
ابو سفيان فلما سار قال للعباس احبس ابا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر الى
المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبايل تمر مع النبى صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة
على ابى سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار قال مالى
ولغفار ثم مرت جهينة مثل ذلك حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال من هذه
قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة
يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة قال ابو سفيان يا عباس
حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة اى الهلاك قال تمنى ابو سفيان ان تكون له
يد فيحمى قومه ويدفع عنهم وقيل هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار
لمن قدر عليه وقيل هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى من نيال مكروه قال
ابن اسحق زعم بعض اهل العلم ان سعدًا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة
فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما امن ان يكون لسعد فى قريش
صولة فقال لعلى ادركه فخذ الراية منه فكنت انت تدخل فيها وقد روي

الاموي في المغازي ان ابا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه امرت بقتل قومك قال لا فذكر له ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله الرحم فقال يا ابا سفيان اليوم يوم الرحمة اليوم يعز الله قريشا وارسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قيس وعند ابن عساكر من طريق ابي الزبير عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امراة من قريش رسول الله صلى الله عليه فقالت

يا نبي الهدى اليك لجاى ... حي قريش ولات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الارض ... وعاداهم اله السماء

ان سعدا يريد قاصمة الظهر ... باهل الحجون والبطحاء

بالعمر فهذه ثلثة اقوال فيمن دفعت اليه
نزعت من سعد

فلما سمع هذا الشعر داخلته رافة لهم ورحمة فامر بالراية فاخذت من سعد ودفعت الى ابنه قيس وعند ابي يعلى من حديث الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعها اليه فدخل مكة بلوائين واسناده ضعيف جدا لكن جزم موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري انه دفعها الى الزبير والذي يظهر في الجمع ان عليا ارسل بنزعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فامر بدفعها الى ابنه قيس ثم ان سعدا خشي ان يقع من ابنه قيس شيء ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم ان ياخذها منه فحينئذ اخذها الزبير قال في رواية البخاري ثم جاءت كتيبة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال قال كذا وكذا

فقال

فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم فيه الكعبة ويكسى فيه الكعبة قال وامر رسول الله ان تركز رايته بالحجون قال وقال عروة واخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام يا ابا عبد الله ههنا امرك رسول الله ان تركز الراية قال نعم وامر رسول الله يومئذ خالد بن الوليد ان يدخل من اعلى مكة من كداء اي بالفتح والمد ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كدا اي بالضم والقصر فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حبيش بن الاشعر وكرز بن جابر الفهري قال الحافظ ابن حجر وهذا مخالف للاحاديث الصحيحة الاتية في البخاري ان خالدا دخل من اسفل مكة والنبي صلى الله عليه وسلم من اعلاها يعني حديث ابن عمر انه عليه السلام اقبل يوم الفتح من اعلى مكة على راحلته مردفا اسامة بن زيد وحديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التي باعلى مكة وغيرهما قال وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقا واضحا فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وامره ان يدخل مكة من كداء من اعلى مكة وامره ان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه وبعث خالد بن الوليد في قبايل قضاعة وسليم وغيرهم وامره ان يدخل من اسفل مكة وان يغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من اسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل

ومن الاحابيش الذي استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا وقتل
من بكر نحو من عشرين رجلا من هذيل ثلثة او اربعة حتى انتهى بهم القتل الى
الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدار فارتفعت طايفة منهم على الجبال وصاح
ابو سفيان من اغلق بابه وكف يده فهو امن قال ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى البارقة فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ
بالقتال فلم يكن له بد من ان يقاتلهم قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان
لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدونا بالقتال وقد
كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير وعند ابن اسحق فلما نزل
صلى الله عليه وسلم من الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا
راكبا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد احدا فيعلم اهل مكة بمجئ النبي
صلى الله عليه وسلم ليستامنوا فسمع صوت ابي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام
وبديل بن ورقاء فارد فا باسفيان خلفه واتى به النبي صلى الله عليه وسلم
وانصرفا الاخران ليعلما اهل مكة ويمكن الجمع بان الحرس لما اخذوه استنقذه
العباس وروي ان عمر رضى الله عنه لما راى ابا سفيان رديفا للعباس
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان
دعني اضرب عنقه فقال العباس يا رسول الله اني قد اجرته فقال صلى الله
عليه وسلم اذهب يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فائتني به فذهب فلما

اصبح غدى به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال يا بي
وامي انت ما احلمك واكرمك واوصلك قال ويحك يا ابا سفيان الم يان
لك ان تعلم اني رسول الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك
اما هذه ففي النفس منها شئ فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق
فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم وامر
صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو امن ومن دخل دار
ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه الباب فهو امن الا المستثنين وهم عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح اسلم كما قاله مغلطاي وغيره وابن خطل قتله ابو برزه
وقينتاه وهما فرتناه بالفا المفتوحة والراء الساكنة والتاء المثناة الفوقية
والنون وقرنية بالقاف والموحدة مصغرا اسلمت احداهما وقتلت الاخرى
وذكر غير ابن اسحق ان التي اسلمت فرتناه وان قرينة قتلت وسارة مولاة لبني
المطلب اسلمت ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفي بن هشام وارنب علم امراة
وقريبة قتلت وعكرمة بن ابي جهل اسلم والحارث بن نفيد قتله علي ومقيس بن صبابة
بمهملة مضمومة وموحدتين الاولى خفيفة قتله نميلة الليثي وهبار بن الاسود
اسلم وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت

وقينتاه

فتحنن بها حتى سقطت على صخرة واسقطت جنينها وكعب بن زهير اسلم وبنت هند
عتبته اسلمت ووحشى بن حرب اسلم انتهى وابن خطل بفتح الخاء المعجمة و
الطاء المهملة وابن نقيد بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية
اخره ودال مهملة مصغرا ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية
اخره مهملة وقد جمع الواقدي عن شيوخه اسماء من لم يؤمن يوم الفتح وامر
بقتله عشرة انفس ستة رجال واربع نسوة وروى احمد ومسلم والنسايى
عن ابى هريرة قال اقبل رسول الله صلى الله وقد بعث على احدى المجنبتين خالد بن
الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الحسر بضم المهملة و
تشديد السين المهملة اى الذين بغير السلاح فقال لي يا ابا هريرة اهتف لي
بالانصار فهتفت بهم فجاؤا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش و
اتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى
بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء ابو
سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال
من اغلق بابه فهو امن قال في فتح البارى وقد تمسك بهذه القصة من
قال ان مكة فتحت عنوة وهو قول الاكثر وعن الشافعى وهو رواية عن احمد
انها فتحت صلحا لما وقع هذا التامين ولاضافة الدور الى اهلها لانها لم تقسم
ولان الغانمين لم يملكوا دورها والا لجاز اخراج اهل الدور منها وحجة

مطلب فتح مكة عنوة

الاولين

الاولين ما وقع التصريح به من الامر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وبتصريحه
عليه السلام بانها احلت له ساعة من نهار ونهيه عن التاسى به في ذلك واجابوا
عن ترك القسمة بانها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلدة عنوة ويمن على
اهلها ويترك لهم دورهم قال واما قول النووي واحتج الشافعى بالاحاديث
المشهورة بان النبى صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة
ففيه نظر لان الذي اشار اليه ان كان مراده ما وقع من قوله عم من دخل دار
ابى سفيان فهو امن كما تقدم وكذا من دخل المسجد كما عند ابن اسحق فان ذلك
لا يسمى صلحا الا اذا التزم من اشير اليه بذلك الكف عن القتال والذى
ورد فى الاحاديث الصحيحة ظاهر في ان قريشا لم يلتزموا ذلك لانهم استعدوا
للحرب وان كان مراده بالصلح وقوع عقده فهذا لم ينقل ولا اظنه عنى الا
الاحتمال الاول وفيه ما ذكرت انتهى ثم دخل رسول الله صلى الله عليه
مكة فى كتيبة الخضراء وهو على ناقته القصوا بين ابى بكر واسيد بن حضير فرآه
ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك
ملكا عظيما فقال العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وروى
انه صلى الله عليه وسلم وضع راسه تواضعا لله لما راى ما اكرمه الله به من
الفتح حتى ان راسه لتكاد تمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته ان احل له بلده
ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده وفى البخاري من حديث انس ان النبى عم

دخل مكة يوم الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفا
زرد ينسج من الدرع على قدر الراس وفي الحكم هو ما يجعل من فضل درع الحديد
على الراس مثل القلنسوة فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق باستار الكعبة
فقال اقتله وفي حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطني والحاكم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اربعة لا او منهم في حل ولا احرام الحويرث بن نقيد
وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن ابي سرح قال فاما هلال بن خطل
فقتله الزبير الحديث في حديث سعد بن وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في
الدلائل نحوه لكن قال اربعة نفر وامراتان وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين
باستار الكعبة فذكره لكن قال عبد الله بن خطل بدل هلال وقال عكرمة بدل
الحويرث ولم يسم المراتين وقال فاما عبد الله بن خطل فادرك وهو متعلق
باستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا
وكان اشب الرجلين فقتله الحديث وروي ابن ابي شيبة من طريق ابي عثمان
النهدي ان ابا برزة الاسلمي قتل ابن خطل وهو متعلق ابي شيبة باستار
الكعبة واسناده صحيح مع ارساله ورواه احمد من وجه اخر وهو اصح ما
ورد في تعيين قاتله وبه جزم البلادري وغيره من اهل الاخبار ويحمل
بقية الروايات على انهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم ابو برزة ويحتمل
ان يكون غيره شاركه فيه فقد جزم ابن هشام في السيرة بان سعيد حريث وابا

برزة

وابابرزة الاسلمي اشتركا في قتله وانما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلما فبعثه
صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الانصاري وكان معه
مولى يخدمه وكان مسلما ونزل منزلا فامر المولى ان تذبح تيسا ويصنع له طعاما
ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت
له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الجمع بين ما اختلف
فيه من اسمه انه كان يسمى عبد العزي فلما اسلم سمي عبد الله واما من قال
هلال فالتبس عليه باخ له اسمه هلال وفي رواية ابي داود من حديث مصعب
لما كان يوم الفتح امن رسول الله عم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما
ابن ابي سرح فاختبا او لا عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على رسول الله عم
فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى بعد ثلاث
ثم اقبل على اصحابه فقال ما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت عن بيعته
فيقتله فقالوا ما رسول الله ما ندري ما نفسك الا اومات الينا قال انه لا ينبغي لنبي
ان يكون له خائنة الاعين الحديث قال مالك كما في رواية البخاري ولم يكن رسول الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نري يومئذ محرما انتهى وقول مالك هذا رواه
عبد الرحمن بن مهدي عن مالك جازما به اخرجه الدارقطني في الغرايب ويشهد له
ما رواه مسلم من حديث جابر دخل صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه

عمامة سوداء بغير احرام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن طاوس قال
لم يدخل النبي عم مكة الا محرما الا يوم فتح مكة وقد اختلف العلماء هل يجب على من
دخل مكة الاحرام ام لا فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا
وفي قول يجب مطلقا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب وهو اولى بعدم الوجوب
والمشهور عن الايمة الثلاثة الوجوب وفي رواية عن كل منهم لا يجب وجزم
الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المكررة واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات
والله اعلم وقد زعم الحاكم في الاكليل ان بين حديث انس في المغفر وبين حديث
جابر في العمامة السوداء معارضة وتعقبوه باحتمال ان يكون دخوله كان
على راس المغفر ثم ازاله ولبس العمامة بعد ذلك فحكى كل منهما ما راه ويويده
في حديث عمرو بن حريث انه خطب الناس وعليه امامة سوداء اخرجه مسلم ايضا
وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول وهذا الجمع للقاضي
عياض وقال غيره يجمع بان العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر او كانت تحت
المغفر وقاية لراسه من صداء الحديد فاراد انس بذكر المغفر كونه دخل متاهبا للحرب
واراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم وفي البخاري عن اسامة بن زيد انه
قال زمن الفتح يا رسول الله اين تنزل غدا قال النبي عم وهل ترك لنا عقيل من منزل
وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور وكان عقيل ورث ابا طالب
هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيئا لانهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب

مطلب وقد اختلف العلماء هل يجب على من دخل مكة احرام ام لا

كافرين فكان عمر بن الخطاب يقول لا يرث الكافر المومن ولا المومن الكافر
وفي رواية اخرى قال عليه السلام منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث
تقاسموا على الكفر يعني بالمحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم
وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله
عليه وسلم كما تقدم وفي رواية اخرى له انه يوم فتح مكة اغتسل في بيت
ام هاني ثم صلى الضحى ثمان ركعات قالت لم اره صلى صلاة اخف منها غير
انه يتم الركوع والسجود واجارت ام هاني حموين لها فقال النبي عم قد اجرنا من
اجرت يا ام هاني والرجلان الحارث بن هشام وزهير بن امية بن المغيرة كما قاله
ابن هشام وزهير وقد كان اخوها علي بن ابي طالب اراد ان يقتلهما فاغلقت عليها
باب بيتها وذهبت الى النبي عم ولما كان الغد من يوم الفتح قام عليه الصلاة والسلام
خطيبا في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس
ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيمة
فلا يحل لامرئ يومن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان
احد ترخص فيها لقتال رسول الله عم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن
لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس
فيبلغ الشاهد الغايب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ
كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء اي الذين فلم يسترقوا ولم يوسروا

قصيدة [illegible] المشهورة

والطليق الاسير اذا اطلق والمراد بالساعة التى احلت له مابين اول النهار ودخول وقت العصر كما قاله فى فتح البارى ولقد اجاد العلامة ابو محمد السقراطيسى حيث يقول

ويوم مكة اذ اشرفت فى امم   يضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها   فى قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قدق الارجاء ذى لجب   عرمرم كزهاء الليل منسجل
وانت صلى الله عليك تقدمهم   فى بهو اشراق نور منك مكتمل
تنير فوق اغر الوجه منتجب   متوج بغرير النصر مقتبل
تسموا امام جنود الله مرتديا   ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بها العز حين سمت   بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك السماء بما   ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق   والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى اعنتها   والعيش تنثال زهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الاقلام من قدر   وسابق من قضاء غير ذى حول
اهل تهلان بالتهليل من طرب   وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت   له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت   بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زارت كتائبه   كالاسد تزار فى انيابها العصل

فويل

فويل مكة من اثار وطأته   وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم   تلمم ولا باليم اللوم والعذل
اضربت بالصفح صفحا عن غوائلهم   طولا اطال مقيل النوم فى المقل
رحمت واشج ارحام اتيح لها   تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عادوا ابطل كريم العفو ذى لطف   مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
ازكى الخليقة اخلاقا واطهرها   واكرم الناس صفحا عن ذوى الزلل
وطفت بالبيت محبورا وطائفة   من كان عنه قبيل الفتح فى شغل

والجحفل الجيش العظيم وقدق الارجاء اى متباعدها واللجب بالجيم الصلجة من كثرة الاصوات والعرمرم الضخم كثير العدد وقوله كزهاء الليل شبهه بالليل فى سده الافق واسوداده بالسلاح والمنسجل بالجاء المهملة المنصب فى سيره يتبع بعضه بعضا وقوله فى بهو اشراق شبه النور الذى يغشاه عليه السلام ببهو خاص والبهو البناء العالى كالايوان ونحوه والمنتجب المتخير من اصيل نجيب اى كريم والمقتبل المستقبل الخير وترجف تهتز والزهو الخفة من الطرب يعنى ان الارض اهتزت فرحا بهذا الجيش وفرقا من صولته اى كادت تهتز وقال تعالى وبلغت القلوب الحناجر اى كادت تبلغ والجدل جمع جديل وهو الزمام المضفور وثنى الجدل ما انثنى على اعناق الابل اى انعطف وتهلان اسم جبل معروف واهل رفع صوته ويذبل اسم جبل ايضا والذبل الرماح الذوابل وهى التى

لم تقطع من بنا سها حتى ذبلت اي جفت وبيست وتهليلا اي جبنا وفزعا يعني لولا ما
سبق من تقدير الله ان الجبال لا تنطق لرفع تهلالا صوتر وهلل الله من الضرب ولذ
بذبل من الجزع والفرق قوله شعبت اي جمعت واصلحت وقدفت بهم اي فرقت بهم
مخافة شعوب وشعوب اسم للمنية لانها تفرق الجماعات من شعبت اي فرقت وهو
من الاضداد والشعاب الطرف في الجبال والسهل خلاف الجبل والقلل رؤس الجبال
يعني انه صلى الله عليه وسلم عفى عنهم بعد ما تصدعوا اي تفرقوا وهربوا من
خوفه الى كل سهل وجبل وقوله كالاشذرا وفي ينابيها العضل اي المعوجة
والله اعلم ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قالا لانصار فيما
بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه ارضه وبلده
يقيم بها وكان عليه السلام يدعو على الصفار افعا يديه فلما فرغ من دعايه
قال ما قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبره فقال رسول الله
معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وهم فضالة بن عمير بن الملوح ان يقتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنى منه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضالة قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به
نفسك قال لا شيء اذكر الله فضحك صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم
وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة والله ما رفع يده عن
صدري حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه وطاف صلى الله عليه بالبيت

ما كان [illegible] البيت [illegible] نائلة في تعابد

يوم

يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثماية وستون صنما
فكلما مر بصنم اشار اليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي وفي رواية ابي نعيم قد الزقها
الشياطين بالرصاص والنحاس وفي تفسير العلامة ابن النقيب القدسي ان الله
تعالى لما اعلمه صلى الله عليه بانه قد انجز له وعده بالنصر على اعدايه وفتحه مكة
واعلاه كلمة دينه امره اذا دخل مكة ان يقول وقل جاء الحق وزهق الباطل
فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الاصنام التي حول الكعبة بمحجنه ويقول
جاء الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطا مع انها كلها كانت مثبتة بالحديد
والرصاص وكانت ثلثماية وستين صنما بعدد ايام السنة قال وفي معنى الحق
والباطل لعلماء التفسير اقوال قال قتادة جاء القران وذهب الشيطان وقال
ابن جريج جاء الجهاد وذهب الشرك وقال مقاتل جاءت عبادة الله وذهب
الشيطان وقال ابن عباس وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
حول البيت ثلثماية وستين صنما كانت لقبايل العرب يحجون اليها وينحرون
لها فشكى البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي
دونك فاوحى الله تعالى اليه اني ساحدث لك نوبة جديدة يدفون اليك
اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك
بالتلبية قال ولما نزلت الاية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله

خذ مخضرتيك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما ويطعن في عينه او بطنه
بمخضرته ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها
جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان قوارير صفر فقال يا علي ارم به
فحمله عليه السلام حتى صعد ورمى به وكسره فجعل اهل مكة يتعجبون انتهى
وعن ابن عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم ابى ان يدخل البيت وفيه الالهة
فامر بها فاخرجت فاخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل في ايديهما الازلام
يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله
لقد علموا انهما لم يستقسما بهما قط فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل
رواه الترمذي وعن ابن عمر قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
على ناقته القصواء وهو مردف اسامة حتى اناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان
بن طلحة فقال ائتني بالمفتاح فذهب الى امه فابت ان تعطيه فقال والله لتعطينه
او ليخرجن هذا السيف من صلبي فاعطته اياه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب
رواه مسلم وروى الفاكهي من طريق ضعيفة عن ابن عمر ايضا قال بنو ابي طلحة
يزعمون انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
المفتاح ففتحها بيده وعثمان المذكور هو ابن طلحة ابن ابي طلحة بن عبد العزى ويقال
له الحجبي بفتح المهملة والجيم ويعرفون الان بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان
ابن ابي طلحة وهو ابن عم عثمان هذا لا ولد له وله صحبة ورواية واسلم عثمان

سلافة بضم السين المهملة والتخفيف والفاء وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان
بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم
يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان
لعلك سترى هذا المفتاح يوما اضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ
وذلت قال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت
ان الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فاتيته به فاخذه
مني ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله
استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت
اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا
المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت قلت بلى اشهد انك رسول الله وفي التفسير ان
هذه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي امره
ان ياتيه بمفتاح الكعبة فابى عليه واغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو
علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب
فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح
ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية وامر صلى الله عليه وسلم
عليا ان يرد المفتاح الى عثمان يعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال اكرهت واذيت
ثم جئت ترفق فقال علي لقد انزل الله في شانك وقرا عليه الاية فقال عثمان

اشهد ان محمدا رسول الله فجاء جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا البيت
او لبنة من لبناته قايمة فان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان فكان المفتاح معه
فلما مات دفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة
قال ابن ظفر في ينبوع الحياة قوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه هذا وهم لانه كان
ممن اسلم فلو قال هذا كان مرتدا وعن الكلبي لما طلب عليه السلام المفتاح من عثمان
مد يده اليه فقال العباس يا رسول الله اجعلها مع السقاية فقبض عثمان يده
بالمفتاح فقال له صلى الله عليه وسلم ان كنت يا عثمان تؤمن بالله واليوم الاخر فهاته
فقال هاكه بالامانة فاعطاه اياه ونزلت الاية قال ابن ظفر وهذا اولى بالقبول
وفي رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان
بن طلحة الحجبي فاغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت اول من ولج
فلقيت بلالا فسالته هل صلى فيه رسول الله قال نعم بين العمودين اليمانيين
وذهب عني اساله كم صلى وفي احدى روايات البخاري جعل عمودا عن يساره و
عمودا عن يمينه وثلثة اعمدة وراءه وليس بين الروايتين مخالفة لكن قوله في
الرواية الاخرى وكان البيت يومئذ على ستة اعمدة مشكل لانه يشعر بكون ما عن
يمينه او يساره كان اثنين ولهذا عقبه البخاري رواية ابن ابي اويس التي فيها
عمودين عن يمينه ويمكن الجمع بين الروايتين بانه حيث ثنى اشار الى ما كان عليه
البيت في زمنه صلى الله عليه وسلم وحيث افرد اشار الى ما صار اليه بعد ذلك

ويرشد

ويرشد اليه قوله وكان البيت يومئذ لان فيه اشعارا بانه تغير عن هيئته
الاولى ويحتمل ان يقال لم تكن الاعمدة على سمت واحد بل اثنان على سمت والثالث
على غير سمتها ولفظة المتقدمين في احدى روايات البخاري مشعر به وفي رواية
لمسلم جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه عكس رواية اسمعيل وكذا قال
الشافعي وبشر بن عمر وفي الروايتين عنهما وجمع المتاخرين بين هاتين
الروايتين باحتمال تعدد الواقعة وهو بعيد لاتحاد مخرج الحديث وقد جزم
البيهقي بترجيح رواية اسمعيل ووافقه عليها ابن القاسم والقعنبي وابو
مصعب ومحمد بن الحسن وابو حذافة وكذلك الشافعي وابن مهدي في احدى
الروايتين عنهما انتهى ملخصا من فتح الباري وقد بين موسى بن عقبة في
روايته عن نافع ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي
استقبله قريبا من ثلاثة اذرع وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما
اخرجه الدارقطني في الغرايب ولفظه وصلى وبينه وبين القبلة ثلثة
اذرع وفي كتاب مكة للازرقي والفاكهي ان معاوية سئل ابن عمر اين صلى رسول الله
فقال اجعل بينك وبين الجدار ذراعين او ثلاثة فعلى هذا ينبغي لمن اراد الاتباع
في ذلك ان يجعل بينه وبين الجدار ثلثة اذرع فانه تقع قدماه في مكان قدميه
ان كانت ثلاثة سواء او تقع ركبتاه او يداه او وجهه ان كان اقل من ثلثة اذرع
والله اعلم وفي رواية عن ابن عباس قال اخبرني اسامة انه عليه الصلوة والسلام

لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل
البيت ركعتين فقال هذه القبلة رواه مسلم والجمع بينه وبين حديث عمر ان اسامة
اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة كما رواه احمد والطبراني
بان اسامة حيث اثبتها اعتمد في ذلك على غيره وحيث نفاها اراد ما في علمه
لكونه لم يره حين صلى ويكون بن عمر ابتداء بلالا لا بالسؤال ثم اراد زيادة الاستثبات
في مكان الصلاة فسال اسامة ايضا قال النووي وقد اجمع اهل الحديث على
الاخذ برواية بلال لانه مثبت فمعه زيادة علم فوجب ترجيحه قال واما نفي اسامة
فيشبه انهم لما دخلوا الكعبة اغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء فراى اسامة
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل اسامة في ناحية من نواحي البيت
والنبي صلى الله عليه وسلم في ناحية اخرى وبلال قريب منه ثم صلى النبي ع م
فراى بلال لقربه منه ولم يره اسامة لبعده واشتغاله وكانت صلاته ع م خفيفة
فلم يرها اسامة لاغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء وجاز له نفيها عملا
بظنه واما بلال فحققها واخبر بها انتهى وتعقبه بما يطول ذكره واقرب ما قيل
في الجمع انه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة غاب عنه اسامة من الكعبة لامر بعثه
اليه وهو ان ياتي بما يمحوا به الصور التي كانت في الكعبة فاثبت الصلاة بلال
لرؤيته لها ونفاها اسامة لعدم رؤيته ويؤيده ما رواه ابو داود الطيالسي عن
اسامة بن زيد قال دخلت على رسول الله ع م وراى صورا فدعا بدلو من ماء فاتيته

به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون
ورجاله ثقات وافاد الازرقي في تاريخ مكة ان خالد بن الوليد كان على باب
الكعبة يذب عنه صلى الله عليه وسلم الناس وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم
اقام خمسة عشر ليلة وفي رواية تسع عشرة ليلة وفي رواية ابي داود سبع عشرة
وعند الترمذي ثمان عشرة وفي الاكليل اصحها بضع عشرة يقصر الصلاة و
قال الفاسي في تاريخ مكة وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان ثم
سرية خالد بن الوليد عقيب فتح مكة الى العزى بنخلة وكانت لقريش وجميع بني
كنانة وكانت اعظم اصنامهم لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ومعه
ثلثون فارسا ليهدمها فلما انتهوا اليها هدمها ثم رجع الى رسول الله ع م
بمكة فاخبره فقال هل رايت شيئا قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع اليها
فاهدمها فرجع فجرد سيفه فخرجت اليه امراة عجوزة عريانة سوداء ثائرة الراس
فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها باثنين ورجع الى رسول الله ع م
فاخبره فقال نعم تلك العزى وقد ييست ان تعبد في بلادكم ثم سرية عمرو بن العاص
الى سواع صنم هذيل على ثلثة اميال من مكة في شهر رمضان سنة ثمان حين فتح مكة
قال عمرو فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت امرني رسول الله
ان اهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع
او يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رايت قال اسلمت لله

ثم سرية سعد بن زيد الاشهلي الى مناة صنم للاوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان
حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى اليه قال السادن ما تريد قال هدم مناة
قال انت وذاك فاقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امراة عريانة سوداء ثائر الراس
تدعو بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد بن زيد فقتلها فانفتل الى الصنم و
معه اصحابه فهدموه وانصرف راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
لست بقين من رمضان ثم سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة قبيلة من عبد القيس
اسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصا بعثه
عليه السلام لما رجع من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة
وبعث معه ثلاثماية وخمسين رجلا داعيا الى الاسلام لا مقاتلا فلما انتهى اليهم
قال ما انتم قالوا مسلمين قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا
وفي البخاري لم يحسنوا ان يقولوا ذلك فقالوا صبانا فقال لهم استاسروا فاستاسر
القوم فامر بعضهم بعضا وفرقهم في اصحابه فلما كان السحر نادى ثانيا دى خالد
من كان معه اسير فليقتله فقتلت بنو سليم من كان بايديهم واما المهاجرون
والانصار فارسلوا اسارا هم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
اني ابرا اليك من فعل خالد وبعث عليا فودى لهم قتلاهم قال الخطابي يحتمل ان يكون
خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام ولم ينقادوا الى الدين فقتلهم متاولا
وانكر صلى الله عليه وسلم العجلة وترك التثبت في امرهم قبل ان يعلم المراد من قولهم

صبانا

صبانا ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا بالتصغير وهو واد قرب
ذي المجاز وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطايف وتسمى غزوة
هوازن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها
واسلم عامة اهلها مشت اشراف هوازن وثقيف بعضهم الى بعض وحشدوا
وقصدوا محاربة المسلمين وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري فخرج
اليهم رسول الله عليه السلام من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال
في اثني عشر الفا من المسلمين عشرة الاف من اهل المدينة والفان ممن اسلم
من اهل مكة وهم الطلقا يعني الذين خلى عنهم يوم فتح مكة واطلقهم فلم يسترقهم
واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق سبيله واستعمل صلى الله
عليه وسلم على مكة عتاب بن اسيد وخرج معه عم ثمانون من المشركين منهم
صفوان بن امية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار منه ماية درع
باداتها فوصل الى حنين ليلة الثلثا لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك
بن عوف ثلثة نفر ياتونه بخبر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرجعوا اليه وقد
تفرقت اوصالهم من الرعب ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
حدرد الاسلمي فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم وفي حديث سهل
بن الحنظلة عند ابي داود باسناد حسن انهم ساروا مع رسول الله عم فاطنبوا
السير فجاء رجل فقال اني انطلقت من بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا انا

بهوازن عن بكرة ابيهم اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك
غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى وقوله عن بكرة ابيهم (بظعنهم ونعمهم وشايهم) كلمة للعرب يريدون
بها الكثرة وتوفر العدد وليس هنا ان بكرة في الحقيقة وهي التي يستقى عليها
استعيرت هنا وقوله بظعنهم اي بنسائهم واحدها ظعينة واصل الظعينة (الراحلة)
التي ترحل ويظعن عليها اي يسار وقيل للمرأة ظعينة لانها تظعن مع زوجها حيث
ما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثم
قيل للمرأة بلا هودج وللهودج بلا امرأة ظعينة انتهى وروى يونس بن بكير في زيادة
المغازي عن الربيع قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء دلدل ولبس
درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من
السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا
حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم اهل مكة والناس
ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس بن عبد المطلب وعلي بن ابي
طالب والفضل بن العباس وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابو بكر وعمر
اسامة بن زيد من اهل بيته واصحابه قال العباس وانا اخذ بلجام بغلته اكفها مخافة
ان يصل الى العدو لانه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحر العدو وابو سفيان
بن الحارث آخذ بركابه وجعل عليه السلام يقول للعباس ناد يا معشر الانصار يا اصحا

السمرة يعني الشجرة بيعة الرضوان التي بايعوه تحتها ان لا يفروا فجعل ينادي تارة يا
اصحاب السمرة وتارة يا اصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما
سمع المسلمون نداء العباس اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها وفي رواية
مسلم قال العباس فوالله كان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها
يقولون يا لبيك يا لبيك فتراجعوا الى رسول الله عم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه
بعيره على الرجوع انحدر عنه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عم
فامرهم عليه السلام ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فاشرف رسول الله
صلى الله عليه فنظر الى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه
يضرب مثلا لشدة الحرب الذي يشبه حرها حره وهذه فصيح الكلام الذي لم
يسمع من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات
من الارض ثم قال شاهت الوجوه اي قبحت ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله
منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب من
الارض فيحتمل انه رمى بذا مرة وبالاخرى اخرى ويحتمل انه يكون اخذ قبضة
واحدة مخلوطة من حصى وتراب ولاحمد ولابي داود والدارمي من حديث ابي
عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال فولى المسلمون مدبرين كما قال تعالى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم
عن فرسه فاخذ كفا من تراب قال فاخبرني الذي كان ادنى اليه مني انه ضرب وجوههم

وقل شاهت الوجوه فهزمهم الله قال نعلي بن عطاء رواية عن ابي همام عن
ابي همام عبد الرحمن الفهري فحدثني ابنا وهم عن اباوهم انهم قالوا لم يبق منا احد
الا امتلات عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السما كامرار الحديد على الطست
الجديد بالجيم قال في النهاية وصف الطست وهو مونثة بالجديد وهو مذكر اما
لان تانيثها غير حقيقي فاوله على الاناء والظرف ولان فعيلا يوصف به المونث بلا
علامة تانيث كما يوصف به المذكر نحو امراة قتيل انتهى ولاحمد والحاكم من حديث
بن مسعود فحادت به صلى الله عليه وسلم بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله
فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات اعينهم ترابا وجاء
المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون
الادبار وروى جعفر بن جرير عن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان المشركون
يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
لم يقفوا لنا حلب شاة فلما القيناهم جعلنا نسوقهم في اثارهم حتى انتهينا الى
صاحب البغلة البيضا فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده
رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا
وفي سيرة الدمياطي كان سيما الملائكة يوم حنين عمايم حمرا رخوها بين اكتافهم
وفي البخاري عن البراء وساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله ص م لم يفر كان
هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلنا بالسهام ولقد

رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث اخذ
بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا فيه اشارة الى ان
صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست
بكاذب فيما اقول حتى انهزم بل انا متيقن ان الذي وعدني الله به من النصر حق
فلا يجوز على الفرار واما ما في رواية مسلم عن سلمة بن الاكوع من قوله وارجع منهزما
الى قوله مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فقال لقد راي بن الاكوع
فزعا فقال العلما قوله منهزما حال من ابن الاكوع كما صرح اولا بانهزامه ولم يرد
ان النبي صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه السلام ما
انهزم ولم ينقل احد انه انهزم قط في موطن من المواطن وقد نقلوا اجماع المسلمين
على انه لا يجوز ان يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان
العباس وابو سفيان بن الحارث اخذين ببغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى
العدو وقد تقدم في غزوة احد ما نسب لابن المرابط من المالكية مما حكاه
القاضي عياض في الشفاء ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب
فان تاب والا قتل وان العلامة البساطي تعقبه بما لفظه هذا القايل ان كان يخالف
في اصل المسالة يعني حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا يقبل توبته فمشكل
انتهى قال بعضهم وقد كان ركوبه م البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب
وتحقيقا لنبوته لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام القوة

والا فالبغال عادة من مراكب الطمانية ولا يصلح لمواطن الحرب في الغارة الا
فبين عليه السلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكل
على الله تعالى وقد ركبت الملائكة في الحرب معه عليه السلام على الخيل لا غير
لانها بصدد ذلك عرفا دون غيرها من المركوبات ولهذا لا يسهم في الخيل والسر
في ذلك انها مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل انتهى وعند ابن ابي شيبة
من مرسل الحكم بن عتيبة لم يبق معه عليه السلام الا اربعة نفر ثلثة من بني هاشم
ورجل من غيرهم علي والعباس بين يديه وابو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان
وابن مسعود من الجانب وليس يقبل نحوه احد الا قتل وفي الترمذي باسناد حسن
من حديث ابن عمر لقد رايتنا يوم حنين وان الناس لمولين وما مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مائة رجل وفي شرح مسلم للنووي انه ثبت معه عليه السلام
اثنى عشر رجلا وكانه اخذه من قول ابن اسحق ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب
ان الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

وقد قال الطبري الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود واما الاستطراد
للكثرة فهو كالمتحيز الى فئة انتهى واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب فقال العلماء انه عليه ليس بشعر لان الشاعر انما سمي شاعرا لوجوه منها
انه شعر القول وقصده واهتدى اليه واتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى
فان خلا من هذه الاوصاف او بعضها لم يكن شعرا ولا يكون قائله شاعرا والنبي صلعم
لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا اراده فلا يعد شعرا وان كان موزونا واما قوله
عليه السلام انا ابن عبد المطلب ولم يقل ابن عبد الله فاجيب بان شهرته بجده كانت
اكثر من شهرته بابيه لان اباه توفي في حياة ابيه عبد المطلب قبل مولده عليه السلام
وكان عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شائعة وكان سيد قريش وكان كثير
من الناس يدعوا النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ينسبونه الى جده لشهرته ومنه
حديث ضمام بن ثعلبة في قوله ايكم ابن عبد المطلب وقيل غير هذا وامر صلى الله عليه
وسلم ان يقتل من قدر عليه وافضى المسلمون في القتل الى الذرية فنهاهم عليه
السلام عن ذلك وقال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه واستلب ابو طلحة
وحده ذلك اليوم عشرين رجلا وقال ابن القيم في الهدي النبوي كان الله تعالى
قد وعد رسوله اذا فتح مكة دخل الناس في دين الله افواجا ودانت له العرب
باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته ان امسك قلوب هوازن ومن تبعها عن
الاسلام وان تجمعوا وتالبوا الحرب عليه السلام ليظهر امره وتمام اعزازه لرسوله
ونصره لدينه وتكون غنائمهم شكرانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى ورسوله و
عباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها ولا يقاومهم
بعد احد من العرب فاقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان اذاق المسلمين اولا مرارة

الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤسا
رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله مرواضعا راسه منحنيا على مركوبه
تواضعا لربه وخضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد بعده وليبين سبحانه
لمن قال لن نغلب اليوم من قلة ان النصر انما هو من عند الله تعالى وانه من ينصره فلا
غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه
لا كثرتكم التي اعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين فلما انكسرت
قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
وانزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته تعالى ان خلع النصر وجوايزه انما تفيض
على اهل الانكسار ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض قال وبهاتين
الغزاتين اعني حنينا وبدرا قاتلت الملائكة بانفسها مع المسلمين ورمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين بالحصبا فيهما انتهى وامر صلى الله
بطلب العدو فانتهى بعضهم الى الطايف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم الى
اوطاس واستشهد من المسلمين اربعة منهم ايمن ابن ام ايمن وقتل من المشركين
اكثر من سبعين قتيلا ثم سرية ابي عامر الاشعري وهو عم ابي موسى الاشعري وقال
ابن اسحق ابن عمه والاول اشهر بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين
في طلب الفارين من هوازن يوم حنين الى اوطاس وهو واد في ديار هوازن
وكان معه سلمة بن الاكوع فانتهى اليهم فاذا هم ممتنعون فقتل منهم ابو
عامر

عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول
اللهم اشهد عليه ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه
فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه ابو عامر فافلت ثم اسلم بعد فحسن
اسلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راه قال هذا شريد ابي
عامر ورمى ابا عامر ابناء الحارث واوفا فقتلاه فخلفه ابو موسى الاشعري
فقاتلهم حتى فتح الله عليه وكان في السبي الشيما اخته عليه السلام من
الرضاعة وقتل قاتل ابي عامر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابي
عامر واجعله من اعلا امتي في الجنة وفي رواية البخاري قال يعني ابا عامر لابي
موسى الاشعري لما رمي بالسهم يا ابن اخي اقرئ النبي صلى الله عليه وسلم السلام
وقل له يستغفر لي ثم مات ورجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه فاخبرته
بخبرنا وخبر ابي عامر وقال قل له استغفر لي فدعا بماء فتوضا ثم رفع يديه
وقال اللهم اغفر لعبيد ابي عامر ورايت بياض ابطيه ثم قال اللهم اجعله
يوم القيمة فوق كثير من خلقك فقلت ولي فقال اللهم اغفر لعبد الله بن
قيس ذنبه وادخله يوم القيمة مدخلا كريما قال ابو بردة احداهما لابي عامر
والاخرى لابي موسى ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي الى ذي الكفين صنم
من خشب كان لعمرو بن حممة في شوال لما اراد عليه الصلاة والسلام السير الى
الطايف ليهدمه ويوافيه بالطايف فخرج سريعا فهدمه وجعل يحش النار في

وجهه ويحرقه ويقول ٭ يا ذا الكفين لست من عبادكا ٭ ميلادنا اقدم من ميلادكا
اني حشيت النار في فؤادكا وانحدر معه من قومه اربعماية سراعا فوافوا النبي صلى الله
بالطايف بعد مقامه باربعة ايام وعند مغلطاي وقدم معه اربعة مسلمون ٭
ثم غزوة الطايف وهي بلد كبير على ثلاث مراحل او اثنتين من مكة من جهة المشرق
كثيرة الاعناب والفواكه وقيل ان اصلها ان جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت
لاصحاب الصريم فسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطايف فسمي
الموضع بها وكانت اولا بنواحي صنعا واسم الارض وج بتشديد الجيم وسار اليها
النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنايم بالجعرانة
وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف لما انهزموا من اوطاس دخلوا
حصنهم بالطايف واغلقوه عليهم بعد ان دخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيوا
للقتال وسار صلى الله عليه وسلم فمر في طريقه بقرابي رغال وهو ابو ثقيف
فيما يقال فاستخرج منه غصنا من ذهب ونزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرمي
المسلمون رميا شديدا كانه رجل جراد حتى اصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم
اثنى عشر رجلا منهم عبد الله بن ابي اميه ورمي عبد الله بن ابي بكر الصديق
يومئذ بجرح فاندمل ثم نقض بعد ذلك فمات منه في خلافة ابيه وارتفع
الى موضع مسجد الطايف اليوم وكان معه من نسايه ام سلمة وزينب فضرب
لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين حصار الطايف كله فحاصرهم ثمانية عشر يوما

ويقال

ويقال خمسة عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو اول منجنيق رمي به في الاسلام
وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين فرمتهم
ثقيف بالنبل فقتل منهم فامر صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم وتحريقها
فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سالوه ان يدعها لله وللرحم فقال فاني ادعها لله
وللرحم ثم نادى مناديه عليه السلام ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر
قال الدمياطي فخرج منهم بضع عشرة رجلا فيهم ابو بكرة وعند مغلطاي ثلثة
وعشرون عبدا وفي البخاري عن عثمان النهدي قال سمعت سعدا وابا بكرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عاصم لقد شهد عندي رجلان واما احدهما
فاول من رمى بسهم في سبيل الله واما الاخر فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم
ثالث ثلثة وعشرين من الطايف الحديث واعتق صلى الله عليه وسلم من نزل
منهم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على اهل الطايف
مشقة شديدة ولم يوذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطايف وامر عمر بن الخطاب
فاذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا
الطايف فقال عليه السلام فاغدوا على القتال فغدوا فاصاب المسلمين جراحات
فقال عليه السلام انا قافلون ان شاء الله تع فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا
يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك قال النووي قصده صلى الله عليه وسلم
الشفقة عليهم والرفق بالرحيل عن الطايف لصعوبة امره وشدة الكفار

الذين فيه وتقويهم بحضنهم مع انه صلى الله عليه وسلم علم او رجا انه سيفتحه بعد
هنا بلا مشقة فلما حرص الصحابة على المقام والجهاد اقام وجد القتال فلما اصابتهم
الجراح رجع الى ما كان قصده اولا من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما راوا من المشقة
الظاهرة وافقوا على الرحيل فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رايهم وفقيت
عين ابى سفيان صخر بن حرب يومئذ فذكر ابن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
له وهى فى يده ايما احب اليك عين فى الجنة او ادعو الله ان يردها عليك قال
بلى عين فى الجنة ورمى بها وشهد اليرموك فقتل وفقيت عينه الاخرى يومئذ
ذكره الحافظ زين الدين العراقى فى شرح التقريب وقال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده نصر عبده وهزم الاحزاب
وحده فلما ارتحلوا قال قولوا ايبون عابدون لربنا حامدون فانظر كيف كان صلى الله
عليه وسلم اذا خرج للجهاد للجهاد يعتد لذلك بجمع اصحابه واتخاذ الخيل والسلاح
وما يحتاج اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام يتبرى
من ذلك ويرد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره لقوله ايبون تايبون عابدون
لربنا حامدون وبصدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وانظر الى
قوله عليه السلام وهزم الاحزاب وحده فبين صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره
وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو لله سبحانه و
تعالى الذى خلق ودبر واعان والاجرى الامور على يد من شاء ومن اختار من خلقه

فكل

فكل منه واليه ولو شاء الله ان يبدا اهل الكفر من غير قتال لفعل قال تعالى
ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب الله تعالى الصابرين
ويجزل الثواب للشاكرين قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلوا اخباركم فعلى المكلف الامتثال فى الحالتين اى امتثال تعاطى الاسباب
والرجوع الى المولى وسكون اليه بساحة كرمه كما كان صلى الله عليه وسلم ياتى
الاسباب ولا تادبا مع الربوبية وتشريعا لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه ما يشاء
من قدرته العامة التى دخرها له عليه السلام قاله ابن الحاج فى المدخل ولما
قيل له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت
بهم وكان عليه السلام قد امر ان يجمع السبى والغنايم مما افاء الله على رسوله يوم
مطلب حنين فجمع ذلك كله الى الجعرانة فكان بها الى ان انصرف عليه السلام من الطايف
وكان السبى ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الف بعير والغنم اكثر
من اربعين الف شاة واربعه الاف اوقية فضة واستانا صلى الله عليه وسلم
اى انتظر وتربص بهوازن ان يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ثم بدا بقسم الاموال
بها وفى البخارى وطفق صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا رجالا المائة من الابل فقال
ناس من الانصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم
فارسل الى الانصار فجمعهم فى قبة ادم ثم قال لهم اما ترضون ان يذهب الناس

بالاموال وتذهبون بالنبي الى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون
قالوا يا رسول الله قد رضينا وعن جبير بن مطعم قال بينما انا مع النبي صلى الله
ومعه الناس مقفلة من حنين علقت من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراف
حتى اضطروا الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني
ردايي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا
كذوبا ولا جبانا رواه ط وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي عن ابن عباس انه قال
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف نزل الجعرانة فقسم بها الغنايم
ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال قال ابن سيد الناس وهذا ضعيف
والمعروف عند اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى الجعرانة ليلة
الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بها ثلاث عشرة ليلة فلما اراد الانصراف
الى المدينة خرج ليلة الاربعا لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا فاحرم
بعمرة ودخل مكة وفي تاريخ الازرقي عن مجاهد انه عليه السلام احرم من وراء مطلب
الوادي حيث الحجارة المنصوبة وعند الواقدي من المسجد الاقصى الذي تحت الوادي
بالعدوة القصوى من الجعرانة وكانت صلاته عليه اذ كان بالجعرانة به والجعرانة موضع
بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهي وقال الباجي ثمانية عشر ميلا وسمي بامراة
تلقب بالجعرانة كما ذكره السهيلي قالوا وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وقد
غاب عنها شهرين وستة عشر يوما وبعث عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة

الى

الى ناحية اليمن في اربعماية فارس وامره ان يقاتل قبيلة صداء حين مروره عليهم
في الطريق فقدم زياد بن الحارث الصدائي فسال عن البعث فاخبر فقال يا رسول الله
وافدهم فاردد الجيش وانا لك بقومي فردهم النبي صلى الله عليه وسلم من قناة وقدم
الصداييون بعد خمسة عشر يوما فاسلموا وتاتي قصة وفودهم في الفصل العاشر
من المقصد الثاني ان شاء الله تعالى وبعث عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم بالسقيا
وهي ارض بني تميم في المحرم سنة تسع في خمسين فارسا من العرب ليس منهم مهاجري
ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في صحراء فدخلوا وسرحوا
مواشيهم فلما راوا الجمع ولوا فاخذ وا منهم احد عشر رجلا ووجدوا في المحلة
احدى عشرة امراة وثلثين صبيا فقدم منهم عشرة من روسايهم منهم عطارد
والزبرقان وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس فجاوا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم
فنادوا يا محمد اخرج الينا فخرج صلى الله عليه وسلم واقام بلال الصلاة وتعلقوا
برسول الله يكلمونه فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فقدموا
عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن
قيس بن شماس فاجابهم ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية
ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبي وفي البخاري عن عبد الله
بن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر
القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع ابن حابس قال ابو بكر ما اردت

الاخلاف قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل يا ايها
الذين امنوا الا تقدموا حتى انقضت اي لا تقدموا القضا في امر قبل ان يحكم الله ورسوله
فيه ولما نزل لا ترفعوا اصواتكم اقسم ابو بكر لا يتكلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا كمن يسار صاحبه فنزل فيه وفي امثاله ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله الاية ثم بعث الوليد بن عقبة ابن ابي معيط الى بني المصطلق من خزاعة
مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا المسجد
فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزور والغنم فرحا
به تعظيما لله ورسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فرجع من الطريق قبل ان
يصلوا اليه واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين
الصدقة فهم صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم
عليه الركب الذين لقوا الوليد فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فنزلت
هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ الى اخر الاية فقراء عليهم عليه السلام
القران وبعث معهم عباد بن بشر ياخذ صدقات اموالهم ويعلمهم شرايع
الاسلام ويقريهم القران وفي شرف المصطفى للنيسابوري مما ذكره مغلطاي
انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة الى بني عمرو بن الحارثة
وقيل حارثة بن عمرو قال وهو الاصح في مستهل صفر يدعوهم الى الاسلام
فابوا ان يجيبوا واستخفوا بالصحيفة فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل

فهم الى اليوم اهل رعدة وعجلة وكلام مختلط ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة
الى ختعم قريبا من تربة بفتح الراء من اعمال مكة سنة تسع وبعث معه عشرين
رجلا وامره ان يشن المغارة عليهم فاقتتلوا اقتتالا شديدا حتى كثر الجرحى في
الفريقين
جميعا وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنسا الى المدينة وكانت
سهمانهم اربعة ابعرة والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد ان اخرج الخمس ثم سرية
الضحاك بن سفيان الكلابي الى بني كلاب في ربيع الاول سنة تسع الى القرطاء فدعاهم
الى الاسلام فابوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا ثم سرية علقمة بن مجزز المدلجي الى
الحبشة في ربيع الاخر وقال الحاكم في صفر سنة تسع وذكر ابن سعد ان سبب ذلك
انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان ناسا من الحبشة تراءاهم اهل جدة فبعث اليهم علقمة
بن مجزز في ثلثماية فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر اليهم هربوا فلما رجع
تعجل بعض القوم الى اهلهم فامر عبد الله بن حذافة على من تعجل وكانت فيه دعابة
فنزلوا ببعض الطريق واوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم
في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا انما كنت امزح فذكروا ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال من امركم بمعصية فلا تطيعوه ورواه الحاكم وابن ماجة
وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابي سعيد الخدري وبوب عليه البخاري
فقال سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال انها سرية
الانصار ثم روى عن علي قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار

وامرهم فغضب فقال اليس قد امركم النبي صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال
فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال اوقدوا فاوقدوها فقال ادخلوا فهمّوا وجعل بعضهم
يمسك بعضا ويقولون فررنا الى النبي صلى الله عليه وسلم من النار فما زالوا حتى
خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا
منها قال الحافظ ابو الفضل بن حجر في قوله ويقال انها سرية الانصار اشارة الى
احتمال تعدد القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم اميرها ويحتمل الجمع
بينهما بضرب من التاويل يبعده وصف عبد الله بن حذافة السهمي القرشي المهاجري
بكونه انصاريا ويحتمل ان يكون الحمل على المعنى الاعم اى انه نصر رسول الله في الجملة
والى التعدد جنح ابن القيم واما ابن الجوزي فقال قوله من الانصار وهم من بعض الرواة
وانما هو سهمي قال في فتح الباري ويؤيده حديث ابن عباس عند احمد في قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم نزلت في عبد الله
بن حذافة وقيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية انتهى وقال
النووي وهذا الذي فعله هذا الامير قيل اراد امتحانهم وقيل كان مازحا وقيل
ان هذا الرجل عبد الله بن حذافة السهمي قال وهذا ضعيف لانه قال في الرواية
التي بعدها انه رجل من الانصار فدل على انه غيره انتهى ثم سرية علي بن ابي طالب الى الفلس
بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم طي ليهدمه في ربيع الاخر سنة تسع
وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا وعند

ابن سعد ما يتى رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء وكان في السبي سفانة بنت حاتم
اخت عدي بن حاتم فاطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فكان اسلام عدي وعند ابن
سعد ايضا ان الذي كان سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم سرية عكاشة بن
محصن الى الجباب ارض عذرة وبلي وقيل ارض فزارة وكلب ولعذرة فيها
شركة قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيما بين رجوعه
من الطايف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب واخيه بجير ما ذكره ابن اسحق وعبد
الملك بن هشام وابو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الانباري دخل حديث بعضهم
في حديث بعض ان بجيرا قال لكعب اثبت حتى اتى هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه
وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله
فسمع كلامه فامن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع
منهم انه قد ان مبعثه صلى الله عليه ورأى في منامه قد مد سبب من السما وانه مد
ليتناوله ففاته فاوله بالنبي الذي يبعث في اخر الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك
واوصاهم ان ادركوه ان يسلموا قال ابن اسحق ولما قدم صلى الله عليه وسلم من الطايف
كتب بجير بن زهير الى اخيه كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة
ممن كان يهجوه وان من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب قد
هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا وان انت لم تفعل فانج الى نجايك وكان كعب قد قال

الا ابلغا عني بجيرا رسالة   فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا   فبين لنا ان كنت لست بفاعل
على اي شيء غير ذلك دلكا   على خلق لم تلف اما ولا ابا   عليه ولا تلقي عليه اخا لكا
فان انت لم تفعل فلست باسف   ولا قايل اما عثرت لعا لكا   سقاك به المامون كاسا روية
فانهلك المامون منها وعلكا   قال السهيلي لعا كلمة تقال للعاثر دعا له انتهى قال ابن
اسحق وبعث بها الى بجير فلما اتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المامون صدق وانه
لكذوب وانا المامون ولما سمع على خلق لم تلف اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف
عليه اباه ولا امه ثم قال عليه السلام من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه

من مبلغ كعبا فهل لك في التي   تلوم عليها باطلا وهي احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده   فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدي يوم لا ينجو وليس بمفلت   من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير ولا شيء دينه   ودين ابي سلمى علي محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان في حاضره
من عدوه فقال هو مقتول فلما لم يجد من شيء ابدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم
المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة فغدا به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستامنه فقام حتى جلس الى

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستامنك تائبا مسلما فهل
انت قابل منه ان انا جئتك به قال رسول الله نعم قال يا رسول الله انا كعب بن زهير
قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار ليقتله
فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعه عنك فقد جاء تائبا فازعا قال فغضب على هذا الحي من الانصار لما صنع صاحبهم
وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير ثم قال قصيدته اللامية التي قولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول
انبئت ان رسول الله اوعدني   والعفو عند رسول الله مامول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة   القرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تاخذني باقوال الوشاة ولو   اذنب ولو كثرت في الاقاويل
ان الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم   ببطن مكة لما اسلموا زولوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم   ضرب اذا عرد السود التنابيل

وفي رواية ابي بكر بن الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول رمى عليه الصلوة والسلام اليه بردة كانت عليه
وان معاوية بذل له فيها عشرة الاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم

احدًا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم قال وهي
البردة التي عند السلاطين الى اليوم وقال بن اسحق قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال
كعب اذا عرد السود التنابيل وانما يعني معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص
المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار فقال بعد ان اسلم يمدح الانصار قصيدته التي

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... ان الخيار هم بنوا الاخيار
المكرمين السمهري باذرع ... كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين باعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الابصار
والبايعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم ... بدماء من علقوا من الكفار
قوم اذا خوت النجوم فانهم ... للطارقين النازلين مقار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وابوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن
عقبة غزوة تبوك مكان معروف وهو نصف طريق المدينة الى دمشق وهي غزوة
العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها وكانت يوم الخميس في رجب
سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطاء من النساخ
وكان حرا شديدا وجدبا كثيرا فذلك لم يورعها كعادته في ساير الغزوات وفي تفسير
عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى

كانوا

كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء فكان ذلك عسرة في الماء
وفي الظهر وفي النفقة فسميت غزوة العسرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم
من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة ان الروم بالشام مع هرقل
فندب صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج واعلمهم بالمكان الذي يريد
ليتاهبوا لذلك وروى الطبراني من حديث عمران بن الحصين قال كانت نصارى
العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك واصابتهم
سنون فهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه اربعين الفا فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة وكان عثمان قد جهز عيرا
الى الشام فقال يا رسول الله هذه مايتا بعير باقتابها واحلاسها ومايتا اوقية
قال فسمعته يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وروى عن قتادة انه قال حمل عثمان
في جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وعن عبد الرحمن بن سمرة قال
جاء عثمان بن عفان بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره عم
فرايت رسول الله عم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم خرجه
الترمذي وقال حسن غريب وعند الفضائلي والملا في سيرته كما ذكره الطبري
في رياض النضرة من حديث حذيفة بعث عثمان يعني في جيش بعشرة الاف دينار
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول
بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت

وما هو كاين الى يوم القيامة ما يبالى ما عمل بعدها ولما تاهب صلى الله عليه وسلم
للخروج قال قوم من المنافقين لا تنفروا فى الحر قال قوله تعالى وقالوا لا تنفروا فى
الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون وارسل عليه السلام الى قبايل العرب مكية ومن
يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه فقال عليه الصلوة السلام لا اجد ما احملكم
عليه وهم سالم عمير وغلبة بن زيد وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازنى و
العرباض بن سارية وهرم بن عبد الله وعمرو بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعبد الله
عمرو المزنى وعمرو بن الحمام ومعقل المزنى وحضرمى بن مازن والنعمان بن
سويد ومعقل وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن وهم الذين
قال الله فيهم تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون
قاله مغلطاى وفى البخارى عن ابى موسى قال ارسلنى اصحابى الى رسول الله صلى الله
اساله الحملان لهم فقلت يا نبى الله اصحابى ارسلونى اليك لتحملهم فقال والله لا
احملكم على شئ فرجعت حزينا من منع النبى صلى الله عليه وسلم ومن مخافة ان يكون
النبى م وجد فى نفسه على فرجعت الى اصحابى فاخبرتهم الذى قال النبى م فلم البث
الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادى اين عبد الله بن قيس فاجبته فقال اجب رسول
الله ع م يدعوك فلما اتيته قال خذ هاتين القرينين لسته ابعرة ابتاعهم حينيذ
من سعد فانطلق بهم الى اصحابك فقال ان الله او ان رسول الله ع م يحملكم على
هولاء فاركبوهن الحديث وقام غلبة بن زيد فصلى من الليل وبكى وقال

اللهم

اللهم انك قد امرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندى ما اتقوى به مع
رسولك ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه وانا اتصدق على كل مسلم بكل
مظلمة اصابنى فيها مال وجسد او عرض ثم اصبح مع الناس فقال النبى صلى الله عليه
وسلم اين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق فليقم فقام فاخبره
فقال صلى الله عليه وسلم ابشر فوالذى نفس محمد بيده لقد كتبت فى الزكوة المتقبلة
رواه ابن يونس كما ذكره السهيلى فى الروض والبيهقى فى الدلايل له وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف فاذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا وقعد
اخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراة على الله ورسوله وهو قوله تعالى
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة قال الدمياطى
وهو عندنا اثبت ممن قال استخلف غيره انتهى وقال الحافظ زين الدين العراقى فى
ترجمة على بن ابى طالب من شرح التقريب لم يتخلف عن المشاهد الا تبوك فان النبى صلى الله عليه وسلم
خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له يومئذ انت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه
لا نبى بعدى وهو فى الصحيحين من حديث سعد بن ابى وقاص انتهى ورجحه ابن عبد البر
وقيل استخلف سباع بن عرفطة وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وفيهم نزل وعلى الثلاثة الذين
خلفوا وابو ذر وابو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك ولما راى عليه السلام ابا ذر الغفارى
وكان عليه السلام نزل فى بعض الطريق فقال يمشى وحده ويعيش وحده ويموت

وحده فكان كذلك وامر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الانصار والقبايل من
العرب ان يتخذوا لواء وراية وكان معه عليه السلام ثلثون الفا وعند ابي زرعة
سبعون الفا وكانت الخيل عشرة الاف فرس ولما مر عليه السلام بالحجر بكسر الحاء
وسكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا من مايها شيئا ولا يخرجن احد منكم الا
ومعه صاحب له ففعل الناس الا رجلين من بني ساعدة خرج احدهما لحاجته و
خرج الاخر في طلب بعيره فاما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه واما الذي
خرج في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طي فاخبر بذلك رسول الله
فقال الم انهكم ثم دعا للذي خنق على مذهبه فشفي واما الاخر فاهدته طي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفي صحيح مسلم من حديث
ابي حميد انطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب
عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم احد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت
ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبل طي وروى الزهري لما
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته
ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا انفسهم الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم ما اصابهم
رواه الشيخان ولما كان عليه السلام ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد بن
اللصيب وكان منافقا اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر السما وهو لا يدري
اين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته

واني

واني والله لا اعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في الوادي
في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تاتوني بها فانطلقوا
فجاوا بها رواه البيهقي وابو نعيم وفي مسلم حديث معاذ بن جبل انهم وردوا
عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء وانهم غرفوا منها قليلا قليلا حتى اجتمع في
شيء ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس الحديث ويأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ولما انتهى
صلى الله عليه وسلم الى تبوك اتاه صاحب ايله فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا
بالجيم واذرح بالذال المعجمة والراء والحاء المهملة قريتين بالشام بينهما
ثلثة ايام فاعطوه الجزية وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا فيه ووجد هرقل
بحمص فارسل خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما
بدومة الجندل في اربعماية وعشرين فارسا في رجب سرية وقال له عليه السلام
انك ستجده يوما ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في
ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد
فاستاسر اكيدر وقتل اخوه حسان وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم
اجار خالد اكيدر من القتل حتى ياتي به رسول الله عم على ان يفتح له دومة الجندل
ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانماية فرس واربعماية درع واربعماية رمح وفي
هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتابا في تبوك الى هرقل يدعوه الى الاسلام فقارب

الاجابة ولم يجب رواه ابن حبان في صحيحه من حديث انس وفى مسند احمد ان هرقل
كتب الى تبوك الى النبى صلى الله عليه وسلم انى مسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
كذب وهو على نصرانيته وفى كتاب الاموال لابى عبيدة بسند صحيح من مرسل بكر بن
عبد الله نحوه ولفظه كذب كذب عدو الله ليس بمسلم ثم انصرف صلى الله عليه وسلم
من تبوك بعد ان اقام بها بضع عشرة ليلة وقال الدمياطى ومن قبله بن سعد عشرين
ليلة يصلى بها ركعتين ولم يلق كيدا وبنى فى طريقه مساجد واقبل عليه السلام
حتى نزل بذى اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين وبينها وبين المدينة ساعة
جاءه مسجد الضرار من السماء فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى العجلانى
فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فخرجا فحرقاه وهدماه
وذلك بعد ان انزل الله فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الاية قال الواحدى
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير الذين اتخذوا مسجد الضرار
كانوا اثنى عشر رجلا يضارون به مسجد قبا وذلك انهم قالوا فى طايفة من المنافقين
نبنى مسجدا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد قال المفسرون ولما بنوا ذلك لاغراضهم
الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قالوا يا رسول
الله بنينا مسجد الذى العلة والليلة المطرة ونحن نحب ان تصلى فيه وتدعو لنا
بالبركة فقال عليه السلام انى على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه
فلما قفل من غزوة تبوك سالوا اتيان المسجد فنزلت هذه الاية ولما دنا

صلى

صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النسا والصبيان
والولايد يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع وقد وهم بعض الرواة كما قدمته وقال انما كان هذا عند مقدمه
المدينة وهو وهم ظاهر لان ثنيات الوداع انما هى من ناحية الشام لا يراها
القادم من مكة الى المدينة ولا يراها الا اذا توجه الى الشام كما قدمت لك
وفى البخارى لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال
ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم
العذر وهذا يويد معنى ما روي نية المومن خير من عمله فان نية هولاء ابلغ
من اعمالهم فانها بلغت بهم مبلغ اولئك العاملين بابدانهم وهم على فرشهم
فى بيوتهم والسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العلى بالنيات والهمم لا
بمجرد الاعمال ولما اشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة
وهذا جبل احد يحبنا ونحبه ولما دخل قال العباس يا رسول الله ايذن لى امتدحك
قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت فى الظلال وفى ... مستودع حيث تخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق

وردت نار الخليل مكتتما　في صلبه انت كيف تحترق　حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندق عليها تحتها النطق　وانت لما ولدت اشرقت الارض　وضاءت لنورك الافق
فنحن في ذلك الضيا وفي النور　وسبل الرشاد نخترق

قوله من قبلها طبت الى اخره اي ظلال الجنة اي كنت طيبا في صلب ادم حيث كان في الجنة وقوله من قبلها اي من قبل نزولك الى الارض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى وقوله ثم هبطت البلاد لا بشر اي لما اهبط الله ادم الى الدنيا كنت في صلبه غير بالغ هذه الاشيا وقوله وقد الجم نسرا واهله الغرق يريد الصنم الذي كان يعبده قوم نوح وهو المذكور في قوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا

وقوله حتى احتوى بيتك المهيمن الى اخره النطق جمع نطاق وهي اعراض من جبال بعضها فوق بعض اي نواحي واوساط منها شبهت بالنطق التي يشد بها اوساط الناس ضربه مثلا في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه والمهيمن نعته اي احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلى مكان من نسب خندق وهو بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة انتهى وجاءه صلى الله عليه السلام من كان تخلف عنه فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وارجا

امر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجاء من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن ربيعة وعند البيهقي في الدلايل من مرسل سعيد بن المسيب ان لبابة لما اشار لبني قريظة بيده الى حلقه انه الذبح فاخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم احسبت ان الله غفل عن يدك حين تشير اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم غزا تبوكا فتخلف عنه ابو لبابة فيمن تخلف ولما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها جاءه ابو لبابة يسلم عليه فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع ابو لبابة فارتبط بسارية التوبة سبعا وقال لا يزال هنا مكاني حتى افارق الدنيا او يتوب الله على الحديث وعنده ايضا من حديث ابن عباس في قوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي عم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم اوثق سبعة منهم انفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع في المسجد عليهم فقال من هؤلاء قالوا هذا ابو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم

وتعذرهم قال اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم
رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو فانزل الله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم فلما
نزلت ارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم فاعذرهم الحديث قالوا ولما
قدم عليه السلام من تبوك وحدعويمر العجلاني امراته حبلى فلاعن عليه السلام بينهما
ثم حجة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع في ذي القعدة كما ذكره
ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد ووافقه عكرمة بن خالد فيما اخرجه الحاكم
في الاكليل وقال قوم في ذي الحجة وبه قال الداودي والثعلبي والماوردي
ويؤيده ان ابن اسحق صرح بان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بعد مارجع من تبوك
رمضان وشوال وذو القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا على الحج فهو ظاهر في ان بعث
ابي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله اعلم وكان
مع ابي بكر ثلثماية رجل من المدينة وعشرون بدنة وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة
ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط
يؤذن في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب وامره ان يؤذن ببراءة فاذن
معنا في اهل منى ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك العام فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك فانزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه

ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
عامهم هذا الاية وقد دلت هذه الاية الكريمة على نجاسة المشرك كما في الصحيح
المؤمن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور على انه ليس بنجس البدن والذات وذهب
بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم وهذا ضعيف لان اعيانهم لو كانت نجسة
كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام ولاستوى في النهي عن دخول المشركين
المسجد الحرام وغيره من المساجد فالمراد الاخباث لما فيهم من خبث الظاهر
بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل وروى النسائي عن جابر ان النبي
لما رجع من عمرة الجعرانة بعث ابا بكر على الحج فاقبلنا معه حتى اذا كنا بالعرج
ثوب بالصبح فلما استوى بالتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير
فقال هذه رغوة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في الحج فلعله ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنصلي معه فاذا علي عليها فقال له ابو بكر امير ام رسول قال لا بل رسول ارسلني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة اقرؤها على الناس في مواقف الحج فقدمنا
مكة فلما كان قبل التروية (التروية اليوم الذي كان قبل العرفة) بيوم قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم عن
مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم خرجنا معه
حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى اذا فرغ
قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم كان يوم النحر فافضنا فلما رجع ابو بكر

خطب الناس فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام
علي فقرا على الناس براة حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر
فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي
فقراء على الناس براة حتى ختمها وهذا السياق فيه غرابة من جهة ان امير الحج سنة
عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن اسيد فاما ابو بكر رضي الله عنه فانما كان سنة تسع
واستدل بهذه القصة على ان فرض الحج كان قبل حجة الوداع والاحاديث في ذلك
شهيرة كثيرة وذهب جماعة الى ان حج ابي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعا
قبل فرض الحج ولا يخفى ضعفه وفي هذه السنة مات عبد الله بن ابي بن سلول فجاء
ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه
فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام عمر رضي الله عنه فاخذ بثوب
رسول الله عم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال
صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان
تستغفر لهم سبعين مرة وساازيد على السبعين فقال انه منافق فصلى عليه رسول الله عم
فانزل الله عز وجل لا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله و
رسوله وماتوا وهم فاسقون رواه الشيخان والنسائي وفي هذه السنة ايضا آلى
صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا وجحش شقه اي خدش وجلس في مشربة له درجها
من جذوع فاتاه اصحابه يعودونه فصلى بهم جالسا وهم قيام فلما سلم قال انما جعل الامام

ليؤتم

ليؤتم به فاذا صلى قياما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا تركعوا
حتى يركع ونزل لتسع وعشرين فقالوا يا رسول الله انك اليت شهرا فقال ان الشهر
يكون تسعا وعشرين

ثم بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة الوداع كل واحد منهما على مخلاف قال واليمن مخلافان ثم قال يسرا ولا تعسرا صح وبشرا ولا تنفرا وقال لمعاذ انك ستاتي قوما
اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة توخذ من
اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم و
اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه البخاري والمخلاف
بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة ولخره فاء بلغة اهل اليمن الكورة والاقليم والرستاق
وكانت جهة معاذ الى صوب عدن وكان من الجند بفتح الجيم والنون وله بها
مسجد مشهور وكانت جهة ابي موسى السفلى ثم ارسل خالد بن الوليد قبل حجة
الوداع ايضا في ربيع الاول سنة عشر وفي الاكليل في ربيع الاخر وقيل في
جمادى الاولى الى بني عبد المدان قبيلة بنجران فاسلموا ثم ارسل علي بن ابي طالب
الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده واخرج
ابو داود والترمذي من حديث علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى
اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم اسن مني وانا حديث السن لا ابصر القضا
قال فوضع يده في صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس

الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر الحديث فخرج في ثلثماية فارس ففرق
اصحابه فاتوا بنهب وغنايم ونساء واطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم
فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل فحمل عليهم علي باصحابه فقتل منهم عشرين
رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا
وبايعه نفر من روسايهم على الاسلام ثم قفل فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
قدمها للحج سنة عشر ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وتسمى حجة الاسلام و
حجة البلاغ وكره ابن عباس ان يقال لحجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم قد اقام
بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة اجمع
الخروج الى الحج قال ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبا الى ان توفاه الله تعالى وفي
البخاري عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسعة عشر غزوة وانه
حج بعد ما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع قال وقال ابن اسحق وبمكة
اخرى وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة وقبلها لا يعلمها الا الله فخرج صلى الله عليه وسلم
من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة وجزم ابن حزم بان خروجه كان
يوم الخميس وفيه نظر لان اول ذي الحجة كان يوم الخميس قطعا لما ثبت وتواتر ان
وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة فتعين ان اول الشهر يوم الخميس بل ظاهر الخبر ان يكون
يوم الجمعة لكن ثبت في الصحيحين عن انس صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم
الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين فدل على ان خروجهم

لم يكن

لم يكن يوم الجمعة ويحمل قول من قال لخمس بقين اي ان كان الشهر ثلثين فاتفق ان جا
تسعا وعشرين فيكون يوم اول ذي الحجة بعد مضي اربع ليال لا لخمس وبها تتفق
الاخبار هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير الروايات وقوي هذا الجمع بقول
جابر انه خرج لخمس بقين من ذي القعدة او اربع وجزم الواقدي بان خروجه عليه
السلام كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وكان خروجه من المدينة بين الظهر
والعصر وكان دخوله مكة صبح رابعة كما ثبت في حديث عايشة وذلك يوم الاحد
وهذا يويد ان خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم فيكون مكث في
الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى وخرج معه تسعون الفا ويقال
مائة الف واربعة عشر الفا ويقال اكثر من ذلك كما حكاه البيهقي ويأتي الكلام على
حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات ان شاء الله تعالى ثم سرية
اسامة بن زيد بن حارثة الى اهل ابنا بالسراة ناحية بالبلقاء وكانت يوم الاثنين لاربع
ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة وهي آخر سرية جهزها النبي صلى الله عليه
وسلم واول شيء جهزه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لغزو الروم مكان قتل ابيه
زيد فلما كان يوم الاربعاء بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فحم
وصدع اصبح يوم الخميس عقد لاسامة لواء بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه
الى بريدة الاسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار
الا انتدب فيهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين

مطلب

فخرج صلى الله عليه وسلم وقد عصب وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى
عليه ثم قال اما بعد ايها الناس مما مقالة بلغتني عن بعضكم في تاميري اسامة ولين
طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة
لخليقا وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كان لمن احب الناس الي فاستوصوا
خيرا فانه من خياركم ثم نزل عن المنبر فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون
من ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة
يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف فلما كان
يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل اسامة من معسكره
والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطاطا اسامة
فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السما ثم
يضعهما على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعوا لي ورجع اسامة الى معسكره ثم دخل
يوم الاثنين واصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه اسامة وخرج الى معسكره فامر
الناس بالرحيل فبينا هو يريد الركوب اذ رسول الله امه ام ايمن قد جاء يقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يموت فاقبل هو وعمر وابو عبيدة فتوفي عليه السلام حين
زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول واستشكله السهيلي ومن
تبعه وذلك انهم اتفقوا على ان ذا الحجة كان اوله يوم الخميس فمهما فرضت الشهور
الثلاثة توافرا ونواقص او بعضها لم يصح قال الحافظ ابن حجر وهو ظاهر لمن

تامله

تامله واجاب البارزي ثم ابن كثير باحتمال وقوع الاشهر الثلاثة كوامل وكان اهل
مكة والمدينة اختلفوا في رؤية هلال ذي الحجة فراه اهل مكة ليلة الخميس ولم يره
اهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية اهل مكة ثم رجعوا الى المدينة
فارخوا برؤية اهلها فكان اول ذي الحجة الجمعة واخره السبت واول المحرم الاحد
واخره الاثنين واول صفر الثلاثا واخره الاربعا واول ربيع الاول الخميس فيكون
ثاني عشرة الاثنين قال وهذا الجواب بعيد من حيث انه يلزم منه توالي اربعة اشهر
كوامل وقد جزم سليمان التيمي احد الثقات بان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم
كان يوم الثاني والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع
الاول فعلى هذا يكون صفر ناقصا ولا يمكن ان يكون اول صفر السبت الا ان كان
ذو الحجة والمحرم ناقصين فيلزم منه نقص ثلثة اشهر متوالية قال والمعتمد
ما قاله ابو مخنف انه توفي في ثاني ربيع الاول وكان سبب غلط غيره انهم قالوا
مات في ثاني شهر ربيع الاول فغيرت فصارت ثاني عشر واستمر الوهم بذلك
يتبع بعضهم بعضا من غير تامل انتهى ثم ان وفاته عليه السلام يوم الاثنين من
ربيع الاول بلا خلاف بل كاد يكون اجماعا لكن في حديث ابن مسعود في حادي عشر
رمضان رواه البزار والمعتمد ما تقدم والله اعلم انتهى وسياتي حديث الوفاة
الشريفة ان شاء الله تعالى في مقصد الاخير ولما توفي عليه الصلاة والسلام
دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقودا

حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عند بابه فلما بويع ابو بكر الصديق
رضي الله عنه امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة ليمضي لوجهه فمضى به
الى معسكرهم الاول وخرج اسامة هلال ربيع الاخر سنة احدى عشرة الى اهل
ابنا فشن عليهم الغارة فقتل من اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم
ونخلهم وقتل قاتل ابيه في الغارة ثم رجع الى المدينة ولم يصب احد من المسلمين
وخرج ابو بكر في المهاجرين واهل المدينة يتلقونه سرورا والله اعلم فجميع سراياه
وبعوثه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرون المقصد الثاني في ذكر اسمائه
الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة وذكر اولاده الكرام الطاهرين
وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة
وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام ومكاتباته
الى الملوك وغيرهم من الانام والته حروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه
وسلم وفيه عشرة فصول الفصل الاول في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن
كمال صفاته المنيفة اعلم ان الاسما جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بازاء
مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا لا بد من مراعاة اربعة اشياء
الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع
على الذات لتعريفها او تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها
بالاسم كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هي اختصاص ذلك

اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق او احس فهم ذلك المعنى
واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره وهي مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما
وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى سبح اسم
ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو هو واجيب بانه
اشرب بمعنى ذكر فكانه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا وقد اشرب معنى ذكر فكانه عكس الاول قال تعالى واذكر ربك اي سبح ربك
والاشراب جار في لغتهم يشربون معنى فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى
اضافته اليه فانه يلزم اضافة الشي الى نفسه واجيب بان الاسم هنا بمعنى التسمية
والتسمية غير الاسم لان التسمية هي للفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى
فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى بغلام اسمه يحيى ثم
قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه ان المعنى يا ايها
الغلام الذي اسمه يحيى ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال احترق لسانه ومن قال
العسل ذاق حلاوته وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وقد سمى الله تعالى نبينا
صلى الله عليه وسلم باسما كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السابقة وعلى
السنة انبيائه عليهم السلام ثم ان اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم محمد وبه سماه
جده عبد المطلب وذلك انه لما قيل له ما سميت ولدك قال محمدا فقيل له كيف سميته
باسم ليس لاحد من ابائك وقومك فقال لاني ارجو ان يحمده اهل الارض كلهم

وذلك لرؤيا كان راها عبد المطلب كما ذكر حديثها على القير واني العابر في
كتابه البستان قال كان عبد المطلب قد راي في المنام كان سلسلة من فضة
خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في المشرق وطرف في المغرب كانهم
ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كانهم
يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق
واهل المغرب ويحمده اهل السما والارض فلذلك سماه محمدا مع حدثته به امه امنة
حين قال لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وعن
ابن عباس قال لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب وسماه
محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على تسميته محمدا ولم تسمه باباه قال اردت
ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض وعن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسما انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب رواه الشيخان وقد روي بتخفيف الياء بالافرادي وتشديد على
التثنية قال النووي في شرح مسلم معنى الروايتين يحشرون على اثري وزماني
ورسالتي وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري في تاريخه الصغير والاوسط
والحاكم في مستدركه وصححه ابو نعيم في الدلائل وابن سعد انه دخل على عبد الملك
بن مروان فقال اتحصي اسما رسول الله عم التي كان جبير بن مطعم يعدها قال نعم

هي

هي ستة فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم وفي حديث حذيفة
احمد ومحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة ولفظ رواية ابي نعيم هي ستة محمد
واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح فاما حاشر فبعث مع الساعة نذير لكم بين يدي
عذاب شديد واما عاقب فانه عقب الانبيا واما ماح فان الله عز وجل محى به سيئات
من اتبعه وذكر بعضهم ان العدد ليس من قول النبي عم وانما ذكره الراوي بالمعنى وفيه
نظر لتصريحه في الحديث ان لي خمسة اسما والذي يظهر انه اراد ان لي خمسة اسماء
اختص بها لم يسم بها احد قبلي او مشهورة في الامم الماضية لا انه اراد الحصر فيها
وبهذا يجاب عن الاستشكال الوارد وهو ان المقرر في علم المعاني ان تقديم الجار
والمجرور يفيد الحصر لكن ورود الروايات بما هو الاكثر يدل على انه ليس حصرا
مطلقا فالطريق في ذلك ان يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله اعلم وروى النقاش
عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه والمزمل والمدثر
وعبد الله وقد جاءت من القابه عم وسمايه في القران عدة كثيرة وتعرض جماعة لتعدادها
وبلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقة لعدد اسماء الله الحسنى
الواردة في الحديث قال القاضي العياض وقد خصه الله تعالى بان سماه من اسمائه
الحسنى بنحو من ثلثين اسما وقال ابن دحية في كتابه المستوفى اذا فحص عن جملتها من الكتب
المتقدمة والقران والحديث وفى الثلثمائة انتهى ورأيت في كتاب احكام القران
للقاضي ابي بكر بن العربي قال بعض الصوفية لله تعالى الف اسم وللنبي عم الف اسم انتهى

والمراد الاوصاف فكل الاسما التي وردت اوصاف مدح واذا كان كذلك فله ﷺ
من كل وصف اسم ثم ان منها ما هو مختص به او الغالب ومنها ما هو مشترك وكل
ذلك بين بالمشاهدة لا يخفى واذا جعلنا له من كل وصف منا وصافه بلغت اوصافه
ما ذكر بل اكثر والذي رايته في كلام شيخنا في القول البديع والقاضي عياض في
في الشفا وابن العربي في القبس والاحكام له وابن سيد الناس وغيرهم يزيد على
الاربعماية وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم وهي الابر بالله الا بطحي
الاتقى الناس الاجود اجود الناس الاحد الاحسن احسن الناس احمد احيد بضم
اوله وكسر المهملة ثم ياء تحتانية الاخذ بالحجرات اخذ الصدقات الاخرا الاخشى لله
اذن خير ارجح الناس عقلا ارحم الناس بالعيال الازهر وهو النير المشرق الوجه
اشجع الناس الاصدق في الله اطيب الناس ريحا الاعز الاعلى الاعلم بالله اكثر الناس
تبعا الاكرم اكرم الناس اكرم ولد ادم المص امام الخير امام الرسل امام المتقين
امام النبيين الامام الامر الامنة امنة اصحابه الامين الامي انعم الله الاول
شافع واول المسلمين اول مشفع اول المومنين اول من تنشق عنه الارض ب
البر البار قليط الباطن البرهان بشر بشرى عيسى البشير البصير البليغ بالغ
البيان البينة ت التالي التذكرة التقي التنزيل التهامي ث ثاني اثنين
ج الجبار الجد الجواد جامع ح حاتم حزب الله الحاشر الحافظ الحاكم بما اراه
الله الحامد حامل لواء الحمد الحايد لامته عن النار الحبيب حبيب الرحمن حبيب الله

المجاري الحجة البالغة حجة الله على الخلايق حرز الاميين الحرمي حريص
الحريص على الايمان الحسيب الحفيظ الحق الحكيم الحليم حماد حمطايا او قال
حميا طا حمعسق حفي الحمد الحنيف خ الخبير خاتم النبيين خاتم المرسلين الخاتم
الخازن لمال الله الخاشع الخاضع الخالص خطيب الانبيا خطيب الامم خطيب الوافدين
على الله الخليل خليل الله خليل الرحمن الخليفة خير الانبيا خير البرية خير
خلق الله خير العالمين طرا خير الناس خير هذه الامة خيرة الله د دار الحكمة
الداعي الى الله دعوة ابراهيم دعوة النبيين دليل الخيرات ذ
الذاكر الذكر ذكر الله ذو الحوض المورود ذو الخلق العظيم ذو الصراط المستقيم
ذو القوة ذو مكانة ذو عزة ذو فضل ذو المعجزات ذو المقام المحمود ذو الوسيلة
ر الراضع الراضي الراغب الرافع راكب البراق راكب البعير راكب الجمل راكب الناقة
راكب النجيب الرحمة رحمة الامة رحمة العالمين رحمة مهداة الرحيم الرسول
رسول الراحة رسول الرحمة رسول الله رسول الملاحم الرشيد الرفيع الذكر رافع
الرتب رفيع الدرجات الرقيب روح الحق روح القدس الرؤوف ركن المتواضعين
ز الزاهد زعيم الانبيا الزكي الزمزمي زين من في القيمة س السابق السابق
بالخيرات سابق العرب الساجد سبيل الله السراج المنير السراط المستقيم السعيد
سعد الله سعد الخلايق السميع السلام السيد سيد ولد ادم سيد المرسلين
سيد الناس سيد الكونين سيد الثقلين سيف الله المسلول ش الشاوع الشا

فع

الشاكر الشاهد الشكور الشكار الشمس الشهيد ص الصابر الصاحب صاحب
الايات صاحب المعجزات صاحب البرهان صاحب التاج صاحب البيان صاحب الجهاد
صاحب الحجة صاحب الحطيم صاحب الحوض المورود صاحب الخاتم صاحب الخير
صاحب الدرجة العالية الرفيعة صاحب الرداء صاحب الازواج الطاهرات
صاحب السجود للرب المحمود صاحب السرايا صاحب السلطان صاحب السيف صاحب
الشرع صاحب الشفاعة الكبرى صاحب العطايا صاحب العلامات الباهرات
صاحب العلو الدرجات صاحب الفضيلة صاحب الفرج صاحب القضيب صاحب
القضيب الاصفر صاحب قول لا اله الا الله صاحب القدم صاحب الكوثر صاحب
اللواء صاحب المحشر صاحب المدينة صاحب المعقر صاحب المغنم صاحب المعجزات
المعراج صاحب المظهر المشهود صاحب المقام المحمود صاحب المنبر صاحب الميزان
صاحب النعلين صاحب الهراوة صاحب الوسيلة الصادع بما امره الصادق
الصبور الصدق صراط الله صراط الذين انعمت عليهم الصراط المستقيم الصعوح
عن الزلات الصفوة الصفي الصالح ض الضارب بالحسام المتلوم الضحاك الضحوك
ط طاب طاب الطاهرة الطيب طسم طس طه الطيب ظ الظاهر الظفور من الظفر
وهو الفوز من الطفر ع الظاهر العابد العادل العظيم العافي العاقب العالم علم الايمان
علم اليقين العالم بالحق العامل العبد الله العبد العدل العربي العروة الوثقى العزيز
العفو العليم العطوف العلي العلامة عين العز عبد الكريم عبد الجبار عبد الحميد عبد

الحميد

عبد المجيد عبد الوهاب عبد القهار عبد الرحيم عبد الخالق عبد القادر عبد
المهيمن عبد القدوس عبد الغياث عبد الرزاق عبد السلام عبد المومن
عبد الغفار غ الغالب الغفور الغني المغني بالله الغيث الغوث الغياث ف
الفاتح الفار فليط وقيل بالياء وتقدم الفارق فاروق الفتاح الفجر الفرط
الفصيح فضل الله فواتح النور ق القاسم القاضي القانت قايد الخير قايد الغر
القايل القاسم لقتال القتول قثم القثوم قدم صدق قرشي القريب القمر القيم
ومعناه الجامع الكامل وصوابه بالمثلثة بدل الياء القوي ك كافة الناس
الكفيل الكامل في جميع اموره الكريم كهيعص ل اللسان م الماجد ماذ ماذ
المومل الماحي المامون المانح الماء المعين المبارك المبتهل المراء المبشر مبشر
الياسين المبعوث بالحق المبعوث لمبلغ المبيح المبين المتين المتبتل المتبسم المتربص
المترحم المتضرع المتقي المتلو عليه المحد المتهجد المتوسط المتوكل المتثبت
مجاب مجيب المجتبى المجير المحرض المحرم المحفوظ المحلل محمد المحمود المخبر المختار
المخصوص بالشرف المخصوص بالعز المخصوص بالمجد المخلص المدثر المدني مدينة
العلم المذكر المذكور المرتضى المرتل المرسل المرتجي المرحوم المرفع الدرجات
المر وهو الرجل الكامل المروة المزكي المزمل المسبح المستغفر المستغني المستقيم
المسري بها المسعود المسلم المسلم المشاور المشفع المشفوع المشح المشهود المشير
المصباح المصارع المصافح مصحح الحسنات المصدوق المصطفى المصلح المصلي عليه

المطاع المطهر المظهر المطلع المطيع المظفر المعزز المعصوم المعطي المعقب المعلم معلم
امته المعلم المعلن المعلى المفضال المفضل المفتاح مفتاح الجنة المقتصد المقتفى
يعنى قفا النبيين المقدس المقري المقسط المقسم المقصوص عليه المقفى وقيل بزيادة
تاء بعد القاف كما تقدم مقيل العثرات مقيل لسنة بعد الفترة المكرم المكتفي
المكفي المكين المكي الملاحمي ملقي القران الممنوح المنادي المنتصر المنجي المنذر المنزل عليه
المنجينا المنصف المنصور المنيب المنير المهاجر المهتدي المهدي المهداة المهيمن المومن
المؤتى جوامع الكلم الموحى اليه الموصل الموقر المولى المؤمن المؤيد الميسر ن نون
النابذ الناجز الناس لقوله تعالى ام يحسدون الناس المفسر به عليه السلام الناسخ الناسى
الناصح الناصر الناطق الناهي نبي الاحمر نبي الاسود نبي التوبة نبي الحرمين نبي الراحة نبي
الرحمة النبي الصالح نبي الله نبي المرحمة نبي الملحمة نبي الملاحم النجم النجم الثاقب نجي الله النذير
النسيب نضيح ناصح النعمة نعمة الله النقيب النقي النور نور الامم الهادي لها الذي وصلها
نور الله الذي لا يطفى الهادي هدي الله هدية الله الهاشمي و الوجيه الواسط الواسع
الواصل الواضع الواعد الواعظ الورع الوسيلة الوفي الوافي ولي الفضل الولي ي
البشير بي يس وكنيته المشهورة ابو القاسم كما جاء في عدة احاديث صحيحة ويكنى
بابي ابراهيم كما في حديث انس في مجي جبريل عليهما السلام وقوله السلام عليك
وبابي الارامل فيما ذكره ابن دحية وبابي المؤمنين فيما ذكره غيره واعلم انه لا سبيل لنا
ان نستوعب شرح جميع هذه الاسما الشريفة اذ في ذلك تطويل يفضي بنا الى العد ولعن

عرض

عرضنا الاختصار فلنذكر من ذلك ما يفتح الله تعالى به مما يدل على سواء وبالله تعالى
استعين فاول ذلك ماله عليه السلام من معنى الحمد الذي هو اسمه المنبى عن ذاته
الذي سايرا وصفا راجعة اليه وهو في المعنى واحد وله في الاشتقاق صيغتان الاسم
الاسم المنبى صيغته على صيغته افعل المنبئة عن الانتها ليس وراها منتهى وهو اسمه
احمد و الاسم المنبى على صيغة التفعل المنبئة عن التضعيف والتكثير الى عدد الاسما
لا ينتهى له الاحصا وهو اسمه محمد قال السهيلي محمد منقول من الصفة فالمحمد
في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الا لمن
تكرر منه الفعل مرة بعد اخرى واما احمد وهو اسمه عليه السلام الذي سمي به على
لسان عيسى وموسى فانه منقول ايضا من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى احمد
الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح
على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد قال واما محمد فمنقول من
صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي
حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق
لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه به قبل ان يسمى به علم من اعلام نبوته عليه السلام اذ كان
اسمه صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به
من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ
ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على

الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى حين قال له ربه
تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد فباحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده
لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة
يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على
شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الاخر في الذكر والوجود وفي الدنيا
والاخرة تلح لك الحكمة الالهية في تخصيصه بهذين الاسمين انتهى وقال القاضي
عياض كان عليه السلام احمد قبل ان يكون محمدا كما وقع في الوجود لان تسميته
احمد وقعت في الكتب السالفة وتسمية محمد وقعت في القران وذلك انه حمد ربه قبل
ان يحمده الناس انتهى وهذا موافق لما قاله السهيلي وذكره في فتح الباري واقره عليه
وهو يقتضي سبقية اسمه احمد خلافا لما ادعاه ابن القيم وذكر ابن القيم في اسمه
احمد انه قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون التقدير احمد الناس اي احق الناس واولاهم
ان يحمد فيكون محمدا في المعنى لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها
وهو الذي يحمد افضل مما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية واحمد في الصفة والكيفية
فيستحق من الحمد اكثر مما يستحق غيره اي افضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول
قال وهذا ابلغ في مدحه واكمل معنى فلو اريد معنى الفاعل لسمي الحماد اي كثير الحمد فانه
كان اكثر الناس حمدا لربه فلو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد
كما سميت بذلك امته وايضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصائله المحمودة

التي

التي لاجلها استحق ان يسمى محمدا او احمد قال القاضي عياض في تشريفه تعالى له عم
عليه السلام بما سماه به من اسمائه الحسنى احمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد ثم ان
في اسمه محمدا خصائص منها كونه على اربعة احرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد فان عدد
الجلالة اربعة احرف كمحمد ومنها انه قيل مما اكرم به الادمي ان كانت صورته على شكل كتب
هذا اللفظ فالميم الاول فالحاء جناحاه والميم سرته والدال رجلاه وقيل لا يدخل
النار من يستحق دخولها اعاذنا الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ
حكاهما ابن مرزوق والاول ابن العماد في كتابه كشف الاسرار ومنها انه تعالى اشتقه
من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت ـــــ

اغر عليه للنبوة خاتم   من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه   اذ قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد سماه الله بهذا الاسم قبل الخلق بالفي الفي عام كما ورد من حديث انس بن مالك
من طريق ابي نعيم في مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال ان الله انزل على
ادم عصيا بعدد الانبيا والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث فقال اي بني انت
خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فا

ذكر

الى جنبه اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح والطين ثم
اني طفت السموات فلم ار في السموات موضعا الا رايت اسم محمد مكتوبا عليه وان ربي
اسكنني الجنة فلم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت
اسم محمد مكتوبا بنحور الحور العين وعلى ورق قصب اجام الجنة وعلى ورق
شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملائكة فاكثر
ذكره فان الملائكة تذكره في كل ساعاتها بيت مفرد

بدا مجده قبل نشاة آدم ... فاسماؤه في العرش من قبل تكتب

ورويناه في جزء الحسن بن عرفة من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال لما عرج بي الى
السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله وابو بكر
من خلفي ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح امين ذكره في الشفا وعلى
حجر بالخط العبراني باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله
محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران ذكره ابن ظفر في البشر عن معمر الزهري
وشوهد كما ذكره في الشفا في بعض بلاد خراسان مولود ولد على احد جنبيه لا اله الا الله
وعلى الآخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان عصفت بنا ريح ونحن
في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فراينا فيها وردا احمر ذكي الرائحة طيب الشميم
وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وورد ابيض مكتوب عليه بالاصفر

براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله وفي تاريخ ابن
العديم عن علي بن ابي عبد الله الهاشمي الرقي انه وجد ببعض قرى الهند وردة
كبيرة طيبة الرائحة وسوداء عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول
الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق قال فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة
لم تفتح فكان فيها مثل ذلك وفي البلد منه شيء كثير واهل تلك القرية يعبدون
الحجارة لا يعرفون الله تعالى وقال ابو عبد الله بن ماتك دخلت بلاد الهند فسرت
الى مدينة يقال لها نميلة او تميلة فرايت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر
فاذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله
الا الله محمد رسول الله واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا
الغيث حكاه القاضي ابو البقاء ابن الضياء في منسكه وفي كتاب روض الرياحين
لليافعي عن بعضهم انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز له قشران
اذا كسر خرج منه ورقة خضراء طرية مكتوب فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله
كتابة جلية يتبركون بها قال فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد فقال ما استعظم هذا
كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى
جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رايتها قذفتها في الماء احتراما لها وعن بعضهم
مما ذكره ابن مرزوق في شرحه لبردة البوصيري انه اتي بسمكة فراى في احدى شحمتي
اذنيها لا اله الا الله وفي الاخرى محمد رسول الله وعن جماعة انهم وجدوا بطيخة

صفر فيها خطوط شتى بالابيض خلقه ومن جملة الخطوط كتب بالعربي فى احدى جنبيها
الله وفى الاخر عزّ احمد بخط بيّن لا يشك فيه عالم بالخط وانه وجد فى سنة تسع و
ثمانمائة او قال سنة سبع بالموحدة حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون
اسود محمد وفى كتاب النطق المفهوم لابن طغربك السيّاف عن بعضهم انه راي
فى جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة والبياض
فى الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله بقدرته فى الورقة ثلثة اسطر
الاول لا اله الا الله والثانى محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام
قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم انه لم يسم قبله احد باسمه
صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا وذلك انه تعالى
سماه فى الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة
الا انه قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان هو
هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته ساكل من زار الحيى سمع الندا من اهله اهلا
بناك الزاير ذلك فضل الله يوتيه من يشاء وقد عدّهم القاضى عياض ستة ثم قال
لا سابع لهم وذكر ابو عبد الله بن خالويه فى كتاب ليس والسهيلى فى الروض لانه لا يعرف
فى العرب من تسمى محمدا قبل النبى م الا ثلاثة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه الله و
هو حصر مردود والعجب ان السهيلى متاخر الطبقة عن عياض ولعله لم يقف على كلامه
قال وقد جمعت اسماء من تسمى بذلك فى جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع تكرر

فى

فى بعضهم ووهم فى بعض فيتلخص منهم خمسة عشر نفسا واشهرهم محمد بن عدى بن ربيعة
بن سواة ابن جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمى السعدى ومنهم محمد بن احيحة
بضم الهمزة وفتح المهملة ابن الجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام اخره مهملة الاوسى
ومحمد بن اسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ومحمد بن البراء وقيل البر بن طريف بن عتوارة
بن عامر بن ليث بن ابى بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري ومحمد بن الحارث
بن حديج بن حريص ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمرى ومحمد بن حمران بن ابى حمران
ربيعه الجعفى المعروف بالشويعر ومحمد بن خزاعى بن علقمة بن حرابة السلمى من بنى ذكوان
ومحمد بن خولى الهمدانى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمدى الازدي ومحمد
بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسيدي ومحمد الفقيمى ولم يدركوا الاسلام
الا الاول ففى سياق خبره ما يشعر بذلك والا الرابع فهو صحابى جزما وفيمن ذكره
عياض محمد بن مسلمة الانصارى وليس ذكره بجيد فانه ولد بعد النبى م بازيد
من عشرين سنة لكنه قد ذكر بلوكا ومه المتقدم محمد بن محمد الماضى فصار من
عنده ستة لا سابع لهم انتهى واما اسمه عليه السلام محمود فاعلم ان من اسماء الله
الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمد عبادة وقد سمى الرسول صلى الله
عليه وسلم وكذا وقع اسمه فى زبور داود
واما الماحى ففسر فى الحديث بمحو الكفر ولم يمح الكفر باحد من الخلق ما محى بالنبى صلى الله عليه وسلم
فانه بعث واهل الارض كلهم كفار ما بين عباد اوثان ويهود ونصاري ضالين

وصابئة دهرية لايعرفون ربا ولامعادا ومن عباد الكواكب وعباد النار
وفلاسفة لايعرفون شرايع الانبيا ولايعرفون بها فمحاها برسوله حتى اظهر دينه
على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في
الاقطار ولما كانت البحار هي الماحية للادران كان اسمه عليه السلام فيها الماحي واما
الحاشر ففسر ايضا في الحديث بانه الذي يحشر الناس على قدمه اي يقدمهم وهم خلفه
وقيل على سابقته وقيل قدامه وحوله اي يجتمعون اليه في القيمة وقد كان خلفه
حشره لاهل الكتاب اخراجه لهم من حصونهم وبلادهم من هجرته الحديث اذا قهرهم الله
من شدة المحشر ما شاء في دار الدنيا الى ما اتصل لهم في برزخهم وهو اول من تنشق عنه
الارض فيحشر الناس على اثره واليه يلجاون في محشرهم وقيل على سنته واما
العاقب فهو الذي جاء عقيبا الانبياء فليس بعده نبي لان العاقب هو الاخير عقب
الانبياء قيل وهو اسمه عليه السلام في النار فاذا جاء بجرمة شفاعته خمدت
النار وسكنت كما روي ان قوما من حملة القران يدخلونها فينسيهم الله تعالى
ذكر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يذكرهم جبريل فيذكرونه فتخمد النار وتنزوي
عنهم واما المقفي فكذلك اي قفا اثار من سبقه من الرسل وهي لفظة مشتقة من
القفو يقال قفاه يقفوه اذا تاخر عنه ومنه قافية الراس وقافية البيت
فالمقفي اي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم واخرهم واما الاول فلانه
اول النبيين خلقا كما مر وكما انه اول في البدء فهو اول في العود فهو من تنشق عنه

الارض

الارض واول من يدخل الجنة وهو اول شافع واول مشفع كما كان في اوليات
البدء في عالم الذر واول مجيب اذ هو اول من قال بلى اذ اخذ ربه الميثاق على الذرية
الادمية فاشهدهم على انفسهم الست بربكم فهو صلى الله عليه وسلم الاول في ذلك
كله على الاطلاق واما الاخر فلانه اخر الانبيا في البعث كما في الحديث واما الظاهر
فلانه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على الاديان دينه فهو الظاهر في وجوه
الظهور كلها واما الباطن فهو المطلع على بواطن الامور بواسطة ما يوحيه الله تعالى
اليه واما الفاتح الخاتم ففي حديث الاسراء عن ابي هريرة من طريق الربيع بن انس قول
الله تعالى له وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث ابي هريرة ايضا في الاسراء قوله
صلى الله عليه وسلم وجعلني فاتحا وخاتما فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد
ان كان مرتجا وفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وفتح امصار الكفر وفتح
به ابواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح والدنيا والاخرة والقلوب
والاسماع والابصار والامصار وقد يكون المراد المبدا المقدم في الانبيا والخاتم
لهم كما قال عليه السلام كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث واما الرؤف
الرحيم ففي القران لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وهو فعول من الرافة وهي ارق من الرحمة قاله ابو عبيدة والرحيم
فعيل من الرحمة وقيل رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين واما الحق المبين فقال
الله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال الله تعالى اني انا النذير المبين

قد جاءكم الحق من ربكم فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد عليه السلام وقيل
ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره والمبين امره ورسالته او المبين
عن الله ما بعثه به كما قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم واما المؤمن فقال
الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين اى يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن
واما المهيمن فقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا وقال ابن الجوزي في زاد المسير ان ابن نجيح روى عن مجاهد ومهيمنا عليه
قال محمد مؤتمن على القران قال فعلى قوله في الكلام محذوف كانه قال وجعلناك يا محمد
مهيمنا عليه وسماه ابن العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمنا في قوله

حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق

وروي ثم اغتدى بيتك المهيمن قيل اراد يا يها المهيمن قاله القتبي والامام ابو
القاسم القشيري واما العزيز فمعناه جلالة القدر او الذي لا نظير له او المعز
لغيره وقد استدل القاضي عياض لهذا الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله
اى فجاز ان يوصف النبي م بالعزيز والمعز لحصول العزة له ولقائل ان يقول هذا الوصف
ايضا للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبي م والغرض اختصاصه قال اليمني
وعجبت من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا ويجاب باختصاصه عليه السلام
برتبة من العزة ليست لغيره والله اعلم واما العالم والعليم والمعلم ومعلم امته

فقد قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون واما الخبير فمعناه المطلع على كنه الشيء العالم بحقيقته وقيل
المخبر فقال الله تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء فيما ذكره في
الشفا المامور بالسؤال غير النبي والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم
وقال غيره بل السايل النبي صلى الله ع م والمسئول الله عز وجل فالنبي صلى الله عليه
وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عليه السلام عالم على غاية من العلم بما اعلمه
الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به انتهى
واما العظيم فقال الله تعالى في شانه وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر
من التورية عن اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم
عظيم وعلى خلق عظيم واما الشاكر فقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه
بذلك فقال فلا اكون عبدا شكورا اي اترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا
والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه وعلى هذا فتكون الفاء
للسببية وقال القاضي عياض شكورا اى معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك
مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
واما الشكار فهو ابلغ من شاكر وفي حديث ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم كان
من دعايه رب اجعلني لك شكارا واما الكريم والاكرم اكرم ولد ادم سماه الله تعالى
به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم اى محمد صلى الله عليه وسلم وليس المراد به

جبرئيل لانه تعالى لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن
والمشركون لم يكونوا يصفوا جبريل بذلك فتعين ان يكون المراد بالرسول الكريم هنا
محمدا صلى الله عليه وسلم كما سياتى ان شاء الله تعالى بيانه فى مقصد آي التنزيل وقال
عليه السلام انا اكرم ولد آدم واما الولي والمولى فقال عليه السلام انا ولي
كل مومن رواه كذا واما الامين فقد كان عليه السلام يعرف به وشهر به قبل النبوة
وبعدها وهو احق العالمين بهذا الاسم فهو امين الله على وحيه ودينه وهو امين
من فى السما والارض واما الصادق والمصدوق فقد ورد فى الحديث تسميته
بها ومعناه غير خفي وكذلك الاصدق وروي انه عليه السلام لما كذبه قومه
حزن فقال له جبرايل انهم يعلمون انك صادقا واما الطيب وماذ ماذ بميم ثم
الف ثم قال معجمة منونة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة كذا رايته لبعض العلما وقفل
العلامة الحجازي فى حاشيته على الشفا عن السهيلي ضم الميم واشمام الهمزة ضمة بين
الواو والالف ممدودا وقال نقلته عن رجل اسلم من علما بني اسرايل وقال معناه طيب
طيب ولا ريب انه صلى الله عليه وسلم اطيب الطيبين وحسبك انه كان يوخذ من عرقه
ليتطيب به فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله الذي نفخه فى الوجود فتعطرت به الكائنات
وسمت واغتدت به القلوب فطابت وتنسمته الارواح فنمت واما الطاهر
والمطهر والمقدس اى المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر والذي يتطهر من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى

ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من
الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية واما العفو والصفوح فمعناهما واحد وقد
وصفه الله تعالى بهما فى القران والتورية والانجيل كما فى حديث عبد الله بن عمرو
العاصي عند البخاري ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفوا ويصفح وامره تعالى بالعفو
فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح واما العطوف فهو الشفوق وسمي
لكثرة شفقته على امته ورافته بهم واما النور فقال تعالى قد جاءكم من الله نور
قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران فهو نور الله الذي لا يطفى واما السراج
فسماه الله تعالى به فى قوله وسراجا منيرا لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب
المومنين والعارفين بما جاء به فهو فى ذاته منير لغيره فهو السراج الكامل
فى الاضاءة ولم يوصف بالوهاج كالشمس لان المنير هو منير من غير احراق بخلاف
الوهاج واما الهادي فمعنى الدلالة والدعا قال الله تعالى له وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه واما البرهان فقال تعالى يا ايها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معجزاته وقيل القران واما النقيب
فروي انه عليه السلام لما مات نقيب بني النجار ابو امامة اسعد بن زرارة وجد عليه صلى الله عليه وسلم
ولم يجعل عليهم نقيبا بعده وقال انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم والنقيب هو شاهد
القوم وناظرهم وضمينهم واما الجبار فسمي به فى مزامير داود فى قوله فى مزمور
اربعة واربعين تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك

لانه الجبار الذي جبر الخلق بالسيف على الحق وصرفهم عن الكفر جبرا قال القاضي
عياض وقد نفى الله تعالى عنه فى القران جبرية التكبر التى لا تليق به فقال وما انت
عليهم بجبار وهذا الاسم من اسمائه تعالى وحظ العبد منه ان يحصل درجة
الاستتباع بالرفع عن الاتباع ويجبر الخلق بهيئته على الاقتداء به فى سمته وسيرته
فيفيد الخلق ولا يستفيد ولم يحظ بهذا على التحقيق الا المصطفى قال صلى الله عليه
وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى الى واما الشاهد والشهيد فسماه
الله تعالى بهما فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا اى على من بعثا اليهم بتصديقهم
وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا روي
ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبيا فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم
بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان
نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم
وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي
بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم قاله
البيضاوى واما الناشر فسمى به لانه نشر الاسلام واظهر شرايع الاحكام واما
المزمل فاصله المتزمل فادغمت التاء فى الزاء وسمى به لما روي انه عليه السلام كان
يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب اول ما جاءه وقيل اياه وهو فى قطيفة وقال السدي

معناه

بها النايم قال وكان متلففا فى ثياب نومه وعن ابن عباس يعنى المتزمل بالقران
وعن عكرمة بالنبوة وقيل من المزمل بمعنى الحمل ومنه الزاملة اى المتحمل باعباء
النبوة وعلى هذا يكون التزمل مجازا وقال السهيلى ليس المزمل باسم من اسمائه يعرف به
وانما هو مشتق من حالته التى كان التبس بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت
الملاطفة بالمخاطب بترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول
النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه وقد نام ولصق جنبه بالتراب قم يا ابا
تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله يا ايها المزمل فيه تانيس وملاطفة واما ما رووا
عن عايشة انها قالت كان متزملا بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه على وانا نائمة
ونصفه عليه فكذب صراح لان نزول يا ايها المزمل بمكة فى اول مبعثه ودخوله
بعايشة كان بالمدينة واما المدثر فاصله المتدثر فادغمت التاء فى الدال روي
انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا
فنظرت فوقى فاذا هو على العرش بين السما والارض يعنى الملك الذي ناداه
فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن
عكرمة يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها قد تدثرت هذا الامر فقم به وقيل ناداه
بالمزمل والمدثر فى اول امره فلما شرع خاطبه الله تعالى بالنبوة والرسالة
واما طه فروي النقاش عنه عليه السلام لى فى القران سبعة اسما فذكر
منها طه وقيل هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل يا طاهر

يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو مروي عن الواسطي وقيل معناه يا
مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى المسلة وقيل الطاء في الحساب بتسعة
والهاء بخمسة وذلك اربعة عشر فكانه قال يا بدر وهذه من محاسن التاويل
لكن المعتمد انها من اسما الحروف واما يس فحكى ابو محمد مكي انه روي عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر منها يس وقد قيل معناه
انسان بلغة طي وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية واصله كما قاله البيضاوي
وابن الخطيب وغيرهما يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل يا سين
لكن تعقب بانه يعلم ان العرب قالوا في تصغيره انيسين وان الذي نقل عنهم في تصغيره
انيسان بياء بعدها الف وبان التصغير من التحقير الممتنع في حق النبوة لنصهم على
ان التصغير لا يدخل في الاسما المعظمة شرعا ويأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في الفصل
الرابع من النوع الخامس من انواع المقصد السادس وعن ابن الحنفية معناه يا محمد
وعن ابي العالية يا رجل وعن ابي بكر الوارق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق
يا سيد مخاطبة له عليه السلام وفيه من تعظيمه على تفسيره انه يا سيد ما فيه واما الفجر
فقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر
الايمان وهو تاويل غريب لم ير لغيره والصواب ان الفجر المفسر بالصبح في قوله والصبح اذا
تنفس واما القوي فقال الله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما
الصلاة والسلام وسياتي في المقصد السادس ما في ذلك واما ما قاله ابن عطا في قوله

تعالى

تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل
الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله فلا يخفى ما فيه واما النجم فعن جعفر
بن محمد بن علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى والنجم انه صلى الله عليه وسلم اذ هوى اذا
نزل من السما ليلة المعراج وحكى السلمي في قوله تعالى والسما والطارق وما ادريك
ما الطارق النجم الثاقب وان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم والصحيح ان
المراد به النجم على ظاهره وسمي به عليه لانه يهدي به في طرق الهدى كما يهتدي بالنجم
واما الشمس فسمي بها صلى الله عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته
وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله حتى لا يسع الرائي له ان ينظر اليه ملؤ
عينيه اجلالا له كما ان الشمس في الرتبة ارفع من غالب الكواكب لانها في السما السابعة
والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لا يخفى ولا يدركها البصر لكبر جرمها وايضا فلما كان
الكواكب تستمد من نورها ناسب تسميته عليه السلام بها لان نور الانبيا مستمد من
نوره واما النبي والرسول فمن خصايصه عليه السلام انه خاطبه تعالى بهما في القران
دون ساير انبيايه ثم ان النبوة بالهمزة ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا يهمز تسهيلا
اي ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبئا او يكون مخبرا عما بعثه
الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهو ما ارتفع
من الارض اي ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيفة قال الشيخ بدر الدين الزركشي
في شرح البردة وكان نافع يقرا النبي بالهمز في جميع القران والاختيار تركه وهو لغة

النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء في الحديث ان رجلاً قال يا نبئ الله يعني بالهمزة فقال له لست
نبئ الله ولكني نبي الله فانكر الهمزة لانه لم يكن من لغته ؛ م قال الجوهري والصاغاني
انما انكره لان الاعرابي اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبات من ارض الى
اذا خرجت منها الى اخرى وتكلم جماعة من القراء في هذا الحديث وقد رواه الحاكم
في المستدرك عن ابي الاسود عن ابي ذر وقال صحيح على شرط الشيخين وفيما قاله
نظر وان فيه حسين الجعفي كذا قاله بعضهم وليس من شرطهما ورواه ابو عبيدة
حدثنا محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن اعين ان رجلاً الحديث وهذا منقطع
انتهى والرسول انسان بعثه الله الى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس اليها واختلف
هل هما معنى او معنيين فقال بالاول قوم مستدلين بقوله تعالى وما
ارسلناك من قبلك من رسول ولا نبي فاثبت لهما معًا الارسال وعلى هذا فلا
يكون النبي الا رسولاً ولا الرسول الا نبيًا وقال اخرون بالثاني وانهما
يجتمعان في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة
بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الارسال وحجتهم من الاية
نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيئا واحدًا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ
ويكون المعنى وما ارسلنا من نبي الا امة او نبي ليس بمرسل الى احد وذهب
اخرون الى ان الرسول من جاء بشرع مبتداء ولم يات به نبي غير رسول وان
بالابلاغ والانذار والصحيح ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا نعم بوزع

في

في هذا بانه كلام يطلقه من لا تحقيق عنده فان جبريل عليه السلام وغيره من
الملائكة المكرمين بالرسالة رسل لا انبيا فالانفصال عنه بان يقيد الفرق بين
الرسول والنبي بالرسول البشري ثم ان النبوة والرسالة ليستا ذاتا للنبي صلى الله عليه وسلم
ولا وصف ذات بل تخصيص الله اياه بذلك خلافا للكرامية وقال القرافي كما نقله
عنه ابن مرزوق يعتقد كثير ان النبوة مجرد الوحي وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبي كمريم
وليست بنبية على الصحيح مع انه تعالى يقول فارسلنا اليها روحنا الاية وان الله يبشرك
وفي مسلم بعث الله تعالى ملكا لرجل على مدرجته كان خرج في زيارة اخ له في الله تعالى
وقال له ان الله يعلمك انه يحبك لحبك لاخيك في الله وليس بنبوة لانها عند المحققين
ايحاء الله لبعض خلقه بحكم انشائي يختص به كقوله اقراء باسم ربك فهذا تكليف يختص
به في الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل قم فانذر كانت رسالة لتعلق هذا
التكليف بغيره ايضًا فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول
اخص مطلقا انتهى وهل نبينا صلى الله عليه وسلم رسول الآن قال ابو الحسن الا
هو صلى الله عليه وسلم في حكم الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام اصل الشيء الا
ترى ان العدة يدل على ما كان من احكام النكاح ويأتي لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى
واما المذكر فقال تعالى فذكر انما انت مذكر واما البشير والمبشر والنذير
والمنذر فقال تعالى انا ارسلناك شاهدًا ومبشرا ونذيرًا اي مبشرا لاهل طاعته
بالثواب وقيل بالمغفرة ونذيرًا معصيته بالعذاب وقيل محذرًا من الضلالات

شهري

وامّا المبلغ فقال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وامّا الحنيف فقال تعالى
فاقم وجهك للدين حنيفا وامّا نبي التوبة لان الامم رجعت بهدايته ع م بعد ما تفرقت
به الطرق الى الصراط المستقيم وامّا رسول الرحمة ونبي الرحمة ونبي المرحمة فقال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى بالمومنين رؤف رحيم
فبعثه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين وروى البيهقي مرفوعا انما انا
رحمة مهداة فرحم الله تعالى به الخلق مؤمنهم وكافرهم وهذا الاسم من اخص
اسمايه وقد كان حظ آدم من رحمته سجود الملائكة له تعظيما له اذ كان في صلبه
ونوح خروجه من السفينة سالما وابراهيم كانت النار بردا وسلاما عليه اذ كان
في صلبه فرحمته ع م في البدء والختام والدوام لما ابقى الله له من دعوة الشفاعة
ولما كانت نبوته رحمة دائمة مكررة مضاعفة اشتق له من الرحمة اسم المرحمة
وامّا نبي الملحمة والملاحم وهي الحروب فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف
ولم يجاهد نبي امته قط ما جاهد صلى الله عليه وسلم وامته والملاحم التي
وقعت وتقع بين امته وبين الكفار ولم يعهد مثلها قبله فان امته يقاتلون
في اقطار الارض على تعاقب الاعصار حتى يقتلون الاعور الدجال وامّا صاحب
القضيب فهو السيف كما وقع مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد فقاتل به
وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه وامّا صاحب الهراوة
فهي في اللغة العصا وقد كان ع م يمسك في يده القضيب كثيرا وكان يمشي بين

يديه بالعصا وتغرز له في الارض فيصلي اليها قال القاضي واراها العصا المذكورة
في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا فلما
كان صلى الله عليه وسلم راعيا للخلق سايقا لجميعهم الى مواردهم كان صاحب الهراوة
يرعيهم بها اهل الطواعية وصاحب السيف يقد به من لا تزيده الحيا الا شرا وامّا
الضحاك بالمعجمة فهو الذي يسيل دماء العدو في الحرب لشجاعته وامّا صاحب التاج فالمراد
به العمامة ولم يكن حينئذ الا العرب والعمايم تيجانها وامّا صاحب المغفر فهو بكسر الميم
وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدرع على قدر الراس كان صلى الله
يلبسه في حروبه وامّا قدم صدق فقال قتادة والحسن وزيد بن اسلم في قوله تعالى
وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق عند ربهم هو محمد صلى الله ع م
يشفع لهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع
صدق عند ربهم وعن سهل بن عبد الله هي سابقة رحمة اودعها في محمد وامّا
نعمة الله فقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد
وقال يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعني يعرفون ان محمدا نبي ثم يكذبونه وهذا مروي
عن مجاهد والسدي وقاله الزجاج وامّا الصراط المستقيم فقال ابو العالية
والحسن البصري في تفسير سورة الفاتحة هو رسول الله وخيار اهل بيته واصحابه
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن
زيد وامّا العروة الوثقى فحكى بن عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تع

فقد استمسك بالعروة الوثقى لا يرا انه محمد صلى الله عليه وسلم واما ركن المتواضعين
فلان عماد هم وقد ظهر عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع ما لم يظهر على غيره
فكان يرقع القميص ويخصف النعل ويقم البيت ووقع فيما ترجموه من كتاب شعيا مما
يدل صريحا في البشارة برسول الله ع م ولا يميل الى الهوي ولا يذل الصالحين الذين
هم كالقصبة الضعيفة بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله
الذي لا يطفى واما قثم وقثوم بالقاف والمثلثة ففسره القاضي عياض بالجامع
للخير وقال ابن الجوزي مشتق من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا يقثم
اذا اعطاه وقد كان رسول الله ع م اعظم الخلق ندي واسخاهم يدا واما البار قليط
والفار قليط بالموحدة وبالفاء بدلها وفتح الراء والقاف وسكون الراء مع فتح القاف
وبفتح الراء مع سكون القاف غير منصرف للعجمة والعلمية فوقع في انجيل يوحنا ومعناه
روح الحق وقال ثعلب الذي يفرق بين الحق والباطل وفي نهاية ابن الاثير في صفته ع م
ان اسمه في الكتب السالفة فار قليطا اي يفرق بين الحق والباطل قال ومنه الحديث
محمد فرق بين الناس اي يفرق بين المومنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه

واما حمطايا فبفتح الحاء المهملة وسكون الميم قال الهروي اي الحامي الحرم وقال ابن الاثير
في حديث كعب انه قال في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة محمد واحمد
وحمطايا وحمياطا يعني بالحاء المهملة ثم ميم ساكنة فمثناة تحتية قاف فطاء مهملة

قالف

قالف قال ابو عمرو سالت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم
ويطاء الحلال واما احيد وهو بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة
تحتية ساكنة ثم دال مهملة كذا وجد تم في بعض نسخ الشفا المعتمدة والمشهور ضبطه
بفتح الهمزة وكسر الحاء المهملة وبفتح المثناة التحتية وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون
المثناة فقال النووي في كتابه تهذيب الاسما واللغات عن ابن عباس قال قال
رسول الله ع م اسمي في القران محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية احيد وانما
سميت احيدا لاني احيد عن امتي نار جهنم واما المنحمنا وهو بضم الميم وسكون
النون وفتح المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة المقصورة
فمعناه بالسريانية محمد واما المشفح وهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحة
ثم حاء مهملة وروي بالقاف بدل الفاء وفي كتاب شعيا في البشارة به عليه
السلام بفتح العيون العور والاذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما اعطيه
لا اعطي احدا مشفح يحمد الله حمدا جديدا وهو بالسريانية الحمد واما مقيم السنة
ففي كتاب الشفا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد
الفترة واما المبارك فمبداء الكون ونماؤه كاين من بركته المستمدة من بركة الله
ومن كمال بركته نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل بركته حتى اشبع
الجيش الكثير وغير ذلك مما لمسه او باشره كما سياتي ذلك ان شاء الله تع في مقصد
معجزاته واما المكين فهو صلى الله عليه وسلم المكين بعلو مكانته عند ربه تع

ومن ذلك ان قرن ذكره بذكره فما اذن باسم احد سواه ولا قرن اسم احد مع اسمه
الا اياه فاعلن له فى السابقة على ساق العرش واذن به فى اللاحقة على منار الايمان
واما الامي فهو من اخص من اسمائه وقال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فهو تعالى يقربه ما كتبه بيده وما خطته
اقلامه العلمية فى الواح قدسه فيغنيه بذلك عن ان يقرء ما تكتب الخلايق
واما المكي فقد كان بداية ظهوره عم فى الارض فى مكة التي هي حرم الله وهي مدد
البركة ومنشا الهدى فهو عليه السلام مكي الاقامة ومبداء النبوة ومكي الاعادة
وكان من اية ذلك توجيهه لها حيث ما توجه فهو عليه السلام المكي الذي لم يبرح
وجودا او قصدا والمرء حيث قصده لا حيث جسمه حتى كان من شرعه ان يوجه الميت
للكعبة ومن وما ولى شيء فهو لها اوماء ولذلك صحت الصلاة ايماء واما المدنى فلانه
المدينة دار هجرته واقامته لا رحلة له عنها وخصت تربتها بان ضمت اعضاءه
المقدسة واما عبد الكريم فذكر الحسين بن محمد الدامغانى فى كتاب شوق العروس
وانس النفوس نقلا عن كعب الاخبار انه قال اسم النبي عم عند اهل الجنة عبد الكريم
وعند اهل النار عبد الجبار وعند اهل العرش عبد الحميد وعند ساير الملائكه عبد المجيد
وعند الانبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم
وفى الجبال عبد الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن
وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق

وعند

وعند السباع عبد السلام وعند البهايم عبد المومن وعند الطيور عبد
الغفار وفى التورية موذ موذ وفى الانجيل طاب طاب وفى الصحف عاقب
وفى الزبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المومنين محمد صلى الله عليه
وسلم قال وكنيته ابو القاسم لانه يقسم الجنة بين اهلها واما عبد الله فسماه
الله تعالى به فى اشرف مقاماته فقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
وقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية فى مقام انزال
الكتاب عليه والتحدي بان ياتوا بمثله وقال تعالى وانه لما قام عبد الله
يدعوه فذكر فى مقام الدعوة اليه وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
وقال فاوحى الى عبده ولو كان له اسم اشرف منه لسماه به فى تلك الحالات
العلية ولما رفعه الله تعالى الى حضرته السنية ورقاه الى اعلا المعالى العلوية
الزمه تشريفا له اسم العبودية وقد كان صلى الله عليه وسلم يجلس للاكل جلوس
العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفهات كلها فى ملبسه وماكله ومبيته ومسكنه
اظهارا لظاهر العبودية فيما يناله العيان صدقا عما فى باطنه من تحقق العبودية
لربه تحقيقا المعنى الذي جاء بالصدق وصدق به ولما خير بين ان يكون نبيا
ملكا او نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا فاختار ما هو الاتم وكان صلعم
يقول فى الصحيح لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله

فاستثبت ما هو ثابت له واسلم لله ما هو له لا لسواه وليس للعبد الا اسم العبد
ولذا كان عبد الله احب الاسما الى الله الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام
عليه وعليهم الصلاة والسلام اعلم ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة
القاسم وابراهيم واربع بنات زينب ورقيه وام كلثوم وفاطمة
وكلهن ادركن الاسلام وهاجرن معه واختلف فيما سوا هؤلاء فعند ابن اسحق
الطاهر والطيب ايضا فيكون على هذه ثمانية اربعة ذكور واربع اناث
وقال الزبير بن بكار كان له عم سوى ابراهيم القاسم وعبد الله مات صغيرا بمكة
ويقال له الطيب والطاهر ثلثة اسماء وهو قول الاكثر اهل النسب قاله ابو عمر
وقال الدارقطني هو الاثبت وسمى عبد الله بالطيب الطاهر لانه ولد بعد النبوة
فعلى هذا يكون جملتهم سبعة ثلاثة ذكور وقيل عبد الله غير الطيب والطاهر
حكاه الدارقطني وغيره فيكون على هذا جملتهم تسعة خمسة ذكور وقيل كان له الطيب
والمطيب ولدا في بطن والطاهر والمطهر ولدا في بطن ذكره صاحب الصفوة فيكونون
على هذا احد عشر وقيل ولد له عم قبل المبعث ولد يقال له عبد مناف فيكونون على
هذا اثني عشر وكلهم سوى هذا ولد في الاسلام بعد المبعث وقال ابن اسحق كلهم
غير ابراهيم قبل الاسلام وماتت البنون قبل الاسلام وهم يرتضعون وقد تقدم
من قول غيره ان عبد الله ولد بعد النبوة ولذلك سمي بالطيب والطاهر فتحصل
من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وابراهيم وستة

مختلف

مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر
والاصح انهم ثلثة ذكور والاربع بنات متفق عليهن وكلهن من خديجة
بنت خويلد الا ابراهيم فاما القاسم فهو اول ولد له عليه السلام قبل النبوة
وبه كان يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين وقال مجاهد مكث سبع ليال
وخطاه العلائي في ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا وقال ابن
فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل البعث وفي مستدرك الفريابي ما يدل على انه توفي
في الاسلام وهو اول من مات من ولده عليه السلام واما زينب فهي اكبر بناته
بلا خلاف الا ما لا يصح وانما الخلاف فيها وفي القاسم ايهما ولد اولا وعند ابن
انها ولدت في سنة ثلثين من مولد النبي عم وادركت الاسلام وهاجرت وماتت
سنة ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها ابي العاص لقيط وقيل مهشم بن
بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه
وردها النبي صلى الله عليه وسلم له بالنكاح الاول بعد سنتين وقيل بعد ست
سنين وقيل قبل انقضاء العدة فيما ذكره ابن عقبة وفي حديث عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع وولد له عليا مات صغيرا ناهز
الحلم وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت
له ايضا امامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح على عاتقه وكان اذا
ركع وضعها واذا رفع راسه من السجود اعادها وتزوجها علي بن ابي طالب بعد موت فاطمة

واما رقية فولدت سنة ثلاث وثلثين من مولده عليه السلام وذكر الزبير
بن بكار وغيره انها اكبر بناته ع م وصححه الجرجاني النسابة والاصح الذي عليه الاكثرون
كما تقدم ان زينب اكبرهن وكانت رقية تحت عتبة بن ابي لهب واختها كلثوم تحت
اخيه عتيبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب قال لهما ابوهما راسي من راسكما حرام
ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان
رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين الى ارض الحبشة وكانت ذات جمال رايع وذكر
الدولابي ان تزوجه بها كان في الجاهلية وذكر غيره ما يدل على انه كان بعد اسلامه
وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر وعن ابي عباس لما عزي صلى الله عليه وسلم
برقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي واما ام كلثوم فلا
يعرف لها اسم انما تعرف بكنيتها وكانت عند عتيبة بن ابي لهب كما قدمته ففارقها
قبل الدخول ويروي ان عتيبة لما فارق ام كلثوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال كفرت بدينك وفارقت بنتك لا تحبني ولا احبك ثم سطا عليه وشق قميصه
وهو خارج نحو الشام تاجرا فقال صلى الله عليه وسلم اما اني اسال الله ان يسلط
عليك كلبه وفي رواية اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وابو طالب حاضر
فوجم لها فقال ما كان اغناك عن دعوة ابن اخي فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا
مكانا من الشام يقال له الزرقا ليلا فطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة
يقول يا ويل امي هو والله اكلي كما دعى على محمد قاتلي ابن ابي كبشة وهو بمكة وانا بالشام

فعدي

فعدي عليه الاسد من بين القوم فاخذ براسه ففدعه وفي رواية فجاء الاسد
فجعل يتشمم وجوههم ثم ثنا ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه
فقال قتلني ومات وفي رواية ان الاسد اقبل يتخطاهم حتى اخذ براس عتيبة
ففدعه ذكره الدولابي ولما توفيت رقية خطب عثمان من عمر حفصة فرده
فبلغ ذلك النبي ع م فقال يا عمر ادلك على خير لك من عثمان وادل عثمان على خير له
منك قال نعم يا نبي الله قال تزوجني بنتك وازوج عثمان ابنتي خرجه الجندي
وكان تزويج عثمان بام كلثوم سنة ثلاث من الهجرة وروي انه ع م قال له والذي
نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى هذا جبريل
اخبرني ان الله يامرني ان ازوجكها رواه الفضايلي وماتت ام كلثوم سنة تسع من
الهجرة وصلى عليها عليه السلام ونزل في حفرتها علي والفضل واسامة بن
زيد وفي البخاري جلس صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال
هل فيكم من احد لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فقال انزل قبرها فنزل وقد
روي نحو ذلك في رقية وهو وهم فانه عليه السلام لم يكن حاضرا حال دفنها
بل كان في غزوة بدر كما قدمته وغسلتها اسما بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب
وشهدت ام عطية غسلها وروت قوله عليه السلام اغسلنها ثلاثا او خمسا
او سبعا او اكثر من ذلك ان رايتن بماء وسدر واجعلن في الاخرة كافورا فاذا فرغتن
فآذنني فلما فرغنا آذناه فالقى الينا حقوه وقال اشعرنها اياه قالت ومشطناها

ثلاثة قرون والقيناها خلفها ولحقوا الازار واشعرنها اي جعلنه شعارها
الذي يلي جسدها وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار واما فاطمة الزهراء البتول
فولدت سنة احدى واربعين من مولد النبي م قاله ابو عمر وهو مغاير لما رواه ابن
اسحق ان اولاده عليه السلام كلهم ولدوا قبل النبوة الا ابراهيم وقال ابن الجوزي
ولدت قبل النبوة بخمس سنين ايام بناء البيت وروي مرفوعا انما سميت فاطمة لان
الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيمة اخرجه الحافظ الدمشقي وروي
الغساني مرفوعا لان الله فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء
زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير و
تزوجت بعلي ابن ابي طالب في السنة الثانية وقيل بعد احد وقيل بنا به عليه السلام بعا
باربعة اشهر ونصف وبنى بها بعد تزوجها بسبعة اشهر ونصف وقيل في صفر في
السنة الثانية وبنى في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان تزوجها بامر الله
ووحيه وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف ولعلي احدى وعشرون
سنة وخمسة اشهر وقيل ذلك وتقدم مزيد لذلك في المغازي والسير من المقصد
الاول قال ابو عمر وفاطمة وام كلثوم افضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت
فاطمة احب اهله صلى الله عليه وسلم وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه واذا سفر
يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها وقال عليه السلام فاطمة بضعة
مني فمن اغضبها اغضبني رواه البخاري وقال لها اوما ترضين ان تكوني سيدة نساء المومنين

رواه مسلم وفي رواية احمد افضل نساء اهل الجنة وتوفيت بعده عليه السلام
بستة اشهر ليلة الثلاثا لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة وهي
ابنة تسع وعشرين سنة قاله المدني وقيل توفيت بعده بثمانية اشهر وقيل غير
ذلك والاول اصح كذا قالوه فيما رايته وهو غير منتظم مع السابق فليتامل
وروي انها قالت لاسماء بنت عميس اني قد استقبحت ما يصنع بالنسا انه يطرح على
المراة الثوب فيصفها فقالت اسما يا بنت رسول الله الا اريك شيئا رايته بارض
الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة ما احسن
هذا تعرف به المراة من الرجل فاذا انا مت فاغسليني انت وعلي ولا يدخل علي احد الحديث
خرجه ابو عمر وفي حديث ام سلمى انها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت
في وسط البيت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها ثم استقبلت القبلة وقالت
اني مقبوضة الان فلا يكشفني احد ولا يغسلني ثم قبضت مكانها ودخل علي فاخبر بالذي
قالت فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها احد رواه احمد في المناقب
والدولابي وهذا لفظه مختصرا وهو مضاد لخبر اسما المتقدم قال ابو عمر فاطمة
اول من غطي نعشها من النساء على الصفة المذكورة في خبر اسما المتقدم ثم بعدها زينب
بنت جحش صنع بها ذلك ايضا وولدت لعلي حسنا وحسينا ومحسنا فمات محسن
صغيرا وام كلثوم وزينب ولم يكن لرسول الله م عقب الا من ابنته فاطمة رضي الله عنها
فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن الحسين فقط ويقال للمنسوب

لا ولهما حسنى وثانيهما حسينى وقد يضم للحسينى ممن يكون من ذرية اسحق بن جعفر
الصادق بن محمد الناقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الاسحاقى
فيقال الحسينى الاسحاقى واسحق هذا هو زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد
بن الحسن بن على وله منها القاسم وام كلثوم ولم يعقبا وتزوج عمر بن الخطاب
كلثوم بنت فاطمة فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ثم تزوجت ام كلثوم بعد موت
عمر بعون بن جعفر ثم تزوجت بعد وفاته باخيه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجت
باخيهما عبد الله بن جعفر ثم ماتت عنده ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى
للثانى ابنة توفيت صغيرة فليس لها عقب ثم تزوج عبد الله بن جعفر باختها زينب
بنت فاطمة فولدت له عدة من الاولاد منهم على وام كلثوم وتزوج ام كلثوم
هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن ابى طالب فولدت له عدة اولاد منهم
فاطمة زوج حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وله منها عقب وبالجملة فعقب عبد الله
بن جعفر انتشر من على واخته ام كلثوم ابنى زينب بنت الزهرا ويقال لكل من ينسب لهولا
جعفرى ولا ريب ان هولاء شرفا واما الجعافرة المنسوبون لعبد الله بن جعفر فلهم
ايضا شرف لكنه يتفاوت فمن كان من ولده من زينب بنت الزهرا فهم اشرف
من غيرهم مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما
وكذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بنى هاشم قال الحافظ بن حجر فى
الالقاب وقد لقب به يعنى بالشرف كل عباسى ببغداد وعلوى بمصر وفى

شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسى واما عبد الله بن النبى صلى الله
عليه وسلم فقيل مات صغيرا بمكة فقال العاصى بن وايل قد انقطع ولده فهو ابتر
فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر واختلف هل ولد قبل النبوة او بعدها
وهل هو الطيب والطاهر والصحيح انهما لقبان له كما تقدم واما ابراهيم
فمن مارية القبطية وسياتى ذكرها فى سراريه ان شاء الله تعالى فى الفصل
الثانى لهذا فى امهات المومنين وولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وقيل
ولد بالعالية ذكره الزبير بن بكار وكانت سلمى زوج ابى رافع مولاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قابلته فبشر ابو رافع به النبى صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا وعق عنه يوم سابعه
بكبشين وحلق راسه ابو هند وسماه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ وتصدق بزنة شعره
ورقا على المساكين ودفنوا شعره وفى البخارى من حديث انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم
قال ولد لى الليلة غلام سميته باسم ابى ابراهيم ثم دفعه الى ام سيف امراة
قين بالمدينة يقال له ابو سيف الحديث وفيه انه ابقى عندها الى ان مات
والقين الحداد ويجمع بينهما بان التسمية كانت قبل السابع كما فى حديث انس هذا
ثم ظهرت فيه واما حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عند الترمذى مرفوعا انه
امر بتسمية المولود يوم سابعه فيحمل على انها لا توخر عن السابع لا انها لا يكون
فيه بل هى مشروعة من الولادة الى السابع قال الزبير بن بكار وتنافست الانصار فيمن
يرضع ابراهيم عليه السلام فانهم احبوا ان يفرغوا مارية له عليه السلام فاعطا

لام بردة بنت المنذر بن زيد الانصاري زوجة البراء بن اوس فكانت ترضعه بلبن
ابنها في بني مازن بن النجار وترجع به الى امه واعطى صلى الله عليه وسلم ام بردة
قطعة نخل وقد تقدم انه اعطاه ام سيف وبقي عندها الى ان مات فيحتمل ان يكون
اعطاه اولا ام بردة ثم اعطاه ام سيف وبقي عندها الى ان توفي لكن قد روي
انه توفي عند ام بردة فيرجع في الترجيح الى التصحيح وعن انس بن مالك قال ما رايت
احدا ارحم بالعيال من رسول الله عم كان ابراهيم مسترضعا في عوالي المدينة فكان
ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكانت ظئره قينا فياخذه فيقبله ثم يرجع الحديث
رواه ابو حاتم وفي حديث جابر اخذ صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف
فاتى به النخل فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فاخذه عم فوضعه في حجره ثم ذرفت
عيناه ثم قال انا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط
الرب خرجه بهذا السياق ابو عمرو بن السماك ومعناه في الصحيح وتوفي وله سبعون
يوما فيما ذكره ابو داود في ربيع الاول يوم الثلاثاء لعشر خلون منه وقيل بلغ
ستة عشر شهرا وثمانية ايام وقيل ستة وعشرة وستة ايام وحمل على سرير
صغير وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع وقال ندفنه عند فرطنا
عثمان بن مظعون وروي ان عائشة قالت دفنه عم ولم يصل عليه فيحتمل ان يكون
لم يصل عليه بنفسه وامر اصحابه ان يصلوا عليه او لم يصل عليه في جماعة وروي
ان الذي غسله ابو بردة وروي الفضل بن عباس ولعلهما اجتمعا عليه

ونزل

ونزل قبره الفضل واسامة والنبي عم على شفير القبر ورش قبره وعلم بعلامة
قال الزبير وهو اول قبر رش وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس
انما كسفت لموت ابراهيم فقال عليه السلام ان الشمس والقمر ايتان من ايات
الله لا ينكسفان لموت رواه الشيخان قيل والغالب ان الكسوف يكون يوم
الثامن والعشرين والتاسع والعشرين فكسفت يوم موت ابراهيم في العاشر
فلذلك قالوا كسفت لموته وقال عليه السلام ان له مرضعا في الجنة وقد روي
من حديث انس بن مالك انه قال لو بقي يعني ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم
لكان نبيا ولكن لم يبق لان نبيكم اخر الانبياء اخرجه ابو عمر قال الطبري
وهذا انما يقوله انس عن توقيف يخص ابراهيم والا فلا يلزم ان يكون ابن
النبي نبيا بدليل ابن نوح عليه السلام وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات
واما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة
على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم انتهى قال شيخنا في كتاب المقاصد
الحسنة ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده لا ادري ما هذا فقد ولد نوح غير
نبي ولو لم يلد النبي الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى قال الحافظ
ابن حجر ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره الطبري لما لا يخفى وكانه سلف النووي
وقال ايضا عقب الكلام النووي انه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة قال
وكانه لم يظهر له وجه تاويله فقال في ما قال وجوابه ان القضية الشرطية

لا يستلزم الوقوع ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا ما لا يظن قال شيخنا والطرق
الثلاثة احدها ما اخرجه ابن ماجة وغيره من حديث ابن عباس لما مات ابراهيم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان له موضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا
ولو عاش لاعتقت اخواله من القبط وما استرق قبطي وفي سنده ابو شيبة ابراهيم
بن عثمان الواسطي وهو ضعيف ومن طريقه اخرجه ابن منده في المعرفة وقال انه
غريب ثانيها ما رواه ابراهيم السدي عن انس قال كان ابراهيم قد ملأ المهد و
لو بقي لكان نبيا الحديث ثالثها ما عند البخاري من طريق محمد بن بشر عن اسمعيل
ابن ابي خالد قال قلت لعبد الله بن ابي اوفى رايت ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم قال مات
صغيرا ولو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده واخرجه احمد عن
وكيع عن اسمعيل سمعت ابن ابي اوفى يقول لو كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه انتهى

الفصل الثالث

في ذكر ازواجه الطاهرات وسراريه المطهرات قال الله تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اي ازواجه عليه السلام
امهات المؤمنين سواء من مات عنها او مات عنه وهي تحته وذلك في تحريم
نكاحهن ووجوب احترامهن لا في نظر وخلوة ولا يقال بناتهن اخوات المؤمنين
ولا اباؤهن وامهاتهن اجداد وجدات ولا اخوتهن واخواتهن اخوال وخالات
قال البغوي كن امهات المؤمنين دون النساء روي ذلك عن عايشة رضي الله عنها
وهو جار على الصحيح عند اصحابنا وغيرهم من اهل الاصول ان النساء لا يدخلن في

في خطاب الرجال قال وكان صلى الله عليه وسلم ابا للرجال والنساء ويجوز
ان يقال ابو المؤمنين في الحرمة وفضلت زوجاته عليه السلام على النساء
وثوابهن وعقابهن مضاعفان ولا يحل سؤالهن الا من وراء حجاب وافضلهن
خديجة وعايشة رضي الله عنهما وفي افضلهما خلاف ياتي تحقيقه ان شاء
الله تعالى قريبا واختلف في عدة ازواجه صلى الله عليه وسلم وترتيبهن وعدة
من مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن
خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق عليه انهن احدى عشرة
امراة ست من قريش خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن
كلاب بن مرة بن لوي وعايشة بنت ابي بكر بن ابي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد
بن تيم بن مرة بن كعب بن لوي وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن
عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي
ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي وسودة
بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن
حسل بن عامر بن لوي واربع عربيات زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر
بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وميمونة بنت

الحارث الخزاعية المصطلقية وواحدة غير عربية من بني اسرائل وهي صفية
بنت حيي من بني النضير ومات عنده صلى الله عليه وسلم منهن اثنتان خديجة
وزينب ام المساكين ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع ولا خلاف في ان اول
امراة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وانه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج
حتى ماتت وهذا حين الشروع في ذكرهن على الترتيب فاما ام المومنين
خديجة امها فاطمة بنت زايدة بن الاصم فكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة
وكانت تحت ابي هالة النباش بن ابي زرارة فولدت هندا وهالة وهما
ذكران ثم تزوجها عتيق بن عايذ المخزومي فولدت له جارية اسمها هند
وبعضهم يقدم عتيقا على هالة ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولها يومئذ من العمر اربعون سنة وبعض اخري وكان سنه عليه السلام
احدي وعشرين سنة وقيل خمس وعشرين وعليه الاكثرون وقيل ثلاثين
وكانت قد عرضت عليه نفسها فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة
حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم
اصدقها عشرين بكرة وزاد ابن اسحق من طريق اخر وحضر ابو طالب ورؤسا
مضر فخطب ابو طالب وقد قدمت خطبته في المقصد الاول عند ذكر تزوجها
له صلى الله عليه وسلم وذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق
خديجة اثنتي عشرة اوقية ذهبا وكانت خديجة كما قدمته اول من امن

من الناس وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله
يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب فاذا هي اتتك
فاقرء عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب
فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف قال ابن اسحق كان صلى الله عليه
لا يسمع شيئا من رد عليه وتكذيب له عليه السلام فيحزنه ذلك الا فرج الله
عنه بخديجة اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه
امر الناس حتى ماتت وعن عبد الرحمن بن زيد قال قال ادم عليه السلام اني
لسيد البشر يوم القيمة الا رجلا من ذريتي نبيا من الانبياء يقال له احمد فضل
علي باثنتين زوجته عاونته فكانت له عونا وكانت زوجتي علي عونا واعان
الله على شيطانه فاسلم وكفر شيطاني خرجه الدولابي كما ذكره الطبري
وخرج الامام احمد عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال افضل نساء
اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران واسية
امراة فرعون قال الشيخ ولي الدين العراقي خديجة افضل امهات المومنين
على الصحيح المختار وقيل عايشة انتهى وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري
في شرح بهجة الحاوي وافضلهن خديجة وعايشة وفي افضلهما خلاف صحح
ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة حين قالت له قد
رزقك الله خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين

كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس وسيل ابن داود ايهما افضل
فقال عايشة اقراها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة
اقراها جبريل من ربها السلام على لسان محمد فهي افضل قيل له فمن افضل خديجة
ام فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني فلا اعدل
ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم
اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة الا مريم واحتج من فضل عايشة بما
احتجت به من انها في الاخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي
فيها وسيل السبكي عن ذلك فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد
افضل ثم امها خديجة ثم عايشة ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه واما خبر الطبراني
خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ثم
آسية امراة فرعون فاجاب عنه ابن العماد بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار
الامومة لا باعتبار السيادة واختار السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر
وللاختلاف في نبوتها انتهى وقال ابوامامة بن النقاش ان سبق خديجة وتاثيرها
في اول الاسلام وموازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها
لم يشركها فيه احد لا عايشة ولا غيرها من امهات المومنين وتاثير عايشة في اخر
الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامة ما لم تشركها فيه
خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها انتهى وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة

بثلاث

بثلاث سنين وقيل باربع وقيل بخمس ودفنت في الحجون وهي ابنة خمس
وستين سنة ولم يكن يومئذ يصلى على الجنازة وكانت مدة مقامها مع
النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وقيل اربعا وعشرين واما
سودة بنت زمعة وامها الشموس بنت قيس فاسلمت قديما وبايعت وكانت
تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو واسلم معها قديما
وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل انه مات
بالحبشة وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل ان يعقد عايشة هذا وجمع
قول قتادة ولم يذكر ابن قتيبة غيره ويقال تزوجها بعد عايشة ويجمع
بين القولين بانه صلى الله عليه وسلم عقد على عايشة قبل سودة ودخل بسودة
قبل عايشة والتزويج يطلق على كل واحدة منهن وان كان المتبادر الى
الفهم العقد دون الدخول ولما كبرت سودة اراد صلى الله عليه وسلم
طلاقها فسالته ان لا يفعل وجعلت يومها لعايشه فامسكها وتوفيت
بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين وروى البخاري في تاريخه باسناد
صحيح الى سعيد بن ابي هلال انها ماتت في خلافة عمر وجزم الذهبي في التاريخ
الكبير بانها ماتت في اخر خلافة عمر وقال ابن سيد الناس انه المشهور واما
ام المومنين عايشة رضي الله عنها وامها ام رومان ابنة عامر بن عويمر بن
عبد شمس من بني مالك بن كنانة فكانت مسماة على جبير بن مطعم فخطبها

البنى صلى الله عليه وسلم واصدقها فيما قاله بن اسحق اربعماية درهم وتزوجها
بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين واعرس
بها بالمدينة فى شوال سنة اثنين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين
وقيل بعد سبعة اشهر من مقدمه عليه السلام وخرج الشيخان عن عايشة انها
قالت تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا بنت ست سنين فقدمنا المدينة
فنزلنا فى بنى الحارث فوعكت فاتتنى امى ام رومان وانى لفى ارجوحة مع صواحب لى
فصرخت بى فاتيتها ما ادرى ما تريد منى فاخذت بيدى حتى وقفتنى على باب الدار
وانا انهج حتى سكن بعض نفسى ثم اخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهى وراسى ثم
ادخلتنى الدار فاذا نسوة من الانصار فى البيت فقلن على الخير والبركة فاسلمتنى
اليهن فاصلحن من شانى فلم يرعنى الا رسول الله صلى الله وسلم ضحى فاسلمتنى اليه
وانا يومئذ بنت تسع سنين واخرجه ابو حاتم بتغيير بعض الفاظه قال ابو عمر
كان نكاحه عليه السلام لعايشة فى شوال وابتنى بها فى شوال وكانت تحب ان يدخل
النسا من اهلها واحبتها فى شوال على ازواجهن وكانت احب نسا رسول الله صلى الله عم
اليه وكانت اذا هويت لشئ تابعها عليه وفقدها عليه السلام فى بعض اسفاره
فقال واعروساه خرجه احمد وقال لها عليه السلام كما فى الصحيحين رايتك فى
المنام ثلاث ليال جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير فيقول هذه امراتك فاكشف عن وجهك
فاقول ان يك من عند الله يمضه والسرقة شقة الحرير البيضا وفى الترمذى

ان

أن جبريل جاء عليه السلام بصورتها فى خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك
فى الدنيا والاخرة وفى رواية عنه قال جبريل ان الله قد زوجك بابنة ابى بكر ومعه
صورتها وكانت مدة مقامها معه عليه السلام تسع سنين ومات عنها صلى الله عليه
وسلم ولها ثمانية عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة
كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام واشعارها روى
عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم لها الليلتين ليلتها وليلة سودة بنت زمعة لانها وهبت ليلتها لما كبرت
لها كما تقدم ولنسايه ليلة وكان يدور على نسايه ويختم بعايشة وماتت بالمدينة
سنة سبع وخمسين وقال الواقدى ليلة الثلاثا لسبع عشرة خلت من رمضان سنة
ثمان وخمسين وهى ابنة ست وستين سنة واوصت ان تدفن بالبقيع ليلا
وصلى عليها ابو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة فى ايام معاوية
بن ابى سفيان وكانت عايشة تكنى ام عبد الله يروى انها اسقطت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم سقطا ولم يثبت والصحيح انها كانت تكنى بعبد الله بن الزبير
ابن اختها فانه عليه السلام تفل فى فيه لما ولد وقال لعايشة هو عبد الله
وانت ام عبد الله قالت فما زلت اكنى بها وما ولدت قط خرجه ابو حاتم و
اما ام المومنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وامها زينب بنت
مظعون فاسلمت وهاجرت وكانت قبل رسول الله عم تحت خنيس بضم المعجمة

وفتح النون وبالسين المهملة بن حذافة السهمي هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة
بدر فلمّا تايمت ذكرها عمر على ابي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما الى زواجها
فخطبها رسول الله فانكحه اياها فى سنة ثلاث من الهجرة وطلقها تطليقة واحدة ثم
راجعها نزل عليه الوحى راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في
الجنة روى عنها جماعة من الصحابين والتابعين وماتت فى شعبان سنة خمس
واربعين في خلافة معاوية وقيل سنة احدى واربعين وهى ابنة ستين سنة
وقيل انها ماتت فى خلافة عثمان واما ام المؤمنين ام سلمة هند وقيل رملة
والاول اصح وامها عاتكة بنت عامر بن ربيعة وليست عاتكة بنت عبد المطلب
فكانت قبل رسول الله ع م تحت ابى سلمة بن عبد الاسد وكانت هى وزوجها اول
من هاجر الي ارض الحبشة فولدت له بها زينب وولدت له بعد ذلك سلمة و
عمر ودرة وقيل هى اول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وقيل غيرها ومات
ابو سلمة سنة اربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة وكانت ام سلمة سمعته عليه السلام
يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي
خيراً منها الا اخلف الله له خيراً منها قالت فلمّا مات ابو سلمة قلت اى المسلمين خير من
ابى سلمة ثم اني قلتها فاخلف الله لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الي
عليه السلام حاطب ابن ابي بلتعة يخطبني له وفى رواية فخطبها ابو بكر فابت
وخطبها عمر فابت ثم ارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا

برسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى خلالاً ثلثا انا امراة شديدة الغيرة
وانا امراة مصبية وانا امراة ليس لي ههنا احد من اوليائ فيزوجني فغضب
عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشد مما غضب لنفسه حين ردت فاتاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما ما ذكرت من غيرتك فاني ادعو الله ان
يذهبها عنك واما ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم واما من اوليائك فليس
احد من اوليائك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله وسلم فزوجه قال
صاحب السمط الثمين رواه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب الصفوة وخرج احمد
والنسائ طرفا منه ومعناه فى الصحيح وفيه دلالة على ان الابن يلى العقد على امه
وعندنا انما زوجها بالعصوبة لانه ابن ابن عمها لان ابا سلمة عبد الله بن عبد
الاسد بن هلال بن عبد الله وام سلمة هند بنت سهيل بن المغيرة بن عبد الله
ولم يكن من عصبتها احد حاضر غيره وكانت ام سلمة اجمل الناس وتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليال بقين من شوال من السنة التي مات
فيها ابو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة اثنين وستين والاول
اصح ودفنت بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة وقيل سعيد بن زيد وكان عمرها اربعا
وثمانين سنة واما ام المؤمنين ام حبيبة رملة بنت ابى سفيان صخر بن حرب
وقيل اسمها هند والاول اصح وامها صفية بنت ابى العاصى فكانت تحت عبد الله
بن جحش وهاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الاسلام

ومات هناك وثبتت ام حبيبة على الاسلام واختلف في وقت نكاح رسول الله صلى
اياها وموضع العقد فقيل انه عقد عليها بارض الحبشة سنة ست فروي انه صلى الله
بعث عمرو بن امية الضمري الى النجاشي ليخطبها عليه فزوجها اياه واصدقها عنه اربعمائة
دينار وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة وروي ان النجاشي ارسل اليها جاريته
ابرهة فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عم كتب الي ان ازوجك منه
وانها ارسلت الى خالد بن سعيد العاصي فوكلته واعطت ابرهة سوارين وخواتم
من فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان العشي امر النجاشي جعفر بن ابي طالب ومن
هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده و
رسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله عم فزوجته ام حبيبة وقد اصدقتها
اربعمائة دينار ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال
الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد العاص فقبضها ثم ارادوا ان يقوموا فقال

اجلسوا فان سنة الانبياء اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام
فاكلوا ثم تفرقوا اخرجه صاحب الصفوة كما قاله الطبري وكان ذلك في سنة
سبع من الهجرة قال ابو عمر واختلف فيمن زوجها فروي انه سعيد بن العاص و
روي عثمان بن عفان وهي ابنة عمته وذكر البيهقي ان الذي زوجها خالد
بن سعيد بن العاص وهو ابن عم ابيها لكن صح التاريخ المذكور فلا يصح ان يكون
عثمان هو الذي زوجها فانه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر في السنة
الثانية من الهجرة وكان ابو سفيان ابوها حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله
وقد قيل ان عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من ارض الحبشة والمشهور
الاول وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وقيل سنة اثنتين واربعين واما
ام المؤمنين زينب بنت جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم
طلقها كما سياتي ان شاء الله تعالى في الخصايص فلما انقضت عدتها منه
قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرني لها قال فذهبت اليها
فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله يذكرك فقالت ما كنت
لاحدث شيئا حتى اوامر ربي عز وجل فقامت الى مسجد لها فانزل الله تعالى
فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله فدخل عليها بغير اذن
اخرجه مسلم وقال المنافقون حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امراة ابنه

فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الاية وكانت زينب تفتخر على ازواج
النبي تقول زوجكن اباؤكن و زوجني الله من فوق سبع سموات رواه الترمذي
وصححه وكان اسمها برة فسماها عليه السلام زينب وعن انس لما تزوج صلى الله
زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو عليه السلام
يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من قام و قعد ثلثة نفر فجاء
النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت
فجئت فاخبرت النبي م انهم انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت لادخل فالقى الحجاب
بيني وبينه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وكان
تزوجها له صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي
اول من مات من ازواجه وقالت عايشة في شانها ولم تكن امرأة خيرا منها
في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد
ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله رواه مسلم وماتت
بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون
سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب وهي اول من جعل على جنازتها نعش واما
ام المومنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية وكانت تدعى في الجاهلية
ام المساكين لاطعامها اياهم فكانت تحت عبد الله بن جحش في قول ابن شهاب قتل عنها
يوم احد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث ولم تلبث عنده

الى

الجزء ٢

الى شهرين او ثلاثة وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل مكثت عنده
ثمانية اشهر ذكره الفضايلي وقيل كانت قبله عليه السلام تحت الطفيل بن
الحارث ثم خلف عليها اخوه عبيدة بن الحارث وقيل عنها يوم احد شهيدا فخلف
عليها رسول الله والاول الاصح وتوفيت في ربيع الاخر سنة اربع ودفنت
بالبقيع قال الطبري كذا ذكره الفضايلي وانما يكون هذا على ما حكاه من انها مكثت
عنده م ثمانية اشهر اما على ما حكاه ابو عمر فلا يصح اذا العقد كان في سنة ثلاث
فمدتها عنده م شهران او ثلاثة فلا يصح ان تكون وفاتها في ربيع الاخر انتهى فليتامل
واما ام المومنين ميمونة بنت الحارث الهلالية وامها هند بنت عوف بن زهير
بن الحارث بن حماطة بن حمير فتزوجها صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة معتمرا
سنة سبع بعد غزوة خيبر وكانت اختها ام الفضل لبابة الكبرى تحت العباس
بن عبد المطلب واختها لامها اسماء بنت عميس تحت جعفر وسلمى بنت عميس
تحت حمزة وكانت جعلت امرها الى العباس فانكحها النبي م وهو محرم فلما رجع
بنى بها بسرف حلالا لا ذكره ابو عمر وفي الصحيح من افراد مسلم عنها انه صلى الله عليه
وسلم تزوجها وهو حلال زاد البرقاني بعد قوله تزوجها وبنى بها حلالا وماتت
بسرف فيحمل قوله وهو محرم اي داخل الحرم ويكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة
ثم خرج منه الى سرف وابتنى بها فيه وهو على عشرة اميال من مكة كذا قاله الطبري
وسياتي في مقصد المعجزات في ذكر الحصا بيص مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى

وكانت ميمونة قبل عند ابى رهم بن عبد العزى ويقال بل عبد الله بن ابى رهم وقيل بل
عند حويطب بن عبد العزى وقيل فروة بن عبد العزى قال ابن اسحق ويقال
انها وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان خطبته عليه السلام
انتهت اليها وهى على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله وقيل الواهبة
نفسها غيرها وتوفيت ميمونة بسرف فى الموضع الذى بنى بها فيه رسول الله صلى
وذلك سنة احدى وخمسين وقيل ست وستين وقيل ثلاث وستين وصلى
عليها ابن عباس ودخل قبرها واما ام المومنين جويرية بنت الحارث بن ابى
ضرار بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء فكانت تحت مسافع بالسين المهملة
والفاء ابن صفوان المصطلقى وكانت قد وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس
الانصارى فى غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق فى سنة خمس وقيل سنة ست
فكاتبته على نفسها ثم جاءت رسول الله ؏م فقالت يا رسول الله انا جويرية بنت الحارث
وكان من امرى ما لا يخفى عليك ووقعت فى سهم ثابت بن قيس بن الشماس وانى
كاتبت نفسى فجئت اسالك فى كتابتى فقال رسول الله ؏م فهل لك الى ما هو خير
قالت وما هو يا رسول الله قال اودى عنك كتابتك واتزوجك قالت قد فعلت
فتسامع الناس ان رسول الله قد تزوج جويرية فارسلوا ما فى ايديهم من السبى
فاعتقوهم وقالوا اصهار رسول الله قالت عايشة فما راينا امراة كانت اعظم
بركة على قومها منها اعتق فى سببها مائة اهل بيت من بنى المصطلق خرجه ابو

داود من حديث عايشة وقال ابن هشام ويقال اشتراها صلى الله عليه وسلم
من ثابت بن قيس واعتقها وتزوجها واصدقها اربعماية درهم وعن ابن شهاب
سبى صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث يوم المريسيع فحجبها وقسم لها
وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحوله ؏م وسماها جويرية وقد تقدم
مثل ذلك فى زينب بنت جحش وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة فى ربيع الاول
سنة خمسين وقيل سنة ست وخمسين واما ام المومنين صفية بنت حيى بن اخطب
بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين وبالياء المثناة التحتية ابن ثعلبة
بن عبيد من بنى اسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام وامها ضرة بفتح الضاد
المعجمة وتشديد الراء بنت سموءل بفتح السين المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح
الهمزة وباللام فكانت تحت كنانة بن ابى الحقيق بضم الحاء وفتح القاف الاولى وسكون
المثناة التحتية فقتل يوم خيبر فى المحرم سنة سبع من الهجرة قال انس لما افتتح صلى الله
عليه وسلم خيبر وجمع السبى جاءه دحية فقال يا رسول الله اعطنى جارية فقال اذهب
فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير ما تصلح الا
لك قال ادعوه بها فجاء بها قال فلما نظر اليها النبى صلى الله عليه وسلم قال
خذ جارية من السبى غيرها قال واعتقها وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما
اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم

فاصبح صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به قال فبسط نطعا
قال فجعل الرجل يجيء بالاقط وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن فحاسوا
حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فقال الناس لا ندري
اتزوجها ام اتخذها ام ولد قالوا ان حجبها فهي امراته وان لم يحجبها فهي ام ولد فلما
ان اراد ان يركب حجبها وفي رواية فانطلقنا حتى اذا راينا جدر المدينة هششنا
اليها فرفعنا مطايانا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيته قال وصفية
خلفه قد اردفها قال فعثرت مطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرع وصرعت
قال فليس احد من الناس ينظر اليه واليها حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسترها قال فدخلنا المدينة فخرج جواري نسايه يترااينها ويشمتن بصرعها
رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم وروي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم اتى
بصفية يوم خيبر وانه قتل اباها واخاها وان بلالا مر بها بين المقتولين وانه صلى الله
خيرها بين ان يعتقها فترجع الى من بقي من اهلها او تسلم فيتخذها لنفسه فقالت
اختار الله ورسوله خرجه في الصفوة واخرج تمام في فوائده من حديث انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فيّ قالت يا رسول الله لقد كنت اتمنى ذلك
في الشرك فكيف اذا امكنني الله منه في الاسلام واخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية خضرة فقال ما هذه الخضرة
فقالت كان راسي في حجر ابن ابي الحقيق وانا نايمة فرايت قمرا وقع في حجري

فاخبرته

فاخبرته بذلك فلطمني وقال تمنين ملك يثرب وبنى بها صلى الله عليه وسلم
بالصهبا وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية وقيل غير ذلك
ودفنت بالبقيع فهؤلاء ازواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين اهل السير
والعلم بالاثر وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر و
جملتهن عشرة امراة الاولى الواهبة نفسها له صلى الله عليه وسلم واختلف
من هي فقيل ام شريك القرشية العامرية واسمها غزية بضم الغين المعجمة وفتح
الزاء وتشديد المثناة التحتية بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لوي وقيل بنت
داود بن عوف وطلقها النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في دخوله بها وقيل هي
ام شريك غزية الانصارية من بني النجار وفي الصفوة هي ام شريك غزية
بنت جابر الدوسية قال والاكثرون على انها التي وهبت نفسها له صلى الله
فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وذكر ابن قتيبة في المعارف عن ابي
اليقظان ان الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمية ويجوز ان يكونا
وهبتا نفسهما من غير تضاد وقال عروة بن الزبير كانت خولة بنت
حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة
اما تستحي المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قالت
عايشة يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع لك في هواك رواه الشيخان وهذه
خولة هي زوجة عثمان بن مظعون ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان

الثانية خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى الله عليه وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد بن الجون بفتح الجيم الكلابية وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد بن اوس بن كلاب الكلابية قال ابو عمر وهذا اصح تزوجها صلى الله فتعوذت منه حين دخلت عليه فقال لها لقد عذت بمعاذ فطلقها وامر اسامة بن زيد فمتعها بثلثة اثواب قال ابو عمر هكذا روي عن عايشة وقال قتادة كان ذلك في امراة من سليم وقال ابو عبيدة انما ذلك لاسما بنت النعمان بن الجون وهكذا ذكره ابن قتيبة وسياتي وعمرة هذه ان اباها وصفها للنبي ثم قال وازيدك انها لم تمرض قط فقال عليه السلام ما لهذه عند الله من خير فطلقها الرابعة اسماء بنت النعمان بن الجون بفتح الجيم ابن الحارث الكندية اجمعوا الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها واختلفوا في سبب فراقها فقال قتادة وابو عبيدة انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها قالت تعال انت وابت ان تجئ وقال بعضهم قالت اعوذ بالله منك فقال عذت بمعاذ وقد اعاذك الله مني وقيل ان نساءه صلى الله عليه وسلم علمنها ذلك فانها كانت من اجمل النساء فخفن ان تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب اذا دنى منك ان تقولي اعوذ بالله منك فقال عذت بمعاذ وطلقها ثم سرحها الى اهلها وكانت تسمي نفسها الشقية وقال الجرجاني قلن لها ان اردت ان تحظى عنده فتعوذي بالله منه فقالت ذلك فولى وجهه عنها وقيل المتعوذة غيرها

قال

قال ابو عبيدة ويجوز ان يكون تعوذتا وقال اخرون كان باسما وصح فقال لها الحقي باهلك وقد قيل في اسمها اميمة وقيل امامة الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هي التي استعاذت من النبي وقيل دخل بها وماتت عنده والاول اصح ومنهم من ينكر تزويجه بها اصلا السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت اية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه السلام فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول هي الشقية اختارت الدنيا هكذا رواه ابن اسحق لكن قال ابو عمر هذا عندنا غير صحيح لان ابن شهاب يروي عن عروة عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم حين خير ازواجه بداء بها فاختارت الله ورسوله وتابع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال قتادة وعكرمة كان عنده عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتي توفي عنهن وقيل انه عليه السلام تزوجها سنة ثمان وقيل ان اباها قال انها لم تصدع قط فقال عليه السلام لا حاجة لي بها السابعة غالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف تزوجها وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقل من ذكرها وقال ابو سعد طلقها حين ادخلت عليه الثامنة قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية بنت قيس اخت الاشعث بن قيس الكندي زوجه اياها اخوها في سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم سنة احدى عشرة قبل قدومها عليه وقيل وفاته بشهرين وقال قايلون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصى بان تخير فان شاءت فاختارت النكاح ضربت عليها الحجاب وكانت من
امهات المومنين وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها
عكرمة بن ابي جهل بحضرموت فبلغ ذلك ابا بكر فقال هممت ان احرق عليهما بيتهما
فقال له عمر رضي الله عنهما ما هي من امهات المومنين ما دخل بها صلى الله عليه
وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال بعضهم لم يوص فيها عليه السلام بشئ
ولكنها ارتدت حين ارتد اخوها وبذلك احتج عمر على ابي بكر رضي الله عنهما
انها ليست من امهات المومنين بارتدادها التاسعة سنا بنت اسما بن الصلت
السلمية تزوجها عليه السلام وماتت قبل ان يدخل بها وعند ابن اسحق طلقها
قبل ان يدخل بها العاشرة شراف بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء بنت
خليفة الكلبية اخت دحية الكلبي تزوجها صلى الله عليه وسلم فماتت قبل
دخوله عم بها الحادية عشر ليلى بنت الخطيم بفتح الخاء المعجمة وكسر الطا المهملة
اخت قيس تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت غيورا فاستقالته فاقالها
فاكلها الذيب وهي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم الثانية عشر امراة من
غفار تزوجها صلى الله عليه وسلم فامرها فنزعت ثيابها فراى بكشحها بياضا
فقال الحقي باهلك ولم ياخذ مما اتاها شيئا فهؤلاء جملة من ذكر من ازواجه عم
وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده كما ذكرناه فيكون جملة
من عقد عليهن ثلاثا وعشرين امراة دخل ببعضهن دون بعض مات منهن عنده

الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة ومات منهن قبل الدخول اثنتان اخت
دحية وبنت الهذيل باتفاق واختلف في مليكة وسنا هل ماتتا او طلقهما
مع الاتفاق على انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بهما وفارق بعد الدخول
باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة واسما والغفارية واختلف
في ام شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التي جهل حالها
والمفارقات باتفاق سبع واثنتان على خلف والميتات في حياته باتفاق
اربع ومات صلى الله عليه وسلم عن عشر واحدة لم يدخل بها وروي انه
صلى الله عليه وسلم خطب عدة نسوة الاولى منهن امراة من بني مرة بن عوف
بن سعد خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابيها فقال ان بها برصا وهو كاذب
فرجع فوجدها البرص بها ويقال ان ابنها شبيب بن البرصا بن الحارث بن عوف ذكره
ابن قتيبة كما قاله الطبري وعند ابن الاثير في جامع الاصول جمرة بنت
الحارث بن عوف خطبها صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوءا ولم
يكن بها شئ فرجع اليها وقد برصت قال وهي ام شبيب بن البرصا الشاعر الثانية
امراة قرشية يقال لها سودة خطبها صلى الله عليه وسلم وكانت مصيبة
فقالت اخاف ان تضغوا صبيتي اي يصيحوا ويبكوا عند راسك فدعا لها وتركها
الثالثة صفية بنت بشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة كان اصابها
في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها الرابعة ولم يذكر

اسمها قيل انه صلى الله عليه وسلم خطبها فقالت استامر ابي فلقيت اباها فاذن
لها فعادت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها قد التحفنا لحافا غيرك الخامسة
ام هاني فاختة بنت ابي طالب اخت علي خطبها صلى الله عليه وسلم فقالت اني
امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها السادسة ضباعة بضم الضاد المعجمة
وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر بن قرط بضم القاف وسكون
الراء وبالطاء المهملة خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابنها سلمة بن هاشم
فقال حتى استامرها فقيل للنبي صلى الله عليه انها قد كبرت فلما عاد ابنها وقد
اذنت له سكت عنها صلى الله عليه وسلم فلم ينكحها السابعة امامة بنت حمزة
بن عبد المطلب عرضت عليه صلى الله عليه وسلم   عليه صلى الله عليه وسلم
فقال هي ابنة اخي من الرضاعة الثامنة عزة بنت ابي سفيان عرضتها اختها
ام حبيبة عليه صلى الله عليه وسلم فقال انها لا تحل لي لمكان اختها ام حبيبة
تحت النبي صلى الله عليه وسلم وقيل تزوجها عليه السلام الجذرعية بضم
الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة امراة من جندع وهي ابنة جندب
بن ضمرة ولم يدخل بها وانكره بعض الرواة فهؤلاء النساء اللاتي ذكر انه صلى الله
تزوجهن وخطبهن ودخل بهن ولم يدخل بهن وعرضن عليه واما سراريه
فقيل انهن اربعة مارية القبطية بنت شمعون بفتح الشين المعجمة اهداها
المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية واهدى معها اختها سيرين

بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون اخرها
وخصيا يقال له مابور والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر
وبغلة شهباء وهي دلدل وحمارا اشهب وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من
عسل بنها فاعجب النبي العسل ودعا في عسل بنها بالبركة قال ابن الاثير و
بنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم
في عسلها والناس اليوم يفتحون الباء انتهى ووهب صلى الله عليه وسلم
سيرين لحسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ومارية هي ام
ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مارية في خلافة عمر سنة
ست عشرة ودفنت بالبقيع وريحانة بنت شمعون من بني قريظة وقيل من
بني النضير والاول اظهر وماتت قبل وفاته مرجعه من حجة الوداع
سنة عشر ودفنت بالبقيع وكان عليه السلام وطئها بملك اليمين
وقيل اعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن الاثير غيره والاخرى وهبتها له زينب
بنت جحش الرابعة اصابها في بعض السبي الفصل الرابع في اعمامه وعماته
واخوته من الرضاعة وجداته قال صاحب دخاير العقبى في مناقب ذوي
القربى كان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عما بنو عبد المطلب ابوه عبد الله
ثالث عشرهم الحارث وابو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى ابا
الحارث وحمزة وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار

والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل بتقديم الجيم وهو السقا الضخم وقال الدار قطني
بتقديم الحاء سقط وهو القيد والخلخال ويسمى المغيرة وقيل كانوا احد عشر
فاسقط المقوم وقيل هو عبد الكعبة وقيل عشرة فاسقط الغيداق وحجلا
وقيل تسعة فاسقط قثم فاما حمزة فامه هالة بنت وهب بن مناف بن زهرة
ويكنى باعمارة وابا يعلى كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى وفي معجم البغوي انه
صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل في السما
السابعة حمزة اسد الله واسد رسوله وكان اسلامه في الثانية من المبعث وقيل
في السادسة بعد دخوله م دار الارقم وقيل قبل اسلام عمر بثلثة ايام وشهد
بدرا وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة قاله موسى بن عقبة وقيل بل قتل شيبة
بن ربيعة مبارزة قاله ابن اسحاق ما اول راية عقدها عليه السلام لاحد من المسلمين
كانت لحمزة واول سرية بعثها وقال م خير اعمامي حمزة رواه الحافظ الدمشقي و
روي بن السري مرفوعا سيد الشهدا يوم القيمة حمزة ابن عبد المطلب وذكر السلفي
عن بريدة في قوله تعالى يا ايها النفس المطمئنة قال حمزة بن عبد المطلب وعن
ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال حمزة واستشهد في وقعة احد قتله وحشي
وعن سعيد بن المسيب كان يقول كنت اعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه مات
غريقا في الخمر رواه الدار قطني على شرط الشيخين وقال ابن هشام بلغني
ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت

ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا
بكى ولما راى ما مثل به شهق وعن ابي هريرة وقف عليه السلام على حمزة
وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا كان اوجع لقلبه منه رواه ابو عمر والخلص
وصاحب الصفوة وعند ابن هشام انه عليه السلام قال لن اصاب بمثلك ابدا
ما وقفت موقفا قط اغيظ لي من هذا وعند ابن شاذان من حديث ابن مسعود
ما راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب
وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب نشغ من البكاء يقول يا حمزة يا عم
رسول الله واسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف
الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله والنشغ الشهيق حتى يبلغ به
الغشي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على جنازة كبر عليها اربعا وكبر على
حمزة سبعين تكبيرة رواه البغوي في معجمه وقد روى انس بن مالك ان شهدا احد
لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم خرجه احمد وابو داود فيحمل
امر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على انه جرح حال الحرب ولم يمت حتى
انقضت الحرب وكان سن حمزة يوم قتل تسعا وخمسين سنة ودفن هو وابن
اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد واما العباس وكنيته ابو الفضل فامه نتيلة
بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط ويقال انها اول عربية كست البيت الحرام
الديباج واصناف الكسوة لان العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته

ان يكسوا البيت وكان العباس جميلاً وسيمًا ابيض له ضفيرتان معتدلا وقيل كان طوالا
وولد قبل الفيل بثلاث سنين وكان اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين
او ثلاث وكان رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام وكان مع النبي صلى
يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان عليه السلام يثق به في امره كله
ولما شدوا وثاقه في اسري بدر سهر عليه السلام تلك الليلة فقيل ما يسهرك
يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل فارخى وثاقه وفعل ذلك بالاساري
كلهم ذكره ابو عمر صاحب الصفوة وقيل كان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين
يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها
فاسره كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه اسلم يوم بدر ثم
اقبل الى المدينة مهاجرًا فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء
وكان معه في فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقال ابو عمر اسلم قبل فتح خيبر وكان
يكتم اسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين واظهر اسلامه يوم فتح مكة وشهد
حنينًا والطايف وتبوك ويقال ان اسلامه كان قبل بدر وكان يكتب باخبار
المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان
يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم
ان مقامك بمكة خير لك وقال ابو مصعب اسماعيل بن قيس بن زيد بن ثابت
حدثنا ابو حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال استاذن

العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم اقم
مكانك الذي انت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة
ورواه ابو يعلى والهيثم بن كليب في مسنديهما والطبراني في الكبير و
ابو مصعب متروك لكن يعتضد بقول عروة بن الزبير كان العباس قد اسلم
واقام على سقايته ولم يهاجر اخرجه الحاكم في مستدركه وذكر السهيمي في
الفضائل ان ابا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه
وكان عليه السلام يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه ووصفه عليه السلام
فقال اجود الناس كفا واحناه عليهم رواه الفضائلي وفي معجم البغوي العباس
عمي وصنو ابي من اذاه فقد اذاني وفي الترمذي نحوه وقال حسن صحيح و
ذكر السهيمي في الفضائل ان النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قام اليه
وقبل ما بين عينيه ثم اقعده عن يمينه ثم قال هذا عمي فمن شا فليباه بعمه
فقال العباس نعم القول يا رسول الله قال ولم لا اقول هذا انت عمي وصنو ابي
وبقية اباي ووارثي وخير من اسلم اخلف من اهلي وقال له عليه السلام
يا عم لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى اتيكم فان لي فيكم حاجة فلما اتاهم
اشتمل عليهم بملاته ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوايط
البيت فقالت امين امين امين رواه ابن غيلان وابو القاسم حمزة والسهمي

رواه ابن السري وفنه ما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن ورواه الترمذي
من حديث ابن عباس بلفظ فالبسنا كسا ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة
وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده وقال حسن غريب وعند عبد الباقي
من حديث ابي هريرة اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن احبهم وفي
تاريخ تاريخ دمشق من حديث ابن عباس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له في فتح مكة اللهم العباس وولد العباس قالها ثلاثا ثم قال يا عم اما علمت
ان المهدي من ولدك وروى الحاكم في مستدركه والبغوي في معجمه عن سعيد بن
المسيب انه قال العباس خير هذه الامة ووارث النبي صلى الله عليه وسلم وعمه
قال الذهبي سنده صحيح قال ويتكلف لنا تأويله يعني ان كان قوله خير بالمعجمة والتحتية
وفي الافراد للدارقطني عن جابر الانصاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من لم يحب العباس بن عبد المطلب واهل بيته فقد
بري من الله ورسوله وفي سنده عمر بن راشد الحارثي وهو ضعيف جدا لكن
يشهد له ما رواه محمد بن الحسين الاشناني ثم ابو بكر بن عبد الباقي في اماليه
ومن طريقهما المنذري من طريق منصور عن مسلم بن ابي صبيح ابي الضحى عن مسروق
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم
يحب عمي هذا واخذ بيد العباس فرفعها لله عز وجل ولقرابته مني فليس مني
وللترمذي قال حسن عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ان

رسول

رسول الله قال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى
يحبكم لله ورسوله ثم قال يا ايها الناس من اذى عمي فقد اذاني فانما عم الرجل صنو
ابيه وروى البغوي انه قال له لك يا عم من الله حتى ترضى وروى السهمي في
الفضائل انه عليه السلام قال عباس ان الله عز وجل غير معذبك ولا احد من ولدك
وفي المعجم الكبير للطبراني عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اغفر للعباس وابنا العباس وابنا وابناء العباس وفي سنده عبد الرحمن
بن خاتم المرادي المصري وهو متروك وفي تاريخ دمشق مما هو شديد الوهاء
عن ابي هريرة مرفوعا اللهم اغفر للعباس ولمحبي ولد العباس وشيعتهم
وللسهمي عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس ان الله
غير معذبك ولا احد من ولدك وفي المناقب للامام احمد بسند لا بأس به ان
العباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى
في السما نجما قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه يلي هذه الليلة بعددها
من صلبك وروى السهمي من حديث ابن عباس انه عليه السلام قال له الا ابشرك
يا عم قال بلى بابي انت وامي قال عليه السلام ان من ذريتك الاصفيا ومن
عترتك الخلفا ومن حديث ابي هريرة فيكم النبوة والمملكة ومن حديث ابن عباس
عن ابيه هذا عمي ابو الخلفاء اجود قريش كفا واجملها وان من ولده السفاح والمنصور
والمهدي وذكر ابن حسان والملاء من حديث ابن عباس انه عليه السلام قال يا ابا كر

هذا العباس قد اقبل وعليه ثياب بيض وسيليس ولده من بعده السواد وعن
جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن في ولده
يعني العباس ملوك يكونون امراء امتي يعز الله بهم الدين قال الحافظ ابو الحسن
الدارقطني هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار خرجه الاصفهاني
وتوفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه قبل مقتله بسنتين
بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة وقيل لاربع عشرة خلت من رجب وقيل
من رمضان سنة اثنين وقيل ثلاث وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين
سنة وقيل سبع وثمانين سنة ادرك منها في الاسلام اثنين وثلاثين
سنة ودفن بالبقيع ودخل قبره ابنه عبد الله وكان عظيما جليلا وكان يسمى
ترجمان القرآن وهو ابو الخلفاء وروي ان امه ام الفضل لما وضعته اتت به النبي
فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وقال اذهبي بابي الخلفاء رواه ابن حبان
وغيره وقد ملاء عقبه الارض حتى قيل انهم بلغوا في زمن المامون ستماية
الف واستبعد والله اعلم وكان العباس اصغر اعمامه ولم يسلم منهم الا هو
وحمزة واسنهم الحارث   واما عماته صلى الله عليه وسلم بنات عبد
المطلب بن هاشم فجملتهن ست عاتكه واميمة والبيضاء وهي ام حكيم
وبرة وصفية واروي ولم يسلم منهم الا صفية الام الزبير بلا خلف
واختلف في اروى وعاتكة في جملة الاخوة قد ذهب ابو جعفر العقيلي الى اسلامهما

وعدهما

وعدهما في الصحابة وذكر الدارقطني عاتكة في جملة الاخوة والاخوات و
لم يذكر اروي واما ابن اسحق فذكر انه لم يسلم منهن غير صفية فاما صفية
فاسلمت باتفاق كما ذكرنا وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود و
ضرب لها عليه السلام بسهم وامها هالة بنت وهب بن عبد مناف بن
زهرة شقيقة حمزة والمقوم وحجل وكانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب
بن امية بن عبد شمس ثم هلك فخلف عليها العوام بن خويلد اخو خديجة ام
المؤمنين فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة وتوفيت بالمدينة في خلافة
عمر رضي الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع
واما عاتكة المختلف في اسلامها فامها فاطمة بنت عمرو بن عائد فتكون شقيقة
عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وابي طالب والزبير وعبد الكعبة
وهي صاحبة الرؤيا في قصة بدر واما اروي المختلف ايضا في اسلامها فامها
صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث بن عبد المطلب وكانت تحت عمير بن
وهب بن عبد قصي فولدت له طليبا ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف
بن عبد الدار بن قصي واسلم طليب وكان سببا في اسلام امه كما ذكره الواقدي
واما ام حكيم البيضاء فهي شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم واما
برة فامها فاطمة ايضا وكانت عند ابي رهم بن عبد العزى العامري ثم خلف
عليها عبد الاسد بن هلال المخزومي فولدت له ابا سلمة بن عبد الاسد الذي

كانت عند ام سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم واما اميمة فامها
وكانت تحت جحش بن رئاب فولدت له عبد الله وعبيد الله
وابا احمد وزينب وام حبيبة وحمنه اولاد جحش بن رياب واما جداته
عليه السلام من ابيه فام عبد الله ابيه وهى فاطمة بنت عمرو بن مخزوم وام
عبد المطلب سلمى ابنة عمرو من بنى النجار وكانت قبل هاشم تحت احيحة
بن الجلاح فولدت له عمرو بن احيحة وهو اخو عبد المطلب لامه وام هاشم
عاتكه بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بنى سليم وام عبد مناف
عاتكة بنت فالج بن مليك بن ذكوان من بنى سليم وام قصى فاطمة بنت سعد
من ازد السراة وام كلاب نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وام مرة
وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة الى شيبان بن محارب من فهر
وام كعب سلمى بنت محارب من فهر وام لوى وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف
بن كنانة وام غالب سلمى بنت سعد بن هذيل وام فهر جدلة ابنة الحارث الجرهمى
وام مالك هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان وام النضر برة بنت
مرة اخت تميم بن مرة ذكره قتيبة فى كتاب المعارف كما حكاه الطبرى عنه
وقال فالجدة الاولى مخزومية والثانية نجارية والثالثة سلمية والرابعة
سلمية ايضا وقيل خزاعية والخامسة ازدية والسادسة كنانية والسابعة فهمية
والثامنة فهمية ايضا او فهرية الخط فى الاصل يوهم التاسعة كنانية و

والعاشرة هذلية والحادية عشر جرهمية والثانية عشر قيسية والثالثة عشر
مزنية واما جداته عليه السلام من امه فام امنة بنت وهب بن عبد مناف بن
زهرة بن كلاب برة بنت عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة وام ابيها وهب
عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بنى سليم ذكره
بن قتيبة وقال ابو عمرو ويعرف ابوها بابى كبشة الذى كان ينسب اليه رسول الله
فيقال ابن ابى كبشة ونسب اليه لانه كان يعبد الشعرى ولم يكن احد من العرب
يعبدها غيره فلما جاء هم الاسلام بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا هذا ابن
ابى كبشة ولم يقصد ذمه عليه السلام بذلك وقيل بل نسب الى وهب
الى امه كان يدعى بها ابوه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى زوج حليمة
فنسب اليه وام برة هى ام حبيب قاله بن قتيبة وقال ابو سعد ام سفيان
بنت اسد بن عبد العزى قصى بن كلاب بن مرة وام ام حبيب هجيرة بنت عوف
بن عبيد بن عدى بن كعب بن لوى بن غالب وام برة بنت عوف قلابة بنت
الحارث بن صعصعة بن عايذ بن لحيان من هذيل وام قلابة هند بنت يربوع
من ثقيف قاله بن قتيبة وقال بن سعد انها بنت مالك بن عثمان من بنى
لحيان فالجدة الاولى والثانية والثالثة من امهات امه عليه السلام
قرشيات وام ابى امه سلمية والرابعة لحيانية هذلية والخامسة
ثقيفية ففى كل قبيلة من قبايل العرب له م علقة نسب واما اخوته م

من الرضاعة فحمزة وابو سلمة بن الاسد ارضعتهما معه عليه السلام ثويبة
جارية ابي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
ارضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية وعبيد الله و
انيسه وحذافة وتعرف بالشيما الثلاثة اولاد حليمة وقد روى ان خيلا له عم اغارت
على هوازن فاخذوها في جملة السبى فقالت انا اخت صاحبكم فلما قدموا
على رسول الله قالت له يا محمد انا اختك فرحب بها وبسط لها رداه واجلسها
عليه ودمعت عيناه وقال عليه السلام ان احببتني فاقيمي عندي مكرمة
محبة وان احببت ان ترجعي الى قومك وصلتك قالت بل ارجع الى قومي فاسلمت
واعطاها صلى الله عليه وسلم ثلثة اعبد وجارية ونعما وشاء ذكره ابو
عمرو بن قتيبة واما امه من الرضاعة فحليمة بنت ابي ذويب من هوازن
وهي ارضعته حتى اكملت رضاعه وجاءته عليه السلام يوم حنين فقام
اليها وبسط رداه لها فجلست عليه وكذا ثويبة جارية ابي لهب ايضا واختلف
في اسلامها كما اختلف في اسلام حليمة وزوجها وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عم
بعد ان تزوج خديجة فكانت تكرمها واعتقها ابو لهب وكان عليه السلام يبعث
اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر ذكره ابو عمر وكانت
حاضنته عم ام ايمن بركة بنت ثعلبة بن حصن بن مالك غلبت عليها كنيتها وكنيت
باسم ابنها ايمن الحبشي وهي ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد فولدت

له اسامة ويقال انها مولاة رسول الله هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة والى المدينة
وكانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها النبي عم وقيل كانت لامه عليه السلام
وكان عليه السلام يقول ام ايمن امي بعد امي وكانت بنت حليمة السعدية تحضنه
ايضا مع امها حليمة السعدية الفصل الخامس في خدمه وحرسه ومواليه و
من كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ويأذن عليه ومن كان يضرب الاعناق
بين يديه واما خدمه فمنهم انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصاري
الخزرجي يكنى ابا حمزة خدم النبي عم تسع سنين وعشر سنين ودعا له عم فقال
اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة وقال ابو هريرة ما رايت احدا اشبه صلاة
برسول الله منه وتوفي في سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة
احدى وتسعين وقد جاوز المائة ومنهم ربيعة بن كعب الاسلمي صاحب وضوئه
وتوفي سنة ثلاث وستين ومنهم ايمن بن ام ايمن صاحب مطهرته عليه السلام
استشهد يوم حنين ومنهم عبد الله بن مسعود بن غافل بالمعجمة والفاء ابن حبيب
الهذلي احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد وكان صاحب السواد و
السواك والنعلين والطهور كان يلي ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وكان
اذا قام النبي عم البسه نعليه واذا جلس جعلهما في ذراعه حتى يقوم وتوفي
بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنين وثلثين وقيل سنة ثلاث ومنهم عقبة
بن عامر بن عيسى بن عمرو الجهني وكان صاحب بغلته يقود به في الاسفار

وروينا عنه انه قال بينما انا اقود برسول الله ءم في نقب من تلك النقاب اذ قال لي رسول الله ءم اركب يا عقبة قال فاجللت رسول الله ءم ان اركب مركبه ثم اشفقت ان تكون معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي ءم وقدت فقال لي يا عقبة الا اعلمك من خير سورتين قرا بهما الناس فقلت بلى بابي انت وامي يا رسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث رواه احمد وابو داود والنساي ولاحمد قال يا عقبة الا اعلمك خير ثلاث سور انزلت في التورية والانجيل والزبور والقران العظيم قال قلت بلى قال فاقراني قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وكان عقبة عالمًا بكتاب الله تعالى وبالفرايض فصيحًا شاعرًا مفوهًا ولي مصر لمعاوية سنة اربع واربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين ومنهم اسلع بن شريك صاحب راحلته وفي الطبراني عن الربيع بن بدر حدثني ابي عن ابيه عن رجل يقال له الاسلع قال كنت اخدم النبي ءم وارحل له فقال لي ذات يوم يا اسلع قم فارحل فقلت يا رسول الله اصابتني جنابة فسكت رسول الله فاتاه جبريل باية الصعيد فقال رسول الله ءم قم يا اسلع فتيمم قال فقمت فتيممت ثم رحلت له ثم سار حتى مر بما فقال لي يا اسلع مس وامس هذا جلدك قال فاراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين انتهى ومنهم سعد مولى ابي بكر وقيل سعيد ولم يثبت وروي عنه ابن ماجة ومنهم ابو ذر

جندب

جندب بن جنادة الغفاري اسلم قديمًا وتوفي بالربذة سنة احدى وثلثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك اليوم قاله ابن الاثير في معرفة الصحابة وفي التقريب للحافظ بن حجر سنة اثنين وثلاثين ومنهم مهاجر مولى ام سلمة ومنهم حنين والد عبد الله مولى ابن عباس كان يخدم النبي ءم ثم وهبه لعمه العباس ومنهم نعيم بن ربيعة الاسلمي ومنهم ابو الحمراء مولاه ءم وخادمه واسمه هلال بن الحارث وابن ظفر نزل حمص ومنهم ابو السمح خادمه ءم واسمه اياد ومن النساء بركة ام ايمن الحبشة وهي والدة اسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رض وخولة جدة حفص وسلمى ام رافع زوج ابي رافع وميمونة بنت سعد وام عياش مولاة رقية بنت النبي عليه الصلاة والسلام وكان يضرب الاعناق بين يدي علي بن ابي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت ابن ابي الافلح والضحاك بن سفيان وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه ءم بمنزلة صاحب الشرطة وابو رافع واسمه اسلم وقيل غير ذلك نبطي كان على ثقله وكان بلال على نفقاته ومعيقب بن ابي فاطمة الدوسي على خاتمه وابن مسعود على سواكه ونعله كما تقدم واذن عليه في المشربة لعمر بن الخطاب رض رباح النوبي واما حراسه فمنهم سعد بن معاذ بن نعمان بن امرئ القيس سيد الاوس اسلم بين العقبتين على يدي مصعب بن عمير وشهد بدرًا

واحدا والخندق فرمى فيه بسهم عاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات حرس النبى ص
يوم بدر وحين نام فى العريش ومنهم محمد بن مسلمة الانصاري حرسه يوم احد
ومنهم الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق ومنهم بلال اسلم قديما وعذب
فى الله وسكن الشام اخيرا ولا عقب له وتاتى وفاته ان شاء الله تعالى وكان
يحرس النبى ص م بوادي القرى وكان ابو بكر الصديق يوم بدر فى العريش شاهرا
سيفه على راسه صلى الله عليه وسلم لئلا يصل اليه احد من المشركين رواه
ابن السمانى فى الموافقة ووقف المغيرة بن شعبة على راسه بالسيف يوم الحديبية
واما مواليه صلى الله عليه وسلم فمنهم اسامة وابوه زيد بن حارثة حب
رسول الله ص م اعتقه وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة فولدت له اسامة
وكان زيد قد اسر فى الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوهبه
النبى ص م منها ذكر قصته محمد بن اسحق فى السيرة وان اباه وعمه اتيا مكة فوجدا
فطلبا ان يفديا فخيره النبى ص م بين ان يدفعه لهما او يبقى عنده فاختار ان
يبقى عنده الاسلام وفى رواية الترمذي قال يا رسول الله لا اختار عليك ابدا
واستشهد زيد فى غزوة مؤتة ومات ابنه اسامة بالمدينة او بوادي القرى
سنة اربع وخمسين ومنهم ثوبان لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين وابو كبشة اوس ويقال
سليم من مولدي مكة وشهد بدرا وشقران بضم الشين المعجمة وسكون القاف

واسمه

واسمه صالح الحبشى ويقال فارسى شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق قاله الحافظ
ابن حجر وقال اظنه مات فى خلافة عثمان ورباح وهو بفتح الراء وبالموحدة
الاسود وكان ياذن عليه احيانا اذا انفرد وهو الذي ياذن لعمر بن الخطاب
فى المشربة كما تقدم ويسار الراعى وهو الذي قتله العرنيون وزيد وهو ابو
يسار وليس زيد بن حارثة والد اسامة ذكره ابن الاثير ومدعم بكسر الميم وفتح
العين المهملة عبد اسود وكان لرفاعة بن زيد الضبيبى بضم الضاد
المعجمة وفتح الموحدة الاولى فاهداه الى رسول الله ص م وابو رافع واسمه اسلم القبطى
وكان للعباس فوهبه النبى ص م فلما بشر النبى ص م باسلام العباس اعتقه توفى
قبل قتل عثمان بيسير ورفاعة بن زيد الجذامى وسفينة واختلف فى اسمه
فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا حملوه شيئا كثيرا فى السفر و
مابور القبطى وواقد ابو واقد وانجشة الحادي وياتى ذكره فى حداته
ان شاء الله تعالى وسلمان الفارسى ابو عبد الله ويقال له سلمان الخير اصله
من اصبهان وقيل من رامهرمز اول مشاهده الخندق مات سنة اربع وثلثين
يقال بلغ ثلثمائة سنة وشمعون بن زيد ابو ريحانة قال الحافظ ابن حجر حليف
الانصار ويقال مولى رسول الله ص م شهد فتح دمشق وقدم مصر وسكن بيت
المقدس وابو بكرة نفيع ومن النساء ام ايمن الحبشية وسلمى ام رافع زوج ابى رافع

ومارية وريحانة وقيصر اخت مارية وغير ذلك قال ابن الجوزي مواليه ثلثة
واربعون واما ؤه احدى عشر الفصل السادس في امرائه ورسله وكتابه وكتبه
الى اهل الاسلام في الشرايع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام
اما كتابه فالخلفا الاربعة ابو بكر الصديق وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة
وفي الاسلام عبد الله وسمي بالصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
ان الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله او لانه ليس في نسبه ما يعاب به وقيل لانه عتيق
من النار ولي الخلافة سنتين ونصفا وسنه سن المصطفى عليه السلام وتوفي
مسموما واسلم ابوه قحافة يوم الفتح وتوفي في خلافة عمر واسلمت امه ام
الخير سلمى بنت صخر قديما في دار الارقم وعمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى
استخلفه ابو بكر فاقام عشر سنين وستة اشهر واربع ليال وقتله ابو بكر لؤلؤة
فيروز غلام المغيرة بن شعبة وعثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية وكانت
خلافته احدى عشرة سنة او ثلاث عشر يوما ثم قتل يوم الدار شهيدا وروي
عن عايشة مما ذكره الطبري في فضائله من كتاب الرياض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمستند ظهره الي وان جبريل ليوحي اليه القران وانه ليقول اكتب يا عثم رواه احمد وروى
البيهقي عن جعفر بن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس جلس ابو بكر
عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب سر رسول الله صلى الله
وعلي بن ابي طالب واقام في الخلافة اربع سنين وتسعة اشهر وثمانية ايام وتوفي

شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية
وطلحة بن عبيد الله احد العشرة استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو
ثلاث وستين والزبير ابن العوام بن خويلد احد العشرة ايضا قتل سنة ست
وثلاثين يوم الجمل وابن ابي وقاص وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الارقم
مات في خلافة عثمان وولاه عمر بيت المال وابي بن كعب بضم الهمزة وفتح الموحدة
من سباق الانصار وكان يكتب الوحي له صلى الله وهو احد الستة الذين حفظوا
القران على عهده صلى الله عليه وسلم واحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على
عهده عليه السلام توفي بالمدينة سنة تسع عشر وقيل سنة عشرين وقيل
ذلك وهو الذي كتب الكتاب الى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندا كما سياتي
ان شاء الله تعالى وثابت بن قيس بن شماس استشهد باليمامة وهو الذي
كتب كتاب قطن بن حارثة العليمي كما سياتي ان شاء الله تعالى وحنظلة بن الربيع
الاسيدي الذي غسلته الملائكة حين استشهد وابو سفيان صخر بن حرب وابنه
معاوية ولي لعمر الشام واقره عثمان قال ابن اسحق كان اميرا عشرين سنة وخليفة
عشرين سنة وروينا في مسند الامام من حديث العرباض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وهو مشهور بكتابة
الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين واخوه يزيد بن ابي سفيان
بن حرب امره عمر دمشق حتى مات بها سنة ست عشرة بالطاعون وزيد بن ثابت بن

الضحاك النجاري مشهور بكتب الوحي مات سنة خمسين وثمان واربعين وقيل
بعد الخمسين وكان احد فقهاء الصحابة وهو احد من جمع القران في خلافة ابي بكر
ونقله في المصحف في زمن عثمان وشرحبيل بن حسنة وهي امه والعلاء بن الحضرمي
وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله اسلم بين الحديبية والفتح مات
سنة احدى واثنين وعشرين وعمرو بن العاص بن وائل السهمي اسلم عام الحديبية
وولي امرة مصر مرتين وهو الذي فتحها ومات بها سنة نيف واربعين
وقيل بعد الخمسين والمغيرة بن شعبة الثقفي اسلم قبل الحديبية وولي
امرة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح وعبد الله بن رواحة
الخزرجي الانصاري احد السابقين شهد بدرا واستشهد بموتة ومعيقب
بقاف واخره موحدة مصغر ابن ابي فاطمة الدوسي من السابقين الاولين
وشهد المشاهد مات في خلافة عثمان او علي وكتب له خالد بن سعيد بن العاص
كتاب ثقيف كما سياتي ان شاء الله تعالى في الوفود وحذيفة بن اليمان
من السابقين انه صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان وما يكون
الى ان تقوم الساعة وابوه صحابي ايضا استشهد باحد ومات حذيفة في
اول خلافة علي سنة ست وثلاثين وحويطب بن عبد العزى العامري اسلم يوم
الفتح عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة اربع وخمسين وكان معاوية
وزيد بن ثابت الزمهم لذلك واخصهم به كما قاله الحافظ الشرف

الدمياطي

الدمياطي وغيره ونبهت لاعليه قال الحافظ بن حجر وقد كتب له قبل زيد بن
ثابت ابي بن كعب وهو اول من كتب له بالمدينة واول من كتب له بمكة
من قريش عبد الله بن سعد بن ابي سرح ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام يوم الفتح
وممن كتب له في الجملة الخلفاء الاربعة وابان وخالد ابنا سعيد بن العاصي
بن امية وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى اهل الاسلام كتبا في الشرايع والا حكام
منها كتابه في الصدقات الذي كان عند ابي بكر فكتبه ابو بكر لانس لما وجهه
الى البحرين ولفظه كما عند البخاري وابي داود والنسايي بسم الله الرحمن
الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المسلمين والتي امر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فمن سئلها من المسلمين
على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعط في اربعة وعشرين من الابل
فما دونها من الغنم في كل خمس شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس
وثلاثين ففيها بنت مخاض انثى فان لم تكن ابنة مخاض فابن لبون فاذا بلغت
ستا وثلثين الى خمس واربعين ففيها بنت لبون انثى فاذا بلغت ستا
واربعين الى ستين ففيها حقة طروقة الجمل فاذا بلغت واحدة وستين
الى خمس وسبعين ففيها جذعة فاذا بلغت ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا
لبون فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا
الجمل فاذا زادت على عشرين ومائة ففي كل اربعين ابنة لبون وفي كل

خمسين حقة ومن لم يكن معه الا اربع من الابل فليست فيها صدقة الا ان
يشاء ربها فاذا بلغت خمسا من الابل ففيها شاة ومن بلغت عنده من الابل صدقة
الجذعة وليست عنده جذعة وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويجعل
معها شاتين ان استيسرتا له او عشرين درهما ومن بلغت عنده صدقة
الحقة وليست عنده الحقة وعنده الجذعة فانها تقبل منه الجذعة ويعطيه
المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست
عنده الا ابنة لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطي شاتين او عشرين درهما
ومن بلغت صدقته بنت لبون وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويعطيه
المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون
وليست عنده وعنده بنت مخاض فانها تقبل منه بنت المخاض ويعطي معها
عشرين درهما او شاتين ومن بلغت صدقة بنت مخاض وليست عنده
وعنده بنت لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطيه المصدق عشرين
درهما او شاتين فان لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون
فانه يقبل منه وليس معه شيء وصدقة الغنم في سائمتها فاذا بلغت اربعين
الى عشرين ومائة شاة شاة فان زادت على عشرين ومائة الى مائتين
فيها شاتان فاذا زادت على مائتين والى ثلثمائة ففيها ثلث شياه فاذا زادت
على ثلثمائة ففي كل مائة شاة فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من اربعين شاة

شاة واحدة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق
بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما
بالسوية ولا يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الا ان يشاء
المصدق وفي الرقة ربع العشر فان لم تكن الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة
الا ان يشاء ربها وفي الرقة اي الدراهم المضروبة والهاء فيه عوض عن
الواو المحذوفة من الورق قاله ابن الاثير في الجامع وقال في فتح الباري
هي بكسر الراء وتخفيف القاف الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة او
غير مضروبة ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
الزكاة وغيرها كما رواه ابو داود والترمذي عن سالم عن ابيه كتب صلى الله
كتاب الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل
به عمر حتى قبض وكان فيه في خمس من الابل شاة وفي عشر من الابل شاتان
وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين
بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس و
اربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان واحدة ففيها جذعة
الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها بنت لبون الى تسعين فاذا زادت
واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين
حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة

فان زادت واحدة فشاتان الى مائتين فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شيا الى ثلثماية فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل ماية شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بالسوية ولا توخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال ابن الاثير فى النهاية والخليط المخالط يريد به الشريك الذى يخلط ماله بمال شريكه والتراجع بينهما هو ان يكون لاحدهما مثلا اربعون بقرة وللاخر ثلثون بقرة ومالهما مختلط فياخذ الساعى عن الار [بعين] مسنة وعن الثلاثين تبيعا فرجع باذل المسنة بثلاثة اسباعها على شريكه و باذل التبيع باربعة اسباعه على شريكه لان كل واحد من المسنتين واجب على الشيوع كان المال ملك واحد انتهى وقال فى فتح البارى واختلف فى المراد بالخليط فعند ابى حنيفة انه الشريك واعترض عليه بان الشريك لا يعرف عين ماله وقد قال انهما يتراجعان بالسوية ومما يدل على ان الخليط لا يستلزم ان يكون شريكا قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وقد بينه قبل ذ[لك] بقوله ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة واعتذر بعضهم عن الحنفية بانهم لم يبلغهم هذا الحديث وراوا ان الاصل قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة وحكم الخلطة يغاير هذا الاصل فلم يقولوا وقال ابو حنيفة لا يجب على احد منهم فيما يملك الا مثل الذى يجب عليه

لو

لو لم يكن خلط وقال سفيان الثورى لا يجب حتى يتم لهذا اربعون شاة ولهذا اربعون شاة وقال الشافعى واحمد وصاحبا الحديث اذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا والخلطة عندهم ان يجتمعا فى المسرح والمبيت و الحوض والفحل والشركة اخص منها انتهى ومنها كتابه عم الى اهل اليمن و هو كتاب جليل فيه من انواع الفقه فى الزكوة والديات والاحكام وذكر الكبائر والطلاق والعتاق واحكام الصلاة فى الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات ورواه النسائى وقال قد روى هذا الحديث يونس عن الزهرى مرسلا و ابو حاتم فى صحيحه وغيرهما متصلا عن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله عم كتب الى اهل اليمن وكان فى كتابه ان من اعتبط مومنا قتلا عن بينة فانه قود الا ان يرضى اولياء المقتول وفيه ان الرجل يقتل بالمرأة وفيه ان النفس الدية ماية من الابل وعلى اهل الذهب الف دينار وفى الانف اذا اوعب جدعه الدية ماية من الابل وفى اللسان الدية وفى الشفتين الدية وفى البيضتين الدية وفى الذكر الدية وفى الصلب الدية وفى العينين الدية وفى الرجل الواحدة نصف الدية وفى المامومة ثلث الدية وفى المنقلة خمسة عشرة من الابل وفى كل اصبع من اصابع اليد والرجل عشر من الابل وفى السن خمس من الابل وفى رواية مالك وفى العينين خمسون وفى اليد خمسون وفى الرجل

خمسون وفي الموضحة خمس من الابل ومنها كتابه الى بني زهير واما مكاتباته عم
الى الملوك وغيرهم فروي انه لما رجع عليه السلام من الحديبية كتب الى الروم
فقيل له انهم لا يقرؤن كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش
فيه ثلثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر وختم به الكتب وانما كانوا
لا يقرؤن الكتاب الا مختوما خوفا من كشف اسرارهم وللاشعار بان الاحوال
المعروضة عليهم ينبغي ان تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وعن انس ان ختم كتاب
السلطان والقضاة سنة متبعة وقال بعضهم هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم
فكتب الى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم
سلام على من تبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله
اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون رواه البخاري وكان
عليه السلام ارسل هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي الى هرقل في اخر سنة
ست بعد ان رجع من الحديبية كما قاله الواقدي ووقع في تاريخ خليفة ان ارساله
سنة خمس والاول اثبت بل هذا غلط لتصريح ابي سفيان بان ذلك كان في مدة صلح
الحديبية كما في حديث البخاري في المدة التي كان عليه السلام ماد فيها ابا
سفيان وكفار قريش يعني مدة صلح الحديبية وكانت سنة ست اتفاقا ولم ينقل عم

الى

الى هرقل ملك الروم لانه معزول بحكم الاسلام ولم يخله من الاكرام لمصلحة
التاليف وقوله يؤتك الله اجرك مرتين اي لكونه مؤمنا بنبيه ثم امن بمحمد صلى الله
وقوله فان عليك اثم الاريسيين اي فان عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب انهم
اتبعوك على استمرار الكفر وقيل انه عليه السلام كتب هذه الاية يعني يا اهل الكتاب
قبل نزولها فوافق لفظه لفظها لما نزلت لان هذه الاية نزلت في قصة وفد نجران
وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع وقصة ابي سفيان هذه كانت قبل
ذلك سنة ست وقيل نزلت في اليهود وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد
والله اعلم وكتب صلى الله عليه وسلم الى كسرى بسم الله الرحمن الرحيم من
محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من تبع الهدى وامن بالله ورسوله
وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك بدعاية
الله فاني رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين
اسلم تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله
عليه وسلم فقال مزق ملكه وفي البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله
بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان يدفعه الى عظيم البحرين
فدفعه الى كسرى فلما قراه مزقه فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق وقيل بعثه مع عمر بن الخطاب رض والذي
في البخاري هو الصحيح وفي كتاب الاموال لابي عبيد من مرسل عمير بن اسحق قال

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى و قيصر فاما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه واما
قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هؤلاء فيمزقون
واما هؤلاء فسيكون لهم بقية و روي انه لما جاءه جواب كسرى قال مزق
ملكه ولما جاءه جواب هرقل قال ثبت ملكه و ذكر فى فتح البارى عن سيف الدين
قلج المنصورى انه قدم على ملك الغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون فارسله
ملك الغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة وانه قبله واكرمه وقال لاتحفنك بتحفة
سنية فاخرج له صندوقا مصفحا بذهب منه مقلمة من ذهب فاخرج منها
كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد الصقت عليه حرقة حريرة فقال هذا كتاب
نبيكم لجدي قيصر مازلنا نتوارثه الى الان واوصانا اباؤنا من ابائهم الى قيصر
انه مادام هذا الكتاب عندنا لايزال الملك فينا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه
ونكتمه عن النصاري ليدوم الملك فينا انتهى وكتب صلى الله عليه وسلم
الى النجاشى بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشة
اما بعد فانى احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة
الحصينة فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وانى ادعوك
الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني
فانى رسول الله وانى ادعوك وجنودك الى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا

نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى وبعث بالكتاب مع عمرو بن امية الضمري
فقال النجاشى اشهد بالله انه النبي الامي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة
عيسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ثم كتب النجاشى جواب الكتاب الى النبي
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشى
اصحمه سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا اله الا هو
اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض رض
ان عيسى لايزيد على ما ذكرت ثفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به
الينا فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن
عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين والثفروق علاقة ما بين النواة والقشر
وهذا هو اصحمة الذي هاجر اليه المسلمون فى رجب سنة خمس من النبوة
وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام مع عمرو بن امية سنة ست
من الهجرة فامن به واسلم على يد جعفر بن ابى طالب وتوفى فى رجب سنة
تسع ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم وتوفى وصلى عليه بالمدينة واما
النجاشى الذي ولى بعده وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام
فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما
وفى صحيح مسلم عن قتادة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى
والى قيصر والى النجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشى الذي

صلى عليه وكتب عليه السلام الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام
على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام تسلم يؤتك الله اجرك
مرتين فان توليت فعليك اثم القبط ما اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وبعث به مع
حاطب بن ابى بلتعة فلما دخل عليه قال انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب
الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك
ولا يعتبر غيرك بك فقال ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه فقال
حاطب ندعوك الى دين الله وهو الاسلام الكافى به الله فقد ما سواه ان
هذا النبى دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم
منه النصارى ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد عم
وما دعاؤنا اياك الى القران الا كدعائك اهل التورية الى الانجيل وكل
نبى ادرك قوما فهم من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادرك
هذا النبى ولسنا نعن دين المسيح ولكنا نامرك به فقال المقوقس انى قد نظرت في
امر هذا النبى فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده
بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه الة النبوة باخراج الخب

والاخبار

رابع ٢٦

والاخبار بالنجوى وسانظر واخذ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فجعله فى حق
من عاج ودفعه لجارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبى
بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط اما بعد
فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا
بقى وكنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين
لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة واهديت لك بغلة لتركبها والسلام و
لم يزد على هذا ولم يسلم وكتب عم الى المنذر بن ساوى ذكر الواقدى باسناده
عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب فى كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فاذا
فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى
وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فكتب المنذر الى رسول الله فانى قرات
كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من
كرهه وبارضى يهود ومجوس فاحدث الى فى ذلك امرك فكتب اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى
الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو
واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اما بعد فانى اذكرك الله
عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع امرهم فقد
اطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد اثنوا عليك خيرا وانى

قد اشفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن
اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن
اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية وكتب عليه السلام الى ملكى
عمان وبعثه مع عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله
ورسوله الى جيفر بفتح الجيم وسكون التحتية بعدها فاء وعبد ابنى الجلند
سلام على من اتبع الهدى اما بعد ادعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما فانى
رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين
وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما
زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما وكتب ابى بن كعب
وختم الكتاب قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها
عمدت الى عبد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت انى رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى المقدم على
بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى يقرا كتابك ثم قال وما تدعوا اليه
قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد ان
محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع ابوك
فان لنا فيك قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وودت
انه كان اسلم وصدق به وقد كنت على مثل رايه حتى هدانى الله للاسلام قال

فمتى

فمتى تبعته قلت قريبا فسالنى اين كان اسلامك قلت عند النجاشى واخبرته
ان النجاشى قد اسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه واتبعوه قال
والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس
من خصلة فى رجل افضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم
قال اخبرنى ما الذى يامر به وينهى عنه قلت بطاعة الله عز وجل وينهى عن
معصيته ويامر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن
الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والصليب قال ما احسن هذا الذى يدعو
اليه لو كان اخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن اخى اضن
بملكه من ان يدعه ويصير ذنبا قلت انه ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقرائهم قال ان هذا
الخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الصدقات فى الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم
مواشينا التى ترعى الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما ارى قومى فى
بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قال فمكثت ببابه اياما وهو يصل
الى اخيه فيخبره كل خبرى ثم انه دعانى يوما فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضبعى
فقال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس فابوا ان يدعونى اجلس فنظرت فقال
تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض ختمه وقراه حتى انتهى الى

اخره ثم دفعة إلى اخيه فقراه مثل قراتنا الا إني رايت اخاه ارق منه فقال
الا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور
بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره و
عرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما اعلم احدا بقى غيرك في هذه
الحرجة وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطيك الخيل فاسلم تسلم ويستعملك على قومك
ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فرجعت
إلى اخيه فقال يا عمرو اني لارجو ان يسلم ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد اتيت
اليه فابى ان ياذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني اليه
فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي
وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله الفت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وانا
خارج غدا فلما ايقن بمخرجي خلا به اخوه فاصبح فارسل الي فاجاب الى الاسلام
هو واخوه جميعا وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة و
بين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني وكتب صلى الله عليه وسلم صاحب
اليمامة هوذة بن علي فارسل به مع سليط بن عمرو العامري بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر
الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه
سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما انزله وحياه واقترا

عليه

عليه الكتاب فرد ردا دون رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
ما احسن ما تدعو اليه واجمله والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض
الامر اتبعك واجاز سليطا بجايزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم بذلك
كله على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقراء النبي صلى الله عليه وسلم
كتابه وقال لو سالني سيابة من الارض ما فعلت باد وباد ما في يده **فلما**
انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل بان هوذة
مات فقال صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبا
يقتل بعدي فكان كذلك **وقال** صاحب باعث النفوس روي عن ابي هند
الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر
تميم بن اوس الداري واخوه نعيم ويزيد بن قيس وابو عبد الله بن
عبد الله وهو صاحب الحديث واخوه الطيب بن عبد الله فسماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وفاكهة بن النعمان فاسلمنا وسالنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعنا ارضا من ارض الشام فقال
عليه الصلوة والسلام سلوا حيث شئتم قال ابو هند فنهضنا من عنده
صلى الله عليه وسلم الى موضع نتشاور فيه اين نسال فقال تميم ارى
ان نساله بيت المقدس وكورتها فقال ابو هند رايت ملك العجم اليوم
اليس هو بيت المقدس قال تميم نعم فقال ابو هند فكذلك يكون فيه ملك

ملك العرب واخاف ان لايتم لنا هذا قال تميم نساله بيت حبرون وكورتها
فقال ابو هند اكبر واكبر فقال تميم فاين تري ان نسال قال اري ان نساله القرى
التى نصنع فيها حصونا مع ما فيها من اثار ابراهيم عليه السلام فقال تميم اصبت
ووفقت قال فنهضنا الى رسول الله صلعم فقال يا تميم اتحب ان تخبرني بما كنتم
فيه او اخبركم فقال تميم بل تخبرنا يا رسول الله فنزداد ايمانا فقال عليه السلام
اردت يا تميم امرا واراد هذا غيره ونعم الراي راي ابي هند فدعا رسول الله صلعم
بقطعة من ادم وكتب لها كتابا فيها نسخة بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب
ذكر فيه ما وهب محمد صلى الله عليه وسلم للداريين اذا اعطاه الله الارض وهب
لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم ومن الى الابد شهد عباس
عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب قال ثم دخل بالكتاب
الى منزله فعالج فى زاوية الرقعة بشيء لا يعرف وعقد من خارج الرقعة بسير
عقدتين وخرج الينا مطوية وهو يقول ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه
وهذا النبى والذين امنوا والله ولى المومنين ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا اني
قد هاجرت قال ابو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة
قدمنا عليه وسالناه ان يجدد لنا كتابا اخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله
الرحمن الرحيم هذا ما انطى محمد رسول الله لتميم الداري واصحابه اني انطيتكم
بيت عين وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية

بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم ابدا الابد فمن اذاهم فيه
اذاه الله شهد ابو بكر ابن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن ابي
طالب ومعاوية ابن ابي سفيان وكتب فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف
ابو بكر وجند الجنود الى الشام كتب كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم من
ابي بكر الصديق الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي
لا اله الا هو اما بعد فامنع من كان يومن بالله واليوم الاخر من الفساد فى قرى
الداريين وان كان اهلها قد جلوا عنها واراد الداريون يزرعونها فليزرعوها
واذا رجع اليها اهلها فهى لهم واحق بهم والسلام عليك انتهى نقل من كتاب
اسعاف الاخصا بفضايل المسجد الاقصى وكتب صلى الله عليه وسلم الى الحارث
بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدي وامن بالله وصدق واني ادعوك الى ان تومن
بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وارسله مع شجاع بن وهب فكتب صلى الله
ليوحنه بن روبة صاحب ايله لما اتاه بتبوك وصالح رسول الله صلى الله صلعم
واعطاه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذه امنة من الله ومحمد النبى رسول الله
ليوحنه بن روبة واهل ايله اساقفتهم وسايرهم فى البر والبحر لهم ذمة وذمة
النبى ومن كان معه من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم
حدثا فانه لا يحول ماله من دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل
ان يمنعوه ماء يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا كتاب جهيم بن

الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله وكتب صلى الله عليه وسلم
لاهل جربا واذرح لما اتوه بتبوك ايضا واعطوه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل اذرح انهم امنون بامان الله وامان
محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم
بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجاء اليهم من المسلمين من المخافة وعن
حسين بن عبيد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده ضميرة ان رسول الله صلى الله
مر بام ضميرة وهي تبكي فقال ما يبكيك اجايعة انت ام عارية انت فقالت
يا رسول الله فرق بيني وبين ابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرق
بين الوالدة وولدها ثم ارسل الى الذي عنده ضميرة فابتاعه منه ببكر
قال ابن ابي ذويب ثم اقراني كتابا عنده بسم الله الرحمن الرحيم هذا
كتاب من محمد رسول الله لابي ضميرة واهل بيته ان رسول الله اعتقهم وانهم
اهل بيت من العرب ان احبوا اقاموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
احبوا رجعوا الى قومهم فلا تعرض لهم الا بحق ومن لقيهم من المسلمين
فليستوص بهم خيرا وكتب ابي بن كعب وكتب عليه السلام كتابا الى اهل وج
سياتي في وفد ثقيف من الفصل العاشر من هذا المقصد ان شاء الله تعالى
وكذا كتابه عليه السلام الى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة وكتب عليه
لاكيدر ولاهل دومة الجندل لما صالحه بسم الله الرحمن الرحيم هذا

كتاب

كتاب محمد رسول الله لاكيدر ولاهل دومة ان لنا الضاحية من النخل والبور
والمعامي واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة
من النخل والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا
تحصر عليكم النبات تقيمون الصلوة لوقتها وتوتون الزكوة بحقها عليكم
بذلك حق الله والميثاق ولكم به الصدق والوفا فاشهد الله ومن حضر من المسلمين
والضاحي البارز الظاهر والضحل الماء القليل والبور للارض تستخرج والمعامي
اغفال الارض والحصن دومة الجندل والضامنة النخل الذي معهم في
الحصن والمعين الظاهر من الماء الدايم وباع صلى الله عليه وسلم للعدا عبدا
وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العدا ابن خالد بن هوذة من محمد
رسول الله اشترى عبدا او امة شك الراوي لا داء ولا غيلة ولا خبثة بيع المسلم
رواه ابو داود والدارقطني والغايلة الاباق والسرقة والزنا والخبثة قال
ابن ابي عمرو بيع اهل غير المسلمين وكان اسلام العدا بعد فتح خيبر وهذا يدل
على مشروعية الاشهاد في المعاملات قال الله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم والا
هنا ليس للوجوب فقد باع عليه السلام ولم يشهد واشترى ورهن درعه
عند يهودي ولم يشهد ولو كان الاشهاد امرا واجبا لوجب مع الرهن
خوف المنازعة والله اعلم واما امراوه عليه السلام فمنهم باذان بن ساسان
من ولد بهرام امره صلى الله عليه وسلم على اليمن وهو اول امير في الاسلام

على اليمن واول من اسلم من ملوك العجم وامر صلى الله عليه وسلم على صنعا خالد
سعيد و ولى زياد بن لبيد الانصاري حضرموت و ولى اباموسى الاشعري
زبيد وعدن و ولى معاذ بن جبل الجند و ولى اباسفيان بن حرب نجران وولى
ابنه يزيد تيما و ولى عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية ابن اسيد
بفتح الهمزة وكسر السين مكة واقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان وولى
على بن ابي طالب القضا باليمن و ولى عمرو بن العاص عمان واعمالها و ولى ابابكر
الصديق اقامة سنة تسع وبعث في اثره عليًا فقرا على الناس براة فقيل لان
اولها نزل بعد ان خرج ابوبكر الى الحج وقيل ارد فه به عونا له ومساعدًا ولهذا
قال له الصديق اميرا ومامورًا قال بل مامور واما الرافضة فقالوا بل عزله و
هذا لايبعد من بهتهم وافترائهم وقد ولى عليه السلام الصدقات
جماعة كثيرة واما رسله فقد روي انه عليه السلام بعث ستة نفر في يوم
واحد في المحرم سنة سبع وذكر القاضي عياض في الشفا مما عزاه للواقدي
انه اصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم ستهى وكان اول
رسول بعثه صلى الله عمرو بن امية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وكتب
اليه كتابين يدعوه في احدهما الى الاسلام ويتلوا عليه القران فاخذه
النجاشي ووضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم وشهد
شهادة الحق وقال لو كنت استطيع ان اتيه لاتيه وفي الكتاب الاخر ان يزوجه

ام حبيبة بنت ابي سفيان فزوجه اياها كما تقدم في ذكر الازواج ودعا
بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال
الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين اظهرهم وصلى عليه النبي صلى الله
وهو بالحبشة كذا قاله الواقدي وغيره وبعث دحية بن خليفة الكلبي
وهو احد الستة الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل يدعوه الى الاسلام فهم
بالاسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فامسك وبعث عبدالله السهمي
الى كسرى وهو الثالث وبعث الرابع وهو حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس
فاكرمه وبعث عبدالله الى النبي صلى الله عليه وسلم بجاريتين وكسوة وبغلة
ولم يسلم وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الاسدي الى ملك البلقا الحارث
بن ابي شمر الغساني وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامري الى هوذة
والى ثمامة بن اثال الحنفي فاسلم ثمامة وبعث عمرو ابن العاصي في القعدة سنة
ثمان الى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان فاسلما وصدقا وبعث العلاء بن الحضرمي
الى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل
الفتح فاسلم وصدق وبعث المهاجر بن ابي امية المخزومي الى الحارث بن كلال الحميري
باليمن فقال سانظر في امري وبعث اباموسى الاشعري ومعاذ بن جبل الى اليمن
عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الاول داعيين الى الاسلام فاسلم
غالب اهلها من غير قتال ثم بعث علي بن ابي طالب بعد ذلك اليهم ووافاه

بمكة في حجة الوداع وبعث جرير بن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع وذي عمرو
يدعوهما الى الاسلام فاسلما وتوفي صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم وبعث
عمرو بن امية الضمري الى مسلمة الكذاب بكتاب وبعث الى فروة بن عمرو بن
الجذامي وكان عاملا لقيصر يدعوه الى الاسلام فاسلم وكتب الى النبي صلى الله
عليه وسلم باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة شهباء
يقال لها فضة وفرس يقال لها الضرب وحمار يقال له يعفور وبعث اليه اثوابا
وقباء سندسا مذهبا فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثنا عشر اوقية
وبعث المصدقين لاخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع فبعث عيينة بن
الحصن الفزاري الى بني تميم وبعث بريده ويقال كعب بن مالك الى اسلم وغ
غفار وبعث عباد الى البشر الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الى جهينة
وبعث عمرو بن العاص الى فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الى بني كلاب و
بعث عبد الله بن اللتبية الى ذبيان وبعث رجلا من سعد هذيم الى قومه
الفصل السابع في موذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه اما موذنيه فاربعة
اثنان بالمدينة بلال بن رباحة وامه حمامة مولى ابي بكر الصديق وهو اول
من اذن لرسول الله عليه الصلاة والسلام ولم يوذن بعده لاحد من الخلفاء
الا عمر لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال فتذكر الناس النبي م قال اسلم
مولى عمر فلم ار باكيا اكثر من يومئذ وتوفي بلال سنة عشرة او ثمان عشرة

او عشرين بداريا بباب كيسان وله بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب و
بدمشق وعمرو بن ام مكتوم القرشي الاعمى وهاجر الى المدينة قبل النبي
واذن له عليه السلام بقبا سعد بن عايذ وابن عبد الرحمن المعروف بسعد
القرظ وبالقرظي مولى عمار بقي الى ولاية الحجاج على الحجاز وذلك سنة اربع وسبعين
وبمكة ابو محذورة واسمه اوس الجمحي المكي ابوه معير بكسر الميم وسكون المهملة
وفتح التحتية مات بمكة سنة تسع وخمسين وقيل تاخر بعد ذلك وكان منهم
من يرجع الاذان ويثني الاقامة وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافع
باقامة بلال واهل مكة اخذوا باذان ابي محذورة واقامة بلال واخذ ابو حنيفة
واهل العراق باذان بلال واقامة ابي محذورة واخذ احمد واهل المدينة
باذان بلال واقامته وخالفهم مالك في موضعين اعادة التكبير وتثنية
لفظ الاقامة واما شعراوه عليه السلام الذين يذبون عن الاسلام فكعب
بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري وحسان بن ثابت بن
المنذر بن عمرو بن حرام الانصاري دعا له عليه السلام فقال اللهم ايده
بروح القدس فيقال اعانه جبريل م بسبعين بيتا وفي الحديث ان جبريل م
مع حسان ما نافح عني وهو بالحاء المهملة اى دافع والمراد هجاء المشركين
ومجاوبتهم على اشعارهم وعاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية
وستين في الاسلام وكذا عاش ابوه ثابت وجده المنذر وجد ابيه حرام

كل واحد منهمماية وعشرين سنة وتوفى حسان سنة اربع وخمسين ولما
جاءه عليه السلام بنو تميم وشاعرهم الاقرع ابن حابس فنادوه يا محمد اخرج
الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يزد عليه السلام
على ان قال ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم شان انى لم ابعث بالشعر ولم
اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليه السلام ثابت بن قيس ان يجيب خطيبهم فخطب
فغلبهم فقام الاقرع بن حابس شاعرهم فقال

اتيناك فيما تعرف الناس فضلنا　　اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا روس الناس من كل معشر　　وان ليس في ارض الحجاز كدارم

فامر النبى صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقام فقال

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم　　يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم　　لنا خول ما بين قن وخادم

وكان اول من سلم شاعرهم وكان اشد على الكفار حسان وكعبا ولما رجع عم
من تبوك وفد عليه وفد همدان وعليهم مقطعات الحبرات والعمايم العدنية
جعل مالك النمط يرتجز بين يديه عليه السلام وكان خطيبه عم ثابت بن قيس
بن شماس بمعجمة وميم مشددة واخره مهملة وهو خزرجى شهد له النبى صم
صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان خطيبه وخطيب الانصار واستشهد يوم
اليمامة سنة اثنتى عشرة وكان يحدوا بين يديه عليه السلام فى السفر عبد الله

بن.

بن رواحة وفى رواية الترمذى فى الشمايل عن انس انه عليه السلام دخل مكة فى
عمرة القضية وابن رواحة يمشى بين يديه وهو وقعت المقاسم فاى الامرين
احب اليكم السبى ام المال قالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب احب
الينا ولا نتكلم فى شاة ولا بعير فقال اما الذى لبنى هاشم فهو لكم وسوف
اكلم لكم المسلمين فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى الله عليه وسلم
الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فابلغوا ورغبوا الى المسلمين فى رد سبيهم
ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين
عليه وقال قد رددت الذى لبنى هاشم عليهم وفى رواية ابن اسحق
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وادركه وفد هوازن بالجعرانة وقد اسلموا
فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك
فامنن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله
ان اللواتى فى الحظاير من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتى كن
يكفلنك وانت خير مكفول ثم انشد　　امنن علينا رسول الله فى كرم
فانك المرء نرجوه وندخر　　الابيات المشهورة الاتية ان شاء الله تعالى
وروينا فى المعجم الصغير للطبرانى من ثلاثيات عن زهير بن صرد الجشمى يقول
لما اسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين هوازن وذهب يفرق
السبى والشاء اتيته فانشات اقول هذا الشعر

امنن علينا رسول الله في كرم فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر مشتت شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها واذ يزينك ما تاتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعما اذ كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك نلبسه هادي البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفا الله عما انت راهبه يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله ومن بين الطبراني وزهير لا يعرف لاكن يقوى حديثه بالمتابعة المذكورة فهو حديث حسن وقد وهم من زعم انه منقطع وقد زاد الطبراني على ما اورده ابن اسحق خمسة ابيات

وذكر الواقدي ان وفد هوازن كانوا اربعة وعشرين بيتا فيهم ابو برقان السعدي فقال يا رسول الله ان هذه الحظاير لامهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا من الله عليك فقال استاينت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت السبي وقدم عليه السلام وفد ثقيف بعد قدومه عليه السلام من تبوك وكان من امرهم انه لما انصرف من الطايف قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم هد ثقيفا وايت بهم ولما انصرف عليهم تبع اثره عروة بن مسعود حتى ادركه قبل ان يدخل المدينة فاسلم وساله ان يرجع الى قومه بالاسلام فلما اشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا ثم انهم ايتمروا بينهم وراوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا واسلموا واجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الاحلاف الحكم بن عمرو بن معتب بن مالك وشرحبيل بن غيلان وثلاثة من بني مالك عثمان بن ابي العاص واوس بن عوف وبهز بن خرشه فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد وكان خالد بن سعيد العاصي هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا وكتبوا كتابهم وكان

خالد هو الذي كتبه وكان فيما سالوا رسول الله م ان يدع لهم الطاغية وهي
اللات لا يهدمها ثلث سنين فابى عليهم عليه السلام الا ان يبعث ابا سفيان
بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها وكانوا سالوه مع ذلك ان يعفيهم
من الصلاة وان لا يكسروا اوثانهم الا بايديهم فقال عليه السلام كسروا
اوثانكم بايديكم فاما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه فلما اسلموا
وكتب لهم الكتاب امر عليهم عثمان بن العاص وكان من احدثهم سنا لكنه من
احرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القران فرجعوا الى بلادهم ومعهم
ابو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فلما دخل المغيرة علاها
يضربها بالمعول وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها واخذ المغيرة بعد ان كسرها
مالها وحليها وكان كتاب رسول الله م الذي كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله صلى الله والى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد
يفعل من ذلك شيئا فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ النبي محمدا
وان هذا امر النبي محمد رسول الله فكتب بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدا
احد فيظلم نفسه فيما امر به محمد رسول الله ووج واد بالطايف واختلف فيه
هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره فالجمهور انه ليس في البقاع حرم الا حرم
مكة والمدينة وخالفهم ابو حنيفة في حرم وقال الشافعي في احد قوليه وج
حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين احدهما ما تقدم والثاني

حديث عروة بن الزبير عن ابيه ان النبي م قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم
لله رواه الامام احمد وابو داود لكن في سماع عروة عن ابيه نظر وان كان
قد راه وفي مغازي المعتمر بن سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن الطايفي عن عمه
عمرو بن اوس عن عثمان بن ابي العاصي قال استعملني رسول الله م وانا اصغر
الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك اني كنت قرات سورة البقرة
فقلت يا رسول الله ان القران يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال يا شيطان
اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده اريد حفظه وفي صحيح مسلم عن
عثمان بن ابي العاصي قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي
وقراتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه
واتفل على يسارك ثلثا قال ففعلت فاذهبه الله عني وقدوم وفد بني
عامر عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لما فرغ عليه السلام من تبوك واسلمت
ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب من كل وجه فدخلوا في دين الله افواجا
يضربون اليه من كل وجه فوفد اليه عليه السلام بنو عامر بن الطفيل واربد
بن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن اسلم بن مالك وكان هذا النفر رؤسا القوم
وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يريد ان يغدر به فقال لاربد اذا قدمنا على الرجل فاني شاغل عنك
وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال عليه السلام اللهم
اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا قال عامر لاربد ويحك اين ما كنت امرتك به
فقال والله ما هممت بالذي امرتني به الا دخلت بيني وبينه افاضربك بالسيف
ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله
الله وفي صحيح البخاري ان عامرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخيرك بين
ثلث خصال يكون لك اهل السهل ولي اهل المدر او اكون خليفتك من بعدك
واغزوك بغطفان بالف اشقر والف شقراء فطعن في بيت امرأة فقال اغدة كغدة
البكر في بيت امرأة من بني فلان ايتوني بفرس فركب فمات على ظهر فرسه وقدم
وقدم وفد عبد القيس عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وهي قبيلة كبيرة
يسكنون البحرين ينسبون الى عبد القيس من افصى بسكون الفاء بعدها مهملة
بوزن اعمى ابن دعمي بضم الدال وسكون العين المهملتين وكسر الميم بعدها
تحتانية وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله ص م
فقال من القوم قالوا من ربيعة قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا
رسول الله ان بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر
حرام فمرنا بامر فصل ناخذ به ونامر به من وراءنا وندخل به الجنة قال امركم باربع
ونهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان

الجزء ٢٧

وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن اربع عن الدبا والحنتم والنقير و
المزفت فاحفظوهن وادعوا اليهن من وراءكم قال ابن القيم ففي هذه القصة
ان الايمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك اصحاب
رسول الله ص م والتابعون وتابعوهم كلهم ذكره الشافعي في المبسوط وعلى
ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة ولم يعد الحج من هذه الخصال
وكان قدومهم في سنة تسع وهذا احد ما يحتج به على ان الحج لم يكن فرض بعد و
انه انما فرض في العاشرة ولو كان فرض لعده من الايمان كما عد الصوم والزكاة
انتهى وقد كان لعبد القيس وفادتان احداهما قبل الفتح ولهذا قالوا له ع م
حال بيننا وبينكم كفار مضر وكان ذلك قديما اما في سنة خمس او قبلها و
كانت قريتهم بالبحرين وكان عدد الوفد الاول ثلثة عشر رجلا وقيل كانوا
اربعة عشر راكبا وفيها سألوه عن الايمان وعن الاشربة وكان فيهم الاشج
وكان كبيرهم وقال له ع م ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة
رواه مسلم من حديث ابي سعيد واخرج البيهقي بينما النبي ع م يحدث اصحابه
قال سيطلع عليكم من ههنا ركب هم اهل المشرق فقام عمر نحوهم فلقي ثلثة
عشر راكبا فبشرهم بقوله ع م ثم مشى معهم حتى اتوا النبي ع م فرموا بانفسهم
عن ركائبهم فاخذوا يده فقبلوها الحديث واخرجه البخاري في الادب المفرد فيمكن
ان يكون احد المذكورين غير راكبا ومرتدفا وثانيهما كانت في سنة الوفود وكان

عددهم حينئذ اربعين رجلا كما في حديث ابي خيرة الصباحي عند ابن مندة ويؤيد التعدد ما اخرجه من وجه اخر انه عليه السلام قال لهم ما لي ارى الوانكم تغيرت ففيه اشعار بانه كان راهم قبل التغيير وفي قولهم يا رسول الله دليل على انهم كانوا حين المقابلة مسلمين وكذا في قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله اعلم ويدل على سبقهم الى الاسلام ايضا ما في البخاري ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين وهي قرية لهم وانما جمعوا بعد رجوع وفدهم اليهم قال في فتح الباري فدل على انهم سبقوا جميع القرى الى الاسلام وما جزم به ابن القيم من ان السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لانه لم يكن فرض هو المعتمد وقد قدمت الدليل على قدم اسلامهم لكن جزمه تبعا للواقدي بان قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد لان فرض الحج كان سنة ست على الاصح ولكنه اختار كغيره ان فرض الحج في السنة العاشرة حتى لا يرد على مذهبه انه على الفور شيء وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بان فرض الحج كان بعد الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة ثمان وفي سنة تسع ولم يحج الا في سنة عشر وسياتي في حجة عليه السلام من مقصد عباداته مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فان قلت كيف قال اربع والمذكورات خمس اجاب القاضي عبد الوهاب تبعا لابن بطال بان الاربع ما عدا اداء الخمس قال وكان اراد اعلامهم بقواعد الايمان

وفروض الاعيان ثم اعلمهم بما يلزمهم اخراجه اذا وقع لهم جهاد لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر ولم يقصد الى ذكرها بعينها لانها مسببة عن الجهاد ولم يكن الجهاد اذ ذاك فرض عين قال ولذلك لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض وقال غيره قوله وان تعطوا معطوف على قوله باربع اي امركم باربع وان تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق الاربع والاتيان بان والفعل مع توجه الخطاب اليهم وقال القاضي ابو بكر بن العربي يحتمل ان يقال انه عليه السلام عد الصلوة والزكوة واحدة لانها قرينتها في كتاب الله وتكون الرابعة اداء الخمس او انه لم يعد الخمس لانه داخل في عموم ايتاء الزكوة والجامع بينهما انه اخراج مال معين وقال البيضاوي الظاهر ان الامور الخمسة هنا تفسير للايمان وهو احد الاربعة الموعود بذكرها والثلاثة الاخرى حذفها الراوي اختيارا او نسيانا وتعقب بانه وقع في صحيح البخاري ايضا في رواية امركم باربع شهادة ان لا اله الا الله وعقد واحدة فدل على ان الشهادة احدى الاربع وقال القرطبي قيل ان اول الاربع المامور بها اقام الصلوة وانما ذكر الشهادتين تبركا والى هذا نحا الطيبي فقال عادة البلغاء ان الكلام اذا كان منصوبا لغرض جعلوا سياقه له وطرحوا ما عداه وهنا لم يكن الغرض في الايراد ذكر الشهادتين لان القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة ولكن ربما كانوا يظنون ان الايمان مقصور عليهما كما كان الامر في صدر

الاسلام قال ولهذا لم يعد الشهادتين في الاوامر انتهى ملخصًا من فتح الباري
وقدم عليه الصلوة والسلام وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب فكان
منزلهم في دار امراة من الانصار من بني النجار فاتوا بمسيلمة الى رسول الله يستر
بالثياب ورسول الله جالس مع اصحابه في يده عسيب من سعف النخل فلما
انتهى الى رسول الله وهم يسترونه بالثياب كلمه وساله فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو سالتني هذا العسيب الذي في يدي ما اعطيتك
وذكر حديثه ابن اسحاق على غير ذلك فقال حدثني شيخ من اهل اليمامة
من بني حنيفة ان وفد بني حنيفة اتوا رسول الله وخلفوا مسيلمة في رحالهم
فلما اسلموا ذكروا له مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا
في رحالنا وركابنا يحفظها لنا فامر له رسول الله ع م بما امر به للقوم وقال
انه ليس بشركم مكانا يعني لحفظ ضيعة اصحابه ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة
ارتد عدو الله وتنبا وقال اني شركت في الامر معه ثم جعل يسجع السجعات
فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقران لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة
تسعى من بين صفاق وحشي وسجع اللعين على سورة انا اعطيناك الكوثر
فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل كافر وفي رواية
انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر ان تحرص وتكاثر وفي رواية
انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر ولم يعرف المخذول

انه محروم

انه محروم عن المطلوب وسياتي في اوايل مقصد معجزاته عليه السلام من تسجيع
مسيلمة الركيك مزيد على ما ذكرته هنا ان شاء الله تعالى وقيل انه ادخل
البيضة في القارورة وادعى انها معجزة له فافتضح بنحو ما ذكر ان النوشادر اذا
ضرب في الخل الخمر ضربا جيدا وجعلت فيه بيضة تبيت يومها يوما وليلة
فانها تمتد كالخيط فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فانها
تجمد ولما سمع اللعين ان النبي ع م مج في بئر فكثر ماؤها وتفل في عين علي
وكان ارمد فبرئ فتفل اللعين في بئر فغار ماؤها وفي عين بصير فعمي
ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها ولله در السقراطيسي
حيث يقول ــــــــــــ يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

اعجزت بالوحي ارباب البلاغة في   عصر البيان فضلت اوجه الحيل
سالتهم سورة في مثل حكمته   فتلهم عنه حين العجز حين تلي
فرام رجس كذوب ان يعارضه   بغي غي فلم يحسن ولم يطل
مسبح بركيك الافك ملتبس   ملجلج بزري الزور والخطل
يمج اول حرف سمع سامعه   ويعتريه كلال العجز والملل
كانه منطق الورهاء شذبه   لبس من الخبل او مس من الخبل
امرت البئر واعورت لمجته   فيها واعمي بصير العين بالتفل
وايبس الضرع منه شوم راحته   من بعد ارسال رسل منه منهمل

فشبه الكلام الذي عارض به مسيلمة بكلام امراة و رها وهي الحمقاء
التي تتكلم لحمقها بما لا يفهم فهي تهذي بكلام مشذب اي مختلط لا يقترن
بعضه ببعض ولا يشبه بعضه بعضا ككلام من به خبل بسكون الموحدة
اي فساد او مس من الخيل بفتحتها اي جنون ثم ان اللعين وضع عن قومه
الصلاة واحل لهم الخمر والزنا وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انه نبي وقد كان كتب لرسول الله ء من مسيلمة رسول الله صلى
الي محمد رسول الله اما بعد فاني اشركت معك في الامر وان لنا نصف و
لقريش نصف الامر فقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسوله بهذا
الكتاب فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الي مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وفي الصحيحين
من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله ء
فجعل يقول ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته و قدمها في بشر كثير من قومه فاقبل
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس و في يد النبي صلى الله
عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في اصحاب فقال ان سالتني
هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو امر الله فيك ولئن ادبرت ليعقرنك
الله واني لاراك الذي رئيت فيه ما رايت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني ثم انصرف

قال

قال ابن عباس فسالت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم انك الذي رايت فيه
ما رايت فاخبرني ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رايت
في يدي سوارين من ذهب فاهمني شانهما فاوحى الله الي في المنام ان انفخهما
فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي فهذان هما احداهما
العنسي صاحب صنعا والاخر مسيلمة فان قلت كيف يلتئم خبر ابن اسحاق
مع الحديث الصحيح ان النبي لم يجتمع به وخاطبه وصرح بحضرة قومه انه لو
ساله القطعة من الجريدة من اعطاه فالجواب ان المصير الى ما في الصحيح اولى
ويحتمل ان يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا وكان رئيس بني حنيفة
غيره ولهذا اقام في حفظ رحالهم ومرة متبوعا وفيها خاطبه النبي صلى الله ء
او القصة واحدة وكانت اقامته في رحالهم باختياره انفة منه واستكبارا
ان يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعامله عليه السلام معاملة الكرم
على عادته في الاستيلاف فقال لقومه انه ليس بشركم اي مكانا لكونه كان يحفظ
رحالهم واراد استيلافه بالاحسان بالقول والفعل فلما لم يفد في مسيلمة توجه
بنفسه اليه ليقيم عليه الحجة ويعذر اليه بالانذار والعلم عند الله وقدم
عليه صلى الله عليه وسلم وفد طي وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فعرض
عليهم الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم فقال عليه السلام ما ذكر لي رجل
من العرب بفضل ثم جاءني الا رايته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ

كلما فيه ثم سمّاه زيد الخير فخرج راجعًا الى قومه فلما انتهى الى ماء من مياه نجد
اصابته الحمى فمات قال بن عبد البر وقيل مات فى اخر خلافة عمر وله ابنان مكيف
وحريث اسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال اهل الردة
مع خالد وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد كنده فى ثمانين وستين راكبًا
من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجلوا جممهم وتسلحوا ولبسوا جباب الحبرات
مكففة بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم اولم تسلموا قالوا بلى
قال فما هذا الحرير فى اعناقكم فشقوه فنزعوه والقوه وقدم عليه زاده الله
شرفا الذيه الاشعريون واهل اليمن قيل هو من عطف الخاص على العام
قال الحافظ ابو الفضل شيخ الاسلام بن حجر المراد بهم بعض اهل اليمن وهم وفد
حمير قال ووجدت فى كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق اياس بن عمرو
الحميرى انه قدم وافدًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من حمير
فقالوا اتيناك لنتفقه فى الدين الحديث والحاصل ان الترجمة مشتملة على
طائفتين وليس المراد اجتماعهما فى الوفادة فان قدوم الاشعريين كان مع ابى
موسى فى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان فى سنة تسع
وهى سنة الوفود ولهذا اجتمعوا مع بنى تميم وروى يزيد بن هارون
عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم
هم ارق منكم قلوبًا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون غدًا نلقى

الاحبه محمدًا وحزبه وعن ابى هريرة رض قال سمعت رسول الله يقول جاء اهل
اليمن هم ارق افئدة واضعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية السكينة
فى اهل الغنم والفخر والخيلاء فى الفدادين اهل الوبر قبل مطلع الشمس رواه
مسلم وفى البخارى ان نفرًا من بنى تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا يا بنى تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله
وجاء نفر من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا
ثم قالوا يا رسول الله جئنا لنتفقه فى الدين ونسالك عن هذا الامر فقال
كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وقوله
وجاء نفر من اهل اليمن هم الاشعريون قوم ابى موسى وقدم عليه صلوات الله
وسلامه عليه صرد بن عبد الله الازدى فاسلم وحسن اسلامه فى وفد من
الازد فامره عليه السلام على من اسلم من قومه وامره ان يجاهد بمن اسلم اهل
الشرك من قبايل اليمن فخرج صرد يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى نزل بجرش وبها قبايل من قبايل العرب فحاصرهم فيها قريبًا من شهر
وامتنعوا فيها فرجع عليهم قافلا حتى اذا كان فى جبل لهم وظنوا انه انما
ولى عنهم منهزمًا خرجوا فى طلبه حتى ادركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا
شديدا وكان اهل جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين
منهم فبينما هما عنده عليه السلام عشية فقال لهما عليه السلام ان

بدن الله لنحر عند سكر اي المكان الذي وقع به قتل قومهم قال فجلس الرجلان
الى ابي بكر وعثمان فقالا لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعى لكما
قومكما فخرجا الى قومهما فوجداهم قد اصيبوا في اليوم الذي قال فيه صلى الله
ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه
صلوات الله وسلامه عليه فاسلموا وحمى لهم حول قريتهم وفد بني الحارث
بن كعب قال ابن اسحق بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع
الاخر وجمادى الاولى سنة عشر الى بني الحارث بن كعب بنجران وامره ان يد
يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلثا فان استجابوا فاقبل منهم وان
لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون
في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس اسلموا تسلموا
فاسلم الناس فدخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه وفدهم منهم قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد بن عبد الله
وقال لهم عليه الصلوة والسلام بم كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا كنا
نجتمع ولا نتفرق ولا نبدا احدا بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن الحصين
فرجعوا الى قومهم في بقية من شوال ومن ذي القعدة فلم يمكثوا الا اربعة
اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم

وفد

وفد همدان فيهم مالك بن النمط وضمام بن مالك وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله
مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية على الرواحل
المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه صلى الله عليه وسلم و
ذكر واله كلاما كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه السلام كتابا اقطعهم فيه
ما سالوه وامر عليهم مالك بن النمط واستعمله على من اسلم من قومه وامره
بقتال ثقيف وكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه وروى البيهقي باسناد
صحيح عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى اهل اليمن
يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فاقمنا
ستة اشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب فامره ان يقفل خالدا الا رجلا ممن كان مع خالد ان يعقب
مع علي فلما دنوا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا ثم
تقدم بين ايدينا وقرا عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت
همدان جميعا فكتب علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه فقال
السلام على همدان السلام على همدان واصل الحديث في صحيح البخاري
وهذا اصح مما تقدم ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير على سرحهم
فان همدان باليمن والثقيف بالطايف قاله ابن القيم في الهدي النبوي

وفد مزينة روى البيهقي عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على رسول الله في اربعماية رجل من مزينة فلما اردنا ان ننصرف قال يا عمر زود القوم قال عندي الا شيء من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم قال فانطلق بهم عمر فادخلهم منزله ثم اصعدهم على علية فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت في من خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها وفد دوس وكان قدومهم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر قال ابن اسحق كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله بها فمشى اليه رجال قريش وكان الطفيل رجلا شريفا لبيبا فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا فرق جماعاتنا وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء واخيه وبين الرجل وزوجته وانما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من ان يبلغني شيء من قوله قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله الا ان يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل امياه والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان

قبيحا تركت قال فمكثت حتى انى عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لي كذا فوالله ما برحوا يخوفونني امرك حتى سددت اذني بكرسف ان لا اسمع قولك ثم ابى الله الا ان يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض علي امرك فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القران فلا والله ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا اعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله اني امرؤ مطاع في قومي واني راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي اية قال فخرجت الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح قال اللهم في غير وجهي اني اخشى ان يقولوا مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم قال فتحول فوقع في راس سوطي كالقنديل المعلق وانا اهبط اليهم من الثنية حتى جئتهم واصبحت فيهم فلما نزلت اتاني ابي وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عني يا ابه فلست مني ولست منك قال لم يا بني قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد قال يا بني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال اعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم اتتني صاحبتي فقلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قالت لم قلت فرق الاسلام بيني وبينك وتابعت محمدا عليه السلام قالت فديني دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى

الاسلام فابطا واعلى فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله
انه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسًا ثم قال
ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض
دوس ادعوهم الى الله ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فنزلت
المدينة بسبعين او ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسهم لنا مع المسلمين وهذا يدل على تقدم اسلامه وقد جزم ابن ابي حاتم بانه
قدم مع ابي هريرة بخيبر وكانها قدمته الثانية وقدم عليه صلى الله عليه
وسلم وفد نصارى نجران فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلوتهم
فقاموا يصلون فيه فاراد الناس منعهم فقال عليه السلام دعوهم
فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكبا منهم اربعة
وعشرون رجلا من اشرافهم والاربعة والعشرون منهم ثلثة نفر اليهم
يؤول امرهم العاقب امير القوم وذو رايهم وصاحب مشورتهم واسمه
عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم بتحتانية
ساكنة ويقال شرحبيل وابو الحارث بن علقمة اخو بكر بن وايل قد شرف فيهم
ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من اهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه
وكان يعرف امر النبي صلى الله عليه وسلم شانه وصفته مما علمه من الكتب
المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه وجاهه و

عند

عند اهلها فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وتلى عليهم القران
فامتنعوا فقال ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم وفي البخاري من حديث حذيفة
جاء السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان
يلاعناه يعني يباهلانه فقال احدهما لصاحبه لا تفعل وعند ابي نعيم ان
القايل ذلك هو السيد وعند غيره بل الذي قال ذلك هو العاقب
لانه كان صاحب رايهم وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي ان الذي
قال ذلك شرحبيل فوالله لين كان نبيا فلاعنّاه يعني باهلناه لا نفلح نحن ولا
عقبنا من بعدنا زاد في رواية ابن مسعود عند الحاكم ابدا ثم قالا انا نعطيك
ما سالتنا وابعث معنا رجلا امينا ولا تبعث معنا الا امينا فقال لابعثن
معكم رجلا امينا حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا امين هذه الامة وفي رواية يونس بن بكير انه صالحهم على الفي حلة
الف في رجب والف في صفر ومع كل حلة اوقية وساق الكتاب الذي كتبه لهم
مطولا وذكر ابن سعد ان السيد والعاقب رجعا بعد ذلك واسلما وفي
ذلك مشروعية مباهلة المخالف اذا اصر بعد ظهور الحجة وقد وقع ذلك
لجماعة من العلماء سلفا وخلفا ومما عرف بالتجربة ان من باهل وكان مبطلا
لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة وقدم عليه صلى الله عليه وسلم

رسول فروة بن عمرو الجدايى ملك الروم ودان منزله معان باسلامه
واهدي له بغلة بيضا ولما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى اخذوه
فحبسوه ثم صلبوه على ماء بفلسطين وضربوا عنقه على ذلك الماء وقدم
عليه صلى الله عليه وسلم ضمام بن ثعلبة بعثه بنو سعد بن بكر روى
البخاري من حديث انس بن مالك قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه
وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فاناخه في المسجد ثم عقله ثم قال ايكم
محمد والنبي صلى الله عليه وسلم متكى بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الابيض
المتكى فقال الرجل ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
جيتك فقال اني سايلك فمشدد عليك في المسئلة فلا تجد على في نفسك
فقال سل عما بدا لك فقال اسالك بربك ورب من قبلك الله ارسلك
الى الناس كلهم فقال اللهم نعم قال انشدك بالله الله امرك ان تاخذ هذه الصدقة
من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم نعم
فقال الرجل امنت بما جيت به وانا رسول من وراي من قومي وانا ضمام بن
ثعلبة اخو بني سعد بن بكر وزاد ابن اسحق في مغازيه فقال الله امرك ان
نعبده ولا نشرك به شيا وان نخلع هذه الانداد التي كان اباؤنا يعبدون
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم قال وكان ضمام رجلا جلدا اشعر
ذا غديرتين ثم اتى بعيره واطلق عقاله ثم خرج حتى اتى قومه فاجتمعوا اليه

وكان

وكان اول ما تكلم به بئست اللات والعزى فقالوا مه يا ضمام اتق البرص و
والجنون والجذام قال ويلكم انهما يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث
رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم به واني اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله واني قد جيتكم من عنده بما امركم به ونهاكم عنه فوالله ما
امسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امراة الا مسلما قال ابن عباس فما
مطلب
سمعنا بوافد قوم افضل من ضمام بن ثعلبة وفد طارق بن عبد الله وقومه
روي البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال
اني لقايم بسوق ذي المجاز اذا اقبل رجل وهو رجل يقول يا ايها الناس قولوا
لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول يا ايها الناس
انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم انه
رسول الله قال قلت من هذا الذي يفعل به قالوا هذا عمه عبد العزى قال
فلما اسلم الناس وهاجر واخرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها
فلما دنوا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل في
طمرين له فسلم وقال من اين اقبل القوم قلنا من الربذة قال واين تريدون
قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة
لنا ومعنا جمل احمر مخطوم فقال اتبيعوني جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا صاعا
من تمر فاخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها

قلنا ماصنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا اخذنا له ثمنا قال تقول
المراة التي معنا والله لقد رايت رجلا كان وجهه قطعة القمر ليلة البدر
انا ضامنة لثمن جملكم وفي رواية ابن اسحق قالت الظعينة فلا تلاوموا
لقد رايت وجه رجل لا يغدر بكم ما رايت شيئا اشبه بالقمر ليلة
من وجهه اذ اقبل رجل فقال انا رسول رسول الله اليكم هذا تمركم فكلوا و
اشبعوا واكتالوا واستوفوا فاكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا
المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فادركنا
من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد
السفلى وقدم عليه صلى الله وسلم وفد تجيب وهم من السكون ثلثة عشر
رجلا قد ساقوا معهم صدقات اموالهم التي فرض الله عليهم فسر عليه السلام
بهم واكرم منزلتهم وامر بلالا لا يحسن ضيافتهم ثم جاوا رسول الله م
يودعونه فامر بلالا فاجازهم بارفع مما كان يجيز به الوفود قال هل بقي
منكم احد قالوا خلفناه على رحالنا هو احدثنا سنا قال ارسلوه الينا فلما
اقبل الغلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله حاجتي
كحاجة اصحابي وان كانوا راغبين في الاسلام والله ما اخرجني من بلادي
الا ان تسال الله ان يغفر لي ويرحمني وان يجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام
اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم امر له بما امر به لرجل من اصحابه ثم

انطلقوا

انطلقوا راجعين الى اهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمنى سنة عشر فقال لهم ما فعل الغلام قالوا يا رسول الله ما راينا مثله قط
ولا حدثنا باقنع منه بما رزقه الله لو ان الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها
ولا التفت اليها قدوم وفد بني سعد هذيم من قضاعة وروى الواقدي
عن ابي النعمان عن ابيه من بني سعد هذيم قال قدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وافدا في نفر من قومي فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم
المسجد الحرام فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الاسلام
ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا اصغرنا فبعث عليه السلام في
طلبنا فاتي بنا اليه فتقدم صاحبنا اليه فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول
الله انه اصغرنا وخادمنا فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عليك
قال فكان والله خيرنا واقرانا بدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امره
علينا فكان يؤمنا رجعنا الى قومنا فرزقهم الاسلام وفد بني فزارة قال
ابو الربيع ابن سالم في كتاب الاكتفا ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن
والحر بن قيس بن اخي عيينة بن حصن وهو اصغرهم مقرين بالاسلام و
هم مسنتون على ركاب عجاف فسالهم عليه السلام عن بلادهم فقال

احدهم يا رسول الله اسنتت بلادنا و هلكت مواشينا و اجذب جناننا وعرث عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا و اشفع لنا وليشفع لنا ربك اليك فقال صلى الله عليه و سلم سبحان الله ويلك هذا انما شفعت الى ربي عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات و الارض فهي تيط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال عليه السلام ان الله عز وجل ليضحك من شفقكم و قرب غياثكم فقال الاعرابي يا رسول الله ويضحك ربنا عز وجل قال نعم فقال الاعرابي لن نعدمك من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد المنبر فرفع يديه حتى رئي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعايه اللهم اسق بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء الحديث ورواه ابن سعد والبيهقي ويأتي تمامه ان شاء الله تعالى في الاستسقاء من مقصد عباداته عليه السلام و قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني اسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطلحة بن خويلد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال متكلمهم يا رسول الله انا شهدنا ان الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وجيناك ولم تبعث الينا بعثا فانزل الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم

بل الله

بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين و قدم عليه صلوات وسلامه عليه وفد بهرا من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما انتهوا الى باب المقداد رحب بهم و قدم لهم جفنة من حيث فاكلوا منها حتى نهلوا و ردت القصعة وفيها شيء فجمع في قصعة صغيرة وارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة فاصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا ثم اكل منها الضيف ما اقاموا يرددون يا ابا معبد ذلك عليهم وما تفيض حتى جعلوا يقولون يا ابا معبد انك تنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين فاخبرهم ابو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اكل منها وردها وان هذه بركة اصابعه عليه السلام فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وتعلموا الفرايض واقاموا اياما ثم ودعوا رسول الله فامر لهم بجوايز وانصرفوا الى اهليهم و قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد عذرة في صفر سنة تسع وكانوا اثني عشر رجلا منهم حمزة بن النعمان فرحب بهم عليه السلام فاسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده ثم انصرفوا وقد اجيزوا وقدم عليه سلام الله عليه وفد بلي فاسلموا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اجازهم

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد ذي مرة وكانوا ثلثة عشر رجلا و
رئيسهم الحارث بن عوف فقال لهم عليه الصلوة والسلام كيف البلاد فقالوا
والله انا المسنتون فادع الله لنا فقال عليه السلام اللهم اسقهم الغيث ثم
اتاما ورجعوا بالجايزة فوجدوا بلادهم قد امطرت في ذلك اليوم الذي دعا
لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه زاده الله شرفا اليه
وفد خولان في شعبان سنة عشر وكانوا عشرة فقالوا يا رسول الله مؤمنون بالله
مصدقون برسوله وقد ضربنا اليك اباط الابل وركبنا حزون الارض و
سهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زايرين لك فقال عليه السلام
اما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم في كل خطوة خطاها بعيرا واما قولكم
زايرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيمة ثم قال عليه السلام
ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا بدلنا الله به ما جئت به الا
عجوزا وشيخا كبيرا ان يتمسكان به وان قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى
ثم اعلمهم عليه السلام فرايض الدين وامرهم بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن
الجوار وان لا يظلموا احدا ثم اجازهم ورجعوا الى قومهم وهدموا الصنم
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد محارب عام حجة الوداع وكانوا اغلظ
العرب وافظهم عليه ايام عرضه على القبايل يدعوهم الى لا اله الا الله فجاء عليه السلام
منهم عشرة فاسلموا ثم انصرفوا الى اهليهم وقدم عليه عليه السلام وفد

صدا

صدا في سنة ثمان وذلك انه لما انصرف من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة
في اربعماية وامره ان يطاء ناحية من اليمن فيها صدا فقدم رجل منهم علم بالبعث
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردد الجيش وانا
لك بقومي فرد قيسا ورجع الصدا الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسة عشر رجلا منهم فبايعوه على الاسلام ورجعوا الى قومهم ففشا
فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ماية رجل في
حجة الوداع ذكره الواقدي وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي انه
الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اردد الجيش وقال
كان زياد هذا معه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وانه عليه السلام
قال له يا اخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي فقال صبه فصببته
في قعب ثم وضع عليه السلام كفه فيه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه عينا
تفور وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد غسان في شهر رمضان سنة
عشر كما قال الواقدي وكانوا سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فاسلموا و
شكوا اليه جدب بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وامر لهم بالجوايز ورجعوا
الى بلادهم فدعا لهم فوجدوها قد امطرت في اليوم الذي دعا لهم فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة وقدم عليه صلى الله عليه وسلم
وفد بني عبس فقالوا يا رسول الله قدم علينا قراونا فاخبرونا انه لا اسلام

لمن لا هجرة له ولنا اموال ومواشي فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرونا
فقال عليه السلام اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من اعمالكم شيئا وقدم عليه
وفد غامد سنة عشر وكانوا عشرة فاقروا بالاسلام وكتب لهم كتابا فيه
شرايع الاسلام وامر ابي بن كعب فعلمهم قرانا واجازهم عليه السلام و
انصرفوا وقدم عليه وفد الازد ذكر ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة
وابو موسى المديني من حديث احمد بن ابي الحواري قال سمعت ابا سليمان
الداراني قال حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الازدي قال حدثني ابي عن جدي
قال وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
دخلنا عليه كلمناه اعجبه ما راي من سمتنا وزينا فقال ما انتم قلنا مومنون
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة
قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها امرتنا رسولك ان نومن
بها وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الا ان
تكره منها شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التي امرتكم بها رسلي قلنا
امرتنا ان نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما
الخمس التي امرتكم ان تعملوا بها قلنا ان نقول لا اله الا الله ونقيم الصلاة
ونوتي الزكوة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال
وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخا والصبر عند

البلا

البلا والرضاء بمر القضا والصدق في مواطن اللقا وترك الشماتة بالاعدا
فقال صلى الله عليه وسلم حكما علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا ثم قال
وانا ازيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا
ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شيء انتم عنه غدا زائلون واتقوا
الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون
وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه السلام وعملوا بها
وقدم عليه وفد بني المنتفق روى عبد الله بن الامام احمد في مسند ابيه
عن دلهم بن الاسود عن عاصم بن لقيط ان لقيط بن عامر خرج وافدا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم
بن مالك بن المنتفق فوافيناه صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة
الغداة فقام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا اني قد خبات لكم صوتي
منذ اربعة ايام لتسمعوا اليوم الا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له
اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثم لعله يلهيه حديث
نفسه او حديث صاحبه الا واني مسئول هل بلغت الا اسمعوا تعيشوا الحديث
وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار وفيه ثم قال قلت يا رسول
الله على ما ابايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلوة و
ايتاء الزكوة وان لا تشرك بالله شيئا وقدم صلى الله عليه وسلم وفد النخع

وهم اخر الوفود قدوما عليه وكان قدومهم في نصف المحرم سنة احدى
عشرة في مايتي رجل فنزلوا دار الاضياف ثم جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل فقال رجل منهم له زار
ذ زارة بن عمرو يا رسول الله اني رايت في سفري هذا عجبا قال وما رايت
قال رايت اتانا تركتها كانها ولدت جديا اسفع احوى فقال له رسول الله
هل تركت لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك
قال يا رسول الله ما له اسفع احوى قال ادن مني فدنى منه قال هل بك من
برص تكتمه قال والذي بعثك بالحق نبيا ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك
قال فهو ذلك قال يا رسول الله ورايت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدلجيان
ومسكتان قال ذلك ملك العرب رجع الى احسن زيه وبهجته قال يا رسول الله
ورايت عجوزا شمطا خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا
خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو قال رسول الله
تلك فتنة تكون في اخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتلون
الناس امامهم وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء
فيها انه محسن ويكون دم المومن احلى من شرب الماء ان مات ابنك ادركت الفتنة
وان مت انت ادركها ابنك قال يا رسول الله ادع الله ان لا ادركها فقال رسول الله
اللهم لا يدركها فمات فبقي ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رض انتهى ملخصا

من

من الهدي النبوي والله الموفق وسياتي هذا ان شاء الله تعالى في تعبيره ع م
الرويا من المقصد الثامن المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال
خلقته وجمال صورته وكرمه تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من
الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة الحياة اليه صلى الله عليه وسلم
وفيه اربعة فصول الاول في خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم اعلم ان تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله
تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق ادمي
مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه ايات على ما يتضح من عظيم خلق نفسه
الكريمة وما يتضح من عظيم اخلاق نفسه ايات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس
ولله در قول الابوصيري حيث قال

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كاينة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره وهي غير
منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا
بعضه فلا يكون تاما وفي الاثر ان خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا
فنزل ببعض الاحيا فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال اما اني افصل
فلا فقال الرجل اجمل لحمل فقال الرسول على قدر المرسل وذكر ابن المنير

فى اسرار الاسرا فمن ذا الذي يصل قدره ان يقدر قدر الرسول ويبلغ من الاطلاع
على ما ثور المامول والسول وقد حكى القرطبى فى كتاب الصلوة عن بعضهم انه
قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لم
لما اطاقت اعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم ولقد احسن الابوصيري حيث قال

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى ... للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة وتكل الطرف من امم

وهذا مثل قوله ايضا ... انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

واشار بقوله تظهر الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا ولقد بين عيب التشبيه
بها على الاطلاق ابو النواس حيث قال

يتيه الشمس والقمر المنير ... اذا قلنا كانهما المنير
لان الشمس تغرب حين تمسى ... وان البدر ينقصه المسير

وهذه التشبيهات الواردة فى حقه عليه السلام انما هى على سبيل التقريب و
التمثيل والا فذاته اعلا فاما وجهه الشريف فحسبك ما روي الشيخان من حديث
البرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن ابى
هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى
فى وجهه رواه الترمذي والبيهقي واحمد وابن حبان قال الطيبي شبه جريان
الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون

من

من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القائل

لم لا يضئ بك الوجود وليله ... فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق ... وببدر وجهك كل ليلة مقمر

وفى البخاري سئل البراء كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
السيف فقال لا بل مثل القمر وكان السايل اراد مثل السيف فى الطول فرد
عليه البراء فقال بل القمر اي فى التدوير ويحتمل ان يكون اراد مثل السيف
فى اللمعان والصقال فقال بل فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين
من التدوير واللمعان وفى رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال
له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل
مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وانما قال مستديرا للتنبيه على انه جمع
الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يريد به الطول واللمعان فرده
المسؤول ردا بليغا ولما جرى التعارف ان التشبيه بالشمس انما يراد به غالبا
الاشراق وبالقمر انما يراد به الملاحة دون غيرهما فقوله وكان مستديرا
اشار به الى انه اراد به التشبيه بالصفتين معا الحسن والاستدارة وروى
الترمذي والبيهقي عن على انه نعته صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم كان وجهه تدوير والمكلثم المدور الوجه اي لم يكن شديد
تدوير الوجه بل وجهه تدوير قليل وفى حديث على عند ابى عبيدة فى الغرائب

وكان في وجهه تدوير قال ابو عبيد في شرحه يريد ما كان في غاية التدوير كان
فيه سهولة وهي احلا عند العرب وفي حديث ابي هريرة عند الذهلي في الزهريات
في صفته صلى الله عليه وسلم كان اسيل الخدين قال ابن الاثير الاسالة في الخد
الاستطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة وقال شيخ الاسلام الحافظ بن حجر وهو محمول
على من سال اكان وجهه مثل السيف واخرج البخاري عن كعب بن مالك قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف
ذلك منه اي الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه وقالت عايشة
مسرورا تبرق اسارير وجهه ولذلك قال قطعة قمر وفي حديث جبير بن مطعم
عند الطبراني التفت الينا رسول الله بوجهه مثل شقة القمر فهذا محمول على
صفته عند الالتفات وقد اخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في
بعضها كانه دارة قمر ويسال عن السر في التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد
في كثير من كلام البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد وقد كان كعب بن
مالك قائل هذا من شعراء الصحابة فلا بد في التقييد بذلك من حكمه وما قيل
في ذلك من الاحتراز من السواد الذي في القمر ليس بقوي لان المراد بتشبيهه
ما في القمر من الضيا والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها اقل مما في القطعة
المجردة فكان التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب ان يشبه ببعض القمر وعن ابي بكر
الصديق رض قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر اخرجه ابو

نعيم وروى البيهقي عن ابي اسحق عن امراة من همدان قالت حججت مع رسول الله صلى
قلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله وروى
الدارمي والبيهقي وابو نعيم والطبراني عن ابي عبيدة قال قلت للربيع بنت
معوذ صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لي رايته لقلت الشمس طالعة
وروى مسلم عن ابي الطفيل انه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان ابيض مليح الوجه وما احسن قول سيدي علي بن وفا حيث قال

الا يا صاحب الوجه المليح ... سالتك لا تغيب فانت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني ... رجعت فلا ترى الا ضريحي
بحقك جد لرقك بحبيبي ... وداوي لوعة القلب الجريحي
ورق لمغرم في الحب امسى ... واصبح بالهوى دنفا طريح
محب ضاق بالاشواق ذرعا ... واوى منك للكريم الفسيح

وفي النهاية انه عليه السلام كان اذا سر فكان وجهه المراة وكان الجدر تلاحك
وجهه قال والملاحكة شدة الملاءمة اي يرى شخص الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم
وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وذلك لان
القمر يملأ الارض بنوره ويونس كل من شاهده وهو يجمع النور من غير اذى
ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التي تغشى البصر فتمنع من تمكن الروية و
التشبيه بالبدر ابلغ في العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت كماله كما قال

لو كنت من شيء سوى بشر   كنت المنير كليلة البدر وقد صادف هذا التشبيه تحقيقا فمن اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر طلع البدر علينا من ثنيات الوداع   ولقد احسن من قال كالبدر والكاف ان انصفت زائدة فيه فلا تظننها كاف التشبيه وما احلى قول ابن الحلاوي حيث قال

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه   وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه   لقد بالغوا بالمدح للغصن واشطوا

فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه على ان هذه التشبيهات الواردة في صفاته صلى الله عليه وسلم انما هي على عادة الشعراء والعرب والا فلا شيء في هذه المحدثات تعادل صفاته الخلقية والخُلقية ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش   كم فيه للارواح راح مسكر
سبحان من انشاه من سبحانه   بشرا باسرار الغيوب يبشر
قاسوه جهلا بالغزال تغزلا   هيهات يشبهه الغزال الاحور
هذا وحقك ما له من مشبه   واري المشبه بالغزالة يكفر
يأتي عظيم الذنب في تشبيهه   لولا الرب جماله يستغفر
فخر الملاح بحسنهم وجمالهم   وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلى لكل جميلة   وله منار كل وجه نير

هيهات

جنات عدن في جناجنانه   ود ليله ان المراشف كوثر
هيهات الهوى عن هواه بغيره   والغير في حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام على في اسفاره   كتبا تاول بالهوى وتفسر
فدع الدعي وما ادعاه في الهوى   فدعيه بالهجر فيه يهجر
وعليك بالعلم العليم فانه   لخطيبه في كل خطب منبر

واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ما زاغ البصر وما طغى وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء رواه البخاري وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلما كما يرى في الضوء رواه البيهقي وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاراكم من وراء ظهري رواه البخاري ومسلم وعند مسلم من رواية انس انه صلى الله قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا السجود فاني اراكم من امامي ومن خلفي وعن مجاهد في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال كان صلى الله عليه وسلم يرى من من الصفوف كما يرى من بين يديه رواه الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره وهذه الرؤية رؤية ادراك والرؤية بالنسبة الى القديم

لانتوقف على وجود التها التي هي العين عند اهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة
وهذا بالنسبة الى القديم العالي اما المخلوق فنتوقف صفة الرؤية في حقه
على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق ولهذا كان خرق عادة في حقه عم
وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها قال الحرالي وهذه الاية قد جعلها
الله تعالى دالة على ما في حقيقة امره في الاطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته
لما عرف من ربه لا بنفسه اطلعه الله على ما بين يديه ومما تقدم من امر الله
وعلى ما وراء الوقت مما تاخر من امر الله فلما كان على ذلك من الاحاطة في
ادراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل
ذلك في مدركات العيون فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها
من بين يديه كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى ومن الغريب ما ذكره الزاهدي
بختيار مختار بن محمود شارح القدوري في رسالته الناصرية انه صلى الله عم
كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا تحجبهما الثياب
وقيل بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة امثلتهم
فيها فيشاهد افعالهم وهذا ان كان نقلا عن الشارع عليه الصلاة والسلام
بطريق صحيح فمقبول والا فليس المقام مقام راي على انا لا نقعد في اثبات
معجزة حملها على الادراك من غير آلة والله اعلم وقد ذهب بعضهم الى ان
هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف وعن بعضهم المراد بها العلم اما بان

يوحي الله اليه كيفية فعلهم واما بان يلهم والصحيح والصواب ما تقدم
وقد استشكل على قول من يقول ان المراد بذلك العلم ما ذكره ابن الجوزي في
بعض كتبه بغير اسناد انه صلى الله عليه وسلم قال اني لا اعلم ما وراء جداري
هذا فان صح فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات فكيف يجتمعان واجيب بان الاحاديث
الاول ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلوة ويحمل المطلق منها على المقيد
واما اذا ذهبنا الى الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال لان نفي العلم
هنا عن الغيب وذاك مشاهدة وفي المقاصد الحسنة حديث ما اعلم ما خلف
جداري هذا قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر لا اصل له قلت ولكنه قال
في تلخيص تخريج الرافعي عند قوله في الخصائص ويرى من وراء ظهره كما يرى
من قدامه هو في الصحيحين وغيرهما من حديث انس وغيره والاحاديث
الواردة في ذلك مقيدة بحالة الصلاة وبذلك يجمع بينه وبين قوله لا اعلم
ما وراء جداري هذا انتهى قال شيخنا وهذا مشعر بوروده على تقدير
وروده لا ينافي بينهما لعدم تواردهما على محل واحد فان قيل يشكل على هذا
ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات ووقعت كما اخبر صلى الله
فالجواب ان نفي العلم في هذا ورد على اصل الوضع وهو ان علم الغيب مختص
بالله تعالى وما وقع منه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله
تعالى اما بوحي او الهام ويدل على ذلك الحديث الذي فيه انه لما ضلت ناقته

تكلم بعض المنافقين وقال ان محمدا يزعم انه يخبركم عن خبر السما وهو لا يدري اين
ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله انى لا اعلم الا ما علمني
ربى وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا وكذا حبستها شجرة بخطامها فذ هي
افوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم فصح انه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره
الا ما علمه تبارك وتعالى وذكر القاضي عياض في الشفا انه صلى الله عليه وسلم
كان يري في الثريا احد عشر نجما وعند السهيلي اثنا عشر وفي حديث ابي هالة
واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السما
جل نظره الملاحظة وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ
واما الذي في الانف فالموق والماق وقوله اذا التفت التفت جميعا اراد انه
لا يسارق النظر وقيل لا يلوي عنقه يمنة ويسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل
ذلك الطايش الخفيف ولكن يقبل جميعا ويدبر جميعا قاله ابن الاثير وعن
علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب
الاشفار مشرب العين بحمرة رواه البيهقي وعن جابر بن سمرة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين منهوس القدمين
رواه مسلم والشكلة الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب
واما الشهلة فانها حمرة في سوادها وهذا هو الصواب لا ما فسره به بعضهم
بانه طول شق العين وعند الترمذي في حديث عن علي انه نعت رسول الله صلى

قال كان في وجهه تدوير ابيض مشربا ادعج العينين اهدب الاشفار الحديث
والادعج الشديد سواد الحدقة والاهدب الطويل الاشفار وهي شعر
العين وعنده ايضا عن علي قال كان اسود الحدقة اهدب الاشفار وعن
علي بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن لاخطب يوما على الناس وحبر
من احبار يهود واقف بيده سفر ينظر فيه فلما راني قال صف لي يا ابا القاسم فقلت
ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث وفيه قال علي ثم سكت فقال الحبر
وماذا قلت هذا ما يحضرني قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية ثم قال علي
هذه والله صفته قال الحبر فاني اجد هذه الصفة في سفر ابائي واني اشهد
انه نبي وانه رسول الله الى الناس كافة الحديث واما سمعه الشريف فحسبك
انه قد قال صلى الله عليه وسلم اني اري ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجد لله تعالى رواه الترمذي من رواية ابي ذر وما رواه ابو نعيم عن حكيم
بن حزام بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال لهم تسمعون
ما اسمع قالوا ما نسمع من شيء قال اني لاسمع اطيط السما وما تلام ان تئط
وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد او قايم واما جبينه الكريم
صلى الله عليه وسلم فقد كان واضح الجبين مقرون الحاجبين بهذا وصفه
علي كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين اي واضحه

والقرن اتصال شعر الحاجبين وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال رايت رسول الله عليه السلام فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در القايل

جبينه مشرق من فوق طرته | يتلوا الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته | من فوق نونا تها سينا ظفايره
مكمل الخلق ما تحصى خصايصه | منضر الحسن قد قلت نظايره

وقال ابن ابي هالة ازج الحواجب وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر ثم قال من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اي يمتلئ دما اذا غضب كما يمتلئ الضرع لبنا اذا در قاله في النهاية وعن مقاتل بن حيان قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سوران اني انا الله الحي القيوم الذي لا ازول صدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الراس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه كان عنقه ابريق فضة والنجل الواسع شق العين والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين وما وصفه به ابن ابي هالة مخالف لما في حديث مقاتل بن حيان وما في حديث ام معبد فانها قالت ازج اقرن اي مقرون الحاجبين قال ابن الاثير الاول هو الصحيح

في صفته يعني سوابغ في غير قرن والقنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه وقد وصفه عليه السلام غير واحد بانه كان عظيم الهامة اي الراس كذا في حديث ابن ابي هالة المشهور وقال علي ابن ابي طالب في حديث رواه الترمذي وصححه والبيهقي ضخم الراس وكذا قال انس في رواية البخاري وكان عليه السلام ايضا ضخم الكراديس وهي رؤس العظام كما وصفه به علي في حديث الترمذي وقال ايضا في رواية للترمذي جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين اي عظمها والكتد بفتحتين ويجوز كسر التاء مجتمع الكتفين وكان عليه السلام دقيق العرنين اي اعلا الانف كما وصفه به علي في رواية ابن سعد وابن عساكر وفي رواية ايضا عن ابن عمر من وصف علي ايضا اقنى الانف وفسر بالسايل المرتفع وسطه وقال ابن ابي هالة اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتامله اشم والاشم الطويل قصبة الانف واما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر انه صلى الله كان ضليع الفم يعني واسعه وكذا وصفه به ابن ابي هالة وزاد يفتتح الكلام ويختمه باشداقه يعني لسعة فمه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم وقال شمر عظيم الاسنان وفي حديث عند البزار والبيهقي قال ابو هريرة كان رسول الله اسيل الخدين ووصفه صلى الله عليه وسلم ابن ابي هالة فقال اشنب مفلج

الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحززها والفلج
الاسنان اي متفرقها وقال علي مفلج الثنايا بالموحدة اخرجه بن سعد من حديث
ابي هريرة وعند ابن عساكر عن علي براق الثنايا وعن ابن عباس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رئي كالنور يخرج
من ثناياه رواه الترمذي في الشمايل والدارمي والطبراني في الاوسط
وكان عليه السلام احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم بحر من الشهد
في فيه مراشفه ياقوت صدف فيه جواهره وعن ابي قرصافة قال بايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا وامي وخالتي رجعنا قالت لي امي وخالتي يا بني
ما راينا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا انقى ثوبا ولا الين كلاما ورأينا
كالنور يخرج من فيه واما ريقه الشريف ففي الصحيح عن سهيل بن سعد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا يفتح الله
على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا ان يعطاها قال ابن علي بن
ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كان لم يكن به
وجع الحديث متفق عليه واتى بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب الماء في
البئر او قال مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه احمد وابن

ماجة

ماجة من حديث وايل بن حجر وبزق في بئر دار انس فلم يكن بالمدينة
بئر اعذب منها رواه ابو نعيم وكان عليه السلام يوم عاشورا يدعوا
برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في افواههم ويقول للامهات
لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزيهم رواه البيهقي ودخلت عليه
عميرة بنت مسعود هي واخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه ياكل قديدا
فمضغ لهن قديدة فمضغنها كل واحدة قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن
خلوف رواه الطبراني ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد ان نفث
فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شري فما كان يشم منه اطيب منه
رائحة رواه الطبراني واعطي الحسن لسانه وكان قد اشتد ظماؤه فمصه
حتى روي رواه ابن عساكر ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي

جنى النخل في فيه وفيه حياتنا ... ولكنه من لي بلثم لثامه
رحيق الثنايا والثاني تنفست ... اذا قال عن فتح بطيب ختامه

واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم
افصح خلق الله واعذبهم كلاما واسرعهم اداء واحلاهم منطقا حتى كان
كلامه ياخذ القلوب ويسلب الارواح

ينظم در الثغر نثر مقوله ... فيا حسنه في نثره ونظامه
يناجي فينجي من يناجي من الجوى ... فكل كليم روحه في كلامه

ففصاحة لسانه عليه السلام غاية لا يدرك مداها

منزلة لا يدانى منتهيها وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله
تعالى لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده فهو
ينطق بحكمه عن امره ويبين عن مراده بحقيقة ذكره افصح خلق الله اذا لفظ
وانصحهم اذا وعظ لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا كلامه كله يثمر علما و
يمتثل شرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام احكم منه فى مقالته ولا اجزل منه
فى عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه واقام به الحجة على عباده ببيانه
وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده
وارشاده ان يكون احكم الخلق جنانا وافصحهم لسانا واوضحهم بيانا وقد كان
عليه السلام اذا تكلم بكلام متصل مبين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ
قالت عايشة رضى الله عنها ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم
هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثا
لتفهم عنه وكان يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد م
وقد قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ما لك افصحنا ولم تخرج من بين
قال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظنيها رواه ابو نعيم
وروى العسكرى فى الامثال من حديث على بسند ضعيف جدا قال قدم
بنو نهد على النبى صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه ذكر خطبتهم وما اجابهم
النبى صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا نبى الله نحن بنو اب واحد ونشانا فى بلد

واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبنى
فاحسن تاديبى ونشات فى بنى سعد بن بكر وعن محمد بن عبد الرحمن الزهرى
عن ابيه عن جده قال قال رجل يا رسول الله ايدالك الرجل امراته قال نعم اذا كان
مفلحا فقال له ابو بكر يا رسول الله ما قال لك وما قلت له قال ايماطل الرجل
اهله قلت له نعم اذا كان مفلسا قال ابو بكر يا رسول الله لقد طفت فى العرب
وسمعت فصحاهم فما سمعت افصح منك قال ادبنى ربى ونشات فى بنى سعد رواه
السرقسطى فى الدلائل بسند واه وكذا اخرجه ابن عساكر قال فى القاموس
ودالكه اى ماطله انتهى وقوله مفلحا بضم الميم وفتح الفاء اسم فاعل من
افلح الرجل فهو مفلح اذا كان فقيرا وهو غير مقيس ومثله احصن فهو محصن
واشهب فهو مشهب فى الفاظ شذت والقياس الكسر قاله ابن مرزوق ولكن
قال ابن الاثير لم يجئ الا فى ثلاثة احرف اشهب واحصن والفح وقال غيره
ايدا عب الرجل امراته يعنى قبل الجماع وسماه مطلا لكون غرضها الاعظم الجماع
قال اذا كان عاجزا ليكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمى مفلسا واما ما
يروى انا افصح من نطق بالضاد فقال ابن الكثير لا اصل له انتهى لكن معناه
صحيح والله اعلم وقد حدوا الفصاحة بخلوص الكلمة من التنافر والغرابة
ومخالفة القياس والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف كقوله غدائره
مستشزرات الى العلا فان السين والشين والتاء والزاء كلها متقاربة

المخارج والغرابة كون الكلمة لا تدل على المراد من اول وهلة لاحتمالها معنى
اخر ومخالفة القياس استعمال الكلمة على غير قياس كابقاء وجود المثلين
من كلمة واحدة من غير ادغام كقوله الحمد لله العلى الاجلل والفصاحة
يوصف بها الكلام والكلمة والمتكلم والبلاغة ان يطابق الكلام مقتضى
الحال مع فصاحته والجزالة خلاف الركاكة ففصاحته صلى الله عليه وسلم
الى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية المزية والزيادة التى تصدع القلوب
قبل الاذهان وتقرع الجوانح قبل الاذان مما يروق ويفوق ويثبت
له على سائر البشر الحقوق التى لا تقابل بالعقوق فهو صاحب جوامع الكلم
وبدايع الحكم وقوارع الزجر وقواطع الامر والامثال السايرة والغرر
السايلة والدر المنثورة والدرارى المأثورة والقضايا المحكمة والوصايا
المبرة والمواعظ التى هى على القلوب محكمة والحجج التى للذ الخصما مفحمة
ملجمة وقليل هذا الوصف فى حقه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا
وشرفا لديه وقد روى الحاكم وصححه من حديث ابن عباس ان اهل الجنة يتكلمون
بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى
شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع الناس من كلامه الفرد
الموجز البديع الذى لم يسبق اليه دواوين وفى كتاب الشفا للقاضى
عياض من ذلك ما يشفى العليل كقوله المرء مع من احب وقوله اسلم تسلم

واسلم

واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وقوله السعيد من وعظ بغيره ومما
لم يذكره القاضى رحمه الله قوله عليه الصلوة والسلام انما الاعمال
بالنيات رواه الشيخان وغيرهما وقوله ليس للعامل من عمله الا ما نواه
وتحت هاتين الكلمتين كنوز من العلم ولهذا قال الشافعى رحمه الله تع
حديث الاعمال بالنيات يدخل فى نصف العلم وذلك ان للدين ظاهرا
وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر وايضا فالنية
عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وقال بعض الايمة حديث الاعمال
بالنيات ثلث الدين ووجهه ان الدين قول وعمل ونية وقوله نية المؤمن
خير من عمله رواه الطبرانى لكن قال بعضهم لا يصح رفعه قال رواه
القضاعى عن اسمعيل بن عبد الرحمن الصفار اخبرنا على بن عبد الله الفضل
حدثنا محمد بن الحنفية الواسطى حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول نية المومن ابلغ من عمله
قال وهذا الاسناد لا ضوء عليه ويوسف بن عطية متروك الحديث
ورواه عثمان بن عبد الله الشافعى من حديث النواس بن سمعان وقال
نية المومن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وقال ابن عدى عثمان بن عبد الله الشامى له احاديث
موضوعات هذا من جملتها وقال ابن الجوزى لا يصح رفعه ومعناه ان
النية سر والعمل ظاهر والعمل السر افضل وهو يقتضى ان لو نوى

ان يذكر الله او يتفكر تكون نية الذكر والتفكر خيرا منه وليس بصحيح وقيل ان
النية بمجردها خير من عمله بمجرده دون نية النية وهذا بعيد لان العمل اذا
خلا عن النية لم يكن فيه خير اصلا وقيل النية عمل القلب والعمل الجوارح
وعمل القلب خير من عمل الجوارح فان القلب امير الجوارح وبينه وبينها
علاقة فاذا تالمت تالم القلب واذا تالم القلب تالمت فارتعدت الفرايص
وتغير اللون فان الراعي والجوارح خدمه ورعيته وعمل الملك ابلغ من
عمل رعيته وقيل لما كانت النية اصل الايمان كلها وروحها ولبها والاعمال
تابعة لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها والتي تقلب العمل الصالح فتجعله فاسدا
وغير الصالح تجعله صالحا مثابا وثياب عليها اضعاف ما يثاب على العمل
فلذا كانت نية المومن خيرا من عمله وقوله يا خيل الله اركبي رواه ابو الشيخ
في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير والعسكري عن انس وابن عايذ في
المغازي عن قتادة ولفظه عند ابن عايذ قال ـــــــ بعث رسول الله صلى الله
يومئذ يعني يوم الاحزاب مناديا يا خيل الله اركبي قال العسكري وهذا على
المجاز والتوسع اراد يا فرسان خيل الله اركبي فاختصره وقوله الولد للفراش
وللعاهر الحجر رواه الشيخان وقوله كل الصيد في جوف الفرا وهو بفتح الفاء حمار
الوحش رواه الرامهرمزي في الامثال وسنده جيد ولكنه مرسل ونحوه عند
العسكري وقال جوفا وجنب وقوله الحرب خدعة رواه البخاري ومسلم عن

ابي

ابي هريرة قال سمى النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وليس عند مسلم سمى
وقوله خدعة مثلث الخاء اشهرها فتح الخاء واسكان الدال قال ثعلب وغيره
وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم والثانية ضم الخاء واسكان الدال والثالثة
ضم الخاء وفتح الدال قال النووي اتفق العلماء على جواز خدع الكفار في الحرب
كيف امكن الا ان يكون فيه نقض عهد او امان فلا يحل وقوله واياكم وخضراء
الدمن رواه الرامهرمزي والعسكري في الامثال وابن عدي في الكامل والقضاعي
في مسند الشهاب والديلمي من حديث الواقدي حدثنا محمد بن سعيد بن دينار
عن ابي وجرة يزيد بن عبيد عن عطا بن يزيد الليثي عن ابي سعيد مرفوعا قيل يا رسول
الله وما ذا قال المراة الحسناء في المنبت السوء قال ابن عدي تفرد به الواقدي
ومعناه انه كره نكاح الفاسدة وقال ان اعراق السوء او لادها وتفسير حقيقته
ان النبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا
فاسدا فالدمن جمع دمنة وهي البعرة وانشد زفر بن الحارث
وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا
ومعنى البيت ان الرجلين قد يظهران الصلح والمودة ويطويان على البغضاء والعداوة
كما ينبت المرعى على الدمن وهذا اكثري وكلي في زماننا اشار اليه شيخنا
وقوله والانصار كرشي وعيبتي رواه البخاري اي انهم بطانته وموضع سره
والعيبة كذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته

وقيل اراد بالكرش الجماعة اى جماعتى وصحابتى ويقال عليه كرش من الناس
اى جماعة ووقع فى رواية الترمذي الا ان عيبتى التى اوى اليها اهل بيتى وان
كرشى الانصار وقوله ولا يجنى عن المرء الا يده ولاحمد وابن ماجة من حديث
عمرو بن الاحوص لا يجنى جان الا على نفسه وقوله ليس الشديد من غلب
الناس انما الشديد من غلب نفسه رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه الشيخان
بلفظ الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب يعنى انه
اذا املكها كان قد قهر اقوي اعدايه وشر خصومه ولذا قال اعدى عدو
لك نفسك التى بين جنبيك وهذا من باب المجاز ومن فصيح الكلام لانه لما كان
الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة من الغضب فقهرها
بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه وقوله
ليس الخبر كالمعاينة رواه احمد بن منيع والطبرانى والعسكرى وقوله المجالس بالامانة
رواه العقيلى فى ترجمة حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده عن على رفعه
وعن جابر بن عتيك اذا حدث الرجل ثم التفت فهى امانة ورواه ابو داود فى سننه
والترمذي فى جامعه وابن ابى الدنيا فى الصمت وغيرهم ففى هاتين الكلمتين
من الحمل على آداب العشرة وآداب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن
العهد واصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الاخوان الموقعة
للشنان ما لا يكاد يخفى على مبادى الاذهان وقوله البلاء موكل بالمنطق رواه

ابن

ابن ابى شيبة والبخارى فى الادب المفرد من رواية ابراهيم عن ابن مسعود
ورواه الديلمى عن ابى الدرداء مرفوعا البلاء موكل بالمنطق واورده
ابن الجوزي فى الموضوعات من حديث ابى الدرداء وابن مسعود قال
شيخنا فى المقاصد الحسنة ولا يحسن مع مجموع ما ذكرناه الحكم عليه بالوضع
ويشهد لمعناه قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابى الذي دخل عليه بالوضع
يعوده وقال لا باس طهور فقال الاعرابى بل هى حمى تفور على شيخ كبير تزيره
القبور فقال عليه السلام فنعم اذا وانشد فى معناه

لا تنطقن بما كرهت فربما ... نطق اللسان بحادث فيكون

وقوله عليه السلام ترك الشر صدقة رواه كذا وقوله عليه السلام اي
داء ادوى من البخل رواه البخاري وقوله لا ننتطح فيها عنزان اي لا يجري
فيها خلف ولا نزاع وقوله الحياء خير كله متفق عليه وقوله اليمين الفاجرة
تدع الديار بلاقع رواه فى مسند الفردوس من حديث ابى هريرة وقوله
سيد القوم خادمهم رواه عبد الرحمن السلمى فى آداب الصحبة له عن
عقبة بن عامر رفعه وفى سنده ضعف وانقطاع ورواه غيره ايضا وقوله
فضل العلم خير من فضل العبادة رواه الطبرانى والبزار وقوله الخيل فى
نواصيها الخير متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ
الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيمة وفى لفظ لغيرها مفقود فى نواصيها

وقوله اعجل الاشيا عقوبة البغي رواه كذا وقوله وان من الشعر
لحكما رواه ابو داود من رواية صخر بن عبد الله بن بريدة عن ابيه عن جده سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا
وان من الشعر حكما فقال صعصعة بن صوحان صدق رسول الله اما قوله
ان من البيان لسحرا فالرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر
القوم ببيانه فيذهب بالحق واما قوله ان من العلم جهلا فتكلف العالم الى علمه
ما لا يعلمه فيجهله واما قوله ان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال
التي يتعظ بها الناس ومفهومه ان بعض الشعر ليس كذلك لان من تبعيضية
وفي البخاري ان من الشعر حكمة اي قولا صادقا مطابقا للحق قال الطبري
وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج بقول ابن مسعود الشعر
مزامير الشيطان وعن ابي امامة رفعه ان ابليس لما اهبط الى الارض قال
رب اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر ثم اجاب عن ذلك بانها احاديث واهية
وهو كذلك فحديث ابي امامة فيه علي بن زيد الالهاني وهو ضعيف وعلى
تقدير قوتها فهو محمول على الافراط فيه والاكثار منه ويدل على الجواز احاديث
كثيرة منها ما اخرجه البخاري في الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن ابيه
استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم من شعر امية بن ابي الصلت فانشدته
مائة قافية وقوله الصحة والفراغ نعمتان رواه البخاري وقوله استعينوا

على الحاجات بالكتمان فان كل نعمة محسود رواه الطبراني في معاجيمه الثلاثة
عن معاذ بن جبل رفعه واخرجه الخليعي عن علي مرفوعا استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان بها وقوله المكر والخديعة في النار رواه الديلمي عن ابي هريرة ومعناه
ان ذلك المكر والخداع لا يكون تقيا ولا خائفا لله لانه اذا مكر غدر واذا غدر
خدع واذا فعلهما اوبق وهذا لا يكون في تقي فكل خلة جانبت التقى فهي في
وقوله من غشنا فليس منا رواه مسلم في صحيحه وقوله والمستشار مؤتمن رواه
احمد وغيره ومعناه ان من افضى اليك بسره وامنك على ذات نفسه فقد جعلك
بموضع نفسه فيجب عليك ان تشير عليه الا بما تراه صوابا فانه كالامانة
للرجل الذي لا يأمن على ايداع ماله الا الثقة في نفسه والسر الذي ربما
كان في اذاعته تلف النفس اولى بان لا يجعل الا عند الموثوق به وقوله
الندم توبة رواه الطبراني في الكبير وقوله الدال على الخير كفاعله رواه
العسكري وابن جميع ومن طريقه المنذري عن ابن عباس في حديث مرفوع
بلفظ وكل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان
والمعنى ان من دلك على الخير وارشدك اليه فنلته بارشاده فكانه فعل ذلك
الخير وقوله حبك الشيء يعمي ويصم رواه ابو داود والعسكري من
حديث بقية بن الوليد عن ابي بكر بن عبد الله بن ابي مريم عن خالد بن محمد الثقفي
عن بلال بن ابي الدرداء عن ابيه مرفوعا ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه واين

وابن مريم لم يتهمه احد بكذب ويكفينا سكوت ابى داود عليه فليس بموضوع
بل ولا شديد الضعف فهو حسن قال العسكرى اراد النبى صلى الله عليه وسلم
ان من الحب ما يعميك عن طريق الرشد ويصمك عن استماع الحق وان الرجل
اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل او دين اصمه حبه عن
العدل واعماه عن الرشد ولذا قال بعض الشعراء

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط يبدى المساوى

اشار اليه شيخنا فى المقاصد الحسنة وقوله عليه العارية مؤداة والمنحة
مردودة والدين مقضى والزعيم غارم رواه الترمذى وابو داود
وقوله سبقك بها عكاشة رواه البخارى وقوله عجب ربك من كذا روى
فى عدة روايات عند البخارى وغيره ومعناه كما قاله ابن الاثير عظم
ذلك عنده وكبر لديه اعلم ان الله انما يتعجب الادمى من الشئ اذا عظم
موقعه عنده وخفى عليه سببه فاخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع
هذه الاشياء عنده وقيل معنى عجب ربك اى رضى واثاب فسماه عجبا
مجازا وليس بعجب فى الحقيقة والاول الاوجه وقوله قتل صبرا رواه
غير واحد وقوله ليس المسؤل باعلم من السايل رواه مسلم وغيره وقوله
لا ترفع عصاك من اهلك ادبا رواه احمد اى لا تدع تاديبهم وجمعهم
على طاعة الله يقال شق العصا اى فارق الجماعة وليس المراد الضرب بالعصا

ولكنه

ولكنه جعله مثلا وقيل لا تغفل عن ادبهم ومنعهم من الفساد قاله
ابن الاثير وقوله ان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم رواه البخارى و
ذكره ابن دريد وقال ابن دريد وقال انه من الكلام الوجيز الذى لم يسبق
صلى الله عليه وسلم الى معناه اى كما اثبت الجدول واسناد الانبات
اليه مجاز والمنبت فى الحقيقة هو الله تعالى وليس من للتبعيض وحبطا بفتح
المهملة والموحدة والطاء المهملة ايضا وهو انتفاخ البطن من كثرة الاكل
حتى تنتفخ فتموت ويلم بضم الياء اى يقرب من الهلاك وهو مثل للمنهمك
فى جمع الدنيا المانع من اخراجها فى وجهها وقوله عليه السلام خير المال
عين ساهرة لعين نائمة رواه ... كذا ومعناه عين ماء تجرى ليلا و
نهارا وصاحبها نائم فجعل دوام جريانها سهرا لها وقوله عليه السلام من
ابطا به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم من حديث ابى هريرة وقوله عم
زر غبا تزدد حبا رواه البزار والحارث بن ابى اسامة عن ابى هريرة مرفو
وفى بعض احاديث الباب انه قيل له يا ابا هريرة اين كنت امس قال زرت ناسا
من اهلى فقال يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وقوله انكم لن تسعوا الناس
باموالكم فاسعوهم باخلاقكم رواه ابو يعلى والبزار من طرق احدها حسن بلفظ
انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقوله
الخلق السئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل رواه الطبرانى فى الكبير و

والاوسط والبيهقى وقوله ان الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى
نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى رواه البزار والحاكم
فى علومه والبيهقى فى سننه كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر
عن جابر مرفوعا وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة فى ارساله ووصله وفى
رفعه ووقفه ثم فى الصحابى اهو جابر او عايشة او عمر ورجح البخارى من
حديث ابن المنكدر الارسال ومعناه انه لو بقى فى طريقه عاجزا عن مقصده
لم يقض وطره وقد اعطب ظهره والوغول الدخول فكانه قال ان هذا الدين
مع كونه يسيرا سهلا شديدا فبالغوا فيه بالعبادة لكن اجعلوا تلك العبادة
المبالغة مع رفق فان من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك
ان يمل حتى ينقطع عن الواجبات فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب ويحملها
الى السير على ما لا تطيق رجاء الاسراع فينقطع ظهره فلا هو الذي قطع الارض
التى اراد ولا هو ابقى ظهره سالما ينتفع به بعد ذلك وقوله عليه السلام من
شاد هذا الدين غلبه رواه العسكرى عن بريدة وللبخارى من حديث معن بن محمد
الغفارى عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة مرفوعا ان الدين يسر ولا يشاد
الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة
وشئ من الدلجة وقوله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى رواه الحاكم عن شداد بن اوس وقال

صحيح

صحيح على شرط البخارى وتعقبه الذهبى بابن ابى مريم وهو واه وكذا رواه العسكرى
العسكرى والقضاعى والترمذى وابن ماجة وهو عليه السلام تنكح المراة لجمالها
ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك متفق عليه من حديث
ابى هريرة وقوله الشتاء ربيع المومن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه
رواه البيهقى واحمد وابو نعيم مختصرا والعسكرى بتمامه كلهم من حديث
دراج عن ابى الهيثم عن ابى سعيد وله شواهد وانما كان الشتاء ربيع المومن
لانه يرتع فيه فى بساتين الطاعات ويسرح فى ميادين العبادات وينزه قلبه
فى رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات فان المومن يقدر على صيام نهاره
من غير مشقة ولا تكلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش فان نهاره قصير بارد
فلا يحصل فيه مشقة الصيام وقوله عليه السلام القناعة مال لا ينفد وكنز
لا يفنى كذا رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث المنكدر بن محمد عن ابيه
عن جابر والقضاعى بدون وكنز لا يفنى عن انس وفى القناعة احاديث كثيرة
ولو لم يكن فى القنع الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وكان من دعائه عليه السلام
اللهم قنعنى بما رزقتنى وانشد بعضهم

ما ذا قطع الغنى من لا قنوع له ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا

وقوله عليه السلام الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس
نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم رواه البيهقى فى الشعب والعسكرى

فى الامثال وابن السنى والديلمى من طريقه والقضاعى كلهم من حديث نافع عن
ابن عمر مرفوعًا وضعفه البيهقى لكن له شاهد عند العسكرى من حديث خلاد
بن عيسى عن ثابت عن انس رفعه الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف
الدين وكذا اخرجه الطبرانى وابن لال ومن شواهده ايضًا ما للعسكرى عن
انس رفعه السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امرؤ فى
اقتصاد وللديلمى من حديث ابى امامة رفعه السؤال نصف العلم والرفق
نصف المعيشة وفى صحيح ابن حبان من حديث طويل عن ابى ذر ان النبى صلى الله
قال له يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق
وهذا اللفظ عند البيهقى فى الشعب وله ايضًا والعسكرى عن على مرفوعًا
التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط على اقتصاد اى ما افتقر من انفق
قصدًا ولم يجاوزه الى الاسراف وقوله عم المؤمن من امنه الناس رواه
الترمذى وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر
ما حرم الله متفق عليه عن ابن عمرو بن مرفوعًا وعن ابى موسى ومسلم عن
جابر وقوله قلة العيال من احد اليسارين رواه صاحب مسند الفردوس و
لفظه التدبير نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم
وقلة العيال احد اليسارين وقوله عليه السلام اد الامانة الى من ائتمنك
ولا تخن من خانك رواه ابو داود والترمذى من رواية شريك وقيس

بن الربيع كلاهما عن ابى صالح والحارث من رواية الحسن كلاهما عن ابى هريرة
وقال الترمذى حديث حسن غريب واخرجه الدارمى فى مسنده والدارقطنى
والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم ولكن اعله ابن حزم وكذا ابن القطان
والبيهقى وقال ابو حاتم انه منكر وقال الشافعى انه ليس بثابت عند اهله وقال
احمد هذا حديث باطل لا اعرفه عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجه صحيح
قال شيخنا لكن بانضمامهما يقوى الحديث انتهى وقوله الرضاع يغير الطباع
رواه ابو الشيخ من حديث ابن عمر وقوله عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة
له ولا دين لمن لا عهد له رواه احمد وابو يعلى فى مسنديهما والبيهقى
فى الشعب عن انس وقوله النساء حبائل الشيطان رواه فى مسند الفردوس
عن عقبة بن عامر وقوله عليه السلام حسن العهد من الايمان رواه
الحاكم فى مستدركه عن عائشة قالت جاءت عجوزة الى النبى صلى الله عليه وسلم
عندى فقال لها من انت قالت جثامة المزنية قال انت حسانة كيف انتم
كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بابى انت فلما خرجت قلت يا رسول
الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال قال انها تاتينا زمن خديجة وان حسن
العهد من الايمان وقال انه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة وقوله
صلى الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة رواه القضاعى من حديث الاوزاعى
والعسكرى من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر كلاهما عن محمد بن المنكدر

عن جابر مرفوعًا واخرجه ايضا الخطيب وابن طاهر وفي اسناده احمد بن عبد
الرحمن بن الحارود البرقي والديلمي من حديث جابر رفعه الجمال صواب المقال
والكمال حسن الفعال بالصدق وعند العسكري من حديث العباس قلت
يا نبي الله ما الجمال في الرجل قال فصاحة لسانه وقوله عليه السلام منهومان
لا يشبعان طالب عالم وطالب الدنيا رواه الطبراني في الكبير والقضاعي
عن ابن مسعود وهو عند البيهقي في المدخل على القاسم قال قال ابن مسعود
منهومان لا يشبعان طالب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان اما صاحب
الدنيا فيتمادي في الطغيان واما صاحب العلم فيزداد من رضى الرحمن
وقال انه موقوف منقطع وكذا رواه البزار والعسكري وغيرهما ومجموعها
يتقوي وان كانت مفرد انه ضعيفة والله اعلم وقوله عليه السلام الذنب
لا ينسي والبر لا يبلي والديان لا يموت فكن كما شئت رواه في مسند
الفردوس عن ابن عمر وقوله عليه السلام ما جمع شئ الى احسن من حلم الي
الي علم رواه العسكري في الامثال من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي
بن الحسين عن علي مرفوعا بزيادة وافضل الايمان التحبب الى الناس ثلاث من
لم يكن فيه فليس مني ولا من الله حلم يرد به جهل الجاهل وحسن الخلق يعيش
به في الناس وورع يحجزه عن معاصي الله وعنده ايضا من حديث جابر مرفوعًا
ما اوى شئ الي شئ احسن من حلم الى علم وصاحب العلم غرثان الى حلم

وقول

وقوله عليه السلام التمسوا الرزق في خبايا الارض رواه في جزو
يحيى عن ابن ابي شريح والمراد الزرع وانشدوا في ذلك
تتبع خبايا الارض وادع مليكها   لعلك يومًا ان تجاب فترزقا
وقوله عليه السلام كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد
نفسك من اهل القبور رواه البيهقي في الشعب والعسكري من حديث
مرفوعا في حديث واخرجه البخاري والترمذي وغيرهم وقوله عليه
السلام صنايع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفي غضب
الرب وصلة الرحم تزيد في العمر خرجه الطبراني في الكبير بسند حسن
وقوله عليه السلام العفو لا يزيد العبد الا عزا والتواضع لا يزيد الا
رفعة وما نقص مال من صدقة روى مسلم ما نقصت صدقة من مال
وروى مسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ولا تواضع
احد لله الا رفعه الله وروي القضاعي عن ابي سلمة عن ام سلمة مرفوعا
ما نقص مال من صدقة ولا عفى رجل من مظلمة الا زاده الله تعالى بها عزا و
روى الديلمي من حديث ابي هريرة مرفوعًا والذي نفس محمد بيده لا ينقص مال
من صدقة ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله عليه السلام اللهم
اعوذ بك من شر فتنة الغنى رواه ابو داود والترمذي والنسايي وابن
ماجة وقوله عليه السلام ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر و

وان الاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل
الباطل فكونوا ابناء الاخرة ولاتكونوا ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها
رواه ابو نعيم في الحلية من حديث شداد وقوله عليه السلام اخسر الناس
صفقة من اذهب اخرته بدنيا غيره رواه كذا وعند ابن النجار من حديث
عبد الله بن عامر عن ابيه اخسر الناس صفقة رجل اخلق يديه في اماله و
لم تساعده الايام على امنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة
وقوله عليه السلام من كنوز البر كتمان المصايب رواه كذا
وقوله عليه السلام اليمين حنث او ندم رواه ابو يعلى وابن ماجة الا
انه قال الحلف وقوله لاتظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك
رواه الترمذي من حديث مكحول عن واثلة وقال حسن غريب وعند الطبراني
ايضا وفي رواية لابن ابي الدنيا فيرحمه الله يدل فيعافيه الله روى
الترمذي مرفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله وقوله عليه السلام
لابي هريرة جف القلم بما انت لاق قال صاحب المنة بشرح الاخبار المحيي السنة
هو كناية عن جريان القلم من المقادير وامضائها والفراغ منها فان
الفراغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده فهو من اطلاق
اللازم على الملزوم وهذا اللفظ لم يوجد في كلام العرب بل هو من الالفاظ
التي لم تهتد اليها البلغا بل اقتضتها الفصاحة النبوية وقوله عليه السلام

اليوم

اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار رواه
وقوله عليه السلام من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له
على الله الجنة رواه جماعة منهم العسكري به وفي البخاري والترمذي عن
سهل بن سعد بلفظ من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة
والمراد بما بين لحييه اللسان وما ياتي به النطق وما بين رجليه الفرج وقال
الداودي ما بين اللحيين الفم فتينا ول الاقوال والاكل والشرب وساير
ما ياتي بالفم وفي لفظ من توكل لي ما بين فقميه ورجليه اتوكل عليه
له بالجنة والفقم بالضم والفتح اللحي وفي لفظ اخر من تكفل لي تكفلت
له وللديلمي بسند ضعيف عن انس رفعه من وقي شر قبقبه وذبذبه
ولقلقه وجبت له الجنة ولفظ الاحياء وقي يعني البطن من القبقبة و
هو صوت يسمع في البطن وكانها حكاية ذلك الصوت ويجوز ان يكون
كناية عن اكل الحرام وشبهه والذكر واللسان فهذا واشباهه مما يعسر
استقصاؤه يدلك على ذلك انه صلى الله عليه وسلم قد حاز من الفصاحة
وجوامع الكلم درجة لايقاس بها غيره وحاز مرتبة لايقدر فيها قدره
صلى الله عليه وسلم وجماعة من وجوه بلاغته ما ذكروا انه جمع متفرقات
الشرايع وقواعد الاسلام في اربعة احاديث وهي حديث انما الاعمال
بالنية رواه الشيخان وحديث الحلال بين والحرام بين رواه مسلم وحديث

البيّنة على من المدّعى واليمين على من انكر وحديث لايكمل ايمان المرء حتى
يحبّ لاخيه مايحبّ لنفسه رواه الشيخان فالحديث الاوّل يشتمل العبادات
والثانى على ربع المعاملات والثالث على ربع الحكومات وفصل الخصومات
والرابع على ربع الاداب والمناصفات ويدخل التحذير من الجنايات قال
ابن المنير ومما عدا يضا من انواع بلاغته كلامه عليه السّلام مع كل ذى لغة
بليغة بلغته اتساعا فى الفصاحة واستخداما للالفة فكان صلى الله عليه وسلم
يخاطب اهل الحضر بكلام الين من الدّهن وارق من المزن ويخاطب اهل البدو
بكلام ارسى من الهضب وارهف من العضب فانظر الى دعائه لاهل المدينة
وقد سالوه ذلك فقال اللّهمّ بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم
ومدّهم وفى حديث اخر بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك
لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدّنا اللّهمّ انى ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك
ابراهيم لمكة ومثله معه ثم انظر دعاءه لبنى نهد وقد وفدوا عليه فى
جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدى يشكو الجدب فقال اتيناك يارسول
الله من غورى تهامة باكوار الميس ترتمى بنا العيس نستحلب الصّبير ونستخلب
البرير ونستخيل الرّهام ونستجيل الجهام من ارض غائلة النّطا غليظة الوطا
قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك
الهدى ومات الودى برئنا اليك يارسول الله من الوثن والعنن ومايحدث

الزمن لنا دعوة السّلام وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام تعار ولنا
نعم همل اغفال ماتبل ببلال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللّهمّ بارك
لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له
الثمد وبارك له فى المال والولد من اقام الصّلوة كان مسلما ومن اتى الزكاة
كان محسنا ومن شهد ان لا اله الّا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك
ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحيوة ولا تتثاقل عن الصّلوة
ثم كتب معه كتابا الى بنى نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
رسول الله الى بنى بن زيد السّلام على من امن بالله عز وجل ورسوله لكم يا
بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب
والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا
الرماق ولا تاكلوا الرباق من اقر بما فى هذا الكتاب فله من الله الوفا بالعهد
والذمة ومن ابى فعليه الربوة وتحتاج هذه الالفاظ البالغة اعلى انواع
البلاغة الى التفسير فالميس شجرة صلب تعمل منه اكوار الابل ورحالها ونستحلب
بالحاء المهملة والصّبير بفتح الصّاد المهملة وكسر الموحدة هو سحاب ابيض
متراكب متكاثف اى نستدرّ السّحاب ونستخلب بالخاء المعجمة الخبير بالخاء المعجمة
ايضا ثم الموحدة النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه
واحتشاشه بالمخلب وهو المنجل والخبير يقع على الوبر والزرع والاكار

قاله ابن الاثير وتستعضد البرير اي نقطعه ونجنيه من شجره للاكل وهو بموحدة
وراءين بينهما مثناة تحتية ثمر الاراك اذا اسود وبلغ وقيل هو اسم له في
كل حال وكانوا ياكلونه في الجدب ونستخيل بالخاء المعجمة الرهام بكسر الراء وهي
الامطار الضعيفة واحدتها رهمة اى نتخيل الماء في السحاب القليل وقيل الرهمة
اشد وقعا من الديمة ونستجيل بالجيم اي نراه جايلا تذهب الريح هاهنا وهاهنا
والجهام بالجيم اى السحاب الذي فرغ ماؤه ومن روى نستخيل بالخاء المعجمة فهو
نستفعل من خلت من خال اذا ظننت اراد لا نتخيل في السحاب حالا الا المطر
وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه ومن رواه بالحاء المهملة وهو الا شهر
اراد لا ينظر من السحاب في حال الا الى جهام من قلة المطر وارض غائلة بالغين
المعجمة والنطا بكسر النون اي مهلكة للبعد يقال بلد نطي اي بعيد ويروى
المنطى وهو مفعل منه والمدهن نقرة في الجبل والجعثن بالجيم والمثلثة اصل
النبات ويقال اصل الصليان خاصة وهو نبت معروف والعسلوج بضم
العين وبالسين المهملتين اخره جيم وهو الغصن اذا يبس فذهبت طراوته
وقيل هو القضيب الحديث الطلوع يريد ان الاغصان يبست وهلكت
من الجدب وجمعه عساليج والاملوج بالضم والجيم ورق شجر يشبه الطرفا
والسرو وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان وقيل هو نوى
المقل وفي رواية وسقط الاملوج ومن البكارة بالكسر جمع البكر بالفتح

يريد ان السمن الذي قد علا بكارة الابل بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها
فسماه باسم المرعى اذ كان سببا له وهلك الهدي بفتح الها وكسر الدال المهملة
والتشديد كالهدى بالتخفيف وهو ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر
فاطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا تسمية للشيء ببعضه يقال كم هدي
بني فلان اى كم ابلهم ومات الودي بالتشديد فسيل النخل يريد هلكت الابل
ويبست النخيل وبرئنا اليك من الوثن والعنن الوثن الصنم والعنن الاعتراض
يقال عن الى الشيء اى اعترض كانه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل اراد
به الخلاف والباطل وما طما البحر اى ارتفع بامواجه وتعار بكسر التاء المثناة
الفوقية يصرف ولا يصرف اسم جبل ولنا نعم همل اي مهملة لا رعاء
لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي كالضالة والابل الاعقال لا لبن
فيها وقوله عليه السلام محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة اي
خالص لبنها ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن واخذ زبده ومذقها
بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف اي ممزوج بالماء وابعث راعيها في الدثر
بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب
والنبات الكثير واجزل له الثمد بفتح المثلثة الماء القليل اى صيره كثيرا
وودايع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق يقال توادع الفريقان
اذا اعطى كل واحد منهم عهده للاخر لا يغزوه وقيل ما كانوا استودعوه

من اموال الكفار الذين لم يدخلوا فى الاسلام اراد احلالها لهم لانها مال
كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط و وضايع الملك جمع وصعة وهي
الوظيفة التي تكون على الملك وهى ما يلزم الناس في اموالهم من الزكاة
والصدقة اى الوظايف التي تلزم المسلمين لا تتجاوز عنكم و لا نزيد عليكم
فيها شيا و لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاآن الاولى
مكسورة والثانية مجزومة على النهي اي لا تمنعها و لا تلحد فى الحيوة بضم
المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة اخره دال مهملة اي
لا تمل عن الحق ما دمت حيًّا قال بعضهم كذا رواه القتيبي لا تلطط ولا
تلحد على النهي للواحد ولا وجه له لانه خطاب للجماعة و رواه غيره ما لم يكن عهد
ولا موعد ولا تثاقل عن الصلوة ولا تلطط فى الزكاة و لا تلحد فى الحيوة
قال الحافظ ابو السعادات الجزري وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع
على ما قبله و قوله ولا تثاقل عن الصلوة اى لا تتخلف و الوظيفة الحق
الواجب والفريضة اي الهرمة المسنة اى لا تاخذ فى الصدقات هذا الصنف
كما انا لا ناخذ خيار المال و الفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة
والفرش بفتح الفاء اخره شين معجمة وهى من الابل كالنفسا من بنات
ادم اى لكم خيار المال وشراره ولنا وسطه و ذو العنان بكسر العين
سير اللجام والركوب بفتح الراء اى الفرس المذلول و الضبيس بفتح المعجمة

الموحدة

الموحدة اخره مهملة المهر العسر الصعب امتن عليهم بترك الصدقة فى الخيل
جيدها و رديها و لا يمنع بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين
المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح من المواشي اى لا يدخل عليكم
احد فى مراعيكم ولا يعضد طلحكم اى لا يقطع ولا يحبس دركم اى لا يحبس ذوات
الدر عن المرعى الى ان تجتمع الماشية ثم تعد وانا منعنا ان ناخذها لما فى ذلك
من الاضرار والاماق بالميم اى ما لم تضمروا الغيظ والبكا مما يلزمكم من
الصدقة قاله فى القاموس وقال الزمخشري المراد اضمار الكفر والعمل على
ترك الاستبصار فى دين الله وفى رواية الرماق بالراء والميم اى النفاق
يقال رامقت رماقا وهو ان تنظر اليه شزرا نظر العداوة يعني ما تضيق
قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق اي ضيق وعيش رمق ومرمق اي يمسك
الروح و رمق بقية الروح واخر النفس و تاكلون الرباق بكسر الراء و
بالموحدة المخففة اى الا ان تنقضوا العهد واستعار الاكل لنقض العهد لان
البهيمة اذا اكلت الربق وهو الحبل يجعل فيه عرى وتشد به خلصت من الرباط
والربوة بكسر الراء وفتحها وضمها اي الزيادة يعني تقاعد عن اعطاء
الزكوة فعليه الزيادة من الفريضة عقوبة له فانظر الى هذا الدعا و
الكتاب الذي انطبق على لغتهم وجاد وزاد عليها فى الجزالة والبداوة
اين هذا من كتابه عليه الصلوة والسلام لانس فى الصدقة واين ذلك

من كتابه بين قريش والانصار انهم امة واحدة دون الناس من قريش على
رباعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى ويفكون عانيهم بالمعروف
والقسط بين المومنين وان المومنين المتقين ايديهم على من بغى عليهم
او ابتغى دسيعة ظلم وان سلم المومنين واحد على سواء وعدل بينهم
وان كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا ومن اعتبط مومنا قتلا فهو
قود الا ان يرضى ولى المقتول ومن ظلم واثم فانه لا يوقع الا نفسه و
اولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن لدا روى مختصرا من حديث ابن شهاب
وقوله دسيعة ظلم اى عظيمة من الظلم ورباعتهم امرهم القديم الذي
كانوا عليه ويتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى ان يكونون على ما كانوا عليه
من اخذ الديات جمع معقلة واعطائها وهو تفاعل من العقل والمعاقل
جمع معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التى كانوا عليها اى مراتبهم وحالاتهم
ولا يوقع اي لا يهلك ويعقب بعضهم بعضا اي يكون الغزو بينهم
نوبا فاذا خرجت طايفة ثم عادت لم تكلف ان تعود ثانية حتى تعقبها غيرها
واين هنا اللين فى القول وقرب الماخذ فى اللفظ على طريق الحاضرة وعرف
الجمهور المشهور من كتابه لذى المشعار الهمداني لما لقيه وفد همدان
مقدمه من تبوك فقال مالك بن نمط يا رسول الله نصية من همدان
من كل حاضر وباد اتوك على قلوص نواج متصلة بحبايل الاسلام لا تاخذهم

في

في الله لومة لايم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم من سنة
ماحل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف واهل
جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدهم ذي المشعار ملك بن نمط ومن اسلم من
قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
ياكلون علافها ويرعون عفاها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن
والكبش الحوري وعليهم فيه الصالغ والقارح قوله نصية من كل حاضر
وباد قال ابن الاثير النصية من ينتصى من القوم اي يختار من نواصيهم وهم
الروس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع اذناب
واتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة والنواج
السراع وقوله متصلة بحبايل الاسلام اى عهوده واسبابه وخارف
بالخاء المعجمة ويام بالمثناة التحتية قبيلتان ولا ينقض عهدهم عن سنة
ماحل اي لا ينقض بسعى ساع بالنميمة والافساد كما يقال لا افسد ما بيني
وبينك بمذاهب الاشرار وطرقهم فى الفساد والسنة الطريقة والسنن
ايضا والعنقفير ما قام بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف
الداهية اي لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية تنزل ولعلع جبل

وماجري اليعفور بفتح التحتية الخشف ولد البقرة الوحشية وقيل هو تيس
الظباء والجمع اليعافير والياء زائدة ويصلح بضم الضاد المهملة وتشديد
الارض التي لانبات فيها وقوله ء م واهل جناب الهضب بكسر الجيم اسم موضع
وحقاف الرمل اسماء بلاد هم وفراعها بكسر الفا وبراء وعين مهملة اي
ما علا من الجبال او الارض ووطاها بكسر الواو وبطاء مهملة الموضع المطمئنة
واحدها واهط وبه سمي الوهد وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطايف
وقيل الوهد قرية بالطايف كان الكرم المذكور بها وعزازها بفتح العين
المهملة ثم زائين مخففتين ما صلب من الارض واشتد وخشن وانما يكون
في اطرافها وتاكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع
علف وهو ما تاكله الماشية وعفاءها بفتح المهملة وتخفيف الفا وبالمد
اي المباح ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز قال في المجمل
نتاج الابل والبانها والانتفاع بها وصرامهم بكسر الصاد المهملة و
تخفيف الراء اي من نخلهم والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة
الناقة الهرمة التي طال نابها والفصيل بالمهملة الذي ينفصل عن امه والفارض
بالفا المسن من الابل والداجن بالمهملة والجيم الدابة التي تالف البيوت
والكبش الحوري بالحاء المهملة ثم واو مفتوحتين فراء مكسورة الذي في
صوفه حمرة والصالغ بالصاد والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تمت

اسنانها

اسنانها والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذي دخل
في السنة الخامسة انتهى وهذا من جنس كتابه لقطن بن حارثة العليمي من
كلب هذا كتاب من محمد لعماير كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام من غيرهم
مع قطن بن حارثة العليمي باقام الصلوة لوقتها وايتاء الزكوة بحقها
في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة
منهم دحية بن خليفة الكلبي عليهم من الهمولة الراعية البساط الظئار
في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المايرة لهم لاغية وفي الشوي
الوري مسنة حامل وحايل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر
وفي العثري شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق
شهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس وتفسير غريبه
ان قوله ومن ظاره الاسلام بالظاء المعجمة والهمز اخره هاء اي عطفه عليه
وعليهم في الهمولة بفتح الهاء هي التي ترعى بانفسها ولا تستعمل فعولة بمعنى
مفعولة والبساط التي معها اولادها والظئار ان تعطف الناقة على
غير ولدها والحمولة المايرة لهم لاغية يعني الابل التي تحمل عليها الميرة
وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يوخذ منها زكوة لانها عوامل وفي
الشوي بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة و
الوري السمينة ومن هنا النمط كتابه صلى الله عليه وسلم لوايل بن حجر

بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وذكر الفرايض فقال في التبعة شاة لامقورة الالياط والاضناك وانطوا
الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا م بكر فاصقعوه ماية واستوفضوه عاما
ومن زنا م ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض
وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال وفسر الاقيال وهو بالقاف والمثناة
التحتية ملوك اوروسا الذين دون الملوك والعباهلة بالمهملة المفتوحة وبالموحدة
الذين اقروا على ملكهم لا يزالون والارواع بفتح الهمزة وسكون الراء اخره عين
مهملة جمع رايع وهم ذو والهيات الحسان الوجوه والمشابيب بفتح الميم
والشين المعجمة وبائين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الروس
الروس الحسان الوجوه وفي التبعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية
وبالعين المهملة اربعون من الغنم وفي القاموس والنهاية ادنى ما يجب
فيه الصدقة من الحيوان ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف وتشديد
الواو والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام اخرها طاء مهملة اى لامسترخية
اللحم لكونها هزيلة ولاضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضدها وهي المكتنزة
اللحم وانطوا بقطع الهمزة اى اعطوا والثبجة بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات
وقد تكسر الموحدة اى اعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من
رذالته وفي السيوب بضم المهملة واخره موحدة اى الركاز قاله الهروى

وقيل هو المال المدفون في الجاهلية او المعدن ومن زنا م بكر بكسر الراء
بلا تنوين لان اصله من البكر لكن اهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهي
ساكنة وادغمت النون فيها والمراد بالبكر الحبس وقال ابن الاثير اى من بكر
ومن ثيب فقلبت النون الساكنة ميما اما مع بكر فلان النون اذا سكنت قبل
الباء فانما تقلب ميما في النطق نحو عنبر وشنبا واما مع غير الباء فانها لغة
يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف انتهى فاصقعوه بهمزة وصل
واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة اى اضربوه و
استوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة اى غربوه وانفوه
فضرجوه بالضاد المعجمة وتشديد الراء وبالجيم وبالاضاميم بفتح الهمزة
والضاد المعجمة اى دموه بالضرب بجماهير الحجارة ولا توصيم بصاد مهملة
مكسورة اى لا كسل عن اقامة الحدود ولا غمة بضم المعجمة وتشديد الميم
اى لا يستر ولا يخفى ولا يترفل بتشديد الفاء المفتوحة يتسود ويترأس استعارة
من ترفيل الثوب وهو اسباغه واسباله وقريب من هذا كتابه صلى الله عليه
وسلم لاكيدر واهل دومة كما قدمته في مكاتباته ام وقال عليه السلام
في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة
قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان هنا من خصايصه
صلوات الله عليه ان يكلم كل ذي لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب

وتركيب الفاظها واساليبها كلمها وكان احدهم لايتجاوز لغته وان سمع لغة غيره
فكالعجمية يسمعها العربي وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهيه
وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الخليقة سودا وحمرا والكلام
باللسان يقع في غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلما بغير لغته الا قاصرا في
الترجمة نازلا عن صاحبا لاصالة في تلك اللغة الا نبينا وسيدنا محمدا كما تقدم
فانه زاده الله تكريما وشرفا تكلم في كل لغة من لغة العرب افصح
وانصع بلغاتها منها بلغة نفسها وجدير به ذلك فقدا وتي في ساير القوى
البشرية المحموده زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس
ما لا يضبطه قياس ولا يدخل في تحقيقه الباس انتهى واما صوته الشريف
فعن انس قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه وحسن الصوت
حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه وحسن الصوت
رواه ابن عساكر وروي نحوه من حديث علي بن ابي طالب وروى انه كان اذا
تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه وقد كان صوته عليه السلام يبلغ حيث لا تبلغه
صوت غيره فعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق
في خدورهن رواه البيهقي وقالت عايشة رضى الله عنها جلس صلى الله عليه
وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة
وهو في بني تميم فجلس في مكانه رواه ابو نعيم وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمي

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت اسماعنا وفي لفظ ففتح
الله اسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا رواه ابن سعد و
عن ام هانى قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند
الكعبة وانا على عريشي رواه ابن ماجة واما ضحكه صلى الله عليه وسلم ففي
البخاري عن عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم اي ما رايته مستجمعا
من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته على الضحك واللهوات
بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي باعلى الحنجرة من اقصى الفم وهذا لا ينافيه
ما في حديث ابي هريرة في قصة المواقع اهله في رمضان فضحك صلى الله عليه
وسلم حتى بدت نواجذه رواه البخاري وهي بالجيم والذال المعجمة الاضراس
ولا تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عايشة انما نفت رؤيتها
وابو هريرة اخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافي وقد قال اهل اللغة
التبسم مبادي الضحك والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور
فان كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة والا فالضحك
وان كان بلا صوت فهو التبسم وقال ابن ابي هالة جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام اي يبدي اسنانه ضاحكا
وحب الغمام البرد هاله جل ضحكه قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الاحاديث
انه صلى الله عليه وسلم كان في معظم احواله انه لا يزيد على التبسم وربما

زاد على ذلك فضحك قال والمكروه من ذلك انما هو الاكثار منه والافراط فيه لانه يذهب الوقار قال ابن بطال والذي ينبغي ان يقتدي من فعاله ما واظب عليه من ذلك وقد روي البخاري في الادب المفرد وابن ماجة عن ابي هريرة رفعه لاتكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال ابو هريرة واذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ في الجدر رواه البزار والبيهقي اي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحائط اي يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه بل كان اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه وكان بكاؤه عليه السلام من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره ازيز يبكي لميت وخوفا على امته وشفقة ومن خشية الله وعند سماع القران واحيانا في صلاة الليل قاله في الهدي النبوي وقد حفظه الله من التثاوب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن ابي شيبة عن يزيد بن الاصم ما تثاءب النبي قط لكن في رواية عن ابن ابي شيبة ما تثاءب نبي قط واما يده الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن الكفين كما سيأتي اي غليظ اصابعهما وبانه عبل الذراع رحب الكفين وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر بن سمرة قال فوجدته

عين

ليده

ليده بردا او ريحا اخرجها من جونة عطار رواه مسلم وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي لقد كنت اصافح رسول الله او يمس جلدي جلده فاتعرفه بعد في يدي وانه لاطيب رائحة من المسك وقال يزيد بن الاسود ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي ابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك رواه البيهقي وعن المستورد بن شداد عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخذت بيده فاذا هي الين من الحرير وابرد من الثلج رواه الطبراني ودخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن ابي وقاص بمكة يعوده واشتكى قال فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل الي اني اجد برد يده على كبدي حتى الساعة رواه مسلم وفي البخاري من حديث انس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من باب عطف الخاص على العام لان الديباج نوع من الحرير قيل وهذا الوصف في هذا الحديث يخالف ما وقع في حديث ابن ابي هالة عند الترمذي في صفته صلى الله عليه وسلم فان فيه كما تقدم كان شثن الكفين والقدمين اي غليظهما في خشونة وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما وهكذا وصف عايشة له عند ابن ابي خيثمة فالجمع بينهما ان المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته قال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتليه لحما غير انها مع ضخامتها

كانت لينة كما فى حديث انس قال واما قول الاصمعى الشثن غلظ الكف فى خشونة
فلم يوافق على تفسيره بالخشونة والذى فسره به الخليل اولى قال وعلى تسليم ما
فسره به الاصمعى الشثن يحتمل ان يكون انس وصف حالتى كف النبى صلى الله عليه
وسلم فكان اذا عمل بكفه فى الجهاد او فى مهنة اهله صار كفه خشنا للعارض
المذكور واذا ترك ذلك رجع كفه الى اصل جبلته من النعومة وقال القاضى
عياض فسر ابو عبيد الشثن بالغلظ مع القصر وتعقب بانه ثبت فى وصفه عم
انه كان سايل الاطراف انتهى ويؤيد كونها كانت لينة قوله فى رواية النعمان
كان سبط الكفين بتقديم المهملة على الموحدة فانه موافق لوصفها باللين والتحقيق
فى الشثن انه كان الغلظ من غير قصر ولا خشونة وقد نقل ابن خالويه ان الاصمعى
لما فسر الشثن بما مضى قيل له انه ورد فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم انه
لين الكف فالى على نفسه ان لا يفسر شيئا فى الحديث انتهى وفى حديث معاذ عند الطبرانى
والبزار اردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى سفر فما مسست
شيئا قط الين من جلده صلى الله عليه وسلم واصيب عايذ بن عمرو فى وجهه يوم
حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبى صلى الله عليه وسلم الدم
بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان اثر يده عليه السلام الى منتهى ما مسح
من صدره غرة سايلة كغرة الفرس رواه الحاكم وابو نعيم وابن عساكر واخرج
البخارى فى تاريخه والبغوى وابن منده فى الصحابة من طريق صاعد بن العلاء ابن بشر عن

ابيه

ابيه عن جده بشر بن معاوية انه قدم مع ابيه معاوية بن ثور على رسول الله عم
فمسح راسه ودعا له بالبركة فكانت فى وجهه مسحة النبى كالغرة وكان لا يمسح
شيئا الا برأ ومسح صلى الله عليه وسلم راس مدلوك ابى سفيان فكان ما مرت
يده عليه اسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخارى فى تاريخه والبيهقى
وكذا وقع له عليه السلام فى راس السايب رواه البغوى والبيهقى وابن منده
واخرج البيهقى وصححه والترمذى وحسنه عن ابى زيد الانصارى قال مسح
عليه السلام بيده على راسى ولحيتى ثم قال اللهم جمله قال فبلغ بضعا ومائة
سنة وما فى لحيته بياض ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات
ومسح عليه السلام راس حنظلة بن خذيم بيده وقال له بورك فيك فكان يؤتى
بالشاة الوارم ضرعها والبعير والانسان به الورم فيتفل فى يده ويمسح بصلعته
ويقول بسم الله على اثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه ثم يمسح
موضع الورم فيذهب الورم رواه احمد والبخارى فى التاريخ وابو يعلى
وغيرهم وقد جاء فى عدة احاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه قال
رايت رسول الله يرفع يديه فى الدعاء حتى رايت بياض ابطه وقال الطبرى و
من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون
غيره اى الا هو عليه السلام ومثله للقرطبى وزاد انه لا شعر عليه لكن نزع فيه صاحب
شرح تقريب الاسانيد وقال انه لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه قال والخصايص

لا يثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر
وقد قال عبد الله بن اقوم الخزاعي وقد صلى معه صلى الله عليه وسلم كنت
انظر الى عفرة ابطيه حسنه الترمذي والعفرة بياض ليس بالناصع كما قاله
الهروي وغيره وسياتي مزيد لذلك في الخصايص ان شاء الله تعالى وعن رجل من
بني حريش قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال علي من عرق ابطه مثل
ريح المسك رواه البزار ووصفه علي فقال ذو مسربة وفسر بخيط الشعر بين
الصدر والسرة وقال ابن ابي هالة دقيق المسربة وعند ابن سعد عن علي
طويل المسربة وعند البيهقي له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب
ليس على صدره ولا على بطنه غيره ووصفت بطنه ام هاني فقالت ما رايت
بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض
رواه الطيالسي والطبراني وقال ابو هريرة كان ابو صلى الله عليه وسلم ابيض
كانما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن عظيم مشاش المنكبين وتقدم ان
المشاش هي روس العظام كالركبتين ومفاض اي واسع وخرج الامام احمد عن
محرش الكعبي وقيل مستوي البطن مع الصدر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم
الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وكان صلى الله عليه وسلم بعيد
ما بين المنكبين رواه البخاري اي عريض الصدر ووقع عند ابن سعد من حديث
ابي هريرة رحب الصدر واما قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم فاعلم ان

القلب

القلب مضغة في الفواد معلقة بالنياط فهو اخص من الفواد قاله الواحدي
وسمي به لتقلبه بالخواطر والعزوم قال الشاعر
وما سمي الانسان الا لانسه ... ولا القلب الا انه يتقلب
وقال الزمخشري مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه الاتري
الى ما روي ابو موسي الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا
القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر قال والفرق بينه
وبين الفواد ان الفواد وسط القلب سمي لتفوده اي توقده وفسر الجوهري
القلب بالفواد ثم فسر الفواد بالقلب قال الزركشي والاحسن قول غيره
الفواد غشا القلب والقلب حبه وسويداوه ويويد الفرق قوله صلى الله
عليه وسلم الين قلوبا وارق افيدة وهو اولى من قول بعضهم انه كرر
لاختلاف اللفظ وقال الراغب يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به كالعلم
والشجاعة وقيل حيثما ذكر الله القلب فاشارة الى العقل والعلم كقوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيثما ذكر الصدر فاشارة الى ذلك
والى ساير القوي من الشهوة والغضب ونحوها انتهى قال بعض العلما وقد
خلق الله تعالى الانسان وجعل له قلبا يعقل عنه وهو اصل وجوده اذا
صلح قلبه صلح سايره واذا فسد قلبه فسد سايره وجعل سبحانه القلوب
محل السر والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فالق

قلبا وادعه قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول خلق وصور تم صلى الله
عليه وسلم اخر صورة ظهرت من صورة الانبيا فهو اولهم واخرهم وقد جعل
الله تعالى اخلاق القلوب للنفوس اعلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله
اتسعت اخلاقه لجميع ما خلق الله وكذلك جعل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
جسمانية اختص بها من بين ساير العالمين فتكون علامات اختصاص جسمانيته
ايات دالة على احوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه وتكون علامات عظيم
اخلاقه ايات على سر قلبه المقدس ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم اوسع
قلب اطلع الله عليه كما ورد في الخبر كان هو الاولى ان يكون هو قلب العبد الذي
يقول فيه تعالى ما وسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن
ولما كان كماله قبل الاسرا بمنزلة ساير ما وسعني ارضي ولا سماي النبيين كان صدره
بضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وقد
صح ان جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة فقال له هذا خط الشيطان
منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه واعاده في مكانه قال انس
لقد كنت ارى اثر المخيط في صدره رواه مسلم وانما خلقت هذه العلقة
في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الانسانية فخلقها تكملة
للخلق الانساني فلا بد منها ونزعها امر رباني طرا بعد ذلك قاله السبكي و
عند احمد وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين

فقال

فقال احدهما ائتيني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتيني بماء برد فغسلا به
قلبي ثم قال ائتيني بالسكينة فذرها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه
وختم عليه بخاتم النبوة وفي رواية البيهقي ان ملكين جاآني في صورة
كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح احدهما صدري ومج الاخر
بمنقاره فيه وعن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما ابتديت به من امر النبوة
قال اني لفي صحراء امشي ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما
لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فلصقاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني
وكان احدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال
احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له
وجعا ثم قال شق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج
شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرافة والرحمة قلبه فادخل شيئا كهيئة
الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذر عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت
فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورقتي للكبير رواه عبد الله بن الامام
احمد في زوايد المسند وابو نعيم وقال تفرد به معاد عن ابيه وتفرد بذكر
السن وعند ابي نعيم في حديث يونس بن ميسرة فاستخرج حشوه جوفي
فغسلها ثم ذر عليها ذرورا ثم قال قلب وكيع يعي ما وقع فيه عينان بصيرتان
واذنان سميعان وانت محمد رسول الله المقفي الحاشر قلبك سليم ولسانك

صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قيم وانت قثم وهذا الشق روي انه
وقع له عليه السلام مرات مرة في حال طفوليته ارهاصا وتقديم المعجزة على
البعثة جايز للارهاص ومثل هذا في حق الرسول عليه السلام كثير وبه
يجاب عن استشكال وقوع ذلك في حال طفوليته لانه من المعجزات ولا يجوز
ان يتقدم على النبوة قاله الرازي والذي عليه اكثر اهل الاصول اقتران المعجزة
بالدعوى كما نبهت عليه في اوايل الكتاب ويأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى
في المقصد الرابع وهو المراد بقوله الم نشرح لك صدرك وقد قيل المراد
بالشرح في الاية ما يرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا في ذلك وجوها
منها انه لما بعث الى الاحمر والاسود من جني وانسي اخرج تعالى عن قلبه جميع
الهموم وانفسح صدره حتى اتسع لجميع المهمات فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي
البوس والفرج منشرح الصدر مشتغل باداء ما كلف فان قلت لم قال
الم نشرح لك صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل الوسوسة الصدر كما
قال تعالى يوسوس في صدور الناس وازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي
الخير هي الشرح لا جرم خص ذلك بالصدر دون القلب وقد قال
محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان
فيجيء الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا دخل مسلكا اغار فيه وانزل
جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب ولا يجد

الطاعة

للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء حصل الامن و
زال الضيق وانشرح الصدر ويتيسر له القيام باداء حقوق العبودية وههنا
دقيقة قال الله تعالى حكاية عن موسى رب اشرح لي صدري وقال لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك اعطي بلا سؤال ثم انه تعالى نعته عليه
السلام فقال وسراجا منيرا فانظر الى هذا التفاوت فان شرح الصدر هو ان
يصير قابلا للنور والسراج المنير يقتبس منه النور والفرق بينهما واضح قال
الدقاق كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لي صدري ونبينا
صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له الم نشرح لك صدرك والله اعلم
واما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال الراوي قلت لانس اوكان يطيقه
قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رواه البخاري وعند الاسماعيلي عن معاذ
قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال اهل الجنة وعن انس مرفوعا
يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع قلت يا رسول الله او يطيق
ذلك قال يعطى مائة قال الترمذي صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة
الا من حديث عمران القطان فاذا ضربنا اربعين في مائة بلغت اربعة الاف
وذكر ابن العربي انه كان صلى الله عليه وسلم القوة الظاهرة على الخلق في
الوطي وكان له في الاكل القناعة ليجمع الله له الفضيلتين في الامور الاعتبارية

كما جمع له الفضيلتين في الامور الشرعية حتى يكون حاله كاملاً في الدارين انتهى
وطاف عليه السلام على نسائه التسع ليلة رواه ابن سعد وروي انه عليه السلام
قال اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلاً في الجماع رواه
ابن سعد حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسامة بن زيد عن صفوان بن سليم مرسلاً
وروي من حديث ابي هريرة شكى رسول الله الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل
حتى تلألأ مجلس رسول الله من بريق ثنايا جبريل فقال له اين انت عن اكل الهريسة
فان فيه قوة اربعين رجلا ومن حديث حذيفة بلفظ اطعمني جبريل الهريسة
اشد بها ظهري واتقوي بها على الصلوة رواه الدارقطني ومن حديث جابر بن
سمرة وابن عباس وغيرهم وكلها واهية بل صرح الحافظ ناصر الدين في جزء له
سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة بانه موضوع وروي انه عم اعطي قوة
بضع واربعين رجلا كل من اهل الجنة رواه الحارث بن ابي اسامة وقد حفظه
الله من الاحتلام فعن ابن عباس قال ما احتلم نبي قط وانما الاحتلام من
الشيطان رواه الطبراني واما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه
غير واحد بانه كان شثن القدمين اي غليظ اصابعهما رواه الترمذي
وغيره وعن ميمونة بنت كردم قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
نسيت طول اصبع قدميه السبابة على ساير اصابعه رواه احمد والطبراني
وعن جابر بن سمرة كانت خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة

رواه

رواه البيهقي وقد اشتهر على الالسنة ان سبابة النبي صلى الله عليه وسلم
كانت اطول من الوسطى قال الحافظ ابن حجر وهو غلط ممن قاله وانما ذلك في ذلك
في اصابع رجليه انتهى وقال شيخنا في المقاصد الحسنة وسلف جمهورهم الكمال
الدميري وهو خطاء نشاء عن اعتماد رواية مطلقة وعبارته كذا رواه ابن
هارون عن عبد الله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم انها سمعت ميمونة ابنة كردم
تخبر انها رات اصابع النبي كذلك فضم ما وقع فيها من اطلاق الاصابع الى كون
الوسطى من كل اطول من السبابة وعين اليد منه صلى الله عليه وسلم لذلك
بناء على ان القصد ذكر وصف اختص به صلى الله عليه وسلم عن غيره ولكن
الحديث في مسند الامام احمد من حديث يزيد بن هارون المذكور المقيد
بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على ساير اصابعه
وهو عند البيهقي ايضا في الدلائل من طريق يزيد بن ولفظها رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة وهو قائم على ناقته وانا مع ابي فاخذ بقدمه فاقر له
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة
على ساير اصابعه وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطى بقدمه
وطى بكلها ليس له اخمص رواه البيهقي وعن ابي امامة الباهلي قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطاء على قدمه كلها رواه ابن عساكر وقال
ابن ابي هالة خمصان الاخمصين مسيح القدمين قال ابن الاثير الاخمص من القدم

الموضع الذي لا يلصق بالارض منها عند الوطئ والخمصان المبالغ منه اي زد
الموضع من اسفل قدميه شديد التجافي عن الارض وسئل ابن الاعرابي عنه
فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدًا ولم يستو اسفل القدم جدًا فهو
احسن ما يكون واذا استوي او ارتفع جدًا فهو ذم فيكون معني ان اخمصه معتدل
الخمص بخلاف الاول ووقع في حديث ابي هريرة اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له
اخمص وقوله مسيح القدمين اي ملسا وان لينتان ليس فيهما تكسر ولا اشقاق
فاذا اصابها الماء سا عنهما كما قال ابن ابي هالة ينبو عنهما الماء وهو حديث
ابي هريرة وعن عبد الله بن بريدة كان صلى الله عليه وسلم احسن البشر واما طوله
صلى الله عليه وسلم فقال علي كان صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو
الى الطول اقرب رواه البيهقي وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا و
فوق الربعة اذا جاء مع القوم غمرهم رواه عبد الله بن الامام احمد وعن ابي هريرة
كان صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول اقرب رواه البزار وقوله ربعة
اي مربوعا والتانيث باعتبار النفس وقد فسر في الحديث الاتي بانه ليس بالطويل
البائن ولا بالقصير والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة
قال ابن ابي هالة اطول من المربوع واقصر من المشذب وهو بمعجمتين مفتوحتين
ثانيهما مشدد اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن
بالطويل الممغط وهو بتشديد الميم الثانية المتناهي الطول وامط امغط النهار

اذا امتد ومغطت الحبل اذا مددته واصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت
ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه وعن عايشة قالت لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب
الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول
الا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما
فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر و
البيهقي وزاد ابن سبع في الخصايص انه كان اذا جلس يكون كتفه اعلا من جميع
الجالسين ووصفه ابن ابي هالة بانه بادن متماسك اي معتدل الخلق كان اعضاءه
يمسك بعضها بعضا واما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة
قال سالت انسا عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين
لا رجل ولا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه وفي رواية قال
كان رجلا ليس بالسبط ولا الجعد بين اذنيه وعاتقه وفي اخري الى انصاف
اذنيه رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وعن عايشة قالت كنت اغتسل
انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكان له شعر فوق الجمة ودون
الوفرة رواه الترمذي وابو داود والوفرة الشعر الواصل الى شحمة الاذن
وقال ابن ابي هالة ايضا كان رجل الشعر وهو بفتح الراء وكسر الجيم اي يتكسر قليلا في خلاف
السبط والجعد ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو

ومر والعقيقة بالقاف شعر رأسه الشريف يعني ان انفرقت بنفسها فوقها والا
تركها معقوصة ويروى ان انفرقت عقيصته بالصاد وهي الشعر المعقوصة و
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون
يفرقون رؤسهم وكان اهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة
اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق صلى الله عليه وسلم راسه رواه الترمذي
في الشمايل وفي صحيح مسلم نحوه وسدل الشعر ارساله والمراد هنا ارساله على
الجبين واتخاذه كالقصة واما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض قال العلما
والفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق
والسدل لكن الفرق افضل وعن عايشة كان له صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة
ودون الوفرة رواه الترمذي وفي حديث انس كان اذا اذنيه وفي حديث
البراء يضرب منكبين منكبيه وفي حديث ابي رمثة يبلغ الى كتفيه او منكبيه وفي رواية
ما رايت من ذي لمة احسن منه والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة
ما نزل الى شحمة الاذنين واللمة التي لمت بين المنكبين قال القاضي عياض والجمع بين
هذه الروايات ان ما يلي الاذن هو الذي يبلغ شحمة اذنيه وما خلفه هو الذي
يضرب منكبيه قال وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات فاذا غفل عن تقصيرها
بلغت المنكب واذا قصرها كانت الى انصاف الاذنين وكانت تطول وتقصر بحسب
ذلك وعن ام هاني بنت ابي طالب قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

علينا مكة قدمة وله اربع غداير رواه الترمذي في الشمايل والغداير بالغين
المعجمة والدال المهملة هي الذوايب وحدتها غديرة وفي مسلم عن انس كان في
لحيته عليه السلام شعرات بيض وفي رواية عنده لم ير من الشيب الا قليلا
وفي اخرى له ايضا لو شيت ان اعد شمطات كن في راسه ولم يخضب عليه
السلام انما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الراس نبذ بضم
النون وفتح الباء الموحدة وبفتح النون واسكان الموحدة اي شعرات متفرقة وفي
رواية اخرى ما شانه الله ببيضا قال الشيخ عبد الجليل في شعب الايمان
فيما حكاه عنه الفاكهاني انما كان كذلك لان النسا يكرهن الشيب غالبا و
من كره من النبي شيئا فقد كفر وقال في النهاية قد تكرر في الحديث جعل الشيب
ههنا عيبا وليس بعيب فانه قد جاء في الحديث انه وقار وانه نور والشيب
ممدوح وذلك عجيب منه لا سيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان
يجمع بينهما ووجه الجمع انه عليه السلام لما راى ابا قحافة وراسه كالثغامة
امرهم بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلما علم انس ذلك من عادته قال
ما شانه الله ببيضاء بناء على هذا القول وحملا له على هذا الراي ولم يسمع الحديث
الاخر ولعل احدهما ناسخ للاخر انتهى وفي رواية ابي جحيفة عنده رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضا ووضع الراوي بعض اصابعه على عنفقته
وفي حديث انس عند البيهقي ما شانه الله بالشيب ما كان في راسه ولحيته الا سبع

عشرا او ثمان عشرة شعرة بيضا وعن ابي جحيفة كان ابيض قد شمط رواه البخاري
وفي الصحيحين ان ابن عمر راي النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة وفي
عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضاء رواه الترمذي
وروي ايضا عن ابن عباس قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود
والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفي حديث جابر
عنده لم يكن في راسه عليه السلام شيبا الا شعرات في مفرق راسه اذا ادهن
واراهن الدهن وفي رواية البيهقي اسود اللحية حسن الشعر واختلف العلماء
هل خطب عليه السلام ام لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب
مالك وقال النووي المختار انه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر
كل بما راي وهو صادق قال وهذا التاويل كالمتعين فحديث ابن عمر في الصحيحين
ولا يمكن تركه ولا تاويل له واما اختلاف الروايات في قدر شيبه فالجمع بينهما
انه راي شيئا يسيرا فمن اثبت شيبه اخبر عن ذلك اليسير ومن نفاه اراد لم يكثر
فيه كما قال في الرواية الاخري لم ير من الشيب الا قليلا انتهى وعن جابر بن سمرة
كان صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم راسه ولحيته وكان اذا ادهن لم
يتبين فاذا شعث راسه تبين وكان كثير شعر اللحية رواه مسلم والنسائي
وعن انس كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن راسه ويسرح لحيته رواه البغوي
في شرح السنة وقد وصفه عليه السلام ابن ابي هالة بانه كان موصول ما بين اللبة

والسرة

والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوي ذلك شعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر وعن انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه وطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل رواه مسلم وسياتي
ان شاء الله تعالى قضية حلق راسه الشريف في حجة الوداع ولم ير وانه عليه السلام
حلق راسه الشريف في غير نسك حج او عمرة فيما علمته فيبقيه الشعر في الراس سنة
وسنكرها مع علمه يجب تاديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته ورايت بمكة
المشرفة في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وثمان مائة شعرة عند الشيخ ابي الحامد
المرشدي شاع وذاع انها من شعره م رزقها صحبة المقام العزيز خليل العباسي
والي الله احسنا عليه وعن محمد بن سيرين قال العبيدة عندنا من شعر النبي م
اصبناه من قبل انس او من قبل اهل انس قال لان تكون عندي شعرة منه
احب الي من الدنيا وما فيها رواه البخاري وعن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده انه عليه السلام كان ياخذ من لحيته من عرضها وطولها رواه الترمذي
وقال الحديث غريب واخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال كان النبي صلى
يقص شاربه وعنده من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم من لم ياخذ
شاربه فليس منا وفي الصحيحين حديث خالفوا المشركين وفروا اللحا واحفوا الشوارب
واختلف في قص الشارب وحلقه ايهما افضل ففي الموطا يوخذ من الشارب
حتى يبدو اطراف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك قال ويحفي الشارب ويعفي اللحا

وليس احفاء الشارب حلقه واري تأديب من حلق شاربه وعن اشهب ان حلقه
بدعة قال واري ان يوجع ضربًا من فعله وقال النووي المختار في قص الشارب
انه يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه وقال الطحاوي لم يجد عن الشافعي شيئا
منصوصًا في هذا وكان المزني والربيع يحفان شاربهما واما ابو حنيفة وصاحباه
فمذهبهم في شعر الرأس والشارب ان الاحفاء افضل من التقصير واما احمد
فقال الاثرم رأيته يحفي شاربه شديدا ولقد اختلفوا في كيفية قص الشارب
هل يقص طرفاه ايضًا وهما المسميان بالسبالين ام تترك السبال كما يفعله
كثير من الناس قال الغزالي في الاحياء لا باس بترك سباليه وهما طرفا
الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه
غمرة الطعام ولا يصل اليه انتهى وروي ابو داود عن جابر قال كنا
نعفي السبال الا في حج او عمرة وكره بعضهم ابقاه لما فيه من التشبيه بالاعاجم
بل بالمجوس واهل الكتاب وهذا بالصواب لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث
ابن عمر قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال انهم يوفرون سبالهم
ويحلقون لحاهم فخالفوهم فكان يجز سباله كما يجز الشاة او البعير وروي
احمد في مسنده في اثناء حديث لابي امامة فقلنا يا رسول الله فان اهل الكتاب
يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم
وخالفوا اهل الكتاب والعثانين بالعين المهملة والثاء المثلثة وتكرار النون

جمع

جمع عثنون وهو اللحية قاله في شرح تقريب الاسانيد واما العانة ففي حديث
انس ان النبي ﷺ كان لا يتنور وكان اذا كثر شعره حلقه ولكن سنده ضعيف
وروي ابن ماجة والبيهقي ورجاله ثقات ولكن اعل بالارسال وانكر احمد صحته
من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدا بعانته فطلاها
بالنورة وساير جسده اهله واما الحديث الذي يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق اهل المعرفة بالحديث كما قاله الحافظ ابن
كثير بل ولم تعرف العرب الحمام ببلادهم الا بعد موته عليه السلام واخرج البيهقي
من مرسل ابي جعفر الباقر قال كان رسول الله يستحب ان يأخذ من اظفاره وشاربه
يوم الجمعة وله شاهد موصول من حديث ابي هريرة لكن سنده ضعيف اخرجه
البيهقي ايضًا في الشعب وسئل عنه احمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال
وعنه يوم الخميس وعنه تخير قال الحافظ ابو الفضل بن حجر وهذا هو المعتمد
انه يستحب كيفما احتاج اليه قال ولم يثبت في استحباب قص الظفر يوم الخميس
حديث وكذا لم يثبت في كيفيته شيء ولا في تعيين يوم له عن النبي صلى الله عليه وسلم
وما يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه ثم لشيخ الاسلام ابن حجر قال
شيخنا انه باطل والمراد ازالة ما يزيد على ما يلامس رأس الاصبع من الظفر لان الوسخ
يجتمع فيه فيستقذر وقد ينتهي الى حد يمنع من وصول الماء الى ما يجب غسله
في الطهارة وقد حكى اصحاب الشافعي فيه وجهين فقطع المتولي بان الوضوء حينئذ

لا يصح وقطع الغزالي في الاحيا بانه يعني عن مثل ذلك واخرج الطبراني في
الاوسط عن عايشة كان صلى الله عليه وسلم لا يفارق سواكه ومشطه و
كان ينظر في المراة اذا سرح لحيته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه رواه ابن ماجة
والترمذي واحمد ولفظه كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل ان ينام وكان يكتحل
في كل عين ثلاثة اميال وروي النساى والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي
قال سالت عايشة اكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قال نعم بذكارة
التطيب المسك والعنبر واما مشيه صلى الله عليه وسلم فعن علي قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب
رواه الترمذي وصححه البيهقي والتكفو الميل الى سنن المشي وعند البزار
من حديث ابي هريرة اذا وطي بقدمه وطي بكلها وعند الترمذي في الشمايل
من حديثه وما رايت احدا اسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وعن يزيد بن مرثد
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى اسرع حتى يهرول الرجل وراه
فلا يدركه رواه ابن سعد ويروي انه كان اذا مشى مشى مجتمعا اى قوي الاعضا
غير مسترخ في المشي وقال علي رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا
مشى تقلع وقال ابن ابي هالة اذا زال زال تقلعا ويمشي هونا ذريع المشية اذا

كانما

كانما ينحط من صبب وفي رواية اذا زال زال قلعا بالفتح والضم فبالفتح
هو مصدر بمعنى الفاعل اى يزول قالعا لرجله من الارض وهو بالضم
اما مصدر او اسم وهو بمعنى الفتح قال الهروي قرات هذا الحرف
في كتاب غريب الحديث لابن الانباري قلعا بفتح القاف وكسر اللام
وكذا قراته بخط الازهري وهو كما جاء في حديث اخر كانما ينحط من صبب
والانحدار من الصبب وتقلع من الارض قريب بعضه من بعض اراد انه كان
يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة وذريع
المشية اى واسع الخطو قاله ابن الاثير وقال ابن القيم التقلع الارتفاع من
الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة والشجاعة
وهي اعدل المشيات واروحها للاعضاء فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة
كانه خشبة محمولة فهي مذمومة واما ان يمشي بانزعاج مشي الجمل الاهوج
وهي مشية مذمومة وهي علامة خفة عقل صاحبها ولا سيما ان اكثر الا
لتفات حال مشيه يمينا وشمالا وفي بعض المسانيد ان المشاة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المشي في حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان وهو العدو الخفيف
الذي لا يزعج الماشي واما مشيه عليه السلام مع اصحابه فكانوا يمشون
بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملايكة وهو معنى قول القايل
وكان يسوق اصحابه ويماشيهم فرادى وجماعة ومشى عليه السلام في

فی بعض غزواته فخرجت اصبعه وسال منها الدم فقال

هل انت الا اصبع دميت ... وفی سبیل الله ما لقیت

رواه ابو داود ولم یکن له صلی الله علیه وسلم ظل فی الشمس ولا القمر رواه الترمذی الحکیم عن ذکوان وقال ابن سبع کان صلی الله علیه وسلم نورًا فکان اذا مشی فی الشمس او القمر لا یظهر له ظل قال غیره ویشهد له قوله علیه السلام فی دعایه واجعلنی نورًا واما لونه الازهر الشریف ع م فقد وصفه علیه السلام جمهور اصحابه بالبیاض منهم ابو بکر وعمر وعلی وابو جحیفة وابن عمر وابن عباس وابن ابی هالة والحسن بن علی وابو الطفیل ومحرش الکعبی وابن مسعود والبراء وعایشة وانس فی احدی الروایتین عنه فاما ابو جحیفة فقال کان ابیض رواه البخاری واما ابو الطفیل فقال کان ابیض ملیحًا رواه الترمذی فی الشمایل وفی روایة مسلم ابیض ملیح الوجه وفی روایة عنه للطبرانی ما انسی شدة بیاض وجهه مع شدة سواد شعره وفی شعر ابی طالب

وابیض یستسقی الغمام بوجهه ... ثمال الیتامی عصمة للارامل

وقال علی ابیض مشرب والمشرب هو الذی فی بیاضه حمرة کما قال فی الروایة الاخری ابیض مشرب بحمرة وبهذا فسر قول انس فی صحیح مسلم ازهر اللون وفی النسای من حدیث ابی هریرة بینا النبی صلی الله علیه وسلم جالس بین اصحابه جاء رجل فقال ایکم ابن عبد المطلب قالوا هذا الامغر المرتفق والامغر المشرب حمرة و

والمرتفق المتکی علی مرفقه وفی البخاری من حدیث انس لیس بابیض امهق وفی قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الداودی تبعًا لروایة المروزی امهق لیس بابیض وفی روایة عند ابی حاتم وغیره اسمر واستشکله بعضهم وقال ان غالب هذه الروایات متدافع وبعضها ممکن الجمع کالابیض مع روایة المشرب بالحمرة والازهر وبعضها غیر ممکن الجمع کالابیض الشدید الوضح مع الاسمر واعترض الداودی روایة امهق لیس بابیض وهی التی وقعت عنده تبعًا لروایة المروزی وقال القاضی عیاض انها وهم قال وکذلک روایة من روی انه لیس بالابیض ولا الادم الشدید الادمة وانما یخالط بیاضه الحمرة والعرب قد تطلق علی کل من کان کذلک اسمر ولهذا جاء فی حدیث انس عند احمد والبزار وابن منده باسناد صحیح ان النبی صلی الله علیه وسلم کان اسمر واخرجه البیهقی فی الدلایل من وجه اخر عن انس فذکر الصفة النبویة فقال کان النبی صلی الله علیه وسلم ابیض بیاضه الی السمرة وفی حدیث ابن عباس فی صفته صلی الله علیه وسلم رجل بین رجلین جسمه ولحمه احمر الی البیاض اخرجه احمد وقد تبین من مجموع الروایات ان المراد بالسمرة الحمرة التی تخالط البیاض وان المراد بالبیاض المثبت ما یخالطه الحمرة والمنفی ما لا یخالطه وهو الذی تکره العرب لونه وتسمیه امهق وبهذا تبین ان روایة المروزی امهق لیس بابیض مقلوبة علی انه یمکن توجیهها بان المراد بالامهق الاخضر اللون

الذي ليس بابيضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته فقد نقل عن رؤبة ان المهق خضرة
الماء فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم في حديث ابي جحيفة
اطلاق كونه كان ابيض وكذا في حديث ابي الطفيل عند مسلم والترمذي وفي
حديث سراقة عند ابن اسحق فجعلت انظر الى ساقه كانها جمارة ولاحمد من حديث
محرش الكعبي في عمرة الجعرانة قال فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وعن سعيد
بن المسيب انه سمع ابا هريرة يصفه صلى الله عليه وسلم فقال كان شديد البياض
اخرجه يعقوب بن سفيان والبزار باسناد قوي ويجمع بينهما بما تقدم
وقال البيهقي يقال ان المشرب منه حمرة والى السمرة ما ضحى للشمس والريح
اي كالوجه والعنق واما ما تحت الثياب فهو الازهر الابيض انتهى وهذا ذكره
ابن ابي خيثمة عقب حديث عايشة في صفته صلى الله عليه وسلم بابسط من
هذا وزاد ولونه الذي لا يشك فيه الابيض الازهر انتهى والله اعلم وقد
ضعف بعضهم قول من قال انما وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيب منه بان
انسا لا يخفى عليه امره حتى يصفه بغير صفته الملازمة له لقربه منه ولم يكن
عليه السلام ملازما للشمس نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه
في وقت غير ثم الشمس لامكن فالاولى حمل السمرة في رواية انس على الحمرة
التي تخالطه البياض كما قدمته تنبيه في الشفا حكاية عن احمد بن ابي سليمان
صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل انتهى

وهذا

الجزء ٣٢

وهذا مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك
بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك كما في مسئلتنا هذه فان الاسود لون مفضول
واما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فقد كانت الرائحة
الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وروينا عن انس قال ما شممت
ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
رواه احمد وفي رواية البخاري ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رائحة
النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا
كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله شممت بكسر الميم الاولى
وسكون الثانية وعن ام عاصم امراة عتبة بن فرقد السلمي قالت كنا عند عتبة
اربع نسوة فما منا امراة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون اطيب من صاحبتها وما
يمس عتبة الطيب الا ان يمس دهنا يمسح به لحيته ولهو اطيب منا ريحا وكان اذا خرج
الى الناس قالوا ما شممنا ريحا اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجهد في
الطيب ولا اطيب ريحا منا فمم ذلك فقال اخذني الشرى على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتيته فشكوت ذلك اليه فامرني ان اتجرد فتجردت
وقعدت بين يديه والقيت ثوبي على فرجي فنفث في يده ثم مسح ظهري وبطني
بيده فعبق هذا الطيب من يومئذ رواه الطبراني في معجمه الصغير وروى
ابو يعلى والطبراني قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز

ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال
مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت
المطيبين وقال جابر بن عبد الله كان في رسول الله خصال لم يكن في طريق
يتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له
رواه الدارمي والبيهقي وابو نعيم ولله در القائل

فلو ان ركبا يمموك لقادهم ... نسيمك حتى يستدل به الركب

وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة
وجدوا منه رايحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا
الطريق رواه ابو يعلى والبزار باسناد صحيح وما احسن قول القائل

يروح على غير الطريق التي غدا ... عليها فلا يمحى علاة نهاته
تنفسه في الوقت انفاس عصره ... فمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الارواح حيث تمت ... لها سحرا من جيبه نسماته

وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم
لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في
وجهه مثل اللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر رواه ابو نعيم وعن انس قال دخل
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة
فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا

الذي

الذي تصنعين قالت عرقك نجعله اطيبنا وهو اطيب الطيب رواه مسلم وفي
رواية له كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت ام سليم فينام على فراشها وليست
فيه قال فجاءت ذات يوم فنام على فراشها فاتيت فقيل لها هذا النبي نايم في بيتك
على فراشك قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة اديم على الفراش
ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله
عليه وسلم فقال ما تصنعين يا ام سليم فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا
اصبت والعتيدة الصندوق الصغير الذي تترك فيه المراة ما يعز عليها من
متاعها واما ما روي ان الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم او من عرق
البراق قال شيخنا في الاحاديث المشتهرة قال النووي لا يصح وقال شيخ الاسلام ابن حجر انه موضوع وسبقه لذلك ابن عساكر وهو في مسند الفردوس بلفظ
الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق
جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق رواه من طريق مكي بن بندار
الزنجاني حدثنا الحسن بن علي بن ابي عبد الواحد القرشي حدثنا هشام بن عمار عن
الزهري عن انس به مرفوعا ثم قال قال ابو مسعود حدث به ابو عبد الله الحاكم
عن رجل مكي ومكي تفرد به انتهى ورواه ابو الحسين بن فارس اللغوي في الريحان
والراح له عن مكي به ومكي ممن اتهمه الدارقطني بالوضع وله طريق اخرى
رواه ابو الفرج النهرواني في الخامس والتسعين من الجليس الصالح له من طريق

محمد بن عنبسة بن حماد حدثنا ابي عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن انس
رفعه لما عرج بي الى السما بكت الارض بعدي فنبت اللصف من نباتها فلما ان
رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رايحتي
فليشم الورد الاحمر ثم قال ابو الفرج اللصف الكبر قال وما اتى به هذا الخبر فهو
اليسير من كثير مما اكرم الله به نبيه ودل على فضله ورفيع منزلته انتهى
وانما ذكرته ليعلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح قال فوجدت
ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها
يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف
من بين الصبيان بريحها وجونة العطار بضم الجيم وهمزة بعدها ويجوز تخفيفها
واوا سليلة مستديرة مغشاة ادما وقد وقد ورد مما عزاه القاضي عياض
للاخباريين ومن الف في الشمايل الكريمة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
اراد ان يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغايطه وفاحت لذلك
رايحة طيبة قال غيره ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط واسند محمد بن
سعد كاتب الواقدي كما هو في بعض نسخ الشفا وقالوا انه ليس من الروايتر ولا
من حواشي اصل ابن جبير بل من حواشي غيره عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال
يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبيا فلا يرى منه شيء انتهى

وفي الشفا لابن سبع عن بعض الصحابة قال صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما
اراد قضاء الحاجة تاملته وقد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج
منه فلم ار له اثر غايط ولا بول ورايت في ذلك الموضع ثلثة احجار فاخذتهن فو جدت
لهن رايحة طيبة وعطرا قلت وقد سئل الحافظ عبد الغني المقدسي هل روي
انه صلى الله عليه وسلم كان ما يخرج منه يبتلعه الارض فقال قد روى ذلك من
وجه غريب والظاهر يويده فانه لم يذكر عن احد من الصحابة انه راه ولا ذكره واما
البول فقد شاهده غير واحد وشربته ام ايمن والله اعلم انتهى لكن قال البيهقي
واما الحديث الذي اخبرنا ابو الحسن بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا زيد
اسمعيل الصايغ حدثنا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الغايط دخلت في اثره فلا ارى شيئا الا
اني كنت اشم رايحة الطيب فذكرت له ذلك فقال يا عايشة ان اجسادنا نبتت على ارواح
اهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الارض فهذا من موضوعات الحسين بن علوان
لا ينبغي ذكره ففي الاحاديث الصحيحة والمشهورة في معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان
انتهى لكن للحديث طرق غير طريق ابن علوان فعند الدارقطني في الافراد حدثنا
محمد بن سليمان الباهلي حدثنا ابن حسان الاموي حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام
بن عروة عن ابيه عن عايشة قلت يا رسول الله اني اراك تدخل الخلاء ثم ياتي الذي
بعدك فلا يرى لما يخرج منك اثرا فقال يا عايشة اما علمت ان الله امر الارض

ان تبتلع ما خرج من الانبيا ومحمد بن حسان بغدادي ثقة وعبدة من رجال الصحيح
وله طريق اخرى عند ابن سعد واخرى عند الحاكم في مستدركه وروي انه كان
يتبرك ببوله ودمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان في الضعفا عن ابن
عباس قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته
اخذ الدم فذهب به من وراء الحايط فنظر يمينا وشمالا فلم ير احدا تحسا دمه
حتى فرغ ثم اقبل فنظر في وجهه فقال ويحك ما صنعت بالدم قلت غيبته من
وراء الحايط قال بن عتيبة قلت يا رسول الله نفست على دمك ان اهريقه في
الارض فهو في بطني فقال اذهب فقد احرزت من النار وفي سنن سعيد بن منصور
من طريق عمرو بن السايب انه بلغه ان مالكا والد ابي سعيد الخدري لما جرح
النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى انقاه ولاح ابيض فقيل مجه فقال
لا والله لا امجه ابدا ثم ازدرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان
ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد واخرج البزار والطبراني
والحاكم والبيهقي وابو نعيم في الحلية من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير
عن ابيه قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني الدم فقال اذهب
فغيبه فذهبت فشربته فاتيته صلى الله عليه وسلم فقال لي ما صنعت قلت
غيبته قال لعلك شربته قلت شربته فقال ويل لك من الناس وويل للناس منك
وعند الدارقطني من حديث اسما بنت ابي بكر نحوه وفيه لا تمسك النار واخرج الحسن

بن

بن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وابو نعيم من حديث ابي
مالك النخعي عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن ام ايمن قالت قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل
وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم
قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة فقلت قد والله شربت ما فيها
قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال اما والله
لا يتجعن بطنك ابدا وعن ابن جريج قال اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه
شيء فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها من ارض
الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا ام يوسف
فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي مات فيه ورواه ابو داود عن ابن جريج
عن حليمة عن امها اميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية انهما قضيتان وقعتا
لامراتين وقد صح ان بركة ام يوسف غير بركة ام ايمن وهو الذي ذهب
اليه شيخ الاسلام البلقيني وفي هذه الاحاديث دلالة على طهارة بوله
ودمه صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح المهذب واستدل من
قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين ان ابا طيبة الحجام حجمه صلى الله عليه وسلم
وشرب دمه ولم ينكر عليه وان امراة شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر

عليها وحديث ابى طيبة ضعيف وحديث شرب المراة البول صحيح رواه الدار قطني
وقال هو حديث حسن صحيح وذلك كاف فى الاحتجاج لكل الفضلات قياسا
ثم قال ان القاضى حسين قال الاصح القطع بطهارة الجميع انتهى وبهذا قال
ابو حنيفة كما قاله العينى وابو طيبة بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة
تحت وموحدة نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد
المثناة تحت وكسرها وهو مسعود الانصارى وقال شيخ الاسلام بن حجر
قد تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعد الايمة
ذلك فى خصائصه انتهى قال بعضهم وكان السر فى ذلك ما روى ابن الضيع
الملكين حين غسلا جوفه والله اعلم واما السيرته عليه السلام فى البراز ففى
حديث عايشة عند ابى عوانة فى صحيحه والحاكم ما بال رسول الله صلى الله
قايما منذ انزل عليه القران وفى حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النساى
وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم بال جالسا فقالوا انظروا اليه يبول كما تبول
المراة وحكى ابن ماجة عن بعض مشايخه انه قال كان من شان العرب البول قايما
ويؤيده ما فى حديث عبد الرحمن هذا وفيه دلالة على انه كان يخالفهم فى
ذلك فيقعد لكونه استر وابعد من مماسة البول وقال حذيفة اتى رسول الله صلى الله
سباطة قوم فبال قايما ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ رواه البخاري وفى رواية
غيره بال قايما فجح رجليه اى فرقهما وباعد ما بينهما والسباطة بضم المهملة

وبعدها

وبعدها موحدة هى المزبلة الكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لاهلها وتكون
فى الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البايل واضافتها الى القوم اضافة اختصاص
لا ملك لانها لا تخلو على النجاسة وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول
يوهى الجدار ففيه اضرار او يقول انما بال فوق السباطة لا فى اصل الجدار وهو صريح
فى رواية ابى عوانة فى صحيحه وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم فى ذلك بالتصريح
او غيره او لكونه مما يتسامح الناس به او لعلمه بايثارهم اياه بذلك او لكونه يجوز
له التسامح التصرف فى مال امته دون غيره لانه اولى بالمؤمنين من انفسهم واموالهم
وهذا وان كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم اخلاقه صلى الله
قال الحافظ بن حجر واما مخالفته صلى الله عليه وسلم لما عرف من عادته من الابعاد
عند قضاء الحاجة عن الطرق المسلوكة وعن اعين النظار فقد قيل فيه انه صلى الله
كان مشغولا بمصالح المسلمين ولعله طال عليه المجلس حتى احتاج الى البول
فلو ابعد لتضرر واستدنى حذيفة ليستره من خلفه عن رؤية من لعله يراه و
لعله فعله لبيان الجواز ثم هو فى البول اخف من الغايط لاحتياجه الى زيادة تكشف
والغرض من الابعاد التستر وهو يحصل بارخاء الذيل والدنو من الساتر وروى
الطبرانى من حديث عصمة بن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم فقال يا حذيفة استرنى فذكر
الحديث وظهر منه الحكمة فى ادنايه حذيفة فى تلك الحالة وقيل انما بال قايما لانها

يو من معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريبا من الديار ويؤيده ما
رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال البول قائما احصن للدبر وقيل
السبب في ذلك ما قال الشافعي واحمد ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك
فلعله كان به وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة قال انما بال صلى الله
عليه وسلم قائما لجرح كان بمأبضه والمأبض بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة
باطن الركبة فكانه لم يتمكن لاجله من القعود ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى
عن جميع ما تقدم ولكن ضعفه الدارقطني والبيهقي والاظهر انه فعل ذلك لبيان
الجواز وكان اكثر احواله البول عن قعود وقيل ان البول عن قيام منسوخ واستدل
عليه بحديث عايشة المتقدم والصواب انه غير منسوخ الجواب عن حديث
عايشة وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة وهو جائز من غير كراهة
اذا امن الرشاش وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يدخل الخلاء قال
اللهم اعوذ بك من الخبث والخبائث رواه البخاري من حديث انس والخبث
بضم المعجمة والموحدة ومراده ذكران الشياطين واناثهم وقد كان عليه
يستعيذ اظهارا للعبودية ويجهر بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالابنية
المعدة لذلك لكونها حضرة الشياطين او يعم الاصح الثاني ويقول ذلك قبل
الدخول في الامكنة واما في غيرها فيقول في اول الشروع كتشمير ثيابه مثلا
وهذا مذهب الجمهور فلو نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه وعن انس كان صلى الله

عليه

صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه من الارض رواه الترمذي
وابو داود والدارمي وعن عايشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج
من الخلاء قال غفرانك رواه الترمذي وابن ماجة وعن انس كان صلى الله
اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي اذهب عني الاذى وعافاني رواه ابن
ماجة وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا
يولها ظهره شرقوا او غربوا رواه البخاري من حديث ابي ايوب الانصاري وهذا
في الصحراء واما في البنيان فلا لما روي عن ابن عمر رقيت بيت حفصة لبعض
حاجتي فرايت رسول الله يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام
رواه الشيخان واما حديث جابر عند ابي داود وابن خزيمة ولفظه عند
احمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان نستدبر القبلة او نستقبلها
بفروجنا اذا هرقنا الماء قال ثم رايته قبل موته بعام مستقبل القبلة فقال
في فتح الباري الحق انه ليس بناسخ لحديث النهي خلافا لمن زعمه بل هو محمول على
انه راه في بناء او نحوه لان ذلك هو المعهود من حاله لمبالغته في التستر و
دعوى خصوصية ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه اذ الخصائص
لا تثبت بالاحتمال ومذهب الجمهور وهو مذهب مالك والشافعي واسحاق
التفريق بين البنيان والصحراء وهذا اعدل الاقوال لاعماله جميع الادلة
وقال قوم بالتحريم مطلقا وهو المشهور عن ابي حنيفة واحمد ورجحه من المالكية

ابن العربي وحجتهم ان النهي مقدم على الاباحة ولم يصححوا حديث جابر المتقدم
وقال بالجواز مطلقا وهو قول عايشة وعروة وربيعة محتجين بان الاحاديث
تعارضت فلنرجع الى اصل الاباحة وفي البخاري عن انس كان صلى الله عليه
وسلم اذا خرجت لحاجة اجي انا وغلام معنا اداوة من ماء يعني يستنجي به وفي
رواية مسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى بالماء وعن ابي هريرة قال اتبعت النبي
صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجة فقال ابغني احجارا استنفض بها ولا تأتني
بعظم ولا روث فاتيته باحجار بطرف ثيابي فوضعها الى جنبه فلما قضى
حاجته اتبعه بهن وعن عبد الله بن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
الغايط وامرني ان اتيه بثلاثة احجار فوجدت حجرين والتمست الثالث
فلم اجده فاخذت روثة فاتيته بها فاخذت الحجرين والقى الروثة رواه البخاري
وفي حديث سلمان عند مسلم مرفوعا لا يستنج احدكم باقل من ثلثة احجار و
قد اخذ الشافعي واحمد واصحاب الحديث بهذا فاشترطوا ان لا ينقص من الثلاثة
مع مراعات الانقاء اذا لم يحصل بها فتزاد حتى ينقى ويستحب حينئذ الايتار
لقوله عليه السلام من استجمر فليوتر وليس بواجب لزيادة في ابي داود
حسنة الاسناد قال ومن لا فلا حرج قال الخطابي لو كان القصد الانقاء
فقط لخلا اشتراط العدد عن الفايدة فلما اشترط العدد لفظا وعلم الانقا
فيه معنى دل على ايجاب الامرين ونظيره العدة بالاقراء فان العدد مشترط

لفظا

لفظا وعلم الانقاء فيه معنى دل على ايجاب الامرين ولو تحققت براة الرحم بقرؤ
واحد وقال الطحاوي ولو كان العدد مشترطا لطلب عليه السلام حجرا ثالثا
وغفل رحمه الله عما اخرجه احمد في مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود
في هذا الحديث فان فيه القى الروثة وقال انها ركس ائتني بحجر ورجاله ثقات
اثبات واستدلال الطحاوي فيه نظر لاحتمال ان يكون اكتفى بطرف احدهما عن الثالث
لان المقصود بالثلاثة ان يمسح بها ثلاث مسحات وذلك حاصل ولو بواحد
انتهى ملخصا من فتح الباري **الفصل الثامن** فيما اكرمه الله تعالى به من الاخلاق
الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية اعلم ان الاخلاق جمع خلق
بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح وبالضم
في الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح بالهيئات
والصور المدركة بالبصر وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا
المدركة بالبصيرة انتهى وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب
وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم
كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخاري وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع
الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا
والا فهو المامور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذا ان كان ضعيفا فيرتاض
صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الاشج ان صلى الله عليه وسلم قال

له فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يارسول الله قديما كانا في او
او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما رواه احمد
والنسايي وصححه ابن حبان فترديد السوال وتقريره عليه يشعر بان مما في الخلق
من يخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم كما احسنت خلقي فحسن خلقي اخرجه احمد وصححه ابن حبان وعند مسلم
في حديث دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لايهدي لاحسنها
الا انت ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به
حد ولا يحصره عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه فقال وانك لعلى خلق عظيم
وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مستعل على هذه الاخلاق ومستولي
عليها والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة
وقد وصف الله تعالى نبيه بما يرجع الى قوته العلمية بانه عظيم فقال الله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما و وصف ما يرجع الى
قوته العلمية بانه عظيم فقال وانك لعلى خلق عظيم فدل مجموع هاتين الايتين
على ان روحه فيما بين الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كانها لشدة
كمالها كانت من جنس ارواح الملايكة قال الحلبي وانما وصف خلقه بالعظم مع
ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة
ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمومنين

رفيقا

رفيقا بهم شديدا على الكفار عليهم مهيبا في صدور الاعداء منصورا بالرعب
منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام
وقال الجنيد وانما خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله
تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل باجتماع
مكارم الاخلاق فيه قال الله تعالى عليه السلام فيما رواه الطبراني في
الاوسط بسند فيه عمر بن ابراهيم المقدسي وهو ضعيف عن جابر ان الله بعثني بتمام
مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفي رواية مالك في الموطا بلاغا بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم
فانه ادب بالقران كما قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران قال بعض
العارفين وقد علم ان القران فيه المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم يقولون امنا به اي قررناه في نصابه واقررنا به من خلف حجابه وتقلدنا
سيف الحجة به ولكن في قرابه وما كونه مما تحصل مقلة ولا احدة مما تحس الانامل و
قال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد ان قول عايشة رضي الله عنها كان خلقه
القران فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة
الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان
خلقه القران استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور
عقلها وكمال ادبها انتهى فكما ان معاني القران لا تتناهى فكذلك اوصافه الجميلة

الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى اذ فى كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الاخلاق
ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه الا الله
تعالى فاذاً التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الانسان
ولا من ممكنات عادته قال الحرالي وهو كما فى القاموس بتشديد اللام نسبة الى قبيلة
بالبربر واسمه على بن احمد بن الحسن ذو التصانيف المشهورة ولما كان عرفان قلبه ع م
ربه عز وجل كما قال عليه السلام بربى عرفت كل شيء كانت اخلاقه اعظم خلق
فلذلك بعثه الى الناس كلهم ولم تقصر رسالته على الانس حتى عمت
الجن ولم تقصرها على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه
فمحمد رسوله وكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين
انتهى وهذا مصير منه الى انه صلى الله عليه وسلم قد ارسل الى الملائكة ايضا
وسياتى الكلام فى ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى وهو المستعان وقد كان ع م
مجبولاً على الاخلاق الكريمة فى اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك
برياضة نفس بل بجود الهى ولهذا لم تزل تشرق انوار المعارف فى قلبه حتى وصل
الى الغاية العليا والمقام الاسنى واصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة
كمال العقل لانه به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذائل فالعقل لسان
الروح وترجمان البصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان قال
بعضهم لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر واما ما

روي ان الله لما خلق العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال
وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اشرف منك وبك اخذ وبك اعطي فقال
ابن تيمية وتبعه غيره انه كذب موضوع باتفاق انتهى وفى زوايد عبد الله بن
الامام احمد بن علي الزهد لابيه عن على بن مسلم عن سيار بن حاتم وهو ممن ضعفه
غير واحد وكان جماعا للرقايق وقال القواريري انه لم يكن له عقل قال حدثنا
جعفر بن سليمان الضبيعي حدثنا مالك بن دينار عن الحسن البصري مرسلا لما
خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال ما خلقت
خلقا احب الي منك بك آخذ وبك اعطي واخرجه داود بن المحبر فى كتاب
العقل له وابن المحبر كذاب قال الحافظ ابو الفضل بن حجر الوارد فى اول ما خلق
الله حديث اول ما خلق الله العلم وهو اثبت من حديث العقل ولابى الشيخ
عن قرة بن اياس المزني رفعه الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على
قدر عقولهم وقد اختلف فى ماهية العقل اختلافا طويلا يطول استقصاؤه
وفى القاموس ومن خط مؤلفه نقلت العقل العلم او بصفات الاشياء من حسنها
وقبحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين ويطلق لامور
لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات
يستتب بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلماته
والحق انه روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده

عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى وقد كان صلى الله
من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت معارفه
عظيمة وخصايصه جسيمة وحارت العقول في بعض ما افاضه من غيبه
لديه وكلت الافكار في معرفة بعض ما اطلعه الله عليه وكيف لا يعطى ذلك
وقد امتلاء قلبه وباطنه وفاض على جسده المكرم ما وهبه من اسرار
الالهية ومعرفة ربوبيته وتحقق عبوديته قال وهب بن منبه قرات في
احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بداء
الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة
رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رايا رواه ابو نعيم في الحلية وابن عساكر وعن بعضهم
كما هو في عوارف المعارف اللب والعقل ماية جزء تسعة وتسعون في
النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في ساير المومنين ومن تامل حسن تدبيره
للعرب الذين هم كالوحش الشارد والطبع المتنافر المتباعد وكيف
ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى ان انقادوا اليه واجتمعوا عليه
وقاتلوا دونه اهليهم واباهم وابناهم واختاروه على انفسهم وهجروا
في رضاه اوطانهم واحباهم من غير ممارسة سبقت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها
سير الماضين تحقق انه اعقل العالمين ولما كان عقله اعظم واوسع العقول لاجرم

اتسعت

اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شيء فمن ذلك اتساع خلقه العظيم
في الحلم والعفو مع القدرة وصبره عليه السلام على ما يكره وحسبك صبره
وعفوه عليه السلام عن الكافرين به المقاتلين المحاربين له في اشد ما نالوه
به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد حتى صار الدم
يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي
او اهد قومي فانهم لا يعلمون وقال ابن حبان اي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي
لا انه اراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب ولو اجيب
لاسلموا كلهم كذا قال رحمه الله وقد روي عن عمر انه قال في بعض كلامه
بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على
الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي
ظهرك وادمي وجهك كسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وههنا دقيقة وهي انه عليه السلام لما
شج وجهه عفي وقال اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلوة يوم الخندق
قال اللهم املا بطونهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده الشريف
وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه دينه فان وجه هو الصلاة فرجح حق خالقه
على حقه واعلم ان الصبر على الاذى جهاد النفس وقد جبل الله تعالى النفس

على التالم ربما يفعل بها ولهذا شق عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الى الجور
فى القسمة لكنه صلى الله عليه وسلم حلم على القايل وصبر لما علم من جزيل ثواب
الصابر وان الله ياجره بغير حساب وصبره عليه السلام على الاذى انما هو
فيما كان من حق نفسه واما اذا كان لله فانه يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة
كما قال له تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد وقع
له عليه السلام انه غضب لاسباب مختلفة مرجعها الى ان ذلك كان فى امر الله
واظهر الغضب فيها ليكون اوكد فى الزجر فصبره وعفوه انما يتعلق بنفسه الشريفة
صلى الله عليه وسلم وقد روى الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن زيد
بن سعنة بالمهملة والنون المفتوحتين كما قيده به عبد الغنى وذكره الدارقطنى
وبالمثناة التحتية ثبت فى الشفا وصح عليه مولفه بخطه وهو الذى ذكره ابن اسحق
وهو كما قاله النووى اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات
النبوة شئ الا وقد عرفته فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا
اثنين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت
اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن
فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردايه و
نظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب
مطل فقال عمر اى عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع

فوالله

فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفى راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا
منك يا عمر ان تامرنى بحسن الاداء وتامره بحسن التباعة اذهب به يا عمر
فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر
كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل
الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا وعن ابى هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم
قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابى قد ادركه فجبذه بردايه فحمر رقبته و
كان رداء خشنا فالتفت اليه فقال له الاعرابى احملنى على بعيرى هذين
فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله عليه وسلم
لا واستغفر الله لا واستغفر الله ولا واستغفر الله لا احملك حتى تقيدنى من جبذ تك
التى جبذتنى فكل ذلك يقول له الاعرابى والله لا اقيدكها فذكر الحديث
قال ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر
شعيرا رواه ابو داود وروى البخارى من حديث انس بلفظ كنت امشى
مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه
اعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة قال انس فنظرت الى صفحة عاتقه وقد اثرت

وقد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله
الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطا وفي هذا بيان حمله عم
وصبره على الاذى في النفس والمال والتجاوز عن جفا من يريد تالفه
على الاسلام وعن عايشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا
متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح رواه الترمذي اي لم
يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا وروى البخاري من حديث ابن عمر لم يكن
صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وفي رواية ايضا من حديث انس
بن مالك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فاحشا لكن استعماله في
القول اكثر والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه وعن
عايشة ان رجلا استاذن على النبي صلى الله عليه فلما راه قال بئس اخو العشيرة
وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه و
انبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عايشة يا رسول الله حين رايت
الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله
يا عايشة متى عهدتني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من
تركه الناس اتقاء شره رواه البخاري قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة
بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وكان يقال له الاحمق المطاع وكذا
فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي واخرج عبد الغني من طريق ابي

عام

عامر الخزاعي عن عايشة قالت جاء مخرمة بن نوفل يستاذن فلما سمع النبي صلى
الله عليه وسلم صوته قال بئس اخو العشيرة الحديث والمراد بالعشيرة الجماعة
او القبيلة وانما تطلق صلى الله عليه وسلم في وجهه تالفا له لتسلم قومه لانه
كان رئيسهم وقد جمع هذا الحديث كما قاله الخطابي علما وادبا وليس في قوله
عليه السلام في امته بالامور التي يسمهم بها ويضيفها اليهم من المكروه
غيبة وانما كان يكون ذلك من بعضهم في بعض بل الواجب عليه صلى الله
ان يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس امرهم فان ذلك من باب النصيحة
والشفقة على الامة ولكنه لما جبل عليه من الكرم واعطيه من حسن الخلق
اظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه لتقتدي به امته في اتقاء شر من هذا
سبيله ليسلموا من شره وغايلته وقال القرطبي فيه جواز غيبة المعلن بالفسق
او الفحش ونحو ذلك من جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يود ذلك الى المداهنة
في دين الله ثم قال تبعا للقاضي حسين والفرق بين المدارة والمداهنة ان المدارة
بذل الدنيا لصلاح الدنيا او الدين او هما معا وهي مباحة وربما استحسنت
والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له من
دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض
قوله فيه فعله فان قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول مع هذا
التقدير الاشكال ولله الحمد وقال القاضي عياض لم يكن عيينه والله اعلم ح

حينئذا سلم فلم يكن القول فيه غيبة او كان اسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فاراد
ان يبين ذلك لئلا يغتر من لم يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي
وبعده امور تدل على ضعف ايمانه فيكون ما وصفه به عليه السلام من
علامات النبوة واما الانة القول بعد ان دخل فعلى سبيل الاستئلاف وفي
فتح الباري ان عيينة ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع واسلم
وحضر بعض الفتوح في عهد عمر انتهى وما انتقم صلى الله عليه وسلم
لنفسه رواه البخاري فان قلت قد صح انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل عقبة
بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه
وسلم وهذا ينافي قوله وما انتقم لنفسه فالجواب انهم كانوا مع ذلك
ينتهكون حرمات الله وقيل اراد بانه لا ينتقم اذا اوذي في غير السبب
الذي يخرج الى الكفر كما عفى عن الاعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه وعن
الاخر الذي جبذ برداية حتى اثر في كتفه وحمل الداودي عدم الانتقام
على ما يختص بالمال واما العرض فقد اقتص ممن نال منه وقد اخرج الحاكم
هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري مطولا واوله ما لعن رسول الله عم
مسلما بذكر اى بصريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يضرب
في سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه الا ان يسئل ماثما ولا انتقم لنفسه
الا ان تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم الحديث ومما روى من اتساع

خلق

خلقه وحلمه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للطايفة المنافقين
الذين كانوا يؤذونه اذا غاب ويتملقون له اذا حضر وذلك مما ينفر
منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية الربانية وكان عليه السلام
كلما اذن له في التشديد عليهم فتح لهم صلى الله عليه وسلم بابا من الرحمة
فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى انزل الله عليهم استغفر لهم ام لا تستغفر لهم
فقال عليه السلام خيرني ربي فاخترت انا ان استغفر لهم وكما قال الله تعالى
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال صلى الله عليه وسلم لا زيدن
على السبعين وامر ولده الذي تولى كبره النفاق والاذى منهم ببرابيه
ولما مات كفنه في ثوب خلعه عن بدنه وصلى عليه هذا وعمر بن الخطاب
رضي الله عنه يجذبه بثوبه ويقول يا رسول الله اتصلي على راس المنافقين فنثر
ثوبه من عمر وقال اليك عني يا عمر فخالف مؤمنا ولينا في حق منافق وعدو
وكل ذلك رحمة منه لامته اشار اليه الحرالي وقال النووي قيل انما اعطا
قميصه وكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه فانه كان صحابيا صالحا وقد سال
ذلك فاجابه اليه وقيل مكافاة لعبد الله المنافق الميت لانه كان البس العباس
حين اسر يوم بدر قميصا وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم اخلاق النبي
صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء وقابله بالحسنى
فالبسه قميصه كفنا وصلى الله عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى

خلق عظيم ومن ذلك انه عليه السلام لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم في سحره
وعفى عنه اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح من الرواية والله تعالى
يرحم القايل   وما الفضل الا خاتم انت فصه   وعفوك نقش الفص فاختم به
عذري
ومن ذلك اشفاقه صلى الله عليه وسلم على اهل الكباير من امته وامره اياهم
بالستر فقال من بلى بهذه القاذورات يعني المحرمات فليستتر وامر الامة ان
يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما حنقوا عليه فسبوه ولعنوه فقال
قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال لهم في رجل كان كثيرا ما يؤتى به
سكران بعد تحريم الخمر فلعنوه مرة فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله
فاظهر لهم مكتوم قلبه لما رفضوه بظاهر فعله وانما ينظر الله الى القلوب
طهر الله قلوبنا وغفر ذنوبنا ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عايشه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصغي الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم
يتوضا بفضلها ومن هذا اتساع خلقه في شريف تواضعه وادابه وحسن
عشرته مع اهله وخدمه واصحابه قال بعضهم اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة
التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس
وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق
بمحو اثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا
صلى الله عليه وسلم في اوطان القرب وحسبك من تواضعه عليه السلام
ان

ان خيره ربه تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا
فاعطاه الله تعالى بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع
واول مشفع فلم ياكل متكيا بعد ذلك حتى فارق الدنيا وقد قال عليه السلام لا
لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
رواه الترمذي ومن تواضعه عليه السلام انه كان لا ينهر خادما روينا في
كتاب الترمذي عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته
وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وامائه ما ضرب منهم احدا قط
وهذا امر لا يتسع له الطباع البشرية لولا التاييدات الربانية وفي رواية
مسلم ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط
قالت عايشة ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امراة
ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من
صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم و
سيلت عايشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت
الين الناس بساما ضحاكا لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه وعنها ما كان
احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه
الا قال لبيك وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان الله صلى الله

عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرفع دلوه و
عنده ايضا يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على
اوقات فانه ثبت انه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة
بالمشاركة وكان يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار
مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما ان اراد الانصراف قرب له سعد حمارا
وطاء عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس
اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله عم
اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى
اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها رواه ابو داود وغيره وفي البخاري
من حديث انس بن مالك اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين
واني لرديف ابي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت الناقة فقلت
المراة قال صلى الله عليه وسلم انها امكم فشد دت الرحل وركب رسول الله
الحديث والمراة صفية والردف والرديف الراكب خلف الراكب باذنه
وقد قال معاذ بن جبل بينا انا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني
وبينه الا آخرة الرحل وقد ركب صلى الله عليه وسلم على حمار على اكاف

عليه

عليه قطيفة فدكية وارد ف اسامة وراءه ولما قدم عليه السلام مكة
استقبله اغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه واخر خلفه وقال
ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه و
الفضل خلفه او قثم خلفه والفضل بين يديه رواه البخاري وذكر المحب
الطبري في مختصر السيرة النبوية له انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا
عريا الى قبا وابو هريرة معه قال يا ابا هريرة آحملك فقال ما شئت يا رسول
الله قال اركب فوثب ابو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله
فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ابا هريرة آحملك
فقال ما شئت يا رسول الله قال اركب فلم يقدر ابو هريرة على ذلك فتعلق
برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم قال يا ابا هريرة آحملك
فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر الطبري ايضا انه عم
كان في سفر وامر اصحابه باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله على ذبحها وقال
اخر يا رسول الله على سلخها وقال اخر يا رسول الله على طبخها فقال رسول الله
على جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني
ولكني اكره ان اتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه
انتهى ولم ار هذا لغير الطبري بعد التتبع نعم رايت في جزء تمثال النعل الشريف
لابي اليمن بن عساكر بعد ان روى حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال

كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف فانقطعت سشعه فقلت
يارسول الله ناولنى اصلحه فقال هذه اثرة ولا احب الاثرة بفتح الهمزة والثا الاسم
من اثر يوثر اذا اعطى والاثرة الاستيثار وهوا لانفراد بالشئ قال وكان كره صلى
ان ينفرد احد باصلاح نعله فيجوز فضيلة الخدم فيكون له بمثابة ويكون له
صلى الله عليه وسلم ترفع الحذو م على خادمه كره ذلك صلى الله عليه وسلم
لتواضعه وعدم ترفعه على من تصحبه ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم
اراد ان يمتهن نفسه فى شئ فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله قال قد علمت
انكم تكفونى ولكنى اكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا
بين اصحابه صلى الله عليه وسلم انتهى ثم رايت شيخنا فى الاحاديث المشتهرة حكى
ذلك والله الموفق وعن ابى قتادة وفد وفد النجاشى فقام النبى صلى الله
يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك قال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانا احب
ان اكافيهم ذكره فى الشفا وفى البخارى عن انس كان الرجل يجعل للنبى صلى الله
عليه وسلم النخلات حتى افتتح قريظة والنضير واذا اهلى امرونى ان اتى النبى
صلى الله عليه وسلم فاساله الذى كانوا اعطوا او بعضه وكان عليه السلام
قد اعطاه ام ايمن فجاءت ام ايمن فجعلت الثوب فى عنقى تقول كلا والذى
لا اله غيره لا يعطيكم وقد اعطانيها او كما قالت والنبى صلى الله عليه وسلم
يقول لك كذا او تقول كلا والله حتى اعطاها حسبت انه قال عشرة امثاله

او كما قال وانما فعلت هذا ام ايمن لانها ظنت انها كانت هبة مؤبدة وتمليكا لاصل
الرقبة واراد النبى صلى الله عليه وسلم استطابة قلبها فى استرداد ذلك فلاطفها
وما زال يزيدها فى العوض حتى رضيت وكل هذا تبرع منه صلى الله عليه وسلم و
اكرامًا لها لما فيها من حق الحضانة والتربية ولا يخفى ما فى هذا من فرط وجوده و
كثرة حلمه وبره صلى الله عليه وسلم وجاءته صلى الله عليه وسلم امراة كان فى عقلها
شئ فقالت ان لى اليك حاجة فقال اجلسى فى اى سكك المدينة شئت اجلس اليك
وفى رواية مسلم حتى اقضى حاجتك فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها
ولا ريب ان هذا كله من كثرة تواضعه عم وقال عبد الله بن ابى الحمساء بالحاء المهملة
المفتوحة والميم الساكنة وبالسين المهملة فى اخره همزة ممدودة بايعت النبى
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها فى مكانه
فنسيت فذكرت بعد ثلاث فاذا هو فى مكانه فقال لقد شققت على انا ههنا
منذ ثلاث انتظرك رواه ابو داود وقال ابن ابى اوفى كان عليه السلام
لا يانف ان يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له الحاجة رواه النسايى
وفى رواية البخارى ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت وفى رواية احمد فتنطلق به فى حاجتها وعنده ايضا ان
كانت الوليدة من ولايد اهل المدينة لتجئ فتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود

من الاخذ باليد لازمة وهو الانقياد وقد اشتمل على انواع من المبالغة في التوا
لذكره المراة دون الرجل فالامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاما اي امة كانت
وبقوله حيث شاءت اي من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت
حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك وهذا
من مزيد تواضعه وبراءته من جميع انواع الكبر صلى الله عليه وسلم ودخل الحسن وهو
يصلي قد سجد فركب على ظهره فابطاء في سجوده حتى نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض
اصحابه يا رسول الله لقد اطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله اي جعلني
كالراحلة فركب على ظهري وكان عليه السلام يعود المرضى ويشهد الجنازة
اخرجه الترمذي في الشمايل وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قطيفة
لا تساوي دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وكان اذا
صلى الغداة جاء خدم المدينة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده
فيه فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها رواه مسلم والترمذي
وكان عليه السلام ينام مع ازواجه قال النووي وهو ظاهر فعله الذي
واظب عليه مع مواظبته صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فينام
مع احديهن فاذا اراد القيام لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته
واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع
الزوج مع زوجته في فراش واحد افضل لا سيما ان عرف من حالها حرصها

يعلم

على هذا ولا يلزم من نومه معها الجماع والله اعلم وقد كان عليه السلام
يسرب الى عايشة بنات الانصار يلعبن معها رواه الشيخان واذا شربت
من الاناء اخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب رواه مسلم واذا تعرقت
عرقا وهو العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه على موضع فمها رواه
مسلم وكان يتكي في حجرها ويقبلها وهو صايم رواه الشيخان وكان يريها الحبشة
وهم يلعبون في المسجد وهي متكية على منكبه رواه البخاري وروى الترمذي
بلفظ قام صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقال
يا عايشة تعالي فانظري فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعلت انظر اليها ما بين المنكب الى رأسه فقال لي اما شبعت اما شبعت
قالت فجعلت اقول لا لا وقال حسن صحيح غريب وروي انه صلى الله عليه وسلم
سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها قال هذه بتلك ورواه ابو داود
بلفظ سابقته في سفر فسبقته على رجلي قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقني
قال هذه بتلك السبقة وعن انس بن مالك انهم كانوا يوما عند رسول الله عم
في بيت عايشة رضي الله عنها اذ اتي بصحفة خبز ولحم من بيت ام سلمة
فوضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا ايديكم فوضع
نبي الله صلى الله عليه وسلم ووضعنا ايدينا فاكلنا وعايشة تصنع طعاما
عجلته قد رأت الصحفة التي اتي بها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ودفعت

صحفة ام سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله غارت
امكم ثم اعطى صحفتها ام سلمة فقال طعام واناء مكان اناء رواه الطبراني في الصغير
وهو عند البخاري بلفظ كان عند بعض نسايه فارسلت احدى امهات
المومنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت
الصحفة فانفلقت فجمع صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها
الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت امكم ثم حبس الخادم حتى اتي
بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الى التي كسرت صحفتها وامسك المكسورة في
بيت التي كسرت وعند احمد وابي داود والنسايي قالت عايشة ما رايت صانعة طعاما
مثل صفية اهدت الى النبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسي
ان كسرته فقلت يا رسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعاما كطعام
وعند غيرهم فاخذت القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام
صلى الله عليه وسلم يلتقط اللحم والطعام وهو يقول غارت امكم فلم
يثرب عليها فوسع خلقه العظيم اثار طفحات اثار غيرتها ولم يتاثر وقضى
عليها بحكم الله في القصاص وهكذا كانت احواله صلى الله عليه وسلم مع
ازواجه لا ياخذ عليهن ويعذرهن وان اقام عليهن قسطاس عدل اقامه
بغير قلق ولا غضب بل رؤف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه
ما يعنتهم قيل وفي هذا الحديث اشارة الى عدم مواخذة الغيرى فيما يصدر

منها لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي اثارته الغيرة وقد
اخرج ابو يعلى بسند لا باس به عن عايشة رضي مرفوعا ان الغيرى لا تبصر اسفل الوادي
من اعلاه انتهى وعن عايشة رض اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له
وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لها
كلي فابت فقلت لها لتاكلين او لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدي في
في الخزيرة فطليت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع
فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك رسول الله عليه السلام
الحديث رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملا في سيرته والخزيرة
لحم يقطع صغارا ويصب به ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن
تامل سيرته عليه السلام مع اهله واصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام و
الارامل والاضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية
التي لا مرمى وراها المخلوق وانه كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه
حتى قطع يد السارق الى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط اصحابه
بما يوجب حبه في القلوب كان له رجل من البادية يسمى زهيرا وكان يهادي
النبي صلى الله عليه وسلم (البادية) مما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه
ويكافيه بموجود الحاضرة ومما يستطرف منها وكان يقول زهير باديتنا ونحن
حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوما الى

الى السوق فوجده قايما فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فاحس زهير
بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت امسح ظهري في صدره رجاء
بركته وفي رواية الترمذي في الشمايل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال
ارسلني من هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يالو ما الصق
ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من يشتري العبد فقال له زهير يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال له عم
انت عند الله غال واخرج ابو يعلى عن زيد بن اسلم ان رجلا كان يهدي للنبي عم
العكة من السمن والعسل فاذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به الى النبي صلى الله
فقال اعط هذا متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على ان يتبسم ويامر
به فيعطى ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم وكان لا يدخل الى المدينة طرفة
الا اشترى منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب
ثمنه جاء به فقال اعط هذا الثمن فيقول الم تهده لي فيقول ليس عندي فضحك
ويامر لصاحبه بثمنه وكان عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا كما روى ابو هريرة
وقد قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه عليه السلام من القول
بما عساه ان يكون شفا لبلهه بعد ذلك فقال احملك على ابن الناقة فسبق
لخاطره استصغار ما يصدق عليه البنوة فقال يا رسول الله ما عسى يغني عني
ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل الا الناقة رواه

الترمذي

الترمذي وابو داود وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها ان الجنة لا تدخلها
عجوز فلما جزعت قال لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة وفي رواية الترمذي
عن الحسن اتته صلى الله عليه وسلم عجوز قالت يا رسول الله ادع الله لي ان يدخلني
الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت تبكي فقال اخبروها انها لا
تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وذكره
رزين وكان عليه السلام يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويونسهم و
ياخذ معهم في تدبير امورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره وهو مع
ذلك سر في الملكوت يجول حيث اراد الله به والدعابة بضم الدال وتخفيف العين
المهملتين وبعد الالف موحدة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره ولما اخرج
الترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال
اني لا اقول الا حقا وما ورد عنه عليه السلام في النهي عن المداعبة محمول
على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر عن مهمات الدين وغير ذلك
والذي يسلم من ذلك هو المباح فان صادف مصلحة مثل تطيب نفس المخاطب كما
كان هو فعله عليه السلام فهو مستحب وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل
على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراه حزينا فقال ما شانه قالوا امات نغره
فقال يا ابا عمير ما فعل النغير رواه البخاري ومسلم وفي رواية الترمذي قال

انس ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لي صغير يا ابا عمير ما
فعل النغير قال الجوهري النغير تصغير نغر والنغر جمع النغرة وهو طاير صغير كالعصفور
والجمع نغران مثل صرد وصردان وكان قد القي عليه مع الدعابة المهابة ولقد جاء
اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة
فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس اني اوحي
الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا فسكن
عليه السلام روعه شفقة لانه بالمؤمنين رؤف رحيم وسلب عنه وصف الملوكية
بقوله فاني لست بملك لما يلزمها من الجبروتية وقال انما انا ابن امراة تاكل القديد
وتواضعا لان القديد مفضول وهو ماكول المسكنة ولما رات عليه السلام قيلة
بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصا ارعدت من الفرق رواه ابو داود وروى
مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
ملات عيني منه قط حياء منه وتعظيما له وقيل لي صفه لما قدرت او كما قال
واذا كان هذا قوله وهو من جلة اصحابه ولولا انه كان عليه السلام يباسطهم و
يتواضع لهم ويونسهم لما قدر احد منهم ان يقعد معه ولا ان يسمع كلامه عليه السلام
لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة ويبين ذلك ما روي انه عليه السلام كان
اذا فرغ من ركوع الفجر حدث عايشة ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج

بعد

بعد ذلك الى الصلاة وما ذاك الا انه عليه السلام لو خرج على تلك الحالة
التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه
وغير ذلك من الاحوال التي يتحدث مع عايشة او يضطجع بالارض حتى يحصل التانيس
بجنسهم وهو التانيس مع عايشة او جنس اصل الخلقة التي هي الارض ثم يخرج
اليهم وما ذاك الا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رحيما قاله ابن الحاج في
المدخل وقد جاء في الحديث انه لما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فنظر عليه السلام الى جبريل كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير
الى التواضع فاختار عليه السلام العبودية فلما كان تواضعه عليه السلام
الى الارض حيث اشار جبريل ورثه الله تعالى رفعته الى السما ثم الى الرفيق
الاعلى الى حضرة قاب قوسين او ادنى ووقف بين يديه محمود بن الربيع وهو
صغير بن خمس سنين فمج عليه السلام في وجهه مجة من ماء دلو بيما رخه بها
فكان في ذلك من البركة انه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي عم
الا تلك المجة فعد من الصحابة وحديثه مذكور في البخاري ودخلت عليه ربيبته
زينب بنت ام سلمة وهو في مغتسله فنضح الماء في وجهها فكان في ذلك
من البركة في وجهها انه لم يتغير فكان ماء الشباب ثابتا في وجهها ظاهرا في
رونقها وهي عجوز كبيرة وحديثها مذكور بها كذا
وقد علمت انه صلى الله عليه وسلم كان مع اصحابه واهله ومع العزب من

والقريب من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه و
الوقوف مع من استوقفه والمزح بالحق مع الصغير والكبير احيانا واجابة
الدعوة ولين الجانب حتى يظن كل واحد من اصحابه انه احبهم اليه وهذا الميدان
لا تجد فيه الا واجبا او مستحبا او مباحا ° فكان يباسط الخلق ويلابسهم
ليستضيئوا بنور هدايته في ظلمات دياجي الجهل ويقتدوا بهديه
وقد كان مجالسه عليه السلام مع اصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير
بالله وترغيب اما بتلاوة القران او بما اتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة
وتعليم ما ينفع في الدين كما امره الله تعالى ان يذكر ويعظ ويقص وان يدعو
الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وان يبشر وينذر فلذلك كانت
تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة
كما ذكره ابو هريرة فيما رواه احمد والترمذي وابن حبان في صحيحه قال قلنا
يا رسول الله ما لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من اهل
الاخرة فاذا خرجنا من عندك عافسنا اهلنا وشممنا اولادنا انكرنا انفسنا فقال
صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم
الملائكة في بيوتكم الحديث ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما عاب ذواقا قط
ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه رواه الشيخان وهذا اذا كان الطعام
مباحا اما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه وذهب بعضهم الى ان العيب

ان كان

ان كان من جهة الخلقة كره وان كان من جهة الصنعة لم يكره قال لان صنعة
الله تعالى لا تعاب وصنعة الادميين تعاب وقال في فتح الباري والذي
يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قال النووي ومن اداب الطعام المتاكد
ان لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك
ومن تواضعه ان هذه الدنيا شاع سبها في العالمين فقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الدنيا ثم مدحها فقال نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها
ينجو من الشر وقال لا تسبوا الدهر رواه البخاري من حديث ابي هريرة بلفظ
ولا تقولوا خيبة للدهر فان الله هو الدهر وفي لفظ له يسب ابن ادم الدهر
وانا الدهر بيدي الليل والنهار وعند مسلم في حديث بلفظ لا يسب احدكم
الدهر ومحصل ما قيل في تأويله ثلاثة اوجه احدها ان المراد بقوله ان الله
هو الدهر اي المدبر للامور ثانيها انه على حذف مضاف اي صاحب الدهر ثالثها
التقدير مقلب الدهر ولذلك عقب بقوله في رواية البخاري بيدي الليل و
النهار وقال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن
اجرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك لتشبهه
باهل الكفر في الاطلاق وما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه رواه البخاري اي امرين من امور
الدنيا لا اثم فيهما وابهم فاعل خير ليكون اعم من قبل الله او من قبل المخلوقين

وقوله الا اختار ايسرهما وقوله ما لم يكن اي ما لم يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ يختار الاشد وفي حديث انس عند الطبراني في الاوسط الا اختار ايسرهما ما لم يكن لله فيه سخط ووقوع التخيير بين ما فيه اثم وما لا اثم فيه من قبل المخلوقين ومن تواضعه انه لم يكن له بواب راتب كما جاء عن انس انه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامراة وهي تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك خلو من مصيبتي قال فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال ما قال لك رسول الله فقالت ما عرفته قال انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا الحديث رواه البخاري لكن في حديث ابي موسى انه كان بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على القف وجمع بينهما بانه كان عليه الصلوة والسلام اذا لم يكن في شغل من اهله ولا انفراد من امره انه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه وفي حديث عمر حين استاذن له الاسود في قصة حلفه ان لا يدخل على نسائه شهرا ففيه انه كان في وقت خلوته بنفسه يتخذ بوابا ولولا ذلك لاستاذن عمر لنفسه ولم يحتج الى قوله يا رباح استاذن لي لكن يحتمل ان يكون سبب استيذان عمر انه خشي ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فاراد ان يختبر ذلك باستيذانه عليه فلما اذن له اطمان وقد اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعي وجماعة ينبغي للحاكم ان يتخذ حاجبا وذهب اخرون الى جوازه وحمل الاول على زمن سكون الناس و

و

واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم وقال اخرون بل يستحب ذلك حينئذ ليرتب الخصوم ويمنع المستطيل ويدفع الشرير والله اعلم واما ما روي من حيائه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث ابي سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها والعذراء هي البكر والخدر بكسر الخاء المعجمة اي في سترها وهو من باب التتميم لان العذراء في الخلوة يشتد حياؤها اكثر مما تكون خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فالظاهر ان المراد تقييده اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه والحياء بالمد وهو من الحياة ومنه الحياء للمطر لكن هو مقصور وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب والروح وكلما كان القلب احيا كان الحياء اتم وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب والترك انما هو من لوازمه وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التضعيع في حق ذوي الحق وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك والحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال يحيى بن معاذ رحمه الله من استحيا من الله مطيعا استحياء الله منه وهو مذنب وهذا الكلام يحتاج الى شرح ومعناه ان من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه اطراق مستحي خجل فانه اذا وقع منه ذنبا استحيى الله

من نظره اليه في تلك الحالة لكرامته عليه فيستحيي ان يرى من وليه ما يشينه عنده
وفي الشاهد شاهد بذلك فان الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه
واقربهم منه من صاحب او ولد او من يحبه وهو يخوفه فانه يلحقه من ذلك
الاطلاع عليه حياء عجيب حتى كانه هو الجاني وهذا غاية الكرم وللحيا اقسام
ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحياءه عليه السلام من القوم الذين
دعاهم الى وليمة زينب وطولوا عنده المقام واستحيى ان يقول لهم انصرفوا
ومنها حياء المحب من محبوبه حتى انه اذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحياء
من قلبه واحس به في وجهه فلا يدري ما سببه ومنها حياء العبودية وهو
حياء يمتزج بين محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده
وان قدره اعلى واجل منها فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ومنها
حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها
بالنقص وقنعها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كان له نفسين
يستحيي احديهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحيا فان العبد اذا استحيا
من نفسه فهو بان يستحيي من غيره اجدر والحيا كما قال عليه الصلاة والسلام
لا يأتي الا بخير وهو من الايمان كما رواه البخاري قال القاضي عياض و
غيره وانما جعل الحياء من الايمان وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع
يحتاج الى قصد واكتساب وعلم قال القرطبي الحياء المكتسب هو الذي جعله

الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه
غريزة منه فانه تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا قال وكان النبي عم
قد جمع له النوعان فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء وخدرها
وقال القاضي عياض وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيا
لا يثبت بصره في وجه احد واما خوفه صلى الله عليه وسلم من ربه جل
وعلا فاعلم ان الخوف والوجل والرهبة الفاظ متقاربة غير مترادفة
قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجاري الانفاس وقيل الخوف اضطراب
القلب وحركته من تذكر المخوف وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام
وهذا سبب الخوف لا انه نفسه وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند
استشعاره والخشية اخص من الخوف فان الخشية للعلماء بالله تعالى قال الله تع
انما يخشى الله من عباده العلماء فهو خوف مقرون بمعرفة قال صلى الله عليه
وسلم انا اتقاكم لله واشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض
وسكون فان الذي يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان احديهما حركة
للهرب منه وهي حالة الخوف والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل اليه
وهي الخشية واما الرهبة فهي الامعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة
التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه واما الوجل فرجفان القلب وانصداعه
لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته واما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم و

والاجلال واكثر ما يكون مع المعرفة والمحبّة والاجلال لتعظيم مقرون
بالحبّ والخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة
للمحبّين والاجلال للمقرّبين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف و
الخشية كما قال صلى الله عليه وسلّم اني لاعلمكم بالله واشدّكم له خشية
رواه البخاريّ وقال عليه الصلوة والسّلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخاريّ من حديث ابي هريرة وفيه دلالة على
اختصاصه صلى الله عليه وسلّم بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع
الله تعالى عليها غيره من المخلصين من امته لكن بطريق الاجمال واما تفاصيلها
فاختص بها صلى الله وسلّم وفي صحيح مسلم من حديث انس ان صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفس محمّد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا قالوا
وما رأيت يا رسول الله قال رأيت الجنّة والنار فقد جمع الله له بين علم اليقين
وعين اليقين مع الخشية القلبية واستحضار استحضار العظمة والالهية على وجه
لم يجتمع لغيره ولنا قال ان اتقاكم واعلمكم بالله انا وهو في الصّحيح من حديث عائشة
وكان صلى الله عليه وسلّم يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء رواه النسّاي
وابن خزيمة وابن حبّان في صحيحه بلفظ كازيز الرّحاء اي حنين من الخوف بالخاء المعجمة
وهو صوت البكا وقيل هو ان يجيش جوفه ويغلي من البكا واما ما روي
من شجاعته عليه السلام ونجدته وقوّته في الله وشدّته فعن انس قال

كان النبيّ عليه الصّلوة والسّلام احسن النّاس واجود النّاس واشجع
النّاس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصّوت فتلقاهم
رسول الله صلّى الله راجعًا قد سبقهم الى الصّوت واستبرأ الخبر
على فرس لابي طلحة عري والسّيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا ٥
وفي رواية كان فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلّم
فرسًا من ابي طلحة يقال له المندوب فركب فلمّا رجع قال ما راينا من شيء
وان وجدناه لبحرًا وانه لبحر قال وكان فرسًا يبطأ رواه البخاريّ ومسلم
وابو داود والترمذيّ وللبخاري ان اهل المدينة فزعوا مرّة فركب النبيّ
فرسًا لابي طلحة كان يقطف او فيه قطاف فلمّا رجع قال وجدنا فرسكم
بحرا فكان بعد لا يجاري وفي اخرى له ثم خرج يركض وحده فركض الناس
يركضون خلفه فقال لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد ذلك اليوم قوله لن
تراعوا اي روعًا مستقرا او روعًا يضركم وفي هذا الحديث بيان شجاعته
من شدّة عجلته في الخروج الى العدوّ قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال
ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب
الفرس سريعًا بعد ان كان يبطاء وهو معنى قوله عليه الصّلاة والسّلام وجدنا
بحرًا اي واسع الجري وفيه قطاف يقال قطف الفرس في مشيه اذا تضايق
خطوه واسرع مشيه قال القاضي عياض وقد كان في افراسه صلى الله عليه وسلم

مندوب فلعله صار اليه بعد ابي طلحة وقال النووي يحتمل انهما فرسان
اتفقا في الاسم وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد من رسول الله صلى الله
وذكر ابن اسحاق في كتابه وغيره انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع و
كان الناس ياتون من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم في
شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة
الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه او كما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك قال ارايت ان صرعتك
اتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيا للمصارعة قال تهيات
فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم صرعه قال فتعجب ركانة
من ذلك ثم ساله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة
متعجبا وقال ان شانك لعجيب ورواه الحاكم في مستدركه عن ابي جعفر محمد بن
ركانة المصارع ورواه ابو داود والترمذي وكذا البيهقي من رواة سعيد
سعيد بن جبير وقد صارع عليه السلام جماعة غير ركانة منهم ابو الاسود
الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وقد كان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف
على جلد البقرة ويجاذب باطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد
ولم يتزحزح عنه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال
ان صرعتني امنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن

وفي قصته طول وفي البخاري من حديث البراء وساله رجل من قيس افررتم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر كان هوازن رماة وانا حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلنا
بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان
بن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا
في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف
عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة الجري ولا تصلح ولا فر و
لا هرب وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه
صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث كنا اذا احمر الباس
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به
وقمنا خلفه واما ما ذكر من سخائه وجوده وكرمه فاعلم ان السخا صفة غريزية
وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون فحكم بالفلاح لمن وقي الشح وحكم بالفلاح ايضا
لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين وليس شح من الادمي
بعجيب لانه جبلي منه وانما العجب وجود السخا في الغريزة والسخاء اتم واكمل من
الجود وفي مقابلته البخل وفي مقابلة السخا الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الا

بطرتق العادة بخلاف الشح والسخا اذ كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد
وليس كل جواد سخيا والجود يتطرق اليه الريا ويأتي به الانسان متطلعا الى غرض
من الخلق او الحق بمقابلة من الثناء او غيره من الخلق والثواب من الله تعالى ولا يتطرق
الريا الى السخا لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض اشار اليه في
عوارف المعارف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس لجود
الناس واشجع الناس رواه البخاري ومسلم من حديث انس واجود افعل تفضيل
من الجود وهو اعطا ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه هو اسخى الناس لما كانت نفسه اشرف
النفوس ومزاجه اعدل الامزجة لابد وان يكون فعله احسن الافعال وشكله
املح الاشكال وخلقه احسن الاخلاق فلا شك ان يكون اجود وكيف لا وهو مستغن
عن الفانيات بالباقيات الصالحات واقتصار انس على هذه الاوصاف
الثلاث من جوامع الكلام لانها امهات الاخلاق فان في كل انسان ثلاث قوى
احدها الغضبية وكمالها الشجاعة ثانيها الشهوانية وكمالها الجود وثالثها
العقلية وكمالها النطق بالحكمة وفي رواية لمسلم عنه ما سئل رسول الله ع م
شيئا الا اعطاه فجاء رجل واعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم
اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وعنده ايضا عن صفوان بن امية
قال لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لمن ابغض الناس
الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب اعطاه يوم حنين مائة

من

من الغنم ثم مائة ثم مائة وفي مغازي الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اعطى صفوان يومئذ واديا مملوا ابلا ونعما فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا
الا نفس نبي ويرحم الله ابن جابر حيث قال

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا ... يعطي ولو كثر الانام وداموا
واد من الانعام اعطى مالا ... فتحيرت لعطائه الاوهام

وانما اعطاه ذلك لانه عليه السلام علم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء
وهو الاحسان فعالجه به حتى برأ من داء الكفر واسلم وهذا من كمال شفقته
ورحمته ورأفته عليه السلام اذ عامله بكمال الاحسان وانقذه من
حر النيران الى برد لطف الجنان وكان علي اذا وصفه صلى الله عليه وسلم
قال كان اجود الناس كفا واصدق الناس لهجة وخرج ابن عدي باسناد
فيه ضعف من حديث انس مرفوعا انا اجود بني آدم فهو صلى الله عليه وسلم
بلا ريب اجود بني آدم على الاطلاق كما انه افضلهم واعلمهم واشجعهم
واكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع انواع الجود من
بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده و
ايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جايعهم ووعظ جاهلهم
وقضاء حوايجهم وتحمل اثقالهم ولقد احسن ابن جابر حيث قال

يروي حديث الندى والبشر عن يده ... ووجهه بين منهل ومنسجم

من وجه احمد لي بدر ومن يده   بحر ومن فمه در لمنتظم

يمم نبيا تباري الريح انمله   والمزن من كل هام الورق تكم

لو عامت الفلك فيما فاض من يده   لم تلق اعظم بحرا منه ان تعم

تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ   به ودع كل طامي الموج ملتطم

لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت   كل الانام وروت قلب كل ظمي

فسبحان من اطلع انوار الجمال من افق جبينه وانشاء اقطار السحاب من غمايم يمينه وروى البخاري من حديث جابر ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا وكذا عند مسلم اي ما طلب منه شيء من امر الدنيا فمنعه قال الفرزدق ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم لكن قال شيخ الاسلام شيخ مشايخنا الحافظ ابو الفضل بن حجر ليس المراد انه يعطي ما يطلب منه جزما بل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده اعطاه ان كان الاعطاء سايغا والا سكت قال وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد ان يفعل قال نعم واذا لم يرد ان يفعل سكت وهو قريب من حديث ابي هريرة ما عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للعطا ولا يلزم من ذلك ان يقولها اعتذارا كما في قوله قلت لا احد ما احملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قول لا احد ما احملكم و

بين

وبين لا احملكم انتهى وهو نظير ما في حديث ابي موسى الاشعري لما سأله الاشعريون الحملان فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي ما احملكم فيمكن ان يخص من عموم حديث جابر ما اذا سئل ما ليس عنده والسايل يتحقق انه ليس عنده ذلك او حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة او من حال السايل كان لم يكن يعرف العادة فلو اقتصر في جوابه على السكوت مع حاجة السايل لتمادى على السوال مثلا ويكون القسم على ذلك تاكيدا لقطع طمع السايل والسر في الجمع بين قوله لا احد ما احملكم وقوله والله لا احملكم ان الاول لبيان ان الذي سأله لم يكن موجودا عنده والثاني انه لا يتكلف الاجابة الى ما سئل بالقرض مثلا او بالاستيهاب اذ لا اضطرار حينئذ وروى الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال وجاء رجل فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره النبي عليه الصلاة والسلام فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت وانما فعل ذلك للمصلحة الداعية لذلك كالاستيلاف ونحوه وذكر ابن فارس في كتابه في اسما النبي صلى الله عليه وسلم انه في يوم حنين جاءت امراة فانشدت شعرا تذكره ايام رضاعته في

فى هوازن فرد عليهم ما اخذوا واعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم ما اعطاهم
ذلك اليوم فكان خمسماية الف الف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم
لم يسمع بمثله فى الوجود وفى البخاري من حديث انس انه اتى بمال من البحرين فقال
انثروه يعنى صبوه فى المسجد وكان اكثر مال اتى به صلى الله عليه وسلم فخرج الى
المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلوة جاء فجلس اليه فما كان يرى
احدا الا اعطاه اذ جاء العباس فقال اعطنى فانى فاديت نفسى وفاديت
عقيلا فقال له خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله
مر بعضهم يرفعه الى قال لا قال فارفعه انت على قال لا فنثر منه ثم ذهب
يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه على قال لا قال فارفعه
انت قال لا ثم ذهب نثر منه ثم احتمله فالقاه على كاهله فانطلق فما
زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفى علينا عجبا من حرصه
فما قام عليه الصلوة والسلام وثم منها درهم وفى رواية ابن ابى
شيبة من حديث حميد بن هلال مرسلا كان مائة الف وانه ارسل به العلاء
ابن الحضرمي من خراج البحرين فقال وهو اول مال حمل اليه صلى الله عليه وسلم
وساير جابر على جمل له فقال له صلى الله عليه وسلم بعنى جملك فقال
فقال هو لك يا رسول الله بابى وامى انت فقال بل بعنيه فباعه اياه وامر بلالا
ان ينقده ثمنه فنقده ثم قال له صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن و

والجمل بارك الله لك فيهما مكافاة لقوله بل هو لك فاعطاه الثمن ورد اليه
الجمل وزاده بالدعاء بالبركة فيهما وحديثه فى البخاري ومسلم وغيرهما
وقد كان جوده عليه السلام كله لله وفى ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل المال
تارة لفقير او لمحتاج وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتالف به على دين الاسلام
من يقوى الاسلام باسلامه وكان يوثر على نفسه واولاده فيعطى عطاء
يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش فى نفسه عيش الفقراء فياتى
عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نارا وربما ربط الحجر على بطنه الشريفة
من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبى فشكت اليه فاطمة ما تلقى من
خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح
والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم
من الجوع واتته امراة ببردة فقالت يا رسول الله اكسوك هذه فاخذها
صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فراها عليه رجل من الصحابة
فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسينها فقال نعم فلما قام صلى الله
لامه اصحابه قالوا ما احسنت حين رايت النبى صلى الله عليه وسلم اخذها
محتاجا اليها ثم سالته اياها وقد عرفت انه لا يسال شيئا فيمنعه رواه
البخاري من حديث سهل بن سعد وفى رواية زمعة بن صالح انه صلى الله
امر ان يصنع له غيرها فمات قبل ان يفرغ منها وفى هذا الحديث من الفوائد

حسن خلقه صلى الله وسلم وسعة جوده **واستنبط** منه السادة الصوفية
جواز استدعا المريد خرقة التصوف من المشايخ بتركا بهم ويلباسهم
كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم البس
ام خالد خميصة سودا ذات علم لكن قال شيخنا ما يذكرونه من ان الحسن
البصري لبسها من علي بن ابي طالب رضي الله عنه **فقال** ابن دحية وابن
الصلاح انه باطل **وقال** شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ليس في شيء من طرقها
ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف فيه انه صلى الله عليه وسلم
البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من اصحابه ولا امر
احدا من اصحابها بفعلها وكلما يروى صريحا في ذلك فباطل **قال** ثم ان من الكذب
المفتري قول من قال ان عليا البس الخرقة الحسن البصري فان ائمة الحديث لم
لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة وكذا قاله الدمياطي
والذهبي والعلائي ومغلطاي والعراقي والابناسي والحلبي وغيرهم
مع كون جماعة منهم لبسوها والبسوها تبينها بالقوم نعم ورد لبسهم
لها مع الصحبة المتصلة الى كميل بن زياد وهو صحب علي بن ابي طالب رضي الله عنه
من غير خلف في صحبته له بين ائمة الجرح والتعديل **وفي بعض** الطرق
اتصالها باويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي
الله عنهما **وهذه** صحبة لا مطعن فيها وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة

كالشاذلية وشيخنا ابي اسحاق المتبولي وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين
الذكر واخذ العهد والتلبيس وله في ذلك رسالته ريحان القلوب قراتها على
على ولد ولده العارف المسلك سيدي علي مع الباسه لي الخرقة والتلقين
والعهد **و**للشيخ قطب الدين ابن القسطلاني ارتقاء الرتبة في اللباس والصحبة
والله تعالى يهدينا الى سواء السبيل **الفصل الثالث** فيما تدعو اضرورته
اليه صلى الله عليه وسلم عليه من غذايه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك
وفيه اربعة انواع **النوع الاول** في عيشه صلى الله عليه وسلم في الماكل
والمشرب **اعلم** ان تناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله
على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام
البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبها عمارة
الدنيا والاخرة والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة
الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الاخرة
وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدارين **قال** الغزالي ولا طريق الى الوصول الى
اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة ولا تصفو
سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجات
على تكرار الاوقات **فمن هذا** الوجه قال السلف الصالحين ان الاكل من الدين
وعليه رب العالمين بقوله واصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا

صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوي به على التقوى
فلا ينبغي ان يترك نفسه سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى
فان هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه
وانما نور الدين واذابه وسنته التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي
بلجامها حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها
مرفعة للوزر ومجلبة للاجر واعلم ان الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول
وقد روى النسائي وابن ماجة وصححه الحاكم من حديث المقدام بن معدي
كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملاء ابن ادم وعاء شر
من بطنه حسب الادمي لقيمات يقمن صلبه فان غلبت الادمي نفسه
فثلث للطعام وثلث للشرب وثلث للنفس قال القرطبي في شرح الاسما
كما نقله شيخ الاسلام والحافظ بن حجر لو سمع بقراط بهذه القسمة لعجب
من هذه الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها اسباب حياة الحيوان
ولانه لا يدخل البطن سواها وهل المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر
او التقسيم الى ثلاثة اقسام متقاربة محل احتمال وقد صح المؤمن ياكل في
معا واحد وهي بكسر الميم مقصور المصار والكافر ياكل في سبعة امعاء و
ليس حقيقة العدد مراده وتخصيص السبعة للمبالغة في التكثير والمعنى
ان المؤمن من شانه التقلل من الاكل لاشتغاله باسباب العبادة ولعلمه بان

مقصود الشرع من الاكل ما سد الجوع ويعين على العبادات والخشية ايضا
من حساب ما زاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك وعند اهل الشرع ان
امعاء الانسان سبعة المعدة ثم ثلاثة امعا بعدها متصلة بها البواب
ثم الصائم ثم الرقيق والثلاثة دقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم
وطرفه الدبر وكلها غلاظ وقد نظمها الحافظ زين الدين العراقي في قوله

سبعة امعاء لكل ادمي ... معدة بوابها مع صايم
ثم الرقيق اعور قولون مع ... المستقيم مسلك المطاعم

فيكون المعنى ان الكافر لكونه ياكل بشرهه لا يشبعه الا ملا امعائه السبعة و
المومن يشبعه ملء معا واحد ولا يلزم من هذا الحديث اطراد في حق كل مؤمن و
كافر فقد يكون في المؤمنين من ياكل كثيرا اما بحسب العادة واما العارض
يعرض له من مرض باطن او لغير ذلك ويكون في الكفار من ياكل قليلا اما
لمراعات الصحة على راي الاطبا واما للرياضة على راي الرهبان واما العارض
كضعف المعدة والمحصل القول ان من شان المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع
بالبلغة بخلاف الكافر وقيل المراد ان المؤمن يسمي الله عند طعامه وشرابه
فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد بالمؤمن في هذا
الحديث التام الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه اشتغل فكره فيما
يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق

على نفسه من استيفاء شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر
تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره اكثر مطعمه وقسا قلبه وقالوا لا تدخل الحكمة
معدة مليت طعاما ومن قل طعامه قل شربه وخف منامه ومن خف
منامه ظهر بركة عمره ومن امتلاء بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه
ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه
وصلح حال نفسه وقلبه ومن تملاء من الطعام ساء غذاء بدنه واشرت نفسه
وقسا قلبه وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الشبع في الدنيا هم
اهل الجوع غدا في الاخرة رواه الطبراني وعن سلمان وابي جحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا في الاخرة وقالت عايشة
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم
طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وقوله لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط محمول على الشبع الذي يثقل
المعدة ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي الى البطر والاشر
والنوم والكسل وقد تنتهي كراهته الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من
المفسدة وليس المراد الشبع النسبي المعتاد في الجملة ففي صحيح مسلم خروجه
صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم الى بيت الانصاري
وذبحه الشاة وفيه فلما ان شبعوا ورووا قال النووي فيه جواز الشبع

وما

وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه وعن ابي هريرة قال ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم
من طعام ثلثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن ابن عباس قال كان رسول الله
يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير رواه
الترمذي وصححه وفي حديث مسعر عند مسلم ما اشبع ال محمد يومين من خبز البر
الا واحدهما تمر واخرج ابن سعد من طريق عمران بن زيد المدني حدثني والدي
قال دخلنا على عايشة فقالت خرج تعني النبي صلى الله عليه من الدنيا ولم يملأ بطنه
في يوم من طعامين كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع
من التمر وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه وسلم
القثاء بالرطب كما سيأتي ان شاء الله تعالى وعن الحسن قال خطب رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله ما امسى في ال محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات والله
قالها مستقلا لا لرزق الله ولكن اراد ان تتاسى امته رواه الدمياطي في
السيرة له وعن عايشة قالت كان يعجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة
اشياء الطيب والنساء والطعام فاصاب اثنتين ولم يصب واحدة اصاب النساء
والطيب ولم يصب الطعام ذكره الدمياطي ايضا وفي الشمائل للترمذي عن
النعمان بن بشير لقد رايت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وفي رواية
مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملاء بطنه وقالت عايشة ان كنا
ال محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنارا ان هو الا الماء والتمر وقال عتبة بن غزوان لقد

راينتي واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمرة
حتى تقرحت اشداقنا وفي رواية البخاري ومسلم كانت عايشة تقول لعروة والله
يا ابن اختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما او قد
في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم
قالت الاسودان التمر والماء الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران
من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من البانها فيسقيناه ولمسلم ايضا قالت لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يشبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين وقال انس ما اعلم ان رسول الله ما
راى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا راى شاة سميطا بعينيه حتى لحق بالله رواه
البخاري والمرقق الملين المحسن الخبز الحواري وشبهه والترقيق التليين
ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون المرقق الرقيق الموسع قاله القاضي عياض وجزم
به ابن الاثير فقال السميد وما يصنع منه كعك وغيره وقال ابن الجوزي وهو الخفيف
كانه اخذه من الرقاق وهي الخشبة التي يرقق بها والحواري بضم المهملة وتشديد
الواو وفتح الراء الخالص الذي ينخل مرة بعد اخرى وقوله ولا شاة سميطا
هو الذي ازيل شعره بالماء السخن وشوي بجلده وانما يصنع ذلك في الصغير السن
وهو فعل المترفين من وجهين احدهما المبادرة الذبح ما لو بقي لازداد ثمنه
وثانيهما ان المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره والسمط يفسده وقد جرى

ابن

ابن بطال وابن الاثير على ان المسموط هو المشوي لكن الثاني ذكر ان اصله نزع
صوفه بالماء الحار كما تقدم قال وانما يفعل ذلك في الغالب ليشوى ولعله
يعني انه لم ير السميط في ماكوله والا فان لم يكن معهودا فلا تمدح وعن ابي
حازم انه سال سهلا هل رايتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي وفي
رواية له هل كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما راى
النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين بعثه الله حتى قبضه الله قال الشيخ الاسلام
ابن حجر اظنه احترز عما قبل البعثة لكونه صلى الله عليه وسلم كان يسافر في
تلك المدة الى الشام اذ ذاك مع الروم والخبز النقي عندهم كثير وكذا المناخل
وغيرها من الات الترفه ولا ريب انه راى ذلك عندهم واما بعد البعثة فلم
يكن الا بمكة والطايف والمدينة ووصل الى تبوك وهي من اطراف الشام
لكن لم يفتحها ولا طالت اقامته بها انتهى وقد تتبعت هل كانت اقراص خبزه
صغارا ام كبارا فلم اجد في ذلك شيئا بعد التفتيش نعم روي امره بتصغيرها
في حديث عند الديلمي عن عايشة رفعته بلفظ صغروا الخبز واكثروا عدده
يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال ان
المتهم به جابر بن سليم وروي عن ابي عمر مرفوعا البركة في صغر القرص
وقيل عن النسايي انه كذب لكن روى البزار بسند ضعيف عن ابي الدرداء مرفوعا
قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قال في النهاية وحكي عن الاوزاعي انه تصغير الارغفة

وكذا حكى البزار عن ابراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن بعض اهل العلم انه تصغير
الارغفة اشار الى ذلك شيخنا فى المقاصد الحسنة ولعل هذا سند شيخى
وقدوتي واسنان عين بصيرتى العارف الربانى برهان العارفين ابى اسحق
ابراهيم المبولي في تصغيره ارغفة سماطه كالشيخ ابى العباس احمد البدوي
والسادات اكسير معارف السعادات اولى المواهب العلية والحقايق
المحمدية بنى الوفا اعاده الله من بركاتهم علينا و واصل امداداتهم الينا
وعن عايشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندي شيء
ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني
رواه البخاري ومسلم وعندهما ايضا قالت توفى صلى الله عليه وسلم ودرعه
مرهونة عند يهودي في ثلثين صاعا من شعير وقال ابن عباس ودرعه
مرهونة بعشرين صاعا من طعام اخذه لاهله رواه الترمذي وعن ابي
هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا هو بابي بكر و
وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال
وانا والذي نفسي بيده لاخرجنى الذي اخرجكما فاتى رجلا من الانصار فاذا هو
ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها صلى الله عليه وسلم
اين فلان قالت ذهب ليستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر رسول الله
وصاحبيه فقال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق

فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياك والحلوب فذبح فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا
قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن عن هذا النعيم
يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم رواه مسلم
وغيره وهذا السؤال سؤال تشريف وانعام وتعديد فضل واكرام وعن طلحة بن نافع
انه سمع جابر بن عبد الله يقول اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم
الى منزله فاخرج اليه فلقا من خبز فقال ما من ادم فقالوا لا الا شيء من خل قال نعم
الادام الخل قال جابر فما زلت احب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم
وقال طلحة فما زلت احب الخل منذ سمعتها من جابر رواه مسلم وروي عن ابي
بجير قال اصاب النبي صلى الله عليه وسلم يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم
قال الا رب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جايعة عارية يوم القيمة الا رب مكرم لنفسه
وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه ابن ابي الدنيا وعن انس
بن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا
عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين قال الترمذي
هذا حديث غريب من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه ومعنى قوله ورفعنا
عن بطوننا عن حجر قال كان احدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد و الضعف الذي
به من الجوع وقصة جابر يوم الخندق حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يوم

الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وتقدمت وما احسن قول
الابوصيري اذ قال ٠ وشد من سغب احشاءه وطوى ٠ تحت الحجارة كشحا مترف الادم
والكشح كما ذكرته في شرح هذه القصيدة ما بين خاصرته الشريفة واقصر ضلع
من جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع
وانما كان هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية
فهي اذا امتلات من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها
طعام طلبت رطبات الجسم وجواهره فيتالم الانسان بتلك الحرارة فتعلق
بكثير من جواهر البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشاء والجلد خمدت نارها
بعض الخمود فقل الالم وانما تالمه بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ
قوته ونضارة جسمه حتى ان من راه لا يظن ان به جوعا لان حسنه صلى الله
عليه وسلم انما كان يري اشد نضارة من اجسام المترفين بالنعم في الدنيا
وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم بقوله امترف الادم وهو من باب
الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب خاف ممن يتوهم ان جسمه
الشريف حينئذ يظهر فيه اثر الجوع فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله
مترف الادم وقد انكر ابو حاتم بن حبان احاديث وضع الحجر على بطنه الشريفه
من الجوع وقال انها باطلة متمسكا بحديث لو صال لست كاحدكم اني اطعم و
اسقى قال وانما معناها الحجز بالزاء وهو طرف الازار لان الله تعالى قد كان

يطعم

يطعم رسوله عليه الصلوة والسلام ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر
على بطنه وما يغني الحجر عن الجوع انتهى وقال بعضهم يجوز ان يكون عصب الحجر
لعادة عند العرب واهل المدينة انهم يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم وغارت
بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليعلم اصحابه انه ليس
عنده ما يستاثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث وانه صلى الله عليه وسلم فعل
ذلك اختيارا للثواب وقد استشكل كونه عليه الصلوة والسلام واصحابه كانوا يطوون
الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس
من اصحابه الف بعير مما افاء الله عليه وانه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها و
اطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك مع من كان معه
من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم و
اموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه و
حث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك واجاب عنه
الطبري كما حكاه في فتح الباري ان ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز
وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهية الشبع ولكثرة الاكل انتهى وتعقب بان ما
نفاه مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث واخرج بن حبان في صحيحه عن عايشة
من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر
والودك الى غير ذلك قال الحافظ بن حجر والحق ان الكثير منهم كانوا في حال ضيق

قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى المدينة كان اكثرهم كذلك فواساهم
الانصار بالمنازل والمنايح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منايحهم
كما تقدم وقد قال عليه الصلوة والسلام لقد اخفت في الله وما يخاف احد
ولقد اوذيت في الله وما يوذي احد ولقد اتت علي ثلثون من يوم وليلة ما لي
ولبلال طعام ياكله احد الا شيء يواريه ابط بلال رواه الترمذي وصححه نعم
كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع امكان حصول التوسع والتبسط في
الدنيا له كما اخرج الترمذي من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما
واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك
وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بالخطاب والا فالله تعالى عالم بالاشياء جملة
وتفصيلا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم و
جبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي
بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه
باسرع من ان سمع هدة من السما افزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر الله القيمة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك
فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزاين الارض
وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة

فان

فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع فقال
بل نبيا عبدا ثلاثا رواه الطبراني باسناد حسن فانظر الى همته العلية كيف
عرضت عليه مفاتيح خزاين الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها لانفقها
في طاعة ربه فابى ذلك واختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة
ما اسناها ونفس زكية كريمة ما ابهاها ولله در صاحب بردة المديح حيث قال

وراودته الجبال الشم من ذهب — عن نفسه فاراها ايما شمم
واكدت زهده فيها ضرورته — ان الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من — لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

اي كيف تدعو اضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وهي وما فيها انما
برزت لاجله فكيف يضطر اليها لكن في كلامه شيء فانه في مقام المدح فلا يليق
منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة قال الحليمي في شعب الايمان من تعظيم النبي
ان لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا وانكر
بعضهم اطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم وقد حكى صاحب نشر
الدرر عن محمد بن واسع انه قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد
فيها وقد ذكر القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الشيخ تقي الدين السبكي
في كتابه السيف المسلول ان فقهاء الاندلس افتوا بقتل حاتم المتفقة الطليطلي
وصلبه لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته

باليتيم وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات كلها انتهى وذكر
الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المهاجرين انه كان يقول لم يكن النبي م
فقيراً من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان اغنى الناس بالله قد كفي امر الدنيا
في نفسه وعياله وكان يقول في قوله عليه السلام اللهم احيني مسكينا ان
المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته
وكان يشدد النكير من يعتقد خلاف ذلك انتهى واما ما روي انه عليه السلام
قال الفقر فخري وبه افتخر فقال شيخ الاسلام والحافظ بن حجر هو باطل موضوع
واعلم انه لم يكن من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة .
على نوع واحد من الاغذية لا يتعداه الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو انه
افضل الاغذية بل كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما جرت عادة اهل بلده
باكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره مما سياتي فاكل صلى الله عم
الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه البخاري والترمذي والحلوي بالقصر و
المد كل حلو وقال الخطابي اسم الحلوي لا يقع الا على ما دخلته الصنعة وقال
ابن سيده ما عولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة قال الخطابي
ولم يكن حبه عليه السلام لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس اليها
وانما كان ينال منها اذا احضرت اليه نيلا صالحا فعلم بذلك انها تعجبه ووقع
في كتاب فقه اللغة للثعالبي ان حلوي النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها

هي المجيع بالميم والجيم بوزن عظيم وهو تمر يعجن بلبن حكاه في فتح الباري
ولم يصح وروده انه عليه السلام كان يحب السكر ولا انه تصدق به ولا انه ا
لكن اخرج ابو جعفر الطحاوي والبيهقي في سننه من حديث لمازة عن ثور بن
يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجواري معهن الاطباق عليها اللوز
والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام لا تنتهبون قالوا انك
نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوي على ان النثار غير مكروه كما
ذهب اليه ابو حنيفة وقضى به على الاحاديث الصحيحة التي فيها النهي عن
النهبة لكن قال البيهقي بعد رواية الحديث وهذا لا يثبت ثم قال ما روي
من حديث عايشة عنه صلى الله عليه وسلم ولا يثبت في هذا المعنى شيء
وشنع على الطحاوي القول في ذلك جدا في كتاب المعرفة وقال انما الحديث
يروي عن عون بن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لا يحتج به وشيخهما
المازة بن المغيرة مجهول وهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث
فكيف بهما مجتمعتان هذا وخالد بن معدان منقطع ولا حجة في منقطع فهذه
علل ثلاث بضعف الحديث بدونها وقد افرد الكلام على ذلك ابن مفلح
اليوسفي والله اعلم وعن ليث بن ابي سليم قال اول من خبص في الاسلام

عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما فبعث
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل فاستطابه قال الطبرانى فى الرياض
رواه خيثمة فى فضايل عثمان وعن عبد الله بن سلام قال قدمت عير فيها
حمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حوارى وسمن وعسل فاتى بها النبي ع م
فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق
والسمن ثم عصد حتى نضجا وكاد ينضج ثم انزل فقال صلى الله عليه وسلم
كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص قال الطبري خرجه تمام فى فوايده والطبرانى
فى معجمه ورجاله ثقات واكل صلى الله عليه وسلم لحم الضان وهذه الثلاثة
اعنى الحلوى والعسل واللحم من افضل الاغذية وانفعها للبدن والكبد
والاعضا ولا ينفر منها الا من به علة وافة واللحم سيد طعام اهل الجنة
وفى رواية سيد الطعام لاهل الدنيا والاخرة رواه ابن ماجة وابن ابى الدنيا
من حديث ابى الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف وله شواهد منها عن علي
رفعه سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم فى الطب النبوي
واكل اللحم يزيد قوة سبعين قوة قاله الزهرى وعن على انه يصفى اللون ويحسن
الخلق ومن تركه اربعين ليلة ساء خلقه ولابى الشيخ بن حبان من رواية ميمون
قال سمعت علماءنا يقولون كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللحم ويقول هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والاخرة ولو

سالت

سالت ربى ان يطعمنيه كل يوم لفعل وقال الامام الشافعى ان اكله يزيد فى العقل
وكان عليه السلام تعجبه الذراع ولذلك سم فيه وعن ابى رافع انه اهديت له
شاة فجعلها فى قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا ابا رافع
فقال شاة اهديت لنا يا رسول الله فطبختها فى القدر فقال ناولنى الذراع يا ابا رافع
فناولته الذراع ثم قال ناولنى الذراع الاخر فناولته الذراع الاخر فقال ناولنى
الذراع الاخر فقال يا رسول الله انما للشاة ذراعان فقال له صلى الله عليه وسلم
لو سكت لناولتنى ذراعا فذراعا ما سكت ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل اطراف
اصابعه ثم قام وصلى الحديث رواه احمد ورواه الدارمى والترمذي عن ابي
عبيد بلفظ طبخت له صلى الله عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته
الذراع ثم قال ناولنى الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولنى الذراع فقلت يا
رسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده لو سكت لناولتنى الذراع
ما دعوت وقالت عايشة وكان الذراع احب اليه وكان لا ياكل الا غبا وكان
يعجل اليها لانها اعجل نضجا رواه الترمذي وكذلك كان يحب لحم الرقبة فعن ضباعة
بنت الزبير انها ذبحت فى بيتها شاة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اطعمينا من شاتكم فقالت ما بقي عندنا الا الرقبة وانى لاستحيى ان ارسل
ان ارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فاخبره فقال
رجع اليها فقل لها ارسلي بها فانها هادية الشاة واقرب الشاة الى الخير وابعدها

من الاذي ولا ريب ان اخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو اخف
على المعدة واسرع انهضاما وفي هذا انه ينبغي مراعات الاغذية التي تجمع ثلث خواص
احداها كثرة نفعها وتاثيرها في القوي الثاني خفتها على المعدة وسرعة انحدارها
عنها الثالث سرعة هضمها وهذا افضل ما يكون من الغذاء وقال عليه السلام
اطيب اللحم لحم الظهر رواه الترمذي واما حديث انه عليه السلام كان يكره الكليتين
لمكانهما من البول فقال الحافظ العراقي رويناه في جزء من حديث ابي بكر محمد بن
عبد الله بن الشخير من حديث ابن عباس باسناد فيه ضعف انتهى وكان عليه السلام
ينتهش اللحم اي يقبض عليه بفمه ويزيله من العظم او غيره وينتشله اي يقتلعه
من المرق والنهش بعد الانتشال وفي البخاري انه عليه الصلاة والسلام احتز
من كتف شاة في يده فدعي الى الصلوة فالقاها والسكين الذي يحتز بها ثم قام
الى الصلوة ولم يتوضاء قال ابن بطال هذا الحديث يرد حديث ابي معشر عن هشام
بن عروة عن ابيه عن عايشة رفعته لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنع الاعاجم
وانهشوه فانه اهنا وامرا قال ابو داود وهو حديث ليس بالقوي قال الحافظ
ابو الفضل العسقلاني رحمه الله له شاهد من حديث صفوان بن امية اخرجه الترمذي
بلفظ انهشوا اللحم نهشا فانه اهنا وامرا وقال لا نعرفه الا من حديث عبد الكريم
انتهى قال وعبد الكريم هو ابو امية بن ابي المخارق ضعيف لكن اخرجه ابن ابي عاصم
من وجه اخر عن صفوان بن امية فهو حسن لكن ليس فيه ما زاده ابو معشر من التصريح

بالنهي

بالنهي عن قطع اللحم بالسكين واكثر ما في حديث صفوان ان النهش اولى انتهى
ويمكن الجمع بالنهش مما على العظم الصغير والاحتراز مما على الكبير واكل صلى الله
الشوى فعن ام سلمة انها قربت الى النبي صلى الله عليه وسلم جنبا مشويا فاكل
منه ثم قام الى الصلوة وما توضاء قال الترمذي حديث صحيح واكل عليه السلام
القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
شاة ونحن مسافرون فقال اصلح لحمها فلم ازل اطعمه منه الى المدينة واكل عليه السلام
من الكبد المشوية واكل لحم الدجاج رواه الشيخان والترمذي
وغيرهم واكل لحم حمار الوحش رواه الشيخان واكل لحم الحمل سفرا وحضرا رواه
واكل لحم الارنب رواه الشيخان واكل من دواب البحر رواه مسلم واكل الثريد وهو
بفتح المثلثة ان يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن امثالهم
الثريد احد اللحمين وروي ابو داود من حديث ابن عباس قال احب الطعام
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس واكله
عليه السلام بالسمن واكل الخبز بالزيت وعن حذيفة ان النبي صلى الله عم
قال ان جبريل اطعمني الهريسة يشد بها ظهري لقيام الليل رواه الطبراني
في الاوسط وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو الذي وضع هذا الحديث
واكل عليه السلام الدبا وكانت تعجبه وكان يتتبعها من حوالي القصعة قال
انس فلم ازل احب الدبا من يومئذ رواه مسلم قال النووي انه يستحب ان تحب الدبا

وكذلك كان كل شيء يحبه صلى الله عليه وسلم وكذلك اكل عليه السلام السلق
مطبوخا بالشعير قال الترمذي حديث حسن غريب واتى الحسن بن علي وابن عباس
وابن جعفر الى سلمى فقالوا اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا قال فقامت واخذت
شيئا من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت ودقت
الفلفل والتوابل فقربته اليهم فقالت هذا مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم و
يحسن اكله رواه الترمذي واكل عليه السلام الخزيرة وهي بخاء معجمة مفتوحة
ثم راي مكسورة وبعد التحتانية الساكنة راء ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة
لكنه ارق منها قاله الطبري وقال ابن فارس دقيق يخلط الشحم وقال القتبي وتبعه
الجوهري ان يؤخذ اللحم فيقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر
عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة وقيل مرقة تصفى من بلالة النخالة
ثم تطبخ وقيل الخزيرة بالاعجام من النخالة والحريرة يعني بالاهمال من اللبن وقال
ابن عتبان غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر حين ارتفع النهار و
حبسناه على خزيرة صنعناه واكل عليه السلام الاقط كما قاله ابن عباس
وهو جبن اللبن المستخرج زبده اكلته وهو كثير بمكة والمدينة زادهما الله شرفا
وهو اشبه شيء بالكشك واكل عليه الصلاة والسلام الرطب والتمر والبسر رواه
مسلم والترمذي وغيرهما واكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف

الموحدة

الموحدة وبعد الالف مثلثة النضيج من ثمر الاراك وقيل ورق الاراك وتعقبه الاسماعيلي
فقال انما هو ثمر الاراك وهو البرير بموحدة بوزن حرير فاذا اسود فهو الكباث
وفي النهاية لابن الاثير انه عليه السلام كان يحب الجذب بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين
اي الجمار وهو شحم النخل واحدها جذبة واما الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر
قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع رواه ابو
داود وكان عليه السلام يراعي صفات الاطعمة وطبايعها واستعمالها على قاعدة
الطب فاذا كان في احد الطعامين ما يحتاج الى كسر وتعديل كسره وعدله بضده ان
امكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا اصل كبير في المركبات من الادوية و
ان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير اسراف وروى ابو داود
من حديث ابي اسامة عن هشام انه صلى الله عليه وسلم كان ياكل البطيخ بالرطب ويقول
نكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا وروى يزيد بن رومان عن الزهري
عن عروة بتقديم الطاء كما للنوقاني وبتاخيرهما كما للنسايي في الوليمة فكانه
كان عند هشام باللفظين وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن
عن الامام احمد بن حنبل عن وهب بن جرير بن حازم حدثنا ابي سمعت حميدا يحدث
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياكل الطبيخ والبطيخ بالرطب وقال عقبه
الشك من احمد وتقديم الطاء لغة حكاها صاحب المحكم وقد كان محمد بن اسلم لا
ياكل البطيخ لانه لم ينقل كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني

فى الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر قال رايت فى يمين رسول الله صلى الله
قثاء و فى شماله رطبا و هو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة و فى سند ضعيف
واخرج فيه و فى الطب لابى نعيم من حديث انس كان ياخذ الرطب بيمينه والبطيخ
بيساره فياكل الرطب بالبطيخ وكان احب الفاكهة اليه وسنده ضعيف ايضا واخرج
النساي بسند صحيح عن حميد عن انس رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجمع بين الرطب والخربز بالخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الموحدة بعدها زاء و هو نوع
من البطيخ الاصفر وفى هذا تعقب على من زعم ان المراد بالبطيخ الاخضر واعتلوا
بان الاصفر فيه حرارة كما فى الرطب وقد ورد التعليل بان احدهما يطفئ
حرارة الاخر والجواب عن ذلك بان فى الاصفر بالنسبة للرطب برودة و
ان كان فيه لحلاوة تطرف حرارة والله اعلم وفى رواية للنساي ايضا بسند
صحيح عن عايشه ان النبى صلى الله عليه وسلم اكل البطيخ والرطب جميعا واخرج
ابن ماجة عن عايشة ارادت امى معالجتى للسمنة لتدخلنى على رسول الله صلى الله
حتى اكلت الرطب بالقثاء فسمنت كاحسن سمنة و رواه النساي وقال
بالتمر مكان الرطب واما فضايل البطيخ فاحاديثه باطلة وان افرده النوقاني
فى جزء كما قاله الحفاظ والله اعلم وقد كان عليه السلام ياكل التمر بالزبد
و يعجبه فعن عبد الله وعطية ابنى بشر قالا دخل علينا رسول الله صلى الله
فقدمنا له زبدا و تمرا وكان يحب الزبد والتمر رواه ابو داود وابن ماجة و

و

وما

وسمى صلى الله عليه وسلم اللبن بالتمر الاطيبين رواه احمد وكان ياكل الخبز ما
ما وجد له ادامًا فتارة يادمه باللحم ويقول هو سيد الطعام لاهل الدنيا والا خرة
وتارة بالبطيخ وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير وقال هذه
اداه هذه رواه ابو داود والترمذي بسند حسن من حديث يوسف بن عبد الله
بن سلام قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم اخذ فذكره قال ابن القيم وهذا من
تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على اصح القولين فادم
خبز الشعير به من احسن التدبير وتارة بالخل ويقول نعم الادم الخل رواه
مسلم وتقدم قال الخطابى والقاضى عياض معناه مدح الاقتصاد فى الماكل
ومنع النفس من ملاذ الاطعمة تقديره ايتدموا بالخل وما فى معناه مما تخف
مونته ولا يعز وجوده ولا تتانقوا فى الشهوات فانها مفسدة للدين مسقمة
للبدن وتعقبه النووي فقال الذي ينبغى ان يجزم به انه مدح للخل نفسه واما
الاقتصاد فى المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد اخر انتهى وقال
ابن القيم هذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيل له على غيره كما
ظنه بعضهم قال وسبب الحديث انه دخل على اهله يومًا فقدموا له خبزًا فقال
ما من ادم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادام الخل والمقصود ان
اكل الخبز مع الادم من اسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على احدهما
وسمى الادم ادمًا لاصلاحه الخبز وجعله ملايمًا لحفظ الصحة وليس فى هذا

تفضيلا له على اللبن واللحم والعسل والمرق ولو حضر لحم أو لبن لكان أولى
بالمدح منه فقال هذا جبرا وتطييبا لقلب من قدمه له لا تفضيلا له على سائر أنواع
الادم **وكان** عليه السلام يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها **وهذا**
من أكبر أسباب الصحة فان الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع
أهلها في وقته فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ونغني عن كثير من
الادوية وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم الا هو من أسقم الناس جسما
وأبعدهم من الصحة والقوة فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه
الذي ينبغي كان له دواء نافعا **وقد** روى ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله
يأكل العنب خرطا رويناه في الغيلانيات لكن قال أبو جعفر العقيلي كما حكاه في الهدي
لا أصل لهذا الحديث **قال** ابن الأثير يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه
ثم أخذ حبه وأخرج عرجونه عاريا منه **قال** وجاء في بعض الروايات خرصا يعني
بالصاد بدل الطاء **وأما** البصل فروى أبو داود في سننه عن عائشة أنها سئلت
عن البصل فقالت ان آخر طعام أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل **وثبت**
عنه في الصحيحين أنه منع آكله من دخول المسجد **وكان** عليه السلام يترك
الثوم دائما لأنه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة **قال** النووي واختلف
أصحابنا في حكم الثوم في حقه عليه السلام وكذلك البصل والكراث ونحوها **فقال**
بعض أصحابنا هي محرمة عليه والأصح عندهم أنها مكروهة كراهة تنزيه ليست محرمة

لعموم

لعموم قوله عليه الصلوة والسلام لا في جواب قوله أحرام هي ومن قال
بالأول يقول معنى الحديث ليس بحرام في حقكم انتهى فينبغي لمحبته موافقته
في ترك الثوم ونحوه وكراهة ما كان يكرهه عليه السلام فان من أوصاف
المحب الصادق أن يحب ما أحبه محبوبه ويكره ما كرهه **وكان** عليه السلام
يأكل بأصابعه الثلاث رواه الترمذي في الشمائل وهذا كما في الهدي أنفع
ما يكون من الأكلات فان الآكل بأصبع أكل المتكبر ولا يستلذ به الآكل ولا يمريه
ولا يشبعه الا بعد طول ولا يفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل
أكلة فيأخذها على اغماض كما يأخذ الرجل حقه حبة حبة أو نحو ذلك فلا
يلتذ بأخذه والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته و
على المعدة وربما استدت الآلات فمات وتغصب الآلات على دفعه
والمعدة على احتماله ولا يجد له لذة ولا استمراء فأنفع الأكل أكله صلى الله
وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث **وكان** عليه السلام يلعق أصابعه
اذا فرغ ثلاثا رواه الترمذي في الشمائل **وفي رواية** مسلم ويلعق يده
قبل أن يمسحها **وفي رواية** أنه أمر بلعق الأصابع والصحفة **وقد** روى الترمذي
عن أم عاصم قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن نأكل في قصعة فحدثنا
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له
القصعة وكذا أخرجه ابن ماجة وأحمد وابن شاهين والدارمي وغيرهم

وقال الترمذي انه حديث غريب واورده بعضهم بلفظ تستغفر الصحفة
للاحسها وفي حديث جابر مرفوعا عند ابي الشيخ في الثواب من اكل ما يسقط
من الخوان او القصعة امن من الفقر والبرص والجذام وصرف ولده الحمق
وللديلمي من طريق الرشيد عن ابائه عن ابن عباس رفعه من اكل ما يسقط من المائدة
خرج ولده صباح الوجوه ونفي عنه الفقر واورده الغزالي في الاحيا
بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده وكلاهما مناكير لكن في مسلم عن
جابر وانس مرفوعا اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها فليمط ما كان بها من الاذى
ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه لانه لا يدري في
طعامه البركة وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في الاوسط صفة
لعق الاصابع ولفظه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل باصابعه
الثلاث بالابهام والتي تليها والوسطى ثم رايته يلعق اصابعه الثلاث
قبل ان يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الابهام قال الحافظ زين الدين العراقي
في شرح الترمذي كان السر فيه ان الوسطى اكثر تلويثا لانها اطول فيبقى فيها
من الطعام اكثر من غيرها ولانها لطولها اول ما ينزل الطعام وقد وقع في
في مرسل ابن شهاب عند سعيد بن منصور ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا اكل يجلس بينه وبين ما تقدم باختلاف الحال وقد جاءت علة اللعق
مبينة في بعض الروايات انه لا يدري احدكم في اي طعامه البركة وفي الحديث

رد

رد على من كره لعق الاصابع استقذارا ممن ينسب للرياسة والامرة في الدنيا نعم
يحصل ذلك لو فعله في اثناء الاكل لانه يعيد اصابعه في الطعام وعليها اثر ريقه
قال الخطابي عاب قوم افسد عقلهم الترفه لعق الاصابع وزعموا انه مستقبح كانهم
لم يعلموا ان الطعام الذي علق بالاصابع والصحفة جزء من اجزاء ما اكلوه واذا لم يكن
سائر اجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير منه مستقذرا وليس في ذلك اكثر من مصه اصابعه
بباطن شفتيه ولا يشك عاقل ان لا باس بذلك فقد يتمضمض الانسان فيدخل
اصبعه في فيه فيدلك اسنانه وباطن فمه ثم لم يقل احد ان ذلك قذارة وسوء ادب
انتهى ولا ريب ان من استقذر ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم سيئ الادب
يخشى عليه امر عظيم فنسأل الله بوجاهة وجهه الكريم ان لا يسلك بنا غير سبيل سنته
وان يديم لنا حلاوة محبته وقد كان صلى الله عليه وسلم لا ياكل متكئا كما صح
انه قال لا اكل متكيا رواه البخاري وقال انما انا عبد اجلس كما يجلس العبد واكل كما
ياكل العبد وروي ابن ماجة والطبراني باسناد حسن قال اهديت للنبي صلى الله
شاة فجثا على ركبتيه ياكل فقال له اعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني كريما
ولم يجعلني جبارا عنيدا قال ابن بطال انما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
تواضعا لله ثم ذكر من طريق ايوب عن الزهري قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك لم ياته قبلها فقال ان ربك يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا او نبيا ملكا
فنظر الى جبريل كالمستشير له فاوما اليه ان تواضع فقال بل عبدا نبيا قال فما اكل

متكيا وهذا مرسل او معضل وقد وصله النساى من طريق الزبيدي عن الزهري
عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ما راي النبي صلى الله عليه وسلم ياكل
متكيًا قط واخرج ابن شيبة عن مجاهد قال ما اكل النبي صلى الله عليه وسلم متكيا
الا مرة واحدة ويمكن الجمع بان تلك المرة التي في اثر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله
بن عمر وقد اخرج ابن شاهين في ناسخه من مرسل عطاء بن يسار ان جبرئيل رأى
النبي صلى الله عليه وسلم ياكل متكيا فنهاه وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه
وسلم نهى ان ياكل الرجل وهو منبطح على وجهه وقد فسر القاضي عياض في الشفا
الاتكاء بالتمكن للاكل والتقعد للجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن جلسات
التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته قال والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس
المستوفز مقعيًا قال وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين
انتهى والاقعاء ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه ويتساند الى ظهره
وهو المنهي عنه في الصلاة وتفسير القاضي عياض الاتكاء بما فسره به حكاه
في الاكمال عن الخطابي وقال ان الخطابي خالف في هذا التاويل اكثر الناس وانهم
انما حملوا الاتكا على انه الميل على احد الجانبين انتهى والذي رايته يعزى للخطابي بحسب
العامة ان المتكي هو الاكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطا الذي
تحته انتهى وقد فسر ايضًا بالميل عن احد الشقين وبه جزم ابن الجوزي وقيل هو الاعتماد

على الشئ وقيل ان يعتمد على يده اليسرى من الارض وقد اخرج ابن عدي بسند
ضعيف زجر النبي صلى الله عليه وسلم ان يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل
قال الامام مالك هو نوع من الاتكاء قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني وفي
هذا اشارة من مالك الى كراهة كل ما يعد الاكل فيه متكيًا ولا يختص بصفة
بعينها وحكى ابن الاثير في النهاية ان من فسر الاتكاء بالميل على الشقين تاوله
على مذهب الطب وقال ابن القيم انه يضر بالاكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي
عن هيأته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم
فتحها للغذاء واما الاعتماد على الشيء فهو من جلوس الجبابرة المنافي للعبودية
ولهذا قال عليه السلام اكل كما ياكل العبد فان المراد بالاتكاء الاعتماد على
الوسايد والوطاء الذي تحت الجالس كما ذكر عن الخطابي فيكون المعنى اني
اذا اكلت لم اقعد متكيا على الاوطية والوسايد كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار
من الطعام لكني اكل بلغة من الزاد فلذلك اقعد مستوفزا وفي حديث انس انه صلى الله عليه
اكل تمرا وهو مقع وفي رواية وهو محتفز والمراد الجلوس على وركيه غير متمكن
واختلف السلف في حكم الاكل متكيًا فزعم ابن العاص ان ذلك من خصايصه
صلى الله عليه وسلم وتعقبه السهيلي فقال قد يكره لغيره ايضًا لانه من فعل
المتعظمين واصله ماخوذ من ملوك العجم قال فان كان بالمرء مانع لا يتمكن
معه من الاكل الا متكيا لم يكن في ذلك كراهة ثم ساق عن جماعة من السلف

انهم كلوا كذلك واشار الى حمل ذلك عنهم على الضرورة قال في فتح الباري وفي الحمل نظر وقد اخرج ابن ابي شيبة عن ابن عباس وخالد بن الوليد ومحمد بن سيرين وعطاء بن يسار وغيرهم جواز ذلك مطلقا واذا ثبت كونه مكروها او خلاف الاولى فالمستحب في صفة الجلوس للاكل ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه او ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى انتهى وقال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على بطنه اليمنى تواضعا لربه عز وجل وادبا بين يديه قال وهذه الهيئة انفع هيئات الاكل وافضلها لان الاعضا كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه انتهى وقد اخرج ابن ابي شيبة من طريق ابراهيم النخعي قال كانوا يكرهون ان ياكلوا اتكاة مخافة ان تعظم بطونهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع يده في الطعام يسمي الله تعالى واما قول النووي في اداب الاكل من الاذكار والافضل ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم الله كفاه وحصلت السنة قال في فتح الباري لم ار لما ادعاه من الافضلية دليلا خاصا وكان عليه الصلاة والسلام يحمد الله في اخره فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا رواه الترمذي وقوله غير مودع بفتح الدال الثقيلة اي غير متروك ولا مستغنى بفتح النون وربنا بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو ربنا ويجوز النصب على المدح والاختصاص

او

او اضمار اعني وقال ابن الجوزي بالنصب على النداء مع حذف اداة النداء وفي رواية للنسائي من طريق عبد الرحمن بن جبير المصري انه حدثه رجل خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه طعام يقول بسم الله فاذا فرغ قال اللهم اطعمت وسقيت واغنيت واقنيت وهديت واحييت فلك الحمد على ما اعطيت وسنده صحيح وقد كان عليه السلام يحب التيامن في شانه كله وقال عليه السلام يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي حمله اكثر الشافعية على الندب وبه جزم الغزالي ثم النووي لكن نص الشافعي في الرسالة وفي موضع اخر من الام على الوجوب وكذا ذكره الصيرفي في شرح الرسالة ونقل البويطي في مختصره لان الاكل من راس الثريد والتعريس على الطريق والقران في التمر حرام ومثل البيضاوي في منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك وتعقبه الشيخ تاج الدين السبكي في شرحه بان الشافعي نص في غير هذا الموضع على ان من اكل مما لا يليه عالما بالنهي كان عاصيا اثما قال وقد جمع والدي نظاير هذه المسالة في كتاب له سماه كشف اللبس عن المسائل الخمس ونصر القول بان الامر فيها قال شيخ الاسلام ابن حجر بعد ان ذكر ذلك ويدل على وجوب الاكل باليمين ورود الوعيد في الاكل بالشمال ففي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا ياكل بشماله فقال كل بيمينك قال

لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد فان قلت انه عليه السلام
كان يتتبع الدبا من حوالي القصعة وهو يعارض الاكل فالجواب انه يحمل الجواز
على ما اذا رضي من ياكل معه فاذا علم كراهة من ياكل معه لذلك لم ياكل الا ما
يليه قال ابن بطال وانما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطعام
لانه علم ان احدا لا يتكره ذلك ولا يتقذره بل كانوا يتبركون بريقه وبما مسه بيده
بل كانوا يتبادرون الى نخامته فيتدلكون بها وقال غيره انما فعل ذلك لانه
كان ياكل وحده وهو غير مسلم لان انسا اكل معه اهـ وحديث عكراش عند
الترمذي الذي فيه التفصيل بين ما لو كان لونا واحدا فلا يتعدى ما يليه
او اكثر من لون فيجوز ضعيف والله اعلم وقرب اليه صلى الله عليه وسلم
طعام فقالوا الا ناتيك بوضوء قال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة
رواه الترمذي وفي رواية له انه عليه السلام قال بركة الطعام الوضوء قبله
والوضوء بعده فيحمل الوضوء الاول على الشرعي والثاني على اللغوي وروى
ابو يعلى باسناد ضعيف من حديث عمر من اكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من
ريح وضره ولا يؤذي من حذاه ولم يكن صلى الله عليه وسلم ياكل طعاما حارا
فروى الطبراني في الصغير والاوسط من حديث بلال بن ابي هريرة عن ابيه
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا
قال وبلال قليل الرواية عن ابيه انتهى وعند ابي نعيم في الحلية من حديث

انس

انس مرفوعا كان يكره الكي والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة الا و
ان الحار لا بركة له الحديث ولاحمد وابي نعيم من حديث اسما انها كانت اذا ثردت غطته
بشي حتى يذهب فوره ثم تقول اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو
اعظم بركة لكن عند البيهقي بسند صحيح عن ابي هريرة قال اتي النبي بطعام سخن
فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم وكان له صلى الله عليه وسلم
قدح من خشب مضبب بحديد قال انس لقد سقيته عليه السلام بهذا القدح الشراب
كله الماء والنبيذ والعسل وفي البخاري عن سهل بن سعد فاقبل النبي عليه السلام
حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو واصحابه ثم قال اسقنا يا سهل فاخرجت لهم هذا
القدح فاسقيتهم فيه فاخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه
عمر بن عبدالله العزيز بعد ذلك فوهبه له الحديث وكان عمر بن عبد العزيز
قد ولي حينئذ امرة المدينة وعند البخاري من حديث عاصم الاحول رايت
قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند انس بن مالك فكان قد انصدع فسلسله
بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار قال قال انس لقد سقيت رسول
الله في هذا القدح اكثر من كذا وكذا قال وقال ابن سيرين انه كان فيه حلقة
من حديد فاراد انس ان يجعل مكانها حلقة من ذهب او فضة فقال ابو طلحة
لا تغيرن شيا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه وعنده في فرض
الخمس من طريق ابي حمزة السكري عن عاصم قال رايت القدح وشربت منه

واخرجه ابو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن ابي جمرة ثم قال قال علي
بن الحسن وانا رايت القدح وشربت منه وذكر القرطبي في مختصر البخاري انه راى
في بعض النسخ القديمة من البخاري قال ابو عبد الله البخاري رايت هذا القدح بالبصرة
وشربت فيه وكان اشتري في ميراث النضر بن انس بثمانماية الف ووقع عند احمد
من طريق شريك بن عاصم رايت عند انس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه
ضبة من فضة وقوله نضار بضم النون والضاد المعجمة الخالص من العود
ومن كل شيء ويقال اصله من شجر النبع وقيل من الاثل ولونه يميل من الصفرة
ولم ياكل صلى الله عليه وسلم على خوان ولا اكل خبزا مرققا رواه الترمذي
والخوان بكسر المعجمة ويجوز ضمها المائدة ما لم يكن عليها طعام واما السفرة
فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن النوم
على الاكل ويذكر انه يقسي القلب ذكره ابو نعيم ولنا قال الاطباء كما في الهدي
من اراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه يضره
جدا والصلوة بعد الاكل تسهل هضمه واما شربه صلى الله عليه وسلم فقد كان
يستعذب له الماء اي يطلب له الماء الحلو قالت عايشة يستعذب له الماء من بيوت
السقيا رواه ابو داود وهي بضم المهملة وبالقاف وهي عين بينها وبين المدينة
يومان قال ابن بطال واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم
بخلاف تطييب الماء بالمسك ونحوه وقد كرهه مالك لما فيه من السرف واما

شرب

شرب الماء الحلو وطلبه فمباح قد فعله الصالحون وليس في شرب الماء الملح فضيلة
وقد كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد قال ابن القيم وفي هذا من حفظ
الصحة ما لا يهتدي الى معرفته الا افاضل الاطباء فان شرب العسل ولعقه على
الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات
ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ
البدن وقالت عايشة كان احب الشراب اليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد
رواه الترمذي ويحتمل ان تريد به الماء الممزوج بالعسل والذي يقع فيه التمر
والزبيب وكان ينبذ له اول الليل ويشربه اذا اصبح يومه ذلك والليلة التي
تجيء والغد الى العصر فان بقي منه شيء سقاه الخادم او امر به وصب وهذا
النبيذ هو ما يطرح فيه تمر يحليه وله نفع عظيم في زيادة القوة ولم يكن
يشربه بعد ثلاث خوفا تغيره الى الاسكار وكان عليه السلام يشرب اللبن خالصا
تارة وتارة مشوبا بالماء البارد لان اللبن عند الحلب يكون حارا وتلك البلاد
في الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالماء البارد وعن جابر انه صلى الله
دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء
في حايط فقال صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ماء بات في شنة و
الا كرعنا فقال عندي ماء بات في شن فانطلق الى العريش فسكب في قدح ماء
ثم حلب عليه من داجن فشرب عليه السلام الحديث رواه البخاري وكان

يقول ليس يجزي من الطعام والشراب الا اللبن قال الترمذي حديث حسن والترمذي
ايضا عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة والدهن وانشد بعضهم في المعنى

قد كان من سير خير الورى ... صلى الله عليه طول الزمن
ان لا يرد الطيب والمتكا ... واللحم ايضا يا اخي واللبن

قال ابن القيم لم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما
ان كان الماء حارا او باردا فانه رديء جدا انتهى وكان عليه السلام يشرب
قاعدا وكان ذلك عادته رواه مسلم وفي رواية له ايضا انه نهى عن الشرب
قائما وفي رواية له ايضا عن ابي هريرة لا يشربن احدكم قائما فمن نسي فليستقي وفي
الصحيحين من حديث ابن عباس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء
زمزم فشرب وهو قائم وفي حديث علي عند البخاري انه شرب وهو قائم قال
ان ناسا يكرهون الشراب قائما وان النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل
صنعت وكل هذه الاحاديث صحيحة ولا اشكال فيها ولا تعارض وغلط من زعم
ان فيها نسخا وكيف يصار الى النسخ مع امكان الجمع بين الاحاديث والصواب
ان النهي محمول على كراهة التنزيه واما شربه عليه السلام قائما فلبيان الجواز
فان قلت كيف يكون الشراب قائما مكروها وقد فعله صلى الله عليه وسلم
فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم اذا كان بيانا للجواز لا يكون مكروها
بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم واما قوله عليه السلام فمن

نسي

نسي فليستقي فمحمول على الاستحباب والندب فيستحب لمن شرب قائما ان يتقيا
لهذا الحديث الصحيح الصريح سواء كان ناسيا او لا قاله النووي وقال
المالكية لا باس بالشرب قائما واستدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال رايت
ابا بكر الصديق يشرب قائما ويقول مالك انه بلغه عن عمر بن الخطاب وعثمان
وعلي انهم كانوا يشربون قياما واجابوا عن حديث ابي هريرة لا يشربن احدكم
قائما فمن نسي فليستقي بان عبد الحق قال ان في اسناده عمر بن حمزة العمري
وهو ضعيف انتهى وقال المازري قال بعض شيوخنا لعل النهي ينصرف لمن
اتى اصحابه بماء فبادر لشربه قائما قبلهم استبدادا به وخروجا عن كون ساقي القوم
اخرهم شربا وقال بعض الشيوخ الاظهر انه موقوف على ابي هريرة قال والاظهر
لي ان احاديث شربه قائما تدل على الجواز واحاديث النهي تحمل على الاستحباب
والحث على ما هو اولى واكمل لان في الشرب قائما ضررا ما فكره من اجله
فعله هو لامنه قال وعلى هذا الثاني يحمل قوله فمن شرب فليستق على ان ذلك
يحرك خلطا يكون القيء دواءه ويؤيده قول النخعي انما نهى عن ذلك لداء البطن
انتهى وقال ابن القيم للشرب قائما افات عديدة منها انه لا يحصل الري
التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة
الى المعدة فيخشى منه ان تبرد حرارتها ويسرع النفوذ الى اسافل البدن
بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب قائما فاذا فعله نادرا لم يضره وعند

احمد عن ابي هريرة انه راى رجلاً يشرب قايما فقال قه فقال لمه قال ايسرك ان
يشرب معك الهر قال لا قال قد شرب معك من هو شر منه الشيطان وكان
صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلثا ويقول انه اروى وامرأ وابرأ
رواه مسلم ومعنى تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم تعود
الى الشراب واخرج الطبراني في الاوسط بسند حسن عن ابي هريرة ان النبي
كان يشرب في ثلاثة انفاس اذا ادنى الاناء الى فيه سمى الله فاذا اخره حمد الله يفعل
ذلك ثلاثا وفي هذا الشرب حكم جمة وفوايد مهمة نبه عليه السلام على مجامعها
بقوله افه اروى وامرأ وابرأ فاروى من الري بكسر الراء من غير همز اشد ريا
وابلغه وانفعه وابرأ افعل من البرء بالهمز وهو الشفاء اي بري من شدة العطش
وداية لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت
الاولى عن تسكينه والثالثه ما عجزت عنه الثانية وايضا فانه اسلم لحرارة المعدة
وابقى عليها من ان يهجم عليها البارد وهلة واحدة فانه اسلم عاقبة وامن
غايلة من تنا ول جميع ما يروي دفعة واحدة فانه يخاف منه ان يطفى الحرارة الغريزية
بشدة برده وكثرة كميته او يضعفها فيودي ذلك الى فساد المعدة والكبد والى
امراض ردية خصوصا في سكان البلاد الحارة وفي الازمنة الحارة فان الشرب فيها
وهلة واحدة مخوف عليهم جدا قوله وامرأ بالهمزة افعل من مرأ الطعام والشراب
في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع انتهى وقال بعضهم والمعنى انه

يصير

يصير هنيئا مريئا اي سالما او مبريا من مرض وعطش واذى ويوخذ من ذلك
انه اقمع للعطش واقوى على الهضم ومن افات الشرب نهلة واحدة انه يخاف
منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فاذا تنفس رويدا
ثم شرب امن من ذلك وقد روى عبد الله بن المبارك والبيهقي وغيرهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب احدكم فليمص الماء مصا ولا يعب عبا فانه
يورث الكباد والكباد بضم الكاف وتخفيف الباء جمع الكبد ولا معارضة
بين التنفس هنا وبين النهي عن التنفس في الاناء الوارد في الحديث المنهي عنه
التنفس داخل الاناء فانه ربما حصل للماء تغير من النفس اما لكون المتنفس كان
المتغير الفم بماكول مثلا او لبعد عهده بالسواك والمضمضة او لان النفس يصعد
ببخار المعدة وههنا التنفس خارج الاناء فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز الشراب
بنفس واحد وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان وكان عليه السلام اذا
دعي لطعام وتبعه احد اعلم به رب المنزل فيقول ان هذا تبعنا فان شئت
رجع وكان يكرر على اضيافه ويعرض عليهم الاكل مرارا وفي حديث ابي هريرة
في قصة شرب اللبن وقوله مرارا اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذي
بعثك بالحق لا اجد له مسلكا رواه البخاري وكان عليه السلام اذا اكل مع القوم
كان اخرهم اكلا رواه البيهقي في الشعب عن جعفر بن محمد عن ابيه مرسلا وفي
حديث ابن عمر مرفوعا عند ابن ماجة والبيهقي اذا وضعت المائدة فلا يقوم

الرجل وآن شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له في
الطعام حاجة وكان عليه السلام اذا اكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم
فدعا في منزل عبد بن بشر فقال اللهم بارك فيما رزقهم واغفر لهم و
ارحمهم رواه مسلم ودعا في منزل سعد فقال افطر عندكم الصائمون
واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة رواه ابو داود وسقاه اخر
لبنا فقال اللهم امتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعره بيضاء
رواه ابن السني النوع الثاني في لباسه عليه السلام وفراشه صلى الله
قال البخاري باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس
يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه ولا يضيق بطلب النفيس
العالي بل يستعمل ما تيسر وقال القاضي عياض كان عليه السلام قد اقتصر
منه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجد فيلبس
في غالب احواله الشملة والكساء الحسن والاردية والازر ويقسم على من
حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن يحضر اذ المباهات في
الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات
النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير
مسقط لمروءة جنسه انتهى وقد روى ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا
ان من بركة كرامة المومن على الله عز وجل نقاوة ثوبه ورضاه باليسير وله

ايضا من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا وسخة ثيابه
فقال اما وجد هذا شيئا ينقي به ثيابه فقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في
ملبسه اتم وانفع للبدن واخفه عليه فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التي
يوذي حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما يشاهد من حال اصحابها
ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الراس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك
وكان يدخلها تحت حنكه فانها تقي العنق الحر والبرد وهو اثبت لها عند ركوب
الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر اخف على البدن
من غيرها وقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الاستدلال لاستحباب التحنيك
ثم قال اذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها
من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كانت مما لبس جديدا و
الامتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة وتصغير
العمامة يعني سبعة اذرع او نحوها يخرجون منها التحنيك والعذبة فان زاد في
العمامة قليلا لاجل حر او برد فيتسامح فيه ثم قال بعد ان ذكر قوله وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بان تتسرول قاعدا و
تتعمم قائما انتهى ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول اكمامه ويوسعها بل
كان كم قميصه الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل لا يجاوز اليد فيشق
على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا يقصر صلى الله عليه وسلم

عن هذا فسر للحر والبرد وقد روي عن اسماء بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه الترمذي وكان ذيل قميصه وردائه
الى انصاف الساقين لم يجاوز الكعبين فيوذي الماشي ويجعله كالمقيد ولم يقصر
عن عضلة ساقيه فيتاذى بالحر والبرد واشار اليه في زاد المعاد واخرج
الترمذي عن الاشعث بن سليم قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال بينما انا
امشي في المدينة اذا انسان خلفي يقول ارفع ازارك فانه انقى وابقى فاذا هو رسول الله
فقلت يا رسول الله انما هي بردة قال ما لك في اسوة فنظرت فاذا ازاره الى نصف ساقيه
واخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال رآني النبي صلى الله
اسبلت ازاري فقال يا ابن عمر كل شيء لمس الارض من الثياب في النار وفي البخاري
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسفل الكعبين
من الازار في النار قال الخطابي يريد الموضع الذي يناله الازار من اسفل الكعبين
في النار فكنى بالثوب عن بدن لابسه ومعناه ان الذي دون الكعبين
من القدم يعذب بالنار عقوبة وحاصله انه من باب تسمية الشيء باسم ما
جاوره او حل فيه ويكون من بيانية وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل رفعه
ازرة المومن الى انصاف الساقين وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما
استفل من ذلك ففي النار والازرة بالكسر الحالة وهيئة الايتزار مثل الركبة
والجلسة واعلم طهر الله ثوبي وثوبك ونزه سري وسرك ان هذه الاطلاق

على ما ورد من قيد الخيلاء فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق وقد اخرج اصحاب
السنن الا الترمذي واستغذ به وابن ابي شيبة من طريق عبد العزيز ابن ابي
رواد عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء الحديث فبين
في هذه الرواية ان الحكم ليس خاصا بالازار وان جاء في اكثر طرق الاحاديث بلفظ
الازار لان اكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الازار والاردية فلما لبس
الناس القمص والدرايع كان حكمها حكم الازار في النهي قال ابن بطال هذا قياس
صحيح لو لم يات النص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك وفي تصوير جر العمامة
نظر الا ان يكون المراد ما جرت به عادة العرب من ارخاء العذابات فمهما زاد
على العادة في ذلك كان من الاسبال وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب
تطويل اكمام القميص ونحوه محل نظر والذي يظهر ان من اطالها حتى خرج عن
العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل في ذلك قال ابن القيم واما هذه الاكمام
الواسعة الطوال التي هي كالاخراج وعمايم كالابراج فلم يلبسها عليه السلام
هو ولا احد من اصحابه وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فانها من جنس الخيلاء
انتهى قال صاحب المدخل ولا يخفى على ذي بصيرة ان كم بعض من ينسب الى العلم
اليوم فيه اضاعة المال المنهي عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم ثوب لغيره
انتهى لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار

يعرفون به ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه وما كان
على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل الى جر الذيل الممنوع فيه ونقل القاضي
عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من
الطول والسعة وفي حديث ابي هريرة عند البخاري بينما يمشي رجل في حلة
تعجبه مرجل جمته اذ خسف به فهو يتجلجل الى يوم القيمة وفي الطبراني وابي
داود ان رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه فمقته فامر
الارض فاخذته وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل
المخصوص وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله عنها فاخرج النسائي والترمذي
وصححه من طريق ايوب عن نافع عن ابن عمر فقالت ام سلمة فكيف تصنع
النساء بذيولهن قال يرخين شبرا فقال اذا تنكشف قدامهن قال فيرخينه
ذراعا لا يزدن عليه وحاصل ما ذكر في ذلك ان للرجال حالين حال استحباب
وهو ان يقتصر بالازار على نصف الساق وحال جواز وهو الى الكعبين
وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر
الشبر وحال جواز بقدر ذراع وان الاسبال يكون في الازار والقميص والعمامة
وانه لا يجوز اسباله تحت الكعبين ان كان للخيلاء وان كان لغيرها فهو مكروه
للتنزيه قال النووي وظواهر الاحاديث في تقييدها بالخيلاء تدل على
ان التحريم مخصوص بالخيلاء قال وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا انتهى

تنبيه

تنبيه قال العراقي في شرح الترمذي الذراع الذي رخص للنساء فيه هل ابتداؤه من
الحد الممنوع منه الرجال وهو من الكعبين او من الحد المستحب وهو انصاف الساقين او حده
من اول ما يمس الارض الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة الذي رواه ابو
داود والنسائي واللفظ له وابن ماجة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
كم تجر المراة من ذيلها قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال قدر ذراع لا تزيد عليه فظاهره
لها تجر على الارض منه ذراعا قال والظاهر ان المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران
لما في سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهات
المؤمنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع المأذون فيه شبران
وهو الذراع الذي يقاس فيه الحصر اليوم انتهى وانما جاز ذلك للنساء لاجل الستر
لان المراة كلها عورة الا ما استثني وقد كان له عليه الصلوة والسلام عمامة
تسمى السحاب ويلبس تحتها القلانس اللاطئة والقلانس جمع قلنسوة بفتح القاف واللام
وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل ياء تحتية وقد تبدل الفا
وتفتح السين فيقال قلنسا وقد تحذف النون من هذه بعد هاء تانيث غشاء مبطن
يستر به الراس قاله الفراء في شرح الفصيح وقال ابن هشام هي التي يقول لها العامة الشاشية
وفي المحكم هي ملابس الرؤوس معروفة وقال ابو هلال العسكري هي التي يغطى بها العمائم
وتستر من الشمس والمطر كانها عنده راس البرنس انتهى وروى الترمذي عن جابر رضي
قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وفي رواية لمسلم

عند البخاري دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح
الفا ذرد ينسج من الدروع على قدر الراس ويجمع بينهما بان العمامة السوداء كانت
فوق المغفر وجمع بينهما القاضي عياض بان اول دخوله كان على راس المغفر ثم بعد ذلك
كان على راسه العمامة بعد ازالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث عن ابيه
خطب الناس وعليه عمامة سوداء لان الخطبة انما كانت عند باب الكعبة بعد تمام
فتح مكة قال الولي بن العراقي وهو اولى واظهر في الجمع من الاول وقد تقدم
نحو ذلك في غزوة فتح مكة وعن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
اعتم سدل رواه الترمذي في الشمايل زاد مسلم وقد ارخى طرفها بين كتفيه وروى
ابو محمد بن حيان في كتاب اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعتم قال يدير كور العمامة على راسه ويغرزها من ورايه ويرخي
لها ذوابة بين كتفيه وروى مسلم من حديث عمرو بن حريث قال رايت النبي صلى الله
عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه وعنده ايضا
عن جابر دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر فيه ذوابة فدل انه لم يكن يرخيها
دائما بين كتفيه لكن قد يقال ان دخوله مكة كان وعليه اهبة القتال والمغفر
على راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه قال ابن القيم في الهدي النبوي وكان شيخ
الاسلام ابن تيمية يذكر في سبب الذوابة شيئا بديعا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
انما اتخذها صبيحة المنام الذي راه بالمدينة لما راى رب العزة قال يا محمد فيم يختصم

الملاء

الملاء الاعلى قلت لا ادري فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السما والارض
الحديث وهو في الترمذي وسال عنه البخاري فقال صحيح قال ومن تلك
الغداة ارخى الذوابة بين كتفيه قال وهذا من العلم الذي تنكره السنة الجهال
وقلوبهم قال ولم ار هذه الفايدة في شان الذوابة لغيره انتهى وعبارة غير
الهدي وذكر ابن تيمية انه صلى الله عليه وسلم لما راى ربه واضعا يده بين
كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة انتهى لكن قال العراقي بعد ان ذكره لم يجد لذلك
اصلا انتهى وروى ابن ابي شيبة عن علي قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملايكة
معممين هذه العمة وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين قال عبد
الحق الاشبيلي وسنة العمامة بعد فعلها ان يرخي طرفها ويتحنك به فان كانت بغير
طرف فلا تحنيك فذلك يكره عند العلما واختلف في وجه الكراهة فقيل لمخالفة
السنة فيها وقيل لانها كذلك كانت عمايم الشياطين وجاءت الاحاديث في
ارسال طرفها على انواع منها ما تقدم انه ارسل طرفها على منكب علي ومنها ان عبد الرحمن
بن عوف قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي
ذكره ابو داود وعن ابن عباس انه راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة
دسماء اي سوداء رواه الترمذي وفي حديث ركانة انه صلى الله عليه وسلم قال
ان فرق ما بيننا وبين المشركين العمايم على القلانس رواه الترمذي ايضا

وعن ابي كبشة الانماري قال كانت كمام اصحاب النبي بطحا رواه الترمذي وفي
رواية اكمة وهما جمع كثرة وقلة للكمة القلنسوة يعني انها كانت منبطحة غير منقبضة
وعن عايشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضاء رواه
الدمياطي وكان احب الثياب اليه صلى الله عليه وسلم القميص كما في الشمائل
للترمذي من حديث ام سلمة قال كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
القميص وعن معاوية بن قرة عن ابيه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من
مزينة لنبايعه وان قميصه لمطلق الازرار او قال زر قميصه مطلق قال فادخلت
يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم رواه الترمذي وعن انس قال كان قميص رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين رواه الدمياطي وعن انس
بن مالك قال كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة والحبرة
ضرب من البرود فيه حمرة وعن ابي رمثة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه بردان اخضران رواه الترمذي وعن عطاء بن ابي يعلى عن ابيه قال
رايته صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مضطبعا ببرد احضر رواه ابو داود
وعن عروة بن المغيرة بن شعبة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية
ضيقة الكمين رواه الترمذي وعن ابي ذر رايت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
ثوب ابيض رواه البخاري وعن عايشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات
غداة وعليه مرط شعر اسود رواه الترمذي وعن انس قال كان رسول صلى الله

يلبس

يلبس الصوف وكان له صلى الله عليه وسلم كساء ملبد يلبسه ويقول انما
انا عبد البس كما يلبس العبيد رواه الشيخان فان قلت قد علم من هذا و
من سيرة السلف الصالح بذاذة الهيئة و رثاثة الملابس فما بال الشاذلية من
الصوفية يجملون هياتهم وملابسهم وطريقهم الاقتداء بالسنة الشريفة و
السلف الصالح اجاب العارف الرباني سيدي علي الوفودي ومن خطه الكريم
نقلت بما لفظه ذلك لانهم نظروا الى المعاني والحكم فوجدوا السلف الصالح لما
وجدوا اهل الغفلة والشغل بدنياهم منهمكين على الزينة الظاهرة تفاخروا
بدنياهم واطمينانا اليها واشعارا بانهم من اهلها خالفوهم اظهارا لحقارة
ما حقره الحق مما عظمه الغافلون وتنويها بالغنى عما اطمان اليه الغافلون
فكان اطمارهم يومئذ تقول الحمد لله اغنانا بربنا عما افتقر نفسه اليه من همه
دنياه فلما طال الامد وقست القلوب بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون
رثاثة الاطمار وبذاذة الهيئة حيلة على دنياهم انعكس الامر فصار مخالفة
هؤلاء في ذلك لله هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم قال وقد ارشد الاستاد
ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره العزيز الى ذلك بقوله لبعض من انكر عليه جمال
هياته من اصحاب الرثاثة يا هذا هياتي هذه تقول اعطوني شيئا من دنياكم والقوم
افعالهم دائرة مع الحكمة الربانية مرادهم مرضاة ربهم انتهى ما قاله سيدي علي
وفا وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

وفي الحديث الاخر ان الله نظيف يحب النظافة وفي السنن عن ابي الاحوص الجشمي
عن ابيه قال راني النبي صلى الله عليه وسلم وعلي اطمار وفي رواية النسائي و
علي ثوب دون فقال هل لك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل ما اتى الله
من الابل والشاء قال فكثر نعمته وكرامته عليك وفي رواية للنسائي قال فاذا
اتاك الله مالا فلير اثر نعمة الله عليك وكرامته وفي حديث جابر انه عليه السلام
راي رجلا شعثا قد تفرق شعره فقال ما كان يجد هذا ما يسكن به راسه وراي
رجلا عليه ثياب وسخة فقال ما كان يجد ما يغسل به ثوبه رواه احمد وفي السنن
ان الله يحب ان يري اثر نعمته على عبده فهو سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده
فانه من الجمال يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيحب ان يري على عبده
الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر ولاجل محبته تعالى للجمال انزل على
عبده لباسا يجمل ظواهرهم ويقوي يجمل بواطنهم فقال تعالى يا بني ادم قد
انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوي ذلك خير قال
في اهل الجنة ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فجمل
وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وابدانهم بالحرير وهو سبحانه كما يحب
الجمال في الاقوال والافعال واللباس والهيئة يبغض القبيح من الاقوال والافعال
والهيئة ويبغض القبيح واهله ويحب الجمال واهله ولكن ضل في هذا الموضع فريقان
فريق قالوا كل ما خلقه تعالى جميل فهو يحب كل ما خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه

فلا

فلا نبغض منه شيئا قالوا ومن راى الكائنات منه راها كلها جميلة واحتجوا
بقوله تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وهولاء قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم
والبغض في الله والمعاداة فيه وانكار المنكر واقامة الحدود والفريق الثاني
قالوا قد ذم الله تعالى جمال الصور وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين
واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وفي صحيح مسلم مرفوعا ان الله لا ينظر الى
صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم قالوا وقد حرم الله علينا لباس
الحرير والذهب وانية الذهب والفضة وذلك من اعظم جمال الدنيا قال تعالى
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وفي
الحديث البذاذة من الايمان وقد ذم الله المسرفين والسرف كما يكون
في الطعام والشراب يكون في اللباس وفصل النزاع ان يقال الجمال في الصورة
واللباس والهيئة ثلاثة انواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه ما لا يتعلق
به مدح ولا ذم فالمحمود منه ما كان لله واعان على طاعة الله وتنفيذ اوامره
والاستجابة له كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير
لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه فان ذلك محمود
اذا تضمن اعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم منه ما كان
للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء وان يكون هو غاية العبد واقصى مطلبه فان
كثيرا من الناس ليس له همة في سوى ذلك واما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا

عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين والمقصود من هذا الحديث ان الله تعالى
يجب من عبده ان يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة وجوارحه
بالطاعة وبدنه باظهار نعم عليه في لباسه وتطهيره له من الانجاس والاحداث
والشعور المكروهة والختان وتقليم الاظفار وغير ذلك مما وردت به السنة
والله اعلم وعن جابر بن سمرة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة
مقمرة فجعلت انظر اليه صلى الله عليه وسلم والى القمر وعليه حلة حمرا
فاذا هو احسن عندي من القمر رواه الدارمي والترمذي وعن عون بن ابي
جحيفة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمرا كانني
انظر الى بريق ساقيه قال سفيان اراه حبرة وعن براء بن عازب قال ما رايت
احدا من الناس احسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما
الترمذي وفي رواية البخاري ومسلم رايته في حلة حمرا لم ار شيا قط احسن
منه وفي رواية لابي داود ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله
وقوله من ذي لمة بكسر اللام اي شعر الراس دون الجمة سميت بذلك لانها
المت بالمنكبين فاذا زادت فهي الجمة وفي رواية النسايي ما رايت رجلا احسن
في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القاموس الحلة بالضم
ازار ورداء برد او غيره ولا يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة وقال
ابن القيم وغلط من ظن انها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمراء

بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كساير البرود اليمنية وهي
معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط والا فالاحمر البحت ينهى اشد
النهي ففي صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم عن المياثر الحمر وفي صحيح مسلم عن ابن
عمرو قال راى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال ان هذا لباس
الكفار فلا تلبسهما ومعلوم ان ذلك انما يصبغ صباغا احمر قال وفي جواز
لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر اما كراهته فشديدة فكيف
يظن به صلى الله عليه وسلم انه لبس الاحمر القاني كلا لقد اعاذه الله منه
وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله اعلم انتهى وقال النووي
اختلف العلماء في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر واباحها جميع
العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الامام الشافعي وابو
حنيفة ومالك ولكنه قال غيرها افضل منها وفي رواية عنه انه اجاز لباسها
في البيوت وافنية الدور وكرهه في المحافل والاسواق وغيرها قال جماعة
من العلماء مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهي على هذا لانه ثبت انه عليه السلام
لبس حلة حمراء وفي الصحيحين من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ
بالصفرة وحمل بعضهم النهي على المحرم بالحج او العمرة وقد اتقن البيهقي المسئلة
في معرفة السنن فقال نهى الشافعي الرجل عن المزعفر واباح له معصفر قال
الامام الشافعي وانما رخصت في المعصفر لاني لم اجد احدا يحكي عنه صلى الله عليه وسلم

النهي عنه الا ما قال علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهاني ولا اقول
نهاكم قال البيهقي وقد جاءت احاديث تدل على النهي على العموم ثم ذكر حديث
مسلم ان هذه من لباس الكفار واحاديث غيرها ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث
الشافعي لقال بها ان شاء الله تعالى ثم ذكر باسناده ما صح عن الشافعي انه قال
اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث ودعوا قولي وفي رواية مذهبي
قال البيهقي قال الشافعي وانها الرجل الحلال بكل حال ان يتزعفر قال وامره اذا تزعفر
ان يغسله قال البيهقي فتبع السنة في المزعفر فمتابعتها في المعصفر اولى به انتهى
ورايت في فتاوي شيخنا العلامة قاسم احد ائمة الحنفية وحققها كراهته
للتحريم مع صحة الصلاة فيه واستدل له بما ذكرته وبما في حديث طاوس عند
الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو بن العاص قال دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلي ثوب معصفر قال من اين لك هذا قال صنعته لي اهلي فقال
عليه السلام احرقه انتهى وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله
يلبس بردة الاحمر في العيدين والجمعة وعن يحيى بن عبد الله قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداه وعمامته رواهما
الدمياطي وهو عند ابي داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته
وكذا رواه من حديث زيد بن اسلم وام سلمة وابن عمر لكن يعارضه ما في الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر والله اعلم واما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم

فعن

فعن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري قال اخرجت الينا عايشة كساء وازارا غليظا
فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري وفي رواية ازارا
غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة وفي رواية كساء ملبدا
قال ابن الاثير اي مرقعا يقال لبدت القميص البده ولبدته ويقال للخرقة التي ترقع بها
صدر القميص اللبدة الذي يخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد وروى مسلم
من حديث عايشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط
مرحل من شعر اسود والمرط بالكسر الميم واسكان الراء كساء من صوف او خز يوتزر به و
والمرحل بتشديد الحاء المهملة المفتوحة كمعظم هو الذي فيه صور الرحال قال
في القاموس في مادة رحل وكمعظم برد فيه تصاوير رحل قال وتفسير الجوهري
اياه بازار خز فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم وقال في مادة رجل
يعني بالجيم وبرد مرجل كمعظم فيه صور الرجال انتهى وقال النووي والصواب
الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة اي الذي عليه صور رحال
الابل ولا باس بهذه الصورة وانما يحرم تصوير الحيوان وقال الخطابي المرحل
الذي فيه خطوط والله اعلم وعن عروة ان طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم
اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى قال حدثنا عروة ايضا
ان ثوب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه الى الوفود رداء اخضر
في طول اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى قال حدثنا

محمد بن هلال قال رايت على هشام بن عبد الملك برد النبي صلى الله عليه وسلم
من حبرة له حاشيتان وعن ابن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعليه ازار يتقعقع وعن يزيد بن ابي حبيب انه صلى الله عليه كان يرخي
الازار من بين يديه ويرفعه من ورائه وعن ابن عباس قال رايت رسول الله
يأتزر تحت سرته وتبدو اسرته ورايت عمر يأتزر فوق سرته رواها كلها
الدمياطي فصل وعن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة كسروانية
لها لبنة ديباج وفرجها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت عايشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها رواه مسلم وقوله جبة
طيالسة وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة
نسبة الى كسرى ملك الفرس ولبنة بكسر اللام واسكان الباء رقعة في جيب
القميص وفيه جواز لبس ماله رجان وانه لا كراهة فيه وان المراد بالنهي
عن الحرير المتمحض منه او ما اكثر وانه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف
الخمر والذهب فانه يحرم كل جزء منهما قاله النووي لطيفة قيل لما كان
صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه الا طيب كان اثر ذلك في بدنه الشريف
انه لا يتسخ له ثوب فما اتسخ له ثوب قط قيل ولم يقمل ثوبه قط وقال ابن
سبع في الشفا والسبتي في اعذب الموارد واطيب الموالد ولم يكن القمل يؤذيه

تعظيما له وتكريما صلى الله عليه وسلم لكن يشكل عليه ما رواه احمد والترمذي
في الشمايل عن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفلي ثوبه ويحلب شاته ومن لازم التفلي وجود شيء يؤذيه في الجملة اما قملا
او برغوثا ونحو ذلك ويمكن ان يجاب بان التفلي لاستقذار وجود ما علق بثوبه
الشريف من غيره ولو لم يحصل منه اذى في حقه صلى الله عليه وسلم وهنا
فيه بحث لان اذى القمل هو غذاؤه من البدن على ما اجرى الله العادة واذا
امتنع الغذاء لا يعيش الحيوان عادة ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع على
ثيابه قط وانه لا يمتص دمه البعوض واما الطيلسان وهو بفتح اللام
واحد الطيالسة والهاء للعجمة لانه فارسي معرب وهو الساج ايضا وقال
ابن خالويه في شرح الفصيح يقال للطيلسان الاخضر الساج وفي المجمل لابن فارس
الطاق الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبسه
ولا احد من اصحابه بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي
ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون الفا من يهود اصبهان عليهم الطيالسة
وراى انس جماعة عليهم الطيالسة فقال ما اشبههم بيهود خيبر قال ومن
ههنا كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم في المستدرك
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو منهم
وفي الترمذي ليس منا من تشبه بغيرنا واما ما جاء في حديث الهجرة انه م

جاء الى ابى بكر متقنعا بالهاجرة فانما فعله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة
ليختفى بذلك للحاجة ولم يكن عادته التقنع وقد ذكر انس عنه صلى الله عليه
وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله للحاجة من الحر ونحوه انتهى قال
شيخ الاسلام الولى بن العراقى فى شرح التقريب الاسانيد التقنع معروف وهو
تغطية الراس بطرف العمامة او برداء او نحو ذلك انتهى وقال ابن الحاج فى المدخل
واما قناع الرجل فهو ان يغطى راسه بردائه ويرد طرفه على احد كتفيه انتهى
واما قول ابن القيم انه عليه السلام انما فعل ذلك للحاجة فيرد عليه حديث
سهل بن سعد انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر القناع رواه البيهقى فى الشعب
والترمذى والبيهقى فى الشعب ايضا وابن سعد فى طبقاته من حديث انس
بلفظ يكثر التقنع فهذا وما يشبهه يرد قول ابن القيم انه لم ينقل عنه عليه
السلام انه لبسه واما قوله ولا احد من اصحابه فيرده ما اخرجه فى المستدرك
بسند على شرط الشيخين عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يذكر فتنة فقربها فمر رجل مقنع فى ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى
فقمت فاذا هو عثمان بن عفان واخرج سعد بن منصور فى سننه عن ابى العلاء
قال رايت الحسن بن على يصلى وهو مقنع راسه واخرج ابن سعد عن سليمان بن
المغيرة قال رايت الحسن يلبس الطيالسة واخرج عن عمارة بن زاذان قال رايت على
الحسن طيلسانا انذقيا واما ما ذكره ابن القيم من قصة اليهود فقال الحافظ

بن

بن حجر انما يصلح الاستدلال به فى الوقت الذى تكون الطيالسة من شعارهم وقد
ارتفع ذلك فى هذه الازمنة فصار داخلا فى عموم المباح وقد ذكره ابن
عبد السلام فى امثلة البدعة المباحة وقد يصير من شعار قوم فيكون تركه من
الاخلال بالمروة وقيل انما انكر انس الوان الطيالسة لانها كانت صفرا والله
اعلم واما الخاتم ففى الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتخذ خاتما من ورق فكان فى يده ثم كان فى يد عمر ثم كان فى يد عثمان حتى وقع
فى بئر اريس وفيهما ايضا عن انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم لبس
خاتم فضة فيه فص حبشى وكان يجعل فصه مما يلى كفه واخرج احمد والنسايى
والترمذى والبزار فى مسنده عن بردة ان النبى صلى الله عليه وسلم راى
فى يد رجل خاتما من حديد فقال ما اجد منك ريح الاصنام ثم قال اتخذه من فضة
ولا تزد على مثقال وقد اختلف العلماء فى لبسه فى الجملة فاباحه كثير من اهل
العلم من غير كراهة ومنهم من كرهه اذا قصد به الزينة ومنهم من كرهه الا
الذى سلطان لحديث ابى داود والنسايى عن ابى ريحانة ان النبى صلى الله عليه وسلم
نهى عن لبس الخاتم الا الذى سلطان ولانه عليه السلام انما اتخذه لحاجة
ختم الكتب التى يبعثها الى الملوك كما فى حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كتب
الى كسرى وقيصر والنجاشى فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا بخاتم فصاغ
خاتما ونقش فيه محمد رسول الله وانما لبسه ابو بكر لاجل ولايته فانه كان

يحتاج اليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج اليه وكذلك عمر وعثمان
وحكى ابن عبد البر عن طايفة من العلماء كراهة لبسه مطلقا احتجاجا بحديث انس
انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفي الشمايل للترمذي عن ابن عمر
انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به ولا يلبسه وفي
الصحيحين من حديث انس انه راى في يده صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق
يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم والصواب القول الاول
فان لبس النبي صلى الله عليه وسلم الخواتم انما كان في الاصل لاجل المصلحة
ختم الكتب التي يرسلها الى الملوك ثم استدام لبسه ولبسه اصحابه معه ولم ينكر
عليهم بل اقرهم عليه فدل ذلك على الاباحة المجردة واما حديث النهي عن
الخاتم الا لذي سلطان فقال ابن رجب ذكر بعض اصحابنا ان احمد ضعفه
واما ما جاء في حديث الزهري عن انس انه صلى الله عليه وسلم لبسه يوما واحدا
ثم القاه فقد اجيب عنه بثلاثة اجوبة احدها انه وهم من الزهري وسهو جرى
على لسانه لفظ الورق وانما الذي لبسه يوما واحدا ثم القاه كان من ذهب
كما ثبت ذلك من غير وجه في حديث ابن عمر وانس الثاني ان الخاتم الذي
رمى به عليه الصلوة والسلام لم يكن كله فضة وانما كان حديدا عليه فضة
وروى ابو داود عن معيقيب الصحابي وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم

من

قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد ملوي عليه فضة فلعل
هذا هو الذي لبسه يوما واحدا ثم طرحه ولعله هو الذي كان يختم به ولا يلبسه
الثالث ان طرحه انما كان لئلا يظن انه سنة مسنونة فانهم اتخذوا الخواتيم
لما راوه قد لبسه فتبين بطرحه انه ليس بمشروع ولا سنة ثم ان الخاتم تكون
تارة من فضة وتارة من ذهب وتارة من حديد وتارة من صفر او رصاص او
نحوها وتارة من عقيق واما الذهب ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال نهانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب وآنية الفضة وفيهما ايضا
عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى عن خاتم الذهب وفيهما ايضا
عن ابن عمر انه م اتخذ خاتما من ذهب فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي
باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب قال فصعد رسول الله صلى الله
المنبر فالقاه ونهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الايمة الاربعة
مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد واكثر العلماء ورخصت فيه طايفة
منهم اسحاق بن راهويه وقال مات خمسة من اصحابه عليه السلام وخواتيمهم
من ذهب قال مصعب بن سعد رايت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم
من ذهب وعن حمزة بن ابي اسيد والزبير بن المنذر بن ابي اسيد انهما نزعا من
يد ابي اسيد خاتما من ذهب حين مات وكان بدريا رواهما البخاري في تاريخه
وروى النسائي عن سعيد بن المسيب قال قال عثمان لصهيب ما لي ارى عليك

خاتم الذهب فقال قد راه من هو خير منك فلم يعبه قال من هو قال رسول الله
واما خاتم الفضة فاباحه كثير من العلماء ولبسه صلى الله عليه وسلم وجماعة
من اصحابه قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة وكذا في الروضة وغيرها
وكتب طائفة بجوازه وروى ابو داود وصححه ابن حبان من حديث بريدة بن
الحصيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للابس الخاتم الحديد مالي ارى
عليك حلية اهل النار فطرحه وقال يا رسول الله من اي شيء اتخذه قال من ورق
لا تتمه مثقالا واخرجه ايضا النسائي والترمذي وقال غريب واخرجه
احمد بن حنبل وابو يعلى في مسنديهما والضيا في المختارة مما ليس في الصحيحين
ورجاله رجال الصحيحين الا عبد الله بن مسلم المعروف بابي طيبة وهو محدث
مشهور وتصحيح ابن حبان لحديثه دال على قبوله فاقل احواله ان يكون من درجة
الحسن والاصل في النهي كونه للتحريم ولان الاصل في استعمال الفضة
للرجال التحريم الا ما رخص فيه فاذا فيه حد وجب الوقوف عنده وبقي
ما عداه على الاصل وقد قال ابن الرفيعة في باب ما يكره لبسه من الكفاية وينبغي
ان ينقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا
وساق الحديث وقوله يصلح للوجوب وغيره وحمله عليه اولى لانه ساق الحديث
مساق الاحتجاج لهذا الحكم فلا يصرف النهي عن حقيقته الا بصارف وظاهر
صنيع ابن الملقن في شرح منهاج النووي يقتضيه فانه قال في زكوة النقد

فرع

فرع في ابي داود وصحيح ابن حبان من حديث بريدة انه عليه الصلاة والسلام
قال لذلك الرجل وذكر الحديث فساقه سوق الفروع التي لا خلاف فيه بين الاصحاب
وظاهر ذلك تحريم المثقال وفي القوت للاذرعي لم يتعرض اصحابنا لمقدار الخاتم ولعلهم
اكتفوا بالعرف فما خرج عنه كان اسرافا كما قالوا في الخلخال للمراة ونحوه والصواب
الضبط بما نص عليه في الحديث وليس في كلامهم ما يخالفه هذا لفظه وهو يشير الى
الى هذا الحديث وكذا مشى عليه ابن العماد في التعقبات وعبارته واذا جاز لبس
الخاتم فشرطه ان لا يبلغ به مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ ابن العراقي في
شرح الترمذي ان النهي في قوله ولا تتمه مثقالا محمول على التنزيه فيكره ان يبلغ
به وزن مثقال قال وفي رواية ابي داود في رواية صاحب المعالم ولا تتمه
مثقالا ولا قيمة مثقال وليست هذه الزيادة في رواية اللؤلؤي ومعنى هذه
انه ربما وصل الخاتم بالنفاسة في صنعته الى ان يكون قيمة مثقال فهو داخل في
النهي ايضا انتهى وقد افتى العلامة السراج العبادي بانه يجوز ان يبلغ به
مثقالا وان ما زاد عليه حرام واما خاتم الحديد فاخرج ابو داود في الخاتم من
سننه والبيهقي في شعب الايمان والادب وغيرهما من تصانيفه من طريقه
والنسائي في الزينة من سننه وابن حبان في صحيحه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه خاتم من شبه وهو بفتح المعجمة والموحدة وباسكانها وكسر المعجمة نوع من النحاس
كانت الاصنام تتخذ منه وسمي بذلك لشبهه بالذهب لونا فقال مالي اجد منك

ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالى اري عليك حلية
اهل النار وطرحه واخرجه الترمذي لكنه قال من صفر بدل من شبه وهما
بمعنى قال النووي في شرح المهذب قال صاحب الابانة يكره الخاتم من حديد
او شبه وتابعه صاحب البيان فقد يكره الخاتم من حديد او رصاص ونحاس
لحديث بريدة قال صاحب التتمة لا يكره الخاتم من حديد او رصاص لحديث
الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذي خطب الواهبة نفسها اطلب
ولو خاتما من حديد قال ولو كان فيه كراهة لم ياذن وفى سنن ابي داود باسناد
جيد عن معيقيب الصحابي كان خاتمه عليه الصلاة والسلام من حديد ملوى
عليه فضة والمختار انه لا يكره لهذين الحديثين وقال في شرح مسلم في الكلام
على حديث المراة الواهبة نفسها في هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه
خلاف للسلف حكاه القاضي ولاصحابنا في كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث
في النهي عنه ضعيف انتهى ولعل تضعيف النووي للحديث انما هو بالنسبة الى مقاومة
حديث سهل بن سعد في الصحيحين وغيره في قصة الواهبة نفسها لا مطلق
كيف وله في ذلك شواهد عدة ان لم ترقه الى ... درجة الصحة لم تدعه يترك
عن درجة الحسن واما خاتم العقيق فعن انس ان رسول الله صلى الله
قال تختموا بالعقيق واليمين احق بالزينة وفي سنده مجهول وروي
بلفظ تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر وروي يعقوب بن ابراهيم

عن

عن عايشه مرفوعا تختموا بالعقيق فانه مبارك ويعقوب متروك وروي ابو
بكر بن شعيب عن فاطمة رضي الله عنها مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل خيرا و
هذا ايضا لا يثبت وكذا ورد فيه احاديث غير هذه وكلها كما قال الحافظ بن
رجب لا يثبت وقال العقيلي لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي صلى الله عليه
وسلم شيء وروي ابن فنجويه في كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن علي
مرفوعا من تختم بالياقوت الاصفر منع الطاعون واسناده ضعيف واما
فص خاتمه عليه السلام فروي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما
من فضة فصه منه اخرجه البخاري وغيره وفي صحيح مسلم ان خاتمه صلى الله
كان فصه حبشيا قال النووي قال العلماء يعني حجرا حبشيا اي فصا من
جزع او عقيق فان معدنها بالحبشة واليمن انتهى فان صح انهم كانوا يعنون
بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان احدهما فصه عقيق والاخر فصه فضة
في شرح مسلم للنووي حكاية انه كان له في وقت خاتم فصه منه قال
وفي حديث اخر فصه من عقيق انتهى لكن لم يرو عنه عليه السلام انه لبس
خاتما كله عقيقا واما نقش خاتمه عليه السلام ففي صحيح مسلم عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صنع خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله وقال للناس
اني اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه محمد رسول فلا ينقش احد على نقشه قال
الترمذي معنى قوله لا تنقشوا عليه نهى ان ينقش احد على خاتمه محمد رسول الله

وفي رواية للنسائي اتخذ خاتما من ورق فصه حبشي ونقش فيه محمد رسول
الله وفي رواية البخاري والترمذي وكان نقش الخاتم ثلاثة اسطر محمد
سطر ورسول سطر والله سطر قال في فتح الباري ظاهره انه لم يكن فيه زيادة
على ذلك وانه كان على هذا الترتيب لكن لم تكن كتابته على الترتيب العادي
فان ضرورة الاحتياج الى ان يختم به يقتضي ان تكون الاحرف المنقوشة
مقلوبة ليخرج الختم مستويا واما قول بعض الشيوخ ان كتابته كانت من فوق
يعني الجلالة اعلى الاسطر الثلاثة ومحمد اسفلها فلم ار التصريح بذلك في شيء
من الاحاديث بل رواية الاسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر
والسطر الثاني رسول والسطر الثالث الله وعن ابن عمر انه صلى الله عليه
وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه (فلما قبض صار في يد ابي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر في يمينه صح) ثم صار في يد عثمان في يمينه ثم ذهب يوم
الدار عليه لا اله الا الله رواه بركة بن محمد الحلبي كما حكاه ابن رجب في
كتاب الخواتيم ثم قال وهي رواية ساقطة جدا فان بركة مذكور بالكذب
وفي لفظه ما يدل على بطلانه وهو قوله ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله
فانه انما سقط في بير اريس قبل الدار وقد عاش عثمان بعده مدة واتخذ له
خاتما عوضه وانما كان نقشه محمد رسول الله لا كلمة الاخلاص انتهى
تنبيه قال شيخ الاسلام الشرف المناوي وتحصل السنة بلبس الخاتم
ولو مستعارا او مستاجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاستدامة

ع

على ذلك ويجوز تعدد اتخاذ الخواتم لتخاذ او اما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي
عدم الجواز وبه صرح المحب الطبراني فقال المتجه انه لا يجوز للرجل ان يلبس
خاتمين من فضة في يديه او في احدهما لان استعمال الفضة حرام الا ما
وردت به الرخصة ولم ترد الا في خاتم واحد لكن ذكر الخوارزمي في الكافي
انه يجوز ان يلبس زوجا في يد او فردا في الاخرى فان لبس في كل واحدة زوجا
فقال الصيدلاني في الفتاوى لا يجوز وقال الدارمي في الاستذكار يكره
للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصاره على الكراهة يدل على عدم الحرمة واذا تقرر
ذلك فالمسئلة ذات خلاف والذي يظهر كلام المحب الطبري فان تسامحنا
اعتمدنا على ما افتى به الصيدلاني انتهى ويجوز التختم في اليمين واليسار واختلف
الناس في افضلهما فقيل اليسار وهو نص الامام احمد في رواية صالح قال
التختم في اليسار احب الي وهو مذهب امام مالك وروي انه كان يلبسه في
اليسار وكذلك الامام الشافعي وفي صحيح مسلم عن انس قال كان خاتم النبي صلى الله
عليه وسلم في هذه واشار الى الخنصر من يده اليسرى وفي سنن ابي داود عن ابن عمر انه عليه السلام
كان يتختم في يساره وروي اسماعيل بن مسلم عن السلطي قال اتيت النبي عليه السلام
في ليلة قمراء وكاني انظر الى عكن بطنه وكانها القباطي والى بيض خاتمه
في يساره واسماعيل هذا قال البخاري تركه ابن المبارك وربما روي عنه وقد
ذكر بعض الحفاظ كما افاده الحافظ ابن رجب ان التختم في اليسار مروي عن عامة

الصحابة والتابعين و رجحت طائفة التختم فى اليمين و هو قول بن عباس وعبد الله
بن جعفر و روى حماد بن ابى سلمة قال رايت ابن ابى نافع يتختم فى يمينه و قال كان
النبى صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه رواه احمد والنسائى وابن ماجة و
الترمذى و قال قال محمد يعنى البخاري هذا اصح شيء روي عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى هذا الباب وفى الشمايل للترمذى عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم
فى يمينه وهذا فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون وهو يروى من حديث عباد بن
صهيب عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم والخاتم فى يمينه وعباد بن صهيب متروك ايضا و روى البزار
فى مسنده من حديث عبيد بن القاسم عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه و قبض والخاتم فى يمينه وعبيد
هذا كذاب قال الحافظ بن رجب و قد جاء جاء الصريح بان تختمه عليه السلام
فى يساره كان اخر الامرين فى حديث رواه سليمان بن محمد عن عبد الله بن عطاء عن
نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه ثم انه حوله الى
يساره وقال وكيع التختم فى اليمين ليس بسنة ونص الامام احمد انه يكره التختم
فى السبابة والوسطى و روي عن على قال نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اتختم فى هذه او هذه واوما الى السبابة والوسطى والله اعلم وفى الكتاب
وكان عليه الصلوة والسلام يتختم و ربما خرج و فى خاتمه خيط مربوط

يستذكر به بالشيء و رواه بن عدي بسند ضعيف من حديث واثلة بلفظ كان
صلى الله عليه وسلم اذا اراد حاجة اوثق فى خاتمه خيطا و روى ابو يعلى عن
ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط فى اصبعه
خيطا ليذكرها وكذا هو فى رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد الاعلى ابو الفيض
رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث واما السراويل فاختلف
هل لبسها النبى صلى الله عليه وسلم ام لا فجزم بعض العلماء بانه عليه السلام
لم يلبسه ويستانس له بما جزم به النووى فى ترجمة عثمان بن عفان رضى الله
من كتاب تهذيب الاسماء واللغات انه رضى الله عنه لم يلبس السراويل فى
جاهلية ولا اسلام الا يوم قتله فانهم كانوا احرص شيء على اتباعه صلى الله
لكن قد ورد عند ابى يعلى الموصلى فى مسنده بسند ضعيف جدا عن ابى هريرة
قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين
فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتزن وارجح فقال الوزان ان هذه لكلمة ما
سمعتها من احد قال ابو هريرة فقلت له كفى بك من الوهن والجفا فى دينك
ان لا تعرف نبيك فطرح الميزان و وثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد ان يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم يده منه وقال يا هذا انما تفعل هذا
الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فوزن فارجح واخذ رسول الله ع م

السراويل قال ابو هريرة فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان
ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم قال قلت يا رسول الله
فانك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت
بالستر فلم اجد شيئا استر منه وكذا اخرجه ابن حبان في الضعفاء عن ابي يعلى
ورواه الطبراني في الاوسط والدارقطني في الافراد والعقيلي في الضعفاء
ومداره على يوسف بن زياد الواسطي لكن قد صح وقد روي انه لبس السراويل
وكانوا يلبسونه في زمانه وباذنه قال ابو عبد الله الحجازي في حاشيته على
الشفا وما قاله في الهدي من انه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل قالوا
سبق قلم وقد اورد ابو سعيد النيسابوري ذكر الحديث في تجارته صلى الله عليه وسلم
من كتابه شرف المصطفى وقد ترجم البخاري في اللباس من صحيحه باب السراويل
واورد فيه حديث المحرم لكونه لم يرد فيه شئ على شرطه واما الخف فروي
الترمذي عن ابي بريدة ان النجاشي اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم خفين
اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضا ومسح عليهما وعن المغيرة بن شعبة
قال اهدى دحية النبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما وقال اسرائيل
عن جابر عن عامر وجبة فلبسهما حتى تخرقا لا يدري النبي صلى الله عليه وسلم
اذكيا هما ام لا رواه الطبراني واما نعله صلى الله عليه وسلم والنعل
كما قال صاحب المحكم ما وقيت به القدم ففي البخاري عن قتادة عن انس ان

نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان والقبالان تثنية القبال وهو
زمام النعل وهو السير الذي يكون بين الاصبعين وعن ابن عباس قال كان
لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما رواه الترمذي
في الشمايل وفيها ايضا عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبالان وعن عيسى بن طهمان قال اخرج الينا انس بن مالك نعلين
جرداوين لهما قبالان فحدثني ثابت بعد عن انس انهما كانت نعل النبي صلى الله
وعن عبيد بن جريج انه قال لابن عمر رايتك تلبس النعال السبتية قال اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضا
فيها فانا احب ان البسها وعن عمرو بن حريث قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي في نعلين مخصوفتين وعن عايشة كان رسول الله يحب التيامن ما استطاع
في ترجله وتنعله وطهوره رواها الترمذي وعن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم
اذا انتعل احدكم فليبدأ باليمنى واذا نزع فليبدا بالشمال لكن اليمنى اولهما
تنعل واخرها تنزع وكان صلى الله عليه وسلم ينهى ان ينتعل الرجل قائما رواه
ابو داود والترمذي وقد ذكر ابو اليمن بن عساكر تمثال نعله الكريم عليه
افضل الصلاة والتسليم في جزء مفرد رويته قراة وسماعا وكذا افرده
بالتاليف ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل المرية
بالاندلس وكذا غيرهما ولم اثبتها هنا اتكالا على شهرتها وصعوبة ضبط تسطيرها

الا على خادق ومن بعض ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره ابو جعفر
بن عبد المحيط وكان شيخا صالحا وربما قال الجدوت المثال لبعض الطلبة فجاني
يوما فقال لى رايت لنا رحة من بركة هذا النعل عجبا اصاب زوجي وجع شديد
كاد مهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم ارني بركة صاحب هذا
النعل فشفاها الله للحين وقال ابو اسحق قال ابو القاسم بن محمد ومما جرت من بركته
انه من امسكه عنده متبركا به كان له امانا من بغى البغاة وغلبة العداة وحرزا من
كل شيطان مارد وعين كل حاسد وان امسكته المراة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها
الطلق يتيسر امرها بحول الله وقوته ولله در ابى اليمن بن عساكر حيث قال

يا منشدا فى رسم ربع خالى … ومناشد الدوارس الاطلال
دع ندب اثار وذكر متاثر … لاحبة بانوا وعصر خالى
والثم ثرى الاثر الكريم فحبذا … ان فزت منه بلثم ذا التمثال
اثر له بقلوبنا اثر لها … شغل الخلى بحب ذات الخال
قبل لك الاقبال نعلى اخمص … حل الهلال بها محل قبال
الصق بها قلبا يقلبه الهوى … وجلا على الاوصاب والاوجال
صافح بها خدا وعفر وجنة … فى تربها وجدا وفرط فعال
سبيل حر جوى ثوى بجوانح … فى الحب ما جنحت الى الابدال
يا شبه نعل المصطفى روحى الفدا … لمحلك الاسنا الشريف العال

هملت لمراك العيون وقد نامي … مرمى العيان بغير ما اهمال
وتذكرت العقيق فناثرت … شوقا عقيق المدمع الهطال
وصلت فواصلت الحنين الى الذى … ما زال بالى منه فى بلبالى
اذكرتنى قدما لها قدم العلا … والجود والمعروف والافضال
اذكرتنى من لم يزل ذكرى له … يعتاد فى الابكار والاصال
ولها المفاخر والماثر فى الدنا … والدين فى الاقوال والافعال
لو ان خدى يجيدنى نعلا لها … لبلغت من نيل المنا امالى
لو ان اجفانى لوطى نعالها … ارض سمت غرابذا الاذلال

وما احسن قول ابى الحكم بن المرحل فى قصيدة ذكرها ابو اسحاق بن الحاج

بوصف حبيبى طرز الشعر ناظمه … ونمنم خد الطرس بالنقش راقمه
رؤف عطوف اوسع الناس رحمة … وجادت عليهم بالنوال غمايمه
له الحسن والاحسان فى كل مذهب … فاثاره محبوبة ومعالمه
به ختم الله النبيين كلهم … وكل فعال صالح فهو خاتمه
احب رسول الله حبا لوانه … نقاسمه قومى كفتهم قسايمه
وكان فؤادى كلما مر ذكره … من الورق خفاق اصيبت قوادمه
اهيم اذا هبت نواسم ارضه … ومن لفؤادى ان تهب نواسمه
فانشق مسكا طيبا فكانما … نوافجه جات به ولطايمه

ومما دعاني والدعاوي كثيره * الى الشوق ان الشوق مما اكاتمه
مثال النعل من احب خويته * فها انا في يومي وليلي لاثمه
اخر على راسي ووجهي اديمه * والثمه طورًا وطورًا الازمه
امثله في رجل اكرم من مشي * فتبصره عيني وما انا حالمه
اخر خدي ثم احسب دفعه * على وجنتي خطواهناك يداوه
ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي * لماش علت فوق النجوم براجمه
ساجعله فوق الترائب عوذة * لقلبي لعل القلب يبرد جاحمه
واربطه فوق الشؤون تميمة * لجفني لعل الجفن يرقا ساجمه
الا بابي تمثال نعل محمد * لطاب حاذيه وقدس خادمه
يود هلال الافق لو انه هوي * يزاحمنا في لثمه ونزاحمه
وما ذاك الا ان حب بنينا * يقوم باجسام الخليفة لازمه
سلام عليه كلما هبت الصبا * وغنت باغصان الاراك حمائمه

ولابي بكر بن احمد الامام ابي محمد عبد الله بن الحسين القرطبي

ونعل خضعنا هيبة لبهائها * وانا متى نخضع لها ابدًا نعلوا
فضعها على اعلا المفارق انها * حقيقتها تاج وصورتها نعل
باخمص خير الخلق حازت مزية * على التاج حتى باهت المفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر * وان البحار الجود من فيضها حلوا
سلونا ولكن عن سواها وانما * نهيم بمغناها الغريب وما نسلو
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها * حميم ولا مال كريم ولا نسل
شفاء لذي سقم رجاء لبايس * امان لذي خوف كذا يحسب الفضل

واما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم اخذ من بذلك بما تدعو ضرورته اليك وترك ما سوى ذلك وفي صحيح مسلم قوله عم فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان قال العلماء معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم فكل مذموم يضاف للشيطان لانه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل واما تعداد الفراش للزوج والزوجة فلا باس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرض ونحوه وعن عائشة انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف رواه الشيخان وروى البيهقي من حديثها قالت دخلت على امرأة من الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت الي بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عايشة قلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت فرات فراشك فبعثت الي بهذا

فقال رديه يا عايشة فوالله لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وعن
عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر
في جنبه الحديث رواه ابن ماجة والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني ولفظه
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة كانها بيت حمام وهو نايم على
حصير قد اثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت يا رسول الله كسرى و
قيصر يطاون على الخز والديباج والحرير وانت نايم على هذا الحصير قد اثر بجنبك
فقال فلا تبك يا عبد الله فان لهم الدنيا ولنا الاخرة وقوله كانت بيت حمام يتشدد يريد
الحمامي ان فيها من الحر والكرب كما في بيت الحمام وعن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا
عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنبه واذا انا بقبضة من
شعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب
قال يا نبي الله وما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزائنك وهذه
لا ارى فيها الا ما ارى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار وانت نبي الله
وصفوته وهذه خزائنك قال يا ابن الخطاب ما ترضى ان تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا
رواه ابن ماجة باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه قال عمر
رضي الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في
مشربة وانه لمضطجع على خصفة ان بعضه لعلى التراب وتحت راسه وسادة

محشوة ليفا وان فوق راسه لاهابا عطينا وفي ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه
وجلست فقلت انت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش
الديباج والحرير فقال اولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانا
قوم اخرت لنا طيباتنا في اخرتنا وعن عايشة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير
مرمل بالبردي عليه كساء اسود وقد حشوناه بالبردي فدخل ابو بكر وعمر عليه
فاذا النبي صلى الله عليه وسلم نايم عليه فلما راهما استوى جالسا فنظرا فاذا اثر
السرير في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا ما يوذيك خشونة ما نرى
من فراشك وسريرك وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج فقال عليه السلام
لا تقولا هذا فان فراش كسرى وقيصر في النار وان فراشي وسريري هذا عاقبته
الى الجنة رواه ابن حبان في صحيحه ويروى انه عليه الصلاة والسلام ما عاب مضجعا
قط ان فرش له اضطجع وان لا اضطجع على الارض وتغطى صلى الله عليه وسلم بالهرا
باللحاف وقال عليه السلام ما اتاني جبريل وانا في لحاف امراة منكن غير عايشة
النوع الثالث في سيرته عليه السلام في نكاحه قد كان صلى الله عليه وسلم
ياخذ من الجماع بالاكمل مما يحفظ الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس ويحصل
به مقاصده التي وضع لاجلها فان الجماع في الاصل وضع لثلاثة اشياء هي
مقاصده الاصلية احدها حفظ النفس ودوام النوع الانساني الى ان يتكامل
العدة التي قدرها الله تعالى بروزها الى هذا العالم الثاني قضاء الوطر ونيل اللذة

والتمتع بالنعمة وهذه هي الفائدة التي في الجنة اذ لاتناسل هناك ولا احتقان
يستفرغه الانزال وفضلاء الاطباء يريدون ان الجماع من احد اسباب الصحة
لكن لا ينبغي اخراج المني الا في اطلب النسل او اخراج المحتقن منه فاذا دام احتقانه
احدث امراضا ردية منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبرئ
استعماله من هذه الامراض كثيرا فانه اطال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية
توجب امراضا ردية قال محمد بن زكريا من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوة
اعضائه واستد مجاريها وتقلص ذكره قال ورايت جماعة تركوه لنوع من التقشف
فبردانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كابة بلا سبب وقلت شهواتهم
وهضمهم اشار اليه في زاد المعاد ومن منافعه غض البصر وكف النفس
والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمراة فهو ينفع نفسه في دنياه
واخرته وينفع المراة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة
ماضية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويقول كما في حديث انس
عند الطبراني في الاوسط والنسائي في سننه حبب الي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلوة اي لمناجاة فيها ربه تعالى زاد الامام احمد في
الزهد واصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن فمحبة النساء والنكاح
من كمال الانسان هذا خليل الله ابراهيم امام الحنفية كان عنده سارة اجمل
نساء العالمين واحب هاجر وتسرى بها وذكر سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد

عن ابيه قال كان الخليل ابراهيم عليه السلام يزور هاجر في كل يوم من الشام
على البراق شغفا وقلة صبر عنها وهذا داود عليه السلام عنده تسع وتسعون
امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل المائة وهذا سليمان عنده ابنه كان
يطوف في الليلة على تسعين امراة تنبيه وقع في الاحياء للغزالي وتفسير ال عمران
من الكشاف وكثير من كتب الفقهاء حبب الي من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه السلام
قال ثلاث ولم يذكروا الا اثنين الطيب والنساء وقالوا ومنه قول الشاعر

ان الاخامرة الثلاثة اهلكت … مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والماء القراح واطلي … بالزعفران فلا ازال مولعا

وذكرها ابن فورك في جزء مفرد ووجهها واطنب في ذلك وهذا يسمى عندها علي
وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت عن باقيه لغرض المتكلم وانشد الزمخشري عليه

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم … من العبيد وثلث من مواليها

وفائدة الطي عندهم تكثير ذلك الشيء لكن قال ابن القيم وغيره من رواه حبب
الي من دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة
ليست من امور الدنيا التي تضاف اليها انتهى نعم يضاف اليها لكونها ظرفا لوقوعها
فقط فهي عبادة محضة وقال شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر في تاريخ الكشاف
ان لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرقه وزيادته تفسد المعنى وكذا قال شيخ
الاسلام الولي بن العراقي في اماليه عبارته ليست هذه لفظة وهي ثلاث في شيء

من كتب الحديث وهي مفسدة للمعنى فان الصلاة ليست من امور الدنيا وكذا صرح به
الزركشي وغيره كما حكاه شيخنا في المقاصد الحسنة وافرة قال ابن الحاج في المدخل
انظر الى حكمة قوله عليه السلام حبب ولم يقل احببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم
دونه عليه فدل على ان حبه كان خاصا بمولاه تبارك وتعالى وجعلت قرة عينه في الصلوة
فكان عليه السلام بشري الظاهر ملكوتي الباطن وكان عليه السلام لا ياتي الى
من احوال البشرية الا تانيسا لامته وتشريعا لها لا انه محتاج الى شيء من ذلك الا ترى
قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك
فقال لكم ولم يقل اني ملك فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم اعني في معانيه عليه السلام
لا في ذاته الكونية اذ انه عليه السلام يلحق بشريته ما يلحق البشر ولهذا قال سيدي الشيخ
ابو الحسن الشاذلي في صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالابشار كما الياقوت
حجر ليس كالاحجار وهذا منه رحمه الله على سبيل التقريب للمفهوم فدل انه صلى الله عليه وسلم
كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن ملك نفسه انتهى وههنا لطيفة
روي انه عليه السلام لما قال حبب الي من دنياكم النسا والطيب وجعلت قرة عيني
في الصلوة قال ابو بكر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا النظر الى وجهك وجمع
المال للانفاق عليك والتوسل بقرابتك اليك وقال عمر وانا يا رسول الله حبب الي
من الدنيا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بامر الله وقال عثمان وانا يا رسول الله
حبب الي من الدنيا اشباع الجايع وارواء الظمان وكسوة العاري وقال علي بن ابي طالب

يا رسول الله

يا رسول الله حبب الي من الدنيا الصوم في الصيف واقراء الضيف والضرب بين
يدي بالسيف قال الطبري رواه الجنيدي قال والعهدة عليه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش رواه
الطبراني وقال انس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسايه في الساعة الواحدة
من الليل وهن احدى عشرة قلت لانس وكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة
ثلاثين رواه البخاري من طريق قتادة قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن
ابيه رواه سعيد بن ابي عروبة وغيره عن قتادة فقالوا تسع نسوة انتهى وكذا رواه
البخاري من طريق سعيد بن ابي عروبة ايضا بلفظ وله يومئذ تسع نسوة وجمع بينهما
ابن حبان في صحيحه بان حمل ذلك على حالتين لكنه وهم في قوله ان الاولى لو كانت
في اول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة والحالة الثانية في اخر الامر حيث
اجتمع عنده احدى عشرة امراة وموضع الوهم منه صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة لم تكن تحته سوى سودة ثم دخل على عايشة بالمدينة ثم تزوج ام سلمة وحفصه
وزينب بنت خزيمة في السنة الرابعة ثم زينب بنت جحش في الخامسة ثم جويرية في
في السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة في السابعة هولاء جميع من دخل بهن
من الزوجات بعد الهجرة على المشهور ويحمل برواية هشام على انه ضم مارية وريحانة
اليهن واطلق عليهن لفظ نسايه تغليبا وعن طاوس ومجاهد اعطي صلى الله عليه وسلم
قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد وفي رواية عن مجاهد قوة بضع واربعين

رجلا كل رجل من اهل الجنة رواه الحارث بن اسامة وعند احمد والنساى وصححه الحاكم
من حديث زيد بن ارقم رفعه ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة ماية فى الاكل والشرب
والجماع والشهوة فان قلت وطى المراة فى يوم الاخرى ممنوع والقسم وان لم يكن واجبا
عليه لكنه عليه السلام التزمه تطييبا لنفوسهن اجيب باحتمال اذن صاحبه اليوم له
او انه فى يوم لم يثبت فيه قسم بعد كيوم قدوم من سفر او اليوم الذى بعد كمال الدورة
لانه يستانف القسم فيما بعد او انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقد اختص
فى باب النسا باشيا كما سياتى ان شاء الله وعن صفوان بن سليم مرفوعا اتانى
جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا فى الجماع رواه ابن سعد و
لما كان عليه الصلاة والسلام ممن اقدر على القوة فى الجماع واعطى الكثير منه
ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره قال ابن عباس تزوجوا فان افضل هذه الامة
اكثرها نسا ووقع عند الطبرانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تزوجوا فان خيرنا
اكثرنا نساء قيل المعنى خير امة محمد من كان اكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما
عدا ذلك من الفضايل وقال الحافظ ابو الفضل العسقلانى والذى يظهر ان مراد
ابن عباس بالخير النبى صلى الله عليه وسلم وبالامة اخصا اصحابه وكانه اشار الى
ان ترك التزويج مرجوح اذ لو كان راجحا ما اثر النبى صلى الله عليه وسلم غيره
وكان مع كونه اخشى الناس لله واعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الاحكام
التى لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة فى خرق العادة لكونه كان لا يجد

ما يستمتع به من القوت غالبا وان وجد فكان يوثر باكثره ويصوم كثيرا ويواصل
ومع ذلك يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن
وقوة البدن تابعه لما يقوم به من استعمال المقويات من ماكول ومشروب وهى
وهى عنده عليه السلام نادرة او معدومة قال بعض العلماء لما كان الحر لفضله
يستبيح من النساء اكثر مما يستبيح العبد وجب ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم لفضله
على جميع الامة يستبيح من النسا اكثر مما يستبيحه الامة قالوا ومن فوايد ذلك زيادة
التكليف فى القيام بهن مع تحمل اعباء الرسالة فيكون ذلك اعظم لمشاقه واكثر لاجره
ومنها ان النكاح حقه عبادة ومنها نقل محاسنه الباطنة فقد تزوج عليه السلام
وكان ابوها فى ذلك الوقت عدوه وصفية وقد قتل اباها وعمها وتزوجها ولو لم
يطلعن من باطن احواله على انه اكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية يقتضى ميلهن
الى ابايهن وقرابتهن فكان فى كثرة النسا عنده بيان لمعجزاته وكماله باطنا كما عرف
منه الرجال ظاهرا وقد رغب عليه السلام فى النكاح فروى ابو داود والنساى
من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم وفى
ابن ماجة عن ابى هريرة رفعه انكحوا فانى مكاثر بكم وهو معنى ما اشتهر على السنة
تناكحوا تناسلوا فانى اباهى بكم الامم ولم اقف عليه بهذا اللفظ وارشد عليه السلام
من لم يستطع الباءة الى الصوم لان كثرته تقلل مادة النكاح وخص الشباب
فى قوله يا معشر الشباب لان للشباب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم وقد ظهر لك

وتضعف ما يحلله الماء من الحرارة القوية المنبعثة على النكاح

ان النكاح اعظم في الاجر والثواب من الصيام فانه صلى الله عليه وسلم
لم يامر اولا بالصيام انما امر به عند عدم الطول الى النكاح بشوي بالتناسل
لتكثير هذه الامة المحمدية فهو بلا شك افضل قال عمر ابن الخطاب
اني لاطا النساء ومالي اليهن حاجة رجاء ان يخرج الله من ظهري من يتكاثر به
محمد الامم يوم القيمة ذكره ابن ابي جمرة وانظر كون نبينا صلى الله عليه
وسلم بالاجماع اعبد الناس مع ماطبعت عليه بشريته من حب الجماع وكيف
لم يخل بعبادته شيئا لانه عليه السلام لم يكن ياتيها الا على مشروعيتها
وهذا هو غاية الكمال في البشرية لانه يرجع ماطبع تابعا لما امر به وقد
روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا رهبانية في الاسلام و
هي ترك النسا ولو كان تركهن افضل لشرع ذلك في ديننا اذ هو خير الا ديان
وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على ماية امراة الحديث رواه
البخاري وهذا فيه معجزة لسليمان عليه السلام اذ البشر عاجز عن الطواف
على ماية امراة في ليلة واحدة فاظهر الله تعالى قدرته بان اعطى لسليمان م
القوة على ذلك فكان فيها معجزة واظهار قدرة وابدا حكمة ردا على من
ربط بالاشياء بالعوايد فيقول لا يكون كذا من كذا ولا يتولد كذا الا
من كذا فالقى الله تعالى في صلب سليمان ماء ماية رجل وكان له ثلثماية
زوجة والف سرية وهذا لا يعطي تفضيل سليمان عليه السلام على نبينا

صلى

صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد لم يعط الا ماء اربعين رجلا ولم يكن له غير
عشرة نسوة لان مرتبة نبينا عليه الصلاة والسلام في الافضلية لا يساويه
فيها احد وسليمان تمنى ان يكون ملكا فاعطى ذلك واعطى هذه القوة في الجماع
لكي يتم له الملك على خرق العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك فكان نساوه
من جنس ملكه الذي لا ينبغي لاحد من بعده كما طاب ونبينا محمد صلى الله عليه
وسلم لما خير بين ان يكون نبيا ملكا ابى ذلك واختار ان يكون نبيا عبدا فاعطى
من الخصوصية ذلك القدر لكونه عليه السلام اختار الفقر والعبودية فاعطى
الزايد بخرق العادة في النوع الذي اختار وهو الفقر والعبودية فكان عليه السلام
يربط على بطنه الاحجار من شدة الجوع والمجاهدة وهو على حاله في الجماع لم ينقصه
شيئا والناس ابدا اذا اخذهم الجوع والمجاهدة لا يستطيعون ذلك فهو ابلغ في
المعجزة قاله في بهجة النفوس النوع الرابع في نومه عليه السلام كان صلى الله
عليه وسلم ينام في اول الليل ويستيقظ في اول النصف الثاني فيقوم فيستاك
ويتوضا ولم يكن ياخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج
اليه منه وكان ينام على جانبه الايمن ذاكرا الله تعالى حتى يغلبه عيناه غير ممتلي
البدن من الطعام والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيامن في
شانه كله وليرشد امته لان في الاضطجاع على الشق الايمن سرا وهو ان القلب
معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب الايسر استثقل نوما لانه يكون في دعة

واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق فلا يستغرق فى النوم
القلب وطلبه مستقره وميله اليه قالوا وكثرة النوم على الجانب الايسر وان
كان هنا مضر للقلب بسبب ميل الاعضا اليه فتنصب المواد واما قول القاضي
عياض فى الشفا وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم الى اخره
ففيه شيء لانه عليه السلام لا ينام قلبه فسواء كان نومه على جانب الايمن او الايسر
فهذا الحكم ثابت له وما علله به انما يستقيم في حق من ينام قلبه وحينئذ فالاحسن
تعليله بحب التيامن او بقصد التعليم كما مر واردي النوم النوم على الظهر
ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم واردا منه ان ينام منبطحا على وجهه
وفى سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه
برجله وقال قم او اقعد فانها نومة جهنمية وكان عليه السلام ينام على الفراش
تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة وكان فراشه ادما
حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه
وضع كفه تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك
وفى رواية يوم تجمع عبادك وقال ابو قتادة كان عليه الصلاة والسلام اذا
عرس بليل اضطجع على شقه الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعيه و
وضع راسه على كفه وقال ابن عباس كان عليه السلام اذا نام نفخ وعن حذيفة
كان عليه السلام اذا اوي الى فراشه قال اللهم باسمك اموت واحيا

وقالت

قالت عايشة كان يجمع كفيه فينفث فيهما ويقراء قل هو الله احد وقل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس يمسح بهما ما استطاع من جسده يصنع
ذلك ثلاث مرات وقال انس كان عليه السلام اذا اوي الى فراشه قال الحمد
لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا وكم ممن لا كافي له ولا موؤي روي
ذلك الترمذي وقد كان عليه السلام تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري
من حديث عايشة قاله لها عليه السلام لما قالت له اتنام قبل ان توتر وانما
كان عليه السلام لا ينام قلبه لان القلب اذا قويت فيه الحياة لا ينام اذا
نام البدن وكمال هذه الحالة كان لنبينا صلى الله عليه وسلم ولمن اوحي
قلبه واتباع محبته واتباع رسوله من ذلك بحسب نصيبه منها فمستيقظ
القلب غافله كمستيقظ البدن ونايمه والى هذه الذي ذكرنا اشار صاحب
المعارف العلية والحقايق السنية سيدي علي بن سيدي محمد وفا نم
عيني تنام لكن قلبي والله لا ينام — وكيف ينام عاشق متيم في الحب مستهام
ناظر الى وجه الحب شاخص على الدوام — اتاه فى المعنى لرسوم ان يحيا الرسوم فقام
بالحي القيوم — ياسعد من يقوم وقد جمع العلما بين هذا الحديث وبين حديث نومه
صلى الله عليه وسلم فى الوادي عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت
حتى ايقظه عمر رضي الله عنه بالتكبير فقال النووي له جوابان احدهما ان
ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ونحوهما ولا يدرك

مايتعلق بالعين لانها نائمة والقلب يقظان والثاني انه كان له حالان حال كان قلبه لاينام وهو الاغلب وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا اي قصة النوم عن الصلاة قال والصحيح المعتمد هو الاول والثاني ضعيف قال في فتح الباري وهو كما قال ولا يقال القلب وان كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان يقظا مرور الوقت الطويل فان من ابتداء طلوع الفجر الى ان حميت الشمس مدة طويلة لاتخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول يحتمل ان يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحي ولا يلزم مع ذلك وصفه بالنوم كما كان يستغرق صلى الله عليه وسلم حالة القاء الوحي في اليقظة ويكون الحكمة في ذلك بيان التشريع بالفعل لانه اوقع في النفس كما في قصة سهوه في الصلاة وقريب من هذا جواب ابن المنير ان القلب يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع ففي النوم بطريق الاولى وعلى السواء وقال ابن العربي في القبس النبي صلى الله عليه وسلم كيف ما اختلف حاله من نوم او يقظة في حق وتحقيق ومع الملائكة فطريق انه نبي فبالكد من المنتبه اشتغل وان نام فبقلبه ونفسه على الله اقبل ولهذا قالت الصحابة كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ لانا لا ندري ما هو فيه فنومه عن الصلاة او نسيانه لشيء منها لم يكن عن افراط وانما كان بالتصرف من حالة الى حالة مثلها لتكون لنا سنة انتهى وقد اجيب عن اصل الاستشكال باجوبة اخرى ضعيفة منها ان معنى قوله لاينام قلبي اي

لايخفى عليه حالة انتقاض وضوئه ومنها ان معناه لايستغرقه النوم حتى لايوجد منه الحدث وهذا قريب من الذي قبله قال ابن دقيق العيد كان قائل هذا اراد تخصيص يقظة القلب بادراك حالة الانتقاض وذلك بعيد وذلك ان قوله عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي خرج جوابا عن قول عائشة اتنام قبل ان توتر وهذا كلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة الذي تكلموا فيه وانما هو جواب يتعلق بامر الوتر فتحمل يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق بين من شرع في النوم مطمئن القلب به وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة قال وعلى هذا فلا تعارض ولا اشكال في حديث النوم حتى طلعت الشمس لانه يحتمل انه اطمان في نومه لما اوجبه تعب السير معتمدا على من وكله بكلاءة الفجر انتهى ومحصله تخصيص اليقظة المفهومة من قوله ولا ينام قلبي بادراكه وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وان نومه في حديث الباب كان نوما مستغرقا ويؤيده قول بلال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ولم ينكر عليه ومعلوم ان نوم بلال كان مستغرقا وقد اعترض عليه بان ما قاله يقتضي اعتبار خصوص السبب واجاب بانه معتبر اذا قامت عليه قرينة وارشد اليها السياق وهو ههنا كذلك ومن الاجوبة الضعيفة ايضا قول من قال كان قلبه يقظان وعلم بخروج الوقت لكن ترك اعلامهم بذلك لمصلحة التشريع والله اعلم

المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما
خصّ به من خصائص اياته وبديع كراماته وفيه فصلان الاول في معجزاته
اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم والرسول العظيم سلك بي وبك مناهج سننه
واماتنا على محبته بمنه ورحمته ان المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون
بالتحدي الدال على صدق الانبيا عليهم الصلوة والسلام وسميت معجزة لعجز
البشر عن الاتيان بمثلها فعلم ان لها شروطا احدها ان يكون خارقا للعادة
كالانشقاق وانفجار الماء من بين الاصابع وقلب العصا حية واخراج ناقة
من صخرة واعدام جبل فخرج عن غير الخارق للعادة كطلوع الشمس كل يوم
الثاني ان يكون مقرونا بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة قال الجوهري
يقال تحديت فلانا اذا باريته في فعل ونازعته للغلبة وفي القاموس نحوه وفي
الاساس حدا يحدو وهو حادي الابل واحتدا بها حداء اذا غنى ومن المجازي
تحدى اقرانه ونازعهم للغلبة واصله الحدا يتباريا فيه الحاديان ويتعارضان
فيتحدي كل واحد منهما صاحبه اي يطلب حداه كما يقال توفاه بمعنى استوفاه
وفي بعض الحواشي الموثوق به كانوا عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد
عن يساره يتحدى كل واحد منهما صاحبه بمعنى يستحديه اي يطلب منه حداه ثم
اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة انتهى من حاشية الطيبي على الكشاف
وقال المحققون التحدي الدعوى للرسالة انتهى والشرط الثالث من شروط المعجزة

ان لا ياتي احد بمثل ما اوتى به المتحدي على وجه المعارضة وعبر عنه بعضهم
بقوله دعوى الرسالة مع امن المعارضة وهو احسن من التعبير بعدم المعارضة
لانه لا يلزم من عدم المعارضة امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها وقد خرج
بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو الكرامة للولي وبالمقارنة الخارق المتقدم
على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم
قبل دعوى الرسالة وكلام عيسى في المهد وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق
قبل دعوى الرسالة فانها ليست معجزات انما هي كرامات ظهورها على الاولياء جائز
والانبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاولياء فيجوز ظهورها
عليهم ايضا وحينئذ يسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة كما صرح به العلامة
السيد الجرجاني في شرح المواقف وغيره وهو مذهب جمهور ائمة الاصول وغيرهم
وخرج ايضا بقيد المقارنة المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية
نحو ما روي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من نطق بعض الموتى بالشهادتين
وشبهه مما تواترت به الاخبار وخرج ايضا بامن المعارضة السحر المقرون
بالتحدي فانه يمكن معارضته بالاتيان بمثله من المرسل اليهم واختلف هل
السحر قلب الاعيان واحالة الطبايع ام لا فقال بالاول قائلون حتى جوزوا للساحر
ان يقلب الانسان حمارا وذهب اخرون الى ان احدا لا يقدر على قلب عين ولا
ولا احالة طبيعية الا الله تعالى لانبيائه وان الساحر والصالح لا يقلبان

عيناً قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز للنبي فاي فرق عندكم بينهما فان الجاتم
الى ما ذكره القاضي ابو بكر ابن الباقلاني من الفرق بالتحدي فقط قيل لكم هذا
باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدي قول لا دليل عليه من كتاب ولا من
سنة ولا من قول صاحب ولا اجماع وما تعرى من البرهان فهو باطل والثاني
ان اكثر اياته صلى الله عليه وسلم واعمها واغلبها كانت بلا تحدي
كنطق العصا ونبع الماء ونطق الجذع واطعام المئين من صاع ونفله في العين
وتكليم الذراع وشكوى البعير وكذا سائر معجزاته العظام ولعله لم يتحد
بغير القران وتمني الموت قالوا فافّ لقول لا يبقى من الايات ما يسمى معجزة
الا هذين الشيئين ويلغي معجزات كالبحر المتقاذف بالامواج ومن قال ان هذه
ليست معجزات ولا ايات فهو الى الكفر اقرب منه الى البدعة قالوا وقد
كان عليه الصلاة والسلام يقول عند ورود اية من هذه الايات اشهد
اني رسول الله كما قال ذلك عند تحققهم مصداق قوله في الاخبار عن
الذي انكى في المشركين قتلاً في المعركة انه من اهل النار فقتل نفسه بمحضر ذلك
الذي اتبعه من المسلمين قالوا والوجه الثالث وهو الدامغ لهذا القول قوله
تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات
عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وقال تعالى وما
منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون فيبين الله تعالى تلك

المطلوبات من الانبياء ايات ولم يشترط تحدياً من غيره فصح ان اشتراط التحدي
باطل محض انتهى ملخصاً من تفسير ابي امامة ابن النقاش واجيب بانه يكفي للتحدي
دعوى الرسالة والله اعلم الرابع من شروط المعجزة ان تقع على وفق دعوى
المتحدي بها فلو قال المدعي للرسالة اية نبوتي ان تنطق يدي او هذه الدابة
فنطقت يده او الدابة بكذبه فقالت كذب وليس هو بنبي فان الكلام الذي خلقه
الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي لان ما فعله الله تعالى لم يقع على وفق
دعواه كما روي ان مسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى تفل في بئر ليكثر ماؤه
فغارت وذهب ما فيها من الماء فمتى اختل شرط من هذه لم يكن معجزة ولا
يقال قضية ما قلتم ان ما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات
لا يظهر الا على ايدي الصادقين وليس كذلك لان المسيح الدجال يظهر على
يديه من الايات العظام ما هو مشهور كما وردت به الاخبار الصحيحة لان
ما ذكر فيمن يدعي الرسالة وهذا يدعي الربوبية وقد قام الدليل العقلي
على ان بعثة بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله تعالى الادلة على
صدق مخلوق اتى عنه بالشرع ودلت القواطع على كذب المسيح الدجال
فيما يدعيه للتغير من حال الى حال وغير ذلك من الاوصاف التي تليق
بالمحدثات ويتعالى عنها رب البريات ليس كمثله شيء وهو السميع العليم
فان قلت اي الاسمين احق واولى بما اتت به الانبياء هل لفظ المعجزة او لفظ

الاية او الدليل فالجواب ان كبار الايمة يسمون معجزات الانبيا دلايل النبوة و
ايات النبوة ولم يرد ايضًا فى القران لفظ المعجزة بل ولا فى السنة وانما فيهما
لفظ الاية والبينة والبرهان كما فى قصة موسى فذانك برهانان من ربك
فى العصى واليد و فى حق نبينا عليه الصلوة والسلام قد جاءكم برهان من ربكم
واما لفظ الاية فكثير بل هو اكثر من ان يسرده هنا كقوله تعالى واذا جاءتهم اية
وان فى ذلك لاية واما لفظ المعجزة اذا اطلق فانه لا يدل على كون ذلك اية الا
اذا فسر المراد به وذكرت شرايطه وقد كان كثير من اهل الكلام لا يسمى معجزًا
الا ما كان للانبيا فقط ومن اثبت للاوليا خوارق عادات سماها كرامات
والسلف كانوا يسمون هنا وهذا معجزًا كالامام احمد وغيره بخلاف ما كان اية
او برهانا على نبوة النبى فان هذا يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات
ايات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولى فان الدليل مستلزم للمدلول
يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان اية وبرهانا انتهى واذا علمت
هذا فاعلم ان دلايل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار بظهور
معجزاته شهيرة فمن دلايل نبوته ما وجد فى التورية والانجيل وساير كتب الله
المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج من بين يدى امام
مولده ومبعثه من الامور الغريبة القادحة فى سلطان الكفر الموهنة
لكلمتهم المويدة لشان العرب الموهنة لذكرهم كقصة الفيل وما احل الله تعالى

باصحابه

باصحابه من العقوبة والنكال وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان كسرى
وغيض ماء بحيرة ساوة ورويا الموبذان وما سمع من الهواتف الصارخة
بنعوته واوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من
غير دافع لها من امكنتها الى ساير ما روى ونقل فى الاخبار المشهورة من
ظهور العجايب فى ولادته وايام حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيًا
ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه
ولا قوة يقهر بها الرجال ولا اعوان على الراى الذى اظهره والدين الذى
دعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين
على عادة الجاهلية فى العصبية والحمية والتعادى والتباغى وسفك الدما
وشن الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء افعالهم نظر فى
عاقبة ولا خوف عقوبة ولا ايمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم
وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء وتناصرت القلوب وترادفت الايدى
فصاروا البا واحدًا فى نصرته وعنقا واحدًا الى طاعته وهجروا بلادهم و
اوطانهم وجفوا قومهم وعشايرهم فى محبته وبذلوا مهجهم وازواجهم
فى نصرته ونصبوا وجوههم لوقوع السيوف فى اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها
ولا اموال فاضها عليهم ولا عوض فى العاجل اطمعهم فى نيله بجوته
او ملك او شرف فى الدنيا يحوزونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان

يجعل الغنى فقيرًا والشريف اسوة الوضيع فهل يليتهم مثل هذه الامور او
يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري
لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب عاقل في شيء من ذلك
وانما هو امر الهي وشيء غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر
ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ومن دلايل
نبوته انه كان عليه السلام اميا لا يخط كتابا بيده ولا يقروه ولد في قوم
اميين ونشا بين اظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين ولم يخرج
في سفر ضاربًا الى عالم فيعكف عليه فجاوهم باخبار التورية والانجيل والامم مم
الماضية وقد كان ذهب معالم تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها
ولم يبق من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها وسقيمها الا القليل ثم حاج كل
فريق من اهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة
النقاد المتقنين لم يتهيا له نقض ذلك وهذا ادل شيء على انه امر جاء من عند الله
ومن ذلك القران العظيم فقد تحدى بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته
والاتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشيء منه قال
بعض العلما ان الذي ورده عليه السلام على العرب من الكلام الذي عجزهم
عن الاتيان بمثله اعجب في الاية واوضح في الدلالة من احيا الموتى وابراء الاكمه
والابرص لانه اتى اهل البلاغة وارباب الفصاحة ورؤسا البيان والمتقدمين

في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح
عند احيا الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص
ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل
ان العجز عنه انما كان ليصير علمًا على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة
وبرهان واضح وقال ابو سليمان الخطابي وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
من عقلاء الرجال عند اهل زمانه بل هو اعقل اهل زمانه خلق الله على الاطلاق
وقد قطع القول فيما اخبر به عن ربه تعالى بانهم لا ياتون بمثل ما تحداهم
به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه ذلك من عند الله علام الغيوب
وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا لم ياذن له عقله ان يقطع القول في شيء
بانه لا يكون وهو يكون انتهى وهذا من احسن ما يقال في هذا المجال وابدعه و
اكمله وابينه فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ
الغرض في المناقضة صارخا بهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع احد منهم
الالمام مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد فقال وكان مما القى اليهم
عالمًا خبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا فرضيت هممهم السرية وانفسهم
الشريفة الابية بسفك الدما وهتك الحرم وقد ورد من الاخبار في
قراة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا

من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة فمنها ما روي عن محمد
بن كعب قال حدثت ان عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في نادي
قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش
الا اقوم الى هذا فاعرض عليه امورًا لعله ان يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا
بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني
قال افعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم حتى بلغ قرانا عربيًا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فلما
سمعها عتبة انصت لها والقى بيده خلف ظهره معتمدًا عليها يستمع منه حتى
انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا الوليد
قال سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله
لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم فقالوا ما وراءك
يا ابا الوليد قال اني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر
والسحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نباء قال فاجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر
ولا كهانة قرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل انذرتكم

صاعقة

صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد
علمتم ان محمدًا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب رواه البيهقي
وغيره وفي حديث اسلام ابي ذر ووصفه اخاه فقال والله ما سمعت باخي انيس
لقد ناقض اثني عشر شاعرًا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى
ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن
ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر
فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم
لكاذبون رواه مسلم والبيهقي وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان
زعيم قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرا علي فقرا
عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى اخر الاية قال اعد
فاعاده صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمعدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله
ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا اعلم برجزه ولا باشعار الجن والله ما
يشبه الذي يقول شيًا من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه
لطلاوة وانه لمثمر اعلاه معدق اسفله وانه ليعلو وما يعلى وفي خبره الاخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضًا فقالوا نقول انه كاهن قال والله ما هو بكاهن

ما هو بزمزمته ولا تجعه قالوا مجنون قالت ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا
بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه
وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو شاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر
ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم قائلون من هذا شيئا الا وانا
اعرف انه باطل رواه ابن اسحق والبيهقي واخرج ابو نعيم من طريق ابن اسحق حدثني
اسحق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال لما اسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح
لابنه اخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرا عليه الحمد لله رب العالمين
الى قوله الصراط المستقيم فقال ما احسن هذا واجمله او كل كلامه مثل هذا قال
يا ابت واحسن من هذا وقال بعض العلما ان هذا القران لو وجد مكتوبا في مصحف
في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة
انه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تاليف ذلك فكيف اذا
جاء على يد اصدق الخلق وابرهم واتقاهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق
كلهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك فيه انتهى و
اعلم ان وجوه اعجاز القران لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلما
في اعجازه على ستة اوجه احدها ان وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة
مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة
احرف معاني كلام كثير وحكى ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع

بما

بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع اخر يقرا فلما
استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
وحكى الاصمعي انه راى جارية خماسية او سداسية وهي تقول استغفر الله
من ذنوبي كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت
استغفر الله لذنبي كله ⁂ قتلت انسانا لغير حله ⁂ مثل غزال ناعم في دله
انتصف الليل ولم اصله ⁂ فقلت قاتلك الله ما افصحك فقالت وتعد هذا
فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه
فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وحكى ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان نايما في المسجد فاذا هو برجل قايم على راسه يتشهد شهادة
الحق فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع
رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من كتابكم فتاملها فاذا قد جمع الله فيها ما انزل
على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله و
رسوله ويخشى الله ويتقه الاية وقد رام من اهل الزيغ والالحاد وتواطروا
من البلاغة وحظا من البيان ان يضعوا شيئا يلبسون به فلما وجدوه مكان النجم
من يد المتناول مالوا الى السور القصار كسورة الكوثر والنصر واشباههما
لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه لان العجز انما يقع في التاليف و

والاتصال وممن رام ذلك من العرب فى التشبيه بالسورة القصار مسيلمة الكذاب
فقال يا ضفدع نقى كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك فى الطين لا الماء تكدرين
ولا الشراب تمنعين فلما سمع ابو بكر رضى الله عنه هذا قال ان لكلام لم يخرج من ال
قال ابن الاثير اى من ربوبية والال بالكسر هو الله تعالى وقيل الال الاصل الجيد
اى لم يجئ من الاصل الذي جاء منه القران ولما سمع مسيلمة عليه اللعنة والنازعات
قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والداريات قمحا والطاحنات طحنا
والخافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر والمدر
وما سبقكم اهل المدر الى غير ذلك من الهذيانات مما ذكرت في الوفود من المقصد
الثاني بعضه والله اعلم وقال اخر الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة
تسعى ومن بين شراسيف واحشى وقال اخر الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل
له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل ففى هذا الكلام مع
قلته حرو فه من السخافة ما لا اخفا به على من لا يعلم فضلا عمن يعلم والثانى ان اعجازه
هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب
والشعر والرجز والسجع فلا يدخل فى شئ منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه
وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة فى نثرهم ونظمهم ولذلك تحيرت
عقولهم وتدلهت احلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى حسن كلامهم فلا ريب
انه من فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفى بلاغته قد اصاب المعانى

بصايب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر و
برهانه الباهر ما رام معارضته شقى الا تهافت تهافت الفراش فى الشهاب
وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب وقد حكى عن غير واحد ممن تصدى
لذلك انه اعتريه روعة وهيبة كفته عن ذلك كما حكى عن يحيى بن حكم الغزال
بتخفيف الزاء وقد تشدد وكان بليغا تدلس في زمانه انه قد رام شيا من هذا
فنظر فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته
منه خشية ورقة حملته على التوبة والانابة ويحكى ايضا ان ابن المقفع وكان
افصح اهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا
فاجتاز يوما بصبى يقرا في مكتب قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء
اقلعى وغيض الماء وقضى الامر الاية فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان
هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر ولله در العارف سيدى محمد وفا
حيث قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم والقران المعظم

له اية الفرقان في عين جمعه   جوامع ايات بها اتضح الرشد
حديث نزيه عن حدوث منزه   قديم صفات الذات ليس له ضد
بلاغ بليغ للبلاغة معجز   له معجزات لا يعد لها عد
نخلت بروح الوحى حلة نسجه   عقود اعتقاد لا يحل لها عقد
وغاية ارباب البلاغة عجزهم   لديه وان كانوا هم الالسن اللد

فا فاكهم بالافك اعياه عيّه   بصدّي وللاسماع عن عيّه
قلا الله اقوا لا يهاجر هجرها   هوانا بها الورهاء والبهم البلد
تلاها فتل الفحش في القبح وجهها   وعن ريبها الالباب نزهها الزند
لقد فرق الفرقان شمل فريقه   بجمع رسول الله واستعلن الرشد
اتى بالهدى صلى عليه الهه   ولم يله بالاهواء اذجاءه الحد

والثالث ان وجه اعجازه هو ان قاريه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على
على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة لا يزال غضا طريا
وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادي
اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من
الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراتها ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق
على كثرة الرد ولا ينقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع
منه العلما ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين
سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد اشار اليه القاضي عياض
والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان مما علموه فاذا سالوا عنه
عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة اهل الكهف وشان موسى
والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين وقصص الانبياء مع اممها والقرون

الماضية في دهرها والخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب والاخبار
بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل قوله لقريش فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلوا فلم يفعلوا وتعقب بان الغيوب
التي اشتمل عليها القران وقع بعضها في زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا وبعضها بعده كقوله تعالى الم غلبت الروم فلو كان كما
قالوا النار عوا وقع المتوقع وبان الاخبار عن الغيب جاء في بعض سور القران
واكتفى منهم بمعارضة سورة غير معينة فلو كان كذلك لعارضوه بقدر اقصر
سورة لا غيب فيها والسادس ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم
يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علما الامم واحد منهم ولا يشتمل
عليها كتاب بين الله تعالى فيه خبر الاولين والاخرين وحكم المختلفين وثواب
المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا
فاذا جمعها القران فليس اختصاص احدها بان يكون معجزا باولى من غيره فيكون
الاعجاز بجميعها وقد قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القران لا ياتون بمثله فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القران في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا بعده على نظمه وتاليفه وعذوبة منطقه وصحته

معانيه وما فيه من الامثال والاشيا التى دلت على البعث واياته والانباء
بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والامتناع
من اراقة الدماء وصلة الارحام الى غير ذلك فكيف يقدر على ذلك
احد وقد عجزت عنه العرب الفصحا والخطبا البلغاء والشعراء الفهماء
فى قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم فى مدة ما عرفوه قبل نبوته
واداء رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم
سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله بالوحي
المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالى قل لو
شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا
تعقلون وشهد له فى كتابه فقال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون واما ما عدا القران من معجزاته عليه السلام
كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق
الجماد فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق
تحدي ومجموع ذلك يفيد القطع بانه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من
خوارق العادات شئ كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة على وان
كانت افراد ذلك ظنية وردت موارد الاحاد مع ان كثيرا من المعجزات
قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وافاد الكثير منه القطع عند

اهل العلم بالاثار والعناية النبوية بالسير والاخبار وان لم تصل عند غيرهم
الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع ان غالب هذه الوقايع
مفيد للقطع النظري لما كان مستبعدا وذلك ان لا مرية ان رواة الاخبار
فى كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار فى الجملة ولا يحفظ عن احد من اصحابه
مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت
منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ من الاغضاء على الباطل وعلى تقدير
ان يوجد من بعضهم انكارا وطعن على بعض من روى شيئا من ذلك فانما
هو من جهة توقف فى صدق الراوي وتهمته بكذب او توقف فى ضبطه
او نسبته الى سوء الحفظ او جواز الغلط ولا يوجد احد منهم طعن فى المروي
كما وجد منهم فى غير هذا الفن من الاحكام وحروف القران ونحو ذلك
والله اعلم وانت اذا تاملت معجزاته وباهر اياته وكراماته عليه السلام وجدتها
شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمايع و
الجامد والسابق واللاحق والغايب والباطن والظاهر والعاجل والاجل الى
غير ذلك مما لو اعيد لطال كالرمى بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق
السمع فى الغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتها له بالرسالة بين يديه
ومخاطبتها له بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من بين كفه فى الميضاة والنور
والمزادة وانشقاق القمر ورد العين من العور ونطق العير والذيب والجمل

وكالنور المتوارث من ادم الى جبهة ابيه من الازل وما سوي ذلك من
المعجزات ليفنى المنا فى ذكرها ولو بلغ الاولون والاخرون في احصا مناقبه
لعجزوا عن استقصاء واحباه الكريم به من مواهبه ولو كان المسلم بساحل بحرها
مقصرا عن حصر بعض فخرها ولقد صح لمجيبه ان ينشد وافيه

وعلى تفنن واصفيه لحسنه   يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لحليق بمن ينشد ه ٢

فما بلغت كف امرئ متناولا   من المجد الا والذي نال اطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحه   ولو حذقوا الا الذي فضل

ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا فلقد كفى وشفا بقوله

ما شئت قل فيه فانت مصدق   فالحب يقضى والمحاسن تشهد

ولقد ابدع الامام الاديب شرف الدين الابوصيري حيث قال

دع ما ادعته النصاري فى نبيهم   واحكم بما شيت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف   وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له   حد فيعرب عنه ناطق بفم

يعنى ان المداح وان انتهوا الى قصى الغايات والنهايات لا يصلون الى شاو
اذ لا حد له ويحكى انه روي الشيخ عمر بن الفارض السعدي فى النوم فقيل له
لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم فقال

اري كل مدح فى النبى مقصرا   وان بالغ المثني عليه واكثرا
اذا الله اثني بالذي هو اهله   عليه فما مقدار ما يمدح الورا

قال الشيخ بدر الدين الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعرا المتقدمين كابى
تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه
عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعانى دون مرتبته والاوصاف
دون وصفه وكل علو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ مجال النظم
وعند التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التى فيها علو بالنسبة الى من
فرضت له وجدتها صادقة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان الشعرا
على صفاته صلى الله عليه وسلم كانوا يعتمدون والى مداحه كانوا يقصدون
وقد اشار الابوصيري بقوله دع ما ادعته النصارى الى ما اطرت
النصاري به عيسى بن مريم من اتخاذه الها قال النيسابوري انهم صحفوا في
الانجيل عيسى نبى وانا ولدته فحرفوا الاول بتقديم الباء الموحدة وخففوا
اللام الثانى فلعنة الله على الكافرين فان قلت هل ادعى احد فى نبينا
ما ادعي في عيسى اجيب بانهم قد كادوا ان يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له ع م
افلا نسجد لك فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها
فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة وقد جاء فى صفته فى حديث ابى
هالة ولا يقبل الثناء الا من مكافئ اى مقارب فى مدحه غير مفرط فيه

و قال ابن قتيبة معناه الا ان يكون ممن له صلى الله عليه وسلم منة فيه فيكا
الاخر وغلطه ابن الانباري بانه لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله
لان الله عز وجل بعثه رحمة للعالمين فالثناء عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام
الا به قال وانما المعنى لا يقبل الثناء الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ثم ان
حاصل معجزاته وباهر اياته وكراماته كما نبه عليه القطب القسطلاني يرجع الى ثلثة
اقسام ماض وجد قبل كونه فقضى بحده ومستقبل وقع بعد مواراته في لحده وكاين
معه من حين حمله ووضعه الى ان نقله الله الى محل فضله ومواطن جمعه فاما
القسم الاول الماضي وهو ما كان قبل ظهوره الى هذا الوجود فقد ذكرت منه
جملة في المقصد الاول كقصة الفيل وغير ذلك مما هو تاسيس لنبوته وارهاص
لرسالته قال الامام الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزة تاسيسا وارهاصا
قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله يعني في سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة
القايلين بانه لا يجوز ان تكون المعجزة قبل الارسال انتهى وقد تقدم اول هذا
المقصد ان الذي عليه جمهور ايمة الاصول وغيرهم ان هذا ونحوه مما هو
متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة بل تاسيسا للرسالة وكرامة للرسول
عليه الصلاة والسلام واما القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه مما يدل
على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كالاستغاثة وغير ذلك مما سياتي ان شاء الله

في المقصد الاخير في اثناء الكلام على زيارة قبره المنير واما القسم الثالث و
هو ما كان معه من حين ولادته الى وفاته فكالنور الذي خرج معه حتى اضاء
له قصور الشام واسواقها حتى رويت اعناق الابل ببصرى ومسح الطاير على
فواد امه حتى لم تجد الم الولادة والطواف به في الافاق الى غير ذلك و
كانشقاق القمر عند اقتراحه عليه وانضمام الشجرتين لما دعاهما اليه و
كاطعام الجيش الكثير من النزر اليسير في عدة من المواضع واستيلاء الفجايع
وغير ذلك مما امده تعالى به من المعجزات واكرمه من خوارق العادات تاييدا
لاقامة حجته وتمهيدا لهداية محجته وتاييدا لسيادته في كل امة وتشديدا
لمن ذكر بعد امته مما تتبعه يخرج عن مقصود الاختصار اذ هو من باب فسيح المجال
منيع المنال لكني انبه من ذلك على نبذة يسيرة وانوه في اثنايها بجملة خطيرة
فاقول وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب اما معجزة انشقاق
القمر فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر
الاية ويؤيده وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك وان يروا اية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فان ذلك ظاهر في ان المراد بقوله انشق وقوع
انشقاقه لان الكفار لا يقولون ذلك يوم القيمة واذا تبين ان قولهم ذلك
انما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق وان المراد بالاية التي زعموا انها سحر
وسياتي ذلك صريحا في حديث ابن مسعود وغيره واعلم ان القمر لم ينشق لاحد

غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته عليه السلام وقد
اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم فان
كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه اية تدل على صدقه في دعواه فاعطاه
الله تعالى هذه الاية العظيمة التي لا قدرة لبشر على ايجادها دلالة على صدقه
عليه السلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه متفرد بالربوبية وان هذه الالهة
التي يعبدونها باطلة لا تضر ولا تنفع وان العبادة انما تكون لله وحده لا شريك
له قال الخطابي انشقاق القمر اية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من ايات الانبيا وذلك
انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع
فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر انتهى وقال
ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة
من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير
الى ان انتهى الينا وتايد بالاية الكريمة انتهى وقال العلامة ابن السبكي في شرحه
لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في
القران مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن
ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق اخر شتى بحيث لا يمترى
في تواتره انتهى وقد جاءت احاديث الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة
من الصحابة منهم انس وابن مسعود وابن عباس وعلي وحذيفة وجبير بن

مطعم وابن عمر وغيرهم فاما انس وابن عباس فلم يحضرا ذلك لانه كان بمكة
قبل الهجرة بنحو خمس سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد واما انس فكان ابن
اربع او خمس بالمدينة واما غيرهما فيمكن ان يكون شاهد ذلك وفي الصحيحين
من حديث انس رضي الله عنه ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يريهم اية فاريهم انشقاق القمر شقتين حتى راوا حرا بينهما وقوله شقتين
بكسر الشين المعجمة اي نصفين ومن حديث ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
اشهدوا وفي الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين
فلقة دون الجبل وفرقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وعند الامام احمد من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة
على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس
وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي كبشة قال فقالوا انظروا ما ياتيكم به السفار
فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فاخبروهم بذلك
رواه ابو داود الطيالسي ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا

سحركم ابن ابى كبشة فسلوا السّفار فان كانوا راوا ما رايتم فقد صدق وان
لوا
لم يكونوا راوا ما رايتم فهو سحر فسالوا السّفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا
رايناه وعند ابى نعيم فى الدلايل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال اجتمع المشركون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام
والعاصى بن وايل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراوهم
فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين
فسال ربّه فانشق وعند البخارى مختصرًا من حديث ابن عباس بلفظ ان القمر انشق
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبّاس وان كان لم يشاهد
القصّة كما قدمته ففى بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود وعند مسلم
من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فاراهم انشقاق القمر مرتين وكذا فى مصنف
عبد الرزاق عن معمّر بلفظ مرتين ايضًا واتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن
قتادة بلفظ فرقتين كما فى حديث جبير عند احمد وفى حديث ابن عمر فلقتين بالّلام
كما قدّمته وفى لفظ حديث جبير فانشق باثنتين وفى رواية عن ابن عبّاس
عند ابى نعيم فى الدلايل فصار قمرين ووقع فى نظم السّيرة للحافظ ابى
الفضل العراقى وانشق مرّتين بالاجماع قال الحافظ ابن حجر واظن قوله بالاجماع
يتعلق بانشق لا بمرتين فانى لا اعلم من جزم من علما الحديث بتعدّد الانشقاق
فى زمنه صلى الله عليه وسلّم ولعل قايل مرّتين اراد فرقتين وهذا الذى لا يتجه

غيره جمعًا بين الرّوايات وقد وقع فى رواية البخارى من حديث ابن مسعود
ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول انس ان ذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه
عليه الصّلوة والسّلام كان ليلتيئذ بمكة فالمراد ان الانشقاق كان
وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة والله اعلم وقد انكر هذه المعجزة
جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلويّة
لا يتهيا فيها الانخراق والالتيام وكذا قالوه فى فتح ابواب السّما ليلة
الاسراء الى غير ذلك وجواب هؤلاء ان كانوا كفارًا ان يناظروا اولا
على ثبوت دين الاسلام فاذا تمت اشتركوا مع غيرهم ممّن انكر ذلك
من المسلمين ومتى سلّم المسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض وايضا
فلا سبيل له الى انكار ما ثبت فى القران من الانخراق والالتيام فى القيمة
واذا ثبت هذا استلزم الجواز ووقوعه معجزة لنبى الله صلى الله عليه وسلم
وقد اجاب القدما عن ذلك فقال ابو اسحق الزجاج فى معانى القران انكر
بعض المبتدعة الموافقين لمخالفى الملة انشقاق القمر ولا انكار للعقل
فيه لان القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشا ويكوّره يوم القيمة ويفنيه
انتهى واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترًا واشتراك
اهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختصّ بها اهل مكة لانه امر صدر عن
حسّ ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدّواعى متوفرة على رواية

كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك اصل لخلد في كتب التسيير والتنجيم
اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واعقاله مع جلالة شانه ووضوح امره اجاب عنه
الخطابي وغيره بان هذه القصة خرجت عن الامور التي ذكروها لانه شيء طلبه
خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له بالنهار ومن شان الليل
ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين في الابنية والبارز منهم بالصحرا اذا
كان يقظانا يحتمل ان يتفق انه كان في ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر و
وغيره ومن المستبعد ان يقصدوا الى مراكز القمر ناظرين اليه لا يغفلون عنه
فقد يجوز انه وقع ولم يشعر به اكثر الناس وانما راه من تصدى لرؤيته ممن اقترح
وقوعه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر وقد يكون
القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض كما
يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما تجد الكسوف اهل بلد دون اهل بلد اخر و
قد ابدى الخطابي حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر
الذي لا نزاع فيه كالقران بما حاصله ان معجزة كل نبي كانت اذا وقعت عامة
عقبت كلا من كذب بها من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة
للعالمين فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث
منهم لما اوتوه من فضل العقول وزيادة الافهام ولو كان ادراكها عاما
لعوجل من كذب بها كما عوجل من قبلهم انتهى وكذا اجاب ابن عبد البر بنحوه : بلغ

ما

ما يذكره بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم
وخرج من كمه فليس له اصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد
بن كثير واما رد الشمس له صلى الله عليه وسلم فروي عن اسما بنت عميس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي رضي الله عنه فلم
يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت
يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت
بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر رواه
الطحاوي في مشكل الحديث كما حكاه القاضي عياض في الشفا قال قال
الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ
حديث اسماء لانه من علامات النبوة انتهى قال بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح
وان اوهم تخريج القاضي عياض له في الشفا عن الطحاوي من طريقين فقد
ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك وفي مسنده احمد
بن داود وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني وقال ابن حبان
كان يضع الحديث قال ابن الجوزي وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره
ثم قال وهذا حديث باطل قال ومن تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة
ولم يلح عدم الفائدة فيها وان صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء

و رجوع الشمس لا يعيدها و داء انتهى قد افرد ابن تيمية تصنيفا مفردا في الرد
على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه و رجاله وانه موضوع والعجب من القاضي
مع جلالة قدره و علو خطره في علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته
و ناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى و قال شيخنا قال احمد لا اصل له و تبعه ابن الجوزي
و اورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي في القاضي عياض واخرجه
ابن مندة و ابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس و ابن مردوية من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه انتهى و رواه الطبراني في معجم الكبير باسناد حسن كما حكاه
شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب عن اسماء بنت عميس ولطافه فلفظه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا في
حاجة فرجع و قد صلى النبي عليه السلام العصر فوضع عليه الصلوة والسلام
في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه السلام اللهم ان عبدك
عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت اسماء فطلعت عليه الشمس
حتى وقعت على الجبال و على الارض و قام عليا فتوضا وصلى العصر ثم غابت
و ذلك بالصهباء و في لفظ اخر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
عليه الوحي يغشى عليه فانزل عليه يوما و هو في حجر علي فقال له عليه السلام
صليت العصر قال لا يا رسول الله صلى دعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر
قالت فرايت الشمس طلعت بعد ما غربت حين ردت حتى صلى العصر قال و روي

الطبراني

الطبراني ايضا في معجم الاوسط باسناد حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر الشمس فتاخرت ساعة من نهار و روى يونس بن بكير في زيادة المغازي
في رواية عن ابن اسحق مما ذكره القاضي عياض لما اسري بالنبي صلى الله عليه
وسلم واخبر قومه بالرفقه والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الا(ربعاء)
فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه
الشمس انتهى وهذا يعارضه قوله في الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على
احد الا ليوشع بن نون يعني (حين) قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف
ان تغيب قبل ان يفرغ منهم و يدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله
فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم قال الحافظ بن كثير فيه ان هذا من كان
خصايص يوشع فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه ان الشمس رجعت
حتى صلى علي بن ابي طالب و قد صححه احمد بن صالح المصري ولكنه منكر ليس
في شيء من الصحاح والحسان وهو مما يتوفر الدواعي على نقله و تفردت بنقله
امرأة من اهل بيت مجهولة لا يعرف حالها انتهى ويحتمل الجمع بان المعنى لم تحبس
على احد من الانبيا غيري الا ليوشع والله اعلم وكذا روي حبس الشمس لنبينا
صلى الله عليه وسلم ايضا يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر فيكون
حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلى الله عليه وسلم و بيوشع كما ذكره القاضي

عياض في الاكمال وعزاه لمشكل الاثار ونقله النووي فى شرح مسلم فى باب
حل الغنايم عن عياض وكذا الحافظ بن حجر فى باب الاذان من تخريج احاديث للرافعى
ومغلطاي فى الزهر الباسم واقروه وتعقب بان الثابت فى الصحيح وغيره انه
صلى الله عليه وسلم صلى العصر فى وقعة الخندق بعد ما غربت الشمس كما سبق
فى غروبها وذكر البغوي فى تفسيره انها حبست لسليمان عليه السلام ايضا لقوله
ردوها علي ونوزع فيه بعد ذكر الشمس فى الاية فالمراد الصافنات الجياد
والله اعلم قال القاضى عياض واختلف فى حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت
على ادراجها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطوء حركتها قال وكل ذلك من معجزات
النبوة انتهى واما ما روي من طاعات الجماد وتكليمها له بالتسبيح والسلام ونحو
ذلك مما وردت به الاخبار فمنها تسبيح الطعام والحصا فى كفه الشريف صلى
فخرج محمد بن يحيى الذهلى فى الزهريات قال اخبارنا ابو اليمانى قال اخبرنا شعيب
عن الزهرى قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كبير السن كان ممن ادرك
اباذر بالربذة عن ابى ذر قال هجرت يوما من الايام فاذا النبى صلى الله عليه وسلم
قد خرج من بيته فسالت عنه الخادم فاخبرني انه ببيت فاتيته وهو جالس ليس عنده
احد وكاني حينئذ اري انه فى وحى فسلمت عليه فرد السلام ثم قال ما جاء بك قلت
الله ورسوله فامرني ان اجلس فجلست الى جنبه لا اساله عن شئ ولا يذكره لي فمكثت
غير كثير فجاء ابو بكر يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك

قال

ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك
وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال جاء بي الله ورسوله فاشار بيده ان اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبى صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وجلس الى جنب ابي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس الى جنب عمر ثم قبض
رسول الله عليه وسلم على حصيات سبع او تسع او ما قرب من ذلك فسبحن في
يده حتى سمع لهن حنين كحنين النخل فى كف رسول الله ثم ناولهن ابا بكر وجاوزني
فسبحن في كف ابى بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن وصرن حصى
ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابى بكر ثم اخذهن منه فوضعهن
فى الارض فخرسن ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف ابى بكر وعمر
ثم اخذهن فوضعهن في الارض فخرسن قال الحافظ بن حجر وقد اشتهر على
الالسنة تسبيح الحصا ففى حديث ابى ذر قال تناول النبى صلى الله عليه وسلم
سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد عمر فسبحن
ثم وضعهن فى يد عثمان فسبحن اخرجه البزار والطبرانى في الاوسط وفى
رواية الطبرانى فسمع تسبيحهن من هو فى الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع احد
منا وقال البيهقى في الدلايل كذا رواه صالح بن الاخضر ولم يكن بالحافظ عن
الزهري عن سويد بن يزيد السلمى عن ابى ذر والمحفوظ ما رواه شعيب بن ابى حمزة
عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كان كبير السن انتهى
وليس لحديث تسبيح الحصا الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند
الناس وما احسن قول سيدي محمد وفا   لسجة ذاك الوجه قد سبح الحصا

ومن سبح سحب الكف قد سبح الرعد وقول الاخر يا حبذا الولثمت كفا قد سبحت
وسطها الحصاة وقد اخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله
فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح
رواه القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الحافظ ابو الفضل في فتح الباري
واعلم ان التسبيح من قبيل الالفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن
قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازا فالطعام والحصا والشجر ونحو ذلك
كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفي قوله
ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة بسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته صلى الله
ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي
قبل ان ابعث اني لاعرفه الان وقد اختلف في هذا الحجر فقيل هو الحجر الاسود وقيل حجر
غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به وقد ذكر الامام ابو عبد الله محمد بن رشيد
الراء في رحلته مما ذكره في شفاء الغرام عن علم الدين احمد بن ابي بكر بن خليل قال اخبرني
عمي سليمان قال اخبرني محمد بن اسمعيل بن ابي الصيف قال اخبرنا ابو حفص الميانشي قال
اخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر يعني المذكور هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم

وروي الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن ابي طالب قال كنت
امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله
حجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
رواه البزار وابو نعيم وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تامين اسكفة الباب وحوايط البيت على دعائه
عليه الصلاة والسلام عن ابي اسيد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للعباس بن المطلب يا ابا الفضل لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى اتيكم فان لي
فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما اضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم
فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف اصبحتم فقالوا اصبحنا
بخير نحمد الله فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا امكنوه
اشتمل عليهم بملاءته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوايط
البيت فقالت امين امين امين رواه البيهقي في الدلايل وابن ماجة مختصرا
ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم عن انس قال صعد
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي احدا فرجف بهم
فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فانما عليك

بنى وصدّيق وشهيدان رواه احمد والبخاري والترمذي وابو حاتم قال ابن المنير قبل الحكمة فى ذلك انه لما رجفتا ارا د النبى صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نصّ على مقام النبوة والصّديقية و الشهادة التى توجب سرورما اتّصلت به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى واُحُد جبل بالمدينة وهو الذي قال فيه احد يحبنا ونحبه رواه البخاري ومسلم واختلف فى المراد بذلك فقيل اراد به اهل المدينة كما قال تعالى واسال القرية اى اهلها قاله الخطابى و قال البغوي فيما حكاه المنذري الاولى اجراوه على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبيا والاولياء واهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى ان سكنها وكما اخبر ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحى فلا ينكر ان يكون جبل احد وجميع اجزاء المدينة تحبه وتحن الى لقائه حال مفارقته اياها انتهى قال الحافظ المنذري وهذا الذي قاله البغوي جيد وعن ثمامة عن عثمان بن عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبى وصدّيق وشهيدان اخرجه النساي والترمذي والدارقطنى و الحضيض القرار من الارض عند منقطع الجبل وركضه برجله اى ضرب بها وعن

ابي

ابى هريرة ان رسول الله عليه السلام كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصّخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبى وصديق او شهيد وفى رواية وسعد بن ابى وقاص ولم يذكر عليا اخرجهما مسلم وانفرد بذلك واخرجه الترمذي فى مناقب عثمان ولم يذكر سعدًا وقال اهدا مكان اسكن وقال حديث صحيح وخرّجه الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال ثبت حرا وكذا رواه الخلعى عنه بنحوه لم يذكر ابا عبيدة بن الجراح ورواه ايضًا الحافظ اسحاق البغدادي فيما رواه الكبار عن الصّغار والاباء والابناء ولله در القائل

ومال حراء تحته فرحًا به
فلولا مقال اسكن تضعضع وانقضا

وحرا وثبير جبلان متقابلان بمعزوفان بمكة واختلاف الرّوايات يحمل على انها قضايا تكرّرت قاله الطبري وغيره لكن صحح الحافظ انه اُحُد قال ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدّد القصّة ثم ظهر لى ان الاختلاف فيه من سعيد فانى وجدته فى مسند الحارث بن ابى اسامة عن روح بن عبادة فقال فيه احدا وحرا بالشك وقد اخرجه احمد من حديث بريدة بلفظ حرا واسناده صحيح واخرجه ابو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح فقوى احتمال تعدد القصّة واخرج مسلم من حديث ابى هريرة ما يويّد تعدّد القصّة فذكر انه كان على حراء ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم ولمّا طلبته عليه السلام

قريش فقال له ثبير اهبط يا رسول الله رواه في الشفا وهو حديث مروي في الهجرة
من الشير وحرا مقابل لسمر والوادي بينهما وهما على يسار السالك الى منى وحراء
قبلي ثبير مما يلي شمال الشمس وهذه الواقعة غير واقعة ثور في خبر الهجرة وهو الظاهر
فالله اعلم وقال السهيلي في حديث الهجرة واحسب في الحديث ان ثورا ناداه ايضا لما
له ثبير اهبط عني ومن ذلك كلام الشجر له وسلامها عليه وطواعيتهما له وشهادتها
له بالرسالة صلى الله عليه وسلم اخرج البزار وابو نعيم من حديث عايشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وخرج الامام احمد عن ابي سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين خضب بالدماء
ضربه اهل مكة فقال له ما لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هؤلاء
وفعلوا فقال له جبريل اتحب ان اريك اية فقال نعم قال فنظر الى شجرة من وراء الوادي
فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشي قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى
مكانها وامرها فرجعت الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي
ورواه الدارمي من حديث انس وعن علي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب وخرج الحاكم في مستدركه باسناد جيد
عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنى منه

قال

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال
وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال
من لك من شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض خدا
فقامت بين يديه فاستشهدها ثلثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها الحديث ورواه الدارمي
ايضا بنحوه وقوله تخد بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة اي تشق الارض وعن
بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك
يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك
الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المراة ان تسجد لزوجها رواه البزار وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بما اعرف انك رسول الله قال
ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وفي حديث يعلى
بن مرة الثقفي ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة

تشق الارض حتى عشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكرت له فقالت هجر هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم علي فاذن لها الحديث
رواه البغوي في شرح السنة وفي حديث جابر بن عبد الله سرنا مع رسول الله صلى الله
حتى نزلنا واديا فيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته
باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان
في شاطي الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن
من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش
الذي يصانع قايده ثم فعل بالاخري كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال
التئما علي باذن الله تعالى فالتاما الحديث رواه مسلم والمنصف بفتح الميم
الموضع الوسط بين الموضعين والتلاوم الاجتماع ولله در الابوصيري حيث قال

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ... تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت ... فروعها من بديع الخط في اللقم

فشبه اثار مشي الشجرة لما جاء اليه صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب اوقعها على
نسبة معلومة في اسطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر لامتثال امره
صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه فنحن اولى بالمبادرة لامتثال ما دعا اليه
زاده الله شرفا لديه وتامل قول الاعرابي ايذن لي ان اسجد لك لما راي من سجود الشجرة
فراي انه احرى بذلك حتى اعلمه عليه السلام ان ذلك لا يكون الا لله فحق على كل

مومن ان يلازم السجود للحق المعبودية ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم
كما قامت الشجرة ومن ذلك حنين الجذع شوقا اليه واعلم ان الحنين مصدر مضاف
الى الفاعل والمراد شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله عليه وسلم والذي في الاحاديث
المسوقة هنا انه صوت ولعل المراد منه الدلالة على الشوق اي الصوت الدال على
شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال
المعجمة وقد روي الحديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد
القطع بوقوع ذلك قال العلامة التاج بن السبكي في شرحه لمختصر بن الحاجب والصحيح
عندي ان حنين الجذع متواتر رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر ورواه احمد من رواية
ابي حباب عن ابيه عن ابن عمر ورواه ابن ماجة وابو يعلى الموصلي وغيرهما
من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن انس واسناده على شرط مسلم ورواه الترمذي
وصححه وابو يعلى وابن خزيمة والطبراني وصححه وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه
من رواية اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس ورواه الطبراني من رواية الحسن
عن انس ورواه احمد وابن منيع والطبراني وغيرهم من رواية حماد بن سلمة عن
عمار بن ابي عمار عن ابن عباس ورواه احمد والدارمي وابو يعلى وابن ماجة وغيرهم
من رواية الطفيل ابن ابي بن كعب عن ابيه ورواه الدارمي من رواية ابي حازم عن سهل
بن سعد ورواه ابو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز ابن ابي رواد عن تميم الداري
ثم قال ولست ادعي ان التواتر حاصل بما عددت من الطرق بل من طرق اخري كثيرة

بجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزا وغيرها وانما ذكرت فى المشاهد منها او بعضها
ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند اخرين انتهى وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى
حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضا يفيد القطع عند من
يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له فى ذلك والله اعلم انتهى
قال البيهقى قصة حنين الجذع من الامور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف
انتهى وهذه الاية من اكبر الايات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم قال الشافعى فيما نقله ابن ابى حاتم عنه فى مناقبه ما اعطى الله نبيا ما اعطى
نبينا محمدا عليه الصلوة والسلام فقيل له اعطى عيسى احيا الموتى قال اعطى
محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته فهى اكبر من ذلك قال القاضى عياض حديث حنين
الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر اخرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله عمر و
عبد الله ابن عباس وسهل بن سعد وابى سعيد الخدرى وبريدة وام سلمة والمطلب
بن ابى وداعة انتهى فاما حديث ابى فرواه الشافعى من حديث الطفيل بن ابى بن كعب
عن ابيه قال كان رسول الله يصلى الى جذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك
الجذع فقال رجل من اصحابه هل لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة والناس
تسمع خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث درجات هى التى على المنبر فلما صنع ووضعه
رسول الله موضعه الذى هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله ان يخطب اليه تجاوز

الجذع

الجذع الذى كان يخطب اليه خار حتى تصدع وانشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث واما حديث جابر فرواه
البخارى من طرق وفى لفظ له ان رسول الله كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة او نخلة فقالت
امرأة من الانصار او رجل من الانصار الا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا له
منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضمها اليه فجعلت تئن انين الصبى الذى يسكن قال كانت تبكى على ما كانت
تسمع من الذكر عندها وفى لفظ قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع
النخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع
له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وهو بكسر العين النوق الحوامل
وفى حديث ابى الزبير عن جابر عند النسائى فى الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين
الناقة الخلوج انتهى والخلوج بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الحقيقة واخره جيم الناقة
التى انتزع منها ولدها والحنين هو صوت المتألم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق
الى بركة الرسول ويأسف على مفارقته اعقل العقلاء والعقل والحنين بهذا يستدعى
الحيوة وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا
احن وان فان قيل مذهب الشيخ ابى الحسن الاشعرى ان الاصوات لا يستلزم خلقها
فى المحل خلق الحياة ولا العقل اجيب بانه كذلك ونحن لم نجعل الحيوة لازمة الا ان الشوق
الى الحق شوقا معنويا عقليا لا طبيعيا بهيميا ومذهب الشيخ ابى الحسن ان الذكر المعنوى

والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها وقد بيّنا ان هذه المعاني وجدت
في الجذع واطلق الحاضرون حينئذ على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى الذكر
والى مقام الحبيب عنده وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاملة فالتزمه
كما يلتزم الغايب اهله واعزته يبرد غليل شوقهم اليه واسفهم عليه ولله در القايل

وحنّ اليه الجذع شوقا ورقة   ورجع صوتا كالعشار مردّدا
فبادره ضما فقر لوقته   لكل امرئ من دهره ما تعودا

واما حديث انس فرواه ابو يعلى الموصلي بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد فخطب الناس فجاءه رومي فقال الا
اصنع لك شيئا تقعد عليه كانك قايم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة
فلما قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر خار الجذع كخوار الثور ارتج
المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل اليه رسول الله
من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله صلى الله
والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به صلى الله عليه وسلم فدفن ورواه
الترمذي وقال صحيح غريب وكذا رواه ابن ماجة والامام احمد من طريق الحسن
عن انس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة
يسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا اراد ان يسمعهم فبنوا

له

له عتبتين فتحول من الخشبة الى المنبر قال فاخبر انس بن مالك انه سمع الخشبة تحن
حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر
فمشى اليها فاحتضنها فسكنت ورواه ابو القاسم البغوي وزاد فيه فكان
الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله
شوقا اليه لمكانه من الله فانتم احق ان تشتاقوا الى لقايه ولله در القائل

والقى حتى في الجمادات حبه   فكانت لاهداء السلام له تهدا
وفارق جذعا كان يخطب عنده   فان انين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا   اما نحن اولى ان نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة   فليس وفاء ان نطيق له بعدا

واما حديث سهل بن سعد ففي الصحيحين من طرق واما حديث ابن عباس فعند الامام
احمد باسناد على شرط مسلم ورواه ابن ماجة واما حديث ابن عمر ففي البخاري واما
حديث ابي سعيد الخدري فعند ابن حميد واما حديث عايشة فعند البيهقي وفي اخره
انه خير الجذع بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة واما حديث بريده فعند الدارمي
وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان شيت اردك الى الحايط الذي كنت
فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شيت اغرسك
في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع
ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه

فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا
على دار الفنا واما حديث ام سلمة فعند ابي نعيم في الدلايل والقصة واحدة
وما في الفاظها مما ظاهره التغاير هو من الرواة وعند التحقيق ترجع الى معنى
واحد ولا نطيل بذكر ذلك والله اعلم واما كلام الحيوانات وطاعاتها له صلى الله ع م
فمنها سجود الجمل وشكواه اليه ع م عن انس بن مالك رضي الله عنهما قال كان اهل
بيت من الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره و
ان الانصاري جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل
نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحايط و
والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار
يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه باس فلما نظر الجمل الى رسول الله ع م
اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل فقال اصحابه يا رسول الله
هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال ع م لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لبشر ان يسجد لبشر لامرت المراة
ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه احمد والنسائي والحايط هو البستان
وقوله نسني عليه بالنون والسين المهملة اي نستقي عليه وفي حديث

يعلى

يعلى بن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير
يسنى عليه فلما راه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله
وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما ما ذكرت هذا من امره فانه شكى كثرة
العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه رواه البغوي في شرح السنة والجران بكسر الجيم
قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره وروى الامام احمد قصة
اخرى نحو ما تقدم من حديث جابر ضعيفة والبيهقي باسناد جيد وكذا روى
الطبراني قصة اخرى عن عكرمة عن ابن عباس لكن باسناد ضعيف والامام احمد
ايضا من حديث يعلى بن مرة واخرج ابن شاهين في الدلايل عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما
قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الي حديثا لا
احدث به احدا من الناس قال وكان احب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم
لحاجته هدفا وحايش نخل فدخل حايطه رجل من الانصار فاذا جمل فلما راى النبي ع م
حن فذرفت عيناه فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه وفي رواية
فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لي
يا رسول الله فقال الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى
الي انك تجيعه وتدئبه قال في المصباح وهو حديث صحيح قال ورواه ابو داود
عن موسى بن اسمعيل عن مهدي بن ميمون والحايش بالحاء المهملة وبالشين

المعجمة ممدودًا هو جماعة النخل لا واحد له من لفظه وقوله دفراه تثنية ذفر
بكسر الذال المعجمة مقصور وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند اذنه ومنها
سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
حايطا للانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت
له فقال ابو بكر يا رسول الله نحن احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال رسول الله صلى الله
لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد رواه ابو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتاب دلايل
النبوة باسناد ضعيف وذكره القاضي عياض في الشفا وذكر ايضا عن جابر بن عبد الله
عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان
في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب وجوهها فان الله
سيؤدي امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها
ومنها قصة كلام الذيب وشهادته له صلى الله عليه وسلم اعلم انه قد جاء حديث
قصة الذيب في عدة طرق من حديث ابي هريرة وانس وابن عمر وابن ابي سعيد الخدري
فاما حديث ابي سعيد فرواه الامام احمد باسناد جيد ولفظه قال عدى الذيب
على شاة فاخذها فطلبه الراعي فانتزعها فاقعى الذيب على ذنبه وقال الا تتقي الله
تنزع مني رزقا ساقه الله إلي فقال الراعي يا عجبا ذيب مقع على ذنبه يكلمني
بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء
ما قد سبق قال فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها الى زواية من

زواياها ثم اتى رسول الله فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلوة
جامعة ثم رجع فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم واما حديث ابن عمر فاخرجه ابو سعيد
الماليني والبيهقي واما حديث انس فاخرجه ابو نعيم في الدلايل واما حديث ابي هريرة
فرواه سعيد بن منصور في سننه قال جاء الذيب فاقعى بين يدي رسول الله صلى الله
يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذياب جاء يسألكم
ان تجعلوا له من اموالكم شيئا قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا رماه به
فادبر الذيب وله عواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذيب وما الذيب
وروى البغوي في شرح السنة واحمد وابو نعيم بسند صحيح عن ابي هريرة ايضا
قال جاء الذيب الى راعي غنم فاخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه
قال فصعد الذيب على مثل تل فاقعى واستثفر وقال عمدت الى رزق رزقنيه الله اخذ
ثم انتزعته مني فقال الرجل تالله ان رايت كاليوم ذيب يتكلم فقال الذيب اعجب
من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما وما هو كاين بعدكم قال وكان الرجل
يهوديا فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره واسلم فصدقه النبي صلى الله
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها امارات بين يدي الساعة قد
اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما احدث اهله بعده
واستثفر بالسين والمثناة ثم المثلثة والفاء اخره راء كاستفعل اي جعل ذنبه
بين رجليه كما يفعل الكلب قال القاضي عياض وفي بعض الطرق عن ابي هريرة رض

فقال الذيب انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم
منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم
وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده
النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك
تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وقد روى ابن وهب مثل
هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب وجداه اخذ ظبيا
فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك
محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان و
اللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة اي فاسدة
متغيرة يعني يقع الفساد والتغيير في اهلها ومن ذلك الحمار اخرج ابن عساكر عن ابي
منظور قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اصاب حمارا اسود فكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله
ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لا يركبه
الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء
غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت اتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب
ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت يعفور فكان رسول الله صلى الله ع م

يبعثه

يبعثه الى باب الرجل فياتي الباب فيقرعه براسه فاذا خرج صاحب الدار اومأ اليه
ان اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض صلى الله عليه وسلم جاء الى بير
كانت لابي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم و
رواه ابو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه وذكره ابن الجوزي
في الموضوعات وفي معجزاته عليه السلام ما هو اعظم من كلام الحمار وغيره ومن
ذلك حديث الضب وهو مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثيرة
لكنه حديث غريب ضعيف وقال المزي لا يصح اسنادا ولا متنا وذكره القاضي عياض
في الشفا وقد روي من حديث عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل
من اصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله
ليشويه وياكله فلما راى الجماعة قال من هذا قالوا نبي الله فاخرج الضب من كمه و
قال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه
وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن
انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك
فاسلم الاعرابي الحديث بطوله وهو مطعون فيه وقيل انه موضوع لكن معجزاته
عليه السلام فيها ما هو ابلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعا خصوصا وقد رواه

الائمة فنهايته الضعف لا الوضع والله اعلم ومن ذلك حديث الغزالة روي
حديثها البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الائمة لكن طرقه يقوي بعضها بعضا
وذكره القاضي عياض في الشفا ورواه ابو نعيم في الدلايل باسناد فيه مجاهيل
عن حبيب بن محصن عن ام سلمة رضي الله عنها قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلث مرات فالتفت فاذا ظبية
مشدودة في وثاق واعرابي منجدل في شملة نايم في الشمس قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع
قال وتفعلين فقالت عذبني الله عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت
فاوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك
حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب
رجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكذا رواه
الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب من
باب الزكاة ونقل شيخنا العلامة الحافظ ابو الخير السخاوي عن ابن كثير انه
لا اصل له وان من نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ثم قال شيخنا
لكنه ورد في الجملة في عدة احاديث يتقوي بعضها ببعض اوردها شيخ
الاسلام ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج احاديث المختصر والله اعلم
وفي شرح مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكي وتسبيح الحصا رواه الطبراني

وابن عاصم من حديث ابي ذر وتسليم الغزالة رواه الحافظ ابو نعيم الاصبهاني
والبيهقي في دلايل النبوة ونحن نقول فيهما انهما وان لم يكونا اليوم متواترين
فلعلهما استغني عنهما بنقل غيرهما او لعلهما متواترا اذ ذاك انتهى ومن
داجن البيوت وهو ما الفها من الحيوان كالطير والشاة وغيرهما روي قاسم بن
ثابت عن عايشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله
قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء وذهب وذكره القاضي عياض بسنده واما نبع الماء الطهور من بين
اصابعه صلى الله عليه وسلم وهو اشرف المياه فقال القرطبي قصة نبع الماء من
بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة
ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي
ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء
من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابن عبد البر عن المزني انه قال
نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ابلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر
حيث ضرب موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود
بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم وقد روي حديث نبع الماء جماعة
من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود فاما حديث انس ففي الصحيحين قال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء

فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء
فامر الناس ان يتوضؤا منه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضاء الناس حتى
توضاوا من عند اخرهم وفى لفظ البخاري كانوا ثمانين رجلا و فى لفظ له فجعل الما
ينبع من بين اصابعه واطراف اصابعه حتى توضاؤا القوم قال فقلنا لانس كم
كنتم قال كنا ثلثماية فقوله حتى توضاوا من عند اخرهم قال الكرمانى حتى للتدريج
ومن للبيان اى توضا الناس حتى توضا الذين هم عند اخرهم وهو كناية عن جميعهم
وعند بمعنى فى لان عند وان كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة تقتضى ان تكون
لمطلق الظرفية فكانه قال الذين هم فى اخرهم وقال التيمي المعنى توضا القوم حتى وصلت
النوبة الى الاخر وقال النووي من هنا بمعنى الى وهى لغة وتعقبه الكرمانى بانها
شاذة قال ثم ان الى لا يجوز ان تدخل على عند ويلزم عليه وعلى ما قاله التيمي انه لا يدخل
الاخير لكن ما قاله الكرمانى من ان الى لا تدخل على عند لا يلزم مثله فى من اذا وقعت
بمعنى الى وعلى توجيه النووي يمكن ان يقال عند زايدة قاله فى فتح الباري . و
روى هذا الحديث ايضا عن انس ابن شاهين ولفظه قال كنت مع النبى صلى الله عليه
فى غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل فضلة
ماء فجاء رجل فى شن بشئ فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته فى الماء
قال فرايتها تخلل عيونا بين اصابعه قال فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا فقال
اكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يا نبى الله فرفع يده فارتفع الماء واخرج البيهقى عن

انس

انس ايضا قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى قباء فاتى من بعض بيوتهم بقدح صغير
فادخل يده فلم يسعه القدح فادخله اصابعه الاربعة ولم يستطع ان يدخل
ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال انس بصر عينى ينبع الماء من بين اصابعه
فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا واما حديث جابر ففى الصحيحين
قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
يتوضا منها وجهش الناس نحوه فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضا
به ولا ماء نشربه الا ما بين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه
كامثال العيون فشربنا وتوضانا قلت كم كنتم قالوا لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشرة
ماية وقوله يفور اي يغلى ويظهر متدفقا وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت
عنه فى حديث مسلم الطويل فى ذكر غزوة بواط قال لى رسول الله يا جابر ناد الوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة فى عزلاء شجب فاتى به النبى صلى الله عليه
وسلم فغمزه وتكلم بشئ لا ادرى ما هو وقال بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها
بين يديه وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق اصابعه وصب عليه جابر
فقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء واستقوا حتى رووا فقلت هل بقى من احد له
حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملاى وروى حديث جابر ايضا الامام
احمد فى مسنده بلفظ اشتكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه العطش فدعا بعس فصبت فيه

شيا من الماء ووضع رسول الله ع م فيه يده وقال استقى الناس فكنت ارى العيون
تنبع من بين اصابعه وفي لفظ من حديثه ايضا قال فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال بسم الله ثم قال اسبغوا الوضوء قال جابر فوالذي
ابتلاني ببصري لقد رايت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين اصابعه صلى الله
فما رفعها حتى توضؤا اجمعون ورواه ايضا عنه البيهقي في الدلايل قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصابنا عطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله
فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع من بين اصابعه كانه العيون قال
خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة الف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال
الفا وخمسماية واخرجه ابن شاهين من حديث جابر وقال اصابنا عطش بالحديبية
فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث واخرجه ايضا عن جابر احمد
من طريق نبيح العنزي عنه وفيه فجاء رجل باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ما
غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضا فاحسن الوضوء ثم
انصرف وترك القدح قال فتزاحم الناس على القدح فقال على رسلكم فوضع كفه في
القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال لقد رايت العيون عيون الماء تخرج من بين اصابعه
واما حديث ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضلة ما
فاتى بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله ع م

وظاهر

وظاهر هذا ان الماء كان ينبع من بين اصابعه بالنسبة الى رؤية الراي وهو في نفس الامر
للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم في الاناء فيراه الراي
نابعا من بين اصابعه وظاهر كلام القرطبي انه نبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وبه صرح
النووي في شرح مسلم ويؤيده قوله جابر فرايت الماء يخرج من بين اصابعه وفي رواية
فرايت الماء ينبع من بين اصابعه وهذا هو الصحيح وكلاهما معجزة له صلى الله عليه وسلم
وانما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تادبا مع الله تعالى اذ هو
المتفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير اصل وروى ابن عباس قال دعا النبي ع م
بلالا فطلب الماء فقال لا والله ما وجدت الماء قال فهل من شن فاتاه بشن فبسط كفيه
فيه فانبعث تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضا رواه الدارمي وابو نعيم
وكذا رواه الطبراني وابو نعيم من حديث ابي ليلى الانصاري وابو نعيم من طريق
القسم بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ومن ذلك تفجير الماء ببركته وانبعاثه
بمسه ودعوته روى مسلم في صحيحه عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انكم ستاتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحى النهار فمن جاها
فلا يمس من مائها شيا حتى اتي قال فجيناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك
تبض بشيء من ماء فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيا قالا
نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله ان يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء
ثم غسل عليه السلام به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس

ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملي جنانا
اى بساتين وعمرانا وهذا ايضا من معجزاته م وروا ه القاضى عياض في الشفا بنحوه من
طريق مالك في الموطا وزاد فقال قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ماله حس
كحس الصواعق وفى البخارى في غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة ومروان
بن الحكم انهم نزلوا باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم
يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع
سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا
عنه والثمد بالمثلثة والتحريك الماء القليل وقوله يتبرضه تبرضا بالضاد المعجمة
اى ياخذونه قليلا قليلا والبرض الشيئ القليل وقوله فما زال يجيش بفتح المثناة
التحتية وبالجيم اخره شين معجمة اى يفور ماؤه ويرتفع وفى رواية انه صلى الله عليه
توضأ ومج فى بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء كذلك وفى مغازي ابى الاسود عن
عروة انه توضا فى الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وامر ان يصب فى البير ونزع سهما
من كنانته والقاه فى البير ودعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون
منها وهم جلوس على شفتها فجمع بين الامرين وكذا روى الواقدي من طريق اوس
خولى وفى هذه القصة غير القصة السابقة وفى ذكر نبع الماء من اصابعه صلى الله
مما رواه البخاري فى المغازي من حديث جابر عطش الناس بالحديبية وبين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور بين اصابعه

الحديث

الحديث فبين القصتين مغايرة وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع فى وقتين انتهى
فحديث جابر فى نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث
البراء كان لارادة ما هو اعم من ذلك ويحتمل ان يكون الماء لما تفجر من اصابعه ويده
فى الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا امر بصب الماء الذي بقى فى الركوة فى البير فتكاثر
الماء فيها انتهى وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع مما رواه البخاري فى قصة الحديبية
وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة
فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتى بدلو منها فبصق
فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم قال
فى رواية البراء ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قوله على جباها
بفتح الجيم والموحدة والقصر ما حول البير وبالكسر ما جمعت فيه من الماء وقوله وركا
اي الابل التي يسار عليها وفى الصحيحين عن عمران الحصين قال كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم فى سفر فاشتكى الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه ابو رجاء و
عوف ودعا عليا فقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امراة بين مزادتين او
من ماء فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي
باناء ففرغ فيه من افواه المزادتين والسطيحتين واوكأ افواههما واطلق العزالى
ونودي فى الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهى قائمة تنظر الى
ما فعل بمائها وايم الله لقد اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملئة منها حين ابتدا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها بين عجوة ودقيقة وسويقة
حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها
قال لها تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا ولكن الله هو الذي سقانا فاتت اهلها فقالت
العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا
فوالله انه لاسحر الناس كلهم وانه لرسول الله حقا فقالت لقومها فهل لكم في الاسلام
الحديث وعن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم
تسيرون عشيتكم وليلتكم وتاتون الماء غدا ان شاء الله فانطلق الناس لا يلوي
احد على احد فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل اي ابيض فمال
عن الطريق فوضع راسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان اول من استيقظ رسول الله
والشمس في ظهره ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا
بميضاة منها وضوء قال وبقي شيء من ماء ثم قال احفظ علينا ميضاتك فسيكون
لها نبا ثم اذن بلال بالصلوة فصلى رسول الله ركعتين ثم صلى الغداة وركب
وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون يا رسول الله
هلكنا وعطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضاة فجعل يصب وابو قتادة يسقيهم
فلم يعد ان راى الناس ما في الميضاة فتكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسنوا الملا كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب
واسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال

لي

لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال ان ساقي القوم اخرهم فقال
فقال شربت وشرب الحديث رواه مسلم وعن انس قال اصابت الناس سنة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة
قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه
وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال
الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن
الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول
الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا
فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال
الوادي قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وفي رواية قال
اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت
الشجر فاقلعت وخرجنا نمشي في الشمس رواه البخاري ومسلم والجوبة بفتح الجيم
والموحدة بينهما واو ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة
اي حتى صار الغيم والسحاب محيطا بافاق المدينة والجود بفتح الجيم واسكان
الواو المطر الواسع الغزير وعن عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ شديد
فنزلنا منزلا اصابنا عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب

ليذهب يلتمس الرحل فلا يرجع يظن ان رقبته ستنقطع حتى ان كان الرجل لينحر
بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله
قد دعاك في الدعا خيرا فادع الله لنا قال اتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم
يرجعهما حتى قالت السما فانسكبت فملأوا ما معهم من انية ثم ذهبنا ننظر فلم
نجدها جاوز العسكر قال الحافظ المنذري اخرجه البيهقي في الدلايل وشيخه
بن بشران ثقة ودعلج ثقة وابن خزيمة احد الايمة ويونس احتج به مسلم في صحيحه
وابن وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم الحارث ومسلم وعتبة
فيه مقال انتهى وقد رواه القاضي عياض في الشفا مختصرا وروي ابن اسحق في مغازيه
نحوه وروي صاحب كتاب مصباح الظلام عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال كنت مع
ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذي المجاز فادركني العطش فشكوت
اليه وقلت يا ابن اخي عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى عنده شيئا الا الجزع
فثنى وركه ثم نزل وقال اعطشت فقلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض فاذا بالما
فقال اشرب يا عم فشربت وكذا رواه ابن سعد وابن سعد عساكر ومن ذلك
تكثير الطعام القليل ببركته ودعايه عن جابر في غزوة الخندق فانكفات
الى امراتي فقلت هل عندك شيء فاني رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا
فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير
حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت يا

يا رسول الله

يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال انت ونفر معك فصاح النبي
صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحي هلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم
لا تنزلن برمتكم ولا يخبزن عجينكم حتى اجيء فجئت فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك
ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها
وهم الف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا
ليخبز كما هو رواه البخاري ومسلم وقوله فانكفات اي انقلبت وقوله داجن يعني سمينة
وقوله فذبحتها بسكون الحاء وطحنت بسكون التاء يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي طحنت
هي امراته سهيلة بنت معوذ الانصارية وقوله سورا بضم المهملة وسكون الواو
بغير همزة قال ابن الاثير اي طعاما يدعوا اليه الناس قال واللفظة فارسية وقوله
فحي هلا بكم كلمة استدعاء فيه حث اي هلموا مسرعين وقوله واقدحي اي اغرفي وقوله
وان برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطاء المهملة اي تغلي ويسمع غطيطها وعن انس
قال قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع
فهل عندك من شيء فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا فلفت
الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه اي ادارت بعض الخمار على راسي
مرتين كالعمايم ثم ارسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليهم فقال رسول الله
ارسلك ابو طلحة قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق

وانطلقت بين ايديهم حتى جئت اباطلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله
بالناس وليس عندنا ما نطعمكم فقال الله ورسول الله اعلم فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله
فاقبل رسول الله وابو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم
ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت
ام سليم عكة فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقول ثم قال
ايذن لي لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ايذن لعشرة ثم لعشرة فاكل
القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون او ثمانون رجلا رواه البخاري ومسلم والمراد بالمسجد
هنا الموضع الذي اعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الاحزاب للمدينة
في غزوة الخندق وفي رواية لمسلم انه قال ايذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فاكلوا
حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم اكل النبي صلى الله عليه وسلم واهل البيت وترك سؤرا اي
بقية وهو بالهمز وفي رواية للبخاري قال ادخل علي عشرة حتى عد اربعين ثم اكل النبي ع م
فجعلت انظر هل نقص منها شيء وفي رواية يعقوب ادخل علي ثمانية فما زال حتى دخل عليه
ثمانون ثم دعاني ودعا امي وابا طلحة فاكلنا حتى شبعنا انتهى وهذا يدل على تعدد القصة
فان اكثر الروايات فيها انه ادخلهم عشرة عشرة سوى هذه قاله الحافظ بن حجر قال
وظاهره انه عليه السلام دخل المنزل ابي طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن
بن ابي ليلى ولفظه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب فقال لهم اقعدوا
ودخل وفي رواية يعقوب عن انس فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك

ولم يكن عندنا ما يشبع ما اري وفي رواية عمرو بن عبد الله عن انس فقال ابو طلحة
انما هو قرص قال ان سيبارك فيه قال العلماء وانما ادخلهم عشرة عشرة والله اعلم لانها
كانت قصعة واحدة لا يمكن الجماعة الكثيرة ان يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام
فجعلهم عشرة عشرة ليتمكنوا من الاكل ولا يزدحموا فاما قوله عليه السلام ارسلك
ابو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم
فهم ان اباطلحة استدعاه الى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا واول الكلام يقتضي
ان ام سليم واباطلحة ارسلا الخبز مع انس ان ياخذه النبي صلى الله عليه وسلم فياكله
فلما وصل انس وراي كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحيا وظهر له ان يدعو
النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه ويحتمل
ان يكون ذلك عن راي من ارسله عهد اليه اذا راي كثرة الناس ان يستدعي النبي صلى الله
وحده خشية ان يكفي ذلك النبي هو ومن معه وقد عرفوا ايثاره عليه السلام وانه لا ياكل
وحده ووقع في رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس عند ابي نعيم واصله عند
مسلم فقال لي ابو طلحة يا انس اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
قام فدعه حتى يتفرق اصحابه ثم اتبعه فاذا قام على عتبة بابه فقل له ان ابي يدعوك
وفيه فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا
ما يشبع من اري فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفي رواية مبارك بن
فضالة فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها

حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع
ذلك والقرص ينتفخ حتى رايت القرص في الجفنة يتسع وفى رواية النضر بن انس فجئت
بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة وعرف بهذا المراد بقوله
فقال فيها ما شاء الله ان يقول وفى رواية انس عند احمد ان ابا طلحة راى رسول الله صلى الله
طاويا وعند ابى يعلى من طريق محمد بن سيرين عن انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله
طعام فآجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يوم ثم جاء به الحديث وفى رواية عمرو بن
عبد الله بن ابى طلحة عند مسلم وابى يعلى قال راى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مضطجعا يتقلب ظهرا لبطن وفى رواية يعقوب بن عبد الله بن ابى طلحة عند مسلم ايضا
قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا مع اصحابه يحدثهم وقد عصب
بطنه بعصابة فسالت بعض اصحابه فقال من الجوع فذهبت الى ابى طلحة فاخبرته فدخل
على ام سليم فقال اعندك شئ فانى مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ اصحاب
الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وعن ابى هريرة قال لما كان غزوة تبوك
اصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها
بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجئ بكف ذرة
ويجئ الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبركة ثم قال خذوا فى اوعيتكم فاخذوا فى اوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء
الا ملاوه قال فاكلوا حتى شبعوا وفضلة (فضلت) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد

ان لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله بهما عبدا غير شاك فيحجب عن الجنة رواه
مسلم وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت
اى ام سليم الى تمر وسمن واقط فصنعت حيسا فجعلته فى تور فقالت يا انس اذهب
بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك امى وهى تقرئك السلام
فقال صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا رجالا اسماهم وادع
لى من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص باهله قيل لانس
عددكم كانوا قال زهاء ثلثمائة فرايت النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك
الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة ياكلوا منه ويقول لهم اذكروا
اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فاكلوا حتى شبعوا فخرجت طايفة حتى اكلوا كلهم
قال لى يا انس ارفع فرفعت فما ادرى حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت رواه
البخارى ومسلم وعن جابر قال ان ام مالك كانت تهدى للنبى صلى الله عليه وسلم
فى عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شئ فتعمد الى الذى كانت
تهدى فيها للنبى صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها ادم بيتها
حتى عصرته فاتت النبى صلى الله عليه وسلم فقال عصرتيها قالت نعم قالت لو تركتيها
ما زال قايما رواه مسلم وعنه ان رجلا اتى النبى صلى الله يستطعمه فاطعمه شطر وسق
من شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبى صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم رواه مسلم ايضا والحكمة فى ذهاب

بركة السمن حين عصرت العكة واعدام الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضاد للتسليم
والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة
باسرار حكم الله تعالى فعوقب فاعله بزواله قاله النووي وعن ابي العلاء سمرة بن جندب
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة
ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من اي شيء تعجب ما كانت تمد الا من ههنا و
اشار بيده الى السماء رواه الترمذي والدارمي وعنه اتي النبي صلى الله عليه وسلم
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون فقال
رجل لسمرة هل كانت تمد قال ما كانت تمد الا من ههنا واشار الى السماء رواه الدارمي
وابن ابي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه وابو نعيم وفي حديث عبد الرحمن
بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع
وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال ايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له
حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير رواه البخاري وعن ابي هريرة قال امرني رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ادعو اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا
ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع رواه ابن ابي
والطبراني وابو نعيم وعن علي بن ابي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني
عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدًّا

من

من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم
يشرب منه رواه في الشفا ومن ذلك ابراء ذوي العاهات واحياء الموتى وكلامهم
وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة روى البيهقي في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم
دعا رجلا الى الاسلام فقال لا اؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم
اريني قبرها فاراه اياها فقال عليه السلام يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال
اتحبين ان ترجعين الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله اني وجدت خيرا لي من ابوي
ووجدت الاخرة خيرا لي من الدنيا وروى الطبري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سالت ربي عز وجل
فاحيا لي امي فامنت بي ثم ردها وكذا روي من حديث عائشة ايضا احياء ابويه صلى الله
حتى امنا به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق لكن قال السهيلي ان في
اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه منكر جدا وتقدم البحث في ذلك واوائل المقصد الاول
وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت
مات ابني قلنا نعم قلت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني
على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
رواه ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم وعن النعمان بن بشير قال كان زيد بن
خارجة من سروات الانصار فبينا هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر
اذ خر فتوفي فاعلمت به الانصار فاتوه فاحتملوه الى بيته فسجوه كساء وبردين

وفي البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه و رجال من رجالهم فمكث على حاله حتى
اذا كان بين المغرب والعشاء الاخرة سمعوا صوت قايل يقول انصتوا فنظروا فاذا الصوت
من تحت الثياب فحسروا عن وجهه وصدره فاذا القايل يقول على لسانه محمد رسول الله
النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق
ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته رواه ابو بكر
ابن ابي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وعن سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار
توفي فلما كفن اتاه القوم يحملونه تكلم وطبخها وثرد فقال محمد رسول الله خرجه ابو بكر
بن الضحاك واخرج ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة واتى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا
عظما ثم انه عليه السلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة
قد قامت تنفض اذنيها كذا رواه فالله اعلم وعن معيقب اليماني قال حججت حجة الوداع
فدخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم و رايت منه عجبا
جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقي من حديث معرض بالضاد
المعجمة وعن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي قد شب لم يتكلم
قط فقال من انا قال رسول الله رواه البيهقي وعن ابن عباس قال ان امراة جاءت بابن

لها

لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذه
عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة مثل الجرو
الاسود يسعى رواه الدارمي وقوله ثع يعني قاء واجيب يوم احد عين قتادة بن النعمان
حتى وقعت على جنته فاتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
لي امراة احبها واخشى ان رانى تقذرني فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسبه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما
نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل
من ذريته فساله عمر من انت فقال   ابونا الذي سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى ايما رد   فعادت كما كانت لاول امرها   فيا حسن ما عين و
فوصله عمر واحسن جايزته قال السهيلي ورواه محمد بن ابي عثمان عن مالك بن انس عن محمد
بن عبد الله ابي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال اصيبت
عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعاد
هما مكانهما و بصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا حديث غريب عن
مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة وروى الدارقطني عن ابراهيم الحربي عن
عمار بن نصير واخرج الطبراني وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام
بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه
حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي

ما حسن ما خد

دمعت عيناه فقال ق قتادة كما وقى وجه بنيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه
واحدهما نظرا وفى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال اين على
بن ابى طالب فقالوا يا رسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع و
عند الطبرانى من حديث على قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله
الراية يوم خيبر وفى رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال ارسلنى
النبى صلى الله عليه وسلم الى على فجئت به اقوده ارمد فبصق فى عينيه فبرا
وعند الحاكم من حديث على قال فوضع صلى الله عليه وسلم راسى فى حجره ثم بزق
فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما
حتى يومى هذا واصيب سلمة يوم خيبر ايضا بضربة فى ساقه فنفث فيها صلى الله
ثلاث نفثات فما اشتكيها قط رواه البخارى ونفث فى عينى فديك وكانتا
مبيضتان يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط فى الابرة وانه
لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان رواه ابن ابى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى
وابو نعيم الفصل الثانى فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على ساير الانبيا
من الكرامات والايات البينات اعلم نور الله قلبى وقلبك وطهر سرى وسرك
ان الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم باشياء لم يعطها لنبى قبله وما

خص

وما خص نبى بشئ الا وكان لسيدنا صلى الله عليه وسلم مثله فانه اوتى جوامع الكلم
وكان نبيا وادم بين الروح والجسد وغيره من الانبيا لم يكن نبيا الا فى حال نبوته و
زمان رسالته ولما اعطى هذه المنزلة علمنا انه المحمد لكلمة انسان كامل مبعوث ورحم الله
الاديب شرف الدين الابوصيرى فلقد احسن حيث قال
وكل اى اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن انوارها للناس فى الظلم قال العلامة ابن مرزوق يعنى ان كل معجزة اتى بها كل واحد
من الرسل فانما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وما احسن
قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطى ان نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قايما
به ولم ينقص منه شئ ولو قال فانما هى من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى
له منه شئ وانما كانت ايات كل واحد من نوره لانه شمس فضل هم كواكب تلك
الشمس يظهرن اى تلك الكواكب اى انوار تلك الشمس للناس فى الظلم فالكواكب
ليست مضيئة بالذات وانما هى مستمدة من الشمس فهى عند غيبة الشمس تظهر
نور الشمس فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه السلام كانوا يظهرون فضله بجميع
ماظهر على يدى الرسل عليهم السلام سواه من الانوار فانما هو من نوره الفايض
ومدده الفايض الواسع من غير ان ينقص منه شئ واول ماظهر ذلك فى ادم
عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع
الكلم التى لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسما كلها على الملايكة القايلين

انجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ثم توالت الخلايف في الارض الى ان وصل
الى زمان وجود صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم الشريف لاظهار حكم منه
فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور راياته كل اية لغيره
من الانبياء و دخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته
فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي صلى الله عليه وسلم مثلها فادم
عليه الصلاة والسلام اعطي ان الله تعالى خلقه بيده اعطى سيدي صلى الله عليه وسلم
شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة و
هو الخلق النبوي فتولى من ادم الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
الخلق النبوي مع ان المقصود كما ان خلق ادم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد المقصود
وادم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة واما سجود الملائكة لادم فقال
الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان الملائكة امروا بالسجود لادم لاجل ان نور محمد
كان في جبهته ولله در القايل تجليت جل الله في وجه ادم فصلى له الاملاك حين توصل
وعن ابي عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهاني سمعت الامام سهل بن محمد يقول
هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله
وملائكته يصلون على النبي الاية اتم واجمع من تشريف ادم عليه السلام بامر
الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز ان يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف
يصدر عنه ابلغ من تشريف تختص به الملائكة انتهى قال بعضهم واما تعليم ادم

اسماء كل شيء فاخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي رافع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثلت لي امتي في الماء والطين وعلمت الاسماء كلها كما علم ادم
الاسماء كلها فكما ان ادم علم اسماء العلوم كلها كذلك نبينا عليه السلام وزاد عليه
واصل الله صلاته وسلامه عليه بعلم ذواتها ولله در الابوصيري حيث قال
لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لادم الاسماء ولا ريب ان المسميات
اعلى رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات
واليه الايماء بقوله ذات العلوم والاسما مقصودة لغيرها فهي دونها ففضل العالم
بحسب فضل معلومه واما ادريس عليه السلام فرفعه الله مكانا عليا فاعطي سيدنا
محمد عليه السلام المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه السلام
فنجاه الله تعالى ومن امن معه من الغرق ونجاه من الخسف واعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم
ان لم تهلك امته بعذاب من السما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
واما قول الفخر الرازي في تفسيره اكرم الله نوحا بان امسك سفينته على الماء وفعل
محمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه وروي ان صلى الله عليه وسلم كان على شط ما
وقعد عكرمة بن ابي جهل فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي في جانب
الاخر الذي فليسبح ولا يغرق فاشار اليه عليه السلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح
حتى صار بين يدي الرسول وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه
يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فلم اره لغيره والله اعلم بحاله واما ابراهيم الخليل

عليه السلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فاعطي سيدنا صلى الله عليه
وسلم نظير ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه السلام وناهيك بنار حطبها السيوف
ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله تعالى كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله فكم ارادوا ان يطفؤا النور بالنار وابى الجبار
الا ان يتم نوره وان يخمد شرورهم ويخمد لمحمد عليه السلام سروره وظهوره وذكر
انه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته
منه كما روي مما رايته في بعض الكتب وروي للنساي ان محمد بن حاطب قال كنت
طفلا فانصبت القدر علي واحترق جلدي كله فحملني ابي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنقل عليه السلام في جلدي ومسح يده على المحترق وقال اذهب
الباس رب الناس اشفه وانت الشافي فصرت صحيحا لا باس بي واما ما اعطيه ابراهيم عليه السلام
من مقام الخلة فقد اعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة
وقد روي في حديث الشفاعة ان الخليل ابراهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك
الله خليلا فاشفع لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيري الى ان
تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها وهذا يدل على
نبينا صلى الله عليه وسلم كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطا ولو كان
خليلا من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر ابراهيم وفيه تنبيه ظاهر على
انه عليه السلام فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطاء حتى راى الحق بعيني راسه

كما

كما سياتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى في المقصد الخامس والملخص من هذا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال درجة الخلة التي اشتهرت لابراهيم عليه السلام
على وجه نطق ابراهيم بان نصيب سيدنا عليه السلام منه الاعلى بمفهوم قوله
عن نفسه انما كنت خليلا من وراء وراء فلم يشفع ففيه دليل على انه انما يشفع من كان
خليلا لا من وراء وراء بل مع الكشف والعيان وقرب المكان من حضيرة القدس
لا المكان وذلك مقام محمد عليه السلام بالدليل والبرهان ومما اعطيه ابراهيم
انفراده في اهل الارض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر والفسر
اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها باسرها مجضر من اولي نصرها بقضيب
ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجتزاء فيها بالانفاس من الفاس وما
عول على المعول ولا اعرض في القول ولا اعرض من الصول بل قال جهرا غير سر وقل
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومما اعطيه الخليل عليه السلام
بناء البيت الحرام ولا اخفا ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب
بل جاء انه يمين الرب كناية عن استلامه كما استلم الايمان عند عقد العهود والايمان
وقد اعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت بعد تهدمه ولم يبق
الا وضع الحجر تنافسوا على الفخر الفخم والمجد الضخم ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل
فاتفق دخول سيدنا عليه السلام فقالوا هذا الامين فحكموه في ذلك فامر ببسط
ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال يرفع كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم اخذه سيدنا

فوضعه فى موضعه فادخر الله له ذلك المقام ليكون منقبة له على مدا الايام
واما ما اعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية غير ناطقة فاعطى سيدنا
حنين الجذع وقد مرت قصته وحكى الامام الرازي فى تفسيره وغيره انه لما اراد ابو جهل
ان يرميه صلى الله عليه وسلم بالحجر راى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما اعطيه
موسى عليه السلام ايضا من اليد البيضاء وكان بياضها يغشى البصر فاعطى سيدنا ع م
انه لم يزل نورا ينتقل فى اصلاب الاباء وبطون الامهات من لدن آدم الى ان انتقل
الى عبد الله ابيه واعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء
فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا
ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان
فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه
ابو نعيم واخرج البيهقى وصححه الحاكم عن انس قال كان عباد بن بشر واسيد بن حضير
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهى
ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصى فاضاءت لهما عصى احدهما
فمشيا فى ضوءها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاءت للاخر عصاه فمشى كل واحد
فى ضوء عصاه حتى بلغ هديه واخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وابو نعيم عن
حمزة الاسلمى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء
فاضاءت اصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعى لتنير وممّا

اعطيه

اعطيه موسى عليه السلام ايضا انفراق البحر اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم
انشقاق القمر كما مر فموسى تصرف فى عالم الارض وسيدنا صلى الله عليه وسلم
تصرف فى عالم السما والفرق بينهما واضح وقال ابن المنير وذكر ابن حبيب ان بين
السما والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر
المحيط قال فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه
يعنى ليلة الاسراء قال وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى عليهما السلام وممّا
اعطى موسى اجابة دعائه اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى
وممّا اعطيه موسى تفجير الماء له من الحجارة اعطى سيدنا صلى الله عليه وسلم ان الما
تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الماء ولم تجر
العادة ينبع الماء من اللحم ويرحم القايل
وكل معجزة للرسل قد سلفت — وافى باعجب منها عند اظهار
فما العصا حية باعجب من — شكوى البعير ولا من مشى اشجار
ولا انفجار معين الماء من حجر — اشد من سلسل من كفه جاري
وممّا اعطيه موسى
الكلام اعطى سيدنا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو
وايضا كان مقام المناجاة فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلاء
وسدرة المنتهى والمستوى وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة طور سينا واما
ما اعطيه هارون عليه السلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله ع م
من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل ولقد قال له بعض

اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القران بلساني لسان
عربي مبين وقد كانت فصاحة هارون غايتها في العبرانية والعربية افصح منها
وهل كانت فصاحة هرون معجزة ام لا قال ابن المنير الظاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة
ولم يتحد نبي من الانبياء بالفصاحة الا نبينا صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصيه
لا تكون لغير الكتاب وهل فصاحته عليه السلام في جوامع الكلم التي ليست من
التلاوة ولكنها معدودة من السنة هل تحدي بها ام لا وظاهر قوله عليه السلام
اوتيت جوامع الكلم انه من التحدث بنعمة الله عليه وخصائصه ولا خلاف انها باعتبار
ما اشتملت عليه الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة واما ما اعطيه يوسف عليه السلام
من شطر الحسن فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله وسياتي الاشارة الى
ذلك ان شاء الله تعالى في مقصد الاسراء ومن تامل ما نقلته في صفته عليه السلام
تبين له من ذلك التفضيل التفضيل على كل مشهور بالحسن في كل جيل واما ما اعطيه
يوسف ايضا من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك ثلاث منامات احدها حين
راى احد عشر كوكبا والشمس والقمر والثاني منام صاحبي السجن والثالث منام
الملك وقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح
الاخبار وتتبع الاثار وجد من ذلك العجب العجاب وسياتي نبذة من ذلك ان شاء الله
واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان اذا مسح الحديد فكان
لان فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر بين يديه واورق

و

ومسح صلى الله عليه وسلم شاة ام معبد الجرباء فدرت واما ما اعطيه سليمان عليه السلام
من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذي لم يعطه احد من بعده فقد
اعطي سيدنا مثل ذلك وزيادة اما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم
كلمه الحجر وسبح في كفه الحصا وهو جماد وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم
في غزوة خيبر وكذلك كلمه الظبي وشكى اليه البعير كما مر وروي ان طيرا فجع
بولده فجعل يرفرف على راسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا
بولده فقال رجل انا فقال اردد ولده ذكره الرازي ورواه ابو داود بلفظ كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فراينا حمرة معها فرخان
فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش اي تدنو من الارض فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
قال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها وقصة كلام الذئب مشهورة واما الريح
التي كانت غدوها شهر ورواحها شهر تحمله اين اراد من اقطار الارض فقد اعطي
سيدنا صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو اسرع من الريح بل اسرع من البرق
الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية واقل مسافة في ذلك سبعة الاف
سنة وتلك مسافة السموات واما الى المستوى والى الرفرف فذلك لا يعلمه الا الله تعالى
وايضا فالريح سخرت لسليمان لتحمله الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم
زويت له الارض اي جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها وفرق بين من تسعى له
الارض واما ما اعطيه من تسخير الشياطين فقد روي ان ابا الشياطين اعترض

ا

سيدنا وهو في الصلاة فامكنه الله منه وربطه بسارية من سواري المسجد وخير مما
مما اوتيه سليمان من ذلك ايمان الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسليمان استخدمهم
ومحمد صلى الله عليه وسلم استسلمهم واما عد الجن من جنود سليمان في قوله تعالى
وحشر لسليمان جنوده من الجن فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه في جملة اجناده
باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير السواد على طريقة الاجناد واما عده الطير من
جملة اجناده فاعجب منه حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحماسها له
من العدو والغرض من استكثار الجند انما هو الحماية وقد حصلت من اعظم شيء
بايسر شيء واما ما اعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون
نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم ان يكون نبيا عبدا ولله در القايل
يا خير عبدا على كل الملوك ولي واما ما اعطيه عيسى من ابراء الاكمه والابرص
واحيا الموتى فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعدما
سقطت فعادت احسن ما كانت وروي ان امراة معاذ بن عفراء وكانت برصا فشكت
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فاذهب الله البرص منها
ذكره الرازي وفي دلايل النبوة للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لا اومن بك حتى يحيى لي ابنتي وفيه انه صلى الله عليه وسلم اتى قبرها فقال
يا فلانة فقالت لبيك وسعديك يا رسول الله الحديث وقدم وايضا فقد سبح
الحصا في كفه وسلم الحجر وحن لفراق الجذع وذلك ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من

جنس ما لا يتكلم واما ما اعطيه عيسى ايضا من انه كان يعرف ما يخفيه الناس في بيوتهم
فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وسياتي من ذلك ان شاء الله
ما يكفي ويشفي واما ما اعطيه عيسى ايضا من رفعه الى السما فقد نبينا صلى الله عليه
وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة والحظوة
في الحضرة المقدسة بالمشاهدات وبالجملة فقد خص الله تعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
من خصايص التكريم بما لم يعطه احدا من الانبياء عليهم الصلوة والتسليم وقد روى
جابر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي
يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت الغنايم ولم تحل لاحد قبلي
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل حيث
كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة رواه البخاري وفي رواية وبعثت
الى الناس كافة وزاد البخاري في روايته في الصلوة عن محمد بن سنان من الانبيا و
عند الامام احمد اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ولا اقوله فخرا وفيه واعطيت
الشفاعة فاخرتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئا واسناده كما قال ابن كثير جيد و
ليس المراد حصر خصايصه عليه السلام في هذه الخمسة المذكورة فقد روى مسلم
من حديث ابي هريرة مرفوعا فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم و
نصرت بالرعب وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة وختم
بي النبيون فذكر الخمسة المذكورة في حديث جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين

وهما واعطيت جوامع الكلم وختم في النبيون فحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال
ولمسلم ايضا من حديث حذيفة فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف
الملائكة وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر خصلة وهذه الخصلة المبهمة بينها
ابن خزيمة والنسايي وهي واعطيت هذه الايات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش
يشير الى ما حطه الله عن امته من الاصر وتحميل ما لا طاقة لهم به ورفع الخطاء والنسيان
فصارت الخصال تسعا ولاحمد من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبيا الله
اعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعلت امتي خير الامم وذكر خصلة التراب فصارت
الخصال ثنتي عشر خصلة وعند البزار من وجه اخر عن ابي هريرة رفعه فضلت على
الانبيا غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر وجعلت امتي خير الامم واعطيت الكوثر
وان صاحبكم لواء الحمد يوم القيمة تحته ادم فمن دونه وذكر ثنتين مما تقدم وله من
حديث ابن عباس رفعه فضلت على الانبيا بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله
عليه واسلم قال ونسيت الاخرى فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة ويمكن ان يوجد اكثر
من ذلك لمن امعن التتبع وقد ذكر ابو سعد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى ان عدد
الذي خص به صلى الله عليه وسلم ستون خصلة وطريق الجمع ان يقال لعله عليه السلام
اطلع اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقي ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع
هذا الاشكال من اصله وقد ذكر بعض العلما انه صلى الله عليه وسلم اوتي ثلثة
الاف معجزة وخصيصة وقد اختلف في العلم بخصايصه فقال الضميري من الشافعية

منع

منع ابو علي بن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى فلا معنى للكلام فيه وقال امام الحرمين
قال المحققون ذكروا الاختلاف في مسايل الخصايص خبط غير مفيد فانه لا يتعلق به حكم
ناجز يمس اليه حاجة وانما يجري الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة
لا مجال لها والاحكام الخاصة يتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على
الغيب من غير فايدة وقال النووي في الروضة والتهذيب بعد نقله هذين الكلامين وقال
ساير الاصحاب لا باس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم فهذا كلام الاصحاب والصواب
الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما راى جاهل بعض الخصايص
ثابتا في الحديث الصحيح فعمل به اخذا باصل التاسي فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها فاي فايدة
اهم من هذه واما يقع ما يقع في ضمن الخصايص مما لا فايدة فيه اليوم فقليل لا يخلو ابواب
الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الادلة وتحقيق الشي على ما هو عليه انتهى كلام النووي
وقد تتبعت ما شرف الله تعالى به نبينا من الخصايص والايات واكرمه به من الفضايل
والكرامات من كتب العلما كالخصايص لابن سبع وخصايص الروضة للنووي ومختصرها
للحجازي وشرح الحاوي لابن المقلن الملقن وشرح البهجة لشيخ الاسلام زكريا الانصاري
واللفظ المكرم في خصايص النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ قطب الدين الخيضري واستفدت منه كثيرا
خصوصا في فصل المعجزات مع ما رايته اثناء مطالعتي لفتح الباري وشرح مسلم للنووي
وشرح تقريب الاسانيد للعراقي وغير ذلك مما يطول ذكره فحصل لي من ذلك جملة وقد
قسمها غير واحد من الايمة اربعة اقسام الاول ما اختص به من الواجبات والحكمة

فى ذلك زيادة الزلفى فى الدرجات فانه لن يتقرب المتقربون الى الله تعالى بمثل اداء ما
افترض عليهم قال بعضهم خص الله تعالى نبيه عليه السلام بواجبات عليه لعلمه بانه
اقوم بها منهم وقيل ليجعل اجره بها اعظم فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب الضحى على
المذهب لكن قول عايشة فى الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى
يدل على ضعف انها كانت واجبة عليه قال الحافظ ابن حجر ولم تثبت ذلك فى خبر صحيح انتهى
وشيأتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى ذكر صلوة الضحى من مقصد عباداته عليه السلام
وهل كان الواجب عليه اقل الضحى او اكثرها او ادنى الكمال قال الحجازي لا نقل
فيه لكن فى مسند احمد امرت بركعتى الضحى ولم تؤمروا بها ومنها الوتر وركعتا الفجر كما
رواه الحاكم وغيره ولفظ احمد والطبرانى ثلاث على فريضة وهن لكم تطوع الوتر
وركعتا الفجر وركعتا الضحى قال بعضهم وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى الوتر
على الراحلة قال ولو كان واجبا لما جاز فعله على الراحلة وتعقب بان فعله على الراحلة من
الخصايص ايضا كما سيأتى فى ما اختص به عليه السلام من المباحات ان شاء الله تعالى
واجيب بانه يحتاج الى دليل وهل كان الواجب عليه اقل الوتر ام اكثره ام ادنى الكمال
قال الحجازي لم ار فيه نقلا والله اعلم ومنها صلاة الليل قال تعالى ومن الليل فتهجد
به نافلة لك اى فريضة زايدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص
وجوبه لك وهذا ما صححه الرافعى ونقله النووي والجمهور ثم قال وحكى الشيخ ابو حامد
ان الشافعى نص على انه نسخ وجوبه فى حقه كما نسخ فى حق غيره ومنها السواك واستدلوا

له بما رواه ابو داود من حديث عبد الله بن ابى حنظلة بن ابى عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا او غير طاهر فلما شق عليه ذلك امر بالسواك لكل
صلوة وفى اسناده محمد بن اسحاق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس ووجه من لم يجعله
واجبا عليه ما رواه ابن ماجة فى سننه من حديث ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما جاءنى جبريل الا اوصانى بالسواك حتى خشيت ان يفرض على وعلى امتى واسناده
ضعيف وروى احمد فى مسنده من حديث واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب على واسناده حسن والخصايص
تثبت الا بدليل صحيح قال فى شرح تقريب الاسانيد ومنها الاضحية قال الله تعالى
فصل لربك وانحر وروى الدارقطنى والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث هن على فرايض وهن لكم تطوع النحر والوتر وركعتا الفجر ومنها المشاورة قال
الله وشاورهم فى الامر فظاهره الايجاب ويقال انه استحباب استمالة للقلوب ومعناه
استخرج اراهم واختلف فى المعنى الذي لاجله امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالمشاورة
مع كمال عقله وجزالة رايه وتتابع الوحى عليه ووجوب طاعته على امته فقال
بعضهم هو خاص فى المعنى وان كان عاما فى اللفظ اى وشاورهم فيما ليس عندك
من الله فيه عهد يدل عليه قراءة ابن عباس وشاورهم فى بعض الامر وقال الكلبى
يعنى ناظرهم فى لقاء العدو ومكايد الحرب عند العدو وقال قتادة ومقاتل كانت
سادات العرب اذا لم تشاور فى الامر شق عليهم فامر الله نبيه عليه السلام ان يشاورهم

فان ذلك اعطف لهم واذهب لاضغانهم واطيب لنفوسهم وقال الحسن قد علم
الله ان ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وحكى القاضي ابو يعلي في
الذي امر بالمشاورة فيه قولين احدهما في امر الدنيا خاصة والثاني في امر الدين والدنيا
وهو الاصح قاله المغافي في تفسيره والحكمة في المشاورة في الدين لتنبيه لهم على علل
الاحكام وطريق الاجتهاد واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال
لما نزلت وشاورهم في الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله ورسوله
لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي وعند الترمذي الحكيم من حديث عايشة
رفعته ان الله امرني بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرايض ومنها مصابرة العدو
وان كثر عددهم ومنها تغيير المذكر اذا راه لكن قد يقال كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه
فيقال المراد انه لا يسقط عنه صلى الله عليه وسلم بالخوف بخلاف غيره ومنها قضاء
دين من مات مسلما معسرا وروى مسلم حديث انا اولى بالمومنين من انفسهم فمن
توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته قال النووي كان هذا القضاء
واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وقيل تبرع منه والخلاف وجهان لاصحابنا
وغيرهم قال ومعنى هذا الحديث انه عليه السلام قال انا قايم بمصالحكم في حياة احدكم
او موته وانا وليه في الحالين فان كان عليه دين قضيته من عندي ان لم يخلف
وفاء وان كان له مال فلورثته لا اخذ منه شيئا وان خلف عيالا محتاجين ضايعين
فليأتوا الي فعلي نفقتهم ومؤونتهم انتهى وفي وجوب قضائه على الامام من المصالح

وجهان

وجهان لكن قال الامام من استدان وبقي معسرا الى ان مات لم يقض دينه من بيت
المال فان كان ظلم بالمطل ففيه احتمال والاولى لا والله اعلم ومنها تخيير نسائه
في فراقه وامساكهن بعد ان اخترنه في احد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل
بهن مكافاة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليه السلام عليهن قال الله تعالى يا ايها
النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها
الاية واختلف في تخييره لهن على قولين احدهما انه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن
او اختيار الاخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق وهذا قول الحسن وقتادة والثاني
انه خيرهن بين الطلاق والمقام معه وهذا قول عايشة ومجاهد والشعبي ومقاتل واختلفوا
في السبب الذي لاجله خير صلى الله عليه وسلم نساءه على الاقوال احدها ان الله تعالى
خيره بين ملك الدنيا ونعيم الاخرة على الدنيا فاختار الاخرة وقال اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فلما اختار ذلك امره الله بتخيير نسائه ليكن
على مثل اختياره حكاه ابو القاسم لمزي الثاني لانهن تغايرن عليه الثالث لان
ازواجه طالبنه وكان غير مستطيع فكان اولهن ام سلمة سالته سترا معلما فلم
يقدر عليه وسالته ميمونة حلة يمانية وسالته زينب ثوبا مخططا وهو البرد
اليماني وسالته ام حبيبة ثوبا سحوليا وسالته كل واحدة شيئا الا عايشة حكاه
النقاش والرابع ان ازواجه عليه السلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما يريد النساء من الحلي
فانزل الله تعالى اية التخيير حكاه النقاش ايضا وذلك انه لما نصر الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة

والنضير ظن ازواجه انه اختص بنفايس اليهود وذخايرهم فقعدن حوله وقلن يا رسول
الله بنات كسرى وقيصر في الحلى والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والمرة قلبه
لما لبتهن له بتوسعة الحال وان يعاملن بما يعامل به الملوك والاكابر ازواجهم فامره الله
ان يتلو عليهن ما نزل في امرهن لئلا يكون لاحد فيهن منة عليه في الصبر على ما اختاره
من خشونة العيش فلما اخترنه وصبرن معه عوضهن بامرين احدهما ان جعلهن امهات
المؤمنين تعظيما لحقهن وتاكيدا لحرمتهن وتفضيلهن على ساير النسا بقوله لستن كاحد من
النسا والثاني ان حرم عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال الله تعالى لا يحل لك النساء
من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج الاية فكان تحريم طلاقهن مستداما واما تحريم التزوج
عليهن فنسخ قالت عايشة ما مات رسول الله عليه الصلوة والسلام حتى احل له النسا
يعني اللاتي حرمن عليه وقيل الناسخ لتحريمهن قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية قال
النووي في الروضة لما خيرهن فاخترنه كافاهن الله على حسن صنيعهن بالجنة فقال قال
الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما انتهى وانما اختص صلى الله عليه وسلم بوجوب
التخيير لنسائه بين التسريح والامساك لان الجمع بين عدد يوغر صدورهن بالغيرة التي
هي من اعظم الالام وهو ايذاء يكاد ينفر القلب ويوهن الاعتقاد وكذا الزامهن على
الصبر والفقر يؤذيهن ومهما القى زمام الامر اليهن خرج ان يكون ضررا فنزه عن ذلك
منصبه العالي وقيل له يا ايها النبي قل لازواجك ومنها اتمام كل تطوع شرع فيه حكاه
في الروضة واصلها قال النووي وهو ضعيف وفرعه بعضهم على انه كان يحرم عليه ء م

اذا لبس لامته ان ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره في تهذيب الاسما واللغات
ومنها انه كان يلزمه اداء فرض الصلاة بلا خلل قاله الماوردي قال العراقي في شرح
انه كان معصوما عن نقض الفرض انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلاة وقال بعضهم كان
يجب عليه صلى الله عليه وسلم اذا راى ما يعجبه ان يقول لبيك ان العيش عيش الاخرة
ثم قال هذه كلمة صدرت منه صلى الله عليه وسلم في نعم حاله وهو يوم حجه بعرفة
وفي اشد حاله وهو يوم الخندق انتهى ومنها انه كان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي ولا
يسقط عنه الصوم والصلوة وساير الاحكام كما ذكره في زوايد الروضة عن ابن
القاص والقفال كذا ذكره ابن سبيع ومنها انه كان يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين
مرة ذكره ابن القاص ونقله ابن الملقن في الخصايص ورواه مسلم وابو داود من
حديث الاغر المزني بلفظ انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم ماية مرة
هذا لفظ مسلم وقال ابو داود وفي كل يوم قال الشيخ ولي الدين بن العراقي وظاهر
ان الجملة الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين ويدل لذلك
قوله في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله
كل يوم ماية مرة وفي رواية له ايضا فاستغفر الله والفاظ الحديث المختلفة يفسر بعضها
بعضا ويحتمل من حديث اللفظ ان تكون الجملة الثانية كلاما براسه غير متعلقة بما قبله
فيكون عليه الصلاة والسلام اخبر بانه يغان على قلبه وبانه يستغفر الله في اليوم ماية
انتهى وقال ابو عبيد اصل الغين في هذا ما يغشي القلب ويغطيه واصله من غين الما

غين السما وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل
التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس قال القاضي
عياض بعد حكايته ذلك فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات
نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع
اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو و
مصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه
وعبادة خالقه ولكن لما كان ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم
به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه
ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها
غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك قال وهذا اولى
وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله
فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني
على جواز الفترة والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ انتهى وتعقب بانه لا ترضى
نسبته صلى الله عليه وسلم الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفترة عن
التسبيح والمشاهدة ولقوله عليه الصلاة والسلام لست انسى ولكني انسى لاسن فهذه
ليست فترة وانما هي لحكمة مقصودة يثبت بها حكم شرعي فالاولى ان يحمل على ما جعله علة
فيه وهو ما دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل اعباء النبوة

وحمل اثقالها انتهى وقيل الغين شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس قال الحافظ
شيخ الاسلام ابن حجر وهذا اشار اليه الرافعي في اماليه وقال ان والده كان يقرره
وقيل كانت حالة يطلع فيها على احوال امته فيستغفر لهم وقيل هو السكينة التي تغشى
قلبه والاستغفار لاظهار العبودية لله والشكر لما اولاه وقال شيخ الاسلام ابن العراقي
ايضا هذه الجملة حالية اخبر عليه السلام انه يغان على قلبه مع ان حاله الاستغفار في
اليوم مائة مرة وهي حال مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال الاستغفار بل اذا
جاء الاستغفار اذهب ذلك الغين قال وعلى تقدير تعلق احدى الجملتين بالاخرى وان
الثانية مسببة عن الاولى فيحتمل ان يكون هذا الغين تغطية للقلب عن امور الدنيا
وحجابا بينه وبينها فينجمع القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة
للعبودية قال وهذا معنى ما قاله القاضي عياض انتهى ومراده قوله في الشفا وقد
يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا
وملازمة لعبوديته الى اخر كلامه قال الشيخ ابن العراقي وهو عندي كلام حسن
جدا وتكون الجملة الثانية مسببة عن الاولى لا بمعنى انه يسعى بالاستغفار في ازالة الغين
بل بمعنى ان الغين اصل محمود وهو الذي تسبب عنه الاستغفار وترتب عليه وهذا انزه
الاقوال واحسنها لان الغين حينئذ وصف محمود وهو الذي نشأ عنه الاستغفار
وعلى الاول يكون الغين مما يسعى في ازالته بالاستغفار وما ترتب الاشكال وما
السؤال الا على تفسير الغين بذلك واهل اللغة انما فسروا الغين بالغشاء فنحمله على

عشاء بليق بحاله صلى الله عليه وسلم وهو العشاء الذي يصرف القلب ويحجبه عن امور
الدنيا لاسيما وقد رتب على الغشا امرا محمودا وهو الاستغفار فما نشاء هذا الامر الحسن
الا عن حسن انتهى وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى كتابه لطايف المنن ان الشيخ
ابا الشيخ ابا الحسن الشاذلى قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فسالته عن
هذا الحديث انه ليغان على قلبى فقال لى يا مبارك ذلك غين الانوار لا غين الاغيار
القسم الثانى ما اختص به صلى الله عليه وسلم من ما حرم عليه فمنها تحريم الزكاة عليه
وكذا الصدقة على الصحيح المشهور المنصوص قال عليه السلام انا لا ناكل الصدقة
رواه مسلم ومن قال باباحتها له يقول لا يلزم من امتناعه من اكلها تحريمه فلعله
ترك ذلك تنزها مع اباحته له وهذا خلاف ظاهر الحديث قال شيخ الاسلام ابن
العراقى في شرح التقريب وعلى كل حال ففيه ان من خصايصه عليه السلام الامتناع
من اكل الصدقة اما وجوبا واما تنزها انتهى والحكمة فى ذلك صيانة منصبه الشريف
عن اوساخ اموال الناس ومنها تحريم الزكوة على اله وتحريم كون اله عمالا على الزكوة
فى الاصح وكذا تحريم صرف النذر والكفارة اليهم واما صدقة التطوع فتحل لهم
فى الاصح خلافا للمالكية وهو وجه عندنا ومنها انه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم
اكل ما له رايحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجئ الملايكة والوحى على ساعة والاكل متكيا
فى احد الوجهين فيهما والاصح فى الروضة كراهتهما وتعقب السهيلى الاتكاء فقال
قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين وتقدم مزيد لذلك ومنها تحريم الكتابة

والشعر

والشعر وانما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما
والاصح انه كان لا يحسنهما قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك وما علمناه الشعر وما ينبغى له اى ما هو فى طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته
ولا يصلح له واجيب بان المراد تحريم ما وصل اليهما وهل عدم الشعر خاص به عليه السلام
او بنوع الانبيا قال بعضهم هو عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له لانه لا
يظهر فيه للخصوص نكتة وتقدم فى قصة الحديبية البحث فى كونه عليه السلام هل يحسن
الكتابة ام لا ومنها نزع لامته اذا لبسها حتى يقاتل او يحكم الله بينه وبين عدوه ومنها
المن ليستكثر ذكره الرافعى قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر اى لا تعط شيا لتعط
اكثر منه بل اعط لربك واقصد به وجهه فادبه باشرف الاداب قاله اكثر المفسرين
وقال الضحاك ومجاهد هذا كان للنبى خاصة وليس على احد من امته وقال قتادة لا
تعط شيئا لمجازاة الدنيا اى اعط لربك وعن الحسن لا تمنن على الله بعملك فتستكثره وقيل
لا تمنن على الناس بالنبوة فتاخذ عليها اجرا وعوضا من الدنيا ومنها مد العين الى ما
متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به اى استحسانا له وتمنيا
ان يكون لك مثله ازواجا منهم اى اشكالا واشباها من الكفار وهى المزاوجة بين الاشيا
وهى المشاكلة وعن ابن عباس اصنافا منهم فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه
كمال مطلوب بالذات ومنها خاينة الاعين وهى الايماء الى مباح من قتل او ضرب
على خلاف ما يشعر به الحال كما قيل له عليه السلام فى قصة رجل اراد قتله هلا اومات

الينا بقتله فقال ما ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين ولا يحرم ذلك على غيره الا في محظور قاله الرافعي فيما نقله الحجازي في مختصر الروضة ومنها نكاح من لم تهاجر في احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال باعطائها معجلة لا يتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد الاحلال المملوكة بكونها مسبية في قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعني من نساء زهرة اللاتي هاجرن معك اي الى المدينة قالوا والمراد هاجرت كما هاجرت وان لم تكن هجرتها في حال هجرته عليه الصلوة والسلام وظاهره يدل على الهجرة شرط في التحليل وان من لم تهاجر من النساء لم يحل له نكاحها قالت ام هاني خطبني صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذر فعذرني ثم انزل الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك فلم اكن لاحل له فاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وعن بعض المفسرين ان شرط الهجرة في التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه وعن الماوردي قولان احدهما ان الهجرة شرط في احلال كل النساء له عليه الصلاة والسلام من غريبة وقريبة والثاني انها شرط في احلال بنات عمه وعماته المذكورات في الاية وليس شرطا في احلال الاجنبيات وعنه ايضا ان المراد بالمهاجرات المسلمات ومنها تحريم امساك من كرهته قاله الحجازي وغيره ومنها نكاح الكتابية لان

ازواجه امهات المؤمنين وزوجات له في الاخرة ومعه في درجته في الجنة ولانه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة قالوا ولو نكح كتابية لهديت الى الاسلام كرامة له ومنها نكاح الامة المسلمة ولو قدر نكاحه امة كان ولده منها حرا ولا يلزمه قيمته لتعذر الرق قاله القاضي حسين قال ابو عاصم نعم نقله الحجازي ولا يشترط في حقه حينئذ خوف ولا فقد الطول واما التسري بالامة فلا صح الحل لانه استمتع بامته ريحانة قبل ان تسلم وعلى هذا فهل عليه تخييرها بين ان تسلم فيمسكها او تقيم على دينها فيفارقها فيه وجهان احدهما نعم لتكون من زوجاته في الاخرة والثاني لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام فابت لم يزلها عن ملكه واقام على الاستمتاع وقد اسلمت بعد ومنها تحريم الاعارة اذا سمع التكبير ذكره ابن سبع في الخصايص

القسم الثالث

فيما اختص به من المباحات اختص عليه الصلوة والسلام باباحة المكث في المسجد جنبا قاله صاحب التلخيص ومنعه القفال قال النووي وما قاله في التلخيص قد يحتج له بقوله من حديث ابي سعيد الخدري يا علي لا يحل لاحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قال الترمذي حسن غريب وقد يعترض على هذا الحديث بان عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بان الترمذي حكم بانه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه لكن اذا شاركه علي عليه السلام في ذلك لم يكن من الخصايص وقد غلط امام الحرمين وغير صاحب التلخيص في الاباحة واعلم ان معظم المباحات لم يفعلها عليه السلام ومما اختص به ايضا انه لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا وفي اللمس وجهان قال

النووى المذهب الجزم بانتقاضه به واستدل القائلون بالاول بحو حديث عايشة عند
ابى داود ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض ازواجه ثم يصلى ولا يتوضا ورواه النسايى ايضا
وقال ابو داود هو مرسل ابراهيم التيمى لم يسمع من عايشة وقال النساي ليس في
في هذا الباب حديث احسن من هذا الحديث وان كان مرسلا واختص ايضا باباحة الصلوة
بعد العصر فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم واظب عليهما
ذكره الحجازى وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه كما ذكره فى شرح المهذب
وعبارته كان من خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة وبالصلوة
على الغايب عند ابى حنيفة وبالقبلة مع قوة الشهوة روى البخاري من حديث عايشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو وكان املككم لاربه وقال الحافظ ابن حجر فاشارت
بذلك الى ان الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من لم يامن الوقوع فيما يحرم قال وفي
رواية حماد عند النساى قال الاسود قلت لعايشة ايباشر الصايم قالت لا قلت اليس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صايم قالت انه كان املككم لاربه قال وظاهر انها اعتقدت
خصوصية النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قاله القرطبى قال وهو اجتهاد منها ويدل على انها لا ترى
بحرمتها ولا بكونها من الخصايص ما رواه مالك في الموطاة ان عايشة بنت طلحة كانت عند عايشة
فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن ابى بكر فقالت له عايشة ما يمنعك
ان تدنو من اهلك فتلاعبها وتقبلها قال اقبلها وانا صايم قالت نعم واختص ايضا باباحة
الوصال فى الصوم كما سياتى وقال امام الحرمين هو قربة فى حقه عليه السلام وان

ياخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج ويجب على صاحبهما
البذل ويفدي بمهجته مهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى النبى اولى بالمومنين من انفسهم
ولو قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل نفسه دونه صلى الله عليه وسلم كما وقاه طلحة بنفسه يوم احد
وباباحة النظر الى الاجنبيات وسياتى فى القسم الرابع ان شاء الله تعالى حكم غيره صلى الله عليه وسلم
واختص ايضا بجواز الخلوة بهن قال فى فتح البارى وضح لنا بالادلة القوية ان من خصايصه
صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها ويدل له قصة ام حرام بنت
ملحان فى دخوله عليها ونومه عندها وتفليتها راسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية
انتهى ومنها نكاح اكثر من اربع نسوة وكذلك الانبيا وفى الزيادة لنبينا على التسع خلاف
ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المراة قال تعالى وامراة مومنة ان وهبت نفسها
للنبى واما من جهته صلى الله عليه وسلم فلا بد من الانكاح او التزويج على الاصح فى اصل الروضة وحكا
الرافعى عن ترجيح الشيخ ابى حامد لظاهر قوله وامراة مومنة تعالى ان اراد النبى ان يستنكحها
قال البيضاوى فى قوله وامراة مومنة الاية اى علمنا لك حل امراة مومنة تهب لك نفسها
ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف فى ذلك والقايل به ذكرها ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قال وقرى
ان بالفتح اى لان وهبت ومدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا قال وقوله ان
اراد النبى ان يستنكحها شرط للشرط الاول فى استيجاب الحل فان فان وهبتها نفسها منه
لا يوجب له الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب

الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه
مما خص به لشرف نبوته وتقرير استحقاقه الكرامة لاجله انتهى وقال المعافا وفي معنى خالصة
ثلثة اقوال احدها ان المرأة اذا وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين
قاله انس بن مالك وابن المسيب والثاني ان له ان ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره قاله
قتادة والثالث خالصة لك ان تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين قال وهذا
قول الشافعي واحمد وعن ابي حنيفة ينعقد النكاح بلفظ الهبة لغيره عم ايضا وكذا يجوز له عم
النكاح بلا مهر ابتدا وانتهاء كما تقدم ان المرأة اذا وهبت نفسها له عليه السلام لا يلزمه
صداقها قال النووي اذا وهبت امرأة نفسها له عليه السلام فتزوجها بلا مهر حل له ذلك
ولا يجب عليه بعدها مهرها بالدخول ولا بغير ذلك بخلاف غيره فانه لا يخلو نكاحه من
وجوب مهر اما مسمى واما مهر المثل والله اعلم وكذا يجوز له النكاح في حال الاحرام قال
النووي في شرح مسلم قال جماعة من اصحابنا انه عم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو
مما خص به دون الامة قال وهذا اصح الوجهين عند اصحابنا انتهى وكذا يجوز له النكاح بغير
رضى المرأة فلو رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره خطبتها او مزوجة
وجب على زوجها طلاقها قال الغزالي ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليف
النزول عن اهله فانه عم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده و
الناس اجمعين انتهى ويدل لهذه الخصيصة قصة زينب بنت جحش بنت عمته عم اميمة بنت
عبد المطلب المنصوص عليها بقوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بنعمة الاسلام

وهي اجل النعم وانعمت عليه اي بالاعتاق اي بتوفيق الله لك وهو زيد بن حارثة الكلبي وكان
من سبي الجاهلية فملكه رسول الله قبل البعثة واعتقه وتبناه وخطب له زينب فابت هي واخوها
عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية وكان الرجل في الجاهلية
وصدر من الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس به ويرث ميراثه ويحرم عليه زوجته
فنسخ الله تعالى تبني بقوله ادعوهم لابائهم وبهذه القصة ليثبت بالقول والفعل فاوحى الله
تعالى اليه ان زيدا سيطلقها وانه صلى الله عليه وسلم يتزوجها والقى في قلب زيد كراهتها
فاراد فراقها فاتى رسول الله فقال اني اريد ان فارق صاحبتي قال ما لك ارابك منها
شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني
بلسانها فقال صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله اي في امرها
فلا تطلقها ضرارا وتعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم يبق له فيها حاجة وطلقها
وانقضت عدتها زوجها الله تعالى له كما قال تعالى زوجناكها والمعنى انه امره بتزوجها
منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت يقول لسائر نسائه رسول الله
ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل ان زيدا كان السفير للتزويج
وفي ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه وقد علل تعالى تزويجه
اياها بقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اي في ان يتزوجوا زوجات
من كانوا يتبنونه اذا فارقوهن وان هؤلاء الزوجات لسن داخلات فيما حرم في قوله
وحلائل ابنائكم واما قوله وتخفي في نفسك فمعناه علمك انه سيطلقها فعاتبه الله تعالى

علي هذا القدر في شيء اباحه له بان قال امسك مع علمه انه يطلق وهذا مروي عن علي بن
الحسين وعليه اهل التحقيق من المفسرين كالزهري في ارجاف المنافقين في تزوج نساء
الابناء والنبي ءم في الحركات والسكنات ولبعض المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب
النبوة وقيل قوله واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه خطاب من الله تعالى
او من الرسول ءم لزيد فانه اخفى الميل اليها واظهر الرغبة عنها لما توهم ان رسول الله
يريد ان تكون من نسائه قال جار الله وكم من شيء مباح يتحفظ الانسان منه ويستحيي
من اطلاع الناس عليه فطموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة وغيرها غير
موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا
وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليها اليه ولم يكن
مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها
ان ينكحها اخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل
منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجري فاذا كان الامر مباحا
من جميع جهاته لم تكن فيه وجه من وجوه القبح انتهى وكذا يجوز له عليه السلام النكاح
بلا ولي ولا شهود قال النووي المشهور الصحيح عند اصحابنا صحة نكاحه ءم بلا ولي
ولا شهود لعدم الحاجة الى ذلك في حقه ءم وهذا الخلاف في غير زينب اما
زينب فمنصوص عليها والله اعلم قال العلماء انما اعتبر الولي للمحافظة على الكفاءة
وهو ءم فوق الاكفاء وانما اعتبر الشهود لامن الجحود وهو عليه الصلاة والسلام

لا

لايجحد ولو جحدت هي لم يرجع الى قولها بل قال العراقي في شرح تكون كافرة بتكذيبه وكان
له ءم تزويج المراة ممن شاء بغير اذن وليها وله اجبار الصغيرة من غير بناته وزوجه الله
تعالى بزينب فدخل عليها بتزويج الله له بغير عقد من نفسه وعبر في الروضة عن هذا بقو
وكانت المراة تحل له بتحليل الله تعالى ومنها انه اعتق امته صفية وجعل عتقها صداقها
وقد اختلف في معناه فقيل انه اعتقها بشرط ان يتزوجها فوجب له عليها قيمتها و
كانت معلومة فتزوجها بها ويؤيده قوله في رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت انسا
قال سبى رسول الله ءم صفية فاعتقها وتزوجها فقال ثابت لانس ما اصدقها قال
نفسها فاعتقها هكذا اخرجه البخاري في المغازي وفي رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز
عن انس في حديث قال وصارت صفية لرسول الله ءم ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها
قال عبد العزيز لثابت يا ابا محمد انت سالت انسا ما امهرها قال امهرها نفسها فتبسم
فهو ظاهر جدا في ان المجعول مهرا هو نفس العتق والتاويل الاول لا باس به فانه لا منافاة
بينه وبين القواعد حتى لو كانت القيمة مجهولة فان في صحة العقد بالشرط المذكور وجها
عند الشافعية وقال اخرون قوله اعتقها وتزوجها معناه اعتقها ثم تزوجها
فلما لم يعلم انه ساق لها صداقا قال اصدقها نفسها اي لم يصدقها شيئا فيما اعلم
ولم ينف اصل الصداق ومن ثم قال ابو الطيب الطبري من الشافعية وابن المرابط
من المالكية ومن تبعهما انه قول انس قاله ظنا من قبل نفسه ولم يرفعه ويعارضه ما اخرجه
الطبراني وابو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت اعتقني النبي صلى الله عليه وسلم

وجعل عتقي صداقي وهذا موافق لحديث انس وفيه رد على من قال ان انسا قال ذلك
بناء على ظنه ويحتمل ان يكون اعتقها بشرط ان ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك
وهذا خاص بالنبي صلعم دون غيره ويحتمل انه اعتقها بغير عوض وتزوجها بغير مهر
في الحال ولا في المآل قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل الصداق وان لم يكن
صداقا قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له قال وهذا الوجه اصح الاوجه واقرب
بها الى لفظ الحديث وتبعه النووي في الروضة وممن جزم بان ذلك كان من الخصائص
يحيى بن اكثم فيما اخرجه البيهقي قال وكذا نقله المزني عن الشافعي قال وموضع الخصوصية
انه اعتقها مطلقا وتزوجها بغير مهر ولا شهود وهذا بخلاف غيره انتهى وقال النووي
في شرح مسلم الصحيح ان الذي اختاره المحققون انه اعتقها تبرعا بلا عوض ولا شرط
ثم تزوجها برضاها من غير صداق والله اعلم قاله شيخ الحفاظ ابن حجر واختلف
في انحصار طلاقه صلى الله عليه وسلم في الثلاث وعلى الحصر قيل تحل له من غير
محلل ابدا وكان له نكاح المعتدة في احد الوجهين قال النووي الصواب القطع بامتناع
نكاح المعتدة من غيره والله اعلم وفي وجوب نفقة زوجاته وجهان قال النووي
الصحيح الوجوب انتهى ولا يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من اهل العلم وبه
جزم الاصطخري من الشافعية والمشهور عندهم وعند الاكثرين الوجوب وفي
حل الجمع له بين المراة وعمتها وخالتها وجهان لا اختها وامها وبنتها قالوا ومرجع
غالب هذه الخصايص الى ان النكاح في حقه كالتسري في حقنا وكان له عليه السلام

ان

ان يصطفي ما شاء من المغنم قبل القسمة من جارية وغيرها وابيح له القتال بمكة والقتل
بها وجواز دخول مكة بغير احرام مطلقا ذكره ابن القاص واستدلوا له بحديث انس
عند الستة دخل رسول الله صلعم مكة عام الفتح وعلى راسه المغفر وذلك من كونه صلعم
كان مستور الراس بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف راسه وممن صرح جابر والزهري
ومالك بانه لم يكن محرما وابدى ابن دقيق العيد لستر الراس احتمالا فقال يحتمل ان يكون
لعذر انتهى قال وهذا وتعقبه الشيخ ولي الدين ابن العراقي فقال هذا يرده تصريح
جابر وغيره قال وهذا الاستدلال في غير موضع الخلاف المشهور لانه صلعم كان خا يفا
من القتال متاهبا ومن كان كذلك فله الدخول عندنا بلا احرام بلا خلاف عندنا
ولا عند احد نعلمه وقد استشكل النووي في شرح المهذب ذلك لان مذهب
الشافعي ان مكة فتحت صلحا خلافا لابي حنيفة انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف
ثم اجاب عنه بانه عليه السلام صالح ابا سفيان وكان لا يامن غدر اهل مكة فدخلها
صلحا وهو متاهب للقتال ان غدروا انتهى وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث
في قصة فتحها من المقصد الاول ثم ان غيره عليه السلام اذا لم يكن خايفا فقال
اصحابنا ان لم يكن ممن يتكرر دخوله ففي وجوب الاحرام عليه قولان اصحهما عند اكثرهم
انه لا يجب وقطع به بعضهم فان تكرر دخوله كالحطابين ونحوهم ففيه خلاف مرتب
واولى بعدم الوجوب وهو على المذهب وقال الحنابلة بوجوب الاحرام الا على الخائف
واصحاب الحاجات المتكررة واوجبه المالكية في المشهور عندهم على غير ذوي الحاجات

المتكررة واوجبه الحنفية مطلقا الا من كان داخل الميقات وقد تحرر ان المشهور
من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا ومن مذاهب الائمة الثلاثة الوجوب
الا فيما يستثنى ومن خصايصه عليه السلام انه كان يقضي بعلمه من غير خلاف وان
يقضي لنفسه او لولده ولا تكره له الفتوى والقضا في حال الغضب كما ذكره النووي
في شرح مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد ان غضبه خصم الزبير لعصمته
فلا يقول في الغضب الا كما يقول في الرضى وكان له ان يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة
وليس لنا ان نصلي الا على نبي او ملك وكان ان يقتل بعد الامان وان يلعن من شاء
بغير سبب واستبعد ذلك وجعل الله تعالى شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون
لدعائه م قاله ابن القاص وردوه عليه حكاه الحجازي في مختصر الروضة عن نقل
الرافعي وكان يقطع الاراضي قبل فتحها لان الله ملكه الارض كلها وافتى الغزالي
بكفر من عارض اولاد تميم الداري فيما اقطعهم وقال انه صلى الله عليه وسلم
كان يقطع ارض الجنة فارض الدنيا اولى القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه
وسلم من الفضايل والكرامات منها انه اول النبيين خلقا كما تقرر في اول هذا
الكتاب وانه كان نبيا وادم بين الروح والجسد رواه الترمذي من حديث ابي
هريرة ومنها انه اول من اخذ عليه الميثاق كما مر ومنها انه اول من قال بلى يوم الست
بربكم رواه ابو سهل القطان في جزء من اماليه ومنها ان ادم وجميع المخلوقات خلقوا
لاجله رواه البيهقي وغيره ومنها ان الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء

وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر عن كعب الاخبار ومنها ان الله تعالى اخذ الميثاق
على النبيين ادم فمن بعده ان يؤمنوا به وينصروه وقال تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال علي
بن ابي طالب لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد عليه السلام
لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ومنها انه وقع
التبشير به في الكتب السالفة كما سيأتي ان شاء الله تعالى ومنها انه لم يقع في نسبه من لدن
ادم سفاح رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلايل ومنها انه نكست
الاصنام لمولده رواه الخرايطي في الهواتف وغيره ومنها انه ولد مختونا مقطوع السرة
رواه الطبراني وتقدم ما فيه من البحث في اول الكتاب ومنها انه خرج نظيفا وما به قذر
رواه ابن سعد ومنها انه وقع الى الارض ساجدا رافعا اصبعه كالمتضرع المبتهل رواه ابو نعيم
من حديث ابن عباس ورات امه عند ولادته نورا خرج منها اضاء له قصور الشام
وكذلك ترى امهات الانبياء رواه الامام احمد وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة
كما ذكره ابن سبع في الخصايص وكان القمر يحدثه وهو في مهده ويميل حيث اشار اليه ذكره
ابن طغربك في النطق المفهوم وغيره وتكلم في المهد رواه الواقدي وابن سبع وظللته
الغمامة في الحر رواه ابو نعيم ومال اليه فيء الشجرة اذ سبق اليه رواه البيهقي ومنها شق
صدره الشريف رواه مسلم وغطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات عده هذه
بعضهم من خصايصه عليه السلام كما نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن احد من الانبيا

انه جرى له عند ابتداء الوحى ومنها ان الله تعالى ذكره فى القرآن عضواً عضواً فقلبه بقوله
ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله نزل به الروح الامين على قلبك ولسانه بقوله وما ينطق
عن الهوى وقوله فانما يسرناه بلسانك وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى ووجهه
بقوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء ويده وعنقه ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
وظهره وصدره بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض
واشتق اسماً من اسم المحمود ويشهد له ما اخرجه البخارى فى تاريخه الصغير من طريق
على بن زيد قال كان ابو طالب يقول وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود و
هذا محمد وهو مشهور لحسان بن ثابت وسمى احمد ولم يسم به احد قبله رواه
مسلم ولاحمد من حديث على اعطيت اربعاً لم يعطهن احد قبلى وذكر منها وسميت احمد
ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان يبيت جايعاً ويصبح طاعماً يطعمه ربه ويسقيه من الجنة
كما سياتى البحث فيه ان شاء الله تعالى فى صيامه ومن مقصد عباداته وكان يرى
يرى من خلفه كما يرى امامه رواه مسلم ويرى فى الليل وفى الظلمة كما يرى
بالنهار والضوء رواه البيهقى وكان ريقه يعذب الماء الملح رواه ابو نعيم ويجزى الرضيع
رواه البيهقى ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى فى الصخر غاصت قدماه فيه
كما هو مشهور قديماً وحديثاً على الالسنة ونطق به الشعراء فى منظومهم والبلغاء
فى منثورهم مع اعتضاده بوجود اثر قدمى الخليل ابراهيم عليه افضل الصلوات والتسليم
فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم البالغ

تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر القايل فيه ابو طالب وموطئ ابراهيم فى الصخر رطبه
على قدميه حافيا غير ناعل ومما فى البخارى من حديث ابى هريرة مرفوعاً من معجزة
تاثير ضرب موسى فى الحجر ستا او سبعاً اذ فر بثوبه لما اغتسل اذ ما خص نبى بشىء من المعجزات
والكرامات الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثله كما نصوا عليه مع ما يؤيد ذلك
وهو وجود اثر حافر بغلته الشريفة على ما قيل فى مسجد بطيبة حتى عرف المسجد بها
بحيث يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سره السارى فيها ليكون ذلك اقوى
فى الآية واوضح فى الدلالة على آيته عليه السلام هذه الآية التى اوتيها الخليل
فى حجر المقام على وجه اعلا منه بل قال الزبير بن بكار فيما نقله المجد الشيرازى فى المغانم
المطابة بعد ذكره لاثر حافر البغلة ومسجدها وفى غربى هذا المسجد المذكور اثر كانه اثر
مرفق يذكر انه عليه السلام اتكأ عليه ووضع مرفقه عليه وعلى حجر اخر اثر الاصابع
ولله در الابوصيرى حيث قال ——————
وكان ابطه عليه السلام لا شعر عليه قاله القرطبى وكان ابيض غير متغير اللون
كما ذكره الطبرى وغيره فى الخصايص وذكر بعض الشافعية لحديث انس المتفق
عليه انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه فى الاستسقاء حتى يرى بياض
ابطيه وقال الشيخ جمال الدين الاسنوى فى المهمات ان بياض الابط كان من
خواصه انتهى قال فى شرح تقريب الاسانيد وما ادعاه من كون هذا من الخصايص
فيه نظر اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل يرد ذلك فى شىء من الكتب المعتمدة والخصوص

لايثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر فان الشعر
اذا نتف بقي المكان ابيض وان كان فيه اثار الشعر ولذلك ورد في حديث عبد الله بن
اقوم الخزاعي انه صلى مع رسول الله قال كنت انظر الى عفرة ابطيه اذا سجد خرجه الترمذي
وحسنه والنسائي وابن ماجة وقد ذكر الهروي في الغريبين وابن الاثير في النهاية ان
العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل على ان اثار الشعر
هو الذي جعل المكان اعفر والا فلو كان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن اعفر نعم الذي
يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن لابطيه رايحة كريهة بل كان نظيفا طيب
الرايحة كما ثبت في الصحيح وكان عليه السلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت
ولا سمعه وكان تنام عينه ولا تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري وما تثائب
قط كما رواه ابن ابي شيبة والبخاري في تاريخه من مرسل يزيد بن الاصم قال ما تثائب
النبي صلى الله عليه وسلم واخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال
ما تثائب نبي قط ويؤيد ذلك ان التثاب من الشيطان رواه البخاري وما احتلم قط
وكذا الانبياء رواه الطبراني وكان عرقه اطيب من المسك رواه ابو نعيم وغيره
واذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقي ولم يقع له ظل على الارض ولا رئي له ظل
ولا قمر ويشهد له انه عليه السلام لما سال الله ان يجعل في جميع اعضائه وجهاته نورا
ختم بقوله واجعلني نورا وكان صلى الله عليه وسلم لا يقع على ثيابه ذباب قط
نقله فخر الرازي قال ولا يمتص دمه البعوض كذا نقلهما الحجازي وغيره وما اذا

القتل

القتل قاله ابن سبع في الشفا والسبتي في اغضب الموارد ومنها انقطاع الكهنة عند مبعثه
وحراسة السما من استراق السمع والرمي بالشهب قال ابن عباس كانت الشياطين
لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما
ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات
كلها فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطي ابدا
فمنهم من يقتله ومنهم تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري
وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر
في مبدا امره وكان ذلك اساسا لنبوته وقال معمر قلت للزهري كان يرمى بالنجوم في الجاهلية
قال نعم قلت افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها الاية قال غلظت وشدد امرها حين
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة
الحراسة بعد مبعثه وقيل ان النجم كان ينقض ويرمي الشيطان ثم يعود الى مكانه ذكره
البغوي ومنها انه اتي بالبراق ليلة الاسراء ملجما قيل وكانت الانبياء انما تركبه عريانا
ومنها انه اسري به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى
المحل الاعلى ورواه من اياته الكبرى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
واحضر الانبيا له وصلى بهم وبالملائكة اماما واطلعه على الجنة والنار عزيت هذه
للبيهقي ومنها انه راى الله تعالى بعينه كما يأتي ذلك في مقصد الاسراء ان شاء الله تعالى
وجمع الله تعالى له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى في الرفيع الاعلى وكلم موسى بالجبل

ومنها ان الملايكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره و قاتلت معه كسامر في غزوة

بدر وحنين ومنها انه يجب علينا ان نصلي ونسلم عليه لاية ان الله وملائكته

يصلون على النبي ولم يقل على الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان يصلوا على انبيائهم

ومنها انه اوتي الكتاب العزيز وهو امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بالمدارسة

ومنها حفظ كتابه هذا من التبديل والتحريف حتى سعى كثير من الملحدة والمعطلة لا سيما

القرامطة في تغييره و تبديل محكمه فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة

من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه قال الله تعالى لا ياتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه الاية وكتابه تشتمل على ما اشتمل جميع الكتب

جامعا لاخبار القرون السالفة والامم البايدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم

منه القصة الواحدة الا الفذ من اخبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعليم ذلك

ويسر تعالى حفظه لتعلميه وقربه على متحفظيه كما قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر

وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم

والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها انه نزل على سبعة احرف

تسهيلا علينا وتيسيرا وشرفا ورحمة وخصوصية لفضلنا ومنها كون اية باقية

لا تعدم ما بقيت الدنيا ومنها انه تعالى تكفل بحفظه فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا

له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى في صفة القران

لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا

فيه اختلافا كثيرا فان قلت هذه الاية تنفي الاختلاف فيه وحديث انزل القران على سبعة

احرف المروي عن عمر في البخاري يثبته اجاب الجعبري في اول شرحه للشاطبية بان المثبت

اختلاف تغاير والمنفي اختلاف تناقض ومورد هما مختلف انتهى فان قلت فلما اشتغلت

الصحابة بجمع القران في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا

خوف عليه فالجواب كما قال الرازي ان جمعهم للقران كان من اسباب حفظ الله تعالى

اياه فانه تعالى لما اراد حفظه قيضهم لذلك قال وقال اصحابنا وفي هذه الاية دلالة

قوية على البسملة اية من اول كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القران والحفظ لا

معنى له الا ان يبقى مصونا عن التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة

انهم زادوا لوجب ايضا ان يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القران عن كونه حجة

واختلف كيف يحفظ القران فقال بعضهم بان يجعله معجزا مباينا لكلام البشر يعجز

الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا منه تغير نظم القران

فيظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القران وقال اخرون اعجز الخلق عن ابطاله وافساده بل

قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما بين الخلق الى اخر بقاء التكليف وقال اخرون

المراد بالحفظ هو ان احدا لو حاول ان يغيره بحرف ونقطة لقال له اهل الدنيا هذا كذاب

حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم اخطات ايها

الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الكتاب فانه لا كتاب الا وقد دخله

التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله تعالى هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف

معان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده وانقضى الان ثمانية
وتسعون ستة وثمان مائة سنة وهو بحمد الله فى زيادة من الحفظ انه عليه السلام خص
باية الكرسى وبالمفصل وبالمثانى وبالسبع الطوال كما فى حديث ابن عباس بلفظ واعطيت
خواتيم سورة البقرة من كنوز العرش وخصصت به دون الانبياء واعطيت المثانى مكان
التورية والمبين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل رواه ابو
فى الدلايل وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم وفى البخارى من
حديث ابى هريرة عنه ع ام القران هى السبع المثانى والقران العظيم سايره واختلفوا
لم سميت مثانى فعن الحسن وابن عباس وقتادة لانها تثنى فى الصلوة فتقرا فى كل
صلاة وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعا
كما فى حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة
بينى وبين عبدى نصفين وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وعن
لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فما اعطاها غيرهم وعن سعيد بن
جبير عن ابن عباس ان السبع المثانى هى السبع الطوال اولها سورة البقرة واخرها
سورة الانفال مع التوبة وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال قال ابن عباس
وانما سميت السبع الطوال مثانى لان الفرايض والحدود والامثال والخبر والعبر
ثنيت فيها وقال طاوس القران كله مثانى قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثانى وسمى القران مثانى لان القصص ثنيت فيه والله اعلم ومنها انه اعطى

مفاتيح

مفاتيح الخزاين قال بعضهم وهى خزاين اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم
فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهى لا يعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم
الذى بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو واعطى هذا السيد
الكريم منزلة الاختصاص لا تنفذ فالكلمة منه كلمات ولما علم جوامع الكلم اعطى
الاعجاز بالقران الذى هو كلام الله تعالى وهو المترجم عن الله فوقع الاعجاز فى الترجمة
التى هى له فان المعانى المجردة عن المواد لا يتصور الاعجاز بها وانما الاعجاز ربط هذه
المعانى بصور الكلم القايم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره ومنها انه بعث
الى الناس كافة قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم قال تعالى الم نجعل الارض
كفاتا اى تضم الاحيا على ظهرها والاموات فى بطنها كذلك ضمت شريعته صلى الله
جميع الناس فلا يسمع احد به الا لزمه الايمان به ولما سمع الجن القران يتلى قالوا يا قومنا
اجيبوا داعى الله وامنوا به الاية فضمت شريعته الانس وعمت رحمته التى ارسل بها
العالم قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته
وانما ذلك من جهة القابل فهو كالنور الشمسى فاض شعاعه على الارض فمن استتر عنه
فى كن او ظل جدار فهو الذى لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه فلم ينسب الى
الشمس من ذلك منع انتهى فان قلت ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان
فانه لم يبق الا من كان مومنا معه وقد كان مرسلا اليه وقد جاء فى حديث جابر وغيره
وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود وفى رواية الى الناس

كافة واجاب الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى بان هذا العموم الذى حصل لنوح ع م لم يكن
فى اصل بعثه وانما اتفق بالحادث الذى وقع وهو انحصار فى الموجودين بعد هلاك
سائر الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت
اختصاصه بذلك واما قول اهل الموقف لنوح كما صح فى حديث الشفاعة انت اول رسول
الى اهل الارض فليس المراد به عموم بعثة بل اثبات اول رساله وعلى تقدير ان يكون مرادا
فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى فى عدة ايات على ان ارسال نوح كان الى قومه و
لم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل لبعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من فى
الارض فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا لما اهلكوا لقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون
غيره ارسل اليهم فى اثناء مدة نوح وعلم نوح بانهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن من
قومه وغيرهم وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه نبى فى زمن نوح غيره ويحتمل ان يكون
معنى الخصوصية لنبينا ع م فى ذلك بقاء شريعته الى يوم القيمة ونوح وغيره
بصدد ان يبعث نبى فى زمانه او بعده فينسخ بعض شريعته انتهى واما قول بعض اليهود
ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى العرب خاصة ففاسد جواب اما والدليل
عليه انهم اى اليهود سلموا انه رسول صادق الى العرب فوجب ان يكون كل ما يقوله
حقا وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعى انه رسول الى كل الناس فلو كذبوه فيه لزم التناقض
اشار اليه صاحب المغانم ومنها نصره صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر والشهر

قدر

قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو اسرع قاطع لعموم رعبه فى قلوب اعدائه
فلا يقبل الرعب الا عد ومقصود ليتميز السعيد من الشقى ومفهوم هذا انه لم يوجد
لغيره النصر بالرعب فى هذه المدة و فى اكثر منها اما دونها فلا لكن لفظ رواية عمرو
بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر والظاهر اختصا
صه مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه السلام وبين احد من اعدائه
اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر
وهل هى حاصلة لامته من بعده فيه احتمال ومنها احلال الغنايم ولم تحل لاحد قبله
وقد كان من تقدم على ضربين ومنهم من لم يؤذن له فى الجهاد فلم يكن له مغانم
ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيئا لم يحل لهم ان ياكلوه وجاءت نار فاحرقته
قال بعضهم اعطى صلى الله عليه وسلم ما بوا فوق شهوة امته لان النفوس لها التذاذ
بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا يريدون ان يفوتهم التنعم
بها فى مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب ومنها جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا
فالمراد موضع سجود اى لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون مجازا
عن المكان المبنى للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة فى جميعها كان
كالمسجد فى ذلك وقيل المراد جعلت الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيرى مسجدا
ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح فى الارض ويصلى حيث ادركته الصلاة قاله
ابن التين ومن قبله الداودى وقيل انما ابيح لهم فى موضع يتيقنون طهارته بخلاف

هذه الامة فابيح لها في جميع الارض الا فيما يتيقنوا نجاسته والاظهر ما قاله الخطابي
وهو ان من قبله انما ابيحت لهم الصلوات في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويويده
رواية عمرو بن شعيب بلفظ وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنايسهم وهذا
نص في موضع النزاع فيثبت الخصوصية ويويده ما رواه البزار من حديث ابن عباس
نحو حديث جابر وفيه ولم يكن من الانبياء احد يصلي حتى يبلغ محرابه قاله في فتح الباري
ومنها ان معجزته عليه السلام مستمرة الى يوم القيمة ومعجزات ساير الانبيا انقرضت لو قتها
فلم يبق الا خبرها والقران العظيم لم تنزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة ومنها انه
اكثر الانبيا معجزة قال القاضي عياض اما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز واقل ما
يقع الاعجاز فيه عند ايمة بعض المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين
قال القاضي والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى قل فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما
تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من
الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات
انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزاء القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر
ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته
وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا
الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار عن اشيا من الغيب كل جزء منها بنفسه

معجز

معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف
هذا في حق القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه انتهى ومن ذلك
انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين اصابعه ولم يثبت لواحد
من الانبيا مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره وتقدم ما فيه من المباحث ومنها
انه خاتم الانبيا والمرسلين قال عليه السلام مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه الا موضع
لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت
هذه اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين رواه البخاري ومسلم ومنها ان شرعه
موبد الى يوم الدين وناسخ لجميع شرايع النبيين وانه اكثر الانبيا تابعا كما قال عليه السلام
فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة رواه الشيخان من حديث ابي هريرة ومنها انه لو ادرك
الانبيا لوجب عليهم اتباعه كما سياتي تقريره ان شاء الله تعالى ومنها انه ارسل الى الجن
اتفاقا والدليل على ذلك قبل الاجماع الكتاب والسنة قال الله تعالى ليكون للعالمين
نذيرا وقد اجمع المفسرون على دخول الجن في هذه وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه
الا بدليل وان قيل ان الملايكة خارجون من ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة
عند جمهور العلما والاصوليين ولو بطل الاستدلال باكثر الادلة وقال تعالى في الاحقاف
اجيبوا داعي الله فامر بعضهم بعضا باجابته دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته اليهم
الى غير ذلك من الايات واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلعم
قال فضلت على الانبيا بست فذكر منها وارسلت الى الخلق كافة فانه يشمل الجن والانس وحمله

على الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام في اية القران فان قلت ان
قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم وما ارسلناك الا كافة للناس ظاهرا في اختصاص
رسالته عليه السلام بالانس واحتمال غير ذلك عدول عن الظاهر فالجواب ان هذا انما
يمشي على مذهب الدقاق القايل بان مفهوم اللقب حجة والناس من قبيل اللقب فان المسئلة
المترجمة في الاصول بمفهوم اللقب لا تختص باللقب بل الاعلام كلها كذلك ما لم تكن صفة
والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له وهذه الاية ليس فيها اصلا ما يفهم منه انه ليس
رسولا الى غيرهما لا على مذهب الدقاق بل ولا يتم على مذهبه التمسك بهذا المفهوم ايضا
لان الدقاق انما يقول به حيث لم يظهر عرض اخر سواه في تخصيص ذلك الاسم وحيث ظهر
عرض لا يقال بالمفهوم بل يحمل التخصيص على ذلك العرض والعرض في الاية التعميم في جميع الناس
وعدم الرسالة ببعضهم فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم لا على مذهب الدقاق ولا على
مذهب غيره وانما خاطب الناس لانهم الذين تقلب رؤيتهم والخطاب معهم فمقصود اختصاص
الاية خطاب الناس والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم وهذا اذا قلنا ان الناس
لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم فواضح والاختلاف فيه صامبني على الخلاف في
اشتقاق الناس هل هو من النوس وهو الحركة او من الانس ضد الوحشة فاذا قلنا
بالاول اطلق على الفريقين ولكن استعماله في الانس اغلب فحيث اطلق فالمراد به ولد
ادم عليه السلام واذا قلنا بالثاني فلا لانا لا نبصر الجن ولا نانس بهم فدخول
الجن في الاية اما ممتنع واما قليل فلا يحمل عليه وبهذا يتبين ضعف الاستدلال

بها

بها لكنها لا تدل على خلافه واما قول الضحاك ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تع
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم فهو ظاهر الاية لكن لم يقل الضحاك ولا احد غيره
باستمرار ذلك في هذه الملة وانما محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة خاصة واما
في هذه الملة فنبينا عليه السلام هو المرسل اليهم والى غيرهم ولم ينقل احد من
الضحاك ان رسل الجن منهم مطلقا ولا ينبغي ان ينسب اليه ما يخالف الاجماع
على ان الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا من الانس ولم يكن من الجن قط رسول لكن
لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني ادم
اليهم لا رسل الله لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين قاله بعض العلماء ومنها
انه ارسل الى الملائكة في احد القولين ورجحه السبكي قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيرا ولا نزاع ان المراد من العبد هنا محمد عليه السلام
والعالم هو ما سوى الله تعالى فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة
وبطل بذلك قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض لان لفظ العالمين
يتناول جميع المخلوقات فيدل الاية على انه رسول الى جميع الخلق ولو قيل لمدعي خروج
الملائكة من هذا العموم اقم الدليل عليه ربما عجز عنه فانه يحتمل ان يكون من الملائكه
من نذره صلى الله عليه وسلم اما ليلة الاسراء واما غيرها لكن لا يلزم من الانذار
والرسالة اليهم في شيء خاص ان يكون بالشريعة كلها واذا قلنا ان الملائكة هم منهم مرسولا

الجن المتماوية فاذا ركب هذا مع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام الاجماع عليه لزم
عموم الرسالة اليهم لكن القول بان الملائكة من الجن قول شاذ والجمهور على ان العالمين
فى اية الفرقان عام مخصوص بالجن والانس كما فسر بها حديث وارسلت الى الخلق كافة المروي
فى مسلم وصرح الحليمي والبيهقي فى الباب الرابع من شعب الايمان انه عليه السلام لم يرسل
الى الملائكة وفى الباب الخامس عشر نابفكاكهم من شرعه وفى تفسير الامام فخر الدين والبرهان
النسفي حكاية الاجماع فى تفسير آية الفرقان على انه لم يكن رسولا اليهم كما حكاه العلامة الجلال
المحلي والله اعلم وعبارة النسفي ثم انهم قالوا هذه الاية تدل على احكام اولها ان قوله ليكون
للعالمين نذيرا يتناول لجميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا على انه عليه السلام
لم يكن رسولا الى الملائكة بل يكون رسولا الى الجن والانس جميعا وهي عبارة الامام فخر الدين
ايضا وقد تعقب الجلال المحلي العلامة كمال الدين بن ابي شريف فقال اعلم ان البيهقي نقل ذلك
عن الحليمي فانه قال هذا معنى كلام الحليمي وفى قوله هذا اشعار بالتبري من عهدته وبتقدير ان
لا اشعار فيه فلم يصرح بانه مرضي عنده واما الحليمي فانه وان كان من اهل السنة فقد وافق
المعتزلة فى تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وما نقله عنه موافق لقوله بافضلية
فلعله بناه عليه واما ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي للاجماع على انه عليه السلام لم يكن مرسلا
اليهم فقد وقع فى نسخ من تفسير الرازي لكنا بينا بدل اجمعنا على انه قوله اجمعنا ليس صريحا
فى اجماع الامة لان مثل هذه العبارة تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل لو صرح بمنع
فقد قال الامام السبكي فى قوله ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم فى تفسيرها الجن والانس

وقال

وقال بعضهم والملائكة انتهى وبالجملة فالاعتماد على تفسير الرازي والنسفي فى حكاية الاجماع
انفرادا بحكاية امر لا ينهض حجة على طريقة علماء النقل لان مدارك نقل الاجماع من كلام
الائمة وحفاظ الامة كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما فى الاطلاع كالائمة اصحاب
المذاهب المتبوعة ومن يلحق بها فى سعة دائرة الاطلاع والحفظ والاتقان لها من الشهرة
عند علماء النقل ما يغني عن بسط الكلام فيها والاليق بهذه المسالة التوقف عن الخوض
فيها على وجه يتضمن دعوى القطع فى شيء من الجانبين انتهى ومنها انه ارسل رحمة للعالمين
كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال السمرقندي يعني للجن والانس وقيل لجميع
رحمة للمؤمن بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل وقال ابن عباس رحمة للبر
والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد اخر من كذبه الى الموت والقيمة
واما من صدقه فله الرحمة فى الدنيا والاخرة فذاته عليه السلام رحمة تعم المؤمن والكافر
كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة
رواه الدارمي والبيهقي من حديث ابي هريرة وسياتي فى المقصد السادس مزيد لذلك
ان شاء الله الموفق ومنها ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فى القران فقال يا ادم
يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكرياء يا يحيى يا عيسى ولم يخاطب هو فيه الا بيا ايها الرسول
يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر ومنها انه حرم على الامة نداؤه باسمه قال الله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم
بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرات ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله

مع التوقير والتواضع وخفض الصوت وقيل لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضًا
في جواز الاعراض والتساهلة في الاجابة ومنها انه يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وقال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم
كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وروي انه صلى الله عليه وسلم
ما كان يسمع كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته وكان ثابت بن قيس في اذنه وقر وكان
جهوريًا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله
لقد انزلت عليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال
لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة قال انس فكنا ننظر الى رجل من
اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين
بعض الانكشاف وانهزمت طايفة منهم فقاتل حتى قتل ومنها انه يحرم ندائه من وراء
الحجرات قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي
حسن الادب ومراعاة الحشمة ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرًا لهم اي لكان
الصبر خيرًا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
الموجبين للثناء والثواب ومنها انه حبيب الله وجمع له بين المحبة والخلة وسياتي تحقيق ذلك
وما فيه من المباحث في اخر المقصد السابع ان شاء الله تع ومنها انه تعالى اقسم على رسالته
وبحياته وبلده وعصره كما سياتي ذلك في المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها

انه

انه كلم بجميع اصناف الوحي كما نقل عن ابن عبد السلام وسبق تحقيقه في المبعث من المقصد
الاول ومنها ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبي قبله اخرج الطبراني من حديث
ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السما ما هبط
على نبي قبلي ولا يهبط على احد بعدي وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك اليك امرني
ان اخيرك ان شئت نبيًا ملكا فنظرت الى جبريل فاومى الي ان تواضع فلو اني قلت نبيًا
ملكا لسارت الجبال معي ذهبًا ومنها انه سيد ولد ادم رواه مسلم من حديث ابي هريرة
بلفظ انا سيد ولد ادم يوم القيمة وعند الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري انا
انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وانما قال ذلك اخبارًا
عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عنده واعلامًا لامته
ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة
التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها ومنها
انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصايصه انه اخبره الله تعالى بالمغفرة
ولم ينقل انه اخبر احدًا من الانبياء بمثل ذلك ويدل له قولهم في الموقف نفسي نفسي
وقال ابن كثير في تفسيره بهذه الاية يعني اية الفتح لم يشاركه فيها غيره وقد اخرج ابو يعلى
والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدًا على اهل السما وعلى الانبياء
قالوا فيما فضله على اهل السما قال ان الله تعالى قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله

من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال الحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقد كتب له براة قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله قال وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس فارسله
الى الانس والجن ومنها انه اكرم الخلق على الله فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملائكة
المقربين وسياتي الجواب عن قوله عليه السلام في حديث ابن عباس عند مسلم ما ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونحو ذلك في المقصد السادس ان شاء الله تعالى
ومنها اسلام قرينه رواه مسلم من حديث ابن مسعود والبزار من حديث ابن عباس
ومنها انه لا يجوز عليه الخطا كما ذكره ابن ابي هريرة والماوردي وقال قوم ولا النسيان
حكاه النووي في شرح مسلم ومنها ان الميت يسال عنه عليه الصلوة والسلام في قبره
فعن عايشة ان رسول الله صلعم قال اما فتنة القبر فبي يفتنون وعني يسالون فاذا كان
الرجل الصالح اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث
رواه احمد والبيهقي ومنها انه حرم نكاح ازواجه من بعده قال تعالى وازواجه
امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولانهن ازواج له في الاخرة وهذا في غير المخيرات فمن اختارت منهن الدنيا ففي حلها
للازواج طريقان احدهما طرد الخلاف والثاني القطع بالحل واختاره الامام الغزالي
وازواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره ابدا وفي جواز النظر وجهان اشهرهما المنع و
يثبت لهن حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة و

النفقة

النفقة والميراث ولا يتعدي ذلك الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات المومنين على
الاصح وقيل انما حرمن لانه عليه السلام حي في قبره ولهذا حكى الماوردي انه لا يجب عليهن
عدة الوفاء وفي الذي فارقها في الحياة كالمستعيذة والتي راى بكشحها بياضا اوجه
احدها يحرمن ايضا وهو الذي نص عليه الشافعي وصححه في الروضة لعموم الاية وليس المراد
بمن بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح وقيل لا والثالث وصححه امام الحرمين والرافعي في الصغير
تحريم المدخول بها فقط لما روي ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمن عمر فهم
برجمه فاخبر انها لم تكن مدخولا بها فكف وفي امة فارقها بعد وطيها اوجه ثالثها
تحرم ان فارقها بالموت كمارية ولا يحرم ان باعها في الحياة انتهى ومنها انه يجوز ان
يقسم على الله وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصورا على
النبي صلى الله عليه وسلم لانه سيد ولد ادم وان لا يقسم على الله بغيره من الملائكة
والاوليا لانهم في درجته وان يكون هذا مما خص به لعلو درجته ومرتبته انتهى
ومنها انه يحرم روية اشخاص ازواجه في الازر وكذا كشف وجوههن واكفهن لشهادة
او غيرها كما صرح به القاضي عياض وعبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض
عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها
ولا اظهار شخوصهن وان كن مستترات الا ما دعت اليه ضرورة من براز ثم استدل
بما في الموطا ان حفصة لما توفي عمر سترها النسا ان يرى شخصها وان زينب بنت جحش
جعلت لها القبة فوق نعشها لتستر شخصها انتهى قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره

دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن فقد كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن وكان الصحابة ومن
بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الابدان لا الاشخاص انتهى والله اعلم
واما حكم نظر غير ازواجه عليه السلام ففي الروضة واصلها عن الاكثرين جواز النظر الى
وجه حرة كبيرة اجنبية وكفيها اذا لم يخف فتنة مع الكراهة وقوة كلام الشيخين
الرافعي والنووي يقتضي رجحانه وصوبه في المهمات لتصريح الرافعي في الشرح بان الاكثرين
عليه لكن نقل ابن العراقي ان شيخه البلقيني قال الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في
المنهاج وقد جزم به في التدريب وقوة كلام الصغير يقتضي رجحانه وعلله بالاتفاق
المسلمين على منع النسا من الخروج سافرات ونقلا في الروضة واصلها هذا الاتفاق
وافره وعورض بنقل القاضي عياض عن العلما مطلقا انه لا يجب على المراة ستر وجهها
في الطريق وانما هو سنة وعلى الرجال غض البصر وحكاه عنه النووي في شرح مسلم
واقره قاله الشيخ نجم الدين بن قاضي عجلون في تصحيح المنهاج والله اعلم وكان النكاح
في حقه عليه الصلاة والسلام عبادة مطلقا كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس
بعبادة عندنا بل من المباحات والعبادة عارضة له ومنها ان اولاد بناته ينسبون
اليه قال عليه السلام في الحسن ان ابني هذا سيد رواه ابو يعلى ومنها ان كل نسب وسبب
منقطع يوم القيمة الا سببه ونسبه قال عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع يوم القيمة
الا سببي ونسبي والنسب بالولادة والسبب بالزواج قيل معناه ان امته ينتفعون بالنسبة
اليه يوم القيمة بخلاف امة غيره ومنها انه لا يتزوج على بناته فعن المسور بن مخرمة انه سمع

رسول الله على المنبر يقول ان بني هاشم بن المغيرة استاذنوني ان ينكحوا ابنتهم علي بن
ابي طالب فلا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن لهم الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي
وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويوذيني ما اذاها ويوذا اخرجه
الشيخان وصححه الترمذي وعنه ان علي بن طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك
وهذا علي ناكح ابنة ابي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين يتشهد
فقال اما بعد فاني انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني وان فاطمة بنت محمد بضعة
مني وانما اكره ان يفتنوها وانه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند
عند رجل واحد ابدا قال فترك علي الخطبة اخرجه الشيخان واسم بنت ابي جهل هذه
جويرية اسلمت وبايعت وتزوجها عتاب بن اسيد ثم ابان بن سعيد بن العاص قال ابو
داود حرم الله تعالى على علي ان ينكح على فاطمة حياتها لقوله عز وجل وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وذكر الشيخ ابو علي السنجي في شرح التلخيص انه يحرم التزوج
على بنات النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون ذلك خاصا بفاطمة رضي الله عنها وقد علل عليه السلام
بان ذلك يوذيه واذيته صلى الله عليه وسلم حرام بالاتفاق وفي هذا تحريم اذى من يتاذى النبي صلى الله عليه وسلم
بتاذيه لان ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقا قليله وكثيره وقد جزم عليه السلام بانه يوذيه
ما اذى فاطمة فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتاذت به فهو يوذي النبي صلى الله عليه وسلم
بشهادة هذا الخبر الصحيح وقد استشكل اختصاص ذلك بفاطمة مع الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم

لقرب الى خشية الافتتان فى الدين ومع ذلك فكان النبى صلى الله عليه وسلم
يستكثر من الزوجات و يوجد منهم الغيرة ومع ذلك ما راعى صلى الله عليه وسلم
ذلك في حقهن كما راعاه فى حق فاطمة واجيب بان فاطمة كانت اذ ذاك فاقدة من تركن
اليه ممن يونسها ويزيل وحشتها من ام واخت بخلاف امهات المومنين فان كل واحدة
منهن كانت ترجع الى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليهن وهو زوجهن صلى الله
لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر بحيث ان كل واحدة منهن ترضى
منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من المغيرة
لزال عن قرب ومنها ان لا يجتهد فى محراب صلى اليه يمنة و لا يسرة وافتى شيخ الاسلام
ابو زرعة بن العراقي في شخص امتنع من الصلاة الى محراب النبى م وقال انا اجتهد واصلى
بانه ان فعل ذلك مع الاعتراف بانه ما كان في زمن النبى م رده وان ذكر تاويلا ان قال
ليس هو الان على ما كان عليه فى زمنه عليه السلام بل غير عما كان عليه فهذا سبب
اجتهادي لم يحكم بردية وان لم يكن هذا التاويل صحيحا ومنها ان من راه فى المنام فقد راه
حقا فان الشيطان لا يتمثل به وفى رواية مسلم من رانى في المنام فسيرانى في اليقظة
اوكانما رانى في اليقظة لا يتمثل الشيطان بى قال الحافظ بن حجر ووقع عند الاسمعيلي
فقد رانى في اليقظة بدل قوله سيرانى ومثله عند ابن ماجة وصححه الترمذي من حديث
ابن مسعود وفى رواية ابى قتادة عند مسلم ايضا من رانى فقد راى الحق وله ايضا من
حديث جابر من رانى في المنام فقد رانى انه لا ينبغى للشيطان ان يتمثل في صورتى وفي

وفى رواية من رانى فى المنام فقد رانى فانه لا ينبغى للشيطان ان يتشبه بى وفى حديث
ابى سعيد عند البخاري فان الشيطان لا يتكوننى اي لا يتكون كونى فحذف المضاف
ووصل المضاف اليه بالفعل وفى حديث ابى قتادة عند البخاري لا يترايا بى بالراء
بوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع ان يتمثل بى يعنى ان الله تعالى وان امكنه من التصور
فى اى صورة اراد فانه لم يمكنه من التصور فى صورة النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذهب
الى هذا جماعة فقالوا فى الحديث ان محل ذلك اذا راه الراءى على صورته التى كان عليها
ومنهم من ضيق الفرغ فى ذلك حتى قال لا بد ان يراه على صورته التى قبض عليها
حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التى لم تبلغ عشرين شعرة وعن حماد بن زيد قال كان محمد
يعنى ابن سيرين اذا قص عليه رجل انه راى النبى صلى الله عليه وسلم قال صف لى الذى
رايته فان وصف له صفة لا يعرفها قال لم تره وسنده صحيح وقد اخرج الحاكم من
طريق عاصم بن كليب حدثنى ابى قال قلت لابن عباس رايت النبى صلى الله عليه وسلم
فى المنام قال صفه لى قال فذكرت الحسن بن على فشبهته به قال قد رايته وسنده
جيد لكن يعارضه ما اخرجه ابن ابى عاصم من وجه اخر عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من رانى فى المنام فقد رانى فانى ارى فى كل صورة وفى سنده ابو التومه وهو ضعيف
لاختلاطه وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط قال القاضى ابو بكر ابن
العربى رويته م بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورويته على غير صفته ادراك
للمثال فان الصواب ان الانبياء لا تغيرهم الارض وتكون ادراك الذات الكريمة

حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال قال وقد شذ بعض القدرية فقال الرؤيا لا
حقيقة لها اصلاً قال قوله فسيرانى معناه فسيرى تفسير ما راى لانه حق وغيب
واما قوله فكانما رانى فهو تشبيه ومعناه انه لو رانى فى اليقظة لطابق ما راه فى المنام
فيكون الاول حقاً وحقيقة والثانى حقاً وتمثيلا قال وهذا كله اذا راه على صورته
المعروفة فان راه على خلاف صفته فهى امثال فان راه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائى
وعلى العكس فبالعكس وقال القاضى عياض يحتمل ان يكون المراد بقوله فقد رانى
او فقد راى الحق ان من راه على صورته المعروفة فى حياته كانت رؤياه حقا ومن راه
على غير صورته كانت رؤيا تاويل انتهى وتعقبه النووى فقال هذا ضعيف بل الصحيح
انه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة او غيرها وتعقبه شيخ الاسلام الحافظ
ابن حجر فقال لم يظهر لى من كلام القاضى عياض ما ينافى ذلك بل ظاهر قوله انه يراه
حقيقة فى الحالين لكن فى الاولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج الى تعبير والثانية مما يحتاج
الى التعبير وقال بعضهم معناه ان راه على صورته التى كان عليها ويلزم من قول من قال
انه لا يكون رؤيته الا على صورته المعلومة ان من راه على غير صفته ان يكون رؤياه من
اضغاث الاحلام ومن المعلومة انه يرى فى النوم على حالة بخلاف حالته فى الدنيا من
الاحوال اللائقة ولو تمكن الشيطان بشىء من التاويل مما كان عليه او ينسب اليه لتعارض
عموم قوله فان الشيطان لا يتمثل بى فالاولى ان تنزه رؤياه وكذا رؤيا شىء او مما ينسب
اليه غير ذلك فانه ابلغ فى الحرمة واليق بالعصمة كما عصم من الشيطان فى يقظته فالصحيح

فى

فى تاويل هذا الحديث ان مقصوده ان رؤيته فى كل حالة ليست باطلة ولا اضغاثا بل هى حق فى
نفسها ولو رُئى على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله
وهذا قول القاضى ابى بكر بن الطيب وغيره ويؤيده قوله فقد راى الحق اشار اليه القرطبى
وقال ابن بطال قوله فسيرانى فى اليقظة يريد تصديق تلك الرؤيا فى اليقظة ويريد
وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد انه يراه فى الاخرة لانه سيراه يوم القيمة فى اليقظة
جميع امته من راه فى النوم ومن لم يره وقال المازرى ان كان المحفوظ فكانما رانى فى اليقظة
فمعناه ظاهر وان كان المحفوظ فسيرانى فى اليقظة احتمل ان يكون اراد اهل عصره ممن
لم يهاجر اليه فانه اذا راه فى المنام جعل ذلك علامة على ان يراه بعد ذلك فى اليقظة
فاوحى الله بذلك اليه صلى الله عليه وسلم وقيل معناه سيرى تاويل تلك الرؤيا فى اليقظة
وصحتها واجاب القاضى عياض باحتمال ان تكون رؤياه فى النوم على الصفة التى عرف
بها ووصف عليها موجبة لتكرمته فى الاخرة وان يراه رؤية خاصة من القرب منه او الشفاعة
له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات قال لا يبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين
فى القيامة بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة وحمله ابن ابى جمرة على محمل اخر فذكر عن ابن
عباس وغيره انه راى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فبقى بعد ان استيقظ متفكرا فى هذا
الحديث فدخل على بعض امهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فاخرجت له المراة التى كانت للنبى صلى الله عليه وسلم
فنظر فيها صورة النبى صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه قال الغزالى ليس معنى قوله فقد رانى انه راى
جسمى وبدنى وانما المراد انه راى مثالا صار ذلك المثال الة يتادى بها المعنى الذى فى نفسى اليه

كذلك قوله فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يري جسمي وبدني قال والالة تارة تكون حقيقة
وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما راه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه
بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يري الله تعالى في المنام فان ذاته تعالى منزهة
عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته تعالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور
او غيره ويكون ذلك المثال الة حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رايت الله تعالى
في المنام لا يعني اني رايت ذات الله تعالى كما يقول في حق غيره وقال الغزالي ايضا في بعض
فتاويه من راي الرسول يعني في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وانما
راي مثاله لا شخصه ثم قال وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل وقال
الطيبي المعنى من راني في المنام باي صورة كنت فليستبشر وليعلم انه قد راي الرؤيا الحق
اي رؤية الحق لا الباطل وكذا قوله فقد راني فالشرط والجزاء اذا اتحدا دل على الغاية
في الكمال اي فقد راني رؤيا ليس بعدها شيء والحاصل من الاجوبة انه على التشبيه والتمثيل
ويدل عليه قوله فكانما راني في اليقظة ثانيها معناه سيري في اليقظة تاويلها
بطريق الحقيقة ثالثها انه خاص باهل عصره ممن امن به قبل ان يره رابعها انه يراه في
المراة التي كانت له ان امكنه ذلك قال شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل
خامسها انه يراه يوم القيمة بمزيد خصوصية لا مطلق من راه ممن لم يره في المنام والصواب
كما قدمناه في رؤيته عليه الصلوة والسلام التعميم على حالة راه الراءي بشرط ان يكون
على صورته الحقيقة في وقت سواء كان في شبابه او رجوليته او كهوليته او اخر عمره وقد يكون

لما

لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالراءي كما قال علماء التعبير ان من راه شيخا فهو غاية سلم ومن
راه شابا فهو غاية حرب وقال ابو سعيد احمد بن محمد بن نصر من راي نبيا على حاله وهيبته
فذلك دليل على صلاح الراءي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن راه متغير الحال عابسا
مثلا فذلك دال على سوء حال الراءي وقال العارف ابن ابي جمرة من راه في صورة حسنة
فذلك حسن في دين الراءي وان كان في جارحة من جوارحه شين او نقص فذلك خلل في
الراءي من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل
الفائدة الكبري في رؤياه حتى يتبين للراءي هل عنده خلل ام لا لانه نوراني مثل المراة الصقيلة
ما كان في الناظر اليها من حسن او غيره تصور فيها وهي في ذاتها على احسن حال لا نقص فيها
وكذلك يقال في كلامه عليه السلام في النوم انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق
وما خالفها فالخلل في سمع الرائي فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو في سمع الراءي
او بصره قال وهذا خير ما سمعته في ذلك انتهى وقال بعضهم ليست رؤيته عليه السلام
رؤيا عين انما يري بالضماير وذلك لا يستدعي حصر المرائي بل يري من المشرق الى المغرب
ومن الارض الى العرش فهي كما تري الصور في المراة المحاذية لها وليست الصور منتقلة
الى جرم المراة وعين الناظر مقابلة جميع الكائنات كالمراة واختلاف رؤيته صلى الله
بان يراه بعضهم شيخا واخر شابا واخر ضاحكا واخر باكيا ترجع الى الرائين كاختلاف الصورة
الواحدة في مراء مختلفة الاشكال والمقادير ففي الكبيرة يري وجهه كبيرا وفي الصغيرة صغيرا
وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف

اشكال المراء لا الى وجه الراء كذلك الراؤن له عليه الصلاة والسلام احوالهم بالنسبة
اليه مختلفة فمن راه متبسمًا اليه دل على ان الراي متمسكًا بسنته والله اعلم وقد اجاب
الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال رؤية جماعة له صلى الله عليه وسلم في ان واحد من
اقطار متباعدة مع ان رؤيته صلى الله عليه وسلم حق بانه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس في هذا
العالم مثال نوره في العوالم كلها وكما ان الشمس يراها كل من في المشرق والمغرب في ساعة
واحدة وبصفات مختلفة فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولله در القايل

كالبدر من اي النواحي جيئته   يهدي الى عينيك نورًا ثاقبًا

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته صلى الله عليه وسلم فقال شيخنا لم يصل الينا
ذلك عن احد من الصحابة ولا عن من بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم
حتى ماتت كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح ومنها مجاوراً ضريحه الشريف ولم ينقل عنها
رؤيته في المدة التي تاخرتها عنه وانما يحكى عن بعض الصالحين حكايات عن انفسهم
كما هو في توثيق عرى الايمان للبارزي وبهجة النفوس لابي عبد الله بن ابي جمرة و
روض الرياحين للعفيف اليافعي وغيره من تصانيفه والشيخ صفي الدين بن ابي المنصور
في رسالته وعبارة بن ابي جمرة قد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرا عن جماعة كانوا
يصدقون بهذا الحديث يعني من راني في المنام فسيراني في اليقظة انهم راوه صلى الله عليه وسلم
في النوم فراوه بعد ذلك في اليقظة وسالوه عن اشيا كانوا منها متشوشين فاخبرهم
بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص

ثم

٤٦

ثم قال والمنكر لهذا لا يخلو اما ان يكون ممن يصدق بكرامات الاولياء او لا فان كان الثاني
فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما اثبتته السنة بالدلايل الواضحة وان كان الاول
فهذه منها لان الاولياء يكشف لهم بخرق العادة عن اشياء في العالمين العلوي والسفلي
عديدة مع التصديق بذلك وقال ابن ابي المنصور في رسالته ويقال ان الشيخ ابا العباس
بن القسطلاني دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الله بيديك يا احمد وعن الشيخ
ابي السعود قال كنت ازور شيخك ابا العباس وغيره من صلحا فلما انقطعت واشتغلت وفتح
علي لم يكن لي شيخ الا النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان يصافحه عقب كل صلاة وقال الشيخ ابو العباس المرار
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرة فوجدته يكتب مناشير الاولياء بالولاية قال وكتب لاخي محمد معهم
منشورا فقلت يا رسول الله فما تكتب لي كاخي فقال اتريد ان تكون قسهارًا وهذه لغة
اندلسية يعني طرقيًا وفهم عنه ان له مقامًا غير هذا وقال حجة الاسلام الغزالي في كتابه
المنقذ من الضلال وهم يعني ارباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح
الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوايد انتهى ورايت في كتاب المنح الالهية
في مناقب السادة الوفائية عن سيدي علي بن سيدي محمد وفا انه قال في بعض مشاهده
كنت وانا ابن خمس سنين اقراء القران على رجل يقال له الشيخ يعقوب فاتيته يومًا فرايت
النبي صلى الله عليه وسلم انا نايم اقرا عليه سورة والضحى وصحبته رفيق له وهو يلوي شدقيه بالامالة ورفيقه
يضحك اعجابًا فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا منامًا وعليه قميص ابيض قطن ثم رايت القميص
علي فقال لي اقرا فقرات عليه سورة الضحى والم نشرح ثم غاب عني فلما بلغت احد وعشرين

سنة احرمت لصلوة الصبح بالقرافة فرأيت النبي م قبالة وجهي فما نقميني فقال لي واما
بنعمة ربك فحدث فاتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى فاما ما حكاه الشيخ تاج الدين
ابن عطاء الله في لطائف المنن عن الشيخ ابي العباس المرسي انه كان مع الشيخ ابي الحسن
الشاذلي بالقيروان في ليلة الجمعة سابع عشر رمضان فذهب معه الى الجامع
الى ان قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس
تحظ بمدد الله في كل نفس الى اخره فيحتمل ان يكون مناما وكذا قول الشيخ قطب الدين القسطلاني
كنت اقرأ على عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي بالمدينة الشريفة فجئته يوما في وقت
خلوة وانا يومئذ حديث السن فخرج الي وقال من ادبك بهذا الادب وعاب علي فذهبت
وانا منكسر الخاطر فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبي م فبينما انا جالس على تلك الحال
واذا بالشيخ قد جاءني وقال قم فقد جاء فيك شفيع لا يرد ونحوه ما حكاه السهروردي في عوارف
المعارف عن الشيخ عبد القادر الكيلاني انه قال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلعم
تزوج وحكى عن السيد نور الدين الايجي والد السيد عفيف الدين انه في بعض زيارته
للنبي صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك السلام
يا ولدي وقال البدر حسن بن الاهدل في مسئلة الرؤية له ان وقوعها للاولياء قد تواترت
باخبارهم الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه اخبارهم
لم يبق له شبهة فيه ولكن يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حال
لا تكاد تضبطها العبارة ومراتبهم في الرؤية متفاوتة وكثيرا ما يغلط فيها راويها فقال

ما تجد رواية صحيحة عمن يوثق به واما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما او في غيبة
حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا او نورا فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان
فيجب التحرز في هذا الباب وبالجملة فالقول برؤيته بعد موته بعين الراس يقظة يدرك
فساده باوائل العقول لاستلزامه خروجه عليه السلام والصلاة من قبره ومشيه في الاسواق
ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده المقدس فلا يبقى منه فيه شيء بحيث
يزار مجرد القبر ويسلم على غائب اشار الى ذلك القرطبي في الرد على القائل بان الرائي له في
المنام رأى حقيقته ثم يراه كذلك وفي اليقظة قال وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له
ادنى مسكة من المعقول وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول وقال القاضي ابو بكر بن العربي و
شذ بعض الصالحين فزعم انها تقع بعين الراس حقيقة وقال في فتح الباري بعد ان ذكر كلام
ابن ابي جمرة وهذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة لامكن بقاء الصحبة الى
يوم القيمة انتهى وللشيخ مسلم شيخ الطايفة المسلمية ممن يدعي في هذه الدار انه يرى
المصطفى حقا فقد فاه مشتطا   ولكن بين النوم واليقظة التي   يتاسر هذا الامر رتبة وسطا
وقد جعل القاضي ابو بكر بن العربي القول بان الرؤية في المنام بعين الراس غلو وحماقة
ثم حكى ما نسب لبعض المتكلمين وهو القول بانها مدركة بعينين في القلب وانضرب
انتهى فلا يمتنع من الخواص ارباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجه على قدم الخوف بحـ
بحيث لا يسكنون لشيء مما يقع لهم من الكرامات فضلا عن التحدث بها الغير ضرورة مع السعي
في التخلص من الكدورات والاعراض عن الدنيا واهلها جملة وكون الواحد منهم يود انه يخرج من اهله

وما له وانه يري النبي صلى الله عليه وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني ان يتمثل صورته صلى الله عليه وسلم فى خاطره وبتصوير
فى عالم سره وانه يكلمه بشرط استقرار ذلك وعدم اضطرابه فان تزلزل واضطرب
كان لمة من الشيطان وليس ذلك خادشا فى علو مناصبهم لعدم عصمة غير الانبياء
فقد قال العلامة بن السبكي فى جمع الجوامع تبعا لغيره وان الالهام ليس بحجة لعدم الثقة
بمن ليس معصوما بخواطره وحينيذ فمن قال ممن حكينا عنه اوغيرهم ان المرئ هو المثال
لا يمتنع حمله على هذا بل حمل كل من اطلق عليه هو الاليق وقريب منه قوله صلى الله عليه وسلم انى رايت الجنة
والنار مع مزيد استبعاده هناك ان يكون المراد بالرؤية رؤية العلم ويحكى عن الشيخ
ابى العباس المرسى انه قال لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين
وعلى هذا فيكون معنى فسيرانى فى اليقظة اى يتصور مشاهدتى وينزل نفسه حاضرا معى
بحيث لا يخرج عن دابه وسنته صلى الله عليه وسلم بل يسلك منهاجه ويمشى على شريعته وطريقته ومنه
قوله عليه السلام فى الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ويحتمل العموم فمن رانى على
الموقفين واليه يشير قول بعض المعتمدين اى من رانى رؤية معظم لحرمتى ومشتاق
لمشاهدتى وصل الى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه وقريب منه قول شارح المصابيح او
يراه فى الدنيا حالة الذوق والانسلاخ عن العوايق الجسمانية كما نقل ذلك عن بعض
الصالحين انه راه فى الذوق والشوق وقد قال الاهدل عقب الحكاية عن الشيخ ابى العباس
المرسى وهذا فيه تجوز يقع فيه مثله فى كلام الشيوخ وذلك ان المراد انه لم يحجب حجاب غفلة
ونسيان لدوام المراقبة واستحضارها فى الاعمال والاقوال ولم يرد انه لم يحجب عن الروح المتخصصة

طرفة عين فذلك مستحيل والله اعلم انتهى وممّا اختص به صلى الله عليه وسلم ان التسمى باسمه ميمونة ونافع
فى الدنيا والاخرة روينا عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدى الله
تعالى فيامر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فانى
اليت على نفسى ان لا يدخل النار من اسمه احمد ولا محمد وروى ابو نعيم عن نبيط بن شريط
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالى لا اعذبت احدا تسمى باسمك فى النار
وعن على بن ابى طالب قال ما من مايدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك
المنزل كل يوم مرتين رواه ابو منصور الديلمى وليس لاحد ان يكنى بكنيته ابى القاسم سواء
كان اسمه محمدا ام لا ومنهم من كره الجمع وجوز الافراد ويشبه ان يكون هو الاصح قال النووى
فى هذه المسئلة مذاهب الشافعى منع مطلقا وجوزه مالك والثالث يجوز لمن ليس اسمه محمدا
ومن جوز مطلقا خص النهى بحياته صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب انتهى ومنها
انه يستحب الغسل لقراة حديثه والتطيب ولا ترفع عنده الاصوات بل تخفض كما فى حياته
اذا تكلم فان كلامه الماثور بعد موته فى الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف
وان يقراء على مكان مرتفع روينا عن مطرف قال كان الناس اذا اتوا مالكا رحمه الله تعالى
خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا
المسائل خرج اليهم فى الوقت وان قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا وتعمم ولبس ساجه والساج الطيلسان وتلقى له منصة فيخرج
يجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا احدث قال ابن ابي اويس فقيل له في ذلك فقال
احب ان اعظم حديث رسول الله ءم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا ويقال انه اخذ
ذلك عن سعيد بن المسيب وقد كره قتادة ومالك وجماعة التحديث على غير طهارة
حتى كان الاعمش اذا كان على غير طهارة يتيمم ولا شك ان حرمته ءم وتعظيمه وتوقيره
بعد مماته وعند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان في حياته والله اعلم
ومنها انه يكره لقارئ حديثه ان يقوم لاحد قال ابن الحاج في المدخل لانه قلة ادب
مع النبي ءم وقلة احترام وعدم مبالاة ان يقطع حديثه لاجل غيره فكيف لبدعه
وقد كان السلف لا يقطعون حديثه ولا يتحركون وان اصابهم الضرر في ابدانهم
ويتحملون المشقة التي نزل بهم اذ ذاك احتراما لحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم
وحسبك ما وقع لمالك رحمه الله في لسع العقرب له سبع عشرة مرة وهو لم يتحرك وتحمله
للسعها توقيرا لجناب حديثه عليه الصلاة والسلام ان يكون يقرأ وهو يتحرك نصا صا
مع انه معذور فيما وقع به فكيف بالحركة والقيام اذ ذاك لا لضرورة بل للبدعة سيما
اذا انضاف الى ذلك ما لا ينبغي من الكلام المعتاد انتهى ملخصا ومنها انه تثبت الصحبة
لمن اجتمع به ءم لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي فلا يثبت الا بطول الاجتماع معه على الاصح
عند اهل الاصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الاعرابي
الجلف ينطق بالحكمة ومنها ان اصحابه كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن
عدالة احد منهم كما يبحث عن ساير الرواة فالخطاب للموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم

امة

امة وسطا اي عدولا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم
احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه قال عليه السلام خير الناس قرني ثم
الذين يلونهم في ايات كثيرة واحاديث تقتضي بتعديلهم وكذلك اجمع من يعتد به على
ذلك سواء في التعديل من لابس الفتنة منهم وغيره لوجوب حسن الظن بهم حملا
للملابس على الاجتهاد ونظرا الى ما تمهد لهم من الماثر من امتثال اوامره عليه السلام
وفتحهم الاقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم
على الصلوات والزكوة وانواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والاخلاق
الحميدة التي لم تكن في امة من الامم المتقدمة لا يكون لاحد بعدهم مثلهم في ذلك كل ذلك
بحلول نظره عليه الصلاة والسلام وافضلهم عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر واما
بعدهما فالجمهور على انه عثمان ثم علي وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد السابع
ومنها ان المصلي يخاطبه بقوله عليه السلام السلام عليك ايها النبي ولا يخاطب غيره ومنها
انه كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه ويشهد له حديث سعيد بن المعلى كنت
اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه الحديث وفيه الم يقل الله
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فاجابته فرض يعصي المرء بتركها وهل تبطل وفيه
بحث لاحتمال ان تكون اجابته واجبة مطلقا سواء كان المخاطب مصليا او غير مصل اما كونه
يخرج بالاجابة من الصلاة فليس في الحديث ما يستلزمه فيحتمل ان تجب للاجابة ولو خرج المجيب
من الصلاة والى ذلك جنح بعض الشافعية والله اعلم ومنها ان الكذب عليه ليس كالكذب

على غيره ولم كذب عليه لم تقبل روايته ابدا وان تاب فيما ذكره جماعة من المحدثين وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن سعيد بن جبير ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولهذا حكى امام الحرمين عن ابيه ان من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر لكن لم يوافقه احد من الائمة على ذلك والحق انه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بها الا ان استحله وقال النووي لم ار له اي للقول في اصل المسالة دليلا ويجوز ان يوجه بان ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا من الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته فانه يصير شرعا مستمرا الى يوم القيمة بخلاف الكذب على غيره والشهادة فان مفسدتهما قاصرة ليست عامة ثم قال وهذا الذي ذكره هولاء الائمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية والمختار القطع بصحة توبته بشروطها المعروفة ثم قال فهذا هو الجاري على قواعد الشرع وقد اجمعوا على صحة جواز رواية من كان كافرا فاسلم قال فاجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية في هذا قال شيخنا ويمكن ان يقال فيما اذا كان كذبه في وضع حديث وحمل عنه ودون ان الاثم غير منفك عنه بل هو لاحق له ابدا فان من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة والتوبة حينئذ متعذرة ظاهرا وان وجد مجرد اسمها ومنها انه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها وكذلك الانبيا ومنها انه لا يجوز عليه الجنون لانه نقص ولا الاغما الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد في تعليقه وجزم به البلقيني في حواشي الروضة وكذلك الانبيا ونبه السبكي على ان اغماهم

يخالف

يخالف اغماء غيرهم وانما هو غلبة الاوجاع للحواس الظاهرة دون القلب لانه قد ورد انه انما تنام اعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذي هو اخف من الاغماء فمن الاغماء بطريق الاولى قال السبكي ولا يجوز عليهم العمى ولم يعم نبي قط وما ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت واما يعقوب فحصل له غشاوة وزالت انتهى قال الرازي في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن لما قال يا اسفى على يوسف غلبه البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الماء وقوله وابيضت عيناه من الحزن كانه من غلبة البكاء والدليل على صحة هذا القول ان تاثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى فلما حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى ثم قال واختلفوا فقال بعضهم انه كان قد عمي بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت وقال بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والاحزان بحيث صار يدرك ادراكا ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه ومنها ان من سبه او انتقصه قتل واختلف هل يتحتم قتله في الحال او يوقف على استتابته وهل الاستتابة واجبة ام لا فمذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا وعبارة شيخهم العلامة خليل في مختصره وان سب نبيا او ملكا او عرض او لعنه او عابه او قذفه او استخف بحقه او غير صفته او الحق به نقصا وان في دينه او خصلته او غض من مرتبته او وفور علمه او زهده او اضاف له ما لا يجوز

عليه او نسب له ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او قيل له بحق رسول الله فلعن وقال اردت
العقرب قتل لم يستتب الا ان يسلم الكافر وان اظهر انه لم يرد ذمه لجهل وسكر او تهور وهذا قد
ذكره القاضي عياض في الشفا وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب
فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا
مهينا واللعنة من الله هي ابعاد الملعون عن رحمته واحلاله في وبيل عقوبته قال القاضي
عياض وانما يستوجب اللعن من هو كافر وحكم الكافر القتل والاذى هو الشر الخفيف فان
زاد كان ضررا كما قاله الخطابي وغيره واطلاق الاذى في حقه تعالى انما هو على سبيل
المجاز لتعذر الحقيقة فيه ويشهد لذلك الحديث الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني
وهنا بخلاف جانب الرسول فالاذى في حقه تعالى وحق رسوله كفر بشهادة هذه الاية لان
العذاب المهين انما يكون للكفار وكذلك العذاب الاليم وقال الله تعالى قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم قال القاضي عياض قال
اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله واما السنة فروى ابو داود والترمذي ان رسول الله
قال من لنا بابن الاشرف وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن
بعداوتنا وهجائنا وفي رواية فانه يوذي الله ورسوله قال القاضي عياض ووجه اليه من قتله غيلة
دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل على ان قتله اياه لغير الاشراك بل
للاذى وحديث مصعب بن سعد عند ابي داود لما كان يوم الفتح امن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح فاختبا عند عثمان بن عفان فلما

دعا

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى وقفه على رسول الله فقال
يا نبي الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه
فقال ما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندري
يا رسول الله ما في نفسك الا اومات الينا قال انه لا ينبغي لنبي ان يكون له خائنة الاعين وفيه امر بقتل
عبد الله بن خطل لان ابن خطل كان يقول الشعر يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم ويامر جاريتيه ان
تغنيا به وكذلك قتل جاريتيه قالوا فقد ثبت انه امر بقتل من اذاه ومن تنقصه والحق له عليه السلام
وهو مخير فيه فاختار القتل في بعضهم وعفى عن بعضهم وبعد وفاته تعذر المعرفة بالعفو
فبقي الحكم على عمومه في القتل لعدم الاطلاع على العفو وليس لامته بعده ان يسقطوا حقه
فانه لم يرد عنه الاذن في ذلك واما الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت الامة على قتل
منتقصه من المسلمين وسابه فقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله
يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي وقال الخطابي
لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال محمد بن سحنون اجمع العلماء
على ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله و
حكمه عند الامة القتل فمن شك في كفره وعذابه كفر انتهى ومذهب الشافعية ان ذلك ردة
يخرج من الاسلام الى الكفر فهو مرتد كافر قطعا لا نزاع في ذلك عند الجمهور من ائمتنا والمرتد
يستتاب فان تاب والا قتل وفي الاستتابة قولان اصحهما وجوبها لانه كان محترما بالاسلام
وربما عرضت له شبهة فينبغي ازالتها وقيل يستحب لانه غير مضمون الدم فان قلنا بالاولى

فيجب فى الحال ولم يؤجل كغيره   وفى الصحيح حديث من بدّل دينه فاقتلوه وفى قول يمهل
ثلاثة ايام فان لم يتب واصر رجلاً كان او امراة قتل وان اسلم صح الاسلام وترك لقوله تعالى
فان تابوا واقاموا الصلوة الاية وعن ابن عباس قال ايما مسلم سب الله او سب احدًا من
الانبياء فقد كذّب برسول الله وهى ردّة يستتاب فان تاب والا قتل وايّما معاهد سب الله
او سب احدا من الانبياء فقد نقض العهد فاقتلوه واجيب عما تقدم من ادلة المالكية
واما قوله تعالى واما الذين يؤذون الله ورسوله الاية فليس فيه الا كفر موذيه عليه السلام
اما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام فلا دلالة له فيه اصلا واما ابن خطل فانما قتل ولم يستتب
للكفر والزيادة فيه بالاذى مع ما اجتمع فيه من موجبات القتل ولانه اتخذ الاذى
ديدنا فلا يقاس عليه من فرط منه فرطة وقلنا بكفره بها وتاب ورجع الى الاسلام
فالفرق واضح وكذلك قتل جاريتيه لانهما جعلتا ذلك ديدنا مع ما قام بهما من صفة
الكفر   وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابى معيط نادى يا معشر قريش ما لى اقتل
من بينكم صبرًا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله فذكر له
سببين فى تحتم قتله وهذا فى غاية الظهور واما قول الخطابى وغيره لا اعلم احدًا من
المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلمًا فمحمول على التقييد بعدم التوبة واما
سياق القاضى عياض لقصة الرجل الذى كذب على النبى صلى الله عليه وسلم وانه بعث عليا
والزبير ليقتلاه فليس يفيد غرضًا فى هذا المقام لان الظاهر ان هذا كذب فيه افساد وفتنة
بين المؤمنين لاسيما ان كان كافرًا فيكون من محاربى الله ورسوله مع السعى فى الارض بالفساد فيكون

متحتم

متحتم القتل والا فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل وكذا ايضا قد حديث
ابن عباس هجت امراة من خطمة النبى صلى الله عليه وسلم فقال من لى بها فقال من قومها
انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها
عنزان اى لا يجرى فيها خلف ولا نزاع فان فى هذه الحكاية ونظائرها نظرا واضحًا لقيام
الكفر بالمحكى عنهم والزيادة منه وقد اخبر عليه السلام انه لا عصمة لاحد من الناس بعد
دعوا هم الى الاسلام الا بالاسلام فكل منهم مهدر الدم الا من عصم الله منهم بالاسلام
وانما النافعة فى مقام الاستدلال ذكر من طرا عليه من المسلمين وصمة الارتداد بالسبب
على القول بكونه ردة فرجع الى الاسلام وتاب هذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال
لكل من المتنازعين اما ذكر كافر اصلى بلغته دعوة النبى عليه السلام وامتنع من اجابته وحاربه بيده
ولسانه فلا نزاع فى اهدار دمه قطعا لاسيما وقد نقل عن هذه المراة الكافرة انها كانت تعيب
الاسلام وتؤذى النبى عليه السلام وتحرض عليه فاجتمع فيها موجبات القتل اجماعًا فقد تبين مما
ساقه عياض ان امره عليه السلام بقتل سابه انما نقل عن الكفرة ولم ينقل انه عليه السلام قتل
مسلمًا لسبه وانما كان ذلك فى اهل الكفر والعناد ولو نقل فلا يتعين كونه حدًا لاحتمال ان يكون
قتله كفرا وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاعلمنا ان ما
وراء الشرك فى حيز امكان المغفرة وقال ان الله يغفر الذنوب جميعًا فان قلت هذا بالنظر الى ظلم النفس
وحقوق الله تعالى لا بالنظر الى حقوق العباد لان حقوق الله مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية
على المشاحة وهذا حق النبى صلى الله عليه وسلم وليس لنا ان نسقطه بحال فهو صلى الله عليه وسلم

فان له ذلك فالجواب لابد لنا من نص على ذلك منه عليه الصلاة والسلام كان يقول
مثلا من سبني فاقتلوه ولا تقبلوا له توبة ولا رجوعا عن سبته فان نقل اتبعناه ثم انه
من جهة النظر ينبغي الحاق حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقوق الله فكما ان
حقوقه تعالى مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم فانه متخلق باخلاق
الله تعالى من خصايصه انه اذا قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل نفسه دونه
حكاه النووي في زيادة الروضة عن جماعة الاصحاب ومن خصايصه ع انه كان ع م
يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين روى ابو داود عن
عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان من اصحابه ع م ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع من
اعرابي فرسا فاستتبعه ليقبضه ثمن الفرس فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشي وابطا
الاعرابي فطفق رجال يعترضون الاعرابي بينا ومونه بالفرس ولا يشعرون ان رسول الله
قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فذكر الحديث قال فطفق الاعرابي يقول يقول هلم
شهيدا يشهد اني قد بعتك فمن جاء من المسلمين يقول ويلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن ليقول الا الحق حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال انا اشهد انك
قد بايعته الحديث وفيه قال فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين
وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت قال فوجدتها مع خزيمة الذي جعل رسول الله ع م
شهادته بشهادتين وعند الحارث بن ابي اسامة في مسنده من حديث النعمان بن بشير ان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابي فرسا فجحده الاعرابي فجاء خزيمة فقال

يا

يا اعرابي انا اشهد عليك انك بعته فقال الاعرابي ان شهد علي خزيمة فاعطني الثمن فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا خزيمة انا لم نستشهدك كيف تشهد قال انا اصدقك على خبر
السماء الا اصدقك على ذا الاعرابي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة
رجلين فلم يكن في الاسلام من تعدل شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة قال الخطابي هذا
الحديث حمله كثير من الناس على غير محمله وتذرع به قوم من اهل البدع الى استحلال الشهادة
لمن عرف عندهم بالصدق على كل شيء ادعاه وانما وجه الحديث انه صلى الله عليه وسلم حكم
على الاعرابي بعلمه وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد لقوله والاستظهار على خصمه
فصار في التقدير كشهادة اثنين في غيرها من القضايا انتهى ومن ذلك ترخيصه في
النياحة لام عطية وروى مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الاية يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا ولا يعصينك في معروف قال كان منه النياحة فقلت يا رسول الله الا ال
فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من ان اسعدهم فقال الا ال فلان
قال النووي هذا محمول على الترخيص لام عطية في ال فلان خاصة وللشارع ان يخص
من العموم ما شاء ومن ذلك ترك الاحداد لاسماء بنت عميس اخرج ابن سعد عن اسماء بنت
عميس قالت لما اصيب جعفر بن ابي طالب قال لي رسول الله ع م تسلبي ثلثا ثم اصنعي ما شئت
ومن ذلك الاضحية بالعناق لابي بردة بن نيار رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال من صلى صلاتنا ونسك نسكنا
فقد اصاب السنة ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم فقام ابو بردة بن نيار فقال

فقال يا رسول الله لقد نسكت قبل ان اخرج الى الصلاة وعرفت ان هذا اليوم يوم اكل وشرب
فتعجلت واكلت واطعمت اهلي وجيراني فقال رسول الله صلعم تلك شاة لحم قال فان عندي عناق جذعة
هي خير من شاتي لحم فهل تجزي عني قال نعم ولن تجزي عن احد بعدك ونيار بكسر النون وتخفيف المثناة
التحتية واخره راء وقوله تجزي بفتح اوله غير مهموز اي تقضي والجذع بالجيم والذال المعجمة
وفي هذا الحديث تخصيص ابي بردة باجزاء الجذع من المعز في الاضحية لكن وقع في عدة احاديث
التصريح بنظير ذلك لغير ابي بردة ففي حديث عقبة بن عامر عند البيهقي ولا رخصة فيها
لاحد بعدك قال البيهقي ان كانت هذه الزيادة محفوظة كان هذا رخصة لعقبة كما رخص
لابي بردة قال الحافظ ابن حجر وفي هذا الجمع نظر لان في كل منهما صيغة عموم فايهما تقدم
على الاخر اقتضى انتفاء الوقوع للثاني ويحتمل ان يكون خصوصية الاول نسخت بثبوت
الخصوصية للثاني ولا مانع من ذلك لانه لم يقع في السياق استمرار المنع لغيره صريحا وفي
كلام بعضهم ان الذين ثبت لهم الرخصة اربعة او خمسة واستشكل الجمع وليس بمشكل فان
الاحاديث التي وردت في ذلك ليس فيها التصريح بالنفي الا في قضية ابي بردة في الصحيح
وفي قصة عقبة بن عامر عند البيهقي واما ما عدا ذلك فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان
من حديث زيد بن خالد ان النبي صلعم اعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت انه جذع افاضحي
قال ضح به وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اعطى سعد
بن ابي وقاص جذعا من المعز فامره ان يضحي به واخرجه الحاكم من حديث عايشة وفي سنده
ضعف فلا منافاة بين ذلك وحديثي ابي بردة وعقبة لاحتمال ان يكون ذلك في ابتدا

الامر

الامر ثم تقرر الشرع بان الجذع من المعز لا يجزي واختص ابو بردة وعقبة بالرخصة في
ذلك وان تعذر الجمع بين حديثي ابي بردة وحديث عقبة فحديث ابي بردة اصح مخرجا وان
كان حديث عقبة عند البيهقي من مخرج الصحيح والله اعلم ومن ذلك نكاح الرجل بما
معه من القران فيما ذكره جماعة وورد به حديث مرسل اخرجه سعيد بن منصور عن
ابي النعمان الازدي قال زوج رسول الله صلعم امراة على سورة من القران وقال لا يكون
لاحد بعدك مهر ومنها انه كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الاجر ومنها ان جبريل
ارسل اليه ثلاثة ايام في مرضه يساله عن حاله ذكره البيهقي وغيره ومنها انه صلى الله
عليه الناس افواجا افواجا بغير امام وبغير دعاء الجنازة المعروف ذكره البيهقي وابن سعد
وغيرهما وترك بلا دفن ثلثة ايام كما سياتي وفرش له في لحده قطيفة والامر كونها
في حقنا واظلمت الارض بعد موته كما سياتي ومنها انه لا يبلى جسده وكذلك الانبياء
رواه ابو داود وابن ماجة ومنها انه لا يورث فقيل لبقائه على ملكه وقيل لمصيره صدقة
وبه قطع الروياني ثم حكى وجهين في انه هل يصير وقفا على ورثته وانه اذا صار وقفا
هل هو الواقف وجهان قال النووي في زيادات الروضة الصواب الجزم بزوال
ملكه وان ما تركه صدقة على المسلمين لا يختص به الورثة انتهى وقال في الشرح الصغير
المشهور انه صدقة وذكر الرافعي في قسم الفيء ان الخمس كان له صلى الله عليه وسلم
ينفق منه على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل الى ورثته وقال في باب
الخصايص انه ملكه ويجمع بينهما بان لجهة الانفاق مادتين مملوكة وغير مملوكة والخلاف

جاز فى احد هما انتهى والله اعلم وعلى هذا فيباح له عليه السلام ان يوصى بجميع ذلك
للفقراء ويمضى ذلك بعد موته بخلاف غيره فانه لا يمضى مما اوصى به الا الثلث الثلث
بعد موته وكذلك الانبياء لا يورثون لما رواه النسايى من حديث الزبير مرفوعا انا
معاشر الانبياء لا نورث وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى وورث سليمان داود و
قوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى بان المراد ارث النبوة والعلم ومنها انه حى فى قبره
وكذلك الانبياء ولهذا قيل لا عدة على ازواجه قيل ويصلى فيه باذان واقامة
وقد حكى ابن زبالة وابن النجار ان الاذان ترك فى الايام الحرة ثلثة ايام وخرج الناس
وسعيد بن المسيب فى المسجد قال سعيد فاستوحشت فدنوت الى القبر فلما حضرت
الظهر سمعت الاذان فى القبر فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة فى
القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذنون فسمعت
اذانهم كما سمعت الاذان فى قبره صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ثبت ان الانبياء
يحجون ويلبون وهم اموات فى الدار الاخرة وليست دار عمل فالجواب انهم كالشهداء
بل افضل منهم والشهداء احياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا ويتقربوا ولو قيل
ان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا فى استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وان
المنقطع فى الاخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ
بها ولهذا انهم يسجون ويقرؤن القران ومن هنا سجود النبى عم وقت الشفاعة وقد
قال صاحب التلخيص ان ماله عليه السلام بعد موته قائم على نفقته وملكه وعده من خصايصه

ونقل

ونقل امام الحرمين عنه ان ما خلفه بقى على ما كان فى حياته فكان ينفق منه ابو بكر على
خدمه وكان يرى انه باق على ملك النبى عم فان الانبياء احياء وهذا يقتضى اثبات الحياة
فى احكام الدنيا وذلك زايد على حياة الشهيد والذى صرح به النووى زوال ملكه
وان ما تركه صدقة على جميع المسلمين لا يختص به ورثته فان قلت القران ناطق بموته
قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال عليه السلام انى مقبوض وقال الصديق
فان محمدا قد مات واجمع المسلمون على اطلاق ذلك اجاب الشيخ تقى الدين السبكى بان
ذلك الموت غير مستمر وانه عم احيى بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا بالموت
المستمر والا فالحياة الثانية حياة اخروية ولا شك انها اعلى واكمل من حياة الشهيد
وهى ثابتة للروح بلا اشكال وقد ثبت ان اجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح الى الجسد
ثابت فى الصحيح لساير الموتى فضلا من الشهداء فضلا عن الانبياء وانما النظر فى استمرارها
فى البدن وفى ان البدن يصير حيا كحالته فى الدنيا او حيا بدونها وهى حيث شاء
الله فان ملازمة الحياة للروح امر عادى لا يعقل عقلى وهذا مما يجوزه العقل فان
صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى فى قبره فان
الصلوة تستدعى جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة فى الانبياء ليلة المعراج الاسراء
كلها صفات الاحياء الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية ان تكون الابدان
معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات
الاجسام التى نشاهدها بل يكون لها حكم اخر فليس فى العقل ما يمنع من اثبات الحياة

الحقيقية لهم واما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم بل ولساير
الموتى حكاه الشيخ زين الدين المراغي وقال انه مما يعز وجوده وفي مثله تيتنا فنون المتنا
ومنها انه وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه رواه احمد والنسايي والحاكم
وصححه بلفظ ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام وعند
وعند الاصبهاني عن عمارة ان لله ملكا اعطاه سمع العباد كلهم فما لامن احد
يصلي علي الا ابلغنيها وتعرض اعمال امته عليه ويستغفر لهم روى ابن المبارك عن
سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي اعمال امته غدوة وعشيا فيعرفهم
بسيماهم واعمالهم ومنها ان منبره على حوضه كما في الحديث وفي رواية ومنبري على
ترعة من ترع الجنة واهل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فاذا كانت في المطمئن
فهي روضة ولم يختلف احد من العلماء انه على ظاهره وانه حق محسوس موجود فان
القدرة صالحة لا عجز فيها وكل ما اخبر به الصادق عليه السلام من امور الغيب
فالايمان به واجب ومنها ان ما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة رواه
البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز اما الحقيقة فبان
يكون ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه من الجنة ان يكون مقتطعا منها كما ان
الحجر الاسود منها وكذلك النيل والفرات من الجنة وكذلك الثمار الهندية من الورق التي
هبط بها ادم عليه السلام من الجنة فاقتضت الحكمة ان يكون في هذه الدار من مياه الجنة
ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها حكمة حكيم جليل واما المجاز فبان يكون من اطلاق

اسم

اسم المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان للصلوة والعبادة سبب في نيل الجنة
قاله ابن ابي جمرة وهو معنى قول بعضهم لكون العبادة فيه تؤول الى دخول العابد روضة
الجنة وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة على غيرها وفي كتاب بهجة النفوس
لابن جمرة ايضا حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها فتكون في الجنة يعني روضة من رياضها
قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب
لصاحبه روضة في الجنة ويأتي مزيد لذلك في فصل الزيارة من المقصد الاخير ان شاء الله تعالى
ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من ينشق عنه اول القبر وفي رواية مسلم انا اول من ينشق
عنه الارض وهو اول من يفيق من الصعقة قال عليه السلام انا اول من يرفع راسه
بعد النفخة فاذا انا بموسى اخذ بقايمة من قوايم العرش فلا ادري اقام قبلي ام جوزي
بصعقة الطور البخاري والظاهر انه عليه السلام لم يكن عنده علم ذلك حتى اعلمه الله بعد
فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه عليه السلام اول من ينشق عنه القبر وهو اول من يجيز
على الصراط رواه البخاري من حديث ابي هريرة وانه يحشر في سبعين الف من الملائكة
كما روي عن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون بقبره عليه
يضربون باجنحتهم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك حتى اذا انشقت
عنه الارض خرج في سبعين الف من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم الحديث
رواه ابن النجار في تاريخ المدينة وانه يحشر راكب البراق رواه الحافظ السلفي كما ذكره
الطبري ويكسى في الموقف اعظم الحلل من الجنة رواه البيهقي بلفظ فاكسى حلة من الجنة

لا يقوم لها البشر ورواه كعب مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا اول وامتى
على تل ويكسونى ربى حلة خضرا رواه الطبرى وهو عند ابن ابى شيبة بلفظ يحشر الناس
على تل وامتى على تل وعند الطبرى ايضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعنى محمدا صلى الله عم
وامته على كوم فوق الناس وانه يقوم عن يمين العرش رواه ابن مسعود عنه عليه السلام
وفيه لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ومنها انه يعطى المقام المحمود قال
مجاهد هو جلوسه على العرش وعن عبد الله بن سلام على الكرسى ذكرها البغوى وسياتى
ما قيل فى ذلك فى ذكر تفضيله عليه السلام بالمقام المحمود ان شاء الله تعالى ومنها انه يعطى
الشفاعة العظمى فى فصل القضا بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبيا والشفاعة
فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وفى رفع درجات ناس فى الجنة كما جوز النووى اختصاص
هذه والتى قبلها به ووردت الاحاديث به فى التى قبل وسياتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى
فى المقصد الاخير والله المعين ومنها انه صاحب لواء الحمد يوم القيمة ادم فمن دونه
تحته رواه البزار وانه اول من يقرع باب الجنة روى مسلم من حديث البخارى المختار بن
فلفل عن انس قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة وانا اول من يقرع باب
الجنة وعنده ايضا عن انس قال صلى الله عليه وسلم اتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح
فيقول الخازن بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبرانى بزيادة فيه قال فيقوم الخازن
فيقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية اخرى له صلى الله عليه
وهى ان خازن الجنة لا يقوم لاحد غيره فقيامه له عليه الصلوة والسلام فيه اظهار لمزيته

ومرتبه

ومرتبته ولا يقوم لاحد بعده بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه
الله تعالى فى خدمة عبده ورسوله حتى مشى وفتح له الباب ومنها انه صلى الله عليه وسلم
اول من يدخل الجنة قال عليه السلام وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها
ومعى فقراء المومنين ولا فخر رواه الترمذى ومن خصايصه عم الكوثر نهر فى الجنة يسيل فى
حوضه مجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج ومنها الوسيلة
وهى اعلا درجة فى الجنة واما اختصاص امته صلى الله عليه وسلم وزادها شرفا فاعلم
انه لما انشا سبحانه وتعالى العالم على غاية من الاتقان وابرز جسد نبينا عم العيان ظهرت عنايته
الانسانية بحضوره وظهوره فيها وان كان العالم الانسانى والنارى كله امته ولكن
لهولاء خصوص وصف فجعلهم خير امة اخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبيا واعطاهم
الاجتهاد فى نصب الاحكام فيحكمون بما ادى اليه اجتهادهم وكل من دخل فى الانبياء كعيسى
او قدر دخوله كالخضر فى زمان هذه الامة بعد نبيها عم فانه لا يحكم فى العالم الا بما
شرع محمد نبينا عم فى هذه الامة فاذا نزل سيدنا عيسى عليه السلام فانما يحكم بشريعة نبينا عم
بالهام او اطلاع على الروح المحمدية او بما شاء الله فياخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم به فى امته
فلا يحكم فى شئ من تحريم وتحليل الا بما كان يحكم به نبينا عم ولا يحكم بشريعته التى نزلت عليه
فى اوان رسالته ودولته فهو عليه السلام تابع لنبينا عم وقد نبه على ذلك الترمذى
الحكيم فى كتاب ختم الاولياء واعرب عنه صاحب عنقا مغرب وكذا الشيخ سعد الدين
التفتازانى فى شرح عقايد النسفى وصح انه يصلى بالناس ويومهم ويقتدى به المهدى

لانه افضل فاما متة اولى انتهى فهو عليه الصلوة والسلام وان كان خليفة فى الامة المحمدية
فهو رسول ونبى كريم على حاله فان قلت قد ورد فى صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم
ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصلب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وان
الصواب فى معناه انه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام او القتل وهذا ما هو حكم الشرع
اليوم فان الكتابى اليوم اذا بدل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا اكراهه على الاسلام
واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى عم حاكما بشريعة نبينا عليه السلام فالجواب انه لا خلاف
ان عيسى عم انما ينزل حاكما بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبيا برسالة مستقرة وشريعة ناسخة
بل هو حاكم من حكام هذه الامة واما حكم الجزية وما يتعلق به فليس حكما مستقرا الى يوم القيمة
بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى وقد اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس عيسى عم
هو الناسخ بل نبينا عم هو المبين للنسخ فدل على ان الامتناع فى ذلك الوقت من قبول الجزية
هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم اشار اليه النووى فى شرح مسلم فان قلت ما المعنى فى
تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عم فى قبول الجزية اجاب ابن بطال بانا انما قبلناها نحن لاحتياجنا
الى المال وليس يحتاج عيسى عند خروجه الى مال لانه يفيض فى ايامه المال حتى لا يقبله احد فلا
يقبل الا القتل والايمان بالله وحده انتهى فاجاب الشيخ ولى الدين بن العراقى بان قبول الجزية من
اليهود والنصارى لشبهة ما بايديهم من التورية والانجيل وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم
فاذا نزل عيسى عم زالت تلك الشبهة بحصول معاينته فصاروا كعبدة الاوثان فى انقطاع شبهتهم
وانكشاف امرهم فعوملوا معاملتهم فى انه لا يقبل منهم الا الاسلام والحكم يزول بزوال علته

قال وهذا معنى حسن مناسب لم ار من تعرض له قال وهذا اولى مما ذكره ابن بطال انتهى وكذلك
من يقول من العلماء بنبوة الخضر وانه باق الى اليوم فانه تابع لاحكام هذه الملة وكذلك الياس
على ما صححه ابو عبد الله القرطبى انه حى ايضا وليس فى الرسل من يتبعه رسول له كتاب الا نبينا
صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا شرفا لهذه الامة المحمدية زادها الله تعالى شرفا فالحمد لله الذى
خصنا بهذه الامة الرحمة واسبغ علينا هذه النعمة ومن علينا بما عمنا به من الفضايل الجمة
ونوه بنا فى كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة فتامل قوله كنتم اى فى اللوح المحفوظ وقيل كنتم
فى علم الله فينبغى لمن هو من هذه الامة المحمدية ان يتخلق بالاخلاق الزكية ليثبت له ما لهذه
الامة الشريفة من الاوصاف المرضية ويتاهل لما لها من الجزية قال مجاهد كنتم خير امة اخرجت
للناس اذا كنتم على الشرايط المذكورة اى تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقيل انما
صارت امة محمد عليه السلام خير امة لان المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهى عن
المنكر فيهم افشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه السلام خير الناس
قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول هذه الامة افضل ممن
بعدها والى هذا معظم العلماء وان من صحبه صلى الله عليه وسلم ولو مرة من عمره افضل
من كل من ياتى بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل هذا مذهب الجمهور وذهب ابن
عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن ياتى بعد الصحابة افضل ممن كان فى جملة الصحابة وان قوله
خير الناس قرنى ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه
عليه الصلوة والسلام جماعة من المنافقين المظهرين للايمان واهل الكباير الذين اقام

عليهم وعلى بعضهم الحدود وفي مسنده وقد روي ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم
قال طوبى لمن رانى وامن به وفي مسند ابى داود الطيالسى عند محمد بن ابى حميد عن زيد
بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اي
الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبيا قال وحق لهم بل غيرهم
ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم فى اصلاب الرجال يومنون بى ولم يرونى
فهم افضل الخلق ايمانا ويروي ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله
ان اكتب الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل
من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر قال وكتب بها الى فقهاء زمانه
فكلهم كتب بمثل قول سالم قال ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضى مع تواتر طرقها وحسنها
التسوية بين اول هذه الامة واخرها فى فضل العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر
هذا الباب بان له الصواب والله يؤتى فضله من يشاء انتهى واسناد حديث ابى
داود الطيالسى عن عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى احمد والدارمى والطبرانى عن
ابى عبيدة يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من
بعدكم يومنون بى ولم يرونى واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان
فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدلايل على افضلية
الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها وسياتى بقية مباحث ذلك فى فضل
الصحابة من المقصد السابع ان شاء الله وقد خص الله تعالى هذه الامة الشريفة بخصايص

لم

لم يؤتها امة قبلهم ابان بها فضلهم والاخبار والاثار ناطقة بذلك فخرج ابو نعيم
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى لما نزلت عليه التورية وقراها
فوجد فيها ذكر هذه الامة فقال يا رب انى اجد فى الالواح امة هم الاخرون السابقون فاجعلها
امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة اناجيلهم فى صدورهم يقرونها
ظاهرا فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة ياكلون الفىء فاجعلها
امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة يجعلون الصدقة فى بطونهم
يوجرون عليها فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة اذا هم
احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها
امتى قال تلك امة محمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد
فى التورية امة يوتون العلم الاول والعلم الاخر فيقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتى قال
تلك امة احمد قال يا رب فاجعلنى من امة احمد فاعطى عند ذلك خصلتين قال يا موسى
انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين قال قد رضيت
يا رب وروى ابن ظغربل فى النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه قال موسى يا رب فهل فى الامم
اكرم عليك من امتى ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى فقال الله سبحانه
وتعالى يا موسى اما علمت ان فضل امة محمد على ساير الامم كفضلى على جميع خلقى قال
يا رب فارنيهم قال لن تراهم ولكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فاجابوا كلهم

بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم في اصلاب ابايهم وبطون امهاتهم فقال سبحانه
وتعالى صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي استجبت لكم قبل ان تسالوني
فمن لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله غفرت له ذنوبه قال صلى الله
فاراد الله ان يمن علي بذلك فقال كنت بجانب الطور اذ نادينا اي امتك حتى اسمعنا موسى
كلامهم ورواه قتادة وزاد فقال موسى يا رب ما احسن اصوات امة محمد صلى الله عليه وسلم
اسمعنيه مرة اخرى وفي الحلية لابي نعيم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوحى الله تعالى الى موسى نبي بني اسرائيل انه من لقيني وهو جاهد باحمد ادخلته النار
قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش
قبل ان اخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال
ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم و
يطهرون اطرافهم صايمون بالنهار رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة
بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك
النبي قال استقدمت واستاخرت ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال وعن وهب بن
منبه قال فاوحى الله تعالى الى سعيا اني باعث نبيا اميا افتح به اذانا صما وقلوبا غلفا واعينا
عميا مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام عبدي المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب
المتحبب المختار لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر رحيما بالمومنين يبكي
للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق

ولا

ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا لو يمر الى جنب السراج لم يطفه من سكينته فلو يمشي على القصب
الرعراع لم يسمع من تحت قدميه الحد ابعثه مبشرا ونذيرا الى ان قال واجعل امته خير امة اخرجت
للناس امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وتوحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي وتصديقا
لما جاءت به رسلي وهم رعاة الشمس والقمر طوبى لتلك القلوب والوجوه والارواح التي
اخلصت لي التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم
ومتقلبهم ومثويهم ويصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي هم اوليائي
وانصاري انتقم بهم من اعدائي عبدة الاوثان يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا
ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء مرضاتي الوفا ويقاتلون في سبيلي صفوفا اختم
بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرايع وبدينهم الاديان فمن ادركهم فلم يؤمن بكتابهم و
يدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني وهو مني بري واجعلهم افضل الامم واجعلهم
امة وسطا شهداء على الناس اذا غضبوا هللوني واذا تنازعوا سبحوني يطهرون الوجوه
والاطراف ويشدون الثياب الى الانصاف ويهللون على التلال والاشراف قربانهم
دماؤهم واناجيلهم في صدورهم رهبانا بالليل ليوثا بالنهار طوبى لمن كان معهم
وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم ذلك فضلي اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم
رواه ابو نعيم وقد ذكر الامام فخر الدين ان من كانت معجزاته اظهر يكون ثواب امته اقل
قال السبكي لا هذه الاية فان معجزات نبينا اظهر وثوابنا اكثر من ساير الامم ومن خصايص هذه
الامة احلال الغنايم لم تحل لامة قبلها وجعلت لهم الارض مسجدا ولم تكن الامم تصلي الا في البيع

والكتابيين وجعل ترابها لهم طهورا وهو التيمم وفي رواية ابي امامة عند البخاري وجعلت الارض
كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وفي رواية مسلم من حديث حذيفة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا
وجعلت ترابها طهورا اذا لم نجد الماء ومن خصايص هذه الامة ايضا الوضوء فانه لم يكن
الا للانبياء دون اممهم ذكره الحليمي واستدل بحديث البخاري ان امتي يدعون يوم القيمة
غرا محجلين من اثار الوضوء لكن قال في فتح الباري وفيه نظر لانه ثبت في البخاري قصة
سارة عليها السلام مع الملك الذي اعطاها هاجر ان سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت
تتوضا وتصلي وفي قصة جريج الراهب ايضا انه لما قام فتوضا وصلى ثم كلم الغلام فالظاهر
ان الذي اختصت به هذه الامة هو الغرة والتحجيل لا اصل الوضوء وقد صرح بذلك
في رواية لمسلم عن ابي هريرة مرفوعا قال سيما ليست لاحد غيركم اي علامة وغاية التحجيل
استيعاب العضدين والساقين والغرة غسل مقدمات الراس وصفحة العنق مع الوجه و
منها جموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد غيرهم اخرج الطحاوي عن عبد الله بن محمد بن
عايشة قال ان ادم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدي اسحاق عند
الظهر فصلى اربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال يوما
فراى الشمس فقال او بعض يوم فصلى اربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب
فقام يصلي اربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثا واول من صلى العشا
الاخرة نبينا صلى الله عليه وسلم واخرج ابو داود في سننه وابن ابي شيبة في مصنفه
والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال اخر رسول الله ع م صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان

ان

ان قد صلى ثم خرج فقال اعتموا بهذه فانكم فضلتم بها على ساير الامم ولم تصلها امة قبلكم و
منها الاذان والاقامة ومنها البسملة قاله بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين الحلبي النحوي
في تفسيره قال ولم ينزلها على احد من الامم قبلنا الا على سليمان بن داود فهي مما اختصت به
هذه الامة انتهى ومنها التامين روى الامام احمد من حديث عايشة قالت بينما انا عند
النبي م اذ استاذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه ان النبي م قال انهم لم يحسدونا على
شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وعلى قولنا خلف الامام امين قال الحافظ بن حجر
وهو حديث غريب لا اعرفه بهذه الالفاظ الا من هذا الوجه لكن لبعضه متابع حسن في التامين
اخرجه بن ماجة وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن عايشة عن النبي م
قال ما حسدتنا اليهود على شيء ما حسدتنا على السلام والتامين ومنها الاختصاص
بالركوع عن علي قال اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال امرت
رواه البزار والطبراني في الاوسط ووجه الاستدلال منه انه صلى قبل ذلك الظهر وصلى
قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فكون الصلوة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة
الامم السالفة منه قاله بعض العلما قال وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى واركعوا
مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلوة خاص بهذه الامة وانه لا ركوع في صلاة
بني اسرائيل ولذا امرهم بالركوع مع امة محمد ع م انتهى وهنا يعارضه قوله تعالى يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين المفسر بامرت بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها
مبالغة في المحافظة عليها قالوا وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم

اوللتنبيه على ان الوا ولا توجب الترتيب وقيل المراد بالقنوت دامة الطاعة لقوله امن هو
قانت انا الليل ساجدا وقايما وبالسجود الصلوة لقوله وادبار السجود وبالركوع الخضوع والا
ومنها الصفوف فى الصلوة كصفوف الملائكة رواه مسلم من حديث حذيفة ومنها تحية
السلام لحديث عايشة السابق ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون
يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا
فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غدر واه البخارى
ومنها ساعة الاجابة التى فى الجمعة واختلف فى تعيينها على اقوال تزيد على الثلاثين
ذكرتها فى لوامع الانوار فى الادعية والاذكار ومنها اذا كان اول ليلة من شهر رمضان
نظر الله اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا وتزيين الجنة فيه وخلوق افواه الصايمين
اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة فى كل يوم وليلة حتى يفطروا واذا
كان اخر ليلة غفر لهم جميعا رواه البيهقى باسناد لا باس به وبلفظ اعطيت امتى فى
رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى الحديث وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا رواه البزار و
تصفد فيه مردة الشياطين رواه احمد والبزار ومنها السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان
واباحة الاكل والشرب والجماع ليلا الى الفجر وكان محرما على من قبلنا بعد النوم وكان فى
صدر الاسلام ثم نسخ ومنها ليلة القدر كما قاله النووى فى شرح المهذب وهل صيام
رمضان من خصايص هذه الامة ام لا ان قلنا ان التشبيه الذي دل عليه الكاف كما فى قوله
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على حقيقة فيكون رمضان كتب على من قبلنا

وذكر

وذكر ابن ابى حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم وفى اسناده مجهول
وان قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه واقعا على مطلق الصوم
وهو قول الجمهور ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير لقد اعطيت هذه الامة
عند المصيبة ما لم تعط الانبياء عليهم السلام مثله انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيت الانبياء
لاعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفى على يوسف ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر الذي
كان على الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم اي ويخفف
عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطيه
وقطع موضع النجاسة وقتل النفس فى التوبة وقد كان الرجل من بنى اسرائيل يذنب الذنب فيصبح وقد
كتب على باب بيته ان كفارته ان تنزع عينيك فينزعهما واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله ومنها ان الله احل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم
فى الدين من حرج كما قال الله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما اشتد القيام
به عليهم اشار الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه يعنى من لم يستطع ان يصلى قايما فصلى
فليصل قاعدا فليصل قاعدا واباح للصايم الفطر فى السفر والقصر فيه وقيل بان جعل لهم
من كل ذنب مخرجا وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه تعالى والاروش و
والديات فى حقوق العباد قاله البيضاوى وروى عن ابن عباس انه قال الحرج ما كان على بنى
اسرائيل من الاصر والشدايد وضعه الله عن هذه الامة وعن كعب اعطى الله هذه الامة
ثلثا لم يعطهن الا للانبياء جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم فى الدين من حرج وقال

ادعوني استجب لكم ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المواخذة بالخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه
وحديث النفس وقد كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة بتحريم
عليهم شي من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله وضع
عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه رواه احمد وابن حبان والحاكم وابن ماجة
ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم غيرهم الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله
هو سماكم المسلمين من قبل ورضيت لكم الاسلام دينا اذ لو لم يكن خاصا بهم لم يكن في
الامتنان عليهم بذلك فايدة وقد تجاب بان رضا الاسلام دينا لهم وتسمية ابراهيم اياهم
بذلك لا ينفي اتصاف غيرهم به وفايدة ذلك الاعلام بالانعام عليهم بما انعم على غيرهم
من الفضايل وقيل لا يختص بهم بل يطلق على غيرهم ايضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا
كما اجاب به ابن الصلاح لقوله تع حكاية عن وصية يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين الى غير ذلك ولان الايمان اخص من الاسلام كما هو
مذهب كثير من العلما وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف به كل من دخل في شريعة مقرا
بالله وبانبيائه كما قاله الراغب ومنها ان شريعتهم اكمل من جميع الشرايع الامم المتقدمة وهذا
مما يحتاج الى بيانه لوضوحه وانظر الى شريعة موسى م فقد كانت شريعة جلال وقهر
امروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات
وحرمت عليهم الغنايم وعجل لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الاصار والاغلال ما لم
يحمله غيرهم وكان موسى م من اعظم خلق الله هيبة ووقارا واشدهم باسا وغضبا لله

و

وبطشا باعداء الله فكان لا يستطاع النظر اليه وعيسى م كان في مظهر الجمال وكانت
شريعته شريعة فضل واحسان وكان يقاتل ولا يحارب وليس في شريعته قتال البتة و
النصارى يحرم عليهم في دينهم القتال وهم به عصاة فان الانجيل يامر فيه ان من لطمك
على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ومن نازعك ثوبك فاعطه رداءك ومن سخرك
ميلا فامش معه ميلين ونحو هذا وليس في شريعتهم مشقة ولا اصار ولا اغلال واما
النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية من قبل انفسهم ولم يكتب عليهم واما نبينا صلى الله
فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل والشدة في الله واللين والرافة والرحمة فشريعته
اكمل الشرايع وامته اكمل الامم واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات ولذلك
تاتي شريعته بالعدل ايجابا له وفرضا وبالفضل ندبا واستحبابا وبالشدة في موضع الشدة وباللين
في موضع اللين ووضع السيف موضعه ووضع الندى موضعه فيذكر الظلم ويحرمه والعدل
ويامر به والفضل ويندب اليه في بعض اية كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فهذا عدل
فمن عفى واصلح فاجره على الله فهذا فضل انه لا يحب الظالمين فهذا تحريم للظلم وقوله وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به هذا هذا العدل وتحريم للظلم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
ندب الى الفضل وكذلك تحريم ما حرم على هذه الامة صيانة وحمية حرم عليهم كل خبيث
وضار واباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة
كما اشرت اليه قريبا وهداهم لما ضلت الامم قبلهم كيوم الجمعة كما ساء ذكره ان شاء الله تعالى
في مقصد عباداته م وتقدم ما يشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة

اخرجت للناس وكمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الامم كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه فى
الانبيا قبله وكمل فى كتابه من المحاسن ما فرقه فى الكتب قبله وكذلك فى شريعته فهذه
الامة هم المجتبون كما قال الههم هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج وجعلهم
شهداء على الناس فاقامهم فى ذلك مقام الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن
القيم ومنها انهم لا يجتمعون على الضلالة رواه احمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير و
ابن ابى خيثمة فى تاريخه عن ابى بصرة الغفارى مرفوعا فى حديث سالت ربى ان لا تجتمع امتى
على ضلالة فاعطانيها ورواه ابن ابى عاصم والطبرانى ايضا من حديث ابى مالك الاشعرى
رفعه ان الله اجاركم من ثلاث وذكر منها وان لا تجتمعوا على ضلالة قال شيخنا وبالجملة
فهو حديث مشهور المتن ذو اسانيد كثيرة وله شواهد متعددة فى المرفوع وغيره
ومنها ان اجماعهم حجة وان اختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا روى البيهقى
فى المدخل فى حديث من رواية سليمان بن ابى كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف اصحابى لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا والضحاك
عن ابن عباس منقطع وهو كما قال الحافظ ابن حجر حديث مشهور على الالسنة وقد اورده ابن الحاجب
فى المختصر فى مباحث القياس بلفظ اختلاف امتى رحمة للناس قال وكثر السؤال عنه وزعم كثير
من الائمة انه لا اصل له لكن ذكره الخطابى فى غريب الحديث مستطردا وقال اعترض على هذا الحديث
رجلان احدهما ماجن والاخر ملحد وهما اسحاق الموصلى وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا لو كان
الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال ثم تشاغل الخطابى برد هذا الكلام ولم يقع فى

كلامه

كلامه نص فى عزو الحديث ولكنه اشعر بان له اصلا عنده ومن حديث الليث بن سعد عن
يحيى بن سعيد قال اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب
هذا على هذا اشار اليه شيخنا فى المقاصد الحسنة ومنها ان الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان
على الامم عذابا ومنها انهم اذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكان الامم
السالفة اذا شهد منهم مائة ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا واقصرهم اعمارا واوتوا العلم
الاول والاخر واخر الامم فافتضحت الامم عندهم ولم يفتضحوا ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة
فاضلة من خصايص هذه الامة وسنة بالغة من السنن الموكدة وقد روينا من طريق ابى العباس
الدغولى قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول ان الله قد اكرم هذه الامة وشرفها وفضلها
بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها قديمها وحديثها اسناد انما صحف فى ايديهم وقد خلطوا
بكتبهم اخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التورية والانجيل وبين ما الحقوه بكتبهم
من الاخبار التى اخذوها عن غير الثقات وهذه الامة الشريفة زادها الله شرفا بنبيها انما تنصر
الحديث عن الثقة المعروف فى زمانه بالصدق والامانة عن مثله حتى تتناهى اخبارهم ثم
يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا الاحفظ فالاحفظ والاضبط فالاضبط والاطول مجالسة لمن فوقه
ممن كان اقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها واكثر واحتى يهذبوه من الغلط
والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله على هذه الامة فنستودع الله
شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه وقال ابو حاتم الرازي لم يكن فى امة من الامم منذ خلق الله
تعالى ادم امناء يحفظون اثار الرسل الا فى هذه الامة انتهى ومنها انهم اوتوا الانساب والاعراب

قال ابو بكر محمد بن احمد بلغني ان الله خص هذه الامة بثلاثة اشياء لم يعطها من قبلها
الاسناد والاعراب انتهى وهو مره وفي عن ابي على الجياني ايضًا ومنها انهم دونوا تصنيف
الكتب ذكره بعضهم ولا تزال طايفة منهم ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله رواه الشيخان
ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء وابدالا عن انس مرفوعًا الابدال اربعون رجلا واربعون مطلب في الاقطاب
امراة كلما مات رجل ابدل الله رجلا مكانه واذا ماتت امراة ابدل الله مكانها امراة رواه الجلال
في كرامات الاوليا ورواه الطبراني في الاوسط بلفظ لن تخلوا الارض من اربعين رجلا مثل
خليل الرحمن عليه السلام فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله
مكانه اخر ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلاء اربعون اثنان وعشرون بالشام و
ثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه اخر فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند
ذلك تقوم الساعة وكذا روي كما عند احمد في المسند والجلال من حديث عبادة بن الصامت
مرفوعًا لا يزال في هذه الامة ثلثون مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحدًا بدل
الله تعالى مكانه رجلًا وفي لفظ للطبراني في الكبير بهم تقوم الارض وبهم يمطرون
وبهم ينصرون ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر رفعه خيار امتي في كل قرن خمسمائة
والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل بدل الله مكانه
اخر وهم في الارض كلها وفي الحلية ايض عن ابن مسعود رفعه لا تزال اربعون رجلا من امتي
قلوبهم على قلب ابراهيم يدفع الله بهم عن اهل الارض يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها
بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قال فبما ادركوها يا رسول الله قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين

وعن

وعن معروف الكرخي من قال اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد في كل يوم كتبه الله
من الابدال وهو في الحلية بلفظ من قال في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم
ارحم امة محمد كتب من الابدال وعن غيره قال من علامة الابدال ان لا يولد لهم وروي في مرفوع
معضل علامة ابدال امتي انهم لا يلعنون شيئًا ابدًا وقال يزيد بن هارون الابدال هم اهل
العلم وقال الامام احمد ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني
قال النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة
والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجبا مصر ومسكن الابدال الشام و
الاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت
الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا
والا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلته حتى تجاب دعوته انتهى ومنها انهم يدخلون قبورهم
بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المومنين لهم رواه الطبراني
في الاوسط من حديث انس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة تدخل قبورها
بذنوبها وتخرج من قبورها بغير ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المومنين لها ومنها انهم
اختصوا في الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم رواه ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعًا
بلفظ وانا اول من تنشق الارض عني وعن امتي ولا فخر ومنها انهم يدعون يوم القيمة غرًا
محجلين من اثار الوضوء رواه البخاري والغرة بياض في وجه الفرس والتحجيل بياض
من قوايمه وذلك مما يكسبه حسنًا وجمالًا فشبه صلى الله عليه وسلم النور الذي

يكون يوم القيمة في اعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل ليفهم ان هذا البياض في اعضاء الوضوء للانسان
مما يزينه لا مما يشينه يعني انهم اذا دعوا على رؤس الاشهاد نودوا بهذا الوصف وكانوا على هذه
الصفة ومنها انهم يكونون في الموقف على مكان عال رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث جابر
مرفوعا بلفظ انا وامتي على كوم مشرفين على الخلائق ما من احد الا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه
الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه وعند ابن مردويه من حديث كعب فاكون انا وامتي على تل
ومنها ان لهم سيما في وجوههم من اثر السجود قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود و
هل هذه الامة العلامة في الدنيا او في الاخرة فيه قولان احدها انها في الدنيا قال ابن عباس في رواية
ابن ابي طلحة السمت الحسن وقال في رواية مجاهد ليست بالتي ترون هي سمت الاسلام وسيماه وخشوعه
وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر فتحسبهم مرضى وما هم بمرضى والقول الثاني انه في الاخرة يعني
ان مواضع السجود من وجوههم تكون اشد بياضا يوم القيمة يعرفون بتلك العلامة انهم
سجدوا في الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس وعن ابن شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من
وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال عطا الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ على
الصلوات الخمس ومنها انهم يؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد والبزار ومنها ان نورهم
يسعى بين ايديهم اخرجه احمد باسناد صحيح ومنها ان لهم ما سعوا وما يسعى لهم وليس لمن
قبلهم الا ما سعى قاله عكرمة واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ففيها اجوبة احدها
انها منسوخة روى ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم
ذرياتهم فجعل الولد الطفل في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الاباء في الابناء والابناء في

الابا

الاباء بدليل قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا والثاني
انها مخصوصة بالكافر واما المؤمن فله ما سعى غيره قال القرطبي وكثير من الاحاديث
تدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وفي الصحيح
عن النبي من مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم للذي حج عن غيره
حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة وعن عايشة انها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه
وقال سعد للنبي عليه السلام ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال
سقي الماء عن عبد الله بن بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى
مسجد قبا فماتت ولم تقضه فافتى عبد الله بن عباس ابنها ان يمشي عنها ومن المفسرين
من قال ان الانسان في الاية ابو جهل ومنهم من قال عقبة بن ابي معيط ومنهم من قال
الوليد بن المغيرة ومنهم من قال اخبار عن شرع من قبلنا وقد دل شرعنا ان الانسان له
سعيه وما سعي له ومنهم من قال الانسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته
اكتسب الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه
ومنهم من قال الانسان في الاية للحي دون الميت ومنهم من قال لم ينف في الاية انتفاع
الرجل بسعي غيره له وانما نفي ملكه بسعي غيره وبين الامرين فرق فقال الزمخشري في ان
ليس للانسان الا ما سعى فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه
قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون
مؤمنا مصدقا فكذلك كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تبيعا له وقايما لقيامه والثاني

ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له فهو في حكم الشرع كالنايب عنه و
الوكيل القايم مقامه والصحيح من الاجوبة ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى عام مخصوص
لما تقدم من الاجوبة وقد اختلف العلماء في ثواب القراءة هل تصل للميت فذهب الاكثرون
الى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثير
من الشافعية والحنفية يصل وبه قال احمد بن حنبل رحمه الله بعد ان قال القراءة على القبر بدعة
بل نقل عن الامام احمد يصل الى الميت كل شيء من صدقة وصلاة وحج واعتكاف وقراءة
ذكر وغير ذلك وذكر الشيخ شمس الدين محمد بن القطان العسقلاني ان وصول ثواب القراءة
الى الميت من قريب او اجنبي هو الصحيح كما تنفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالاجماع
وقد افتى القاضي حسين بان الاستيجار لقراءة القران على راس القبر جايز كالاستيجار للاذان
وتعليم القران لكن قال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة على المستاجر شرط في الاجارة
فيجب عود المنفعة في هذه الاجارة الى المستاجر او ميته لكن المستاجر لا ينتفع بان يقرا الغير له
ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجردة فالوجه تنزيل الاستيجار على صورة انتفاع
الميت بالقراءة وذكروا له طريقين احدهما ان تعقب القراءة بالدعاء للميت فان الدعاء يلحقه
والدعاء الى القراءة اقرب الى الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر الشيخ عبد الكريم الشالوسي
انه ان نوى القاري بقراءته ان تكون ثوابها للميت لم يلحقه لكن لو قرأ ثم جعل ما حصل من الاجر
له فهذا دعاء بحصول ذلك الاجر للميت فينتفع الميت قال النووي في الزيادات الروضة ظاهر
كلام القاضي حسين صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فان موضع القراءة موضع بركة

وتنزل

وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع وقال الرافعي وتبعه النووي في الوصية الذي يعتاد من
قراءة القران على راس القبر قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين في عود فايدتها الى الميت
وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحي الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة
اذا اهدى الثواب له القاري وقال الشالوسي اذا نوى بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه
اذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا يقع عن الغير وان قرا ثم جعل ما حصل من
الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يوجر بدعاء الغير لكن اطلاق ان الدعاء
ينفع الميت اعترض عليه بعضهم بانه موقوف على الاجابة ويمكن ان يقال الدعاء للميت مستجاب
بما اطلقوا اعتمادا على سعة فضل الله وقال الرافعي وتبعه النووي في الصدقة والدعاء يستوي
الوارث والاجنبي قال الشافعي وفي وسع الله ان يثيب المتصدق ايضا وقال الاصحاب
يستحب ان ينوي المتصدق الصدقة عن ابويه فان الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره
شيا وذكر صاحب العدة انه لو انبط عينا او حفر بيرا او غرس شجرا او وقف مصحفا
في حال حيوته وفعل غيره بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي ان هذه
الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقات جارية يلحقه ثوابها بعد الموت كما ورد في
ولا يختص الحكم بوقف المصحف بل يلتحق به كل وقف وهذا القياس يقتضي جواز التضحية
عن الميت فانها ضرب من الصدقات لكن في التهذيب انه لا يجوز التضحية عن الغير بغير امره
وكذا عن الميت الا ان يكون اوصى به وقد روي عن علي او غيره من الصحابة انه كان يضحي عن
النبي بعد موته وعن ابي العباس محمد بن اسحق السراج قال ضحيت عن النبي صلى الله عليه وسلم

سبعين اضحية واما اهداء القراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعرف فيه خير
ولا اثر وقد انكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الفركاح لان الصحابة لم يفعله احد منهم
وحكى صاحب الروح ان من الفقهاء المتاخرين من استحبه ومنهم من راه بدعة قالوا والنبي
غني عن ذلك فان له اجر كل من عمل خيرا من امته من غير ان ينقص من اجر العامل شئ قال
الشافعي ما من خير يعمله احد من امة النبي الا والنبي اصل فيه قال في تحقيق النصرة فجميع
حسنات المسلمين واعمالهم الصالحة في صحايف نبينا صلى الله عليه وسلم زيادة على
ماله من الاجر مع مضاعفة لا يحصرها الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم القيمة يحصل
ويتجدد لشيخه مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث اربعة وللرابع ثمانية
وهكذا تضعف كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده الى النبي وبهذا يعلم تفضيل
على الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي من الاجر الف واربعة وعشرون فان اهتدى
بالعاشر حادي عشر صار اجر النبي الفين وثمانية واربعين وهكذا كلما ازداد واحد يتضاعف
ما كان قبله ابدا كما قاله بعض المحققين ولله در القايل هو سيدي محمد وفا

فلا حسن الا من محاسن حسنه ... ولا محسن الا له حسناته

وبهذا يجاب عن استشكال دعاء القاري له بزيادة الشرف مع العلم بكماله عليه السلام
في ساير انواع الشرف فكان الداعي لحظه ان قبول قراته يتضمن لعلمه نظير اجره وهكذا حتى يكون
للعلم الاول وهو الشارع عليه السلام نظير جميع ذلك كما قررته ومن ذلك ما شرع عند رؤية
الكعبة من قوله اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما فثمرة الدعاء بذلك عايدة على الداعي لاشتماله

على

على طلب قبول القراة وهذا كما قالوا في الصلاة عليه زاده الله شرفا لديه ان ثمرتها عايدة على
المصلي اشار لنحوه الحافظ بن حجر رحمه الله ومن خصايص هذه الامة انهم يدخلون الجنة قبل
ساير الامم رواه الطبراني في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا حرمت الجنة على الانبيا
حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي ومنها انه يدخل منهم الجنة سبعون الفا
بغير حساب رواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي في البعث ان ربي وعدني ان يدخل من امتي
الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد من السبعين
سبعين الفا وبالجملة فقد اختصت هذه الامة بما لم يعط غيرها من الامم تكرمة لنبيها
وزيادة في شرفه وتفضيل فضلها وخصايصها يستدعي سفرا بل اسفارا وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم المقصد الخامس في تخصيصه عليه السلام
بخصايص المعراج والاسراء وتعميمه بعموم لطايف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة
والمشاهدة وبالايات الكبرى اعلم منحني الله واياك الترقي في معارج السعادات واوصلنا
اليه في خطاير الكرامات ان قصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين البينات
واقوى الحجج المحكمات واصدق الانباء واتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام
بعموم الكرامات وقد اختلف العلماء في الاسراء هل هو اسراء واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما
او اسراان كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش وهي اربع اسراآت
احتج القائلون بانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا

التي اريناك الا فتنة للناس لان الرؤيا مصدر الحلمية واما البصرية فالرؤية بالتاء و
وقد انكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرؤيا
للبصرية ولحنوا المتنبي في قوله ورؤياك احلى في العيون من الغمض واجيب بانه انما قال
الرؤيا لوقوع ذلك في الليل وسرعة نقضيه كانه منام وبان الرؤيا والرؤية واحدة
كقربى وقربة ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما في الاية كما عند البخاري هو رؤيا
عين اريها صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وزاد سعيد بن منصور عن سفيان في اخر الحديث
وليس رؤيا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي وعند سعيد بن منصور ايضا من
طريق ابي مالك قال هو ما اري في طريقه الى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ
الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة وهو رد على من خطاء المتنبي على انه اختلف المفسرون
في هذه الاية فقيل اي الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج قال البيضاوي ففسر الرؤيا بالرؤية
وقيل رؤيا عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل
رؤيا وقعة بدر وسال ابن النقيب شيخه ابا العباس القرطبي عن الاية فقال الصحيح انها رؤية
عين يقظة اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي ما للناس مصارع القوم التي اراه *
واحتج القايلون بانه رؤيا منام ايضا بقول عايشة ما فقد جسده الشريف صح
جبريل فتسامعت به قريش واستسخروا منه واجيب بان عايشة لم تحدث به عن مشاهدة لم تكن
اذ ذاك زوجا ولا في سن من يضبط او لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان
واحتج القايلون بانه بالجسد وقال التفتازاني اي ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه و
كان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى واحتج القايلون بانه بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما

بالروح بقوله

بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد
الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي
به واظهار الكرامة له بالاسراء قالوا ولو كان الاسراء بجسده الى زايد على المسجد الاقصى
لذكره فيكون ابلغ في المدح واجيب بان حكمة التخصيص له بالمسجد الاقصى سوال قريش
له عنه على سبيل الامتحان عن ما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا
انه سافر اليه فيجيبهم بما عاين ويوافق بما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع
ولهذا لم يسالوه عن ما راى في السماء اذ لا عهد لهم بذلك وقال النووي في فتاويه وكان
الاسراء به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة وذكر السهيلي
تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضي ابي بكر بن العربي وان مرة النوم توطية له وتيسير
عليه عما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر النبوة فانه امر عظيم تضعف
عليه عنه القوى البشرية وكذلك الاسراء سهله عليه بالرؤيا لان هوله عظيم
فجاء في اليقظة على توطية وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض
قايلي ذلك ان تكون قصة المنام قبل المبعث لاجل قول شريك في روايته وذلك قبل
ان يوحي وسياتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى واحتج القايلون بانه اربعة اسراات
يقظة بتعدد الروايات في الاسراء واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره
ذكره الاخر واجيب بانه لا يدخل على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر
للعلم به او بنياه وقد وقع في رواية عبثر بن القاسم بموحدة ثم مثلثة بوزن جعفر

الاخر وبعضهم يسقط
شيئا

وفي روايته عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي لما اسري رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فان كان محفوظا كانت فيه قوة لمن ذهب الى
تعدد الاسراء وانه وقع بالمدينة ايضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي
يتحرز من هذه المسالة ان الاسراء الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح
ابواب السماء بابا بابا ولا من التقاء الانبياء كل واحد في سماء ولا المراجعة معهم ولا
المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وساير ما يتعلق بذلك
وانما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك راها صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة
بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام والله اعلم انتهى وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه وسلم
اربعة وثلاثين مرة الذي اسري به منها بجسده اسراء واحد والباقي بروحه رويا راها
وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسرات متعددة
فقد ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن احد
من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي صلى الله عليه وسلم به امته ولنقله الناس على التعدد
والتكرار انتهى فالحق انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا
ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار
الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه اذ ليس في العقل ما يحيله قال الرازي قال اهل التحقيق
الذي يدل على انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى القران والخبر
اما القران فهو قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد

والروح

والروح فوجب ان يكون الاسراء حاصلا بجميع الجسد والروح ويدل عليه قوله ارايت الذي
ينهى عبدا اذا صلى ولا شك ان المراد هنا مجموع الروح والجسد وايضا قال سبحانه وتعالى
في سورة الجن وانه لما قام عبد الله يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد وكذا ههنا انتهى
واحتجوا ايضا بظاهر قوله عليه السلام اسري بي لان الاصل في الافعال ان تحمل على اليقظة
حتى يدل دليل على خلافه وبان ذلك لو كان مناما لما كانت فيه فتنة للضعفاء ولا
استبعده الاغنياء وبان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام وقد تواترت
الاخبار بانه اسري به على البراق فان قلت ما الحكمة في كونه جعل الاسراء ليلا اجيب
بانه انما جعله ليلا تمكنا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا
والليل اخص زمان للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب متحققة بالليل قال ابن المنير ولعل
تخصيص الاسراء بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة
على فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا لفات المومن فضيلة
الايمان بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة على من شقي وجحد وفي ذلك حكمة اخرى
على طريقة اهل الاشارة وذكرها العلامة ابن مرزوق وهي انه قيل لان الله تعالى لما
محا اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار
على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود
في الليل الى السماء وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل وانشد

قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل	على بهجة النهار المنير

قال لا استطيع تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع البدور انما زرت في الظلام لكيما
يشرق الليل من اشعة نوري فان قلت ايهما افضل ليلة الاسراء او ليلة القدر
فالجواب كما قاله الشيخ ابو امامة بن النقاش ان ليلة الاسراء افضل في حق النبي صلى الله
وليلة القدر افضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل ثمانين سنة لمن قبلهم واما
ليلة الاسراء فلم يات في ارجحية العمل فيها صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي
لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الان ولا الى ان تقوم الساعة
فيها شيء ومن قال فيها شيئا فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استانس به ولهذا تصادمت
الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شيء ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة
لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم انتهى فان قلت هل وقع الاسراء لغيره صلى الله عليه وسلم
من الانبياء اجاب العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسرى بالجسم الى تلك
الحضرات العلية لم يكن لاحد من الانبياء الا لنبينا وانما قال الله تعالى اسرى بعبده ليلا
اشارة الى انه تعالى هو المسافر به ليعلم ان الامر من عنده عز وجل هبة الهية وعناية ربانية
سبقت له عليه السلام مما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وادخل باء المصاحبة في
قوله بعبده ليفيد انه تعالى في مسراه صحبه بالالطاف والعناية والاسعاف والرعاية
ويشهد له قوله عليه السلام اللهم انت الصاحب في السفر وتامل قوله تعالى يسيركم
في البر والبحر وقوله اسرى بعبده تلمح خصوصية مصاحبة الرسول عليه السلام للحق دون
عموم الخلق وقرن سبحانه وتعالى التسبيح بهذا المسرى لينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم

ومن

ومن يحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم ما يحله في حق الحق تعالى من الجهة والحد
والمكان ولذا قال لنريه من اياتنا يعني ما راى في تلك الليلة من عجايب الايات كانه يقول
تعالى ما اسريت به الا لرؤية الايات لا الي فاني لا يحدني مكان ونسبة الامكنة الي نسبة
واحدة فكيف اسري به الي وانا معه اينما كان ولله در القايل سبحان من اسرى اليه بعبده
ليرى الذي اخفاه من اياته لحضوره في غيبه وكسكره في صحوه والمحو في اثباته
ويرى الذي عنه تكون بسره في منعة انشاءه وهباته واكده تعالى بقوله ليلا مع
ان الاسراء لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لا نهارا ليرفع الاشكال حتى لا يتخيل انه اسري
بروحه فقط ويزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان الاسراء ربما يكون نهارا فان القران
وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس اجمعين اصحاب اللسان وغيرهم قال البيضاوي
تبعا لصاحب الكشاف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرا ولذلك قرئ من
الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به وتعقبه القطب في حاشيته على الكشاف
كما نبهت عليه في حاشية الشفا والمعارج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات والثامن
الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار
والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي و
قد وقع له عليه السلام في سني الهجرة العشر ما كان فيه مناسبات لطيفة لهذه المعارج العشرة
ولهذا ختمت سني الهجرة بالوفاء وهي لقاء الحق جل جلاله والانتقال من دار الفنا والعروج
بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة

وقطـ كما ختمت معاريج الاسرى باللقاء والحضور بحظيرة القدس وقد افاد الامام الذهبي ان الحافظ
صنف عبد الغني جمع احاديث الاسراء في جزئين ولم يتيسر لي الوقوف عليهما بعد الفحص وقد
الشيخ ابو اسحق النعماني رحمه الله في الاسراء والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادات
الرقايق والاشحان بفواصل الحقايق ولم اقف عليه حالة كتابتي هذا المقصد الثاني
الشريف ورحم الله الشيخ الاسلام والحافظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه قد جمع في
كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث وغيره ومن الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهه
والكشف عن اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه وحكمه وكل من صنف في شيء من المنح النبوية
والمناقب المحمدية لا يستغني عن استجناء معارف اللطايف من رياض غياض والاستشفاء
من ادواء المشكلات بدوام شفائه المبرء لمعضل الامراض فالله تعالى يفيض عليه وعلى
ساير علماء هذه الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في بحبوحة جناته
وقد وردت احاديث الاسراء من حديث انس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وبريدة
وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وبن مسعود وبن عمرو وحذيفة بن اليمان
وشداد بن اوس وصهيب وعلي ابن ابي طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة
وابي امامة وابي امامة ابو ايوب وابي حبه وابي ذر وابي سعيد الخدري وابي سفيان
بن حرب وابي هريرة وعايشة واسما بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة وغيرهم وفي تفسير
الحافظ بن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة فحديث الاسراء جمع عليه المسلمون
واعرض عنه الزنادقة الملحدون يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون

وقد روي البخاري عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله عم
تهم عن ليلة اسري به بينما انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذا اتاني
ات فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه للجارود وهو الى جنبي ما يعني به
قال من ثغره ونحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي
ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود وهو
البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل
حتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما حصلت فاذا فيها ادم فقال
هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما
حصلنا خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما
فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة
فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم
قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما حصلت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه
فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء
الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه

قال نعم قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه
فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبًا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة
فاستفتح قيل من هذا قال جبرئيل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل
مرحبًا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه
فرد ثم قال مرحبًا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء السادسة فاستفتح
قيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبًا فنعم
المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبًا
بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكا قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلامًا بعث
بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي ثم صعد الى السماء السابعة فاستفتح
جبرئيل قيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به
فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام
فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال
هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا فيها اربعة انهار نهران
باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبرئيل قال اما الباطنان فنهران في
الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخل كل يوم سبعون
الف ملك ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخترت اللبن فقال
هي الفطرة التي انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت

فمررت

فمررت على موسى فقال بما امرت قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع
خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة
فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال
مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا
فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت
فامرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد
خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف
لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم قال فلما جاوزت
نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية له ففرج صدري
ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدري
ثم اطبقه وفي رواية شريك فحشي به صدره ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة
اي عروق حلقه وفي النهاية جمع لغدود وهي لحمة عند اللهاة والشك في قوله وربما
قال في الحجر من قتادة بينه احمد عن عثمان ولفظه بينما انا في الحطيم وربما قال
قتادة في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر ووقع عند البخاري في اول بدء الخلق
بلفظ بينما انا عند البيت وهو اعم وفي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر فرج سقف
بيتي وانا بمكة وفي رواية الواقدي باسانيده انه اسري به من شعب ابي طالب وفي
حديث ام هاني عند الطبراني انه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل فقال جبرئيل

اتاني والجمع بين هذه الاقوال كما في فتح الباري انه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب
ابي طالب ففرج سقف بيته واضاف البيت اليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فاخرجه
من البيت الى المسجد فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس ثم اخذه الملك فاخرجه فاركبه البراق
قال وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن اسحق ان جبرئيل اتاه فاخرجه الى المسجد فاركبه البراق
وهو يؤيد هذا الجمع فان قيل لم فرج سقف بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك
ولم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى واتوا البيوت من ابوابها واجيب بان الحكمة في
ذلك ان الملك انصب من السماء انصبابة واحدة ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المفاجاة
وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه السلام وهذا بخلاف موسى عم
فكانت كرامته بالمناجاة عن ميعاد بخلاف نبينا عليه السلام فانه حمل عنه الم الانتظار
كما حمل عنه الم الاعتذار ويؤخذ من هذا ان مقام نبينا عليه السلام بالنسبة الى
مقام موسى عليه السلام مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد ويحتمل ان يكون توطية
وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراه الملك بافراجه عن السقف ثم التام السقف على الفور
كيفية ما يصنع به وقرب له الامر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عم
وتثبيتا لصبره والله اعلم وقوله مضطجعا زاد في بدء الخلق بين النائم واليقظان
وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما اخرج به الى باب المسجد فاركبه البراق استمر في يقظته
واما ما وقع في رواية شريك عنده ايضا فلما استيقظت فان قلنا بالتعدد فلا اشكال
والا حمل على ان المراد استيقظت يعني افاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت

و

ورجع الى العالم الدنيوي والمراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية وقوله اذ اتاني آت
هو جبريل عليه السلام وفي رواية شريك انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم
في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو قال اوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم
وكانت تلك الليلة اي كانت القضية الواقعة تلك الليلة ما ذكر ههنا فلم يرهم حتى
اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه وقد انكر الخطابي قوله قبل ان يوحى اليه وكذا
القاضي عياض والنووي وعبارة النووي في وقع في رواية شريك يعني هذه اوهام
انكرها العلماء احدها قوله قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه واجمع العلماء على
ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء فكيف يكون قبل الوحي انتهى وقد صرح هؤلاء بان شريكا
تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة
والنون مصغرا عن انس كما اخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في كتاب المغازي من طريقه
قال ولم يقع التعيين بين المجيئين فيحمل على ان المجيء الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع
الاسراء والمعراج واذا كان بين المجيئين مدة ولا فرق بين ان تكون تلك المدة ليلة واحدة او
ليالي او عدة سنين وبهذا يرتفع الاشكال من رواية شريك ويحصل به الوفاق ان الاسراء
كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف
الاجماع في دعواه ان المعراج كان قبل البعثة واقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد
البعثة قوله في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السماء اذ قال له ابعث قال نعم

فانه ظاهر فى ان المعراج كان بعد البعثة و وقع فى رواية ميمون بن سياه عند الطبرانى فاتاه
جبريل وميكايل فقالا ايهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال امرنا بسيدهم ثم ذهبا
ثم جاوا وهم ثلاثة وفى رواية مسلم سمعت قايلا يقول احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق
بى والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبى صلى الله عليه وسلم نايما بينهما وقوله فقد
بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغره بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهى الموضع المنخفض
الذى بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين المعجمة اى شعر العانة الشريفة وفى رواية مسلم سمعت
قايلا يقول احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بى والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان
الى اسفل بطنه وفى رواية البخارى الى مراق البطن وفى رواية شريك عنده فشق جبريل ما بين
نحره الى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة وقد انكر القاضى عياض
فى الشفا وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صبى وقبل الوحى
يعنى فى بنى سعد ولا انكار فى ذلك كما قاله الحافظ ابو الفضل العسقلانى رحمه الله فقد تواردت
الروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم فى الدلايل ولكل منها
حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث انس فاخرجه علقة فقال
هذا حظ الشيطان منك وكان هذا فى زمن الطفولية فنشا على اكمل الاحوال من
العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا فى اسلام قرينه المروى عند البزار
من حديث ابن عباس ويحتمل ان يكون اشارة الى حظ الشيطان المباين كالعفريت الذى اراد
ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه واما شق الصدر عند المبعث فلزيادة الكرامة

وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى على اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة
العروج الى السماء فللتهيئ للترقى الى الملا الاعلى والثبوت فى المقام الاسنى والتقوى
لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لما يتفق لموسى عليه السلام مثل التهيئ لم تتفق له الرؤية
وكيف يثبت للرجل لما يثبت له الجبل ويحتمل ان يكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة
فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر فى شرعه عليه السلام ثم ان جميع ما ورد من
شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له
دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شئ من ذلك قال
العارف ابن ابى جمرة فيه دليل على ان قدرة الله عز وجل لا يعجزها ممكن ولا يتوقف لعدم شئ
ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادات الا حيث شاءت القدرة لانه على ما يعهد ويعرف
ان البشر مهما شق بطنه كله انبدل واخرج القلب مات ولم يعش وهذا النبى صلى الله عليه وسلم
قد شق على بطنه المكرمة حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه كذلك ايضا وهو صغير
وشق بطنه قلبه واخرجت منه نزغة الشيطان ومعلوم ان القلب مهما وصل له الجرح
مات صاحبه وهذا النبى صلى الله عليه وسلم شق بطنه فى هاتين المرتين ولم يتالم بذلك
ولم يمت لما ان اراد الله تعالى ان لا يوثر ما اجرى به العادة ان يوثر بها موت صاحبها
فابطل تلك العادة وقد رمى ابراهيم عليه السلام فى النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا
وسلاما وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه السلام بتحقيق ما اوتى من الصبر
فهو من جنس ما اكرم به اسماعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا

للجبين واهواء للمدية الى الخ فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ووفى بما وعده الله فاكرمه
الله بالثناء على صبره الى الابد ولا مرية ان الذى حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم
على شق الصدر اشد واجل لان تلك مقدمات وهى نتيجه وتلك معاريض وهذه حقيقة
والمنحر مقتل وما اصابه من استعمل الا صورة القتل لا فعله وشق صدر نبينا عليه السلام
واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا ثم كذا مقاتل عديدة وقعت كلها ولكن لخرق العادة ببقاء الحيا
فهذا الابتلاء اعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر فان قلت انما يتحقق الصبر ان لو كان هناك مشقة
فلعل العادة لما انخرقت فى ابقاء الحياة انخرقت فى رفع المشاق وحمل الالام اجيب
بانه ورد فى حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم بدل النون
وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق قال القاضى عياض واصل
انتقع فصار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات وهذا يدل على غاية
المشقة واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه فيحمل على انه صبر من لم يشق عليه
انتهى وكذلك الابتلاء ايضا من حيث السن فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم
بعيد ما فطم وايضا فانه كان منفردا عن امه وبعيدا عن ابيه واختطف من بين الاطفال
وفعل به ما فعل من الافعال تسهيلا لما يلقاه فى المال وتعظيما لما يناله على الصبر من
الثواب والثناء ولهذا لما شج وجرح وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومى فانهم
لا يعلمون زاده الله شرفا وقوله ثم اتيت بطست من ذهب انما اتى بالطست لانه اشهر الات
الغسل عرفا فان قلت ان استعمال الذهب حرام فى شرعه عليه السلام فكيف استعمل الطست

الذهب

٤٩

الذهب هنا اجاب العارف ابن ابى جمرة بان تحريم الذهب انما لاجل الاستمتاع به فى
هذه الدار واما فى الاخرة فهو للمؤمنين خالصا لقوله عليه السلام هو لهم فى الدنيا
ولنا فى الاخرة قال ثم ان الاستمتاع بهذا الطست لم يحصل منه عليه السلام
وانما كان غيره هو السابق له والمتناول لما كان فيه حتى وضعه فى القلب المبارك
فسوق ان الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفيع المقام فانتفى التعارض
بدليل واقررناه انتهى وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لا يكفى ان يقال ان المستعمل له
ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله لتنزه ان يستعمله
غيره فى امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص باحوال الدنيا
وما وقع فى تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة ولعل
ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب فى هذه الشريعة وتظهر هنا مناسبات منها
انه من اوانى الجنة ومنها انه لا تاكله النار ولا التراب ومنها انه لا يلحقه الصدى
فناسب قلبه عليه السلام لانه من اوانى احوال الجنة ولا تاكله النار ولا التراب
ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا ولا يلحقه الصدي وانه اثقل من
كل قلب عدل به وفيه مناسبة اخرى وهى ثقل الوحى فيه انتهى قلت قوله ولعل
ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب فى هذه الشريعة قد جزم هو فى اول الصلاة من كتابه
فتح البارى بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة وقال السهيلى وابن دحية ان نظر الى
لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه

وان نظر الى معناه فلوضائه ولقائه وصفائه انتهى والمراد بقوله ملى حكمة وايمانا ان الطشت جعل فيها شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا مجازا ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسيد المعاني جايز كما ورد ان سورة البقرة تجي يوم القيمة كانها ظلة والموت في صفة كبش وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك وقال البيضاوي تعالى ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحائط وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه عليه السلام قال عن الطشت انه اتي به مملوا حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملأ وانما يمتلئ الاناء بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه السلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس اليها ادراك ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل بالاجماع من اهل العقل المويدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع عليه السلام في الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التي اخبر بها عليه السلام فيكون الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه السلام في

الحديث

الحديث ولهذا نظاير كثيرة بين المتكلمين واثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه او ما اشبهه ثم مثل مجي الموت في هيئة كبش املح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لانها وان كانت منها معان وتوجد يوم القيمة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر قال وفي ذلك دليل لاهل الصوفة واصحاب المعاملات والتحقيق القائلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم باعين بصايرهم جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح ومنهم من يعاينه مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو اقواها ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه من النقصان فان ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملي ايمانا وحكمة ولم لم يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل اجاب العارف ابن ابي جمرة بانه عليه السلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة وقوي التصديق اذ ذاك اعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه السلام قوة الايمان من ثلثة اوجه بقوة التصديق وبالمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه السلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه السلام في العالمين اشجعهم واثبتهم واعلاهم حالا ومقالا ففي العلوي كان كما اخبر عليه السلام ان جبريل لما وصل معه الى مقامه قال ها انت وربك هذا مقامي لا اتعداه فزج في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان هناك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز

بقوله ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه السلام في هذه العالم فكان اذا حمي الوطيس
في الحرب ركض بغلته في نحر العدو وهم شاكين في سلاحهم ويقول انا ابن عبد المطلب
انا النبي لا كذب ثم ان في العناية بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة
فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات
كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة واما الحكمة في
غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع قال
الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل به قلبه عليه السلام ليلة الاسراء ليقوى على
رؤية الملكوت واستدل شيخ الاسلام البلقيني بغسل قلبه الشريف به على انه افضل
من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه واليه يومي قول العارف
ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس واما قوله عم فغسل صدري فالظاهر ان المراد به القلب
كما في الرواية الاخرى وقد يحتمل ان يحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بان يقال
اخبر عليه السلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه الشريف واخبر مرة بغسل
قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة في تنظيف
المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير و
قد غسل اولا وهو عليه السلام طفل واخرجت من قلبه نزغة الشيطان وانما كان
ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هناك وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما موضع مثل الوضوء
للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه انما هو اعظام وتاهب للوقوف بين يدي

الله تعالى ومناجاته فلذلك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال تعالى ومن يعظم شعائر
الله فانها من تقوى القلوب فكان الغسل له عم من تعظيم شعائر الله واشارة لامته
بالفعل بتعظيم شعائر الله كما نص عليه القول واما قوله ثم اتيت بدابة دون البغل و
فوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى السماء
الدنيا وفي رواية عنده في الصلاة ثم اخذ بيدي فعرج الى السماء فظاهره انه استمر على
البراق حتى عرج الى السماء قال العارف ابن ابي جمرة افاد ذلك انهم كانوا يمشون في الهواء
وقد جرت العادة بان البشر لا يمشي في الهواء سيما وكان راكبا على دابة من ذوات الاربع
لكن لما ان شاءت القدرة ذلك كان فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم
في الهواء كل ذلك بيد قدرته لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية وقد سئل عليه السلام
حين اخبر عن الاشقياء والذين يمشون على وجوههم يوم القيمة كيف يمشون فقال عم
الذي امشاهم في الدنيا على اقدامهم قادر ان يمشيهم يوم القيمة على وجوههم
انتهى وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسراء
الى بيت المقدس لكون الاسراء اليه لم يذكر هنا فاما المعراج ففي غير هذه الرواية من الاخبار
انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به في حديث الراوي
عند ابن اسحق والبيهقي في الدلائل كما سياتي ان شاء الله تعالى ويمكن ان يقال ما وقع
هنا اختصار من الراوي منا والاتيان بثم المقتضية للتراخي لا ينافي وقوع الاسراء بين الامرين
المذكورين وهما الاطباق والعروج وحاصله ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر وثبت

البناني فقد حفظ الحديث ففي روايته عند مسلم انه اتى بيت المقدس فصلى فيه ثم عرج
الى السماء كما سياتي ان شاء الله تعالى وقد قيل في الحكمة في الاسراء به راكبًا مع القدرة على طي
الارض له الاشارة الى ان ذلك وقع تانيسًا له بالعادة في مقام خرق العادة لان العادة
جرت ان الملك اذا استدعى من يختص به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه
وفي كلام بعض اهل الاشارات لما كان صلى الله ع ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود
وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ورفعها الى الحضرة قربة
والطواف بها على ندمان حضرته ارسل اليه اعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادمًا
وافاه على فراشه نايمًا فقال قم يا نايم فقد هيئت لك الغنايم قال يا جبريل الى اين قال
يا محمد ارتفع الاين من البين انما انا رسول القدم ارسلت اليك لاكون من جملة الخدم
يا محمد انت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله انت صفوة كاس المحبة انت درة
هذه الصدفة انت شمس المعارف انت بدر اللطايف ما مهدت الدار الا لاجلك
ما حمى ذاك الحمى الا لوصلك ما روق كاس المحبة الا لشربك فقال عليه السلام يا جبريل
فالكريم يدعوني اليه فما الذي يفعل بي قال ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال يا جبريل هذا لي فما لعيالي واطفالي قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
يا جبريل الان طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربي ثم قال جبريل يا محمد انما جئت الليلة لاكون
خادم دولتك وحاجب حاشيتك وحامل غاشيتك وجئ بالمركوب اليك لاظهار كرامتك
لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبًا او استدعوا قريبًا واراد واظهروا اكرامه

واحترامه

واحترامه ارسلوا اخص خدامهم واعز نوابهم لنقل اقدامهم فجنبناك على راسهم عادة
الملوك وادب السلوك ومن اعتقد انه يوصل اليه بالخطاء فقد وقع في الخطاء ومن ظن
انه محجوب بالغطا فقد حرم العطا والحكمة في كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار
ابيض ولم يكن على شكل الفرس اشارة الى ان الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف
او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة وذكره بقوله
ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطفا على لفظ البراق واختلف في تسميته بذلك فقيل
من البريق وقيل القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها
الابيض طاقات سود وقيل من البرق لانه وصف بسرعة السير ويحتمل ان لا يكون مشتقا
و وصفه بانه يضع خطوه عند اقصى طرفه بسكون الراء وبالفاء اي يضع رجله عند منتهى
ما يرى بصره وقال بن المنير يقطع ما انتهى بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع
من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلا
السموات في سبع خطوات انتهى وفي حديث بن مسعود عند ابي يعلى والبزار كما افاده
في الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية لابن سعد
عن الواقدي باسانيده له جناحان قال الحافظ بن حجر ولم ارها لغيره وعند الثعلبي
بسند ضعيف عن بن عباس في صفة البراق له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس
وقوائم كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء وفي رواية ابن
في شرف المصطفى فكان الذي امسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية

معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا
ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه
قال فارفض عرقا اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وصححه ابن حبان وذكره ابن اسحق عن
قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته وقال اما تستحي وذكر نحوه لكنه
مرسلا لانه لم يذكر انسا وفي رواية وثيمة عند ابن اسحق نفست حتى لصقت بالارض فاستوى
عليها وفي رواية للنسائي وابن مردوية من طريق يزيد بن ابي مالك عن انس نحوه موصولا وزاد
وكانت تسخر للانبياء قبله ونحوه في حديث ابي سعيد عن ابن اسحق وفيه دلالة على ان البراق
كان معدا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية واول قول جبريل فما ركبك
اكرم على الله منه اي ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه فيكون مثل قول امرئ القيس
على لاحب لا يهتدى بمناره   فيفهم ان له منارا لا يهتدى به وليس المراد الا انه
لا منار له البتة فكيف يهتدى به فتامله وقد جزم السهيلي بان البراق انما استصعب
عليه لبعد ركوب الانبياء قبله وقال النووي قال صاحب مختصر العين وتبعه صاحب
التحرير كان الانبياء يركبون البراق قال وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد تقدم النقل
بذلك قال في الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء انتهى
فليتامل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط
ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير ان يكون غير البراق ويحتمل ان يريد ارتباط الانبياء انفسهم
بتلك الحلقة اي تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى انتهى لكن وقع التصريح بذلك

في

في حديث ابي سعيد عند البيهقي ولفظه فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء
تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق من رواية وثيمة في ذكر الاسراء فاستصعب البراق
وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة وفي مغازي ابن عايذ من طريق
الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق هي الدابة التي كان يزور ابراهيم عليها اسمعيل
وعلى هذا فلا يكون ركوب البراق من خصايصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه
مسرجا ملجما لم ير لغيره من الانبياء عليهم فان قلت ما وجه استصعاب البراق عليه اجيب
بانه تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد قبله او لبعد العهد بركوبه ان
قلنا انه ركب قبله ويحتمل ان يكون استصعابه تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم عليه
وزاد جبريل أبمحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه
الرسول عليه السلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه اجاب بلسان الحال انه متبرئ
من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل به حتى قال له اثبت فانما
عليك نبي وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب لا هزة الغضب وكذلك البراق لما قال له جبريل
اسكن فما ركبك احد اكرم على الله منه فاستقر وخجل من ظاهر الاستصعاب وتوجه الخطاب
فعرق حتى غرق ووقع في حديث حذيفة عند الامام قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل
يتعلق بمرافقته في السير لا في الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قايدا وسايقا

او دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها وقد تعقب الحافظ بن حجر التاويل المذكور بان فى صحيح بن حبان من حديث بن مسعود بان جبريل حمله على البراق رديفا له وفى رواية الحارث فى مسنده اتى بالبراق فركبه خلف جبريل فسار بهما فهذا صريح فى ركوبه معه فالله اعلم انتهى وقد وقع فى غير هذه الرواية بيان ما راه ليلة الاسراء فمن ذلك ما وقع فى حديث شداد بن اوس عند البزار والطبرانى وصححه البيهقى فى الدلائل انه اول ما اسرى به مر بارض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فصلى فقال صليت بيثرب ثم مر بارض بيضاء فقال انزل فصل فصلى فقال صليت بمدين ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصلى فنزل فصلى فقال صليت حيث ولد عيسى وفى رواية انس عند البيهقى فى الدلائل لما جاء جبريل بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم فكانها اخرت ذنبها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذا يا جبرائيل قال سر يا محمد ما شاء الله ان يسير فاذا هو بشئ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد وانه مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك حاشر فقال جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث وفى اخره فقال له جبريل اما العجوز التى رايت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقى من عمر تلك العجوز والذى دعاك ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة واما الذى سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى الفاظه نكارة وغرابة

وفى

وفى رواية انه مر بموسى عليه السلام وهو يصلى فى قبره قال انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ولا مانع ان الانبياء عليهم السلام يصلون فى قبورهم لانهم احياء عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون بما يجدون من دواعى انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر وسياتى الاشارة لذلك فى حجة الوداع ان شاء الله تعالى وفى حديث ابى هريرة عند الطبرانى والبزار انه عليه السلام مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ما هذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف وما انفقوا من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال ما هذا يا جبريل قال هولاء الذين تثاقل رؤسهم عن الصلوة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام ياكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج فى قدور ولحم اخر نئ فى قدر خبيث فجعلوا ياكلون من النئ الخبيث ويدعون النضيج قال جبريل هذا الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال الطيب فياتى امراة خبيثة فيبيت حتى يصبح والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عليه امانات الناس لا يقدر على

ادايها وهو يريد ان يحيل عليها ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما
قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة
قال ثم اتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها
ثم اتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا صوت الجنة تقول رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي
وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي واكوابي وصحافي واباريقي ومركبي وعسلي
ومائي ولبني وخمري فائتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومومن ومومنة ومن
امن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو امن ومن سالني
اعطيته ومن اقرضني جزيته ومن توكل على كفيته انني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد
قد افلح المومنون وتبارك الله احسن الخالقين قالت رضيت ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا
ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول رب ائتني بما وعدتني
فقد كثرت سلاسلي واغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد
قعري واشتد حري فائتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل
جبار لا يومن بيوم الحساب قال فقد رضيت قال فسار حتى اتى بيت المقدس وفي رواية
ابي سعيد عند البيهقي دعاني داع عن يميني انظرني اسالك فلم اجبه ثم دعاني اخر عن يساري
كذلك فلم اجبه وفيه اذا امراة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى

فقالت

فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم التفت اليها وفيه ان جبريل قال له اما الداعي الاول
فهو داعي اليهودي ولو اجبته لتهودت امتك واما الداعي الثاني فداعي النصاري
ولو اجبته لتنصرت امتك واما المراة فالدنيا وفيه انه صعد الى السما الدنيا وراي
فيها ادم وانه راي اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخري عليها لحم منتن عليها
ناس ياكلون قال جبريل هؤلاء الذين يتركون الحلال وياكلون الحرام وفيه انه مر بقوم
بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر وان جبريل قال له هم اكله الربوا وانه مر
بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من اسافلهم وان جبريل قال هؤلاء الذين
ياكلون اموال اليتامي ظلما وانه مر بنساء تعلقن بثديهن وهن الزواني وانه مر بقوم يقطع
من جنوبهم اللحم فيطعمون وانهم الهمازون واللمازون وفي حديث ابي هريرة عند البزار
والحاكم انه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس مع الملائكة وانه اتي هناك بارواح
الانبياء فاثنوا على الله وفيه قول ابراهيم لقد فضلكم محمد وفي رواية عبد الرحمن
بن هشام عن انس ثم بعث له ادم فمن دونه فامهم تلك الليلة وفي حديث ام هاني عند
ابي يعلي ونشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسي وعيسي وفي رواية ابي
سلمة ثم حانت الصلوة فاممتهم اخرجه مسلم وفي حديث ابي امامة عند الطبراني
في الاوسط ثم اقيمت الصلوة فتدافعوا حتى قدموا محمدا عم وفي رواية ثابت البناني
عن انس عند مسلم فربطته يعني البراق بالحلقة وهي باسكان اللام على الاشهر التي
تربط به الانبيا بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة وهي الشيء والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس

قال صاحب البحر قال عليه السلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجائني
جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
اللبن الذي عليه بنيت الخلقة وبه نبت اللحم ونشز العظم واخترته لانه الحلال الدائم
في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر وقال النووي المراد بالفطرة هنا
الاسلام والاستقامة قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سايغا للشاربين
سليم العاقبة واما الخمر فانها ام الخبايث لانواع الشر في الحال والمال انتهى قال القرطبي
يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شيء يدخل جوف المولود ويشق امعاه و
السر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مالوفا له ولا انتهى واذا
كانت الخمرة مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة فما وجه تعيينه عليه السلام
لاحد المباحين وما وجه عد ذلك صوابا وعد الاخر خطاء وهما سواء في الاباحة فيحتمل
ان يكون توقاها تورعا وتعريضا بانها ستحرم وانه لما وافق الصواب في علم الله تعالى قال
له جبريل اصبت الفطرة او اصبت اصاب الله بك كما رويا واذا قلنا بانها كانت من خمر الجنة فيكون
سبب تجنبها صورتها ومضاهاة الخمر المحرمة اي في علم الله وذلك ابلغ في الورع ويستفاد
منه من اتخذ ماء الرمان او غيره ولو ماء قراحا مثلا وضاهى الخمر في الصورة وهيا بالهيات
التي يتعاطاها اهل الشهوات من والالات فقد اتى منكرا وان كان لا يحد عليها وينظر فيما
كثير من فقراء اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة وغيرهما من ماء قشر البن ويسمونه بالقهوة
وهي اسماء الخمر وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما

انصرف جيء بقدحين في احدهما لبن وفي الاخر عسل فاخذ اللبن وفي رواية البزار بثلاثة
اواني وان الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل
وفي حديث شداد بن اوس فصليت من المسجد حيث شاء الله واخذني من العطش اشد ما اخذني
فاتيت باناءين احدهما لبن والاخر عسل ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال شيخ بين يدي
يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة وقد كان اتيانه بالاواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة و
مرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ
عماد الدين بن كثير وعلى هذا فيكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويت حيث اختار اللبن تاكيدا للتحذير
مما سواه وقد انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة فروى احمد والترمذي من حديث حذيفة
قال يحدثون انه ربطه خاف ان يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وكذا انكر حذيفة ايضا
صلاته ببيت المقدس وتعقبه ابن كثير والبيهقي بان المثبت مقدم على النافي يعني من اثبت ربط البراق
والصلاة في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول ووقع في رواية
بريدة عند البزار لما كان ليلة اسري به فاتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع اصبعه
فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذي وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي حتى اتيت
بيت المقدس فاوقفت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه فدخلت انا وجبريل بيت
المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين وفي رواية ابن مسعود نحوه زاد ثم دخلت المسجد فعرفت
النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من
يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم وفي حديث ابن مسعود ايضا عند مسلم

وحانت الصلاة فامتهم وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتا صلى الله عليه وسلم الاقصى
قام يصلي فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وعن ابي سعيد ثم سار حتى اتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه الى الصخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل
من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه
الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم فقال
ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا
يؤتم بي وانقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى عليه السلام اثنى على ربه فقال
الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني وانزل علي التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بني
اسرائيل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه السلام
اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي
الجبال يسبحن معي والطير واتاني وفصل الخطاب وفصل الخطاب ثم ان سليمان عليه السلام
اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل
وعلمني منطق الطير واتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والانس والطير واتاني
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي طيبا ليس فيه حساب ثم ان عيسى اثنى على ربه فقال
الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني
الكتاب والحكمة والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا
باذن الله وجعلني ابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني واغاثني

وايحي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم
اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه فانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة
للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم
الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سما ذكره القاضي
عياض في الشفا مختصرا من حديث ابي هريرة من غير عزو ورواه البيهقي من حديث ابي سعيد
الخدري وهذا لفظه وفي رواية ابن ابي حاتم في تفسيره عن انس فلما بلغ بيت المقدس فبلغ
الذي يقال له باب محمد اتا الى الحجر الذي به فغمزه جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد
فلما استويا في سرحة المسجد فقال جبريل يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين قال
نعم قال فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلت
لمن انتن فقلن خيرات حسان نساء قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم يظعنوا و
خلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن
واقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني
فصليت بهم فلما انصرفت قال لي جبريل اتدري من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك
كل نبي بعثه الله قال القاضي عياض يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء
جميعا في بيت المقدس ثم صعد منهم الى السماء من ذكر انه عليه السلام راه ويحتمل ان يكون
صلى بهم بعد ان هبط من السماء فهبطوا ايضا والاظهر ان صلاته بهم ببيت المقدس

كا قبل العروج انتهى وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث
ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى وقد اختلف فى هذه الصلوة هل هى فرض او نفل واذا قلنا
انه فرض فاى صلاة هى قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل ان يكون العشاء وانما يأتى على قول
من قال انه صلى بهم قبل عروجه الى السماء واما على قول من انه صلى بهم بعد العروج فيكون الصبح
قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه امهم فى السما والذي تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس
والظاهر انه بعد رجوعه اليه لانه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسال جبريل عنهم ولحدا ولحدا
وهو يخبره بهم قال وهذا هو اللائق لانه ولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي ليفرض الله عليه
وعلى امته ما يشاء ثم لما فرغ مما اريد به اجتمع هو واخواته من النبيين ثم شرف عليهم بتقديمه
فى الامامة وفى رواية ابن اسحق انه عليه السلام قال لما فرغت مما كان فى بيت المقدس اتى بالمعراج
ولم ار قط شيئا احسن منه وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر فاصعد صاحبى
فيه حتى انتهى به الى باب من ابواب السماء وفى رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة
من ذهب حتى عرج جبريل وفى شرف المصطفى انه اتى بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد
عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة وقع وفى رواية ابى سعيد عند البيهقى ثم اتيت
بالمعراج الذي تعرج عليه ارواح بنى آدم فلم ير الخلائق احسن من المعراج اما رايت الميت حين
يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج وقد تقدم فى حديث البخاري السابق
فانطلق بى جبريل الى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه السلام انا حيث قيل له من نما سمى نفسه

فقال

فقال جبريل لان لفظه انا فيه اشعار بالعظمة وفى كلام السائر اول من قال انا ابليس فشقى
وايضا فقوله انا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهى غير كافية فى البيان وعلى هذا
فينبغى للمستاذن اذا قيل له من ان لا يقول انا بل يقول فلان وفى رواية للبخارى ومسلم فعرج
وهو بفتح العين صعد وفى حديث ابى سعيد عند البيهقى حتى انتهى الى باب من ابواب السما
يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل تحت يده اثنا عشر الف ملك وفى رواية
شريك عند البخاري ايضا ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل
السماء الدنيا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم قالوا
فمرحبا واهلا فيستبشر به اهل السما لا يعلم اهل السما بما يريد الله به فى الارض حتى يعلمهم
اى على لسان من شاء كجبريل ووقع فى هذه الرواية انه راى فى سماء الدنيا النيل والفرات
عنصرهما وظاهره يخالف حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى
فاذا فى اصلها اربع انهار ويجمع بان اصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما فى سماء
الدنيا ومنها ينزلان الى الارض ووقع فى هذه الرواية ايضا ثم مضى به فى سما الدنيا فاذا
هو بنهر آخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد وانه الكوثر وهما مما استشكل من رواية شريك
فان الكوثر من الجنة والجنة فوق السماء السابعة ويحتمل ان يكون تقديره ثم مضى فى السما الدنيا
الى السماء فاذا هو بنهر ثم ان فى قوله فى الحديث فافتح دلالة على انصاد فابواب السما مغلقة
والحكمة فى ذلك والله اعلم التنويه بقدره عليه السلام وتحقيق ان السموات لم تفتح
ابوابها الا من اجله ولو وجدها مفتوحة لم يتحقق انها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق

عليه السلام ان المحل مصون وان فتحه له كرامة وتبجيل واما قوله في الحديث ارسل اليه
وفي رواية وقد بعث اليه فيحتمل ان يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج الى السما
وهو الاظهر لقوله لان اصل بعثته قد اشتهر في الملكوت الاعلى وقيل سالوا تعجبا من نعمة الله
عليه بذلك واستشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقي الا باذن الله تعالى
وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه وقيل ان الله تعالى اراد اطلاع نبيه على انه معروف
عند الملا الاعلى لانهم قالوا او بعث اليه او ارسل اليه فدل على انهم كانوا يعرفون
ان ذلك سيقع له والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم
المجي جاء وكلامهم بهذه الصيغة ادل دليل على ما ذكرناه في معرفتهم بجلالته وتحقيق
رسالته ولان هذا اجل ما يكون من حسن الخطاب والترفيع المعروف من عادة العرب
واما قوله من معك فيشعر انهم احسوا به عليه الصلاة والسلام والا لكان السؤال
بلفظ امعك احد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون السما شفافة واما بامر معنوي
كزيادة انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر ولعله اخذه من كلام العارف بن ابي جمرة حيث
قال في بهجته الثاني ان يكون سوالهم له لما راوا حين رأوا قباله عليهم من زيادة الانوار
وغيرها من المآثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر كانهم قالوا
من الشخص الذي من اجله هذه الزيادة التي معك فاخبرهم بما ارادوا وهو تعيين الشخص باسمه
حتى عرفوه انتهى وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى لقد رأى من ايات ربه الكبرى انه رأى
صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة واما قولهم مرحبا به ولنعم المجي جاء

فيحتمل

فيحتمل ان يكون قالوه لما عاينوه من بركاته عليه السلام التي سبقته للسماء مبشرة بقدومه
وفيه تقديم وتاخير والتقدير جاء فنعم المجي مجيئه وانما لم يقل الخازن مرحبا بك
بصيغة الخطاب بل قال بصيغة الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح الابواب وقيل ان يصدر
من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له لان
هاء الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب واما قوله في الحديث فاذا رجل قاعد على يمينه
اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي
الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه و
شماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا
نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص والنسم
بالنون والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح وقد قال القاضي عياض جاء ان
ارواح الكفار لفي سجين وان ارواح المومنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في السما
الدنيا واجاب بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه
ويدل على ان كونهم في النار انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا واعترض بان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السماء كما هو نص القران
والجواب ما ابداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة يمين ادم والنار في جهة شماله
وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية ادم لها وهو في السماء ان تفتح لها ابواب السماء ولا
تلجها وفي حديث ابي هريرة عند البزار فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج

منه ريح خبيثة فاذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن وهذا لوصح لكان المصير
اليه اولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ حجر واما قوله في الحديث
ثم صعد بي حتى اتى السما الثانية فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل و
قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما
ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح الى قوله ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال
هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح
والنبي الصالح فهذه الرواية من موافقة لرواية ثابت عن انس عند مسلم ان في السما الاولى
ادم وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف والرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي
السابعة موسى وفي السابعة ابراهيم وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته عن انس
عن ابي ذر كما في اول الصلوة من البخاري ايضا انه لم يثبت كيف منازلهم وقال فيه ابراهيم
في السماء السادسة وفي رواية شريك عن انس ان ادريس في الثانية وهرون في الرابعة
ولخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله
وسياقه يدل على انه لم يضبطه منازلهم ايضا كما صرح به الزهري ورواية من ضبط اولى
ولاسيما من اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابي مالك عن انس الا انه خالف
في ادريس وهارون فقال هارون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم ابو سعيد الا ان

في

في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة والمشهور في الروايات ان الذي
في السابعة هو ابراهيم واكد ذلك في حديث مالك بن صعصعة بانه كان مسندا ظهره
الى البيت المعمور فمع التعدد لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى كان حالة العروج
في السادسة وابراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط
كان موسى في السابعة لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم كلمه في شيء مما يتعلق بما فرض
على امته من الصلاة كما كلمه موسى عليه السلام والسما السابعة هي اول شيء انتهى اليه حالة
الهبوط فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات
ويحتمل ان يكون لقي موسى في السادسة فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام
الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع نبينا فيما يتعلق بامر امته في الصلاة قاله في فتح الباري
وقال النووي اشار الى شيء من ذلك وفي رواية شريك عن انس في قصة موسى لم اظن احدا يرفع
علي قال ابن بطال فهم موسى عليه السلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له في الدنيا دون
غيره من البشر لقوله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ان المراد بالناس هنا البشر
كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد فلما فضل الله تعالى محمدا عليه السلام بما اعطاه
من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك وفي حديث ابي سعيد قال موسى يزعم
بنو اسرائيل اني اكرم على الله وهذا اكرم على الله مني زاد الاموي في روايته ولو كان هذا وحده هان
ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله وفي حديث ملك بن صعصعة فلما جاوزته بكى موسى
بكى فنودي ما يبكيك قال يا رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل امتي

ولم يكن بكى موسى بكاء حسد معاذ الله فان الحسد فى ذلك العالم منزوع من احاد المؤمنين
فكيف بمن اصطفاه الله تعالى بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع
الدرجة بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره
لان لكل نبي مثل اجر كل من اتبعه ولهذا كان من اتبعه فى العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليه
وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة وقال العارف ابن ابي جمرة قد جعل الله تعالى
فى قلوب انبيائه عليهم السلام الرافة والرحمة لاممهم وركبهم على ذلك وقد بكى نبينا
فقيل له ما يبكيك قال هذه الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم السلام
قد اخذوا من رحمة الله اوفر نصيب فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم فلاجل
ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت
افضال وجود وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله امته ببركة
هذه الساعة فان قال قايل كيف يكون هذا وامته لا يخلو من قسمين قسم مات على الايمان
وقسم مات على الكفر فالذي مات على الايمان لا بد له من دخول الجنة والذي مات
على الكفر لم يدخل الجنة ابدا فبكاؤه لاجل ما ذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قد تم ونفذ
قيل ان الله تعالى قدر قدره على قسمين فقدر قدرا وقدر ان ينفذ على كل حال وقدر
قدرا وقدر ان لا ينفذ ويكون رفعه بسبب دعاء او صدقة او غير ذلك فلاجل ما
ركب فى موسى عليه السلام من اللطف والرحمة بالامة طمع لعل ان يكون مما اتفق لامته
من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت

يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت اسري فيه بالحبيب الكريم
ليخلع عليه خلع القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل ان يلحق لامته نصيبا من
هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله
وهذه نفحة من النفحات فتعرض لها موسى فكان امر قد قدر والاسباب لا يوثر الا بما
سبقت القدرة بانها فيه توثر وما كان قضاء نافذا لا ترده الاسباب ختم وقد لزم وفى
بكائه عليه السلام وجه اخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال
السرور عليه وذلك قول موسى عليه السلام الذي هو اكثر الانبياء اتباعا ان الذين
يدخلون الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما يدخلها من امتي واما قول موسى ع م
لان غلاما ولم يقل غير ذلك من الصيغ فاشارة الى صغر سنه بالنسبة اليه وقال
الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاما ما دامت فيه بقية من القوة وفى القاموس
والغلام الطار الشارب والكهل ضده قال فى فتح الباري ويظهر لي ان موسى عليه السلام
اشار الى ما انعم الله به على نبينا من استمرار القوة فى الكهولة الى ان دخل فى اول سن الشيخوخة
ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه فى قوته نقص حتى ان الناس فى قدومه المدينة لما
راوه مردفا ابا بكر اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى ابي بكر اسم الشيخ مع كونه عليه السلام
فى العمر اسن من ابي بكر والله اعلم وقد ذكرت ذلك فى الهجرة من المقصد الاول وقد وقع
فى حديث ابي هريرة عند الطبري فى ذكر ابراهيم فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب الجنة
على كرسي وفى رواية مسلم من حديث ثابت عن انس ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاذا انا بابراهيم

مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه
وفيه فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي و
ابي هريرة عند الطبري فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة
على ساير الكواكب وهذا ظاهره ان يوسف عليه السلام كان احسن من جميع الناس لكن روى
الترمذي من حديث انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصورة وكان نبيكم احسنهم
وجها واحسنهم صوتا فعلى هذا يحتمل حديث المعراج على ان المراد غير النبي م ويويده قول
من قال ان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه وحمل بن المنير حديث الباب على ان المراد ان
يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم واما قول الحديث عن
ادريس ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فيحمل على اخوة النبوة والاسلام
لانها يجمع الوالد والولد وقال بن المنير وفي طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح وهذه
هي القياس لانه جد اعلى وقيل ان ادريس الذي لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه
الياس فان كان كذلك ارتفع الاشكال فان قلت لم كان هؤلاء الانبياء عليهم في
السموات دون غيرهم من الانبيا وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء تخصه ولم
كان في السماء الثانية بخصوصها اثنان اجيب عن الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من
الانبياء بانهم امروا بملاقات نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه في اول وهله
ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم من فاته وقيل اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم
مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم فاما ادم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج

من

من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الهجرة الى المدينة
والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما الفه من الوطن ثم
كان عاقبة كل منهما ان يرجع الى وطنه الذي خرج منه. وبعيسى ويحيى على ما وقع له
اول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه وارادتهم السوء به وبيوسف
بما وقع له مع اخوته على ما وقع لنبينا عليه السلام من قريش في نصبهم الحرب له و
ارادتهم هلاكه وكانت العاقبة له وقد اشار عليه السلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش
اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم
الطلقا اي العتقا وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالى وبهارون على ان قومه رجعوا
الى محبته بعد ان اذوه وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك عليه السلام
بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وبابراهيم في استناده الى البيت المعمور بما ختم
له صلى الله عليه وسلم في اخر عمره من اقامة منسك الحج وتعظيم البيت الحرام واجاب
العارف ابن ابي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء بان الحكمة في كون ادم
في سماء الدنيا لانه اول الانبياء واول الاباء وهو الاصل ولاجل تانيس البنوة بالابوة
واما عيسى فانما كان في السماء الثانية لانه اقرب الانبيا الى النبي صلى الله عليه وسلم
ولا ينسخ شريعة عيسى عليه السلام الا شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه ينزل في اخر
الزمان لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه السلام
انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية لاجل هذا المعنى وانما كان يحيى عليه السلام معه

هناك لانه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلاجل التزام احدهما بالاخر كانا هناك معًا وانما
كان يوسف عليه السلام في السماء الثالثة لان على حسنه تدخل امة محمد صلى الله عليه
الجنة فاري له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه السلام فيسر بذلك وانما كان
ادريس عليه السلام في السماء الرابعة لانه هناك توفي ولم تكن له تربة في الارض على ما
ذكر وانما كان هارون عليه السلام في السماء الخامسة لانه ملازم لموسى عليه السلام لاجل
اخوه وخليفته في قومه فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى عليه السلام
في السما السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليما واخص باشياء لم يكن لهارون فلاجل
هذا المعنى لم يكن معه في السادسة وانما كان موسى عليه السلام في السماء السادسة لاجل ما اختص
به من الفضائل ولانه الكليم وهو اكثر الانبيا اتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
وانما كان ابراهيم عليه السلام في السماء السابعة لانه الخليل والاب الاخير لناسب
ان يتجدد للنبي عم بلقيه انس لتوجهه بعد الى عالم اخر وهو اختراق الحجب وايضا لانه الخليل
ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق
الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به مما زاد به عليهم قال
الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق
بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول انتهى فليتامل وقد اختلف
في رؤية نبينا عم لهؤلاء الانبياء عليهم السلام فحمله بعضهم على رؤية ارواحهم الا

عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك واما الذين صلوا معه في بيت
المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها وقيل يحتمل ان يكون عليه السلام
عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي ذكر
انه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما ادرك به
ذلك ويشهد له رؤيته عم الجنة والنار في عرض الحائط وهو محتمل لان يكون عليه
الصلوة والسلام راهما من ذلك الموضع او مثل له صورتهما في عرض الحائط والقدرة
صالحة لكليهما وقيل يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد باسراء نبينا عليه السلام
رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه عليه الصلاة والسلام وتعظيما حتى
يحصل له من قبلهم ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه
نحن وكل هذه الوجوه محتملة ولا ترجيح لاحدهما على الاخر اذ القدرة صالحة لكل شيء انتهى
واما قوله في الحديث ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل
اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت
هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران واما الظاهران فالنيل والفراة وفي رواية عند البخاري
ايضا فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة وعند مسلم يخرج من اصلها وعنده ايضا
من حديث ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفراة وسيحان وجيحان فيحتمل ان يكون
سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة ووقع في حديث
شريك كما عند البخاري في التوحيد انه راى في سماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما

النيل والفرات وعنصرهما والجمع بينهما انه راى هذين النهرين عند سدرة المنتهى
مع نهري الجنة وراهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر انتشارهما
بسماء الدنيا كذا قاله ابن دحية وروى ابن ابي حاتم عن انس انه عليه السلام بعد ان راى
ابراهيم قال ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت
واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير خضر انعم طير رايت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك
الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه اشد
بياضا من اللبن قال فاخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو احلى من العسل
واشد رائحة من المسك وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي فاذا فيها عين تجري يقال له
السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر والآخر يقال له الرحمة وسياتي مزيد لما
ذكرهنا من الكوثر في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى وقد وقع في حديث ثابت عن انس عند
مسلم ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال
فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
وقد جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم ايضا بيان تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو معنى قول ابن ابي جمرة
لان اليها تنتهي الاعمال ومن هناك ينزل الامر وتتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة
وغيرهم ولا ينفذونها فكانت منتهى لان اليها ينتهي ما يصعد من السفلي وما ينزل من العلو

من

من امر العلي وقال النووي لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله
ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود هذا انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه
وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان اصلها في السماء السادسة
واغصانها وفروعها في السماء السابعة وليس في السادسة الا اصل ساقها قاله في فتح الباري
وجاء في حديث ابي ذر عند البخاري في الصلوة فغشيها الوان لا ادري ما هي وفي
حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش
من ذهب وفي حديث يزيد بن ابي مالك عن انس جراد من ذهب قال البيضاوي وذكر الفراش
وقع على سبيل التمثيل لان من شان الشجرة ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب
حقيقة والقدرة صالحة لذلك وفي حديث ابي سعيد وابن عباس تغشاها الملائكة
وفي حديث على كل ورقة منها ملك وفي رواية ثابت عن انس عند مسلم فلما غشيها
من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها وفي رواية حميد
عن انس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال ابن دحية واختيرت
السدرة دون غيرها لان فيها ثلثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت
فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم
بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول وقال العارف ابن ابي جمرة وهل الشجر مغروسة في
شيء ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى في هذه الدار
الارض مقرا للشجرة كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا ورجع صلى الله عليه وسلم يمشي في الهواء

كما كان يمشي في الارض ولان بالقدرة استقرت الارض مع انها على الماء فلا مانع من ان تكون
الشجرة في الهواء ويحتمل ان تكون مغروسة بارض وان تكون من تراب الجنة والله قادر على ما
يشاء واما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن
واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها فيدل على انه عرض عليه الانية
مرتين مرة ببيت المقدس ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة واما
الاختلاف في عدد الانية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكر الاخر ومجموعها
اربعة اواني فيها اربعة اشياء من الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة المنتهى
ووقع في حديث ابي هريرة عند الطبري سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير
اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه
من كل نهر اناء وجاء عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات
ونهر الماء نهر سيحان ولنهر النيل فضايل ولطايف افردها بالتاليف غير واحد من الايمة
ووقع في بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا في السموات واما قوله عم
عليه السلام في الحديث ثم رفع الى البيت المعمور فمعناه اظهر له وقد يحتمل ان يكون المراد
الرفوع والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت المعمور عوالم حتى لا يقدر على ادراكه
فرفع اليه وامد في بصره وبصيرته حتى راه وروى الطبري من حديث سعيد بن ابي عروبة
عن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السما بحذاء
الكعبة لو خر لخر عليها يدخله سبعون الف ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا وفي

هذا

هذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزها ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم
هذا العدد العظيم منذ خلق الله تعالى الخلق الى الابد ثم طايفة هذا اليوم لا ترجع اليه
ابدا ومع انه قد روي انه ليس في السموات موضع شبر الا وملك واضع جبهته هنالك
ساجدا ثم البحار ما من قطرة الا وبها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار
هكذا فهولاء الملايكة الذين يدخلون اين يذهبون هذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها
شيء وفي هذا دليل على ان الملايكة اكثر المخلوقات لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم
تصلي في البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملايكة في السموات والارض و
البحار وفي حديث ابي هريرة عند ابن مردويه وابن ابي حاتم ان في السماء نهرا يقال له الحيوان يدخله
جبريل كل يوم فينغمس ثم يخرج فينتقض فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا
فهم الذين يصلون فيه اي في المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف وذكر الامام
فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روى عن عطا ومقاتل
والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين
السبع والبحار السبع يدخل فيه جبريل كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله ثم ينتقض فيخلق الله الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك
تدخل منهم كل يوم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وقد روي ان
ثم ملايكة يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا هذا ما عدا الملايكة التي للتعبد
وما عدا الملايكة الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك الموكل بتصوير ابن ادم

والملائكة الذين ينزلون في السحاب والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة
والملائكة الذين يتعاقبون والذين يؤمنون على قراة المصلي والذين يقولون ربنا ولك
الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلوة والذين يلعنون من هجرت فراش زوجها وروى
ان في السما الدنيا وهي من ماء ودخان ملائكة خلقوا من ماء وريح عليهم ملك يقال
له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وان
في السما الثانية ملائكة على الوان شتى رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة
والجبروت وان فيها ملكا نصف جسده من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار تذهب
الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو يقول يا من الف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك
وان في الثالثة وهي من حديد ملائكة ذو اجنحة ووجوه شتى واصوات شتى رافعوا
اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك انت الله الحي الذي لا يموت وهم صفوف قيام
كانهم بنيان مرصوص لا يعرف احدهم لون صاحبه من خشية الله وان في الرابعة وهي
من نحاس ملائكة يضعفون على ملائكة الثالثة وكذلك كل سماء اكثر عددا من السماء التي
تليها وان ملائكة السما الرابعة قيام وركوع وسجود على الوان شتى من العبادة يبعث
الله الملك منهم لحاجة من اموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي الى جنبه
من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو وان في الخامسة
وهي فضة ملائكة يزيدون على ملائكة الاربع سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا ابصارهم
الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وان

في

وفي السادسة وهي من ذهب جند الله الاعظم الكروبيون لا يحصي عددهم الا الله تعالى
وعليهم ملك سبعون الف ملك منهم جنوده سبعون الف ملك وهم الذين يبعثهم الله
في اموره الى اهل الدنيا رافعون اصواتهم بالتسبيح والتهليل وان في السابعة وهي من
ياقوتة حمراء من الملائكة ما يزيدون على ما تقدم وعليهم ذلك المقدم على سبعمائة
الف ملك منهم ملك جنوده مثل قطر السماء وتراب الثرى والرمل والسهل وعدد الحصى
والورق وعدد كل خلق في السموات والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشاء
وما يعلم جنود ربك الا هو وان حملة العرش لكل ملك منهم وجوه كل شتى واعين
شتى في جسده ولا يشبه بعضها بعضا رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا
يفترون لو ان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم
الا الله وحملة العرش ثمانية يتجاولون بصوت حسن رخيم يقول اربعة منهم سبحانك
وبحمدك على حلمك بعد علمك ويقول اربعة سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك
وقد روى الطبراني من حديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ لجبريل على اي شيء انت
الموت قال على الريح والجنود قال وعلى اي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قال وعلى
اي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى
وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك وروى الترمذي من حديث ابي سعيد مرفوعا وزير
اي من اهل السما جبريل وميكائيل الحديث وروى النقاش ان اسرافيل اول من سجد
من الملائكة فجوزي بولاية اللوح المحفوظ وفي كتاب العظمة لابي الشيخ بن حبان

من ذلك العجب العجاب وعندي منه الجزء الثاني وقد وقعت من غير رواية البخاري
هنا زيادات فمنها ما وقع في رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي في دلائله ثم
صعدت الى السماء السابعة فاذا انا بابراهيم الخليل ساندا ظهره الى البيت المعمور كاحسن
الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي واذا بامتي شطرين عليهم ثياب
بيض كانهم القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة قال فدخلت البيت المعمور ودخل
معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم ثياب رمدة فصليت
انا ومن معي في البيت المعمور وفي رواية الطبراني فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب
الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء
فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شيء ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا
فيه وقد خلص الوانهم وصارت مثل الوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن
هؤلاء الذين في الوانهم شيء وما هذه الانهار التي دخلوا فيها فجاؤا وقد صفت
الوانهم قال هذا ابوك ابراهيم اول من شمط على وجه الارض واما هؤلاء
البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هؤلاء النفر الذين في الوانهم
شيء فقوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم واما الانهار
فاولها رحمة الله والثاني الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا طهورا وفي
رواية البخاري في الصلوة ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
الحديث والمستوى المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها

حالة

حالة الكتابة والمراد بما تكتبه الملائكة من قضية الله تعالى والقدرة المكتوب قديم
وانما الكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه
قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من
الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاثر وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنا عشر
قلما وانها متفاوتة من الرتب فاعلاها واجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب
الله به مقادير الخلائق كما في سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله
يقول ان اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء
حتى تقوم الساعة فهذا القلم اول الاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه
القلم الذي اقسم الله به والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله
والرابع قلم طب الابدان يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم
وبه تساس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الاموال مستخرجها
ومصروفها ومقاديرها وهو القلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق
وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذي يحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير
وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم التواريخ العالم ووقايعه
والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على
المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام التي بها انتظام مصالح العالم قال
ويكفي في جلالة القلم انه لم تكتب كتب الله الا به وان الله تعالى اقسم به في كتابه انتهى ملخصا

من كتاب اقسام القرآن وقد وقع في رواية ابي ذر من الزيادة ايضا ثم دخلت الجنة فاذا
فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم النون المفتوحتين
ثم الف ثم موحدة ثم ذال معجمة هي القباب ويؤيده ما في التفسير من البخاري من حديث
قتادة عن انس لما عرج به عليه السلام قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ واما ما في
كتاب الصلاة من البخاري واذا فيها حبايل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة واخره لام فقال
القاضي عياض وغيره هو تصحيف وفي حديث الامام احمد من رواية حذيفة فتحت لهما
ابواب السماء قال فرايت الجنة والنار وفي حديث ابي سعيد انه عرضت عليه الجنة وان رمانها
وفي حديث كانه الدلاء واذا طيرها كانه البخت وانه عرضت عليه النار فاذا هي لو طرح
فيها الحجارة والحديد لاكلتها ووقع عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن انس
بينا انا اسير في الجنة واذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف واذا طينته مسك
اذفر فقال جبريل هذا الكوثر في رواية ابي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان ابراهيم
قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني انك لاق ربك الليلة وان امتك اخر الامم واضعفها
فان استطعت ان تكون حاجتك في امتك فافعل ووقع في حديث ابي سعيد الخدري عند البيهقي
ثم صعد بي السماء السابعة قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطي
هذه الامة واذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فيشتق منها نهران احدهما الكوثر
والاخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر ثم رفعت
الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لزيد بن حارثة وفيه واذا

رد انها كانها الدلاء عظما ثم عرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو
طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم اغلقت دوني وفي الطبراني من حديث حديث
عايشة لما كان ليلة اسري بي الى السماء ادخلت الجنة فوقفت على شجرة من اشجار الجنة
لم ار في الجنة شجرة احسن منها ولا ابيض منها ولا اطيب منها ثمرا فتناولت ثمرة
من ثمرها فاكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة
فحملت بفاطمة وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بان الاسراء كان قبل ولادة فاطمة
وهي ولدت قبل النبوة بسبع سنين وشيء ولا ريب ان الاسراء كان بعد النبوة وذكر ابو
الحسن ابن غالب فيما تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبع اية والسبعين الف وعزاها
لابي الربيع بن سبع في شفاء الصدور من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعد ان ذكر مبدا حديث الاسراء كما ورد في الامهات اتاني جبريل وكان السفير بيني
الى ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك
الخل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله لي ان ابسط جناحي على الصراط لامتك
حتى يجوزوا عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زج بي في النور زجا فخرق بي سبعين
الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك وانسي فلحقني عند
ذلك استيحاش فعند ذلك ناداني مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينا انا اتفكر
في ذلك فاقول هل سبقني ابو بكر فاذا النداء من العلي الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا احمد

انى يا محمد ليدنو الحبيب فادنى ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى قال وسالني ربي فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد
فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي
كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القران فكان جبرئيل
يذكرني به وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من امتي قال ولقد عاجلت جبرئيل
في اية نزل بها فعاتبني ربي وانزل علي ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل
رب زدني علما ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناديا
ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني ابو
الى هذا المقام وان ربي لغني عن ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما
اقول سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي هو يصلي عليكم و
ملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك
ولامتك واما امر صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا
كلامه قلنا وما تلك بيمينك قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة و
كذلك انت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر وانك خلقت وهو من طينة واحدة و
هو انيسك في الدنيا والاخرة خلقنا ملكا على صورته ينادي بلغته ليزول عنك
الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله
واين حاجة جبرئيل فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سال ولكن فيمن

احبك وصحبك

فيمن احبك وصحبك وفي رواية فتقدمت وجبرئيل على اثري حتى انتهى بي الى حجاب
فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبرئيل ومعي محمد صلى الله عليه
وسلم قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه
في اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسماية عام فقال تقدم يا محمد
فمضيت فانطلق الملك في اسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب
فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب الذهب وهذا محمد صلى
رسول رب العزة فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني
بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزني سبعين حجابا غلظ كل
مسيرة خمسماية عام ثم دلي لي رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع
بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فابصرت
امرا عظيما لا تناله الالسن ثم تدلا لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق
الذايقون شيئا قط احلا منها فانبأني الله بنبا الاولين والاخرين نور قلبي وغشي
نور عرشه بصري فلم ار شيئا فجعلت ارى بقلبي ولا ارى بعيني ورايت من خلفي و
من بين كتفي كما رايت امامي الحديث رواه والذي قبله في كتاب شفاء الصدور
كما ذكره ابن غالب والعهدة في ذلك عليه وتكثير الحجب لم يرد في طريق صحيح ولم يصح
في ذلك غير ما في مسلم حجابه النور والرفرف البساط وقيل انه في الاصل ما كان
من الديباج وغيره رقيق حسن الصنعة ثم اتسع فيه واعلم ان ما ذكر في هذا المحل

الرفيع من الحجب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عما
يحجبه اذ الحجاب انما يحيط بمقدر محسوس فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسماء
والصفات والافعال وساير المخلوقات من معاني الانوار والظلمات كل له مقام
من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم واقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة
الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس
والقيومية حجب الذات بالصفات وهم في الحجب عنه طبقات مختلفات كل على مقام
معلوم ودرجات وبالجملة فالمخلوقات كلها ما كانت حجابا عن الخالق فقوم حجبوا برؤية
النعم على المنعم وبرؤية الاحوال عن المحول وبرؤية الاسباب عن المسبب وقوم حجبوا
بالعلم عن العلم وبالفهم عن الفهم وبالعقل عن العقل وذلك كله من معنى حجاب
النعم بالمنعم والمواهب عن الوهاب وقوم حجبوا بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات
المحرمات والمعاصي والسيئات وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم
لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا ابصارنا في الاخرة باكرمك وفي الصحيح عن انس قال
عرج بجبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل جلاله فتدلى حتى كان منه
قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ما اوحى الحديث وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا
الحديث وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في قوله تعالى في سورة النجم
ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وان اتفقا في اللفظ فان الصحيح ان المراد
في الاية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله ولقد راه نزلة اخرى

عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح قالت
عايشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال
ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين ولفظ القران لا يدل
على غير ذلك من وجوه احدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل الذي وصفه
بالقوة في صورة التكوير الثاني انه قال ذو مرة اي حسن الخلق وهو الكريم الذي في سورة
الثالث انه قال فاستوى وهو بالافق الاعلى وهو ناحية السما العليا وهذا استواء جبريل
عليه السلام وما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه الرابع انه قال ثم دنا فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فهذا دنو جبريل ونزل الى الارض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات
فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى الخامس انه قال ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة
المنتهى والذي عند سدرة المنتهى قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ذاك جبريل السادس ان نفس الضمير في قوله ولقد راه وقوله دنا فتدلى وقوله ثم
فاستوى وقوله وهو بالافق واحد فلا يجوز ان يخالف بين المفسرين من غير دليل السابع
انه سبحانه اخبر ان هذا الذي دنا فتدلى كان بالافق الاعلى وهو افق السماء بل تحتها
فدنا من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى
وتدليه على ما في حديث شريك كان فوق العرش لا الى الارض ثم نفى سبحانه وتعالى
عن نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للرائي الذي لا

ادب له بين يدي الملوك والعظما من التفاتة يمينا وشما لا ومجازة بصره لما بين يديه
واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمد
بصره الى غيره ما اري من الايات وما هناك من العجايب بل قام مقام العبد الذي اوجب
ادبه اطراقه واقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره دون تطلعه الى ما لم يره مع ما في
ذلك من ثبات الجاش وسكون القلب وطانيته وهذا غاية الكمال وقال في مدارج السالكين
وفي هذه الاية اسرار عجيبة هي من غوامض الاداب اللايقة باكمل البشر صلوات الله عليه وسلامه
تواطأ هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره فالبصيرة مواطية له
وما شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتواطيا في حقه اي ما كذب الفواد
ما راه ببصره ولهذا قراها هشام وابو جعفر ما كذب الفواد بتشديد الذال اي لم يكذب
القلب البصر بل صدقه وواطاه بصحة الفواد والبصر وكون المرئي اي المشاهد بالبصر
والبصيرة حقا وقرا الجمهور ما كذب الفواد بالتخفيف وهو متعد وما راي مفعوله
اي ما كذب قلبه ما رات عيناه بل واطاه ووافقه فلمواطاة قلبه لقالبه وظاهره لباطنه
وبصره لبصيرته لم يكذب الفواد البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى ولم يمل عن المرئي فيزيغ
بل اعتدل البصر على المرئي ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال على الله تعالى
والاعراض عما سواه وانه اقبل على الله تعالى بكليته واعرض عما سواه بكليته وللقلب زيغ
وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا
عن الله الى غيره ولم تطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم فيه مقامه الذي اقيم فيه وهذا غاية

الكمال

الكمال والادب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه فان عادة النفوس اذا اقيمت في
مقام عال رفيع ان تطلع الى ما هو اعلا منه وفوقه الا ترى ان موسى عليه السلام لما
اقيم مقام التكليم والمناجات طلبت نفسه الرؤية ونبينا صلى الله عليه وسلم لما
في ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت بصره ولا قلبه الى غير ما اقيم فيه البتة ولاجل
ما عاقه عايق ولا عاقه وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم تعقه ارادة ولم تقف
به دون كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع قدمه
عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شاوه الذي سبق به العالم اجمع في سيره
فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتاخر
عن محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة كمال ادبه مع الله سبحانه وتكميل
مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى
ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والاخرين فانصبت له هناك اقسام القرب
انصبابا وانقشعت سحايب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه به الانبيا
والمرسلون فاذا كان في المعاد اقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه به الاولون والاخرون
واستقام هناك على صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فاقامه
في هذا العالم على اقوم صراط على الحق والهدى واقسم بكلامه القديم على ذلك في ذكر
الحكيم فقال يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد
اقامه على صراط فسال السلامة لاتباعه واهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم

وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم ان ما ذكر هنا من القرب
والدنو والمراد به تاكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة قال جعفر الصادق
لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف
وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى اى كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب
للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف الحبيب للحبيب فخفي السر ولم يطلع عليه
احد ولم يعلم احد ما اوحى الى الذي اوحى وقال غيره في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى
ابهمه لعظمه فان الابهام قد يقطع للتعظيم فهو مبهم لا نطلع عليه بل نتعبد بالايمان
به وقيل بل هو مفسر بالاخبار الواردة قال سعيد بن جبير اوحى الله تعالى اليه صلى الله
عليه الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك
الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك
ذكرك وقيل اوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى
الامم حتى تدخلها امتك ذكره الثعلبي والقشيري وقيل اوحى اليه خصصتك بحوض
الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري و
ذكر ايضا انه اوحى اليه ما اوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك وقيل اوحى اليك الصلوات الخمس ذكره النقاش وفي رواية ابي سعيد الخدري
عند البيهقي ان الله تعالى قال له صلوات الله وسلامه عليه سل فقال انك اتخذت
ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما

والنت

والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس
والجن والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده و
علمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى
باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى
قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة
بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك
فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون
وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي
وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم
بعثا واولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك
ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا وخاتما وفي اسناده ابو جعفر الرازي ضعفه
بعضهم وقال ابو زرعة يهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيئ الحفظ وذكر الفخر الرازي عن
والده قال سمعت ابا القاسم سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم
الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم شرفك
قال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده فسماه تعالى

بهذا الاسم بالحقيقة الا له عليه الصلاة والسلام بالاسم الاعظم واتصافه بجميع
صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له صلى الله عليه وسلم وللاقطاب من
بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا ورحم الله الاديب برهان
الدين القيراطي فلقد اجاد حيث قال   ودعيتني بالعبد يوما فقالوا   قد دعته
باشرف الاسماء   ولبعض اهل الاشارات كان الله تعالى قال له يا محمد قد اعطيتك
نورا تنظر به جمالي وسمعا تسمع به كلامي يا محمد انى اعرفك بلسان الحال معنى عروجك
الي يا محمد ارسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب بحقيقة
ما يشهد به فاريك جنتي تشاهد ما اعددت فيها لاوليائي واريك ناري تشاهد
ما اعددت فيها لاعدائي ثم اشهدك بجلالي واكشف لك عن جمالي لتعلم اني منزه
في كمالي عن التشبيه والنظير والوزير والمشير فراه صلى الله عليه وسلم بالنور الذي
قواه من غير ادراك ولا احاطة فردا صمدا لا في شيء ولا بشيء ولا قايما بشيء ولا على
شيء ولا مفتقرا الى شيء ليس كمثله شيء فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا فقيل له
يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر الايداع ورمز الايتاع فاوحى الى عبده ما اوحى فكان
سرا من سر لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال

بين المحبين سر ليس يفشيه   قول ولا قلم في الكون يحكيه   سر يمازجه انس يقابله
نور تحير في بحر من لتيه   ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله وناداه بلسان حاله
يا محمد انت في صفاء وقتك امنا من مقتك تشهد جمال احديته واطلعت عيني جلال صمديته

وانا

وانا الظمآن اليه اللهفان عليه المتحير فيه لا ادري من اي اتيه جعلني اعظم خلقه فكنت
اعظمهم منه هيبة واكثرهم فيه حيرة واشدهم منه خوفا يا محمد خلقني فكنت ارعد
لهيبة جلاله فكتب على قايمتي لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا
فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدا روعي فكان اسمك لقاحا لقلبي وطمانينة
لسري فهذه بركة اسمك علي فكيف اذا وقع جميل نظرك الي يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين
ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ونصيبي يا حبيبي ان تشهد بالبراة مما نسبه اهل الزور
الي وتقوله اهل الغرور علي زعموا اني اسع من لا مثل له واحيط بمن لا كيفية له يا محمد
من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقرا الي ومحمولا علي اذا كان الرحمن اسمه
والاستواء صفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي او ينفصل مني يا محمد وعزته لست
بالقريب منه وصلا ولا بالبعيد عنه فصلا ولا بالمطبق له حملا اوجدني منه رحمة
وفضلا ولو محقني لكان حقا منه وعدلا يا محمد انا محمول قدرته ومعمول حكمته فاجاب
لسان حال سيدي زاده الله فضلا وشرفا لديه والى صلاته وسلامه عليه ايها العرش
اليك عني انا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي ولا تشوش على خلوتي فما اعاره صلى الله
منه طرفا ولا اقراه من سطوره ما اوحى اليه حرفا ما زاغ البصر وما طغى وقد ورد
في بعض اخبار الاسراء مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح انه صلى الله عليه وسلم
لما كان من ربه تعالى قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم
بالخسف وبعضهم بالمسخ فما انت فاعل بامتي قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم

حسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سالني اعطيته ومن توكل على كفيته وفي
الدنيا استر على العصاة وفي الاخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة
حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يا رب لكل
قادم من سفره تحفة فما تحفة امتي قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا واذا ماتوا وانا لهم
في القبور وانا لهم في النشور واعلم انه قد اختلف العلماء قديما وحديثا في رؤيته عم
لربه تعالى ليلة الاسراء فروي البخاري من حديث مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه
هل راي محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا راي ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك
انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك
انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية ولكنه راي جبريل
في صورته مرتين وفي رواية مسلم من حدثك ان محمدا راي ربه فقد اعظم الفرية وقولها
قف شعري اي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة
وقوع ذلك قال النووي تبعا لغيره لم تنف عايشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع و
لو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الاية وقد خالفها
غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة
اتفاقا انتهى قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني جزمه بان عايشة لم تنف الرؤية بحديث

مرفوع

مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ
فعنده من طريق داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة قال
مسروق وكنت متكيا فجلست فقلت الم اقل الله ولقد راه نزلة اخرى قالت انا اول هذه
الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رايت ربك
فقال لا انما انت جبريل منهبطا نعم احتجاج رسول الله عايشة رض بالاية خالفها فيه ابن
عباس فاخرج الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال راي محمد ربه قلت
اليس يقول الله لا تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد راي
ربه مرتين وقال القرطبي الابصار في الاية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص
وقال ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المراد
الكفار بدليل قوله تعالى في الاية الاخرى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واذا
جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى المرئي انتهى وهو استدلال
جيد وقال القاضي عياض رؤية الله تعالى جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها سؤال موسى عليه السلام ثم قال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها
ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله
تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية انتهى وقد روي ابن ابي حاتم بسنده
عن اسماعيل بن علية في تاويل هذه الاية قال هذا في الدنيا وقال اخرون من المعتزلة لا تدركه
الابصار اي جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المومنين له في الدار الاخرة وقال اخرون

من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الاية انه لا يرى فى الدنيا ولا فى الاخرة فخالفوا
اهل السنة والاجماع فى ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى
ربها ناظرة وقوله وكلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الامام الشافعى
رحمه الله فدل هذا على ان المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى واما السنة
فقد تواودت الاخبار عن ابى سعيد وابى هريرة وانس وجرير وصهيب وبلال
وغير واحد من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين يرون الله فى
الدار الاخرة فى العرصات وفى روضات الجنات جعلنا الله منهم وقيل المنفى فى
الاية ادراك العقول قال الحافظ بن كثير وهو غريب جدا وخلاف ظاهر الاية وقال
اخرون منافاة بين اثبات الرؤية ونفى الادراك فان الادراك اخص من الرؤية
ولا يلزم من نفى الاخص انتفاء الاعم ثم اختلف هؤلاء فى الادراك المنفى ما هو
فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان راه المؤمنون كما ان من راى القمر
فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم اولى بذلك وله المثل الاعلى
وقال اخرون المراد بالادراك الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية
كما لا يلزم من عدم الاحاطة بالعلم عدم العلم وفى صحيح مسلم لا احصى ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك ولا يلزم من هذا عدم الثناء فكذلك هنا وروى ابن ابى حاتم
عن ابى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لا تدركه الابصار قال لو ان الجن والانس

والشياطين

والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا قال
ابن كثير غريب لا يعرف الا من هذا الوجه ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة والله اعلم
ومما نسب لامام الحرمين فى لمع الادلة انه قال من اصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى
ولا يدرك لان الادراك ينبئ عن الاحاطة ودرك الغاية والنهاية ثم قال فان عارض
بقوله تعالى فى جواب موسى عم لن ترانى وزعموا ان لن تفيد النفى على التابيد قلنا
هذه الاية اوضح الدلالة على جواز الرؤية فانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز
الرؤية ضالا او كافرا كيف يعتقد ما لا يجوز على الله من اصطفاه الله لرسالته واختاره
لنبوته وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه وجعله افضل اهل زمانه وايده ببرهانه وكيف
يجوز على الانبياء الريب فى امر يتعلق بعلم الغيب فيجب حمل الاية على ما اعتقد موسى عم
جوازه جايز لكن ظن انه ما اعتقد جوازه ناجز فرجع النفى فى الجواب الى الانجاز وما
سال موسى عليه السلام ربه فى المسال فصرف النفى اليه والجواب على قضية الخطاب
انتهى وقال البيضاوى من هذه الاية دليل على ان رؤيته تعالى جايز فى الجملة لان
المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن ترانى
دون لن اريك انتهى ونقل القاضى عياض عن ابى بكر الهذلى فى الاية ان المراد ليس لبشر
ان يطيق ان ينظر الى فى الدنيا وانه من نظر الى مات قال ولقد رايت لبعض السلف
والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تبارك وتعالى فى الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا
وقواهم وكونها متغيرة عرضا للافات والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان

في الاخرة وركبوا تركيبًا اخر ورزقوا قوىً ثانية باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية قال وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا
لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارًا باقية رئي الباقي
وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرسالة لم يمتنع في حقه انتهى
والاستثناء في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغي ان يكون منقطعًا على معنى لكن من حيث
ضعف القوة والا فضعف القوة فصار اه ان يكون مانعًا اي امتنع من جهة ضعف القوة لا
من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل على هذا قوله فاذا قوى الله تعالى
من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد وقع في صحيح
مسلم ما يؤيد هذا التفرقة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا
واخرجه ابن خزيمة ايضا من حديث ابي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت
انه لا يراني حي الا مات فان جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن
اثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه
وقد جزم القشيري في الرسالة بانها لا تجوز في الدنيا على جهة الكرامة وادعى
حصول الاجماع عليه وحكى القاضي عياض امتناعها في الدنيا في جماعة من
المحدثين والفقهاء والمتكلمين وقال القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك
يحكي عن ابي الحسن الاشعري في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير انتهى وقد

ذهبت

ذهبت عايشة وابن مسعود الى انه عليه السلام لم ير ربه ليلة الاسراء واختلف
عن ابي ذر وذكر جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان
محمدا راى ربه واخرج ابن خزيمة عن عروة ابن الزبير اثباتها وبه قال ساير اصحاب ابن
عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري وصاحبه معمر واخرون وهو قول الاشعري
وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل راه بعينه او بقلبه وجاءت عن ابن عباس اخبار مطلقة
واخبار مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما اخرجه النسائي باسناد
صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن ابن عباس قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم
والكلام لموسى والرؤية ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن العباس في
قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راى ربه بفؤاده مرتين
وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال راه بقلبه واصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردويه
من طريق عطاء عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه انما راه
بقلبه وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عايشة بان يحمل نفيها على رؤية
البصر واثباته على رؤية القلب لكن روى الطبراني في الاوسط باسناد رجاله
رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي وجهور بن منصور قد ذكره ابن حبان
في الثقات عن ابن عباس انه كان يقول محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين
مرة ببصره ومرة بفؤاده ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم
لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت له انه راه بقلبه ان الرؤية

ان الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط
لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة خلقها في العين وروى ابن خزيمة باسناد قوي
عن انس قال راى محمد ربه وفي مسلم من حديث ابي ذر انه سال النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال نور انى اراه اي حجابه نور فكيف اراه ومعناه ان النور منعني من الرؤية
وعند احمد قال رايت نورا ومن المستحيل ان يكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة
الاجسام والله تعالى تعالى عن ذلك وعند ابن ابي خزيمة عنه قال راه بقلبه ولم يره بعينه و
بهذا يتبين مراده في حديث ابي ذر بذكر النور اي ان النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره
وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب في الاستدلال بما يطول
ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس على ان الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه
ومما يعزى للاستاد عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسراء
اخبر العوالم من حيث عقلهم ومراتبهم وسقا كل واحد من كاسه وعلى قدر عقله فخاطب
الكفار وهم اخر العوالم بما راى في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان وبما يعرفون
لانهم في ذلك الاجسام حتى صدقوا بالاسراء ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السما وكذلك
في كل سماء واخبر عما شاهد وراى كل ملك وما يليق ان يحدث به عن الصحابة كل على قدر
مرتبته بلا ضيق ولا مزاحم الى السماء السابعة ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الافق
المبين وعما فوق الى الدنو والى التدلي الى الموضع الايحاء عند حضرة اسقاط الصور
والخلق فاخبر بذلك اصحابه فمنهم من قال راى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى صدق

ومنهم

ومنهم من قال برؤية الفؤاد والبصيرة وصدق وهي عايشة ومن معها ومنهم من قال
بعيني راسه راى صدق فكل اخبر بما حدث صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه من كاسه
وما يليق به فاذا صح هذا المعراج عرفت الاسراء ومقامات الرؤية والقايلين بذلك واختلافهم
وقولهم الجميع الحق انتهى وممن اثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام احمد فروى
الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون ان عايشة قالت من زعم
ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية فبأي معنى يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله
رايت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها وقد انكر صاحب الهدى على
من زعم ان احمد قال راى ربه بعين راسه قال وانما قال مرة راى محمد ربه وقال مرة بفؤاده
وحكى عنه بعض المتاخرين راه بعين راسه وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه موجودة
انتهى وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسالة وعزاه الجماعة من المحققين
وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطايفتان ظواهر متعارضة
قابلة للتاويل قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي
من المعتقدات فلا يكتفى الا بالدليل القطعي والله اعلم واما قوله في الحديث ثم فرضت
على الصلاة خمسين صلاة كل يوم ففي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم ففرض
الله على خمسين صلاة كل يوم وليلة ونحوه في رواية مالك بن صعصعة عند البخاري
ايضا ويحتمل ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى
من خصايصه وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم فنزلت الى موسى فقال ما فرض

ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرايل وجزتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يارب
خفف عن امتى فحط عنى خمسًا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسًا فقال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربى تعالى
وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك
خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرًا و
من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيًا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت انتهيت
الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فقلت رجعت الى ربى
حتى استحييت منه وفى رواية النسايى عن انس فقيل لى انى يوم خلقت السموات
والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلوة فقم بها انت وامتك وذكر
مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض على بنى اسرايل صلاتان فما قاموا بهما وقال
فى اخره فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفت انها عزمة من الله فرجعت فقال
ارجع فلم ارجع فان قلت فلم قال موسى عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم
ان امتك لا يطيقون اجيب لان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبى صلى الله
فهو لما رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك فاكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عين
عينه فى الصلاة قال العارف ابن ابى جمرة والحكمة فى تخصيص فرض الصلاة
بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به راى فى تلك الليلة تعبد الملايكة

وان

وان منهم القايم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له
ولامته تلك العبادات كلها فى ركعة يصليها العبد بشرايطها من الطمانينة والاخلاص
وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الامة فى امر الصلوة ما لم يقع لغيره
ووقعت الاشارة لذلك فى حديث ابى هريرة عند الطبرانى والبزار قال صلى الله عليه وسلم
كان موسى اشدهم على حين مررت وخيرهم حين رجعت ابى سعيد فاقبلت راجعًا فمررت
بموسى ونعم الصاحب كان لكم فسالنى كم فرض عليك ربك الحديث قال السهيلى واما اعتنا
موسى بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها ويسال التخفيف عنها فلقوله تعالى
والله اعلم حين قضى اليه الامر بجانب الغربى وراى صفات محمد صلى الله عليه وسلم
فى الالواح وجعل يقول انى اجد فى الالواح امة صفتهم كذا اللهم اجعلهم امتى
فيقال له تلك امة محمد وهو حديث مشهور وقد تقدم ذكره فى خصايص هذه الامة
قال فكان اشفاقهم عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم لقوله اللهم
اجعلنى منهم انتهى وقال القرطبى الحكمة فى امر موسى بمراجعته النبى صلى الله عليه وسلم
فى امر الصلوات يحتمل ان يكون لكون امة موسى كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها
من الامم قبلها فثقلت عليهم فاشفق موسى على امة محمد من مثل ذلك ويشير اليه قوله
انى قد جربت الناس قبلك انتهى ووقع فى كلام بعض اهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة
من قلب موسى عليه السلام اضات له انوار نور الطور فاسرع اليها لتقبس فاحتبس
فلما نودى فى النادى اشتاق الى المنادى فكان يطوف فى بنى اسرايل من يحملنى رسالة

الى ربي ومراده ان يطول المناجاة مع الحبيب فلما مرّ عليه بنبينا صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج ردّده في امر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب وقال اخر لما سأل موسى
الرؤية ولم يحصل له البغية بقي الشوق يقلقله والامل يعلله فلما تحقق ان سيّدنا
محمد الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزيّة اكثر السؤال ليسعد رؤية من قد راي كما قيل واشد

واستنشق الارواح من نحو ارضكم … لعلي اراكم او ارى من يراكم
وانشد من لاقيت عنكم عسا كم … تجودون لي بالعطف منكم عسا كم
وانتم حياتي ان حييت وان امت … فياحبذا ان مت عند هواكم

وقال اخر

وانّما السرّ في موسي يردّده … ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
بيد واسناها على وجه الرسول فيا … لله درّ رسولي حين اشهده

وقال اخر

لما جلس الحبيب في مقام القرب … ودارت عليه كؤس الحبيب

ثم عاد وهلال ما كذب الفؤاد بما راي بين عينيه وسرّا وحي الى عبده ما اوحي ملئ
قلبه واذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله يا واردًا من اهيل الحي يخبرني
عن جيرتي شنفا لاسماع بالخبر ناشدتك الله يا راوي حديثهم حدث فقد ناب اليوم سمعي
عن بصري فاجاب لسان حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولقد خلوت مع الحبيب
وبيننا سرّارق من النسيم اذا سري واباح طرفي نظرة امليتها فغدوت معروفا وكنت منكرا
فكل قوم يلحظون مذهبهم وقد علم كل اناس مشربهم والله تعالى بفضله واحسانه
يوالي انسجام سحايب عفوه ورضوانه على العارف الرباني عبد الرحمن السلمي فلقد جاد وافاد

بما افوذه من لطايف المعراج حسبما جمعه من كلام اهل الاشارات باقوم منهاج وقد استدل
العلما بقوله في الحديث فهو خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون على
عدم فرضية ما زاد على الصلوات كالوتر وعلى دخول النسخ قبل الفعل قال ابن بطال وغيره
الا ترى انه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل ان تصلي ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب
وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوايف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على
من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة او منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعًا على ان النسخ
لا يتصور قبل البلاغ وحديث الاسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعًا
انتهى فان اراد قبل البلاغ لكل احد فممنوع وان اراد قبل البلاغ الى بعض الامة فسلم لكن
قد يقال ليس هو بالنسبة اليهم نسخًا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه
كلف بذلك قطعًا ثم نسخ بعد ان بلغه وقبل ان يفعله فالمسئلة صحيحة التصوير في حقه ع م و
لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر في بعض طريقه بعير لقريش تحمل طعامًا فيها
جمل عليه غرارتان سودا وغرارة بيضاء فلما حاذي بالبعير نفرت منه واستدارت
وتصرّع ذلك البعير وفي رواية اضلوا بعيرًا لهم قد جمعه فلان قال صلى الله عليه وسلم
فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى مكة قبل الصبح واخبر قومه بما رأي
وقال لهم ان من آية ما اقول لكم اني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد اضلوا بعيرًا لهم
فجمعه فلان فان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا وما يأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل
ادم مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف

النهار اقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه عليه السلام وفى رواية سئلوه
اية فاخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس
ان تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عايشة لما اسري بالنبي صلى
الى المسجد الاقصى اصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا امنوا وسعى رجال من المشركين
الى ابى بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال
ذلك قالوا نعم قال لين قال ذلك لقد صدق قالوا تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس
وجاء قبل ان يصبح فقال نعم انى لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك فى غدوة وروحة فلذلك
سمى الصديق رواه الحاكم فى المستدرك وابن اسحق وزاد ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله
قال يا نبى الله حدث هولاء انك جيئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبى صفه لى
فانى قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لى حتى نظرت اليه فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابى بكر فيقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله
كلما وصف له منه شيئا وقول ابى بكر صفه لى لم يكن عن شك فانه من اول وهلة ولكنه
اراد اظهار صدقه عليه السلام لقومه فانهم كانوا يثقون بابى بكر فاذا ابو بكر خبره علم
ما كان يعلم ابو بكر وصدقه كان حجة صادقة ظاهرة عليهم وفى رواية البخاري فجلا الله
لى بيت المقدس اى كشف الحجب بينى وبينه حتى رايته وفى رواية مسلم فسالونى عن اشياء
لم اثبتها فكربت كربا شديدا بحيث يراه ثم اعيد ففى حديث ابن عباس عند احمد والبزار فجئ
بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه وهذا ابلغ فى المعجزة

استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس فى طرفة عين واما ما وقع فى حديث ام هانى عن ابن
سعد فخيل على بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت احتمل ان يكون المراد مثل قربا
منه كما قيل فى حديث رايت الجنة والنار ويؤول قوله جئ بالمسجد جئ بمثاله وفى
حديث ام هانى المذكور انهم قالوا كم للمسجد باب قال ولم اكن عددتها قال فجعلت
انظر اليه واعدها بابا بابا وعند ابى يعلى ان الذي ساله عن صيفه بيت المقدس هو
المطعم ابن عدي والد جبير بن مطعم واشار ابن ابى حمزه الى ان الحكمة فى الاسراء الى بيت
المقدس اظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السما لم يجد لمعاندة الاعداء
سبيلا الى البيان والايضاح حيث سالوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا راوها
وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق انه اسري به الى بيت المقدس
واذا صح البعض لزم تصحيح الباقى فكان ذلك سببا لقوة ايمان المومنين وزيادة فى
شقاء من عاند وجحد من الكافرين المقصد السادس فيما ورد فى آي التنزيل من تعظيم
قدره عليه السلام ورفعه ذكره وشهادته تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته
وقسمه تعالى على تحقق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانه ووجوب طاعته واتباع
سنته واخذه تعالى له الميثاق على ساير النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه
والتنويه به فى الكتب السالفة كالتورية والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل وغير
ذلك اعلم انه لا سبيل لنا ان نستوعب الايات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح
والاشارة الى علوه الرفيع ومرتبته ووجوب المبالغة فى حفظ الادب معه وكذلك

الايات التي فيها ثناوه عليه السلام واظهار عظيم شانه لديه وقسمه تعالى
بحياته ونداوه بالرسول والنبي ولم يناده باسمه بخلاف غيره من الانبيا ناداهم
باسمائهم الى غير ذلك مما يشير الى نافة قدره العلي عنده وانه لا مجد يساوي مجده ومن
تامل القران العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ورحم
الله ابن خطيبا الاندلس حيث قال ـــــــــــ مدحتك ايات الكتاب فما عسى
تثني على علياك نظم مديحي واذا كتاب الله اثنى مفصحا كان القصور قصار كل فصيح
وهذا المقصد اكرمك الله يشتمل على عشر انواع **النوع الاول** في ايات تتضمن تعظيم
قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته على الانبياء وتشريف منزلته قال
الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون يعني
موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسى بالكلام وقد ثبت
انه تعالى كلم نبينا ايضا كما مر وان قلت اذا ثبت انه عليه السلام كلمه ربه وقام به هذا الوصف
فلو لم يشتق له من الكلام انه اسم كما اشتق منه لموسى اجيب بان اعتبار المعنى قد يكون
لتصحيح الاشارة كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم
وجوبا وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد حينئذ فلا يلزم في كل
من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين وهذا ملخصه
وتحريره كما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى **وقوله** ورفع بعضهم فوق درجات
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلثة اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة

على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه السلام ما لم يوته نبي قبله قال الزمخشري وفي هذا
الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي
لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهى وقد بنيت هذه الاية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض ان مراتب الرسل والانبياء متفاوتة خلافا للمعتزلة القايلين بانه
لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الايتين رد عليهم **وقال** قوم ادم افضل لحق الابوة
وتوقف بعضهم فقال السكوت افضل والمعتمد عليه جماهير السلف والخلف ان الرسل
افضل من الانبياء وكذلك الرسول بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين الايتين وغيرهما
قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك
بثلثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته
افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام
او خلة او روية او ما شاء الله من الطاف وتحف ولايته واختصاصه انتهى فلا مرية ان ايات
نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى ودولته
اعظم واوفر وذاته افضل واظهر وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته
ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من ساير المخلوقين وتامل حديث الشفاعة
في الحشر وانتهايها اليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجة وفي حديث انس عند الترمذي
انا اول اكرم ولد ادم يوميذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه افضل من ادم بل من اولاده

فالاستدلال بذلك على مطلق افضلية عليه السلام على الانبياء كلهم ضعيف واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق افضليته عليه السلام بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال لانه لاشك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه واستدل له الرازي في المعالم بانه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فامره ان يقتدي باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر واذا اتى بجميع ما اتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان مفرقا فيهم فيكون افضل منهم وبانه دعوته عليه السلام في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف ساير الانبياء فظهر ان انتفاع اهل الدنيا بدعوته اكمل من انتفاع ساير الامم بدعوة ساير الانبياء فوجب ان يكون افضل من ساير الانبياء انتهى وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلعم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من ادم عليه السلام ومن كل اولاده وروى البيهقي في فضايل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة الست بسيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم وقد روى هذا الحديث الحاكم في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب وقال انه صحيح ولم يخرجاه وله شاهد من حديث عروة عن عايشة وساقه من طريق ابن عبيد بن ناصح بن الحسين بن علوان

وهما

وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه بلفظ ادعوا الي سيد العرب قالت قلت يا رسول الله الست سيد فقال وذكره وكذا اورده من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف ايضا عن ابي الشهر عن جابر مرفوعا ادعوا الي سيد العرب فقالت عايشة الست سيد العرب وذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي على ذلك الحكم بالوضع انتهى ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه حاشاه الله من ذلك وانما قاله عليه السلام اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليه وعليهم وكذلك العبد اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره في كل لحظة وعدم استغنايه عنه طرفة عين انشاء له ذلك في قلبه سحايب السرور فاذا انبسطت هذه السحايب في سماء قلبه وامتلاء افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل ورحمته كما قيل تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما الاخر والى هذا المعنى يشير قول العارف الرباني سيدي علي الوفوي في قصيدته التي اولها

من انت مولاه حاشا … علاه ان يتلاشا
والله يا روح قلبي … لامات من بك عاشا
قوم لهم انت ساق … لا يرجعون عطاشا
عبد له بك عز … فكيف لا يتحاشا

فان قلت فما الجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي

وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له
مسلمون والحديث الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال استب الرجل من المسلمين ورجل
من اليهود فقال اليهودي في قسمة لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم
يده فلطم اليهودي فقال اي خبيث وعلى محمد فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى
على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبياء وفي رواية لا تفضلوني
بين الانبياء وحديث ابي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم لا تخيروا
بين الانبياء وحديث ابن عباس عند البخاري ومسلم مرفوعا ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من
يونس بن متى وحديث ابي هريرة عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
اجاب العلماء بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم يعني في الايمان بما انزل اليهم
والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياؤه والتسوية بينهم في هذا لا يمنع ان
يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم نعتقد ان
الله فضل بعضهم على بعض على الجملة ونكف عن الخوض في تفضيل التفضيل بارائنا قال
ابن ظفر فان اراد هذا القائل انا نكف عن الخوض في تفضيل التفضيل بارائنا فصحيح وان
اراد انا لا نذكر في ذلك ما فهمنا من كتاب الله تعالى وروي لنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسقيم وقال اخر تفضل من رفع الله درجته بخصايص الحظوة والزلفى ولا نخوض في
تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المنذرين والصبر على الدين والنهضة في اداء
الرسالة والحرص على هدي الضلال فان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلفه
الله

الله تعالى اكثر منه وقال اخر بما ذكره القاضي عياض انه نهيه عليه السلام عن التفضيل
كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا
علم فقد كذب قال الحافظ عماد الدين بن كثير وفي هذا نظر لعله من جهة معرفة التاريخ
ولعل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من ذلك ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان وجه
النظر من جهة ان هذا في رواية ابي سعيد وابي هريرة وما هاجر ابو هريرة الا عام خيبر متاخرا
فيبعد انه لم يعلمه بهذا الا بعد هذا وقال القاضي وهذا لا يسلم من الاعتراض وقيل لا يفضل
بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم والغض منه وقيل منع التفضيل في حق النبوة و
الرسالة فان الانبياء عليهم السلام فيها على حد واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في
زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما الرتب النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما المتفاضل بامور اخر زايدة عليها وكذلك منهم رسل واولوا عزم انتهى وهذا
قريب من القول الثاني وقال ابن ابي جمرة في حديث يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد
على ما قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت الفضيلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم
اسري به الى فوق السبع الطباق ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال عليه السلام انا سيد
ولد ادم يوم القيمة وقال ادم ومن دونه تحت لوائي وقد اختص صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبياء عليهم السلام فهذه الفضيلة وجدت
بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا ان النسبة
الى القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد صلوات الله عليه وسلامه وان اسري به الى فوق السبع

الطباق واحترق الحجب ويونس وان نزل به لعقر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد
من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى وهو مروى عن دار الهجرة مالك انس وعزى
ونحوه لامام الحرمين وقال ابن المنير ان قلت ان لم نفضل على يونس باعتبار استواء الجهتين
بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين فى تفضيل الحق فانه تع
فضل الملاء الاعلى على الحضيض الادنى فكيف لا نفضله عليه السلام يونس وان لم يكن
التفضيل بالمكان فهو بالمكانة تيلوا اشكال ثم قال **قلت** لم ينه عن مطلق التفضيل وانما
نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكانى فعلى هذا يحتمل جمعا بين القواعد انتهى
واختلف هل البشر افضل من الملائكة فقال جمهور اهل السنة والجماعة خواص بنى
ادم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة افضل من عوام
بنى ادم قال التفتازانى بالاجماع بالضرورة وعوام بنى ادم افضل من عوام الملائكة فالمسجود
له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام
فعوام الملائكة خدم عمال الخير والخدوم له فضل على الخادم ولان المؤمنين ركب فيهم
الهوى والعقل مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل
دون الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم فالانسان كما قاله فى شرح العقائد يحصل
الفضائل والكمالات العلمية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح
الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال

مع الشواغل والصوارف اشق وادخل فى الاخلاص فتكون افضل والمراد بعوام بنى ادم
هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه العلامة كمال الدين ابن ابى شريف المقدسى قال ونص
عليه البيهقى فى الشعب **وذهبت** المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملائكة
وهو اختيار القاضى ابى بكر بن الباقلانى وابى عبد الله الحليمى وتمسكوا بوجوه **الاول** ان الملائكة
ارواح مجردة كاملة بالفعل مبراة عن مبادى الشرور والافات كالشهوة والغضب وعن
ظلمات الهيولا والصورة قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكوائن ماضيها واتيها من غير غلط
والجواب ان المبنى على ذلك على الاصول الفلسفية دون الاصول الاسلامية **الثانى** ان الانبيا
مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى
وقوله نزل به الروح الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب ان
التعليم من الله تعالى والملائكة انما هم مبلغون **الثالث** انه اطرد فى الكتاب والسنة تقديم
ذكرهم على ذكر الانبياء وما ذلك الا لتقدمهم فى الشرف والرتبة والجواب ان ذلك
لتقدمهم فى الوجود او لان وجودهم اخفا فالايمان بهم اقوى وبالتقديم اولى **الرابع**
قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون
من ذلك افضلية الملائكة من عيسى اذ القياس فى مثله الترقى من الادنى الى الاعلى يقال
لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قايل
بالفصل بين عيسى عليه السلام وغيره من الانبياء عليهم السلام والجواب ان النصارى
استعظموا المسيح بحيث يترفع من ان يكون عبدا من عباد الله بل ينبغى ان يكون ابنا له لانه

مجرد لا اب له وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى بخلاف سائر العباد من بني ادم
فرد عليهم لا يستنكف من ذلك ولا من هو اعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب
لهم ولا ام ويقدرون باذن الله على افعال اقوى واعجب من ابراء الاكمه والابرص واحيا
الموتى فالترقي والعلو انما هو في امر التجرد واظهار الاثار القوية لا في مطلق الشرف
والكمال فلا دلالة على افضلية الملائكة انتهى ثم ان الملائكة بعضهم افضل من بعض
وافضلهم الروح الامين المزكى من رب العالمين المقول فيه من ذي العزة انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه بسبع صفات وهو افضل الملائكة
الذين هم افضل الملائكة على الاطلاق وهم مكائيل واسرافيل وعزرائيل وكذلك الرسل
افضل من الانبياء وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض ومحمد افضل الانبيا والرسل
كما تقدم واول الانبياء ادم واخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فبالكتاب
الدال على انه قد امر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة
والاجماع فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا وقد اختلف في عدد الانبياء و
المرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت
يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله من كان اولهم
قال ادم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول
من خط بقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني
اسرائيل موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم نبيك وقد روى هذا الحديث

بطوله

بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح وخالفه
ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ بن كثير ولا شك
انه قد تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث فالله اعلم وروى ابو يعلى
عن انس مرفوعا كان فيمن خلا من الانبياء ثمانية الاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت
والذين نص الله على اسمائهم في القران ادم وادريس ونوح وهود وصالح
وابراهيم ولوط واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب
وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا
ذو الكفل عند كثير من المفسرين والله اعلم وقال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وروى
ابن جرير من حديث ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام
فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت
معي وذكره الطبراني وصححه ابن حبان وروينا عن الامام الشافعي قال انبانا ابن عيينة عن
ابن ابي نجيح معناه لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال
الامام الشافعي يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال ويحتمل ذكره عند تلاوة
الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى وقيل رفعه بالنبوة قاله
يحيى بن ادم وعن عطا جعلتك ذكري فمن ذكرك ذكرني وعنه ايضا جعلت تمام الايمان
بذكري معك وعن جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
قال البيضاوي واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته

يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله
ورسوله واطيعوا الله ورسوله واطيعوا الله والرسول وقول قتادة رفع الله ذكره في
الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد ومقرون ذكره بذكره في القرآن
والخطب والاذان ويؤذن باسمه في موقف القيمة واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة
رفعه لما نزل آدم بالهند استوحش فنزل جبرئيل عليه السلام فنادى بالاذان الله اكبر
الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب
وكتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج
البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها
مكتوبا محمد رسول الله **وفي** الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا
مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله واخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا
كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله وعزاه
الحافظ ابن رجب في كتاب احكام الخواتيم له لجزء ابي علي الخالدي وقال انه باطل موضوع
وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان   وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد **وسماه** من اسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك
في اسمائه صلوات الله عليه وصلى عليه في ملائكته وامر المومنين بالصلوة عليه
فقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا

تسليما

تسليما فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الاعلى بانه يثني عليه عند الملائكة
المقربين وان الملائكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي بالصلوة والتسليم عليه فيجتمع الثناء من اهل
العالمين العلوي والسفلي جميعا **وكتبه** نبيا وآدم بين الروح والجسد وختم به النبوة و
الرسالة واعلن بذكره الكريم في الاولين والآخرين ونوه بقدره الرفيع حين اخذ الميثاق
على جميع النبيين **وجعل** ذكره في فواتح الرسائل وخواتمها وشرف به المصاحف على المنابر
وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر ونشر ذكره في الآفاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى
في السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام والعرش والكرسي وساير الملائكة
المقربين من الكروبيين والروحانيين والعلويين والسفليين وجعله في قلوب
المومنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح ارواحهم وربما تميل من طرب بسماع اسمه اشباحهم

اذا ذكرتكموا اميل كانني   من طيب ذكركموا سقيت الراحا

كانه تعالى يقول املأ الوجود كله من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك و
يحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرايض الصلوة الا ومعها سنة فهم متمسكون
في الفريضة بامري وفي السنة بامرك وجعلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك فالقراء
يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون
بليغ وعظك والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون من وراء الباب
عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق
الى ابد الابدين والحمد لله رب العالمين **وقال تعالى** طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى

اعلم ان للمفسرين في طه قولين احدهما انها من حروف التهجي والثاني انها كلمة
مفيدة وعلى القول الاول قيل معناها يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق
الى الملة وقيل الطاء في الحساب بتسعة والها بخمسة فالجملة اربعة عشر ومعناها
يا ايها البدر وهذه الاقوال لا يجب ان يعتمد عليها اذ هي كما قاله المحققون من بدع التفسير
ومثلها قول الواسطي فيما حكاه القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر يا هادي
واما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان احدهما ان معناه يا رجل وهو مروي
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة قال سعيد بن جبير
بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال
البيضاوي ان صح ان معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار انتهى
قال الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى يقول طه وقال السدي معناه طه
يا فلان قال الزمخشري لعل عكا تصرفوا في يا هذا فاقتصروا كانهم في لغتهم
قالبون الياء طا فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر
لا يخفى في البيت المستشهد به ٭ ان السفاهة طه في خلائقكم ٭ لا قدس الله اخلاق الملاعين
قال في البحر وكان قد قدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم يخوض وحرر على عك
بما يقوله نحوي وهو انهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد في لسان العرب قلت
يا التي للنداء طاء وكذلك حذف اسم الاشارة في النداء واقرت ها التي للتنبيه انتهى وقيل
معناه يا انسان وقرئ طه باسكان الهاء على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض

بقدميه وقد روي انه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطأ الارض
بقدميه معا وان الاصل طأ قلبت همزته هاء كما قالوا هياك في اياك وهرقت في ارقت
ويجوز ان يكون الاصل من وطى على ترك الهمزة فيكون اصله طا يا رجل ثم في ارقت و
يجوز ان يكون اثبت الها فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف
مبدلة من الهمزة والها كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة الحرف
واما قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا احدها
ان ابا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لتشقى حيث تركت دين ابائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين
ونزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين
الاسلام والقران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة
هو الشقاوة بعينها وثانيها انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه
فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي قال ما انزلناه عليك لتنهك
نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثنا الا بالحنفية السمحا وروي
انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام قال بعضهم كان يسهر طول
وتعقب بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيا من ذلك فلا بد وان يكون
قد فعله بامر الله تعالى واذا فعله عن امره فهو من باب السعادة لا من باب الشقاء
وثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك وتعذبها بالاسف على كفر هولاء

فانما انزلنا عليك القران لتذكر به من امن فمن امن واصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك
كفره فما عليك الا البلاغ وهذا كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ورابعها
ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وفى ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا
مع اعدايه فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة بل يعلوا امرك ويظهر قدرك
فانا ما انزلنا عليك القران لتشقى شقيا بل تصير معظما مكرما زاده تعظيما وتكريما وتشريفا
قال تعالى انا اعطيناك الكوثر فضل السورة قال الامام فخر الدين الخطيب فى هذه السورة
كثير من الفوايد منها انها كالمتممة لما قبلها من السور وذلك لان الله تعالى جعل سورة
والضحى فى مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله فذكر فى اولها ثلاثة اشياء
تتعلق بنبوته وهى قوله ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف
يعطيك ربك فترضى ثم اختمها كذلك باحوال ثلثة فيما تتعلق بالدنيا وهى قوله تعالى
الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا اى عن علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك
عايلا فاغنى ثم ذكر فى سورة الم نشرح انه تعالى شرفه عليه السلام بثلثة اشيا وهى الم نشرح
لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك اى
عناك الثقيل الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة سورة حتى قال انا اعطيناك
هذه المناقب المتكاثرة التى كل واحد منها اعظم من ملك الدنيا بحذافرها واذا نعمنا عليك بهذه
النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة اما ان يكون بالنفس وهو
قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضى

ولم يقل

ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطاء حصل فى الزمان الماضى قال عليه السلام
كنت نبيا وادم بين الروح والجسد ولا شك ان من كان فى الزمان الماضى عزيز مرعى
الجانب اشرف ممن سيصير كذلك كانه تعالى يقول يا محمد قد هيانا اسباب سعادتك
قبل دخولك فى هذه الوجود فكيف امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا ايها العبد
الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العميم لاجل طاعتك وانما اخبرناك بمجرد فضلنا واحساننا
من غير موجب واختلف المفسرون فى تفسير الكوثر على وجوه منها انه نهر فى الجنة وهذا
هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف فروى انس انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا انا اسير فى الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال
قال هذا الكوثر الذى اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخارى وقيل الكوثر
اولاده لان هذه السورة انما انزلت ردا على من عابه عليه السلام بعدم الاولاد وعلى
هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلى
منهم ولم يتفق ذلك لنبى من الانبياء غيره وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهى
الخير الكثير وقيل علماء امته وقيل الاسلام ولا ريب انهما من الخير الكثير فالعلماء
ورثة الانبياء كما رواه احمد وابو داود والترمذى واما علماء امتى كانبياء بنى اسرايل
فقال الحافظ بن حجر ومن قبله الدميرى والزركشى انه لا اصل له نعم روى ابو نعيم
فى فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس من درجة النبوة
اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر

العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير والثانى اما ان يحمل الكوثر
على نعم الاخرة او على نعم الدنيا قال والاول غير جايز لانه قال انا اعطيناك
والجنة سيعطيها لانه اعطيها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه فى الدنيا واشرف
الامور الواصلة اليه فى الدنيا واشرف هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ علم والثالث
انه لما قال انا اعطيناك الكوثر ثم قال عقبه فصل لربك وانحر والشيء الذي يتقدم على
العبادة هو المعرفة ولان الفاء فى قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس
الا العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم الله تعالى على نبيه عم
وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقى فوجب حملها
على الكل ولذا روي ان سعيد بن جبير لما روي هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم
ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه سبحانه تعالى
اياه فقال الامام فخر الدين بن الخطيب قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى انا
انا اعطيناك الكوثر يقتضى انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاقرب
حمله على ما اتاه الله من النبوة والقران والذكر العظيم والنصر على الاعدا واما الحوض
وساير ما عد له من الثواب فهو وان جاز ان يقال داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله
فهو كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان ذلك وان عد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة
انه اعطاه الكوثر فى حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل ان يجاب عنه بان من قرر لولده
الصغير بشيء له يصح ان يقال اعطاه ذلك الشيء مع ان الصبى فى ذلك ليس اهلا

للتصرف

للتصرف انتهى وروينا فى صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحك اضحك الله
سنك يا رسول الله قال نزلت على انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله
اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتى يوم القيمة انيته
عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول انك ما تدرى ما احدث بعدك
وهذا تفسير صريح منه عم بان المراد بالكوثر هنا الحوض فالمصير اليه وهذا هو المشهور
كما تقدم فسبحان من اعطاه هذه الفضايل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه
بما افاضه عليه من نعمه الجسيمة وقد جرت عادة الله مع انبيائه عليهم السلام ان
يناديهم باسمايهم الاعلام نحو يا ادم اسكن يا نوح اهبط يا موسى انى انا الله يا عيسى
بن مريم اذكر نعمتى عليك واما نبينا محمد عم فناداه بالوصف الشريف من الانبياء والارسال
يا ايها النبى يا ايها الرسول ولله در القايل فدعا جميع الرسل كلا باسمه
ودعاك وحدك بالرسول والنبى قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى
على احد ان السيد اذا دعا عبيده بافضل ما وجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق
السنية ودعا اخرين باسمايهم الاعلام التى لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق
من الاخلاق ان منزلة من دعاه بافضل الاسما والاوصاف اعز عليه واقرب اليه
ممن دعاه باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف اى من دعى بافضل اوصافه واخلاقه كان

ذلك مبالغة فى تعظيمه واحترامه انتهى وانظر ما فى قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
انى جاعل فى الارض خليفة من ذكر الرب تعالى واضافته اليه صلى الله عليه وسلم
وما فى ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما فى ذلك من الاشارة اللطيفة
وهو ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها اذ
هو فى الحقيقة اعظم خليفة الا ترى الى عموم رسالته ودعائه افضل انبيائه امامهم
ليلة اسرائه وجعل ادم فمن دونه يوم القيمة تحت لوائه فهو المقدم فى ارضه وسمائه
وفى دارى تكليفه وجزائه **وبالجملة** فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح بجليل
رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقضى بانه استولى على اقصى
درجات الكرم وكفى اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العقاب فى قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم ذكره على الانبياء تعظيما له مع تاخره عنهم فى
قوله تعالى ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخباره بتمنى اهل
النار طاعته فى قوله تعالى يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفذ وقطر لا يعد **النوع الثانى** فى اخذ الله تعالى له الميثاق
على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
الاية اخبر الله تعالى انه اخذ ميثاق كل نبى بعثه من لدن ادم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم
ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق

من

من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وعن على ابن ابى طالب وابن عباس
ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به
ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لا يضاد ما قاله على وابن عباس ولا ينفيه
بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق
من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه واحتج له
بان الذين اخذ الله منهم الميثاق يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه
والايمان عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون
مكلفا فتعين ان يكون الميثاق ماخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين
اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما
يليق بالامم واجيب بان يكون المراد من الاية ان الانبياء لو كانوا فى الحياة لوجب عليهم
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد
علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
وقال فى الملائكة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى
اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل
ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الاية على ان الله تعالى اوجب
على جميع الانبياء ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا فى الاحياء وانهم

لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلا يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى في تحصيل
المقصود قال السبكي في هذه الاية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون
مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيمة و
تكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله عليه السلام وبعثت الى الناس
كافة لا تختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ
له المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي
اخذ المواثيق وهي في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه
لطيفة وهي كانها ايمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل ايمان الخلفاء اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم
العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم
نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الاخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة
الاسراء صلى الله بهم ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى
وجب عليهم الايمان وعلى اممهم به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته
عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر
ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف
الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من
جهة ذات النبي م الشريفة وانما هو من وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم

لزمهم

لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى م في اخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم
على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحد من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة
لما قلنا من اتباعه للنبي م وانما يحكم بشريعة نبينا محمد م بالقران والسنة وكل ما فيهما
من امر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بساير الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء
ولذلك لو بعث النبي م في زمانهم او في زمان موسى وابراهيم ونوح وادم كانوا مستمرين
على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى
جميعهم فنبوته ورسالته اعم واعظم واشمل وتتفق مع شرايعهم في الاصول
لانها لا تختلف وتقدم شريعته م فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما
على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي م
في تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم مما جاءت به انبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة
بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات
وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا احدهما قوله م بعثت الى الناس كافة كنا نظن
انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه جميع الناس اولهم واخرهم والثاني قوله م كنت
نبيا وادم بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زائد على ذلك وانما يفترق
الحال بين ما بعد وجود جسده م وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى
المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل
ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد تكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل

المتصرف فهنا التعليق انما هو بحسب المحل القائل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع
الخطاب الجسد الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلاً في تزويج ابنته اذا وجدت
كفوا فالتوكل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف
على وجود الكفوء ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى
النوع الثالث في وصفه تعالى له عليه السلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله
تعالى حكاية عن ابراهيم واسمعيل عند بناء البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت
التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاهما وبعث في اهل مكة منهم رسولاً
بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذي دعا مع ابيه ابراهيم عليهما السلام بهذا الدعا فان
قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من وجوه احدها
اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله عليه السلام انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى قالوا
واراد بالدعوة هذه الاية وبشارة عيسى وهي ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد الثالث ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا
بها وبما حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمداً صلى الله عليه وسلم وقد امتن الله
على المؤمنين ببعث فيهم رسولا من انفسهم هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب الاية فليس لله منة على المؤمنين اعظم من ارساله محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي
الى الحق والى صراط مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله اعظم النعم لان
النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله الذي
رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرئ
في الشواذ انفسهم بفتح الفاء يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل قريش
وقريش افضل العرب والعرب افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص
في العرب لانه ليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وخص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون
به اكثر فالمنة عليهم اعظم فان قلت هل العلم بكونه بشرا ومن العرب شرط في صحة
الايمان او هو من فروض الكفاية اجاب الشيخ ولي الدين العراقي بانه شرط في صحة الايمان
قال فلو قال شخص او من برسالة محمد الى جميع الخلق ولكن لا ادري هل هو من البشر او الملائكة
او الجن او لا ادري هل هو من العرب او من العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقران وجحده
مما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام
ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك
حكمنا بكفره انتهى فان قلت هل هو عليه السلام باق على رسالته الى الان اجاب ابو المعين
النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام الان في حكم الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام اصل
الشيء الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى وقال غيره ان النبوة والرسالة
والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن وتعقب بان الانبياء احياء في قبورهم

فوصف النبوة باق للجسد والروح معاً وقال القشيري كلام الله تعالى لمن اصطفاه ارسلتك
او بلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان يوجد كان رسولاً وفي حال يومه
والى الابد رسولاً لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام
الله تعالى ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام حي في قبره رسول الله
ابد الاباد على الحقيقة لا المجاز انتهى وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولاً
يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
والمراد بالاميين العرب تنبيهاً لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا كتاب
لهم وليس عندهم شيء من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا
الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل
قبلهم من الامم وفي كونه عليه السلام منهم فائدتان احدهما ان هذا الرسول كان ايضا
امياً كامته المبعوث اليهم لم يقرا كتاباً قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى ولا خرج
عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل امياً بين امة امية لا يكتب
ولا يقرا حتى بلغ الاربعين من عمره كل ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه
الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم
يقرع العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام الفائدة
الثانية التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصاً اهل مكة يعرفون
نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشأ بينهم معروفاً بذلك وانه لم يكذب قط

قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل ولذلك
سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة وقد
قال الله تعالى خطاباً له فانهم لا يكذبونك ويروى ان رجلاً قال والله يا محمد ما كذبتنا
قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح
عن ابن عباس وعن مقاتل كان الحارث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية
فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب وروي ان المشركين كانوا اذا راوه
قالوا انه لنبي وعن علي قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله الاية والمعنى انهم ينكرون مع العلم بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار
مع العلم فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك
اجيب بانه على طريق الجحد وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه
ذلك لجهله فحيث علم امن ومنهم من علم وانكر كفراً وعناداً كابي جهل فيكون المراد
بقولهم فانهم لا يكذبونك قوماً مخصوصين منهم لا كلهم وحينئذ فلا تعارض
وروي ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه فقال والله
لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف فانزل الله هذه الاية رواه ابن حاتم
والقران كله مملوء بالايات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف
يليق بكمال الله تعالى ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الا
عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه

ويظهر على يديه من الايات والبراهين والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر وهو
مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته سبحانه على كل شئ
وحكمته وعزته وكمال المقدس تابى ذلك كل الاباء ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو
من ابعد الخلق على معرفته ان عرف منه بعض صفاته بصفة القدرة وصفة المشية والقران
كله مملوء من هذه الطريق وهي طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله على
ومايليق به ان يفعله ومالا يفعله واذا تدبرت القران رايته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده
لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين فتراه سبحانه
وتعالى يخبر ان كماله وحكمته وقدرته تابى ان يقر من تقول عليه بعض الاقاويل بل لابد
ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه وقال تعالى ام يقولون
افترى على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك ههنا انتهى جواب الشرط ثم اخبر خبرا
جازما غير معلق انه يمحق الباطل ويحق الحق وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ
قالوا ما انزل الله على بشر من شئ فاخبر ان من نفى عنه الارسال والكلام لم يقدره حق
قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق فكيف من ظن انه ينصر الكاذب المفتري
عليه ويؤيده ويظهر على يديه الايات والدلالة وهذا في القران كثير يستدل تعالى
بكماله المقدس واوصاف وجلاله على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعو
عباده الى ذلك وقال تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك

الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم
الخاسرون فاخبر سبحانه ان الكتاب الذي انزله يكفي من كل اية ففيه الحجة والدلالة على انه
من الله وان الله سبحانه ارسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه
من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا
كان سبحانه عالما بجميع الاشياء كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم
تام محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته وحكمته
عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارساله رسله وحلمه عند ذنوب فتامل وروده
اسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب انتهى وقال
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي
شاهدا على الوحدانية وشاهدا على الخلق يوم القيمة كما قال تعالى ويكون الرسول
عليكم شهيدا كانه تعالى يقول يا ايها المشرف من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا
ومشاهدا كمال فردانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم مخالفة امرنا وتعلمهم مواضع
الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا يستضيئون بك وشمسا تبسط شعاعك على
جميع من صدقك وامن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك فبشره
بفضلنا وطولنا عليهم واحساننا اليهم ولما كان الله تعالى قد جعله عليه السلام
شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوحدانية

وملكه عند مجازاته

مدعيا لها لان المدعى من يقول شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس
والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعاء النبوة فجعل الله تعالى نفسه شاهدا له في مجازاة
كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يعلم انك لرسوله ومن هنا قوله تعالى ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
فاستشهد على رسالته بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
شهيد بيني وبينكم وقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله محمد رسول الله
فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث
قطع العذر بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله وقال
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله
شهيدا فيظهره ظهورين ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصرة والغلبة والتاييد
حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورا ومن شهادته تعالى ايضا ما اودعه في قلوب
عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمانينة بكلامه ووحيه فان الله
فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمانينة والسكون اليه ومحبته
وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت
الفطر على حالها لما اثرت على الحق سواه ولما سكنت الا اليه ولا اطمانت الا به ولا
احبت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القران فان كل من تدبره اوجب له

علما

علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق واصدق كل صدق قال تعالى افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقايق القران واستنارت
فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من
عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبرئيل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد
في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين قال تعالى قل يايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا ففي هذه الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة
الثقلين وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى الاصبهاني ان محمدا صادق مبعوث
الى العرب غير مبعوث الى بني اسرائل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الاية لان قوله تعالى
يايها الناس خطاب يتناول كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه
مبعوثا الى جميع الناس وايضا فانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى الثقلين
فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه
ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الاية انه كان
يدعي كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول انه كان
مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني اسرائل واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك
اما الاولون فقالوا دخله التخصيص من وجهين الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة
المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلاث عن الصبي

حتى يبلغ وعن النايم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق رواه ابن جرير وابن عباس رضي الله عنهما
والثاني انه رسول الله الى كل من وصله جزء وجوده وخبر معجزاته وشرايعه حتى يمكنه عند
ذلك متابعته امالو قدرنا حصول قوم في طرف من اطراف الارض لم يبلغهم خبره ولم
وخبر معجزاته وشرايعه حتى يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونوا مكلفين بالاقرار به
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه
الامة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم
ومفهومه ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور
على ما تقرر في الاصول انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها
برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم على فترة من الرسل الاية خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود والنصارى بانه قد ارسل
اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو العقب لجميعهم وكذا قال
تعالى على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا
في مقدار هذه الفترة كم هي فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستماية سنة ورواه
البخاري عن سلمان وعن قتادة خمسماية وستون سنة وقال الضحاك اربعماية وبضع
وثلاثون وعن الشعبي فيما ذكره ابن عساكر تسعماية وثلثة وثلاثون سنة قال
الحافظ عماد الدين بن كثير والمشهور انها ستماية سنة قال وكانت هي الفترة بين عيسى ابن مريم
اخر انبياء بني اسرايل وبين محمد اخر النبيين من بني ادم على الاطلاق كما في البخاري من حديث ابي هريرة

مرفوعا

مرفوعا ان اولى الناس بابن مريم لانا لانه ليس بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم
انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث
محمدا على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان
والنيران والصلبان فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام
احمد مرفوعا ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا
من بني اسرائيل وفي لفظ مسلم من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل الارض
كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلايق واخرجهم الله به
من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات الله وسلامه
عليه وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي عزيز عليه عنتكم
اي اثمكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار
حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه عم علينا انه لم يخاطبنا بما يريد ابلاغه
الينا اياه على قدر منزلته والى هذا اشار صاحب البردة بقوله
لم يمتحنا بما تعيى العقول به   حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم   اي لم نتحير
ولم نشك فيما القاه الينا وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة
مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا كان كثيرا ما يضرب
المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذا سنة القران ومن تتبع الكتاب والسنة راي
من ذلك العجب ولما ساوى تعالى بين الناس في حرص رسوله عليه السلام

على اسلامهم خصّ المومنين برافته و رحمته لهم و قال تعالى من انفسكم و لم يقل منكم ... فقيل يحتمل ان مراد منا بجسده المنفس لا بروحه المقدس و يرحم القايل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به ... تبلّد ذهني هيبة لمقامه ... فاقطع ليلى ساهر الجفن مطرقا

هوى فيه لحلا من لذيذ منامه ... اذ قال فيه الله جل جلاله ... روف رحيم في نبيا و كلامه

فمن ذا يجازي الوحي والوحي معجز ... بمختلفيه نثره ونظامه

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكره الاية ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم و رشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم و نضرهم بهم في دنياهم واخراهم وعزة عليه فهو وان كان المقصود منه صحيحا ففي ظاهره شيء لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص فيكون مخفوضا به ومما يقوى هذا التوهم قوة اعطاء الكلام ان الضمير الاول من قوله وعزة عليه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني على الله عز وجل فلا يبقى للشدة الا ان تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تاوله بعض العلماء على حذف مضاف اي كراهة شدة ما يعنتهم ونحو ذلك من المضافات والاولى والصواب ان شاء الله ان تكون الشدة معطوفة على المصدر الذي هو الحرص ويكون قوله وعزته معطوف على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في قوله يعنتهم والهاء الثانية في عليه عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون رحمة مفعولا له اي لاجل الرحمة

يجوز

يجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى الراحم قاله السمين وقال ابو بكر بن طاهر فيما ذكره القاضي عياض زين الله تعالى محمدا عليه السلام بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد اخر من كذبه الى الموت او القيمة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب فذاته عليه السلام كما قيل رحمة تعم المومنين والكافر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة وقال بعض العارفين الانبياء خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة ولقد احسن القائل

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه ... سرور حياة الروح فائدة الدهر

هو النعمة العظمى من الرحمة التي ... تجلى بها الرحمن في السر والجهر

فبيانه عليه السلام ونصحه رحمة ودعاؤه واستغفاره رحمة فرزق ذلك من قبله وحرمه من رده فان قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف والاستباحة الاموال فالجواب من وجهين احدهما انه انما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند

ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقد
قال تعالى وما انزلنا من السماء ماء مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وثانيهما ان كل نبي
من الانبياء قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد اخر
الله تعالى عذاب من كذب نبينا الى الموت او الى القيمة لا يقال انه تعالى قال قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم وقال ليعذب المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه وفي
الشفاء للقاضي عياض وحكى ان رسول الله عم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة
شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين انتهى وذكره السمرقندي في تفسيره بلفظ وذكر ان النبي صلى الله عم
قال لجبريل بقول الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة
شيء قال نعم اصابني من هذه الرحمة شيء كنت اخشى عاقبة الامر فامنت بك لثناء الله تعالى
علي في قوله ذي قوة عند ذي العرش مكين وهذا يقتضي ان محمدا صلى الله عليه وسلم
افضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافا لمن زعم ان جبريل افضل واستدل
بان الله تعالى وصف جبريل بسبعة اوصاف من صفات الكمال في قوله وانه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصف محمدا صلى الله عم
بقوله وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في
صفات الفضل او مقارنا له لكان وصف محمد ابمثل ذلك واجيب بانا متفقون
على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخرى سوى ما ذكر في هذه الاية وعدم ذكر الله

تعالى لتلك الفضايل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع واذا ثبت ان لمحمد صلى الله عليه وسلم
فضايل اخر زايدة فيكون افضل من جبريل وبالجملة فافراد احد الشخصين بالوصف لا يدل
البتة على انتفاء تلك الاوصاف عن الثاني واذا ثبت بالدليل القراني انه صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم وقال
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين هذه الاية نص في
انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام النبوة فان كل رسول
نبي ولا ينعكس كما قدمنا ذلك في اسمائه الشريفة من المقصد الثاني وبذلك وردت
الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى احمد من حديث ابي بن كعب ان النبي صلى الله
قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها فاكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها
فجعل الناس يطوفون بالبنيات ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا في
النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذي عن بندار عن ابي عباس عامر العقدي وقال
حديث حسن صحيح وفي حديث انس بن مالك مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت
فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره وفي حديث جابر مرفوعا مثلي
ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها الا موضع لبنة فكان
من دخلها فنظر اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة وانا موضع اللبنة
ختم بي الانبياء عليهم السلام رواه ابو داود الطيالسي وكذا البخاري ومسلم
وفي حديث ابي سعيد الخدري فجيت انا فاتممت تلك اللبنة رواه مسلم وفي حديث

ابي هريرة عند مسلم وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فمن تشريف الله تعالى
له صلى الله عليه وسلم ختم الانبيا والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد اخبر
الله في كتابه ورسوله في السنة المتواتر عنه انه لا نبي بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا
المقام بعده فهو كذاب افاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبذ واتى بانواع السحر
والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلالة عند اولى الالباب ولا يقدح في هذا
نزول عيسى بن مريم عليه السلام بعده لانه اذا نزل كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم
ومنهاجه مع ان المراد انه اخر من نبئ قال ابو حيان من ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع او
الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله والله اعلم النوع الرابع في التنويه به
في الكتب السالفة كالتورية والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل قال الله تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من اعظم المنفردات لليهود
والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان من اعظم المنفردات
والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم
عليه السلام هذا دل على ان ذلك البعث كان مذكورا في التورية والانجيل وذلك
من اعظم الدلايل على صحة نبوته لكن اهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق وهم
يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم
كما عرفوا ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل لكنهم حرفوهما

وبدلوهما

وبدلوهما ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
فدلايل نبوة نبينا في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة واعلام شرايعه ورسالته
فيهما لايحة وكيف يغني عنهما انكارهم وهذا اسم النبي بالسريانية مشفحا
فمشفح محمد بغير شك واعتباره انهم شفحا لاها اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا
كان شفحا فمشفح محمد ولان الصفات التي اقروا بها هي وفاق لاحواله وزمانه
ومخرجه ومبعثه وشريعته عليه السلام فليدلونا على من هذه الصفات له ومن
خرجت له الامم من بين يديه وانقادت له واستجابت لدعوته ومن هو صاحب
الجمل الذي هلكت بابل واصنامها به على انا لو لم نات بهذه الانباء والقصص
من كتبهم لم يك فيما اودع الله عز وجل القران دليل على ذلك في تركهم جحد ذلك
وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له بانه نقول الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ويقول حكاية عن المسيح
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون
ويقول الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكانوا يقولون لمخالفيهم
عند القتال هذا نبي قد اظل مولده ويذكرون من صفته ما يجدونه في كتابهم فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة ويحتمل انهم كانوا يظنون انه
من بني اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم واظهروا التكذيب

فلعنة الله على الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه
فكيف يجوز ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في ايديهم ويقول من
علامة نبوتي وصدقي انكم تجدوني عندكم مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكرا وليس ذلك
مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان غنيا ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم
وكم اسلم من اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب وقد وقفوا منه
على مثل هذا الدعاوي وقد روي ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله
بن سلام عن جده عبد الله بن سلام انه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك
الله الذي انزل التورية هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي م
فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال
ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان
واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يستقيم به الملة المعوجة
حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وقوله ليس بفظ
ولا غليظ موافق لقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فلو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم لان النفي محمول على طبعه الكريم

الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة او النفي بالنسبة الى المومنين والامر بالنسبة
للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الاية وقلوبا غلفا اي مغشاة مغطاة واغلف
ومنه غلاف السيف وغيره واخرج البيهقي وابو نعيم عن ام الدرداء امراة ابي الدرداء قالت
قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية قال كنا نجده موصوفا
فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق واعطى
المفاتيح ليبصر الله اعينا عورا ويسمع به اذانا صما ويقيم به السنة معوجة حتى يشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفي
البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته
في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت
عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولا يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وعند ابن اسحق
ولا سخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب
له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته و
الحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة

واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة
واجمع به الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوآء متشتتة وامم متفرقة و
اجعل امته خير امة اخرجت للناس واخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود
فاسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك
ابن البتول واخرج ابن سعد قال لما امر ابراهيم باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بارض
عذبة سهلة الا قال انزل ههنا يا جبرئيل فيقول لا حتى اتى مكة فقال جبرئيل انزل
يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك
الذي تتم به الكلمة العليا وفي التورية مما اختاروه بعد الحذف والتحريف والتبديل
مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة في اعلام تجلى الله من سينا واشرق من ساعير و
استعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وساعير
هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه نبوته وجبال فاران فهو اسم عبراني
وليست لفة الاولى همزة هي جبال بني هاشم الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتحنث في احدهما وفيه فاتحة الوحي وهو احد ثلثة جبال احدها ابو قبيس والمقابل
له قعيقعان الى بطن الوادي والثالث الشرقي فاران ومنخفه الذي يلي قعيقعان الى
بطن الوادي هو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال
قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان مجيء الله من سينا انزاله التورية على موسى عليه السلم
بطور سينا ويجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير ارض

الخليل

الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون
اشراقه من ساعير انزاله على المسيح فلذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله
القران على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب
في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة وان ادعي انها غير مكة قلنا اليس في التورية
ان الله اسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه
واسمه فاران والنبي الذي انزل عليه كتابا بعد المسيح اوليس استعلن وعلن بمعنى واحد
وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض
ومغاربها فشوه وفي التورية ايضا مما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم
لميقات ربه الذي اخذتهم الرجفة خصوصا ثم بني اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبيا
من اخوتك فاستمع له كالذي سالت ربك في حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا اعود
اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله لي نعم ما قالوا وساقيم لهم نبيا مثلك
من اخوتهم واجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء امرته وايما رجل لم يطع من كلم
باسمي فاني انتقم منه قال وفي هذا هذا الكلام دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم بنو اسمعيل ولو كان
هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من انفسهم لا من اخوانهم واما قوله نبيا
مثلك وقد قال في التورية لا يقوم في بني اسرائيل احد مثل موسى وفي ترجمة اخرى
مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل ابدا فذهبت اليهود الى ان هذا النبي الموعود به هو يوشع

بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليهما السلام بل خادما له في حياته
ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فانه كفو موسى
لانه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجرا النسخ على الشرايع
السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فمه فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم
لان معناه ويحي اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه ولا انزل صحفا ولا الواحا لانه امي
لا يحسن ان يقرا المكتوب وفي الانجيل مما ذكره ابن طغربل في الدر المنظم قال يوحنا في
انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم من الاب ان يعطيكم فارقليط اخر يثبت معكم الى
الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقبلوه وهو عند ابن طغربل بلفظ ان اجبتموني
فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ابي فيعطيكم فارقليط اخر يكون معكم الدهر كله قال فهذا
تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه
منابه وتكون شريعته باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى
ولم يذكر فصول الفارقليط كما افاده ابن طغربل سوا يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل
وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقنا
هم على انه المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص رسول ياتي بخلاص العالم وذلك من غرضنا
لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جئت بخلاص فاذا ثبت
ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي سال الاب ان يعطيهم فارقليط
اخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط اول حتى ياتي فارقليط اخر وان

تنزلنا

تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا قال ابن طغربل وفي
الانجيل مما ترجموه ما يدل على ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي
تسمعونه ليس هو لي بل للاب الذي ارسلني بهذا الكلام لكم واما الفارقليط روح القدس
الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كما قلته فهل بعد هذا بيان
اليس هذا صريح في ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق
بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شيء ويذكرهم
كلما قاله المسيح عليه السلام لهم وكل ما امرهم به من توحيد الله واما قوله ابي فهذه
اللفظة مبدلة محرفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه
وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم ومن
المشهور مخاطبة النصارى عظمائهم دينهم بالاباء الروحانية ولم تزل بنو اسرائيل
وبنو عيصو يقولون نحن ابناء الله لسوء فهمهم عن الله تعالى واما قوله يرسله ابي
باسمي فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة
وما تضمنه القران من مدحه عما افتري في امره وفي ترجمة اخرى للانجيل انه قال الفارقليط
اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم
بالحق ويخبرهم بالحوادث وهو عند ابن طغربل بلفظ فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده
بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه لا ياخذ مما هو لي ويخبركم
فقوله ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل ما

ما يسمع اي من الله الذي ارسله وهذا كما قال الله تعالى في حقه ع م وما ينطق عن الهوآء
ان هو الا وحي يوحي وقوله وهو يجد بي فلم يجده حق تجيده الا محمد م لانه وصفه
بانه رسول الله وبرآءه وبرآء امه عليهما السلام مما نسب اليهما وامر امته بذلك قال
ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العلمآء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين
بالثمن البخس ومن الذي انذر بالحوادث واخبر بالعيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله
در ابي محمد عبد الله السقراطيسي حيث قال في قصيدته المشهورة

توراة موسى اتت عنه فصدقها　انجيل عيسى بحق غير مفتعل　اخبار احبار اهل الكتب قد وردت
عما راوا ورووا في الاعصر الاول　ويعجبني قول العارف الرباني ابي عبد الله بن النعمان
هذا النبي محمد جاءت به　توراة موسى للانام تبشيرا　وكذاك انجيل المسيح موافق
ذكرا لاحمد معرب ومذكر　ويرحم الله ابن جابر حيث قال　لمبعثه في كل جيل علامة
على ما جلته الكتب من امره الجلي　فجاء به انجيل عيسى باخر　كما قد مضت توراة موسى باول

وفي الدلايل للبيهقي عن الحاكم بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام بن العاص
الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث
وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها
بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سودآء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء واذا
رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثل طول عنقه واذا له ظفيرتان احسن ما خلق
الله تعالى قال تعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج منه

حريرة سوداء واذا فيها صورة بيضا احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال تعرفون
هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة
بيضا فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله
وبكينا والله انه قام قايما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك ساعة
ينظر اليها ثم قال والله انه لاخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر
صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له اين لك هذه الصور
فقال ان ادم عليه السلام سال ربه ان يريه الانبياء من ولده فانزل عليه صورهم فكان
في خزانة ادم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس
فدفعها الى دانيال وفي زبور داود عليه السلام في مزمور اربعة واربعين
فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا باركك الله الى الابد ايها الجبار السيف فان
شرائعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون
تحتك فهذا المزمور ينوه بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي
القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تقلد
سيفك ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف امة من الامم سوى
العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفي قوله فان شرائعك وسنتك نص صريح
انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف
على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرات في بعض الكتب القديمة

قال الله تعالى وعزتى وجلالى لانزلن على جبال العرب نورا يملا ما بين المغرب والمشرق
ولاخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا اميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض
كلهم يؤمن بي ربا وبه رسولا يكفرون بملل ابائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك
وتقدست اسماؤك كرمت هذا النبى وشرفته قال الله تعالى ياموسى انى انتقم من عدوه
فى الدنيا والاخرة واظهر دعوته على كل دعوة واذل من خالف شريعته بالعدل ربيته و
للقسط اخرجته وعزتى لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا بابراهيم وختمتها
بمحمد فمن ادركه ولم يؤمن به ولم يدخل فى شريعته فهو من الله برئ ذكره ابن ظفر وغيره
النوع الخامس فى ايات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما اوحى اليه من اياته
وعلو رتبته الرفيعة ومكانته فهذا النوع اعزك الله لخصت اكثره من كتاب اقسام القران
للعلامة ابن القيم مع زيادات من فوائد الفوائد فاعلم انه تعالى اقسم بامور على امور وانما
اقسم بنفسه الموصوفة بصفاته او اياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض مخلوقاته
دليل على انه من عظيم اياته ثم انه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه
وتارة يقسم على ان القران حق وتارة على ان الرسول حق وتارة على على ان الجزاء والوعد والوعيد
فالاول لقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم و
الثانى لقوله تعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين والثالث لقوله تعالى والذاريات
ذروا ان الذين لواقع وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت ان القران حق وثبت صدق
الرسول الذي جاء به ومتى ثبت ان الوعد والوعيد حق حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به

وفى

وفى هذا النوع خمسة فصول الفصل الاول فى قسمه تعالى على ما خصه من الخلق العظيم
وحباه من الفضل العميم قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون
وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم ن من اسماء الحروف كالم والمص وق و
اختلف فيها فقيل هى اسماء للقران وقيل اسماء للسور وقيل لله ويدل عليه ان عليا رضى الله عنه
كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل ولعلها اراد يا منزلها وقيل انه سر استاثر الله بعلمه وقد
روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله
ورسوله لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وهل المراد بقوله تعالى هنا نون
اسم الحوت وحل المراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض والمراد به الدواة
وهو مروى عن ابن عباس ويكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة
عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل ن نون لوح من نور يكتب فيه
الملائكة ما يامرهم به رواه معاوية بن قره مرفوعا اقسم تعالى بالكتاب والته وهو القلم الذى
هو احدى اياته واول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحى وقيد به الدين
واثبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد فى المعاش واقام فى الناس
ابلغ خطيب وافصحه وانفعه لهم وانصحه وواعظا تشفى موعظته القلوب من السقم وطبيبا
يبرئ باذن باريه من انواع الالم على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود فى كل افعاله واقواله
مما عصمته اعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وكيف
يرمى بالجنون من اتى بما عجزت العقلاء قاطبة عن معارضته وكلت عن مماثلته وعرفهم

من الحق ما لا يهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت له عقول العلماء وخضعت له ارباب الالباب وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها الا التسليم له والانقياد والاذعان طايعة مختارة فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي اخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه ﷺ في دنياه واخرته فقال وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا غير منقطع بل هو دائم مستمر ونكر الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا يناله التغيير ثم اثنى بما منحه فقال وانك لعلى خلق عظيم وهذه من اعظم ايات نبوته ورسالته ولقد سئلت عايشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران و من ثم قال ابن عباس وغيره اي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكسب النفس بها اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها وهذه كانت اخلاقه ﷺ المقتبسة من القران فكان كلامه مطابقا للقران تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم القران واراداته واعماله ما اوجبه وندب اليه القران واعراضه وتركه لما منع منه القران ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما احبه وسعيه في تنفيذ اوامره فترجمت ام المؤمنين لكمال معرفتها بالقران وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القران وفهم السايل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى ولما وصفه تعالى بانه على خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي فسترى يا محمد

وسيرى المشركون كيف عاقبة امرك فانك تصير معظما في القلوب ويصيروا اذلاء مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب **الفصل الثاني** في قسمه تعالى على ما اقسم به عليه و اظهره من قدره العلي لديه قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى السورة اقسم تعالى على انعامه على رسوله ﷺ واكرامه له واعطايه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزايه في الاخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم تعالى بايتين عظيمتين من اياته الدالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه وتامل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال اعداؤه ودع محمدا ربه فاقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا فان الذي اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي و النبوة الى مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتامل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الالفاظ والجلالة التي على معانيها ونفى سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه فالتوديع الترك والقلاء البغض اي ما تركك منذ اعتنى بك ولا ابغضك منذ احبك وحذف الكاف في قلى اكتفاء بكاف ودعك ولان رؤس الايات بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم كل احواله فان كل حالة يرقيه

اليها هي خير له مما قبلها كما ان الدار الاخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به
عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره وهو انه يعطيه من القران والهدي النصر
والظفر باعدايه يوم بدر وفتح مكة ودخول الناس في الدين فواجا والغلبة على
بني قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين
في اقطار الارض من المداين وما قذف في قلوب اعدايه من الرعب ونشر الدعوة
ودفع ذكره واعلا كلمته وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيمة من
الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر
وقال بن عباس يعطيه الف قصر من لولو ابيض ترابها المسك وترفيها ما تليق
بها وبالجملة فقد دلت هذه الاية على انه تعالى يعطيه عم كلما كان يرضيه واما
ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى واحد من امته في النار او لا يرضى ان يدخل احد من
امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله عليه وسلامه
يرضى بما يرضى به ربه تعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة
ثم يحد لرسول الله عم حدا يشفع فيهم كما سياتي ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير
ورسوله عم اعرف به وبحقه من ان يقول لا ارضى ان تدخل احدا من امتي النار او
تدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى ياذن له فيشفع فيمن شاء ان يشفع فيه ولا يشفع في
غير من اذن له ورضيه ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه من ايوايه بعد يتمه فقال الم يجدك
يتيما فاوى وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة الم يجدك واحدا

في قريش عديم النظير فاواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه ان يقابل هذه
النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر السايل وان يكتم
النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة الحديث بها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث
بها تبليغها الفصل الثالث في قسمه تعالى على تصديقه عليه السلام فيما اتى به من وحيه
وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم
وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم الله تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراته مما نسب
اليه اعداوه من الضلال والغي واختلف المفسرون في المراد بالنجم باقاويل معروفة
منها النجم على ظاهره ويكون ان التعريف العهد في قول والتعريف الجنس في اخر وهي النجوم التي
يهتدي بها فقيل الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية عن
ابن ابي طلحة وعطية العرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا وعن ابن عباس في رواية عكرمة
النجوم التي ترجم بها الشياطين اذا سقطت في اثارها عند استراق السمع وهذا قول الحسن
وعن السدي الزهرة وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيمة وقيل المراد به النبت الذي
لا ساق له وهوى اي سقط على الارض وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس انه
لانه نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك
وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السما
ليلة المعراج واظهر الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم التي ترمى بها الشياطين ويكون
سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى اية وحفظا للوحي من

من استراق الشياطين على ان ما اوتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق
له اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدًا بين يدي الوحي وحرسًا له وعلى هذا فالارتباط
بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على ان المقسم عليه
وليس بالبين تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد
في القران بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها
اذا غابت وليس بالبين ايضًا القسم بالنجوم عند انتشارها يوم القيمة بل هذا مما يقسم الرب
عليه ويدل عليه باياته فلا يجعله نفسه دليلًا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكرو
البعث فانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه ثم انه بين المقسم به و
المقسم عليه ما لا يخفى فان قلنا ان المراد النجوم التي هي للاهتداء فالمناسبة ظاهرة
وان قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر النجوم عند الرأي لانه لا يشتبه بغيره في الشمايل وهو ظاهر
لكل احد والنبي متميز عن الكل بما منح من الايات البينات ولان الثريا اذا ظهرت من
المشرق حان ادراك الثمار واذا ظهرت من المغرب قرب اواخر الخريف فتقل الامراض و
النبي لما ظهر قل الشرك والامراض القلبية فان قلنا المراد بها القران فهو استدلال بمعجزة
صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرائته وانه ما ضل ولا غوي وان قلنا ان المراد النبات
فالنبات به نبات القوي الجسمانية وصلاحها والقوي العقلية اولى بالصلاح و
ذلك بالرسل وايضاح السبل وتامل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد
تاكيدًا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبكم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله

وانهم

وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى
على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله ان يصدر عن هوي
فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحي ولم يقل وما ينطق بالهوي لان نفي نطقه
عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفي الامرين
نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفيه فنطقه بالحق ومصدره الهدى
والرشاد لا الغي والضلال ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى فاعاد الضمير على المصدر
المفهوم من الفعل اى ما نطقه الا وحي يوحي وهذا احسن من جعل الضمير عايدًا الى
القران فان نطقه بالقران والسنة وان كليهما وحي يوحى قال الله تعالى وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة وهما القران والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل
نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقران يعلمه اياها ثم اخبر تعالى
عن وصف من علمه الوحي والقران بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلالة
والغواية فقال علمه شديد القوى وهو جبريل اى قواه العلمية والعملية كلها شديدة
ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي م
به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله تعالى عند ذي العرش كما سيأتي البحث فيه ان شاء الله
تعالى ثم اخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فواده لما راته عيناه وان القلب صدق العين
وليس كمن راي شيئًا على خلاف ما هو به فكذب فواده بصره بل ما راه ببصره صدقه الفواد
وعلم انه كذلك وفي حديث قصة الاسراء مزيد لما ذكرته هنا والله اعلم والموفق والمعين

قال الله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الي قوله وما هو بقول شيطان رجيم اي لا وقسم
اذا الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم واقسم ولا مزيدة للتاكيد وهذا قول اكثر المفسرين
بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون قال الزمخشري الوجه ان يقال هي للنفي اي انه لا يقسم
بالشيء الا اعظامًا له فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي باقسامي به كلا اعظام يعني
انه يستاهل فوق ذلك واقسم سبحانه وتعالى بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها و
جريانها وغروبها وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حاله
ضعف هذا وادباره وحاله قوة هذا وتنفسه واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما
تنفس هرب الليل وادبر بين يديه وذلك من اياته ودلائل ربوبيته انه القران قول
رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته قطعًا بعد ذلك بما يعينه به واما الرسول
الكريم في الحاقة فهو محمد م فاضافه الى الرسول الملكي تارة والى البشري اخرى واضافته
اليهما اضافة تبليغ لا اضافة انشاء من عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول
هو الذي يبلغ كلام من ارسله فهذا صريح في انه كلام من ارسل جبريل ومحمدًا صلى الله م
فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل وقد وصف الله تعالى
رسوله الملكي في هذه السورة بانه كريم يعطي افضل العطايا وهي العلم والمعرفة والهداية
والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذي قوة كما قال في النجم علمه شديد القوى
فيمنع الشياطين ان تدنوا منه وان يزيدوا فيه او ينقصوا منه وروي انه رفع قريات
قوم لوط على قوادم جناحه حتى سمع اهل السما نباح الكلاب واصوات بينها

عند

ذي العرش مكين اي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم
مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين على وحي الله
ورسالاته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القران
وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك
بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله البشري وزكاه
مما يقول فيه اعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا امر يعلمونه ولا يشكون فيه
وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون ثم اخبر عن رؤيته م لجبريل
وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا للقوم
فحقيقته عندهم انه خيال موجود في الاذهان لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه
جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقدير رؤية النبي م
لجبريل اهم من تقدير رؤيته لربه تعالى وان رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل هي
اصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن انكرها كفر قطعًا واما رؤيته لربه تعالى
فغايتها ان تكون مسالة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بانه
لم يره فنحن الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب سبحانه اعظم من رؤية
جبريل فان النبوة لا تتوقف نبوتها عليه البتة ثم نزه تعالى رسوليه كليهما صلى الله
عليهما وسلم احدهما بطريق النطق والثاني بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة
من الكتمان الذي هو الضنة والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال

وماهو على الغيب بضنين فان الرسالة لاتيتم مقصودها الا باامرين ادايها غير كتمان
واداتها على وجهها من غير زيادة ولانقصان والقراتان كالايتين فتضمنت احدهما
وهى قراة الضاد تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن بوزن بخلت
ابخل ومعناه وقال ابن عباس ليس بخيل بما انزل الله وقال مجاهد لايضن عليهم بما يعلم
واجمع المفسرون على ان الغيب ههنا القران والوحى قال الفرا يقول الله تعالى يأتيه غيب
من السما وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا معنى حسن جدا فان عادة النفوس
الشح بالشئ النفيس ولاسيما عن من لايعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم
لايبخل عليكم بالوحى الذى هو انفس شئ واجله وقال ابو على الفارسى المعنى يأتيه الغيب
فيبينه ويخبر به ويظهره ولايكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا
واما قراة من قرا بظنين بالظاء فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس
هو من الظن الذى هو الشعور والادراك فان ذلك لايتعدى الى مفعولين والمعنى
وما هذا الرسول على القران بمتهم بل هو امين فيه لايزيد فيه ولاينقص منه وهذا
يدل على ان الضمير فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملكى بالامانة
ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اى وما صاحبكم بمجنون بمتهم ولابخيل
فنفى سبحانه عن رسوله عليه السلام ذلك كله وزكى سند القران اعظم تزكية والله يقول
الحق وهو يهدى السبيل وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لاتبصرون
انه لقول رسول كريم الاية اقسم تعالى بالاشيا كلها ما يبصر منها وما لايبصر وهذا

اعم قسم وقع فى القران فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والاخرة وما يرى وما
لايرى ويدخل فى ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسى وكل مخلوق
وذلك كله من ايات قدرته وربوبيته ففى ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لايرى
اية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وان ما جاء به هو من عند الله تعالى وهو
كلامه تعالى لاكلام شاعر ولامجنون ولاكاهن وانه حق ثابت كما ان ساير الموجودات
ما يرى منها وما لايرى حق كما قال تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
فكانه سبحانه وتعالى يقول انه اى القران حق كما ان ما تشاهدونه من الخلق وما لاتشاهدونه
حق موجود ويكفى الانسان مع جميع ما يبصره وما لايبصره نفسه ومبدا خلقه ونشاته
وما يشاهد من احواله ظاهرا وباطنا ففى ذلك ابين دلالة على وحدانية الرب وثبوت
صفاته وصدق ما اخبر به رسوله عليه السلام ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم يخالط بشاشة الايمان
قلبه ثم اقسام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله
وانه لو تقول عليه وافترى لما اقره لعاجله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته
يابى ان يقر من تقول عليه وافترى عليه واضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم
واموالهم فكيف يليق باحكم الحاكمين واقدر القادرين ان يقر على ذلك بل كيف يليق به ان يؤيده
وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم ليسفك دماءهم وتستبيح اموالهم واولادهم
ونساهم قايلا ان الله قد امرنى بذلك واباحه لى بل كيف يليق به ان يصدقه بانواع التصديق
كلها فيصدقه باقراره وبالايات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على اختلافها

فكل اية على انفرادها مصدقة له ثم تقيم الدلالة القاطعة على ان هنا قوله وكلامه
فيشهد له باقراره وفعله وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان
ان يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قدمته
لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما
ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة **ومن ذلك** قوله تعالى فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا
المطهرون قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب
الذي بايدي الملائكة وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة
بايدي سفرة كرام بررة **قال** مالك احسن ما سمعت في هذه انها مثل للذي في عبس
قال ومن المفسرين من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه الا الطاهر والاول ارجح لان
لان الاية سيقت تنزيها للقران ان تتنزل به الشياطين وان محله لا يصل اليه
كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وايضا فان
قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الاية
على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر والنهي
حمل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب لصرف الكلام عن الخبر الى النهي
انتهى ملخصا وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه
يجوز مس المصحف للمحدث **وقد اجاب** ابن الرفعة في الكفاية عن دليلهم المزخرف فقال

ما نصه

ما نصه القران لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو اقرب المذكورين ولا يتوجه
النفي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرين
لانه قد نفى واثبت فكانه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس
فيها غير مطهر بالاجماع فعلم انه اراد المطهرين من الادميين ويبين ذلك ما روي انه
قال في كتاب عمرو بن حزم المروي في الدارقطني وغيره ولا تمس القران الا وانت على طهر
ثم قال فان قيل قد قال الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ وان المطهرين
الملائكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله لا يمسه بضم السين ليس بنهي
عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر قلنا اما قول اكثر المفسرين فهو
معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل واما كون المراد بالاية الخبر ومعناه النهي
فجوابه انا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القران قال الله تعالى لا تضار
والدة بولدها والمطلقات يتربصن انتهى واجاب العلامة البساطي في شرح المختصر للشيخ
خليل بانه يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب
البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى وقد ذكر العلامة شهاب الدين احمد بن
يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي المشهور مع زيادة ايضاح فوايد فقال في لا هذه وجهان
الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام يظهر ذلك فيه كقوله تعالى
لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضمة لاجل هاء ضمير المذكر الغائب
ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم

وان كان القياس جواز فتحه تحقيقا قال وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد ردّ من ردّ
بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسّه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا
النحو لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره الفصل الرابع في قسمه تعالى على تحقيق رسالته
قال الله سبحانه وتعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين الاية اعلم ان كل سورة
بدا الله تعالى فيها بحروف التهجي كان في اوائلها الذكر او الكتاب او القران لا يتصل اليها
الا انكشف الله له سرّ ذلك واختلفا لمفسرون في معنى يس على اقوال احدها انه انسان
بلغة طي وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة
وقيل بلغة كلب وحكى الكلبي انها بالسريانية قال الامام فخر الدين وتقريره هو ان تصغير انسان
انيسين وكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال يس وعلى هذا فيكون الخطاب مع محمد
ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين وتعقبه ابو حيان بان الذي نقل عن العرب
في تصغير انسان انيسان بياء بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد
الاشياء الى اصولها ولا نعلم انهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك
فلا يجوز ذلك الا ان تبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه
تحقير ويمتنع ذلك في حق السورة انتهى قال السمين وهذا الاعتراض الاخير صحيح
فقد نصوا على ان التصغير يدخل في الاسماء المعظمة شرعا وكذلك يحكى ان ابن قتيبة لما
قال في المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب
من الكفر فليتق الله قايله انتهى وقيل معنى يس يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل

يارجل

يارجل قاله ابن العالية وقيل هو اسم من اسماء القران قاله قتادة وعن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى
وعن طلحة بن عباس انه قسم اقسم الله به وهو من سمايه وعن كعب اقسم الله به قبل ان
يخلق السموات والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حين
قالوا لست مرسلا فاقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين توجيه الى عباده وعلى
طريق مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم
الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم الفصل الخامس
في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده قال الله تعالى لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يفتح لكثرة الاستعمال
فاذا اقسموا قالوا لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر
محذوف والمعنى قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وبان القسم يحذف في
منه الفعل نحو تالله لا افعلن والمعنى احلف بالله فحذف احلف كعلم المخاطب بانك
حالف قال الزجاجي من قال لعمر الله كانه حلف ببقاء الله ومن ثم قال المالكية والحنفية
ينعقد بها اليمين لان بقاء الله من صفات ذاته وعن مالك لا يعجبني الحلف بذلك
وقال الامام الشافعي واسحق لا يكون يمينا الا بالنية وعن احمد كالمذهبين
والراجح عنه واختلف فيمن المخاطب في الاية على قولين احدهما ان الملايكة قالت
للوط عليه السلام لما وعظ قومه وقال هؤلاء بناتي لعمرك انهم لفي سكرتهم

يعمهون اى يتحيرون فكيف يعقلون قولك و ينتفتون الى نصيحتك والثانى ان الخطاب لرسول الله عم وانه تعالى اقسم بحياته وهذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد عم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقائك فى الدنيا انهم لفى سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير رح ومراده بقوله وما سمعت الله المتلو فى الكتب المنزلة ورواه البغوى فى تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل على انه اكرم خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد عم كلاما معترضا فى قصة لوط قال القرطبى واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف بحياته وقد قال الامام احمد فيمن اقسم بالنبى صلى الله ينعقد به يمينه ويجب الكفارة بالحنث واحتج بكونه عم احد ركنى الشهادة وقال ابن خويزمنداد واستدل من جوز الحلف به عليه السلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده عم ان يحلفوا به عم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا اذا جاء صاحبه و قال احلف لى بحق ما حواه صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعنى النبى عم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد الاية اقسم الله بالبلد الامين وهو مكة ام القرى بلده عم وفيه اظهار المزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله قاله البيضاوى ثم اقسم بالوالد وما ولد وهو فيما قيل ابراهيم و

اسماعيل

اسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتضمن السورة القسم به فى موضعين وقيل المراد به ادم وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم تعالى بهم لانهم اعجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنظر واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما فى الارض من مخلوق خلق لاجلهم وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى ادم وقوله وانت حل وهو من الحلول ضد الظعن فيتضمن اقسامه تعالى المشتمل على عبده ورسوله وهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه وقيل المعنى وانت مستحل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذى يامن فيه الطير والوحش وقد استحل فيه قومك حرمتك وهذا مروى عن شرحبيل بن سعد وعن قتادة عليه مكة واهلها وما فتحت على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وغيره وحرم دار ابى سفيان فان قلت هذه السورة مكية وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال الواقعة التى ذكرت فى اخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين اجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل لقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عم ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روى ان عمر بن الخطاب رض قال للنبى صلى الله عليه وسلم بابى وامى انت يا رسول الله

لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اقسم بحياتك دون سایر الانبياء ولقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وقال تعالى والعصر ان
الانسان لفي خسر اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل على
الاعاجيب لانه يحصل فيه السرآء والضرآء والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر
الذي بمضيه ينقضي عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران ولله
در القايل انا لنفرح بالايام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الاجل وفي
تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي وغيرهما انه قسم بزمان الرسول عم قال
الامام فخر الرازي واحتجوا له بقوله عم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استاجر
اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر
الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب بقيراطين
فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تع وهل
نقصت من اجركم شيئا قالوا لا قال فضلي اوتيه من اشيا فكنتم اقل عملا واكثر اجرا رواه
البخاري قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه فيكون على هذا
اقسم الله تعالى بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره
في قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا
وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قل ووجه القسم كانه تعالى قال ما اعظم
خسر انهم اذا عرضوا عنك انتهى النوع السادس في وصفه تعالى له عليه السلام

بالنور

بالنور والسراج المنير اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله عم بالنور في قوله تعالى قد
جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقيل المراد القران ووصفه عم بالسراج المنير في
قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الهدى والرشاد فبيانه اقوى
واتم وانفع من نور الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها
ولا تستفيد من غيرها فكذا انفس النبي صلى الله عليه وسلم يفيد الانوار العقلية لسائر
الانفس البشرية وكذلك وصف الله الشمس بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا و
قمرا منيرا وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك
فقال الله نور السموات والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسي هو
سر الوجود والحياة والجمال والكمال وهو الذي اشرق على العالم واشرق على
العوالم الروحانية وهم الملائكة فصارت سراجا منيرة تستمد منها من دونها
بجود الله ثم سري النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس على صفحات
الجسوم فليس في الوجود الا نور الله الساري الى الشي منه بقدر قبوله ووسع
استعداده ورحب تلقيه والنور في الاصل كيفية يدركها الباصرة اولا وبوساطتها
ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة
المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله الا بتقدير مضاف كقوله زيد كرم
كرم بمعنى ذو كرم وبمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما بالكواكب

ومايفيض عنهامن الانوار وبالملائكة والانبياء من قولهم للرئيس الفايق بالتدبير
نور القوم لانهم يهتدون به في الامور ويويد هذا التاول قراة علي بن ابي طالب
وزيد بن على وغيرهما نور فعلا ماضيًا والارض بالنصب وقوله مثل نوره
اى مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على
سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى يضيء السموات والارض واما الارادة اهل السما
والارض وانهم يستضيئون به وعن مقاتل اى مثل الايمان فى قلب محمد كمشكاة
فيها مصباح فالمشكاة نظير صدر عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد عم والمصباح
نظير الايمان والنبوة في قلب محمد وعن غيره المشكاة نظير ابراهيم والزجاجة نظير
اسمعيل عم والمصباح جسد محمد عم والشجرة النبوة والرسالة وعن سعيد الجرار المشكاة
جوف محمد عم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عم
وعن كعب بن جبير النور الثاني ههنا محمد عم وعن سهل بن عبد الله مثل نور محمد اذ كان
مستودعًا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة
صدره اى كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور
ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي يكاد نبوة
محمد تبين للناس قبل كلامه حكى هذا القول الاخير القاضي ابو الفضل اليحصبي والفخر الرازي
لكنه عن كعب الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله بن
رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة كانت بديهية تنبيك بالخير لكن التفسير الاول

فهذه

في هذه الاية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا اليك ايات مبينات فاذا
كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل هداه كان ذلك مطابقا لما قبله واختلفوا في هذا
التشبيه او هو مشبه جملة بجملة لا يقصر فيها الى تشبيه جزء بجزء ومقابلة شي بشي وانما
قصد به ذلك اي مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة
على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذ ونه انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفات
النور الذي بين يدي الناس اي مثل نور الذي الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم
ايها البشر وقيل هو من التشبيه المفصل المقابل جزء بجزء وقدر ده على تلك الاقوال الثلاثة
اى مثل نوره في محمد عم او في المومنين او في القران والايمان كمشكاة فالمشكاة
هو الرسول او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة
قلبه والشجرة المباركة الوحي والملائكة رسل الله اليه وشبه المنفصل به بالزيت وهو
الحجج والبراهين والايات التي تضمنها الوحي وعلى قول المومنين فالمشكاة صدره والمصباح
الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القران وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها
وعلى قول الايمان والقران اي مثل الايمان والقران في صدر المومنين في قلبه
كمشكاة واما الضمير على قول المومنين في قراة ابي المذكورة في بعض التفاسير ففيه اشكال
من حيث الافراد وعن ابي هو عايد على المومنين وفي قراته مثل نور المومنين وفي رواية
عنه مثل نور من امن به وعن الحسن يعود على القران والايمان في ايات
تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله والرسول

ورسوله وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين قال عياض فجعل طاعته طاعة رسوله
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يعنى من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا
الى الخلق احكام الله فهو فى الحقيقة ما اطاع الا الله وذلك فى الحقيقة لا يكون الا
بتوفيق الله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فان من اعماه الله عن
الرشد واضله عن الطريق فان احدا من الخلق لا يقدر على ارشاده وهذه الاية من
اقوى الادلة على ان الرسول معصوم فى جميع الاوامر والنواهى وفى كل ما يبلغه عن الله
لانه لو اخطا فى شىء منها لم تكن طاعته طاعة الله وايضا وجب ان يكون معصوما
فى جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته فى قوله واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان
بمثل فعل الغير فثبت ان الانقياد له فى جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل
طاعة وانقياد لحكم الله تعالى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية
وهذا عام فى المعطين المطيعين لله من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام فى المعية
فى هذه الدار وان فاتت فيها معية الابدان وقد ذكروا فى سبب نزول هذه
الاية ان ثوبان مولى رسول الله عم كان شديد الحب لرسول الله عم قليل الصبر عنه فاتاه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله عم

عن

عن حاله فقال يا رسول الله ما بى وجع غير انى اذا لم اراك اشتقتك واستوحشت وحشة
عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة بحيث لا اراك هناك لانى ان دخلت الجنة فانت تكون
فى درجات النبيين وان انا لم ادخل الجنة فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية
وذكر ابن ابى حاتم عن ابى الضحى عن مسروق قال اصحاب محمد يا رسول الله ما ينبغى لنا
ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله الاية وذكر عن عكرمة
مرسلا قال اتى فتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله ان لنا منك نظرة فى الدنيا
ويوم القيمة لا نراك فانك فى الجنة فى الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية فقال له
رسول الله عم انت معى فى الجنة وذكر ايضا فيها روايات اخر تاتى ان شاء الله تعالى فى مقصد
محبته عم لكن قال المحققون لا ننكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الاية
يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم
ان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ فهذه الاية عامة فى حق جميع المكلفين
وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة
عنده تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكفى الاكتفاء
بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفى فى جانب الثبوت حصول
ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره وان يحمل الطاعة على فعل
المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة قال
الرازى قد ثبت فى اصول الفقه بان الحكم المذكور عقب الصفة مشعر بكون

ذلك الحكم معللا بذلك الحكم الوصف واذا ثبت هذا فنقول قوله من يطع الله اي
في كونه الاها وطاعة الله في كونه الاها هي معرفته والاقرار بجلاله وعزته و
جبروتيه وصمديته فصارت هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد
فالاول ان منشاء جميع السعادات يوم القيمة اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل
من كانت هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاته اقوى كان الى السعادة اقرب والى
الفوز بالنجاة اوصل والثاني ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة وعد اهل الطاعة
بالاجر العظيم والثواب الجزيل ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين
وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول والصديقين كون الكل في درجة
بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد
منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا
ارادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت
وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المرء مع من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة
اقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية والصحبة
الحقيقة انما هي بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي
معه عم ومن اقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن
ابي من ابعد الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او
معصية او شخص من الاشخاص فهو باراده ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون

مع

مع الرسول عم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية
بعد عظيم وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله اية المحبة
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفايدتها
فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفايدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل
المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله عم مشروطا
بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق
شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المحـ
المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت
محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله عم ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله
ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله اليه احب مما سواهما
فلا يكون شيء احب اليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شيء احب اليه منهما فهذا
هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله
بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة احد من هؤلاء على طاعة الله
ورسوله او قول احد منهم على قول الله ورسوله او مرضاة احد على مرضاة الله ورسوله

اوخوف احد منهم و رجاه والتوكل عليه على خوف الله و رجائه و التوكل عليه ومعاملة احد
منهم على معاملة الله و رسوله فهو من ليس الله و رسوله احب اليه مما سواهما وان قال
بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب المدارج وسياتى
مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى مقصد محبته عم وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله
النبى الامى الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اى الى الصراط المستقيم
فجعل رجاء الاهتداء اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه
ولم يتابعه بالالتزام شرعه فهو فى الضلالة فكل ما اتى به الرسول عم يجب علينا الاما
خصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله و رسوله والنور الذي انزلنا يعنى القران
فالايمان به عم واجب متعين لا يتم الايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تع
ومن لم يومن بالله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اى من لم يومن بالله و رسوله فهو من الكافرين
وانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال تعالى فلا و ربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الاية معناه فو ربك لقوله فو ربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد
لمعنى القسم كما فى لئلا يعلم ولا يومنون جواب قسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة
لانه لا يومن احد حتى يحكم الرسول عم فى جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له
ظاهرا و باطنا سواء كان الحكم بما يوافق هواهم او يخالفها كما ورد فى الحديث والذى
نفسى بيده لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا يدل على ان من لم يرض
بحكم الرسول عم لا يكون مومنا وعلى انه لابد من حصول الرضى بحكمه فى القلب وذلك بان

يحصل

يحصل الجزم والتيقن فى القلب بان الذي يحكم به عليه السلام هو الحق والصدق
فلابد من الانقياد باطنا وظاهرا وسياتى مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى فى
محبته عم ثم ان ظاهر هذه الاية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على
انه يجب متابعة قوله وحكمه وانه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا فى
انفسهم حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه خطر بقلبه قياس يقتضى ضد مدلول النص
فهناك يحصل الحرج فى النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان لا يلتفت الى ذلك
الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين ويجوز غيره تخصيص الكتاب
والسنة بالقياس وبه صرح العلامة التاج ابن السبكى فى جمع الجوامع **النوع الثامن**
فيما يتضمن الادب معه عم قال الله تعالى لا تقدموا بين يدى الله و رسوله فمن الادب
ان لا يتقدم بين يديه بامر ولا نهى ولا اذن ولا تصرف حتى يامر هو وينهى
ويأذن كما امر الله تعالى بذلك فى هذه الاية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ
فالتقدم بين يدى سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه فى حياته لا فرق بينهما
عند ذى عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله عم شيئا حتى يقضيه الله
على لسانه وقال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله عم وقال غيره لا تامروا حتى
يامر ولا تنهوا حتى ينهى وانظر ادب الصديق رضى الله عنه معه عم فى الصلاة ان
تقدم بين يديه كيف تاخر وقال ما كان لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله
كيف اورث مقامه والامامة بعده فكان ذلك التاخر الى خلفه وقد اوما اليه ان

ان اثبت مكانك سعيًا الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق
المطى ومن الادب معه م ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
قال الرازي افاد انه ينبغي ان لا يتكلم المومن عنده م كما يتكلم العبد عند سيده لان
العبد داخل فى قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغى ان يجهر المومن
للنبى م كما يجهر العبد للسيد واذا كان قد جهر له فلا يجهر بعضكم لبعض قال
ويويد ما ذكرناه قوله تعالى النبى اولى بالمومنين من انفسهم والسيد ليس اولى
عند عبده من نفسه حتى لو كانا فى مخمصة ووجد العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب
عليه بدله لسيده ويجب البدل للنبى م ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه
ان يلقى نفسه فى الهلكة لانجا سيده ويجب لانجاء النبى م فكما ان العضو الرئيس اولى
بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلاً لا يبقى لليدين والرجلين استقامة فلو حفظ
الانسان نفسه وترك النبى م لهلك هو ايضًا بخلاف العبد والسيد انتهى واعلم
ان فى الرفع والجهر استخفافًا قد يودي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد
الاهانة وعدم المبالاة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله
لا اكلمك الا كاخى السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخى السرار ما كان يسمع
النبى م بعد هذه الاية حتى يستفهمه وقد روى ان ابا جعفر امير المومنين ناظر
مالكًا فى مسجد رسول الله م فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك فى هذا

المسجد

المسجد فان الله عز وجل ادب قومًا فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الاية
ومدح قومًا فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قومًا فقال ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيًا فاستكان
لها ابو جعفر واذا كان رفع الاصوات فوق صوته موجبًا لحبوط الاعمال
فما الظن برفع الاراء ونتائج الافكار على سنته وما جاء به ومن الادب معه
ان لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضًا قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين احدهما انكم لا تدعونه باسمه
كما يدعو بعضكم بعضًا بل قولوا يا رسول الله يا نبى الله مع التوقير والتواضع فعلى
هذا المصدر مضاف الى المفعول اي دعاؤكم الرسول والثانى ان المعنى لا تجعلوا
دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضًا ان شاء اجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم
لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة فان المبادرة الى اجابته
واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل اى دعاؤه
اياكم وقد تقدم فى الخصائص من المصدر الرابع عن مذهب الشافعى ان الصلاة
لا تبطل باجابته م ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه
على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد مذهبًا فى حاجة له
حتى يستاذنه كما قال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا
معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبًا مقيدا بالحاجة

عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق فی تفاصيل الدين و
فروعه ودقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه فاسالوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون ومن الادب معه ؏م ان لا يستشكل قوله بل يستشكل الاراء
لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة ويلقی لنصوصه ولا يحرف
كلامه فی حقيقته لخيال يخالف تسمية اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب
معزول ولا يوقف قبول ما جاء به علی موافقة احد فكل هذا من قلة الادب فكل
هذا من قلة الادب معه وهو عين الجراة وراس الادب معه ؏م كمال التسليم
له والانقياد لامره وتلقی خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة
خيال باطل يسميه معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم عليه اراء الرجال
وزبالات اذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد
المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة
للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا تحاكم
الی غيره ولا يرضی بحكم غيره انتهی ملخصا من المدارج والقران مملو بالايات المرشدة
الی الادب معه ؏م فلتراجع النوع التاسع فی ايات تتضمن رده تعالی بنفسه
المقدسة علی عدوه ؏م ترفيعا لشانه قال الله تعالی ن والقلم وما يسطرون
وما انت بنعمة ربك بمجنون لما قال المشركون يا ايها الذی نزل عليه الذكر انك
لمجنون اجاب تعالی عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الاحباب

فان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولی بنفسه جوابه فههنا تولی الحق سبحانه
جوابهم بنفسه منتظرا له لان نصرته تعالی له اتم من نصرته وارفع لمنزلته ورده
ابلغ من رده واثبت فی ديوان مجده فاقسم تعالی بما اقسم به من عظم اياته
علی تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته اعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له
بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداؤه المكذبون له ايهم المفتون هو او
هم وقد علموا هم والعقلاء ذلك فی الدنيا ويزداد علمهم به فی البرزخ وينكشف ويظهر كل
الظهور فی الاخرة بحيث يتساوی الخلق كلهم فی العلم به وقال تعالی وما صاحبكم
بمجنون ولما رای العاصی بن وايل السهمی النبی ؏م يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا
عند باب بنی سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس فی المسجد فلما دخل
العاص قالوا له من ذا الذی كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعنی النبی ؏م وكان قد توفی
ابن لرسول الله عليه السلام من خديجة فرد الله عليه وتولی جوابه بقوله ان شانئك
هو الابتر ای عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير ولما قالوا افتری علی الله كذبا قال
الله تعالی بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فی العذاب والضلال البعيد ولما قالوا لست
مرسلا اجاب الله تعالی عنه قال يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين فصدقه ثم
فلما قالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون رد الله عليهم قال بل جاء بالحق
وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم ولما
قالوا ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون رد تعالی عليهم بقوله وما علمناه

الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا
الا افك فتريه واعانه عليه قوم اخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد
جاؤا ظلما وزورا وقال بل نزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولما
قالوا يلقيه اليه شيطان قال الله تعالى وما تنزلت به الشياطين الاية ولما تلى عليهم
نبا الاولين قال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا الا ان هذا الا اساطير
الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ولما قال الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول
البشر قال الله تعالى كذلك ما اتى الله الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او
مجنون تسلية له عليه السلام ولما قالوا محمد قلاه ربه فرد الله تعالى عليهم بقوله
ما ودعك ربك وما قلى، ولما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
قال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق ولما حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا
ما همته الا النكاح رد الله تعالى عليهم عن رسوله والنافح عنه فقال ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم
ملكا عظيما ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه الله
عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان التخالف يورث التباين قال الله تعالى قل

لو كان

لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
اي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان الارض من البشر
وجب ان يكون رسلهم من البشر فما اجل هذه الكرامة وقد كانت الانبياء انما يدافعون
عن انفسهم ويردون على اعدائهم كقول نوح عليه السلام يا قوم ليس بي ضلالة
وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك **النوع العاشر** في ازالة الشبهات عن ايات
وردت في حقه عليه السلام متشابهات قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى
اعلم انه قد اتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل
هو جايز عقلا على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة
وهو غير جايز عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا انه جايز في العقول ثم يكرم الله من
اراده بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجايز لم يقع قال الله تعالى ما ضل
صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين وقال الامام ابو الفضل اليحصبي في الشفا
والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء
من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيضة
منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف السعادة ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر و
اشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل **ثم** قال وقد استبان لك بما قررناه
ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة

تنا في العلم بشئ من ذلك كله حمله بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا و
لا بشئ مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا وعقلا وشرعا واجماعا
ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن
الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه
فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضاء وغضب وجد ومزح مما يجب لك
ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف
ما هي عليه وينزهه عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في
هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل صاحبه
دار البوار وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال
افعالهم واتباع اثارهم وسيرتهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب
مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكمه ذلك فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل
من افعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة والحظر والمعصية انتهى واختلف
في تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة احدها اي وجدك ضالا عن معالم النبوة وهو
مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويويده قوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف

تدعوا

تدعوا الخلق الى الايمان اي ما كنت قاله السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو
الفرايض والاحكام فقد كان عليه السلام قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن
يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شاء الله تعالى
الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما رويه مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين انه قال
ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله الثالث يقال ضل
الماء في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت
دينه الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد
كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة
الجهل الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه اي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك
السادس اي محبا لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطاء والضلال الحب كما قال الله تعالى انك
لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله
لكفروا السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال
بسبب الهيبة فهداه تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك الثامن اي وجدك
بين اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم التاسع اي وجدك
متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر وهذا مروي
عن الجنيد العاشر عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشئ مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشئ حتى

اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى باعلا مكة لو حفظت لي غنمي
حتى ادخل فاسمر كما اسمر الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت
عزفا بالدفوف والمزامير فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت ما ايقظني الا
مس الشمس ثم قلت ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس
ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته **واما قوله** تعالى ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
المجوزين للصغاير على الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وبظواهر كثيرة من القران
والحديث ان لم تزموا ظواهرها افضت بهم كما قال القاضي عياض الى تجويز الكباير
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى
وقد اختلف في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع
له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله
من اقذاره وقيل المراد منه تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر القيام بامرها وحفظ
موجباتها في المحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها
بان يسرها عليه حتى تيسرت له وما قيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل عم

وكان

وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله تعالى وقال له اتبع ملة ابراهيم وقيل معناه
عصمناك عن الوزر الذي انقض ظهرك لو كانت الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا
مجازا **ومن** ذلك ما في الحديث انه عليه السلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة
فضرب الله على اذنه فما ايقظه الا حر الشمس من الغد وقيل ثقل سرك وحيرتك وطلب
شريعتك حتى شرعنا لك ذلك وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى انقض اي كان ينقضه **قال** القاضي فيكون المعنى على من جعل ذلك
قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد
النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها **وقيل** انها ذنوب امته صارت كالوزر
عليه فامنه الله تعالى من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
ووعده الشفاعة في الاجل **واما قوله** تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال ابن عباس اي انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم اراد غفران
ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل حكاه
الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه
السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وقيل المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى ما يقابله مشتركان
في اباحة الفعل **وقال** السبكي قد تاملتها يعني الاية مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل
الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه

اريد ان يستوعب في الاية جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية
شيئان سلبية وهو غفران الذنوب ودينوية وهي لا تتنا هي اشار اليهما بقوله ويتم
نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية اشار اليها بقوله ويهديك صراطا
مستقيما ودنيوية وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي م
باتمام انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل ذلك غاية الفتح المبين الذي
عظمه وفخمه باسناده اليه بنون العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله
لك وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال وانما منعني التشريف بهذا المعنى الحكم ولم تكن
ذنوب البتة قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه م وكيف يتخيل خلاف
ذلك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحي واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه
والتاسي به في كل ما يفعله من قليل وكثير او صغير او كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف
ولا بحث حتى اعماله في السر والخلوة ويحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او
لم يعلم ومن تامل احوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله ان يخطر بباله
خلاف ذلك انتهى واما قوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية انه م
اتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور به اذ لا يصلح ان يقال
للجالس اجلس ولا للساكت اسكت ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك
ولا ان يطيع الكافرين والمنافقين حاشاه الله من ذلك وانما امره الله بتقوى يوجب
استدامة الحضور واجاب بعضهم عن هذا ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد

علمه

علمه ومرتبته حتى كان حاله م فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه تركا للافضل فكان
له في كل ساعة تقوى تتجدد وقيل المراد دم على التقوى فانه يصح ان يقال للجالس اجلس
ههنا الى ان اتيك وللساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه و
قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته ويدل عليه قوله تعالى
ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل واما قوله تعالى فلا تطع المكذبين
فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امره م ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما
انعم الله به عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه
الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه
السورة من اوائل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤساء الكفار من
اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله تعالى
تهييج للتشديد في مخالفتهم واما قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب
بهذا فقال قوم المخاطب به النبي م وقال اخرون المخاطب به غيره واما من قال
بالاول فاختلفوا على وجوه الاول ان الخطاب مع النبي م في الظاهر والمراد غيره
لقوله تعالى اذا طلقتم النساء وكقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى ابن مريم
أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان
اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يامر الرعية بامر مخصوص فانه

لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون اقوى تاثيرا فى قلوبهم الثانى
قال الفرا علم الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما
يقول الرجل لولده ان كنت ابنى فبرنى و لعبده ان كنت عبدي فاطعنى الثالث انه يقال
لضيق الصدر شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعانى من تعنتهم واذاهم فاصبر واسال
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذاء قومهم وكيف كان
عاقبة امرهم من النصر فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان
القران مصدق لما فيه او تهييج الرسول عليه السلام و زيادة تثبيته او يكون على سبيل
الفرض والتقدير لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه الاية والله لا اشك ولا اسال واما الوجه الثانى وهو ان المخاطب
غيره عم فتقريره ان الناس كانوا فى زمانه عليه السلام فرقا ثلثة المصدقون له
والمكذبون له والمتوقفون فى امره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب
فقال فان كنت فى شك ايها الانسان بما انزلنا اليك من الهدي على لسان نبينا
فاسال اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهذا مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما
غرك بربك الكريم و يا ايها الانسان انك كادح واذا مس الانسان ضر فان
المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا و لما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل
ذلك الشك عنهم حذرهم وقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي فى انهم لا يعلمون ذلك ويكون المراد قل لمن

قل لمن افتري يا محمد لا تكونن من الممترين وانه عم يخاطب به غيره وقيل غير ذلك
واما قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدي فلا تكونن من الجاهلين فقال
القاضى عياض لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم
على الهدي اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبيا
والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم بسمات الجاهلين وليس فى الاية
دليل على كونه على تلك الصفة التى نهاه عن الكون عليها فامره صلى الله عم
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة
التحير حكاه ابوبكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عم فلا تكونوا من الجاهلين
حكاه ابو محمد مكى قال ومثله فى القران كثير وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر
من فى الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا و قوله تعالى ان يشا الله
يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد غيره وان هذه
حال من اشرك والنبى عم لا يجوز عليه هذا والله تعالى نهاه عما يشا و يامره بما يشاء
كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما طردهم عليه السلام وما كان
من الظالمين واما قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الضالين فليس بمعنى قوله والذين
عن اياتنا غافلون وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر ببالك ولم
يقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا واما قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الاية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم

والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامر الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه
او رام الشيطان من اغوائه وخواطر ادانى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان
يستعيذ به تعالى منه فيكفي امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر
من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في
صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبي ان ما ياتيه
من الله هو الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهر
لديه كما قدمته في المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته واما قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين
ان التمني المراد به هنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار
من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير
ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه و
ويكشف لبسه ويحكم اياته قاله القاضي وقد تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك
قال في الشفاء واما قوله عليه السلام حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هنا
واد به شيطان فليس منه ذكر تسلط عليه ولا وسوسة له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل كما يهديه كما
يهدي الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان

يرعا

على بلال الموكل بصلاة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هنا واد به شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع اشكاله قال واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات
فليس فيها اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى
وان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى و
النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له واما قصه الله عليه
من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض
عنه بقوله وما عليك الا يزكى اي ليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا
يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك
الا البلاغ وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب والزجر لانه وان فقد بصره كان
يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة
استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه ع م بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه ع م
ايذاء له عليه السلام وذلك معصية عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا
ومعصية وان الذي فعله الرسول ع م كان هو الواجب المتعين وقد كان ع م
ماذونا له في تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق

قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية فروى ابن ابي حاتم عن مسعوه عن عون واما
قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدا بالعفو قبل المعاتبة وكذا قال مورق
العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في سورة النور فرخص له
في ان يأذن لهم ان شاء فقال تعالى فاستاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت
منهم ففوض الامر الى رأيه ع م وقال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول ع م لم
يؤمر فيهما بشئ اذنه للمنافقين واخذه الفدى من الاسرى فعاتبه الله كما تسمعون
واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال
عفا الله عنك والعفو يستدعي سالفة ذنب وقوله لاخر لم اذنت لهم استفهام
بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال
ان ذلك يدل على مبالغة الله في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان
عليه عظيما عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي عنك ما جوابك عن
كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة
التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم يجب عليهم قط اي لم يلزمكم
ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف
كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا واما الجواب عن الثاني
فيقال اما ان يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع

على هذا التقدير اما ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر
عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد
حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فيثبت على جميع التقادير يمتنع ان
يقال ان قوله لم اذنت لهم انكار عليه يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب
كاف قاطع وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل
بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك
بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة الى قوله
عظيم فروى مسلم من افراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله
المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون استشار النبي صلى الله
ابا بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان تاخذ منهم
الفدية فيكون ما اخذنا منهم الفدية قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم
الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب
قال قلت والله ما ارى ما ارى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب
عنقه وتمكن عليا من عقيل يضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه يضرب

عنقه حتى يعلم الله انه ليس فى قلوبنا موادة للمشركين فهوى رسول الله صلى الله
ما قال ابو بكر ولم يهو فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله ص م
فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهو يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرنى ما ذا يبكيك
انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بتاليت فقال النبى صلى الله ع م
ابكى للذى عرض على اصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبى ان تكون له اسرى الى قوله عظيم قوله تعالى حتى
يثخن فى الارض اى يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام
ويستولى اهله وليس فى هذا الزام ذنب للنبى صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما
خص به وفضل من بين سائر الانبياء عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا النبى ع م
غيرك كما قال عليه السلام احلت لى الغنايم ولم تحل لنبى قبلى واما قوله تعالى تريدون
عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبى صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه
بل قد روى عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشى عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال
لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون فى معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه
سبق منى ان لا اعذب احدا الا بعد النهى لعذبتكم فهذا ينفى ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم

وقيل

وقيل لولا انه سبق فى اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفى الذنب
والمعصية لان من فعل ما احل الله له لم يعص الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
وقيل بل كان عليه السلام قد خير فى ذلك وقد روى عن على قال جاء جبريل عليه السلام
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك فى الاسارى ان شاؤا القتل
وان شاؤا الفدا على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا
دليل على انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين قال القاضى بكر بن العلاء
اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الاية ان تاويله وافق ما كتب
له من احلال الغنايم والفداء وقد كان قبل هذا فادا فى سرية عبد الله بن جحش
التى قتل فيها ابن الحضرمى بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم و
ذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبى صلى الله عليه وسلم
فى شان الاسارى كان على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليه
لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منه
بتعريفهم ما كتبه فى اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
قاله القاضى عياض واما قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية فالمعنى ان ثبتناك لقاربت ان تميل

الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعتك ان تقرب فضلاً عن ان تركن
اليهم وهو صريح فى انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعى
اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه فلو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
المماة اى ضعف ما يعذب به من الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطر
اخطر وقد اعاذه الله من الركون الى اعدايه بذرة من قلبه ومما يعزى للحريرى
مما يؤيد ذلك قوله   انحوى هذا العصر ما هى لفظة   جرت فى لسانى جرهم وثمود
اذا استعملت فى صورة الجحد اثبتت   واذا اثبتت قامت مقام جحود   وفسر الاول
وهو المنفى المثبت بنحو ذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثانى وهو الثبوت
المنفى بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن قالوا وهو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه
ولم يركن واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا بشئ من عند نفسه لاخذنا بيمينه
وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله من ان يتقول عليه فان
قلت لا مزية انه يعفى للمحب ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم ولا يعفى
لغيره ويسامح به غيره كما قال الشاعر   واذا الحبيب اتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بالف شفيع   ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب
الاعظم ذو المحاسن والاحسان الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد
الشديد الواردان وقع منه ما يكره وكم من راكن الى اعدايه ومتقول عليه من

من قبل نفسه لم يعبأ به كارباب البدع ونحوهم فالجواب انه لا تنافى بين الامرين
فان من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره واعطاه منها
ما لم يعط غيره فحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت
حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان تراعى مرتبته من
ادنى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه
واصطفائه على غيره يكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه عليه اكمل
فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل واخل بمقتضى مرتبته
نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح به ذلك ايضاً فيجتمع
فى حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعها وعدم تناقضهما فالواقع شاهد
بذلك فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس فى منزلتهم
ويواخذهم بما لم يواخذ به غيرهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما
احب اليك من الاخر واقرب الى قلبك واعز عليك عاملته بهذين الامرين
واجتمع فى حقه المعاملتان بحسب قربه منك وحبك له وعزته فاذا نظرت
الى كمال احسانك اليه واتمام نعمك عليه اقتضت معاملته بما لا يعامل
به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته
وخدمته وكمال عبوديته ونصحه وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا
تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى فى

فى الشرع حيث جعل حدّ من انعم عليه بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم وحد
من لم يعطه هذه النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحدّ على الحرّ الذى قد ملكه
نفسه واتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حدّ العبد المنقوص
بالرق الذى لم تحصل له هذه النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته
فى خلقه فلله سر تحت كل لطيفة فاخو البصاير غايص يتعقل انتهى
ملخصا واما قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فقيل
معناه ما كنت تدرى الايمان على التفصيل الذى شرع لك فى القران وقال
ابو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه كان قبل الوحى لا يقدر ان يدعو
الى الايمان بالله تعالى وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان فى المهد
قبل البلوغ حكاه الماوردى والواحدى والقشيرى وقيل معناه انه من باب
حذف المضاف اى ما كنت تدرى اهل الايمان اى من الذى يومن ابو طالب او
العباس او غيرهما وقيل المراد به شرايع الايمان ومعالمه وهى كلها ايمان
وقد سمى الصلاة ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى
بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة
واشتهر فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان
ويحج ويعتمر وروى ابو نعيم وابن عساكر عن على قال النبى صلى الله عليه وسلم
هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف

ان

ان الذى هم عليه كفر وما كنت ادرى ما الكتاب ولا الايمان وعن عايشة كانت
قريش ومن دان دينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الحرم رواه الشيخان
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية يقف بعرفات دونهم توفيقا
من الله رواه البيهقى وابو نعيم من حديث جبير بن مطعم وقد ورد ان العرب لم
يزالوا على بقايا من دين اسمعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة وكان عم لا
يقرب الاوثان ويعيبها ولا يعرف شرايع الله تعالى التى شرعها لعباده على لسانه فذلك
قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذى هو الاقرار
بالله لان اباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا مومنين بالله ويحجون مع شركهم انتهى والله
اعلم **المقصد التاسع فى وجوب محبته** واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته
وفرض محبة اله واصحابه وقرابته وعشيرته وحكم الصلوة والتسليم عليه زاده الله
فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول الاول فى وجوب محبته واتباع سنته و
الاقتداء بهديه وسيرته عليه السلام اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هى المنزلة
التى يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون
وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهى قوت وغذاء الارواح
وقرة العيون وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذى
من فقده ففى بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام
واللذة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم والام وهى روح الايمان و

والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا
روح فيه تحمل اثقالا السايرين الى بلد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغنيه
وتوصلهم الى منازل لم يكونوا ابدونها ابدًا واصليها وتبويهم من مقا
الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي داخلها وهي مطايا القوم التي سراهم
في ظهور رها دايما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الاولى
من قريب تالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا والاخرة اذ لهم من معية محبوبهم
اوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلايق بمشيته وحكمته البالغة
ان المرء مع من احب فيالها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم السعاة وهم
على ظهور الفرش نايمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون
من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدا وتجي في الاول اجابوا موذن الشوق
اذ نادي بهم حي على الفلاح وبذلوا انفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم
وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه المسير بالادلاج والغدو و
الرواح ولقد حمدوا عند الوصول مسراهم وانما يحمد القوم السري عند الصباح
وقد اختلفوا في المحبة وعبارتهم وان كثرت فليست في الحقيقة ترجع الى
اختلاف مقال وانما هي اختلاف احوال واكثرها يرجع الى ثمراتها دون حقيقتها
وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة من المعلومات التي لا
يحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذا كقول صاحب

مدارج السالكين تبعا لغيره المحبة لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها
الا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما
يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها
فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت
الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين
للمسمى غاية المناسبة الحاء التي هي من اقصى الحلق والباء الشفهية التي هي نهاية فللحا
الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه
انتهاها اليه واعطوا الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها مطابقة
لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من الضمة
وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم والسنتهم فتامل هذا اللفظ والمطابقة و
المطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة
وان لها شانا ليس لساير اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب
اثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها فمنها موافقة الحبيب
في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لذاته وهذا من احكام
في المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا
اتم من هنا لا يدركه الا من افناه وارد المحبة عنه واخذه منه ومنها استقلال
الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها

وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه
لاستقله واستحيا منه ولو نال من محبوبه اليسير شيء لاستكثره واستعظمه ومنها
استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول
لكنه مخصوص ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو
ايضا حكم المحبة وموجبها ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شيء و
هو لسيدنا ابي عبد الله القرشي وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان
تهب ارادتك وعزماتك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها
حبسا في مرضاته ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذ منه له ومنها
ان تمحو من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب بقية
ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلي
ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها ان يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحب
عن ما سوى المحبوب غيره وعن المحبوب هيبة وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر
واما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل ولكن عند استيلاء
سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامة المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم و
منها ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وزوجك ومالك ثم
موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحرث
المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي

يحصل

يحصل عند المشاهدة لا يوصف وانشد بعضهم فقال فاسكر القوم دور الكاس
بينهم لكن سكري نشا من رؤية الساقي ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان
بذكره على الدوام اما سفر القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه واما لهج اللسان بذكره
فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان بالجملة كحب الصور
والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها
لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسته او يكون حبه لذلك لموافقته له
من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها
كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما واذا كان الانسان يحب من منحه
في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم
فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول
واذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي
الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم
والفضل العميم فلقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به
من نار الجهل الى جنات المعرفة والايقان فهو السبب لبقاء مهجنا البقاء الابدي في النعيم
السرمدي فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة وحقا
لاحد بعد الله كمثله علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره او
نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والاخرة واسبغ علينا

نعمة باطنة وظاهرة فاستحق ان يكون حظه من محبتنا له اوفى وازكى من محبتنا لا[نفسنا]
واولادنا واهلينا واموالنا والناس اجمعين بل لو كان في كل منبت شعرة منا
محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد
روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
والده وولده رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس
وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية
عبد العزيز بن صهيب عن انس والناس اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله و
ماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل في المعنى لانهما اعز
على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه ولذا لم يذكر النفس في
حديث ابي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابي
والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس
الامارة والمطمئنة فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم
راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه بالعكس وفي كلام القاضي عياض ان ذلك شرط
في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب المفهم
بان ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد
الانسان اعظام شيء مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل
لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري في الايمان و

الذنور

لذو ومن حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت يا رسول الله احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك لانت
احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر
فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل
ذلك قطعا وفي رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده
حتى اكون احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق حبي
حتى تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك فاما وقوف عمر في اول مرة
واستثناؤه نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الا[سباب]
وانما اراد عليه السلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغيير[ها]
بما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تامل فعرف
بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه السبب في
نجاتها من الهلكات في الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل
الجواب بقوله الان يا عمر اي الان عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شا[ن]
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب
تقديمها على محبة انفسنا واولادنا ووالدينا والناس اجمعين فما الظن
بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص

عن محبة غيره فى قدرها وصفتها وافراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب
له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه
التى بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله والشيء
يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه
الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى والتاله هو المحبة والطاعة
والخضوع ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض
الانسان على نفسه ان لو خير بين فقد غرض من اغراضه او فقد رؤية النبي
ان لو كانت ممكنة فان كان فقدها ان لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شيء من اغراضه
فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا قال
القرطبي كل من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان
شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك
المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا
فى الشهوات محجوبا فى الغفلات فى اكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبي عم
اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل نفسه فى الامور
الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا
الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع اثاره على جميع ما ذكر لما وقر فى
قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات انتهى فكل مسلم

في

فى قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل فى الاسلام الا بها والناس متفاوتون فى
محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته عليه السلام
من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضى الله عنهم
فى هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد روى ابن اسحق مما حكاه فى
الشفاء ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله عم
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين
فقالت ارونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعنى صغيرة
وروى البيهقى فى دلائله وذكره صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم احد قتل محمد
وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت باخيها وابيها
وزوجها قتلى لا تدرى بايهم استقبلت ولا وكلما مرت بواحد منهم صريعا
قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبى صلى الله عم
فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية
ثوبه ثم جعلت تقول بابى انت وامى يا رسول الله لا ابالى اذا سلمت العطب
وكذا روى ابن ابى الدنيا بنحوه مختصرا وقال عمرو بن العاص ما كان احد احب
الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال على بن ابى طالب كان رسول الله صلى الله
احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما ولما
اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه

قاله ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب
عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا
كحب اصحاب محمد محمدا وروي مما ذكره القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
فقال يا رسول لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجئ
فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت
مع النبيين وانا دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و
والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه قال وفي حديث اخر
كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك
فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله
فانزل الله الاية وذكره البغوي في تفسيره بلفظ نزلت الاية في ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض
ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت
الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة

ادنى

ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وكذا
ذكره الواحدي في اسباب النزول وعزاه للكلبي عن ثوبان وقال قتادة قال
بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وانت في الدرجات
العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله الاية وذكره ابن طغر في ينبوع الحياة
بلفظ ان عامر الشعبي قال ان رجلا من الانصار اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي ومالي وولدي واهلي
ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت وقال ان سوف اموت وبكى الانصاري
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت ذكرت انك ستموت
ونموت فترفع مع النبيين ويكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يجب النبي
بمعنى اي لم يرجع اليه بقول فانزل الله الاية وقال وذكر مقاتل بن سليمان مثل
هذا وقال هو عبد الله بن زيد هذا كان بن عبد ربه الانصاري الذي راى الاذان
وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فاتاه ابنه فاخبره ان النبي
توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره
واعلم انه لا يمكن ان يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة توحيد المحبوب
فليختر المرء لنفسه احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان
عند محبوبه كائنا ما كان كما قيل انا القتيل باي من احببته فاختر لنفسك
في الهوى من تصطفي ولبعض الحكماء كما ان الغمد لا يتسع لعضبين فكذلك

القلب لا يتسع الحبين فكذلك لازم اقبالك على من تهواه اعراضك عن كل شئ
سواه فمن داهن في المحبة او داجا فقد عرض لمدي الغيرة ودلجا فمحبته الرسول
بل تقديمه في الحب على الانفس والاباء والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته
من محبة الله وقد حكى عن ابي سعيد الخراز مما ذكره القشيري في رسالته انه قال رايت النبي
في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك
من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع لامراة من الانصار معه صلى الله عليه وسلم
يقظه ولابن ابي المجد   الا يا محب المصطفى زد صبابة   وضمخ لسان الذكر منك
بطيبه   ولا تعبان بالمبطلين فانما   علامة حب الله حب حبيبه   وكذلك كل حب
في الله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان
يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار تعلق
ذوق الايمان بالرضا بالله ربا وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه و
لا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشياء الى العبد هو ورسوله فمن
رضي بالله ربا رضيه له عبدا   ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات
وتحمل المشقات في الله في الدين ويوثر ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله
تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي وقال غيره
معناه ان من استكمل الايمان علم ان الله ورسوله اكد عليه من حق والده وولده

وجميع

وجميع الناس لان الهدى من الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسان
رسوله وفي قوله عليه السلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة
المومن في الايمان بشيء حلو واثبت له لازم ذلك الشيء واضافه اليه وفيه تلميح الى قصة
المريض والصحيح لان المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته
على ما هي وكلما نقصت الصحة شيئا ما نقص ذوقه بقدر ذلك وقال العارف ابن ابي
جمرة واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم
الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتاولوه وهم اهل الصفة
او قال الصوفية قال والصواب معهم في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه
ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تاويل قال ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال
الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة
محسوسة فمن ذلك حديث بلال حين صنع ما صنع في الرمضا اكراها على الكفر وهو
يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك ايضا عند موته
اهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه
فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابي
الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فراى السارق حين اخذه فلم يقطع
لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الذ من ذلك ولا اراك الا الحلاوة
التي وجدها محسوسة في وقته ذلك ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما م

فى بعض مغازيه من قبل العدو وقد اقبل فراهما فكبل الجاسوس القوس ورمى الصحابى
فاصابه فبقى على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع كذلك صلاته
ثم رماه ثالثة فاصابه فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال لولا انى خفت على المسلمين
فاقطعت صلاتى ولا ذاك الا لشدة وجد فيها من الحلاوة حتى اذهبت عنه
ما يجد من الم السلاح قال ومثل هذا حكى عن كثير من اهل المعاملات انتهى وحديث
هذين الصحابيين ذكره البخاري فى صحيحه فى باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين بلفظ
ويذكر عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة ذات الرقاع فرمى رجل بسهم
فنزفه الدم فركع وسجد ومضى فى صلاته وقد وصله ابن اسحق فى المغازي
قال حدثنى صدقة بن يسار عن عقيل عن ابيه مطولا واخرجه احمد وابوداود
والدارقطنى وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحق قال ابن
اسحق قال فى فتح الباري وشيخه وصدقة ثقة وعقيل بفتح العين لا اعرف راويا
عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري اولكونه اختصره او للخلاف فى ابن اسحق
واخرجه البيهقى فى الدلايل من وجه اخر وسمى احدهما عباد بن بشر الانصاري وعمار
بن ياسر المهاجرى والسورة الكهف وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل
ومن لا يعقل وقوله وان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا
باس بهذه التثنية واما قوله للذي خطب فقال ومن يعصهما بيس الخطيب انت فليس
من هنا لان المراد فى الخطب الايضاح واما هنا فالمراد الايجاز فى اللفظ ليحفظ ويدل عليه

ان على النبى صلى الله عليه وسلم حيث قاله فى موضع اخر قال ومن يعصهما
فلا يضر الا نفسه وقيل انه من الخصايص فيمتنع عن غير النبى صلى الله عليه وسلم
ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم اطلاق التسوية بخلافه فهو فان منصبه
لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام ومن الاجوبة فى الجمع
بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا للايماء الى المعتبر هو المجموع
المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى
فمن يدعى حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير اليه قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة بين قطرى
محبة العباد لله ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد
من العصيانين مستقبل باستلزام الغواية اذ العطف فى تقدير التكرير والاصل
استقلال كل من المعطوفين فى الحكم ويشير اليه قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولى الامر منكم فاعاد اطيعوا فى الرسول ولم يعده فى اولى الامر لانهم
لا استقلال لهم فى الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي
والطيبى كما حكاه فى فتح الباري وفى الصحيح ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال فى المدارج فاخبر ان للايمان طعما وان القلب
يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبى صلى الله عليه
عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق

بالمذوق تارة وبالطعام والشراب اخرى ويوجد الحلاوة تارة كما قال ذاق وقال ثلاث من كن فيه حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل فقال انى لست كهيئتكم انى اطعم واسقى وقد غلط حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب حسى للفم وسياتى تحقيق الكلام فى هذا ان شاء الله تعالى فى الصوم من مقصد عباداته عليه السلام والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب يكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه السلام حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولا يزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته قال العارف الكبير تاج الدين بن عطاء الله فيه يعنى فى هذا الحديث اشارة الى ان القلوب السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعانى كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا لانه استسلم
له وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضى بالله ربا كان له الرضى من الله اذا كان له الرضى من الله اوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه وليعرف احسان الله اليه ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن فلما واصلته امداد الله وانواره عوفى قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم القلب الادراك فادرك لذاذة الايمان

لانه اذا رضى بالله ربا

وحلاوته

وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضى بالاسلام دينا فقد رضى بما رضى به المولى ولازم من رضى محمد نبيا ان يكون له وليا وان يتادب بادابه ويتخلق باخلاقه زهدا فى الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن اساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضى بالله استسلم له ومن رضى بالاسلام عمل له ومن رضى محمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء به انتهى ملخصا اعلم ان محبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على الاوامر والانتهاء عن المعاصى والرضا بما يقدره فمن وقع فى معصية من فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره فى محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع فى الشبهات والمتصف بذلك عموم الاوقات والاحوال نادر وفى البخارى من حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضته عليه وفى رواية لشئ احب الى من اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به

ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي
يمشي ولان سالني لاعطينه ولان استعاذني لاعيذنه وما ترددت في
شئ انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت واكره مساته وسيتفاد
من قوله وما تقرب الي عبدي بشي احب الي من اداء الفرايض لحب الاعمال الى الله
وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرايض واجيب بان المراد
من النوافل اذا كانت مع الفرايضية مشتملة عليها ومكملة لها ويويده ان في رواية
ابي امامة ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك ويجاب
بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرايض وقال
الفاكهاني معنى الحديث انه اذا ادى الفرايض ودام على الاتيان النوافل من صلاة
وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل ايضا كيف
يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الى اخره واجيب باجوبة منها انه ورد
على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره امري فهو يحب طاعتي ويوثر
خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه
الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما امرته به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة
كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف اي كنت
حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك
الى اخره قاله الفاكهاني قال ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون بمعنى

مسموعه

مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان املي بمعنى مامولي والمعنى انه لا
يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي ولا ينظر الا
في عجايب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي وكذلك رجله وقال غيره اتفق
العلماء ممن يعتد بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته حتى
كانه سبحانه ينزل عبده منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع
وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية زعموا انه على حقيقته وان الحق عين
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة
الدعا والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة
وعن ابي عثمان الجبري احد ايمة الطريق قال معناه كنت اسمع اسرع الى قضاء حوايجه
من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويداه في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده
عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم
العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفي من الكدورات انه تصير في معنى الحق تعالى
الله عن ذلك وانه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه الموحد
لنفسه المحب لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير لا رسما عدما صرفا
وعلى الاوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القايلين بالوحدة المطلقة
لقوله في بقية الحديث ولين سالني زاد في رواية عبد الواحد عبدي انتهى
ملخصا وقال ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع

كثيفا لقلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته فى امرين اداء فرايضه والتقرب
اليه بالنوافل وان المحب لايزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا
لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى فيه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة
قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة
لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه وميله الاعلاما لكالزمام قلبه مستوليا
على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق فى محبته التى قد اجتمعت قوى
حبه كلها له ولاريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان نظر
نظر به وان مشى مشى به فهو فى قلبه ونفسه وانيه وصاحبه والباء هنا باء
المصاحبة وهى مصاحبة لانظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها
فالمسالة حالية لاعلمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه فى
محابه حصلت موافقة الرب لعبده فى حوائجه ومطالبه فقال ولين سالنى لاعطينه
ولين استعاذنى لاعيذنه اى كما وافقنى فى مرادى والتقرب الى محابى فانا
وافقه فى رغبته ورهبته فيما يسالنى ان افعله به ويستعيذنى ان يناله وقوى
امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه فى اماتة عبده لانه
يكره الموت والرب تعالى يكره مايكره عبده ويكره مساته فمن هذه الجهة يقتضى ان
لايميته ولكن مصلحته فى اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه
ولا افقره الا ليغنيه ولامنعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة فى صلب ابيه الا

ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب على الحقيقة لاسواه انتهى وقال
الخطابى التردد فى حق الله غير جايز والبداء عليه فى الامور غير سايغ ولكن له
تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك فى ايام عمره من داء يصيبه
وفاقة تنزل به فيدعوا الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك
من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولابد له
من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفنا على خلقه واستاثر
بالبقاء لنفسه والثانى ان يكون معناه ما رددت رسلى فى شئ انا فاعله كترددى
اياهم فى نفس المومن كما روى فى قصة موسى عليه السلام وماكان من لطمه
عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال حقيقة المعنى على الوجهين
عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذى ما حاصله
انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعنى باعتبار متعلقها اى عن الترديد
بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى
ان ينتقل محبته فى الحياة الى محبة الموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث
الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه ما يشتاق
معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب
الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولاعيش الاعيش المحبين الذين قرت اعينهم بمحبتهم
وسكنت نفوسهم واطمانت قلوبهم به واستانسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففى القلب

طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم و
عموم والام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة
العلية والرتبة السنية حتى يعرف الله تعالى ويهتدي اليه بطريق توصله
اليه ويحرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الا[خرة]
فينجذب اليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية ويداب في تصحيح التوبة و
والقيام بالمامورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة
ثم يقف حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول
لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين
بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قال

واخرج من بين البيوت لعلني … احدث عنك النفس بالسر خاليا

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق
اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على
قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله [الله] نبيه ورسوله
وهاديه فيطالع سيرته ومبادي اموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف
صفاته واخلاقه وادابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته و
معاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله تعالى مما ذكرت بعضه حتى
يصير كانه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي

المنزل اليه عليه من ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد قلبه ما اذا نزلت فيه وماذا اريد بها
وحظه المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص
منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف   الرسول صلى الله عليه وسلم
علامات اعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء
بهديه وسيرته والوقوف مع ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اية محبة
العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى اياه
الحكيم وهو محمود الوارق كما افاده المحاسبي في كتاب القصد والرجوع بقوله

تعصي الاله وانت تظهر حبه … هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته … ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشا من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة
فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن اعظم مطالعة منة الله على عبده منة
تاهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واصل هذا نور
يقذفه الله تعالى في قلب العبد فاذا دار ذلك النور اشرقت له ذاته فراى
في نفسه وما اهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت
عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرد احدهما
الاخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول كما قال

نقل فوادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول منزل في الارض
يالفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة و
المحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشان ان تحب الله قبل الشان ان يحبك
الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا واطعته امرا
واجبته دعوة واثرته طوعا وفنيت عن حكمه غيره بحكمه وعن محبة غيره من
الخلق وطاعة غيره بطاعته وان لم تكن كذلك فلا تتعن فلست على شيء وتامل قوله
تعالى فاتبعوني يحببكم الله اي الشان في ان الله يحببكم لا في انكم تحبونه وهذا لا تنالونه
الا باتباع الحبيب وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله
عز وجل اتباع مرضات الله والتمسك بسنن رسول الله فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان
ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى
وما والاه واسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب
كما يدخل حب الايمان في الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمان
الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات
غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها اعظم من اللذات
الجسمانية فلا تجد في اوراد العبادة كلفة وفي الترمذي عن انس مرفوعا و
من احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة وعن ابن عطاء
من الزم نفسه اداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف

من

من مقام متابعة الحبيب في اوامره وافعاله واخلاقه قال ابو اسحق الرقي من اقران
الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وعن
غيره لا يظهر على احد شيء من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فاما
من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتعلق العلم من مشكاة الرسول عليه السلام بدعوى
علم لدني اوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا
روحانيا موافقته لما جاء به الرسول عليه السلام عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان
لدني رحماني ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله
واما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم
اللدني الحاد وكفر يخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى لم
يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مامورا بمتابعته ولو كان مامورا بها
لوجب عليه ان يهاجر الى موسى ويكون معه ولهذا قال له انت موسى بني اسرائيل
قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن
والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع
محمد كالخضر مع موسى او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليتشهد شهادة
الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء
الله تعالى وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني الرحماني
هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلوة واتم التسليم

وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص بصاحبه كما قال علي ابن
ابي طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشى دون الناس فقال
لا الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي
حياة القلوب ونور البصاير وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح
وانس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته ان يرضى مدعيها
بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
فسلب اسم الايمان عن من وجد في صدره حرجا من قضايه ولم يسلم له قال
شيخ الاسلام المحققين وامام العرفين تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله
حلاوة مشربه في هذه الاية دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا
ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن
في كليهما فاحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد واحكام التعريف
هو ما اورده عليك من فهم المراد فتبين من هنا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان
الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان
عن من لم يحكم او حكم ووجد الحرج في نفسه حتى اقسم على ذلك بالربوبية الخاصة
برسوله صلى الله عليه وسلم رافة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا

والرب وانما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تاكيد
في القسم علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة
سواء كان الحق عليها او لها وفي ذلك اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم
اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاه فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد
لامره ولم يقبل منه الايمان بالهبة حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم
لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله و
قضاوه قضاوه كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اكد ذلك بقوله
يد الله فوق ايديهم وفي الاية اشارة اخرى الى تعظيم قدره وتفخيم امره
وهي قوله تعالى وربك فاضاف نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى كهيعص ذكر
رحمة ربك عبده زكريا فاضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد صلى الله عليه وسلم
واضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين
ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مومنين بل اشترط فقدان الحرج وهو
الضيق من نفوسهم في احكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم ما يوافق اهواهم
او يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج
وهو الضيق والمومنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملا قلوبهم فاتسعت وانشرحت
فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهياة لو
لواردات احكامه مفوضة له في نقضه وابرامه انتهى وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية

ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويري نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته
لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه و
روينا عن سيدنا العارف الكبير ابي عبد الله القرشي انه قال حقيقة المحبة
ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شيء انتهى فمن اثر هذا النبي الكريم
على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا
حقايق اسرار انسه ومن علامات محبته عليه السلام نصر دينه بالقول والفعل
والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتوا ضع
وغيرها مما ذكرته في اخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف ابن عطاء الله
مزيد لذلك قريبا فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن
وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين واثر ذلك على اعراض
الدنيا ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عن المصايب فان
المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصايب ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كانه
قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ
بكثير من المصايب اعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود
شاهد بذلك فكرب المحبة ممزوج بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك
الكرب كما قيل   تشكى المجنون الصبابة ليتني   خلت بما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها   فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي   ومن علامات محبته

كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر ذكره ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ولاخر ذكر
المحبوب على عدد الانفاس ولغيره ثلاث علامات ان تكون كلامه ذكر المحبوب وصمته
فكرا فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون
ولا يملون ولا يفترون وقد اجمع الحكماء على من احب شيئا اكثر من ذكره فذكر المحبوب
هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا
عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلتذ المتلذذون بشيء الذ من ذكر المحبوب
انتهى فالمحبوب قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت
اوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخاير وبغية الطلبات
وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون
واستسلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكا وربما شهق
وربما وله وربما سقط   اذا ما باح دمع المهجور هاجره   باح المحب بما تخفي ضمايره
انكت المحب صب باح مدمعه   لما جرى بالذي تخفي سرائره   كانما قلبه لجفانه مقلته
ودمعه من اماقيه خواطره   يا جيرة الجزع هل لا جيرة لفتى   عليه في حكمه قد جار جاره
اه وكم لي على خطب الهوى خطب   من الغرام به تعلو منائره   مهفهف البدر راذا
مهفهف يلح بدرا على غصن   تخفا البدر واذا لاحت بوادره   مطرز الخد بالريحان في صرح
موردا سه ترهوا زاهره   مكمل الخلق ما تحصى خصايصه   منظر الحسن قد قلت نظايره
وربما زاد الوجد على المحب فقتله اول نقد من اثمان المحبة يذل الروح فما للمفلس الجبان

رسومها بدم المحبة يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت
فينفقها بالنسية المعسرون لقد استمت للعرض فى سوق من يزيد فلم يرض لها
بثمن دون بذل النفوس فتاخر البطالون وقام المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون
ثمنا فدارت السلعة بينهم و وقعت فى يد اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
فذكره عليه الصلوة والسلام حلا قلوبنا وشفا صدورنا وحلاوة السنتنا
فى جميع الحالات على اختلاف الاوقات والساعات يتشرف بذكره فى جميع العبادات
وفى الجمع والجماعات والخطب والصلوات وساير التقلبات والتصرفات
حتى هى فى المعاطات والمبايعات وعقود المصالحات واستفتاح المعاقدات
والمعاهدات وخصوصا عند الاذكار والدعوات فان بها و توجها فى ابواب
الاجابات ومن علاماتها محبته عليه السلام تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع
والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من احب شيئا خضع له كما كان كثير من
الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من
التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا وتهيبا وتوقيرا قال ابو ابراهيم
التجيبى واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن
من حركته ويأخذ فى هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب
بما ادبنا الله به وكان ايوب السختيانى اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه
وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم

اصفر لونه وكان عبد الرحمن ابن القسم اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ينظر لونه
كانه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان عبد الله الزبير اذا ذكر عنده النبى صلى الله وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع
وكان الزهري من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم فكانه
ما عرفنه ولا اعرفك وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده
النبى صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكى حتى تقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة اذا
سمع الحديث اخذه العويل اشار الى ذلك القاضى عياض ومن علامات محبته صلى الله ع م
كثرة الشوق الى لقاءه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه ولبعض المحبة الشوق الى المحبوب
وعن معروف الكرخى المحبة ارتياح الذات تشاهده لصفاتها ومشاهدة اسرار الصفات
فيرى بلوغ السول وبمشاهدة الرسول ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم اذا اشتد بهم
وازعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفوا بمشاهدته
وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان ما كان خالد ياوى الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله
والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلى وفصلى واليهم
يحن قلبى طال شوقى اليهم فعجل رب قبضى اليك حتى يغلبه النوم ولما احتضر بلال
نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه اذا ذاق القلب
طعم المحبة اشتاق وتاججت نيران الحب والطلب فى قلبه ويجد صيره عن محبوبه

من اعظم كبايره كما قيل   والصبر يحمد في المواطن كلها   الا عليك فانه لا يحمد
وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رض ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول   على محمد صلاة الابرار   صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار   يا ليت شعري والمنايا اطوار   هل يجمعني وحبيبي الدار
تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم
ثلاث مرات فقال لها اعيدي على قولك فاعادته بصوت حزين فبكا وقال لها
وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ويحكى انه رويت امراة
مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر الله لي قيل بما ذا
قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى
النظر الى حبيبنا نستحي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ومن علامات محبته
حب القران الذي اتى به واهتدى به وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك
او عند غيرك من محبة الله ورسوله فانظر محبة القران من قلبك والتذاذك بسماعه
اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغنا المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من
احب محبوبا كلامه وحديثه احب شيء اليه كما قيل   ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي
اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي   ويروى ان عثمان بن عفان رض قال لو طهرت قلوبنا
لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال
النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرا علي قال اقرا عليك وعليك انزل فقال

انی

اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح فقرا سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله
تذرفان من البكاء رواه البخاري وهذا يجده من سماع الكتاب العزيز باذن قلبه قال
الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا
من الحق قال صاحب عوارف المعارف اذا اقتنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع
الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع
نرد حرارة على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار
وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يورث ندما والندم حار فاذا اثار السماع
هذه الصفات من صاحب قلب مملو ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة
اذا اصطرمتا عصرتا ماء فاذا الم السماع بالقلب تارة يخف المامه فيظهر اثره
في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره الى يقصد نحو الدماغ فتندفق منه العين
بالدمع وتارة يتصوب اثره الى الروح فيموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق
القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال يجدها اربابها
من اصحاب الحال وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مر باية في ورده فتخنقه
العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا وقد كان
الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرا وهم يسمعون

فللمحبين السماع القرانى من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف
ما للمحبين السماع الشيطانى فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده وطربه ونشاته فى سماع
الابيات دون سماع الايات وفى سماع دون سماع القران كما قيل تقرا عليك
الختمة وانت جامد كالحجر وبيت من الشعر تميل كالنشوات فاعلم ان هذا من اقوى
الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله ادام الله تعالى لنا حلاوة محبته ولا
سلك بنا فى غير سبيل سنته بمنه ورحمته ومن علامات محبته عليه السلام محبة
سنته وقراة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان فى قلبه اذا سمع كلمة من كلام
الله او من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه
ويقول شممت نسيما لست اعرفه اظن لميا جرت اردانا فتعمه تلك الكلمة و
تشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويقول
لى حبيب خياله نصب عينى سره فى ضمايري مدفون ان تذكرته فكلى قلوب
او تاملته فكلى عيون فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق
عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شئ اروي لقلبه من عطفه
عليه ولا شئ اشد للهيبة وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار
باحتجاب ربهم عنهم اشد عليهم من العذاب الجسمانى لا حرمنا الله ذوق حلاوة
هذا المشرب ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبته بذكره الشريف
ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد توجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه

وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه السلام
فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراك تابعة لقوة
هذين الامرين فان كان العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا احدث
السكر المخرج له عن حكمه وقد حدوا السكر بانه سقوط التمالك فى الطرب كانه يبقى فى
السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يقدر ان يفنى معها وقد
يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير افعاله بحيث
يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة شارب الخمر وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب
طبيعى وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو حامل الحار
الغريزى فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت ومن هذا قول سكران
الفرح بوجود راحلته فى المفازة بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك
اخطا من شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فصور فى نفسك حال فقير معدم
عاشق للدنيا اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه امن مطمئنا كيف تكون سكرته
لو غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى اضر به العدم فقدم عليه من غير
انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه ومن اقوى اسباب ما نحن فيه سماع الاصوات
المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة المعربة اذا صادف محلا قابلا فلا تسال
عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين احدهما انهما فى نفسها توجب
لذة قوية يغمر منها العقل الثانية انها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته فيحصل تلك

الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس واذا صور ترد الى القلب واستيلاؤها على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فتجمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا اطيب من سكر الشراب وتحصل به نشاة الذ من نشات الشراب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة و اعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فامر لا تدركه العبارة ولا يحيط به الاشارة وهذه قصة لا تلج كل اذن وصيب لا تحيا به كل ارض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها طفيلي اشار اليه في المدارج فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله للذي حده في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ويحتمل ان يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي

مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية واذا اقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشى بتكرار الذنب ان يطبع على قلبه حتى يسلب منه ذلك نسال الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته بمنه ورحمته

تنبيه وقد اختلف العلماء ايضا ارفع درجة المحبة او درجة الخلة فحكى القاضي عياض ان بعضهم جعلها سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة قال وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو كنت متخذا وقد اطلق خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة انتهى وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة ماخوذة من معنى الخلة لكن يرده ما روى في قصة الاسراء في مناجاته لربه تعالى حيث قال له تعالى يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا او ما في معناه رواه البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة على الخلة بطرق كثيرة ذكر القاضي عياض منها في الشفاء نقلا من الامام ابي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة منها ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه به فكان قاب قوسين او ادنى ومنها ان الخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي ومنها ان الخليل قال في المحبة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله وم

ومنها ان الخليل هو الذي يكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر وفي كتاب تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري وجوه
اخرى غير ما حكاه القاضي عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا
وذلك ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان يكون في حد ذاتهما يعني مدلول خليل و
حبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله
على ذات ابراهيم عليه السلام لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك
لانا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه السلام
وصف المحبة لا سيما والخلة اخص من المحبة ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم
وصف الخلة لا سيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة قول الله تعالى له اني اتخذتك
خليلا وقد قام الاجماع فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبياء بل هو افضل
خلق الله مطلقا واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد عرضا في هذا المقام الذي
الذي هو بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسي يمتنع على الله
تعالى واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول الى الله تعالى لا يكون الا به حبيبا كان او خليلا
واما قوله الخليل هو الذي يكون مغفرته في حد الطمع الى اخره فانه لا يصح ان يكون على جهة
التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وقصاري ما ذكره انه يعطي تفضيل نبينا صلى الله
على ابراهيم عليه السلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك من

وصف

وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلا واكمل وافضل من المحبة قال ابن القيم واما
ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله
من جهله فان المحبة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعايشة
ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين
ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة
بالخليلين قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله انتهى وقال
الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري وزعم بعضهم ان المحبة
افضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وضعف بان الخلة خاصة
وهو توحيد الحب والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح
ان الله اتخذ نبينا خليلا فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا انتهى
الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم فرضية وفضيلة وصفة ومحلا قال
الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الله
تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله
تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة
الدعاء بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال الصلاة الله مغفرته وصلاة

الملائكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته
وصلاة الملائكة الدعاء اخرجهما اسماعيل القاضي عنه وكانه يريد الدعاء
بالمغفرة ونحوها وقال المراد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة يبعث على استدعاء
الرحمة وتعقب بان الله تعالى غاير بين الصلوة والرحمة في قوله اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة ولذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا
تسليما حتى سالوا عن كيفية الصلوة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث
جاء بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم
فلو كانت الصلوة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون
الصلوة بمعنى السلام عليه وفيه وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون
عامة فصلاته على انبيائه هي ما تقدم من الثنا والتعظيم وصلاته على غيرهم
الرحمة فهي التي وسعت كل شئ وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري انه قال الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي
رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي م وبين ساير المؤمنين حيث قال تعالى حيث قال سورة
الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي
يصلي عليكم وملائكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان في هذه الاية من تعظيم النبي م
والتنويه به ما ليس في غيرها وقال الحليمي في الشعب معنى الصلاة على النبي م تعظيمه

فمعنى

فمعنى قولنا اللهم صل على محمد اعظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا باعلاء ذكره
واظهار دينه وابقاء شريعته وفي الاخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في امته وابداء
فضيلته بالمقام المحمود والمراد بقوله تعالى صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه
انتهى ولا يعكر عليه عطف اله وازواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعا لهم
بالتعظيم اذ تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وما تقدم عن ابي العالية اظهر فانه يحصل
به استعمال لفظ الصلوة بالنسبة الى الله والى ملائكته والى المؤمنين المامورين
بذلك بمعنى واحد ويؤيده انه لا خلاف في جواز الترحم على غير الانبياء واختلف
في جواز الصلوة على غير الانبياء ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم
محمدا او ترحم على محمد جاز لغير الانبياء وكذا لو كان بمعنى البركة وكذلك الرحمة
لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال عنه بان ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد
من الاتيان به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه فان قلت في اي وقت وقع الامر بالصلاة
عليه وسلم فالجواب كما قاله ابو ذر الهروي انه وقع في السنة الثانية من الهجرة وقيل
في ليلة الاسراء وقيل ان شهر شعبان شهر الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم لان
اية الصلاة يعني ان الله وملائكته يصلون على النبي نزلت فيه والله اعلم قال الحليمي
والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال
امره تعالى وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال

فى الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبى صلى الله
شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا
عنها كافاناه بالدعاء فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافات نبينا الى الصلوة
عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابى محمد المرجانى وقال ابن العربى فائدة الصلاة ترجع الى
الذى يصلى عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة
والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واختلف
فى حكم الصلاة عليه صلاة الله وسلامه عليه على اقوال احدها انها تجب فى الجملة
بغير حصر لكن اقل ما يحصل به الاجزاء مرة الثانى يجب الاكثار منها من غير تقييد
بعدد قاله القاضى ابو بكر بن بكير من المالكية وعبارته كما قاله القاضى عياض افترض
الله على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك
لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها الثالث يجب كما ذكر قاله
الطحاوى وجماعة من الحنفية والحليمى وجماعة من الشافعية وقال ابن العربى
من المالكية انه الاحوط كما قال الزمخشرى استدلوا لذلك بحديث من ذكرت
عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله اخرجه ابن حبان من حديث
ابى هريرة وحديث رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل على رواه الترمذى
من حديث ابى هريرة وصححه الحاكم وحديث شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل على
اخرجه الطبرانى من حديث جابر لان الدعاء بالرغم والابعاد والشقا يقتضى الوعيد

والوعيد على الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى ان فائدة الامر بالصلوة
مكافاته على احسانه واحسانه مستمر فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه كان كاحاد
الناس واجاب من لم يوجب ذلك باجوبة منها انه قول لا يعرف عن احد من الصحابة
ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن اذا اذن
وكذا سامعه وللزم القارى اذا مر باية فيها ذكره عليه السلام فى القران للزم
الداخل فى الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان فى ذلك من المشقة والحرج
ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه ولكان الثناء على الله تعالى كلما ذكر احق بالوجوب
ولم يقولوا به وقد اطلق القدورى وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة
كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قائله لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة انه خاطب
النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك ولانه لو كان كذلك
لما تفرغ لعبادة اخرى واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت مخرج المبالغة فى تاكيد ذلك
وطلبه وفى حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا وبالجملة فلا دلالة على وجوب
تكرر ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد انتهى ملخصا والله اعلم
الرابع فى كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه ايضا الزمخشرى الخامس فى كل دعاء
حكاه ايضا السادس انها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبرى وادعى الاجماع على
ذلك واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين

من علماء الائمة على ان ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل
على ان الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة قال في فتح
الباري وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك
في الصلاة اما بطريق الوجوب واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف
الا ما اخرجه ابن ابي شيبة والطبري عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في
التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته يجزي عن الصلوة ومع ذلك
انما ادعى اجزا السلام عن الصلاة السابع يجب في العمر مرة في الصلاة او غيرها ككلمة
التوحيد قاله ابو بكر الرازي من الحنفية الثامن يجب في الصلوة من غير تعيين المحل و
نقل ذلك عن ابي جعفر الباقر التاسع يجب في التشهد وهو قول الشعبي واسحق بن راهويه العاشر
يجب في القعود اخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الشافعي ومن تبعه واستدل
لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود البدري
انهم قالوا يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن
صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الحديث ومعنى
قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان قد علمهم
اياه كما يعلمهم السورة من القران وفيه السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته ورواه الشافعي في مسنده عن ابي هريرة بمثله وقد احتج بهذه الزيادة
جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب الصلاة عليه صلى الله

بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعي في الام فرض الله الصلاة على رسوله
بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما ولم يكن فرض صلوة عليه في موضع اولى منه في الصلوة ووجدنا الدلالة
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثنا صفوان بن سليم
عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في
الصلوة قال تقولون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الحديث
اخبرنا ابراهيم عن محمد حدثني سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي
ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم قال الشافعي فلما
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة وروي انه علمهم
كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز ان نقول التشهد في الصلوة واجب والصلوة
فيه واجبة وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من اوجه احدها ضعف ابراهيم
بن محمد بن ابي يحيى والكلام فيه مشهور والثاني على تقدير صحته فقوله في الاول
يعني في الصلوة لم يصرح بالقايل يعني الثالث قوله في الثاني انه كان يقول في الصلوة وان
كان ظاهره ان المراد الصلوة المكتوبة لكنه يحتمل ان يكون المراد بقوله في الصلوة اي
في صفة الصلوة عليه وهو احتمال قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة تدل على ان
السوال وقع عن صفة الصلوة لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك

في التشهد خصوصًا بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متاخري المالكية وغيرهم
في التشنيع على الشافعي في اشتراط ذلك في الصلوة وزعموا انه قد تفرد بذلك وحكى
الاجماع على خلافه منهم ابو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي وحكى
القاضي عياض في الشفاء مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد قالوا كان ينبغي سكوته
عنها لان مبنى تاليفه الشفاء على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم واداء
حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة من تعظيمه وقد
استحسن هو القول بطهارة فضلاته مع ان الاكثر على خلافه لكنه استجاده لما فيه من الزيادة
في تعظيمه وكيف ينكر القول بوجوب الصلوة عليه وهي من جنس الصلاة ومقتضياتها
واذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا يجب الصلوة
على سيد المرسلين وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعي كالحافظ
عماد الدين بن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحافظ ابي الفضل بن
حجر وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم ممن يطول عده واستدلوا لذلك بادلة نقلية
ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من جماعة
من الصحابة منهم ابن مسعود البدري وجابر بن عبد الله ونقله اصحاب الشافعي عن
عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سياتي و
كذا ابو جعفر الباقر ومقاتل واخرج الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل
ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه قال الحافظ ابن حجر وهذا اقوى

شيئ

شيء يحتج به للشافعي فان ابن مسعود ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد
في الصلاة وانه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلوة
عليه قبل الدعاء دل على انه اطلع زيادة ذلك بين التشهد والدعاء واندفعت
حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي مثل ما ذكره القاضي
عياض وقال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس
فيه ذكر الصلاة وفي اخرى الحسن بعرفة مرفوعا واخرج العمري من عمل يوم وليلة
عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي واخرج البيهقي في
الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال كنا نعلم التشهد فاذا
قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه
ثم يسال حاجته وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا من صلى صلاة لم يصل
فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر
محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا
على اهل بيته لرايت انها لا تتم لكن رواية عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف كذا
في الشفاء وقد وافق الشافعي من فقهاء الامصار احمد في احدى الروايتين عنه
وعمل به اخيرا كما حكاه عنه ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير واوجب
اسحق بن راهوية الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان والمشهور عن احمد انها تبطل
بتركها عمدا او سهوا وعليه اكثر اصحابه حتى ان بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال

فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سالوه كما ذكره ابن
كثير ووافق الخرقى اسحق فى التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية
كما ذكره ابن الحاجب فى سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام
يريد ان فى وجوبها قولين وهو ظاهر كلام الامام ابن المواز وبه صرح عنه ابن
القصار وعبد الوهاب كما فى الشفاء بلفظ انه يراها فريضة فى الصلوة كقول الشافعى
قال وحكى ابو يعلى العبدى المالكى عن المذهب فيها ثلاثة اقوال فى الصلاة الوجوب
والسنة والندب ورايت مما عزى للقاضى ابى بكر ابن العربى فى سراج المريدين
قال ابن المواز والشافعى الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم من فرايض الصلوة
وهو الصحيح انتهى وقد يلزم القايل من الحنفية بوجوب الصلوة عليه كما ذكره الطحاوى
ونقله السروجى فى شرح الهداية عن اصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم ان
يقول بوجوبها فى التشهد لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم فى اخر التشهد فى
قوله واشهد ان محمدا رسول الله لكن لهم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا فى صحة
الصلاة ولا يخالف الشافعى احد من اصحابه فى ذلك بل قال بعض اصحابنا بوجوب الصلاة
على الال كما حكاه البندنيجى والدارمى ونقله امام الحرمين والغزالى قولا عن الشافعى
قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وللقول بوجوبه
ظهور للحديث واما مخالفة الخطابى من اصحاب الشافعى فلا يعتد به لمقتضى
الامر المحمول على الوجوب اجماعا واولى احواله الصلوة ولا مانع من احتمال كونه مرادا

واما

واما قوله ولا اعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعى قدوة يقتدى به
والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له فيه غيره واما قوله فى الشفاء والدليل على انها ليست
من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه ففيه نظر لانه
ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى نقل صريح عنهم بان ذلك ليس بواجب وانى يوجد ذلك
واما قوله وقد شنع الناس عليه يعنى الشافعى هذه المسالة جدا فلا معنى له واى
شناعة فى ذلك ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول
بذلك من محاسن مذهبه ولا ريب ان القايل بجواز ترك الصلوة على افضل خلق الله
فى الصلاة التى هى راس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها والثناء عليه
اولى بالتشنيع واما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه واما قوله ان الشافعى اختار تشهد
ابن مسعود فلم يقل به احد والشافعى انما اختار تشهد ابن عباس كما سياتى ان شاء الله تعالى
فى مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وقد استدل للوجوب بما اخرجه ابو داود
والنسايى والترمذى وصححه وكذا ابن ابى خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة
بن عبيد قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يحمد الله ولم يصل
على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم فليبدا
بالحمد والثناء عليه ثم ليصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء قلت
ومما يعد من كرامات امامنا الشافعى وسره السارى ان القاضى عياضا ساق هذا الحديث
بسنده من طريق الترمذى من غير ان يطعن فى سنده فصل فى المواطن التى تستحب فيها الصلوة

على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك فى تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد
وقبل الدعاء وهذا الحديث كما ترى من اعظم الادلة لنا فان قال قايل ليس لكم فيه
دلالة لانه قال فيه سمع رجلاً يدعو فى صلاته ولم يقل فى تشهده يجاب بانه يلزم
على هذا ان القاضى عياضا ساقه فى غير محله لانه عقد الفضل كما قدمته لبيان مواطن
استحباب الصلاة ثم قال ومن ذلك فى تشهد الصلوة وفى مصابيح البغوي من حديث فضالة
بن عبيد هذا ما يدل على انه كاف فى التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم
اغفر لى وارحمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلى اذا صليت
فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل على ثم دعه وفى قوله عجلت استلواح فوات
الكمال عن الحقيقة المجزية اذ لو كانت مجزية لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر فان
قال انه فى مقام تعليم المستحبات اذ لو كان فى الواجبات لامره بالاعادة كما امر المسيء صلاته
يجاب بان فى قوله هذا غنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب علم قطعا
لم يات به اولا فلم يكن اتيا به فوجب اعادته وهم اهل الفهم والعرفان فان قال ان قوله
فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت وفرغت فقعدت للدعا
فاحمد الله ويجاب بان الاصل عدمه وانما هو عطف على المذكور اي اذا كنت فى الصلوة
فقعدت للتشهد فاحمد الله اي اثن عليه بقولك التحيات الى اخره والله اعلم وقال
الجرجانى من الحنفية وغيره لو كانت فرضا للزم تاخير البيان عن وقت الحاجة لانه
علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعاء ما شاء ولم يذكر الصلوة عليه واجيب باحتمال

ان لا يكون فرضت حينئذ وقال الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذي قد
ورد هذا فى الصحيح بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخى فدل على انه كان هناك شيء بين التشهد
والدعاء انتهى وقد اطنب الشيخ ابو امامة ابن النقاش فى تفسيره من الانتصار
للشافعي فى هذه المسالة بما يطول ذكره فالله يثيبه على قصده الجميل واما صفة
الصلوة عليه صلى الله وسلم فعن عبد الرحمن ابن ابى ليلى قال لقينى كعب بن عجرة
فقال الا اهدي لك هدية ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقال يا رسول الله
قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم
والترمذي وابو داود والنساي فان قلت كيف نطابق قوله اللهم صل على قوله
كما صليت على ابراهيم اجاب القاضى عياض بان الال مفخم كما فى قوله عليه السلام
فى ابى موسى انه اعطى مزمارا من مزامير ال داود ولم يكن له المشهور بحسن الصوت
وقد روي الحديث ابن ابى حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة
عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
قال عبد الرحمن بن ابى ليلى يقول وعلينا معهم وعن ابى حميد الساعيدي انهم قالوا

يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد رواه الامام احمد وعن ابن مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشر بن سعد امرنا الله
ان نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في
العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك ومسلم وغيرهما
فان قلت ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم مع المقرر ان المشبه دون
المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده افضل
من ال ابراهيم ومن ابراهيم ولا سيما وقد اضيف اليه ال محمد وقضية كونه
افضل ان تكون الصلوة المطلوبة افضل من كل صلوة حصلت او تحصل لغيره
فقد اجاب العلماء عنه باجوبة منها انه عليه السلام قال ذلك قبل ان يعلم
انه افضل من ابراهيم وقد اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله
يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلوة
عليه بعد ان علم انه افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا
بذلك الفضيلة ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلوة باصل الصلوة لا للقدر

بالقدر

بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وهو كقول القائل
احسن الي ولدلك كما احسنت الى فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره
ومنه قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك ورجح هذا القول القرطبي في المفهم
ومنها ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه متعلقا بقوله وعلى ال محمد
وتعقب بان غير الانبياء لا يمكن ان يساووا الانبياء فكيف يطلب لهم صلوة مثل الصلوة
التي وقعت لابراهيم والانبياء من اله ويمكن الجواب عنه بان المطلوب الصلاة
الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب وقد نقل العمراني
في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم
صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام
المستلزم هذا التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على ال
محمد كما صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية ومنها دفع المقدمة
المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس مطردا بل
قد يكون التشبيه بالمثل بل الدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة واين يقع نور
المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون شيئا ظاهرا واضحا
للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم وال ابراهيم
بالصلوة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وال
محمد بالصلوة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وعلى ال ابراهيم ويؤيد ذلك

ختم الطلب المذكور بقوله فى العالمين اي كما اظهرت الصلاة على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم فى العالمين ولهذا لم يقع فى العالمين الا فى ذكر ابراهيم دون ذكر ال
محمد كما وقع فى الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابى مسعود الانصاري الذي
ذكرته وهذا معنى قول الطيبى وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل
لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر وقال النووي احسن الاجوبة ما نسب
الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلاة باصل الصلاة او للمجموع بالمجموع وقال ابن
القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع واحسن منه ان
يقال هو صلى الله عليه وسلم من ال ابراهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس
فى تفسير قوله ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين
قال محمد من ال ابراهيم فكانه امرنا ان نصلى على محمد وعلى ال محمد خصوصا بقدر ما
صلينا عليه مع ابراهيم وال ابراهيم عموما فيحصل لاله ما يليق بهم ويبقى
الباقى كله له وذلك القدر ازيد مما لغيره من ال ابراهيم وتظهر حينئذ فايدة التشبيه
وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره من الالفاظ وقال
الحليمى سبب هذا التشبيه ان الملائكة قالت فى بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وال محمد من اهل بيت ابراهيم فكانه
قال اجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك فى محمد وال محمد كما اجبتها عندما قالوها
فى ال ابراهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم بما ختم به الاية وهو قوله انك حميد

مجيد

مجيد ومما يعزى للعارف الربانى ابى محمد المرجانى انه قال وسر قوله صلى الله عليه
وسلم كما صليت على ابراهيم وكما باركت على ابراهيم ولم يقل كما صليت على
موسى لان موسى عليه السلام كان التجلى له بالجلال فخر موسى صعقا والخليل ابراهيم
كان التجلى له بالجمال لان المحبة والخلة من اثار التجلى بالجمال فلهذا امرهم صلوات الله
وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلى على ابراهيم ليسالوا له التجلى بالجمال وهذا
لا يقتضى التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما
امرهم ان يسالوا له التجلى بالوصف الذي هو التجلى بالجمال ولا يقتضى التسوية
فى المقامين ولا فى الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقامهما
وان اشتركا فى وصف التجلى بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده
ورتبته منه ومكانته فيتجلى للخليل عليه السلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى
لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث
انتهى فان قلت ما المراد بال محمد فى هذا الحديث فالجواب ان الراجح انهم من حرمت
عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعى واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه السلام
للحسن بن على انا ال محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بال محمد ازواجه وذريته
وقيل المراد بهم جميع الامة امة الاجابة حكاه ابو الطيب الطبرى عن بعض الشافعية
ورجحه النووى فى شرح مسلم وقيده القاضى حسين بالاتقياء منهم وعليه
يحمل كلام من اطلق ويؤيده ما رواه تمام فى فوائده والديلمى عن انس قال سئل

تجلى به للخليل ع م فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي صح

رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي من امة محمد زاد الديلمي
ثم قرا ان اولياؤه الا المتقون واسنادهما ضعيف لكن ورد ما يشهد لذلك
في الصحيحين كحديث ان آل ابي فلان ليسوا الي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين
انتهى ملخصًا وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية
بعد سؤالهم عنها بانها افضل كيفيات الصلوة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف
الافضل ويترتب على ذلك لو حلف ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل
الصلوة فطريق البر ان ياتي بذلك هكذا صوبه النووي في الروضة بعد ذكر حكاية
الرافعي عن ابراهيم المروزي انه قال يبر اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما
سهي عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه اخذ ذلك من كون الشافعي ذكر هذه
الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ غفل بدل سهي وقال الاذرعي ابراهيم
المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك فالقاضي قال في
طريق البر ان يقول اللهم صل على محمد كما هو اهله ويستحقه وكذا نقله البغوي
في تعليقه ولو جمع بينهما فقال ما في الحديث واضاف اليه اثر الشافعي وما قاله
القاضي لكان اشمل ولو قيل انه يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة فيستعمل
منها ذكر ما يحصل به البر لكان حسنًا وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا تشهد احدكم في الصلوة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدًا وآل
محمد كما صليت وباركت ورحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه

الحاكم

الحاكم وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم
كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم
معنا احدًا فقال له صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعًا وحكى القاضي عياض عن
جمهور المالكية منعه قال واجازه ابو محمد بن ابي زيد انتهى وسياتي ما في ذلك من البحث
ان شاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد وعن سلامة الكندي
ان عليًا كان يعلم الناس هذا الدعاء وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل
شرايف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحيتك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل
كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزًا في مرضاتك واعيًا لوحيك حافظًا
لعهدك ماضيًا على نفاذ امرك حتى اورى قبسًا القابس آلاء الله تصل باهله اسبابه
به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم ونواهج موضحات الاعلام و
نايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون
وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك
واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك
ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق

عدل وخطه فضل و برهان عظيم حديث موقوف رواه الطبرانى لكن قال
الحافظ بن كثير فى سنده نظر قال وقال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزى سلامة الكندى
هنا ليس بمعروف و يدرك عليا كذا قال وقوله داحى المدحوات اى باسط الارضين
وكل شئ بسطته و وسعته فقد دحوته وبارى المسموكات اى خالق السموات وكل
شئ رفعته واعليته فقد سمكته والدامغ لجيشات الاباطيل اى المهلك لما نجم
وارتفع منها وفار واصل الدمغ من الدماغ دمغه اصابه دماغه وجيشات من
جاش اذا ارتفع واضطلع افتعل من الضلاعة وهى القوة واورى قبسا القابس اى
اظهر نورا من الحق لطالبه والاء الله نعم الله تصل باهله اى اهل ذلك القبس وهو
الاسلام والحق اسبابه واهله اى اهل ذلك المومنون وبه هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم اى هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونايرات والمنيرات
الواضحات يقال نار الشئ وانار اذا وضح وشهيدك يوم الدين يريد الشاهدين
على امته يوم القيمة وبعيثك نعمة اى مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح له اى وسع له
وفى عدنك اى فى جنتك جنة عدن والمعلول من العلل وهو الشرب بعد الشرب
يريد ان عطاه مضاعف كانه يعل به عباده اى يعطيهم عطاء بعد عطاء واعل على بناء
الناس وفى رواية البانين اى ارفع فوق اعمال العاملين عمله واكرم مثواه اى منزله
ونزله رزقه والخطة بضم الخاء المعجمة الامر والقصة والفصل القطع وعن عبد الله
بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة

عليه

عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال قالوا له علمنا قال قولوا اللهم
اجعل صلوتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم
النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجة وعن رويفع
بن ثابت الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال
اللهم انزله المقعد المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتى رواه الطبرانى
قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه وعن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم
صل على محمد النبى الامى وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما
صليت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود وعن طاوس سمعت ابن عباس
يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واعطه سؤله
فى الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى رواه اسمعيل القاضى قال ابن كثير
واسناده جيد قوى صحيح واما المواطن التى تشرع فيها الصلوة عليه صلى الله عليه
فمنها التشهد الاخير وهى واجبة فيه كما قدمنا وفى وجوبها فى التشهد الاول
قولان اظهرهما المنع لبنائه على التخفيف بل سنة وفى استحباب الصلوة على الال

فى التشهد الاول القولان وفى وجوبها فى الاخر بابان اصحهما المنع بل هى سنة تابعة
واقلهما اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها على الال واله وقال
فى الكفاية باعادة على ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب ولا تصح خطبتنا
الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان
والصلاة وهذا مذهب الشافعى واحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام
احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على واحدة صلى الله عم
عشرا ثم سلوا الله الى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا ينبغى لعبد من عباد الله وارجوا ان
اكون انا هو فمن سال الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة واخرجه مسلم وابو داود
والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمه وذكره بلفظ الرجال وان كان متحقق
الوقوع ادبا وارشادا تعليما منه وتذكيرا بالخوف وتفويضا الى الله بحسب مشيته
وليكن الطالب للشئ بين الرجا والخوف وقوله حلت عليه الشفاعة اى وجبت
وقيل غشيته ونزلت به تنبيه قال شيخنا فى المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة
المدرج فيما يقال بعد الاذان ولم اره فى شئ من الروايات واصل الحديث عند احمد
والبخارى والاربعة عن جابر مرفوعا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه
الدعوة التامة والصلوة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما
محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيمة قال وكان من زادها

اغتر

اغتر لما وقع فى بعض النسخ الشفاء فى حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها
فى هذه النسخة المعتمدة علم عليها كاتبها بما يشير الى الشك فيها ولم ارها فى ساير
نسخ الشفا بل فى الشفاء عقد لها فصلا فى مكان اخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا
وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم ومنها اول الدعاء واوسطه واخره لما
روى احمد من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلونى
كقدح الراكب فان الراكب يملاء قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شرابه
شربه او الوضوء توضأ والا اهرقه ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه و
اخره ومنها وهو من اكدها عقب دعاء القنوت لما رواه احمد واهل السنن
وابن جرير وابن حبان والحاكم من حديث ابى الجوزاء عن الحسن بن على قال علمنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن فى الوتر اللهم اهدنى فى
من هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما اعطيت وقنى
شر ما قضيت فانك تقضى ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت
ربنا وتعاليت وزاد النسائى فى سننه وصلى الله على النبى وسياتى فى المقصد
التاسع البحث فى ذلك ان شاء الله تعالى ومنها اثناء تكبيرات العيدين لما روى
اسمعيل القاضى ان ابن مسعود وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن
عقبة فقال ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدأ فتكبر
تكبيرة تفتتح بها الصلوة وتحمد ربك وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم تدعو

وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقراء
ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتكبر وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وابو موسى صدق ابو عبد
الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح ومنها عند دخول المسجد والخروج منه لما رواه
احمد عن فاطمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صل على محمد
ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى الله على محمد
وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ومنها في صلوة الجنازة
فان السنة ان يقرا الفاتحة بعد احدي التكبيرات وبعد الاولى وان تصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة تقول
اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي ومنها
عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق قال
كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها
عند الصفا والمروة لما روى اسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم فطوفوا
بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم اتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون
البيت فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد وثناء عليك وصلاة على النبي صلى الله عليه
ومسالة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها عند
الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

ماجلس

ماجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة فان
عذبهم وان شاء غفر لهم وروي اسماعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من قوم يقعدون
ثم يقومون ولا يصلون على النبي الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون
من الثواب ومنها عند الصباح والمسا لما روى الطبراني من حديث ابي الدرداء مرفوعا
من صلى علي حين يصبح وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيمة ومنها عند
الوضوء لحديث ابن ماجة عن سهل بن سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ومنها عند طنين الاذن لحديث
ابي رافع عند ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل
ذكر الله من ذكرني بخير ومنها عند نسيان الشئ لحديث ابي موسى المديني بسند
فيه ضعف عن انس يرفعه اذا نسيتم شيئا فصلوا علي تذكروه ان شاء الله
ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازعهم في ذلك
اخرون وقالوا هذا موطن تفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب والوقاع
ونحو ذلك ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله
ما من احد يسلم علي الا رد الله على روحي حتى ارد عليه السلام وروى ابن
عساكر من صلى علي عند قبري سمعته وورد الامر بالاكثار يوم الجمعة وليلتها
فعن اوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة
فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلوة فيه

فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت
يعنى قد بليت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء رواه احمد وابو
داود والنسايى وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطنى قال
الحافظ بن كثير وقد روى البيهقى من حديث ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم
الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن فى اسناده ضعف
فان قلت ما الحكمة فى خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد
الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة
اخرى وهى ان كل خير نالته امته فى الدنيا والاخرة فانما نالته على يده صلى الله
فجمع الله لامته فيه بين خيرى الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانها
تحصل يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم فى الجنة وهو يوم
المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم فى الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله
بطلباتهم وحوايجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم
بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم
ان يكثر من الصلاة عليه فى هذا اليوم وليلته واما فضيلة الصلاة عليه صلى الله
فقد ورد التصريح بها فى احاديث قوية لم يخرج البخارى منها شيا اما ما اخرجه
مسلم من حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله

عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحاجة فلم يجد احد يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبى صلى الله عليه وسلم
ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبى صلى الله عليه وسلم راسه فقال احسنت يا عمر حين
وجدتنى ساجدا فتنحيت عنى ان جبريل اتانى فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى
الله عليه وسلم عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبرانى قال ابن كثير
وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضيا المقدسى فى كتابه المستخرج على الصحيحين وعن ابى
طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه فقالوا يا
رسول الله صلى انا لنرى السرور فى وجهك فقال انه اتانى الملك فقال يا محمد اما يرضيك
ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلى عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم
عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه الدارمى واحمد وابن حبان
والحاكم والنسايى واللفظ له وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من صلى على صلاة لم تزل الملائكة تصلى عليه ما صلى على فليقل عبد من ذلك
او ليكثر رواه احمد وابن ماجة من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها
سبعين صلاة فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما
فيه الخيرة فى المخير فيه على جهة التحذير من التفريط فى تحصيله وهو قريب من معنى التهديد
وروى الترمذى ان ابى بن كعب قال يا رسول الله انى اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك

من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالنصف
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت
فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال
هذا حديث حسن وهذا ما يتعلق بالصلاة واما السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة
عن السلام واستدل بورود الامر بهما معا في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه بان النبي عم
علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا
كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان علمهم
الصلوة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم عليك مدة قبل الصلاة عليه لكن
قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلا اما لو صلى في وقت وسلم
في وقت اخر فانه يكون ممتثلا وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا
يستعمل في الغايب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام سواء في
هذا الاحياء والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك او عليكما و
السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا
عليا وفاطمة رضي الله عنهما فيقولوا عليه او عليهما السلام من دون ساير الصحابة
في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي ان يساوي بين الصحابة رضي الله عنهم
فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار اليه

ابن كثير واما الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها واخرج البيهقي
بسند واه من حديث بريدة رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى انبياء الله
واخرج اسماعيل القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبياء واخرج
الطبراني من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبياء الله فان الله بعثهم
كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه
ابن ابي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلاة تنبغي على احد من احد
الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكي القول به عن مالك وجاء نحوه عن
عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي وعن بعض شيوخي مذهب
مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره
الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وخالفه يحيى عن يحيى فقال
لا باس به واحتج بان الصلاة دعاء الرحمة فلا يمنع الا بنص او اجماع واما الصلاة على غير
الانبياء فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
ونحوه فهذا جايز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم
فقال قايلون بذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وبقوله اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم
وبحديث عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم

بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل
ابي اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلما لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة
لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم فلا يقال ابو بكر صلى الله
او قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وان
كان عزيزا جليلا لان هذا من شعاير ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك
من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل ابي اوفى وهذا مسلك
حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلوة على غير الانبياء قد صارت من شعار اهل الاهواء
يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدي بهم ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو
من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى على ثلاثة اقوال حكاها النووي في
كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار
اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه عليه السلام
وآله وقرابته واهل بيته وذريته قال الطبري اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله
على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه اعلا بركة من انتمى اليه
نسبا او نسبة ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة والزم مودة قرباه كافة بريته و
فرض محبة جملة اهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى وروي انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما
وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقد اختلف

في المراد

في المراد باهل البيت في هذه الاية فروي ابن ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال
نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروي ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في
السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت في نساء النبي صلى الله
عليه وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في الاية نص في دخول ازواجه صلى الله عليه
لانهن سبب نزول هذه الاية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على
قول ومع غيره على الصحيح وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمة من شاء
باهلته انها نزلت في شان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المراد بهن كن سبب النزول
دون غيرهن وفي هذا نظر فانه قد ورد في ذلك احاديث تدل على ان المراد اعم من ذلك
فروي الامام احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه
علي وحسن وحسين اخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما
بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال
كساه ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول
الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها حريرة فدخلت
عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه
فجلسوا ياكلون من تلك الحريرة وتحته كساء قالت وانا في الحجرة وانا اصلي فانزل الله

هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرًا قالت
فاخذ فضل الكسا فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السما ثم قال
اللهم هؤلاء اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا قالت
فادخلت راسي من البيت فقلت وانا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك
الى خير رواه احمد وفي اسناده من لم يسم وبقية اسناده ثقات وقوله و
حامتي بالتشديد اي خاصتي وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزلت هذه الاية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين و فاطمة انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرًا رواه ابن جرير و رواه احمد في المناقب
والطبراني وعن زيد بن الارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيبًا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك
ان ياتيني رسول ربي عز وجل فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله
عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل واخذوا به وحث فيه ورغب
فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد من اهل
بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم
عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم ال علي وال جعفر وال عقيل وال
عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم والثقل محركة كما في
القاموس كل شيء نفيس مصون قال ومنه الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله

وعترتي

وعترتي وهي بكسر المهملة وسكون المثناة الفوقية والاخذ بهذا الحديث احرى و
ليس المراد بالاهل الازواج فقط بل هم مع اله ولا يشك من تدبر القران ان نساء
النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الاية الكريمة فان سياق الكلام معهن و
لهذا قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهذا اختيار ابن
عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم و فاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور
قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن واجيب بان
الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد بالال في حديث
كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع غيره قريبًا في الفضل
السابق والله اعلم ولله در القائل   يا ال بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القران انزله   يكفيكم من عظيم الفخر انكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له
واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث زيد بن ارقم السابق مرفوعًا بلفظ اني
اوشك ان ادعا فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب وعترتي كتاب الله حبل ممدود
من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وانا اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترق
حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قاله الجوهري اهله
ونسله ورهطه الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق رض انه قال يا ايها
الناس ارقبوا محمدًا في اهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشيء المحافظة عليه بقول
احفظوهم فلا تؤذوهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضًا

لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الى ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل
الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها ما طلبته منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم و
قد جرى منه على موجب الايمان لانه عليه الصلاة والسلام شرط الاجبية فيه على
النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه [وسلم]
اثبت لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم وحثا على ذلك
شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ولقد احسن القايل

رايت ولائي آل طه فريضة   على رغم اهل البعد يورثني القربى   فما طلب المبعوث [اجرا]
على الهدى   بتبليغه الا المودة في القربى

وفي الترمذي وقال الحسن غريب احبوا الله لما
يغذوكم به واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي بحبي   وفي المناقب لاحمد من ابغض
اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته
في الدنيا فانا المكافي له في القيامة والمراد بالقرابة من ينسب الى جده الاقرب وهو عبد
المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم او رآه من ذكر او انثى وهم علي واولاده
الحسن والحسين وام كلثوم من فاطمة رضي الله عنها وجعفر واولاده عبد الله وعون
ومحمد ويقال انه كان لجعفر بن ابي طالب ابن اسمه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم
مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب
واولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحرث ومعبد و
عبد الرحمن وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه تموا بتمام فصاروا عشرة

يارب

يارب فاجعلهم كراما بررة   يقال ان لكل منهم رؤية وكان له من الاناث ام حبيبة
وامية وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومغيث بن ابي لهب والعباس بن ابي لهب
وكان زوج امية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة
وكانت زوج المقداد بن الاسود وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابناه المغيرة
والحرث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحرث ولهند بن الحرث هدار وير وكان
يلقب بيه بموحدتين الثانية ثقيلة واميمه واروى وعاتكه وصفية بنات عبد [المطلب]
اسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف والله اعلم وفي البخاري من حديث
سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هرون من
موسى الا انه لا نبي بعدي وفي لفظ اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى
اي نازلا مني منزلة هرون من موسى والباء زائدة وقال الطيبي معنى الحديث انت
متصل بي نازل مني منزلة هرون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا
انه لا نبي بعدي فعرف ان الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها
وهو الخلافة ولما كان هرون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك
على تخصيص خلافته على للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله اعلم واما ما استدل
من هذا الحديث على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة قال هرون كان خليفة
موسى فاجيب بان هرون لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى
باتفاق اشار الى ذلك الخطابي واما حديثا الترمذي والنسائي من كنت مولاه فعلي مولاه

فقال الشافعي يعني بذلك ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر اصبحت مولى كل مومن اي ولي كل مومن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة فى كتاب مفرد وكثير من اسانيدها صحاح وحسان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من اذى عليا فقد اذاني خرجه احمد واخرج المخلص الذهبي من احب عليا فقد احبني وقد ذكر النقاش ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقال محمد بن الحنفية لا تجد مومنا الا وهو يحب عليا واهل بيته وقال ابو حيان في البحر من الغرائب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين بن عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزبينا ابن اسحق النصراني الرسعني

عدي وتيم لا احاول ذكرهم ۝ بسوء ولكني محب لهاشم ۝ وما يعتريني في علي ورهطه اذا ذكروا في الله لومة لايم ۝ يقولون ما بال النصارى تحبهم ۝ واهل النهى من اعرب واعاجم فقلت لهم اني لاحسب حبهم ۝ سرى في قلوب الخلق حتى البهايم وقالت عايشة رض كانت فاطمة احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها على احب الناس الرجال اليه رواه الترمذي وفى البخاري ان فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الموحدة وحكى ضمها وكسرها ايضا وبسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل السهيلي على ان من سبها فانه يكفر وفى الترمذي من حديث اسامة بن زيد وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني احبهما واحب من يحبهما واخرجه مسلم من حديث ابي هريرة فى الحسن خاصة زاد ابو حاتم فما كان احد

احبّ

احب الي من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال رايت الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا فى المسجد فاخذ بيدي واتكا علي حتى جينا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادعوا ابني قال فاتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول اللهم اني احبه واحب من يحبه ثلاث مرات وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة رواه احمد وقال الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب وتقدم نحوه في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين في المقصد السادس وفي حديث ابي زهير بن الارقم رجل من الازد انه صلى قال فى الحسن من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغايب وفى البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وكان عليه السلام يمص لسان الحسن او شفته رواه احمد وعن عقبة بن الحرث قال رايت ابا بكر وحمل الحسن وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين عن انس كان يعني الحسين اشبههم برسول الله صلعم رواه البخاري وعنده من رواية الزهري عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله من الحسن بن علي وهذا قد يعارضه قول علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ازهر

لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمايل كما تقدم في المقصد الثالث
واجيب بان يحمل النفي على عموم الشبه والمثبت على معظمه وقول انس لم يكن احد
اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عنه
كان الحسين يعني بالياء اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان يكون
انس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لانه يومئذ كان اشد شبها بالنبي
من اخيه الحسين واما ما وقع من رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك والمراد بمن فضل
عليه الحسين في الشبه كان من عدى الحسن ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها
في بعض اعضائه فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هاني بن هاني عن علي قال
الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس الى الصدر والحسين
اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عدوا من كان له شبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن ابي طالب وقد قال النبي
لجعفر اشبهت خلقي وخلقي قال الترمذي حسن صحيح وابنه عبد الله بن جعفر و
قثم بن العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومسلم
بن عقيل بن ابي طالب ومن غير بني هاشم السايب بن زيد المطلبي الجد الاعلى
للامام الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس
بن ربيعة رجل من اهل البصرة وجه اليه معاوية وقبل بين عينيه واقطعه قطيعة
وكان انس اذا راه بكا فهؤلاء عشرة ونظمهم شيخ الاسلام والحافظ ابو الفضل

بن

بن حجر فقال   شبه النبي لعشر سايب وابي   سفيان والحسين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم   ومسلم كابس يتلوه مع قثما   وعد بعضهم سبعة
وعشرين وممن كان يشبهه ايضا فاطمة بنته وابراهيم ولده وولدا جعفر عبد الله
السابق ذكره واخوه عون وكان يشبهه ايضا من اهل البيت غير هؤلاء ابراهيم بن
الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي
بن الحسين بن علي وكان يقال له الشبيه قال الشريف محمد بن سعد النسابة في الزورة
الانيسة لمشهد السيدة نفيسة انه كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر
بيضة الحمام تشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام ورآه الناس صلوا على
النبي صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا ولذا وصف
بالشبيه والقاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وعلي بن علي بن عباد بن
رفاعة الرافعي شيخ بصري من اتباع التابعين والمراد بالشبه هنا الشبه في البعض
والا فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال الابوصيري رحمه الله
منزه عن شريك في محاسنه   فجوهر الحسن فيه غير منقسم   كما اشرت اليه في اول
المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الى ذلك ذكر حمل الصديق للحسن
على عاتقه العالي المشعر لاكرام من افضل البشر بعد النبيين لاجل البيت المحمدي وحملهم
على الاعناق لاستماع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي ان اصل من قرابتي فلما تضمن الحديث ذكر الشبه الكريم جرني الكلام اليه و

وهنا وقع لي كثيرا في هذا المجموع لكنه لا يخلوا عن فوايد الفوايد وقد روي
انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن المطلب وانا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني
من سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي في معجمه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس
ايضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ثم قال
ايها الناس من اذى عمي فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه رواه الترمذي وقال
حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الاشارة الى ان الايمان
الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين المحبة والايمان ارتباط من جهة ان المحبة
ميل القلب الى المحبوب والايمان التصديق القلبي فيجتمعان في القلب وجعلها
متلازمين فيلزم من نفي احدهما نفي الاخر ثم علل هذه المحبة بكونها لله ورسوله
فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل اذاه كاذى نفسه لانه عضوه وعصبته
ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الاب حكما انه يجب على الولد تعظيمه والدم والقيام
بحقوقه فكذلك عمه فقال وانما عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة
وسكون النون اي مثل ابيه قال ابن الاثير واصله ان تطلع نخلتان من عرق
واحد يريد ان اصل العباس واصل ابي واحد وجلله عليه الصلوة والسلام
وبنيه بكساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة
لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب
وبين ابن السري في روايته ان بنيه الذين جللوا بالكساء كانوا ستة الفضل وعبد الله

وعبيدالله

وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سوداء مخططة
بحمرة وقال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كسترهم بهذه
الشملة قال فما بقي في البيت مدرة ولا باب ولا امن وروى انه صلى الله عليه وسلم
قال لعقيل بن ابي طالب اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم من حب
عمي لك قال الطبري اخرجه ابو عمر والبغوي وروى الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم
قال يوم حنين ابو سفيان بن الحارث خير اهلي او من خير اهلي واخرج الحاكم وصححه
عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد
الا ادخله النار واعلم انه قد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاول
اله عليه الصلاة والسلام والثانية اهل بيته والثالثة ذوو القربى والرابعة
عترته فاما الاولى فذهب قوم الى انهم اهل بيته وقال اخرون هم الذين حرمت
عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه
واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع
معه في رحم وقيل من اتصلت به بنسب وسبب واما اللفظ الثالثة وهي ذوو القربى
فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله تعالى
بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة
وقيل الذرية فاما العشيرة فهي الاهل الادنون واما الذرية فنسل الرجل فاولاد

بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله وعيسى ولم
يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا
بمزايا التشريف وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف والبسوا رداء
الشرف ومنحوا بمزيد الاكرام والتحف وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم
من بين ذوي الشرف كالعباسين والجعافرة بالشطفة الخضرا المزيد شرفهم
والسبب فى ذلك كما قيل ان المامون اراد ان يجعل الخلافة فى بنى فاطمة فاتخذ لهم
شعارا خضراء والبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسين والبياض شعار
ساير المسلمين فى جمعهم ونحوها والاحمر مختلف فى كراهته والاصفر شعار
اليهود باخرة ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبنى العباس فبقى ذلك
شعار الاشراف العلويين من الزهر الكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب
اخضر توضع على عمايمهم شعار الهم ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن قال
فى حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمايه من انباء العمر بابناء العمر وفيها
امر السلطان الاشراف ان يمتازوا على الناس بعصايب خضر على العمايم ففعل
ذلك بمصر والشام وغيرهما وفى ذلك يقول الاديب ابو عبد الله بن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة ... ان العلامة شان من لم يشتهر
نور النبوة فى كريم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وللاديب شمس الدين الرين الدمشقي في المعنى ... اطراف تيجان اتت من سندس

خضر

خضر باعلام على الاشراف ... والاشرف السلطان خصهم بها ... شرفا ليفرقهم
من الاطراف ... والاشرف هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون
واما اصحابه رضوان الله عليهم فقال سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة لما اخبر تعالى ان سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم حقا من غير شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدا
وخبر وقال البيضاوى وغيره جملة مبنية للمشهود به يعنى قوله تعالى هو الذي
ارسل رسوله بالهدى الى وكفى بالله شهيدا قال ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد
خبر محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على اصحابه
فقال والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف ياتى الله
بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة
والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع
الاخلاص التام فمن نظر اليهم اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن
اعمالهم قال مالك بلغنى ان النصارى كانوا اذا راوا الصحابة الذين فتحوا الشام
يقولون والله لهولاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية
خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما فى الكتب كما قال سبحانه وتعالى هنا ذلك
مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه اى فراخه فازره شده
وقواه فاستغلظ شب فطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه

وحسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ازروه وايدوه ونصروه
فهم معه كالشطا مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذا الاية انتزع الامام
مالك رحمه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم
يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من العلما
والاحاديث في فضايل الصحابة كثيرة ويكفي ثناء الله تعالى عليهم ورضاه عنهم
وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل
لكلمات الله وهو السميع العليم ومن في قوله منهم لبيان الجنس واختلف
في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين
واليه ذهب البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا
من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه ولو ساعة من نهار فهو من اصحابه
انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه او راه من الكفار ولو اتفق
اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه او راه مومنا به ثم ارتد بعد ذلك
ولم يعد الى الاسلام كعبيد الله بن جحش فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة
ابن امية بن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي
بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء
اغضبه وقد اخرج له احمد في مسنده واخراجه له احمد في مسنده مشكل ولعله لم يقف
على قصة ارتداده فينبغي ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام

لكنه

لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود في الصحابة
لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم
احاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كثيرا
فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان
الرافعي قد حكى عنه انها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينئذ فالظاهر انها
محبطة للصحبة المتقدمة اما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله
بن ابي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام وهل يشترط في الرائي
ان يكون بحيث يميز ما راه او يكفي مجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل
من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق وانما وله
قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر واياما كما ثبت في الصحيح ان امه اسما
بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل ان تدخل مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة
عشر من الهجرة ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروى
عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة
فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا القول ومنهم من اشترط
في ذلك ان يكون حين اجتماعه بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه
من احداث الصحابة واما التقييد بالرؤية فالمراد عند عدم المانع منها فان كان كابن ام مكتوم
الاعمى وهو صحابي جزما فالاحسن ان يعبر باللقاء بدل الرؤية قال الحافظ زين الدين

العراقى وقولهم من راى النبى هل المراد راه فى حال نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من
وراه قبل النبوة ومات قبل النبوة على دين الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال
النبى صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحدة وقد ذكره فى الصحابة ابو عبد الله بن منده
وكذلك لو راه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زوال زمن البعثة واسلم ثم مات
ولم يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل على ان المراد راه بعد نبوته انهم ترجموا فى الصحابة
لمن ولد للنبى صلى الله عليه وسلم كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل
النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل يختص جميع ذلك ببنى ادم ويعم غيرهم
من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبى صلى الله عليه وسلم
بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطايعون فمن عرف اسمه منهم لا
ينبغى التردد فى ذكره فى الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على ابى موسى فلم يستند فى ذلك
الى حجة واما الملايكه فيتوقف عدهم فى ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا
بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن راه
فى قيد الحياة الدنيوية اما من راه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا
والا لعد من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم ولو فى هذه الاعصار
وكذلك من كشف له من الاوليا عنه صلى الله عليه وسلم فراه كذلك على طريق
الكرامة كما قدمت مباحثه فى خصوصياته عليه السلام من المقصد الرابع من حجة
من اثبت الصحبة لمن راه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وانما

هي

هى اخروية لا تتعلق بها احكام الدنيا واما من راه فى المنام وان كان قد راه حقا
فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا لا لاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا
ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به فى تلك الحالة وقد اجمع جمهور العلماء من السلف
والخلف على انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملايكة المقربين
لما روى البخارى من حديث عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران بن حصين خير امتى قرنى
ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادرى ذكر بعد قرنه مرتين او ثلثا قال فى فتح البارى
والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة
من الزمان واختلفوا فى تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين لكن لم ار من صرح
بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قاله القايل وقال صاحب المحكم هو
القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرن النبى صلى الله
فى هذا الحديث الصحابة وتقدم فى المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بنى ادم
وفى رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذى بعثت فيهم وقد ضبط
الايمة من الحفاظ اخر من مات من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن
واثلة الليثى كما جزم به مسلم فى صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة
سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة هو الذى صححه الذهبى وهو مطابق لقوله عم
قبل وفاته بشهر على راس مائة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم احد وفى

وفي رواية مسلم رايتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة تاتي عليها مائة سنة
واما ما ذكر ان عكراش بن ذويب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذلك غير صحيح وان
صح فمعناه انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الايمة
واما ما ذكر ايضا من امر بابا رتن ونحوه فان ذلك لا يروج على من له ادنى مسكة من العقل
كما قاله الايمة واما اخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي فقد افردهم ابن منده و
اما قوله ثم الذين يلونهم فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين
يلونهم وهم اتباع التابعين ثم الذين واقتضى هذا الحديث ان يكون الصحابة افضل
من التابعين والتابعين افضل من اتباع التابعين لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى
المجموع او الافراد والذي ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك في خصايص
هذه الامة من المقصد الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر
لا يدري اخره خير ام اوله قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقي بها
الى درجة الصحة وقد روى ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير احد
التابعين باسناد حسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم
لمثلكم او خير ثلاثا ولن يخزي الله امة انا اولها والمسيح اخرها وروى ابو داود والترمذي
من حديث ابي ثعلبة رفعه ياتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا
يا رسول الله قال بل منكم وهو شاهد لحديث مثل امتي مثل المطر لكن حديث للعامل
منهم اجر خمسين منكم لا يدل على فضلية غير الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم

ثبوت الافضلية المطلقة وايضا الاجر انما يقع على تفاضله بالنسبة الى ما يماثله
في ذلك العمل فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة
فلا يعدل له فيها احد ولا ريب ان من قاتل معه وفي زمانه بامره او انفق شيا من ماله
بسببه لا يعدل له احد من الفضل بعده كاينا من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقات
وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده فحصل الفراغ فيتخصص
فيمن لم يحصل له الا مجرد المشاهدة وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا
يمكن تاويل الاحاديث المتقدمة ثم ان الصحابة على ثلثة اصناف الاول المهاجرون
الثاني الانصار وهم الاوس والخزرج وخلفاؤهم ومواليهم الثالث من اسلم يوم
الفتح قال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون افضل من الانصار وعلى سبيل التفصيل الاجمال
واما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق الانصار افضل من جماعة من متاخري
المهاجرين واما سباق المهاجرين افضل من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون
فرب متاخر في الاسلام افضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح و
قد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات وممن قسمهم لذلك الحاكم في علوم الحديث
الطبقة الاولى قوم اسلموا بمكة اول البعث وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد
وعلي بن ابي طالب وابي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف
في اول من اسلم في المقصد الاول الطبقة الثانية اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب

حمل النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فاسلم لذلك
جماعة من اهل مكة **الطبقة الثالثة** الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من
اذى المشركين اهل مكة منهم جعفر بن ابي طالب وابو سلمة ابن عبد الاسد **الطبقة الرابعة**
اصحاب العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة اصحاب العقبة
الثانية من العام المقبل وكانوا اثنى عشر وتقدمت اسماء اهل العقبتين في المقصد
الاول **الطبقة الخامسة** اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار منهم
البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عباده وسعد بن الربيع وعبد الله
بن رواحة **الطبقة السادسة** المهاجرون الذين وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
بعد هجرته وهو بقبا قبل ان يبني المسجد وينتقل الى المدينة **الطبقة السابعة** اهل
بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة حاطب ابي بلتعة وما يدريك
لعل الله اطلع على هذه العصابة من اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه
مسلم **الطبقة الثامنة** الذين هاجروا بين بدر والحديبية **الطبقة التاسعة**
اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال عليه الصلاة والسلام لا
يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم **الطبقة العاشرة** الذين هاجروا
بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومثل بعضهم بابي هريرة
لكن قال الحافظ العراقي ولا يصح التمثيل به فانه هاجر بعد الحديبية عقيب خيبر بل في
اواخرها **الطبقة الحادية عشر** الذين اسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير من اسلم طايعا ومنهم

من

من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله اعلم بهم **الطبقة الثانية عشر** صبيان
ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وراه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرهما
كالسايب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال **واما عدة** اصحابه
فمن رام حصر ذلك رام امرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة
من اسلم من اول البعثة الى ان مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان
والبوادي وقد روى البخاري ان كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك
واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان
لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد ورد انه سار عام الفتح في عشرة الاف
من المقاتلة والى حنين في اثني عشر الفا والى حجة الوداع في سبعين الفا والى تبوك في
سبعين الفا وقد روي انه قبض عن مائة الف واربعة وعشرين الفا والله اعلم بحقيقة
ذلك ثم ان فضلهم على الاطلاق عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر رضي الله عنه
عنهما عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير
ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبد الله بن عمر عن نافع كنا في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب النبي م
فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا وقوله لا نعدل بابي بكر اي لا نجعل له مثلا ولابي
داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل
امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني في رواية فيسمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وروى خيثمة بن سليمان فى فضايل الصحابة
من طريق سهل بن ابى صالح عن ابيه عن ابن عمر كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان
استوى الناس فيسمع النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وفى ذلك تقديم عثمان
بعد ابى بكر وعمر واهل السنة على ان عليًا بعد عثمان وذهب بعض السلف
الى تقديم على على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل لا يفضل احدهما على
الاخر ونقل ذلك عن مالك فى المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان
وقال ابن معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعرف لعلى سابقته وفضله
فهو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلى فضله فهو
مذموم قد ادعى ابن عبد البر ان حديث الاقتصار على الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان
خلاف قول اهل السنة ان عليًا افضل الناس بعد الثلاثة وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم
اذ ذاك عن تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة بافضلية ابو بكر ثم عمر ثم اختلفوا
فيمن بعدها فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف والمسالة اجتهادية و
ومستندها ان هولا الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم
عنده بحسب ترتيبهم فى الخلافة وقال الامام ابو منصور البغدادي اصحابنا
مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعنى طلحة و
الزبير وسعدًا وسعيدًا وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى
الترمذي عن سعد بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة فى الجنة

ابو

ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن
بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابى وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن
العاشر فقال القوم ننشدك الله من العاشر قال نشدتمونى بالله سعيد بن زيد فى الجنة
يعنى نفسه وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه خرج الى المسجد فسال عن النبى
صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه ههنا فخرجت فى اثره حتى دخل بير اريس فجلست
عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضا
فقمت اليه فاذا هو جالس على بير اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت
لاكونن بوابا للنبى صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت
من هذا فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ايذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابى بكر
ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودلى رجليه فى البير كما صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخى يتوضا و
يلحقنى فقلت ان يرد الله بفلان خيرًا يريد اخاه يات به فاذا بانسان يحرك الباب
فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذنك قال ايذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت
ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى القف عن يساره ودلى فى البير فوجعت فجلست ان يرد الله بفلان خيرا يات به
فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك
وجئت الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ايذن له وبشره بالجنة على
على بلوي تصيبه فجئت فقلت ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة
على بلوي تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الاخر
قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم
واخرجه البخارى واخرج ابو داود نحوه عن ابى سلمة عن نافع عن عبد الحارث
الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط المدينة
فقال لبلال امسك على الباب فجاء ابو بكر يستاذن فذكر نحوه قال الطبرى
وفى حديث نافع ابن الحارث هو الذي كان يستاذن وهذا يدل على تكرر القصة
صوب الحافظ شيخ الاسلام بن حجر عدم التعدد وانها عن ابى موسى ووهم القول
لغيره وانشد لنفسه لقد بشر الهادى من الصحب زمرة
بجنات عدن كلهم فضله اشتهر سعيد زبير سعد طلحة عامر
ابو بكر عثمان بن عوف على عمر ولابى الوليد بن الشحنه اسماء عشر رسول الله بشرهم
بجنة الخلد عمن زانها وعمر سعد سعيد على عثمان طلحة ابو بكر بن عوف
فان قلت من اعتقد فى الخلفا الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته
لبعضهم تكون اكثر هل يكون اثما ام لا اجاب شيخ الاسلام ابو الولى بن العراقى ان المحبة

قد تكون

قد تكون لامر دينى وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن
كان افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا فى واحد منهم انه افضل ثم
احببنا غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من
محبة الافضل لامر دنيوي لقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض فى ذلك ولا امتناع
فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر
ثم عثمان ثم على لكنه احب عليا اكثر من ابى بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة
دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا
لم يعترف بافضلية ابى بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلى لكونه احبه
محبة دينية زائدة على محبة ابى بكر وهذا لا يجوز وان كانت المذكورة محبة دنيوية
لكونه من ذرية على ولغير ذلك من المعانى فلا امتناع فيه والله اعلم انتهى وقد روى
الطبري فى الرياض وعزاه للملا فى سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم
ابى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلوة والزكوة والصوم والحج فمن انكر
فضلهم فلا يقبل منه الصلوة ولا الزكوة ولا الصوم ولا الحج واخرج الحافظ النسفى
فى مشيخته من حديث انس مرفوعا حب ابى بكر واجب على امتى واخرج الانصارى عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت انى لقيت اخوانى فقال ابو بكر يا رسول الله
انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابى اخوانى الذين لم يرونى وصدقوا بى واحبونى
حتى انى لاحب الى احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انا نحن اخوانك قال

انتم صحابى لا تحبنا يا ابا بكر قوما احبوك بحبى اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبى
ايا فمحبة من احبه الرسول عليه الصلاة والسلام كاهل بيته واصحابه رضى الله عنهم
علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان محبة عليه السلام علامة محبة الله
وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب
من يحب وابغض من يبغض قال الله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله فحب اهل بيته عليه السلام واصحابه واولاده وازواجه
من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم وجوب
توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بان يمشى على سننهم وادابهم
واخلاقهم والعمل باقوالهم بما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم بان
يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى عليهم عليه فهو واجب
الثناء والاستغفار لهم قالت عايشة امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله
فسبوهم رواه مسلم وفايدة المستغفر لهم عايدة قال سهل بن عبد الله التسترى
لن يومن بالاول بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره
ومما يجب ايضا الامساك عما شجر بينهم اى وقع بينهم من الاختلاف
والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة فى احد منهم قال صلى الله عليه وسلم واذا ذكر اصحابى فامسكوا وان
يلتمس لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج

اصوب

اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك كما هو مشهور فى مناقبهم وسعد ود من ماثرهم
مما يطول ايراد بعضه وما وقع من المنازعات والمحاربات فله محامل وتاويلات
فسبهم والطعن فيهم اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف عايشة
والابدعة وفسق قال عليه السلام يا ايها الناس احفظونى فى احبابى واصهارى
واصحابى لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعى
وقال عليه السلام الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى من احبهم
فقد احبنى ومن ابغضهم فقد ابغضنى ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله
فيوشك ان ياخذه رواه المخلص الذهبى وهذا الحديث كما قاله بعضهم خرج مخرج
الوصية باصحابه على طريق التاكيد والترغيب فى حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه
اشارة الى ان حبهم من الايمان وبغضهم بغضا له كان كفرا بلا نزاع للحديث السابق
لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه تنزيلهم
منزلة نفسه حتى كان اذاهم واقع عليه وواصل اليه صلى الله عليه وسلم وروى
مرفوعا من سب احدا من اصحابى فاجلدوه اخرجه تمام فى فوايده وقال مالك
ابن انس وغيره فيما ذكره القاضى عياض من بغض الصحابة فليس له فى المسلمين حق
قال ونزع باية الحشر والذين جاوا من بعدهم الاية المقصد الثامن فى طبه عليه السلام
لذوى الامراض والعاهات وتعبيره الرويا وانبائه بالانباء المغيبات
اعلم انه لا سبيل لاحد الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفه او قطرة مما افاضه الله تع

من سحايب عوارفه واذا انت تاملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخص به من بدايع
الحكم وحسن سيره وحكم حديثه وانباؤه بانباء القرون السالفة والامم البايدة
والشرايع الداثرة كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع
اخوته واصحاب الكهف وذي القرنين واشباه ذلك وبدا الخلق واخبار الدار الآخرة
وما في التورية والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهاره احوال الانبيا وامهم
واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه بمكتوب شرايعهم ومضمنات كتبهم
وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا
لذلك فضلا عما افاضه من العلم ومحاسن الاداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحات الى فنون العلوم التي
اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين
الاحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف عوارف الحقايق القلبية الى غير ذلك
من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح امته كالطب والعبارة والحساب
وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد قضيت بان مجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتد
ينقطع دون نفاده الادلاء وان بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلاء وهذا المقصد
اعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول **الفصل الاول في طبه** صلى الله عليه وسلم لذوي
الامراض والعاهات **اعلم** انه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من
اصحابه حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك و

عرض

وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وكان يهوديا كما روى البخاري وابو داود من حديث
انس ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم
فقعد عند راسه فقال اسلم فنظر الى ابيه وهو عنده فقال اطع ابا القاسم فخرج صلى الله عليه وسلم
وهو يقول الحمد لله الذي انقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس
عند راسه ويسال عن حاله ويقول كيف تجدك وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم والترمذي
وابي داود قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان
فوجداني اغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي
وعند ابي داود فنفخ في وجهي فافقت وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا اراك
ميتا من وجعك هذا وفي حديث ابي موسى عند البخاري مرفوعا اطعموا الجايع وعودوا المريض
وفكوا العاني وعنده من رواية البرا امرنا صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة
المريض وعند مسلم خمس تجب على المسلم للمسلم فذكرها منها **قال** ابن بطال يحتمل ان يكون
الامر على الوجوب يعني الكفاية كاطعام الجايع وفك الاسير **ويحتمل** ان يكون للندب
على التواصل والالفة واستدل بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية العيادة
في كل مرض لكن استثنى بعضهم الارمد لكون عايده يرى ما لا يراه هو ورد بانه قد جاء
في عيادة الارمد بخصوصها حديث زيد بن ارقم قال عادني رسول الله صلى الله عليه
من وجع كان بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم **واما** ما اخرجه البيهقي والطبراني
مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي انه موقوف على يحيى

على يحيى بن ابى كثير ويؤخذ من اطلاقه ايضًا عدم التقييد بزمان يمضى من ابتداء مرضه
قول الجمهور وجزم الغزالي فى الاحياء بانه لا يعاد الا بعد ليال ثلاث واستند
الحديث اخرجه ابن ماجة عن انس كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضًا
الا بعد ثلاث وهذا حديث ضعيف تفرد به مسلمة ابن على وهو متروك وقال
ابو حاتم هو حديث باطل لا نطيل بايراد ما ورد فى فضل العيادة ويكفى حديث
ابى هريرة مما حسنه الترمذى مرفوعًا من عاد مريضًا ناداه منادٍ من السماء طبت
وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلًا وهذا لفظ ابن ماجة وفى رواية سنن ابى داود
عن انس مرفوعًا من توضاء فاحسن الوضوء وعاد اخاه المسلم محتسبًا بوعد من جهنم
مسيرة سبعين خريفا وفى حديث ابى سعيد عند ابن حبان فى صحيحه مرفوعًا خمس من عملهن
فى يوم كتبه الله من اهل الجنة من عاد مريضًا وشهد جنازة وصام يومًا وراح
الى الجمعة واعتق رقبة وعند احمد عن كعب مرفوعًا من عاد مريضًا خاض فى الرحمة
فاذا جلس عنده استنقع فيها زاد الطبرانى واذا قام من عنده فلا يزال يخوض
فيها حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يومًا من الايام
بعيادة المريض ولا وقتا من الاوقات وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة
ابتدعه يهودى طبيب لملك قد مرض والزمه بملازمته فاراد يوم الجمعة
ان يمضى لسبته فمنعه فخاف على سبته ومن سفك دمه فقال له ان المريض لا يدخل
عليه يوم السبت فتركه الملك ثم اشيع ذلك وصار كثير من الناس يعتمده ومن الغريب

مانقله

مانقله ابن الصلاح عن الفراوى ان العيادة تستحب فى الشتاء ليلًا وفى الصيف نهارًا
ولعل الحكمة فى ذلك تضرر بطول الليل فى الشتاء وبطول النهار فى الصيف
فيحصل له بالعيادة استرواح وينبغى اجتناب التطيب باعدا الدين من يهودى
او نحوه فانه مقطوع بغشه سيما ان كان المريض كبيرًا فى دينه او علمه خصوصًا
ان كان هذا العدو يهوديًا لان قاعدة دينهم ان من نصح منهم مسلمًا فقد خرج
عن دينه وان من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك دمه
ولا ريب ان من خاطر بنفسه يخشى عليه ان يدخل فى عموم النهى فمن قتل نفسه
بشئ وقد كثر الضرر فى الزمن باهل الذمة ولا حول ولا قوة الا بالله والله
تعالى لا يرحم لقايل لعن الله اليهود والنصارى فانهم بلغوا بمكرهم بنا الامال
وخرجوا اطباء وحسابا لكى يتقسموا الارواح والاموال ومما كان يفعله
عليه الصلاة والسلام ويامر به نفوس المرضى وتقوية قلوبهم ففى حديث
ابى سعيد الخدرى قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له
فى اجله فان ذلك يطيب نفسه يريد مثل ان يقول له لا باس عليك طهور
ان شاء الله وجهك الان حسن وما اشبه ذلك وقد يكون من هذا ان يذكر
له الاجور الداخلة عليه فى مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه
وامن من خوف ذلك ونحوه قال بعضهم فى هذا الحديث نوع شريف جدًا
من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد الى ما يطيب نفس العليل من الكلام

الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار الغريزي و
يساعد على دفع العلة او تخفيفها الذي غاية تاثير الطبيب وفي تفريح نفس المريض
وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تاثير عجيب في شفاء عليه فان الارواح
والقوي تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع الموذي وقد شاهد الناس كثيرا
من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم له ولطفهم به
ومكالمتهم اياه قال في الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسال المريض عن شكواه و
وكيف يجد وعما يشتهيه فان اشتهى شيئا وعلم انه لا يضره امر له به ويضع يده على جبهته
وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضا وصب
على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتقدم وربما كان يقول للمريض لا باس عليك
طهور ان شاء الله تعالى وربما كان يقول كفارة وطهور وقالت عايشة كان صلى الله عليه وسلم
اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يالم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند
حسن واخرج الترمذي من حديث ابي امامة بسند لين رفعه تمام عيادة المريض
ان يضع احدكم على جبهته فيساله كيف هو وعند ابن السني بلفظ كيف اصبحت
وكيف امسيت واذا علمت هذا فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض
الابدان فاما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم
عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون
عارفة بربها وفاطرها وباسمايه وصفاته وافعاله واحكامه وان تؤثر مرضاته ومحابه

متجنبة

متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا سبيل
الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب الاجساد فمنه
ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم
انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا بالله ومبينا للامة وامرا لهم
بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبيا والرسول واحوالهم
مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدا والمعاد وكيفية شقاوة النفوس
وسعادتها واسباب ذلك واما طب الاجساد فجاء من تكميل شريعته ومقصودا
لغيره بحيث انما يستعمل للحاجة اليه فاذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهمم
الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود
فاصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع صلاح القلب
مضرة يسيرة جدا وهي زائلة مضرة يعقبها المنفعة الدائمة التامة واذا علمت
هذا فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف
درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي
فللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة
ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية
تطفي ذلك النور وللامام الشافعي رضي الله عنه

شكوت الى وكيع سوء حفظي   فارشدني الى ترك المعاصي

وقال عُلم بان العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها
وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازيها ولا يقاربها لذة اصلا
ومنها تعسير اموره فلا يوجه لامر الا يجده معلقا دونه او متعسرا عليه ومنها
ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم
وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور
المهلكة وهو لا يشعر ثم تقوي هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه
رواه كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن ومنها حرمان الطاعة وتقصير
العمر ومحق البركة ولا يمتنع زيادته باسباب كما ينقص باسباب وقيل تاثير المعاصي
في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة هو حيان القلب فليس عمر المرا الا اوقات
حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الاوقات
التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله و
اشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقة ومنها ان المعصية تورث
الذل ومنها انها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفي نور العقل ومنها
انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة
الا بذنب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقد احسن القائل

اذا كنت في نعمة فارعها فان الذنوب تزيل النعم

وحطها

وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض
متى استحكمت قتلت ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته
واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه افسدته
وحمية يمتنع بها من تناول ما يوذيه ويخشى ضرره فكذلك لا يتم حياته الا بغذا
من الايمان والاعمال الصالحة يحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ
المواد الفاسدة والاخلاط الردية وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب
ما يضادها وهي عبارة على ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول
لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى اسم بقدره واذا تبين
هنا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فاذا استجلب المواد المودية وتوجب
التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة فانظر الى بدن عليل قد تراكمت
عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغ ولا يحتمي لها كيف يكون صحة
وبقاؤه وقد احسن القايل اذ قال

جسمك بالحمية حصنته مخافة من الم طاري وكان اولى بك ان تحتمي
عن المعاصي خشية الباري

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمال الحمية
باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا للشر
مهربا وفي حديث انس الا ادلكم على دائكم ودوائكم الا ان داءكم الذنوب ودواكم

الاستغفار فقد ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا
من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي واما طب الاجساد فغالبه
يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته
الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه
الى معالجة طبيب ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه
عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة او الى
ما يتركب منها وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من خارج البدن
وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة والطبيب
الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير
الى الثلاثة في القران فالاول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو مغيرات الصحة فاذا وقع فيه
الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد
وقال تعالى في اية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فاباح المريض العدول عن الماء
الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذ
له من داخل او خارج والثالث من قوله تعالى او به اذى من راسه ففدية فانه اشير

بذلك

بذلك الى جواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار
في الراس تحت الشعر لانه اذا حلق راسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة فهذه
الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤدي احتباسه فقد ارشد تعالى عباده الى
اصول الطب ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث عطاء عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا وانزل له شفاء واخرجه النسائي
وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود بلفظ ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء
فتداووا وعند احمد من حديث انس ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا
وعند البخاري في الادب المفرد واحمد واصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة
والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع
له شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام بمهملة مخففا الموت يعني
الا داء الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثناء الهرم في الرواية
الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او لقربه من الموت وافضائه
اليه ويحتمل ان يكون الاستثناء منقطعا والتقدير ولكن الهرم لا دواء له ولابي داود
عن ابي داود الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام
وفي البخاري ان الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي بالحرام
وروى مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برا باذن الله
فالشفاء متوقف على اصابة الدواء باذن الله تعالى وذلك ان الدواء قد يحصل منه

مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية فلا ينجع بل ربما احدث داء اخر وفي رواية على
عند الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت ما من داء الا وله دواء فاذا كان
كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء والدواء فكل ما شرب المريض
من الدواء لم يقع على الدواء فاذا اراد الله براءه امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض
الدواء فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الا
انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم وغيره وفيه اشارة الى
ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل داء دواء فيجوز ان يكون على عمومه
حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل
لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليها سبيلا لانه لا علم
للخلق الا ما علمهم الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفا على مصادفة الدواء
للداء وقد يقع لبعض المرضى ان يتداوى من دائه بدواء فيبرا ثم يعتريه بعد ذلك
الداء بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين
تشابها ويكون احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطا
من هناك وقد يكون متحدا لكن يريد الله ان لا ينجع وهنا يخضع رقاب الاطباء
وفي مجموع ما ذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان ذلك
لا ينافي التوكل كما ينافي فيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب
المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك وقد سئل الحارث

بن

بن اسد المحاسبي في كتاب القصد من تاليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له اين
ذلك قال من جود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يحا يلحقه لاحق ولا سبقه في
المتوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله
من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ من توكل المتوكلين الذين ذكرهم
في حديث اخر فقال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب واما سواهم من
المتوكلين فمباح لهم الدواء والاسترقاء فجعل المحاسبي التوكل بعضه افضل من بعض
وقال في التمهيد انما اراد بقوله بري من التوكل اذا استرقا الرقا المكروهة في الشريعة
او اكتوى وهو يعلو رغبته في الشفاء بوجود الكي وكذلك قوله ولا يسترقون
الرقا المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضة
عن فعل الله تعالى وان الشفاء من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة
وكان ناظرا الى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه
اذ اصح لله واتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه
الداء شيئا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذ اعمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى
فقد تبين ان التداوي لا ينافي التوكل بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب
التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس
التوكل كما يقدح في الامر والحكمة وحكى ابن القيم انه ورد في خبر اسرائيلي ان الخليل
عليه السلام قال يا رب ممن الدواء قال مني قال فممن الدواء قال مني فما بال الطبيب

قال رجل رسول الدواء على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية
لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت
نفسه ان لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب
الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سبب قوة الارواح الحيوانية
والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوة التي هي حاملة لها
فقهرت المرض ودفعته **فان قلت** ما المراد بالانزال في قوله في الاحاديث السابقة الا انزل
له دواء وفي الرواية الاخرى شفاء **فالجواب** انه يحتمل ان يكون عبر بالانزال عن التقدير و
يحتمل ان يكون المراد انزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم وابن يقع
طب حذاق الاطباء والذي غايته ان يكون ماخوذا من قياس او منامات وحدس
وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفعه
ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطباء من الطب الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم
من العلوم الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الادوية التي تشفي من الامراض
ما لم تهتد اليها عقول اكابر الاطباء ولم تصل اليها علومهم وتجربتهم
واقيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله تعالى
والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلوة والدعاء والتوبة
والاستغفار والاحسان الى الخلق والتضرع على المكروب فان هذه الادوية
قد جربتها الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجدوا لها من التاثير في الشفاء

ما

ما لا يصل اليه علم اعلم الاطباء وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل
ما لا يفعله الادوية الحسية ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء
لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة وطب غيره اكثر حدس او تجربة وقد يتخلف
الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف
اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول واظهر الامثلة في ذلك القران الذي هو شفاء
لما في الصدور ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاء القران صدره لقصوره
في الاعتقاد والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه ومرضا الى
مرضه وطب النبوة لا يناسب الا الابدان الطيبة كما ان شفاء القران لا يناسب
الا الارواح الطيبة والقلوب الحية فاعراض الناس عن طب النبوة كاعراضهم
عن الاستشفاء بالقران الذي هو الشفاء النافع **وكان علاجه** صلى الله عليه وسلم
للمرض على ثلاثة انواع احدها بالادوية الالهية الروحانية والثاني بالادوية
الطبيعية والثالث بالمركب من الامرين **النوع الاول** في طبه عليه السلام بالادوية
الالهية **اعلم** ان الله تعالى لم ينزل من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم
ولا انجع في ازالة الداء من القران فهو للداء شفاء ولصداء القلوب جلاء كما
قال تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولفظه من كما قال
الامام فخر الرازي ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي
هو القران شفاء من الامراض الروحانية وشفاء ايضا من الامراض الجسمانية اما كونه

شفاء من الامراض الروحانية فظاهر وذلك لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات
الباطلة واشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوات والمعاد والقضا
والقدر والقران مشتمل على دلايل المذهب الحق في هذه المطالب وابطال المذاهب
الباطلة ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطاء في هذه المطالب والقران مشتمل
على الدلايل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب لاجرم كان القران شفاء
من هذا النوع من المرض الروحاني واما الاخلاق المذمومه فالقران مشتمل على تفضيلها
وتعريفها وما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال المحمودة
فكان القران شفاء من هذا النوع من المرض فثبت ان القران شفاء ورحمة من جميع الامراض
الروحانية واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراته ينفع كثيرا من
الامراض واذا اعتبر الجمهور من الفلاسفة واصحاب الطلسمات بان لقراة الرقى
المجهولة والعزايم التي لا يفهم منها شيئ اثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد
افلا يكون قراة القراة العظيم المشتمل على ذكر جلال الله تعالى وكبريايه وتعظيم
الملايكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا
ويتأيد ما ذكرناه بما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقران
فلا شفاه الله ونقل عن الشيخ ابي القاسم القشيري رحمه الله ان ولده مرض مرضا شديدا
حتى اشرف منه على الموت واشتد عليه الامر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فشكوت
اليه ما بولدي فقال اين انت من ايات الشفاء فانتبهت فافكرت فيها فاذا هي في ستة

مواضع من كتاب الله وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور
يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وننزل من القران ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا هدى للناس
وشفاء قال فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته اياها فكانما نشط من عقال او كما
قال وانظر رقية اللدغ بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع و
تامل قوله عليه السلام في بعض ادعيته وان تجعل القران ربيع قلبي وشفاء
صدري اي فيكون له بمنزلة الدواء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وفي حديث
علي في عند بن ماجة مرفوعا خير الدواء القران وههنا امر ينبغي ان يتفطن له
نبه عليه ابن القيم وهو ان الايات والاذكار والادعية التي يستشفى بها
ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل
وتاثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل
ولمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء
الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون
لمانع قوي يمنع لاقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول تام كان
انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقا والتعاويذ
بقبول تام وكان الدواء في نفس فعالة وهمة مؤثرة اثر ازالة الداء وكذلك
الدعاء فانه من اقوى الاسباب في رفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف

اثره عنه اما لضعفه فى نفسه بان يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان
واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء واما لحصول
المانع للاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب والاستيلاء الغفلة
والسهو واللهو وقد روى الحاكم حديث واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب
غافل لاه ومن انفع الادوية الدعاء وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع
نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن واذا جمع الدعاء حضور
القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف وقتا من الاوقات الاجابة
كثلث الليل الاخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع واستقبال القبلة
والطهارة ورفع اليدين والبدا بالحمد والثناء على الله تعالى والصلوة والتسليم
على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة والح فى المسالة واكثر التملق
والدعاء والتوسل اليه باسمايه وصفاته وتوجه اليه بنبيه صلى الله عليه وسلم
فان هذا الدعا لا يكاد يرد ابدا لا سيما ان دعا بالادعية التى اخبر صلى الله عليه وسلم
انها مظنة الاجابة او انها متضمنة للاسم الاعظم ولا خلاف فى مشروعية
الفزع الى الله تعالى والالتجا اليه فى كل ما يوب الانسان واما الرقى
فاعلم ان الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحانى واذا كان
على لسان الابرار من الخلق حصل الشفا باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع
الناس الى الطب الجثمانى وفى البخاري من حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم

كان

كان ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات وهى الفلق والناس
والاخلاص فيكون من باب التغليب والمراد الفلق والناس ومن ذلك كل ما
ورد من التعويذ فى القران كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واما ما اخرجه احمد وابو داود والنسايى من حديث ابن مسعود ان رسول الله
كان يكره عشر خصال فذكر منها الرقى الا بالمعوذات ففى سنده عبد الرحمن
بن حرملة قال البخارى لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن
فى الرقية بالفاتحة واما حديث ابى سعيد عند النسايى كان صلى الله عليه وسلم
يتعوذ بالجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذها وترك ما سواها
وحسنه الترمذى فلا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين
بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما اجتزا بهما لما
اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد اجمع
العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلثة شروط ان يكون بكلام الله تع
او باسمايه وصفاته وباللسان العربى او بما يعرف معناه من غيره ان يعتقد
ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا فى كونها شرطا والراجح
انه لا بد من اعتبارها وفى صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقى
فى الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى فى ذلك فقال اعرضوا على رقاكم
لا باس بالرقى اذا لم يكن فيه شرك وله من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله

عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية نرقي
بها من العقرب فقال فعرضوا عليه قال ما ارى باسًا من استطاع ان ينفع اخاه
فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولم يعقل
معناها لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى يودّي الى الشرك يمنع وما
لا يعقل معناها لا يؤمن ان يودّي الى الشرك فيمنع احتياطا والشرط الاخير
لا بدّ منه وقال لا يجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث عمران بن حصين
لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل كل ما يحتاج
الى الرقية فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل او مس ونحو ذلك لاشتراكهما
في كونهما ينشآن عن احوال شيطانية من انس او جن ويلحق بالسم كل ما عرض للبدن
من قرح ونحوه من المواد السمية وقد وقع عند ابي داود من حديث انس مثل حديث
عمران وزاد او دم وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الرقى من العين والحمة والنملة وفي حديث آخر والاذن ولابي داود من حديث
الشفا بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا تعلمين هذه يعني حفصة
رقية النملة والنملة قروح تخرج الى الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر
يعني الافضل اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم المنهي
من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء والماذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره
ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما وروى ابو داود وابن ماجة وصححه

الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقى والتمائم والتولة شرك والتمائم جمع تميمة و
هي خرزة او قلادة تعلق في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع
الآفات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا شيء كانت المراة تجلب به
محبة زوجها وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا
دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان باسماء الله و
كلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سياتي ان شاء الله تعالى
ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجا اليه سبحانه في كل ما يقع وما
يتوقع وقال بعضهم المنهي عنه من الرقاء هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن
يدعي تسخير الجن له فياتي بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى
واسمائه ما يشوبه من ذكر الشيطان والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم
ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني
آدم فاذا عزم على الحية باسماء الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ
اذا رقي بتلك الاسماء سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى
ما لم يكن بذكر الله واسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون
بريًا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماء الامة وقال
القرطبي الرقاء ثلثة اقسام احدها ما كان يرقى بها الجاهلية مما لا يعقل معناه
فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يودّي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله

او باسمايه فيجوز فان كان ماثورًا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك
او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه و
ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى والتبرك باسمايه فيكون
تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقى به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى
وقال الربيع سالت الشافعي عن الرقية فقال لا باس ان ترقى بكتاب الله وبما يعرف
من ذكر قلت ايرقى اهل الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله
وذكر الله انتهى وفي الموطاء ان ابابكر قال لليهودية التي كانت ترقى عايشة
ارقيها بكتاب الله قال النووي وقال القاضي عياض واختلف قول مالك في رقية
اليهودي والنصراني المسلم وبالجواز قال الشافعي والله اعلم وروي ابن وهب
عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان
وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم رقية الذي يصاب بالعين روي مسلم
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شئ
سابق القدر لسبقته العين اي الاصابة بالعين شئ ثابت موجود وهو من جملة
ما تحقق كونه قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوايف من المبتدعة
لغير معنى لان كل شئ ليس محالا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد
دليل فهو من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى و
هل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الاخرة وقد استشكل

بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون
واجيب بان طبايع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين
في الهوى الى بدن المعيون وقد نقل عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رايت شيئا
يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمراة الحايض تضع يدها في اناء
اللبن فيفسد ولو وضعها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين
الرمد فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبايعيين ان العاين تنبعث من عينه
سمية تتصل بالمعين فيهلك وتفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعى واشار الى
منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يمشي على طريقة اهل السنة ان العين انما تضر
عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر عند مقابلة شخص اخر وهل
ثم جواهر حقيقة او لا هو امر محتمل لا ينقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى
الاسلام من اصحاب الطبايع بالقطع بان جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين
فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك
عند شرب السم فقد اخطا بدعوى القطع ولكنه جايز ان يكون عادة ليست ضرورة
ولا طبيعة انتهى وهو كلام سديد وليس المراد بالتاثير المعنى الذي تذهب
اليه الفلاسفة بل ما اجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج
البزار بسنده عن جابر رفعه اكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس قال
الراوي يعني العين وقد اجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص

فى الاجسام والارواح كما يحدث لمن نظر اليه من تحتشمه من الخجل فيرى فى وجهه
حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه وكثير من الناس
يسقم بمجرد النظر اليه وتضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى فى الارواح
من التاثيرات لشدة ارتباطها بالعين وليست هى المؤثرة وانما التاثير للروح والارواح
مختلفة فى طبايعها وكيفيتها وخواصها فمنها ما يوثر فى البدن بمجرد الرؤية من غير
اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة والحاصل ان التاثير بارادة الله تعالى
وخلقه ليس مقصورا على الاتصال الجسمانى بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة واخرى بمجرد
الرؤية واخرى بتوجه الروح كالذى يحدث من الادعية والرقى والالتجاء الى الله تعالى
وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذى يخرج من عين العاين سهم معنوى ان صادف
البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم
الحسى سواء انتهى محلصا ملخصا من فتح البارى وغيره قال ابن القيم والغرض العلاج
النبوى لهذه العلة فمن التعوذات والرقاء الاكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة
واية الكرسى ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة ونحو اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر
ولا فاجر من شر ما خلق وذرء وبرء ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها
ومن شر ما ذرء فى الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن
شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن واذا كان يخشى ضرر عينه

واصابتها

واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه
لعامر بن ربيعة لما عاين سهل بن حنيف الا بركت عليه ومما يدفع به اصابة العين
قول ما شاء الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبرئيل للنبى صلى الله عليه وسلم
رواه مسلم بسم الله ارقيك وعنده ايضا من حديث عايشة كان جبريل يرقى
النبى صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن
شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذى عين واخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه
العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا
وظاهر الامر للوجوب وحكى المازرى فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشى
الهلاك وكان اغتسال العاين مما جرت العادة بالشفاء به فانه يتعين وقد تقرر
انه يجبر على بذل الطعام وهذا اولى ولم يبين فى حديث ابن عباس صفة الاغتسال
قال الحافظ ابن حجر وقد وقعت فى حديث سهل بن حنيف عند احمد والنسائى ان اباه
حدثه ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى اذا كانوا بشعب
الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر
بن ربيعة فقال ما رايت كاليوم ولا جلد مخباه فلبط سهل اى صرع وسقط الى فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من احد قالوا عامر بن ربيعة
فدعا عامرا فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذا رايت ما يعجبك
بركت ثم قال اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه

و داخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على راسه وظهره
ثم كفي القدح ففعل فراح سهل مع الناس ليس به باس قال المازري المراد بداخلة
ازاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الايمن قال وظن بعضهم انه كناية عن الفرج
انتهى و زاد القاضي عياض ان المراد ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع
الازار من الجسد و قيل اراد وركه لانه معقد الازار و رايت مما عزي لخط
شيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي قال ابن بكير رواية عن مالك انه كناية عن الثوب
الذي يلي الجلد و قال ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته
عين من احد جاء الى العاين بقدح ماء فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم
يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب
على يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل
يده اليمنى فيصب على مرفقه الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى
ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب
على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة
الازار ولا يوضع القدح بالارض ثم يصب ذلك الماء المستعمل على راس المصاب
بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن الله انتهى وقال المازري وهذا المعنى
مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه و
قال ابن العربي ان توقف فيه متشرع قلنا له قل الله و رسوله اعلم وقد عضدته

التجربة

التجربة وصدقته المعاينة او متفلسف فالرد عليه اظهر لان عنده ان الادوية
تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص
قال ابن القيم ومن علاج ذلك والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين
بما يردها عنه كما ذكره البغوي في كتاب شرح السنة ان عثمان بن عفان راى
صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا
نونته اي سودوا نونته النقرة التي تكون في ذقن الصغير وذكر عن عبد الله
الساجي انه كان في بعض اسفاره للحج او الغزو على ناقة فارهة وكان في الرفقة رجل
عاين قلما نظر الى شيء الا اتلفه فقيل لابي عبد الله احفظ ناقتك من العاين فقال
ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العاين بقوله فتحين غيبة ابي عبد الله فجاء الى
رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجاء ابو عبد الله فاخبر ان العاين
قد عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه فوقف وقال بسم الله حبس حابس وحجر
يابس وشهاب قابس رددت عين العاين عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر
هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
فخرجت حدقتا العاين وقامت الناقة لا باس بها وفي حديث هذا الباب من الفوائد
ان العاين اذا عرف يقضى عليه بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة و
ان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح
وان الذي يعجبه الشيء يبادر الى الدعاء الذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية

منه وان الاصابة بالعين قد تقتل وقد اختلف في جريان القصاص بذلك فقال
القرطبي لو اتلف العاين شيئا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص او الدية اذا تكرر
ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى
ولم يتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا
بعد مهلكا قال النووي في الروضة ولا دية ولا كفارة لان الحكم انما يترتب
على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط له
كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته حسد وتمني لزوال النعمة وايضا فالذي
ينشاء من الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه في زوال
الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر العين انتهى قال الحافظ بن حجر ولا يعكر
عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناه والفرق بينهما ونقل ابن بطال عن
بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العاين اذا عرف بذلك من مداخلة الناس
وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزق ما يقوم به فان ضرره اشد من ضرر المجذوم
الذي منعه عمر من مخالطة الناس واشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع اكله
من حضور الشا الجماعة قال النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف من غيره
تصريح بخلافه ذكر رقية صلى الله عليه وسلم التي كان يرقي بها عن عبد العزيز قال
دخلت انا وثابت على انس بن مالك فقال ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا
ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم رب الناس

مذهب

مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفاء لا يغادر سقما رواه
البخاري وقوله اذهب الباس بغير همز للمواخاة واصله الهمز وفي قوله لا
شافي الا انت اشارة الى ان كل ما يقع من الدواء والتداوي ان لم يصادف
تقدير الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي البخاري
ايضا عن مسروق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض
اهله يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه انت
الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وقوله يمسح بيده اي على الوجع
وقوله الا شفاؤك بالرفع بدل من موضع لا شفاء وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يرقي يقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له الا انت رواه
البخاري ايضا وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي
يالم من جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته
من شر ما اجد واحاذر وانما كرره ليكون انجع وابلغ لتكرار الدواء لاخراج
المادة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع من النوم عن بريدة
قال شكى خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل من الارق
فقال صلى الله عليه وسلم اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات
السبع وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما اضلت

كن لي جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا ان يفرط علي احد منهم او يبغي علي عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك رواه الترمذي ذكر طبه عليه السلام من حر المصيبة
ببرد الرجوع الى الله تعالى في المسند مرفوعًا ما من احد تصيبه مصيبة فيقول
انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها الا
آجره الله في مصيبته واخلف خيرًا منها قال في الهدي النبوي وهذه الكلمة من
ابلغ علاج المصاب وانفعه له في عاجلته وآجلته فانهما تتضمن اصلين عظيمين
اذا تحقق العبد بمعرفتها تسلى عن مصيبة احدهما ان العبد واهله وماله ملك
الله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير ياخذ
متاعه من المستعير والثاني ان مصير العبد ومرجعه الى الله ولا بد ان يخلف الدنيا
وراء ظهره ويجيء ربه فردًا كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة ولكن
بالحسنات والسيئات فاذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود
او ياسى مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من اعظم علاج هذا الداء قال ومن
علاجه ان يطفي نار مصيبته ببرد التاسي باهل المصائب وانه لو فتش العالم لم ير فيه
الا مبتلى اما بفوات محبوب او حصول مكروه وان سرور الدنيا احلام نوم او ظل
زائل ان اضحكت قليلًا ابكت كثيرًا وان سرت يومًا ساءت دهرًا وان متعت قليلًا
منعت طويلًا وما ملأت دارًا حبرة الا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور الا خبات
له يوم شرور قال ابن مسعود لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحًا الا ملئ ترحًا ذكر

طبه صلى الله عليه وسلم من داء الهم والكرب بدواء التوجه الى الرب عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم
الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب العرش
الكريم رواه الشيخان وقوله عند الكرب اي عند حلول الكرب وعند مسلم كان يدعو
بهن ويقولهن عند الكرب وعنده ايضًا كان اذا حزبه امر وهو بفتح المهملة والزاء
وبالموحدة اي هجم عليه او غلبه قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو وانما هو
تهليل وتعظيم يحتمل امرين احدهما ان المراد تقديم ذلك قبل الدعاء كما عند
عبد بن حميد كان اذا حزبه امر قال فذكر الدعاء الماثور وزاد ثم دعا قال
الطبري ويؤيد هذا ما روي الاعمش عن ابراهيم قال كان يقال اذا بداء
الرجل بالثنا قبل الدعاء استجيب له واذا بدء بالدعاء قبل الثناء كان على
الرجا ثانيهما ما اجاب به ابن عيينة وقد سئل عن الحديث الذي فيه اكثر
ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة لا اله الا الله وحده لا
شريك له الحديث فقال سفيان هو ذكر وليس فيه دعاء ولكن قال النبي ع م
عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
وقال امية بن ابي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان ءاذكر حاجتي ام قد كفاني
حياؤك ان سميتك الحياء اذا اثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضك الثنا
فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال بالخالق ثم ان حديث

ابن عباس كما قاله ابن القيم قد اشتمل على توحيد الالهية والربوبية ووصف
الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة و
الرحمة والاحسان والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة العالم العلوى
والسفلى والعرش الذى هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية التامة تستلزم
توحيده وانه الذي لا ينبغي العبادة والحب والخوف والرجا والاجلال والطاعة
الا له وعظمته المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه
وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه فعلم القلب ومعرفته بذلك يوجب
محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم
الكرب والهم والغم وانت تجد المريض اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوى نفسه
كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي فحصول هذا الشفاء للقلب اولى واحرى
ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الاوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته
فى غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور
وانما يصدق هذه الاقوال من اشرقت فيه انوارها وباشر قلبه حقايقها قال ابن
بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان عند ابي نعيم فقال له شيخ ان ابا بكر بن
على قد سعى به عند السلطان فسجن فرايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام و
جبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبى صلى الله عليه وسلم
قل لابى بكر بن على يدعو بدعاء الكرب الذي فى صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه

قال فاصبحت فاخبرته فدعاه فلم يمكث الا قليلا حتى اخرج وفى حديث على عند
النساي وصححه الحاكم لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وامرني
ان نزل بي كرب وشدة ان اقولها لا اله الا الله الكريم العظيم سبحان الله تبارك الله رب
العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفى لفظ الحليم الكريم فى الاول وفى لفظ
لا اله الا الله وحده لا شريك له العلى العظيم لا اله الا الله وحده لا شريك له الحليم
الكريم وفى لفظ لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه وتعالى رب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين اخرجها كلها النساي وروى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا دهمه الامر رفع طرفه الى السماء فقال سبحان الله العظيم
واذا اجتهد فى الدعاء قال يا حي يا قيوم وعنده ايضا من حديث انس انه صلى الله
كان اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال العلامة ابن القيم وفى تاثير
قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث فى دفع هذا الداء مناسبة بديعة فان صفة
متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات
الافعال ولهذا كان بسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى
هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الالام والاسقام ولهذا لما كملت
حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الافات والتوسل
بصفة الحياة والقيومية له تاثير فى ازالة ما يضاد الحياة ويضر بالافعال فلهذا
الاسم الحي القيوم تاثير عظيم خاص فى اجابة الدعوات وكشف الكربات ولهذا كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعاء قال يا حي يا قيوم وروى
ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين
واصلح لي شاني كله لا اله الا انت ربي وفي هذا الدعاء كما قاله في زاد المعاد
من تحقيق الرجا لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه وحده وتفويض الامر اليه و
التضرع اليه ان يتولى اصلاح شانه ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده
مما له تاثير في دفع هذا الدعاء وكذا قوله في حديث اسماء بنت عميس عند ابي داود
ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا اشرك به شيئا وفي مسند الامام احمد من
حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا حزن
فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل
في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته
احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم ربيع
قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله
مكانه فرحا وانما كان هذا الدعاء بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية
الداعي وعبودية ابائه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء واثبات
القدر وان احكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها
ولا حيلة له في دفعها وانه تعالى عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله

باسماء الرب تعالى التي سمى بها نفسه واعلم العباد منها وما لم يعلموا ومنها ما
استاثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه
الوسيلة اعظم الوسايل واحبها الى الله تعالى واقربها تحصيلا للمطلوب ثم
ساله ان يجعل القران لقلبه ربيعا كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله لصدره
كالنور الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفاء همه وغمه
فيكون بمنزلة الدواء الذي يستاصل الداء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان
يجعله الحزن كالجلاء الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها فاذا صدق العليل
باستعمال هذا الدواء اعقبه شفاء تاما وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدري
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار
يقال له ابو امامة فقال يا ابا امامة مالي اراك في المسجد في غير وقت الصلوة فقال
هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب
الله عنك همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اذا اصبحت
واذا امسيت اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل و
اعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت
ذلك فاذهب الله همي وقضى عني ديني وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من
ثمانية اشياء كل اثنين منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان
والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال اخوان فحصلت الاستعاذة من كل شر

وفي سنن ابي داود ايضًا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث
لا يحتسب وانما كان الاستغفار له تاثير في دفع الهم والضيق لانه قد اتفق
اهل الملل وعقلاء كل امة ان المعاصي والفساد يوجبان الهم والغم والحزن و
ضيق الصدر وامراض القلب واذا كان هذا تاثير الذنوب والاثام في القلوب
فلا دواء لها الا التوبة والاستغفار وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وثبت في الصحيحين انها
كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة وفي بعض الاثار انه ما
ينزل ملك من سماء ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله وروي الطبراني
من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل
لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا
ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا وفي كتاب
ابن السني من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة اية الكرسي
وخواتم سورة البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل عنده ايضًا من حديث سعد
ابن ابي وقاص قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب
الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وعند الترمذي لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجيب

له وروي الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر الصادق قال حدثني ابي عن جدي
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر دعا بهذا الدعاء اللهم احرسني بعينك
التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك
وانت رجائي فكم من نعمة انعمت بها علي قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني
بها قل لك بها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند
بليته صبري فلم يخذلني ويا من راني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي
الذي لا ينقضي ابدًا ويا ذا النعماء التي لا تحصى ابدًا اسالك ان تصلي على محمد وعلى
ال محمد وبك ادرا في نحور الاعداء والجبارين اللهم اعني على ديني بالدنيا
وعلى اخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته على
يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه العفو هب لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا
يضرك انك انت الوهاب اسالك فرجا قريبًا وصبرًا جميلا ورزقا واسعًا والعافية
من البلاء والشكر العافية وفي رواية واسالك تمام العافية واسالك دوام
العافية واسالك الشكر على العافيه واسئلك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الفقر عن ابن عمران
رجلا قال يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت قال له فاين انت من صلوات
الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم استغفر الله ماية مرة تاتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد

فقال يا رسول الله لقد اقبلت على الدنيا فما اوريٰ اين اضعها رواه الخطيب في رواة
مالك ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الحريق عن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان
التكبير يطفيه فان قلت ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير اجاب صاحب زاد المعاد
بانه لما كان الحريق سببه النار التي هي مادة الشيطان التي خلق منها وكان فيه من الفساد
العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له
وكانت النار يطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدي الشيطان واليهما يدعو
وبهما يهلك بني ادم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الارض والفساد
وكبرياء الله تعالى يقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالى له اثر في اطفاء
الحريق فان كبرياء الله تعالى لا يقوم لها شيء فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره في خمود النار
التي هي مادة الشيطان وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهى ولقد
جربت ذلك بطيبة في سنة خمس وتسعين وثمانماية فوجدت له اثرا عظيما
لم اجده لغيره ولقد شاع وذاع رؤية طيور بحريق طيبة الواقع في ثالث عشر
رمضان في سنة ست وثمانين وثمانماية معلنة بالتكبير وفيه يقول قاضي القضاة
شمس الدين السخاوي

فظن كل بان النار تحرقهم ... فما ترى من جواها غير منهزم
فجات الطير ردتها باجنحة ... عن البيوت راها غير متهم

وقال ايضا في قصيدة اخرى

فكل شخص تولى خايفا حذرا ... فجات الطير للنيران تطردها
عن البيوت ولا يخفى لمن بصرا

ذكر

ذكر ما كان عليه السلام يطب به من داء الصرع في الصحيحين ان امراة اتت النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني انكشف فادع الله لي فقال ان شئت
صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله لك ان يعافيك فقالت اصبر ذلك
قالت فاني انكشف فادع الله ان لا انكشف فدعا لها قال العلامة بن القيم
الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من الاخلاط الردية
والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطباء فاما علاج صرع الارواح فيكون بامرين امر
من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه
وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد تواطا
عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف
من عدوه بالسلاح الا بامرين ان يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وان يكون
الساعد قويا والثاني من جهة المعالج بان يكون فيه هذان الامران ايضا حتى
ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه او يقول بسم الله او يقول لا حول
ولا قوة الا بالله العظيم قال وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله
انا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي ويامر بكثرة قراة المصروع ومن
يعالجه بها وبقراة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمسة وعشرون سنة
وخصوصا بسبب دماغي ايس من برئه وكذلك اذا استمر به الى هذا السن قال فهذه المراة
التي جاء الحديث انها كانت تصرع وتنكشف يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع فوعدها

صلى الله عليه وسلم بصبرها على المرض بالجنة ولقد جربت الاقسام بالنبي صلى
مع قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه الى اخر سورة الفتح في بنتين صغيرتين
صرعتا فشفيتا ومن الغريب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب
الحجاز الشريف واستغثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجئ الى بصارعها في
المنام فامر النبي صلى الله عليه وسلم فنجته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت
وما بها قلبه ومن ثم لم يعد اليها فلله **ذكر** دوائه عليه السلام من داء السحر قال
النووي السحر حرام وهو من الكباير بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل
معصية كبيرة فان كان فيه قول او فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعليمه وتعلمه فحرام
واذا لم يكن ما يقتضي الكفر عذر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب
قبلت توبته **وقال** مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم
قتله والمسالة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر كما
ذكرناه وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق **قال** القاضي عياض
وبقول مالك قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين قال
فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره وانه يقتل غالبا لزمه القصاص
وان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص وتجب الدية والكفارة
وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني
قال اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور باعتراف الساحر

انتهى

انتهى **واختلف** في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو اختيار ابي جعفر الاسترابادي
من الشافعية وابي بكر الرازي من الحنفية وطايفة قال النووي والصحيح ان له حقيقة
وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة
المشهورة **وقال** شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب
عين ام لا فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك والقايلون بان له حقيقة اختلفوا هل له
تاثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد
حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول **وقال** المازري جمهور العلماء
على اثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام
ملفق وتركيب اجسام او مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من
حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب
نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون به بين المرء وزوجه لكون
المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك قال المازري والصحيح من جهة
العقل ان يقع به اكثر من ذلك قال والاية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا انها
ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعاناة
اقوال وافعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما يقع غالبا اتفاقا
واما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر لا يقع الا
من فاسق وان الكرامة لا تظهر على فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن

عن التولي وينبغي ان تعتبر حال من يقع منه الخارق فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا
للموبقات فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر
حيل يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا احاد الناس
ومادته الوقوف على خواص الاشيا والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها
تخييلات بغير حقيقة وايهامات بثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن
سحرة فرعون وجاؤا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم يخرجوا عن كونها حبالا
وعصيا وقال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى
انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة قد مليت
زيبقا وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا و
جعلوا لها ازاجا وملاؤها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان
من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي صار
تحرك بحركته فظن من راها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي
والحق ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقا الخير والشر
وفي الابدان بالالم والسقم وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا او عكسه بسحر
الساحر وقد ثبت في البخاري من حديث عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سحر حتى ان كان ليخيل اليه انه يفعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات ليلة عند
عايشة دعا ودعا ثم قال يا عايشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني

رجلان

رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه
ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال
في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال اين هو قال في بير ذروان فاتاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال يا عايشة كان
ماءها نقاعة الحنا وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقلت يا رسول الله افلا استخرجته
قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور على الناس فيه شرا فامر بها فدفنت
وفي رواية للبخاري ايضا فاتى البير حتى استخرجه فقال هذه البير التي اريتها قالت
عايشة افلا تنشرت قال اما الله فقد شفاني واكره ان اثير على الناس شرا وفي حديث
ابن عباس عند البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في اخر قصة السحر الذي
سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى عشر عقدة و
انزلت سورة الفلق والناس فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجه ابن سعد
بسند اخر منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم
لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشر عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها
في فتح الباري فنزل رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله
واذا فيه ابر مغروزة واذا فيه وتر فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين
فكلما قرا اية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة وقد
بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى

ابن الحكم مرسل قال لما رجع صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل
المحرم سنة سبع جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني
زريق وكان ساحرا فقالوا انت اسحرنا وقد سحرنا فلم يصنع شيئا ونحن نجعل لك
جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكاه جعلوا له ثلاثة دنانير وقع في رواية ضمرة عند
الاسماعيلي فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهب عن هشام عند احمد ستة اشهر
ويمكن الجمع بان يكون الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه
وقال السهيلي لم اقف في شيء من الاحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم
فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري انه لبث سنة قال الحافظ بن حجر
وقد وجدناه موصولا بالاسناد الصحيح فهو المعتمد وقال المازري انكر بعض المبتدعة
هذا الحديث وزعموا انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا وكلما ادى الى ذلك
فهو باطل وزعموا ان تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل على هذا ان
يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحى اليه بشيء ولم يوح اليه بشيء قال
المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه
فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث
لاجلها وكانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير
بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا ما لا حقيقة مع عصمته عن مثل ذلك في امور

الدين

الدين وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه فعل الشيء ولم يكن فعله ان يجزم بفعله ذلك
وانما يكون المراد بالتخييل المذكور انه يظهر له من نشاطه ما الفه من سابق عادته
من الاقتدار على الوطء فاذا دنى من المراة فتر ذلك كما هو شان المعقود ويكون
قوله في الرواية الاخرى حتى كاد ينكر بصره اي صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا
راى الشيء تخيل انه على غير صفته فاذا تامله عرف حقيقته ويؤيد جميع ما تقدم
انه لم ينقل عنه في خبر من الاخبار انه قال قولا فكان بخلاف ما اخبر به قال بعضهم
وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب
ففي اول الامر فوض وسلم لامر ربه واحتسب الاجر في صبره على بلائه ثم لما تمادى ذلك
وخشي من تماديه ان يضعفه عن فنون عبادته جنح الى التداوي فقد اخرج ابو عبيدة
من مرسل عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على راسه يعني حين
طب ثم جنح الى الدعاء كل من المقامين غاية في الكمال وقال ابن القيم من انفع الادوية
واقوى ما يوخذ من النشرة مقاومة للسحر الذي هو من تاثير الارواح الخبيثة بالادوية
الالهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب اذا كان ممتليا من الله معمورا بذكره و
له ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة
من اصابة السحر له قال وسلطان تاثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب
ما يوثر في النساء والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما تنسلط على ارواح
تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى ملخصا ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر

على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده
ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بالذي ذكره محمول على الغالب وانما وقع به صلى الله
لبيان تجويز ذلك عليه واما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال
ان في كتب وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر اخضر فتدق بين حجر
ثم تضرب ذلك بالماء ويقراء فيه اية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه ثلث حسيات
ثم يغتسل به فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا احتبس عن اهله وممن
صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري وغيرهما انتهى وقال
ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه
واولاده ولاصحابه فيجدون على ذلك الشفاء واخبر رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
اعطاها له في المنام وقال انه مر النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما تعلم ما عمل
معك ومع اصحابك في هذه النشرة نقله عنه خادمه وهي هذه لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى اخر السورة وننزل من القران
ما هو شفاء ورحمة للمومنين لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخر السورة و
سورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت وانت
الخالق وانت الباري وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا من ما
مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اسئلك باسمائك الحسنى
وصفاتك العلى يا من بيده الابتلاء والمعافى الشفاء والدواء اسئلك بمعجزات

نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبركات خليلك ابراهيم عليه السلام وحرمة
كليمك موسى عليه السلام اللهم اشفه وذكر رقية تنفع لكل شكوى عن ابي
الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا
فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك
في السماء فاجعل رحمتك في السماء واغفرلنا وخطايانا انت رب الطيبين
انزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرا باذن الله رواه
ابو داود في سننه رقيته عليه الصلاة والسلام من الصداع روى الحميدي
في الطب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتعوذ من الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير واعوذ بالله
العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار ورواه ابن السني من حديث ابن
عباس رضي الله عنهما واصاب اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه ورم في راسها
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله
اذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله
صنع ذلك ثلث مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلثة ايام فذهب الورم رواه
الشيخ بن النعمان بسنده والبيهقي رقيته صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فوضع
صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء
ما تجد وفحشه بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله قبل

ان يبرح وروى الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي يالم فقال بسم الله وبالله اسالك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شئ قدير فان مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضرس كله فسكن ما بها ومن الغريب مما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري امام مقام الخليل بمكة ورايته يفعله غير مرة ويضع يده على راس الموجوع ضرسه ويسال عن اسمه واسم امه وعن المدة التي يريد ان لا يالمه فيها فيقول لسبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر قالوا فما يرفع يده الا وقد سكن المه ويمكث المدة المذكورة لا يالمه كما اشيع واشتهر ومما جرب ان يكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وان كنت وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم رقية اسر البول روى النسائي عن ابى الدرداء انه اتاه رجل يذكر ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب المتطيبين فانزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرء وامره ان يرقيه بها فرقاه بها فبرا وقد تقدم هنا في رقية الشكوى العامة من حديث

ابى

ابى داود الحمى عن انس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها اخر قال فقالتها فذهبت عنها رواه البيهقي وقد جرب ذلك كما رايته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم عظمي الدقيق وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله واليوم الاخر فلا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها اخر فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويكتب للحمى المثلثة مما ذكره صاحب الهدي على ثلاث ورقات لطاف بسم الله مرت بسم الله قلت ويأخذ كل يوم ورقة ويجعلها في فمه ويبلعها بماء وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القران وشربه وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني لا تزال الاوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية فمن كان به الم اخذ ورقة منها فاستعملها فيبرا باذن الله عز وجل وكان المكتوب فيها ازلي لم يزل ولا يزال يزيل الزوال وهو لا يزال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال المروزي بلغ ابا عبد الله انى حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكايل واسرافيل
اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق امين ومما جرب للخراج
ونقله صاحب المغاد ان يكتب عليه ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ومما يكتب لعسر الولادة ما روى الخلال عن
عبد الله بن الامام احمد بن الحنبل قال رايت ابي يكتب للمراة اذا عسر عليها ولادتها
في جام ابيض او شيء نظيف حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان
الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها
قال الخلال اخبرنا ابو بكر المروزي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله تكتب
لامراة قد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجيء بجام واسع وزعفران قال
ورايته يكتب لغير واحد وفي المدخل يكتب في اناء جديدة اخرج ايها الولد من بطن ضيق
الى سعة هذه الدنيا اخرج بقدرة الذي جعلك في قرار مكين الى قدر معلوم لو انزلنا
هذا القران على جبل الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
وتشربها النفسا ويرش منه على وجهها قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة
فما كتبته لاحد الا نجح في وقته انتهى وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى عم
على امراة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني

مما

مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج
النفس من النفس خلصها قال فرمت مولدها فاذا هي قايمة قال فاذا عسر على
المراة ولدها فاكتبه لها ومما يكتب ايضا لذلك ويكون في اناء نظيف اذا السماء
انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت
وتشرب الحامل عنه ويرش على بطنها ومما يكتب للرعاف على جبهة المرعوف
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر ولا يجوز كتابتها
بدم الرعاف كما يفعله بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله
ومما يكتب لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شيء ومليك كل شيء
انت خلقتني وخلقت النسا فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه بقطع واشفني
شفاء لا يغادر سقما لا شافي الا انت فاما حفيظة رمضان لا اله الا الاول
انك سميع عليم محيط به علمك كعسلهون وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقال
شيخنا اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة بلدان انها حفيظة
رمضان تحفظ من الغرق والسرق والحرق وساير الافات وتكتب في اخر جمعة منه
وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب على المنبر وبعضهم بعد صلوة العصر
وهذه بدعة لا اصل لها وان وقعت في كلام غير واحد من الاكابر بل شعر كلام
بعضهم ورودها في حديث ضعيف وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو
قايم على المنبر في اثناء خطبته حين يرى من يكتبها انتهى ذكر ما يبقى من كل بلاء عن

ابان بن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال
بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الارض ولا في السما وهو السميع العليم
ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجاة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه
فجاة بلاء حتى يمسي قال فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع منه الحديث
ينظر اليه فقال مالك ينظر اليّ فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان
على رسول الله ولكن اليوم الذي اصابني فيه ما اصابني عصيت فنسيت ان اقولها
رواه ابو داود ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنده فكما ابان
قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ما تنظر اليّ اما ان الحديث
كما حدثتك ولكن لم اقله يومئذ ليمضي قدره ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين
بلاء ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي في كتابه اخبار افريقيه عن
انس بن مالك مرفوعًا من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم عشر مرات بري من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين
بلاء من بلاء الدنيا منها الجنون والجذام والبرص والريح ويشهد له ما رواه الترمذي
عن ابي هريرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لا حول
لا قوة الا بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا ملجاء من الله الا اليه كشف الله عنه سبعين
بابًا من الضر وروي الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من

من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داءً ايسرها
الهم ومن ذلك في الامان من الفقر عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله
من قال لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدًا وروى
الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابطاء
عليه رزقه فليكثر من لا حول ولا قوة الا بالله وعن جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده عن علي ابن ابي طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة لا اله الا الله الملك
الحق المبين كان له امانًا من الفقر وانسًا من وحشة القبر واستفتح به باب الغناء
واستقرع به باب الجنة قال بعض رواية دخلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان
كثيرًا ذكره عبد الحق في كتاب الطب النبوي وذكر دواء الطعام روى البخاري في تاريخه
عن عبد الله بن مسعود من قال حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسماء في الارض ولا
في السماء لا يضرّ مع اسمه داء اجعل فيه رحمة وشفاء لم يضره ما كان ذكر دواء ام الصبيان
عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى
واقام في اليسرى لم تضره ام الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي
وام الصبيان هي الريح التي تعرض لهم فربما يغشى عليهم منها وسر التاذين كما قاله
صاحب تحفة المودود باحكام المولود ان يكون اول ما يقرع سمع المولود كلمات المتضمنة
لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي اول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك
كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند

خروجه منها مع ما في ذلك من فائدة اخرى وهي هرب الشيطان من كلمات
الاذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التى قدرها الله وشاءها
فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه اول تعلقه به **النوع الثاني** في طبه عم
بالادوية الطبيعية ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يعالج به الصداع والشقيقة
اعلم ان الصداع الم في بعض اجزاء الراس او كله فما كان منه في احد جانبي الراس لازما
سمي شقيقة بوزن عظيمة وسببه ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة او باردة ترتفع الى
الى الدماغ فان لم تجد منفذا احدثت الصداع فان مال الى احد شقي الراس احدث
الشقيقة وان ملك كل الراس احدث داء البيضة تشبيها ببيضة السلاح التى تشتمل
على الراس كلها واسباب الصداع كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يكون عن ورم في المعدة
او في عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع
والقي والاستفراغ والسهر وكثرة الكلام ومنها ما يحدث من الاعراض النفسانية
كالهم والحزن والجوع والحمى ومنها ما يحدث عن حادث في الراس كضربة تصيبه
او ورم في صفاق الدماغ او حمل شيء ثقيل يضغط الراس او تسخينه بشيء خارج
عن الاعتدال وتبريده بملاقات الهوى والماء في البرد **واما** الشقيقة فهي في شرايين
الراس وحدها وتختص بالموضع الاضعف من الراس وعلاجها بشد العصابة **وقد**
اخرج الامام احمد من حديث بريدة انه صلى الله عليه وسلم كان ربما اخذته الشقيقة
فيمكث اليوم واليومين لا يخرج وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته

و

وارأساه وانه خطب وقد عصب راسه فعصب الراس ينفع في الشقيقة وغيرها من
اوجاع الراس وفي البخاري من حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو
محرم في راسه من شقيقة كانت به وقد جاءت مقيدة بما في بعض طرق ابن عباس
ان النبي صلى الله نفسه فعند ابي داود الطيالسي في مسنده من حديث ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط راسه وقد قال الاطباء انها نافعة
جدا وورد انه صلى الله عليه وسلم احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل اخرجه الترمذي
وانه ابو داود وابن ماجة وصححه الحاكم وقد قال الاطباء الحجامة على الاخدعين
تنفع من امراض الراس والوجه كالاذنين والعينين والاسنان والانف وقد ورد
في حديث ضعيف جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح عن عبد الله بن طاوس
عن ابيه عن ابن عباس يرفعه الحجامة في الراس تنفع من سبع من الجنون والجذام و
البرص والنفاس والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه الفلاس
وغيره بالكذب **وروى** ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع
غلف راسه بالحنا ويقول انه نافع باذن الله من الصداع وفي صحته نظر وهو علاج خاص
بما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها واذا كان كذلك
نفع فيه الحنا نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع
وهذا لا يختص بوجع الراس بل يعم الاعضاء **وفي** تاريخ البخاري وسنن ابي داود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكا اليه احد وجعا في راسه الا قال احتجم

ولاشكا وجعًا فى رجليه الا قال اختضب بالحنا وفى الترمذي عن على بن عبيد الله عن جدته
وكانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم قالت ماكان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم
قرحة ولا نكبة الا امرنى ان اضع عليها الحنا وذكرطبه صلى الله عليه وسلم للرمد و
هو ورم حار يعرض فى الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها وسببه انصباب احد الاخلاط
او ابخرة تصعد من المعدة فان اندفع الى الخياشيم احدث الزكام او الى العين احدث الرمد او
الى اللهات والمنخرة احدث الخنان بالخاء المعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى القلب
احدث الشوصة وان لم يتخذ رطب نفادا فلم يجد احدث الصداع كما تقدم وروي
انه صلى الله عليه وسلم كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة وفى سنن ابن ماجة
قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت
تمرا فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى انه حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد
وفى البخاري من حديث سعيد بن زيد قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الكماة من
المن وماؤها شفاء للعين والكماة نبات لا ورق لها ولا ساق يوجد فى الارض من غير ان
يزرع وروى الطبرى من طريق المكندر وعن جابر قال كثرت الكماة على عهد رسول الله
فامتنع قوم من اكلها وقالوا هو جدري الارض الا ان الكماة من المن واختلف فى قوله
من المن فقيل من المن الذي انزل على بنى اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل
حلوا ومنه الترنجبيل فكانه يشبهه الكماة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج

وقال

وقال الخطابى ليس المراد انها نوع من المن الذي انزل الله على بنى اسرائيل فان الذي نزل
على بنى اسرائيل كان كالترنجبيل يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكماة شئ ينبت
من غير تكلف وبذر ولا سقى وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال
المحض الذي ليس فى اكتسابه شبهة ويستنبط منه ان استعمال الحلال المحض يجلو البصر
وقال ابن الجوزي فى المراد بكونها شفاء للعين قولان احدهما انه ماؤها حقيقة الا ان
اصحاب هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا فى العين لكن اختلفوا كيف يصنع
بها على رايين احدهما انه يخلط فى الادوية التى يكتحل بها حكاه ابو عبيد ثانيهما ان
تشق وتوضع على الجمر حتى يغلى ماؤها ثم يوخذ الميل فيجعل فى ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل
بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته الردية ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل
فى مائها وهى باردة يابسة فلا ينجع وقال اخر تجعل الكماة فى قدر جديد ويصب
عليها الماء ولا يطرح فيها ملح ثم يوخذ غطاء جديد نقى فيجعل على القدر فما جرى
من الغطاء من بخار الكماة فذلك الماء الذي يكتحل به وقال ابن واقد ان ماء الكماة اذا عصر
وربى فيه الاثمد كان من اصلح الاشياء للعين اذا اكتحل به يقوى اجفانها ويزيد الروح
الباصر قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا اذا اكتحل بماء الكماة وحده
يسيل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة فى البصر وقال ابن القيم اعترف
فضلاء الاطباء ان ماء الكماة يجلو العين منهم المسيحى وابن سينا وغيرهما قال
والذي يزيل الاشكالات عن هذا الاختلاف ان الكماة وغيرها خلقت فى الاصل

سليمة من المضار ثم عرضت لها الآفات بامور اخرى من مجاورة او متزج وغير ذلك
من الاسباب التى اراد ها الله تعالى والكماة فى الاصل نافعة لما اختصت به من وصفها
بانها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة والستعمال كلما وردت به السنة
بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه الضرر لنيته والعكس بالعكس والله اعلم

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة وهى بضم المهملة وسكون الزال المعجمة
وجع فى الحلق يعترى الصبيان غالبا وقيل هى قرحة تخرج بين الاذن والحلق
او فى الخرم الذى بين الانف والحلق وهو الذى يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم
اللهاة والمراد وجعها سمى باسمها وقيل هو موضع قريب من اللهاة واللهاة
بفتح اللام اللحمة التى فى اقصى الحلق وفى البخارى من حديث ام قيس بنت محصن
الاسدية اسد خزيمة وهى اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بابن لها قد علقت عليه من العذرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم علىم تدعرن
اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة اشفية منها ذات
الجنب يريد الكست وهو العود الهندى قوله تدعرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة
والدال المهملة والدغر غمز الحلق وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عايشة وعندها صبى يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا به العذرة او وجع فى راسه
فليأخذ قسطا هنديا فيحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عايشة فصنع ذلك للصبى فبرء
الحديث وفى القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وكانوا يعالجون اولادهم

بغمز

بغمز اللهاة وبالعلاق وهى شئ يعلقونه على الصبيان فنهاهم صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط ما يصب
فى الانف وقد اشتكل معالجتها بالقسط مع كونه حارا والعذرة انما تعرض
فى زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لاسيما وقطر الحجاز حار واجيب بان
مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفى القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون
نفعه فى هذا الدعاء بالخاصية وايضا بالادوية الحارة قد تنفع من الامراض الحارة
بالعرض كثيرا بل وبالذات ايضا وقد ذكر ابن سينا فى معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع
الشب اليمانى على انا لو لم نجد شيئا من التوجيهات لكان المعجز خارجا عن القواعد الطبية

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء استطلاق البطن فى الصحيحين من حديث ابى
المتوكل عن ابى سعيد الخدرى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى
يشتكى بطنه وفى رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال انى سقيته
فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن اخيك وفى رواية مسلم فقال
له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا
فقال صدق الله وفى رواية احمد عن يزيد بن هارون فقال فى الرابعة صدق الله
وكذب بطن اخيك قال الخطابى وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب فى موضع الخطاء
يقال كذب سمعك اى زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب بطنه اى لم يصلح
لقبول الشفا بل زل عنه وقال الامام فخر الدين الرازى لعله صلى الله عليه وسلم

علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع
كونه عليه السلام كان عالمًا بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان جاريًا مجرى الكذب
فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ وقد اعترض بعض الملاحدة فقال العسل العسل مسهل
فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال واجيب بان ذلك جهل من قايله بل هو كقوله تعالى
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطباء على ان المرض الواحد يختلف علاجه
باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المالوف والتدبير وقوة الطبيعة
وعلى ان الاسهال يحدث من انواع منها الهيضة التي تنشا عن تخمة واتفقوا على
علاجها بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكان
هذا الرجل كان استطلاق بطنه من تخمة اصابته فوصف له النبي صلى الله عليه وسلم
العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط لزجية يمنع استقرار الغذا
فيها وللمعدة خمل الخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجية افسدت
الغذاء الواصل اليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الاخلاط ولا شيء في
ذلك مثل العسل لا سيما ان مزج بالماء الحار وانما لم يفده في اول مرة لان الدواء يجب
ان يكون له مقدار وكمية بحسب الداء ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه او
هي القوة واحدث ضررا اخر فكان شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة الداء
فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برا باذن الله تعالى
وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدواء نافع

وان

وان بقاء الداء ليس لقصور الدواء في الشفاء ولكن لكثرة المادة الفاسدة
فمن ثمة امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها وقال بعضهم ان العسل
تارة يجري سريعًا الى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر البول فيكون
قابضًا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بالذعة لها حتى يدفع الطعام ويسهل
البطن فيكون مسهلًا فانكار وصفه بالمسهل مطلقًا قصور من المنكر وقال
ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المسهل اربعة
اقوال احدها ان حمل الاية على عمومها في الشفا والى ذلك اشار بقوله صدق
الله اي في قوله فيه شفاء للناس فلما نبه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول
فشفي باذن الله تعالى الثاني ان الوصف المذكور على المالوف من عادتهم من
التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف له ذلك كانت به هيضة
كما تقدم تقريره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم
فلعله شربه اولا بغير طبخ انتهى والثاني والرابع ضعيفان ويؤيد الاول
حديث ابن مسعود عليكم بالشفائين العسل والقران اخرجه ابن ماجة والحاكم
مرفوعًا واخرجه ابن شيبة والحاكم ايضا موقوفا ورجاله رجال الصحيح وابن
واثر علي اذا اشتكى احدكم فليستوهب من امراته من صداقها فليشتر به عسلًا
ثم ياخذ ماء السماء فيجمع هنيئًا مريئًا مباركًا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند
حسن وروينا عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفا فليكتب اية

من كتاب الله فى صحفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امراته درهمًا عن طيب
نفس منها فليشتر به عسلًا فليشربه فانه شفاء قال الحافظ بن كثير اى من وجوه
قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال وانزلنا من
السماء ماء مباركا قال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال
فى العسل فيه شفاء للناس صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة
بما يمشيه ويلينه روى الترمذي وابن ماجة فى سننه من حديث اسماء بنت
عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذا كنت تستمشين قالت
بالشبرم قال حار حار ثم قالت استمشيت بالسنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم
لو ان شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان فى السنا قال ابو عيسى هذا حديث غريب وقد
ذكره البخاري فى تاريخه الكبير من حديث اسماء بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي
وذكر ابو محمد الحميدي فى كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشبرم
فانه حار حار عليكم بالسنا فتداووا به فلو دفع بالموت شيء لدفعه السنا و
حكى عبد الحق الاشبيلي فى كتاب الطب النبوى له ان المحاسبي ذكر فى كتابه المسمى
بالمقصد الى الله ان النبى صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر وفى سنن
ابن ماجة من حديث ابراهيم بن ابى عبلة قال ـــــ عبد الله بن حرام و
كان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين يقول سمعت رسول الله
يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يا رسو

الله

الله وما السام قال الموت قالوا والشبرم قشر شجرة وهو حار يابس فى الدرجة
الرابعة وهو من الادوية التى منع الاطباء من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها
اما السنا فهو نبت حجازي افضله المكى وهو دواء شريف مامون الغائلة قريب
من الاعتدال حار يابس فى الدرجة الاولى يسهل الصفرا والسودا قال الرازي
السنا والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قال والشربة
من كل منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم السنوت فقيل هو العسل
وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سودا على السمن وقيل حب يشبه الكمون
وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل انه الرازيانج وقيل انه الشبت وقيل
انه العسل الذي يكون فى زقاق السمن قال بعض الاطباء وهذا اجدر بالمعنى و
اقرب الى الصواب اى يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون
اصلح من استعماله مفردا لما فى العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته على
الاسهال صلى الله عليه وسلم للمفؤود وهو الذي اصيب فؤاده فهو يشتكيه
كالمبطون روى ابو داود عن سعد قال مرضت مرضا فاتانى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي
وقال لى انك رجل مفؤود فات الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل متطبب
فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلد بهن الفؤاد و
هذا الحديث من الخطاب العام الذي اريد به الخاص كاهل المدينة ومن جاورهم

والتمر لاهل المدينة كالحنطة لغيرهم والدود ما يسقاه الانسان من احد جانبي الفم وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء سيما تمر المدينة ولاسيما العجوة وفي كونها سبعًا خاصية اخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح سبع تمرات عجوة العالية من تمرها لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر ذكوطبه صلى الله عليه وسلم لداء ذات الجنب في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب وفي الترمذي من حديث بن ابن ارقم قال صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت اعلم ان ذات الجنب ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للاعضاء وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تختص بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والاضلاع فيحدث وجعًا فالاول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطباء قالوا ويحدث بسببه خمسة امراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال لذات الجنب ايضا وجع الخاصرة وهو من الامراض المخوفة لانها تحدث بين القلب والكبد وهي من سيء الاسقام والمراد بذات الجنب هنا الثاني لان القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوي به الريح الغليظة وقد حكى الامام ابن القيم عن المسيحي انه قال العود حار يابس قابض يحبس البطن ويقوي الاعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ

قال

قال ويجوز ان ينفع من ذات الجنب الحقيقة ايضا اذا كانت ناشية عن مادة بلغمية ولاسيما في وقت انحطاط العلة ذكوطبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء عن انس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من البانها وابوالها فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فاخذوا فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم ان الاستسقاء مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضاء فتربو لها اما الاعضاء الظاهرة كلها واما المواد الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والاخلاط واقسامه ثلاثة لحمي وهو اصعبها وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الاعضاء وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن الاسفل مادة مائية ردية يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق وهو اردى انواعه عند اكثر الاطباء وطبلي وهو الذي ينتفخ منه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت لها صوتا كصوت الطبل وانما امرهم بشرب ذلك لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد واذا كان اكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر وغير ذلك

من الادوية النافعة للاستسقاء خصوصًا اذا استعمل بحرارته التي تخرج بها
من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد
في ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول واطلاقه البطن واما ضعف المعدة
يذكر ابن ماجة الحاج في المدخل ان بعض الناس مرض بمعدته فراى الشيخ الجليل
ابو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو ان ياخذ
كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى ويكون ملتوتا بالمصطكى بعد دقها
ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز يفعل ذلك سبعة ايام ففعله فبري ومرض
بعض الناس ببرد المعدة فرأى الشيخ المرجاني ايضًا النبي صلى الله عليه وسلم
هو يشير بهذا الدواء وقية ونصف عسل نحل ودرهمين شونيز ومثلها
انيسون ونصف اوقية من النعنع الاخضر ومن القرنفل درهم ومن القرفا نصف
درهم وشيء من قشر الليمون مع قليل من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله
فبرى ومن مرض اخر بسلس الريح فراى الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يشير بهذا الدواء شونيز ثلاث دراهم ومن خزامي درهمين ونصف
من الكمون الابيض ثلاث دراهم ومثله من الشعير الشامي ومثله من الفلفل وزن
درهم من البلوط وهو مرة الفواد واوقيه من الزيت المرقى يجعل فيه من العسل
النحل ما يعقد به وهو ربع رطل ويوخذ منه غدوة النهار وزن درهمين على الريق
وعند النوم وزن درهم ونصف فاستعمله فبري ثم انه عليه السلام بعد ذلك

قال

قال في النوم لذلك الشخص الذي اخبره بهذا الدواء انه ينفع لادواء وهي الريح
وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفواد والم الحيض والم النفاس
ولتعقد الرتاج والزيت المرقى صفته ان تاخذ شيئا من الزيت الطيب وتجعله
في اناء نظيف وتحركه بعود وتقرا عليه الاخلاص والمعوذتين ولقد جاءكم
رسول من انفسكم الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين
لو نزلنا هذا القران على جبل الى اخر السورة وحصل لاخر قولنج فراى الشيخ
النبي صلى الله عليه وسلم فاشار بهذا الدواء وهو ان تاخذ ثلثة دراهم من
عسل النحل ووزن درهم ونصف من الزيت المرقى واحدى وعشرين حبة
من الشونيز وتخلط الجميع ثم يقطر عليه ويفعل مثله عند النوم ففعل ذلك
حتى برى وتعمل له التلبينة ويستعملها بعد ان يفطر والتلبينة حسا يعمل
من دقيق او نخالة ويعمل فيها عسل ويكون غداوه مطلوقة الدجاج او لحم الضان
ففعله فبرا بعد ان اعيا الاطباء ومرض اخر بوضع الظهر فشكى ذلك للشيخ
فراى النبي صلى الله عليه وسلم ويشير بهذا الدواء وهو عسل نحل وشونيز و
دهن اليه والزيت المرقى ورقيق البيضة ويخلط ذلك كله ويمده على الموضع و
يذر عليه دقيق العدس يقشره مع الحرمل بعد ما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل
الدقيق ففعله فبري وشكى بعض الناس الدوخة في راسه فراى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فاشار اليه هذا الدواء قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة طيب وسنبل من

من كل واحد درهم ونصف شونيز درهمين يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل
النحل فاذا قرب استوآؤه عصر عليه قليل ليمون ويكون عسل النحل غالبا عليه
فبري انتهى وهذا وان كان فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ المرجاني لذلك
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من دآء عرق النسا وهو بفتح النون والمهملة
المرض الحال بالعرق والاضافة فيه من باب اضافة الشيئ الى محله قيل وسمي
بذلك لان المه ينسي ما سواه وهذا العرق ممتد من فصل الورك وينتهي الى اخر
القدم وراء الكعب وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دوآء عرق
عرق النسا الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزا ثلثة اجزآء ثم تشرب على الريق في
كل يوم جزوا رواه ابن ماجة وهذا الدواء خاص بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم
وهو انفعه لهم لان هذا المرض يحدث من يبس وقد يحدث من مادة غليظة
لزجه فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصتان الانضاج والتليين
وهذا المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية
قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى
اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوها وهذه اذا تغذي بها الحيوان
صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها تغذية ويكسبها مزاجا الطف منها
ولاسيما الالية ذكر طبه عليه السلام من الاورام والخراجات بالبط و
البزل يذكر عن علي رضي الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

علي

على رجل يعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله هذه مدة قال بطوا عنه قال
علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد ذكر طبه عليه السلام
بقطع العروق والكي وروي البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابي ابن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه
عليه واخرج مسلم عن جابر لما رمي سعد بن معاذ في اكحله حسمه النبي صلى الله
وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن انس قال كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وعند الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة وروى
مسلم عن عمران بن الحصين كان يسلم علي حتى اكتويت فنزل ثم تركت الكي فعاد
وفي رواية ان الذي كان انقطع عني رجع الي يعني تسليم الملائكة وروى احمد
وابو داود والترمذي عن عمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي
فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا وانما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنحسم
مادته الا به ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه لما فيه
من الالم الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في امثلتها اخر الدواء
الكي النهي فيه محمول على الكراهة او على خلاف الاولى لما يقتضيه مجموع الاحاديث
وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه عن كيه
فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا
الذي فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر لا يدافع والثاني كي الجرح

اذا فسد والعضو اذا قطع فهو الذي شرع التداوي له فان كان الكي لا امر محتمل فهو
خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لامر غير محقق وحاصل الجمع ان الفعل
يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان تركه ارجح من فعله ولذا وقع
الثناء على تاركه واما النهي عنه فاما على سبيل الاختيار والتنزيه واما عن ما لا يتعين
طريقا الى الشفاء وقال بعضهم انما نهى عنه مع اثباته الشفاء فيه اما لكونهم كانوا يرون
انه يحسم الداء بطبعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا يبادرون اليه قبل حصول الداء
لظنهم انه يحسم الداء فيتعجل الذي يكتوي التعذيب بالنار لامر مظنون قال في فتح الباري
ولم ار في اثر صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى الا ان القرطبي نسب الى كتاب
اداب النفوس للطبري ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى وذكره الحليمي بلفظ روي
انه اكتوى للجرح اصابه باحد قال الحافظ بن حجر والثابت في الصحيح في غزوة احد ان فاطمة
احرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود انتهى وذكر طبه صلى الله
من الطاعون قال الخليل الطاعون الوباء وقال ابن الاثير الطاعون المرض العام
والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الامزجة والابدان وقال القاضي ابو بكر
ابن العربي الطاعون الوجع الغالب الذي يطفي الروح سمي بذلك لعمومه مصابه
وسرعة قتله وقال ابو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من
الجهات بخلاف المعتاد من امراض الناس وقال القاضي عياض اصل الطاعون
القروح الخارجة في الجسد والوباء عموم الامراض فسميت طاعونا تشبيها في

في الهلاك وقال النووي في تهذيبه هو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهب ويسود
ما حوله ويخضر او يحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان وقي
ويخرج غالبا في المراق والاباط وقد يخرج في الايدي والاصابع وساير الجسد
وقال ابن سينا الطاعون مادة تحدث ورما قتالا لا تحدث في المواضع الرخوة
والغابن من البدن واغلب ما يكون تحت الابط او خلف الاذن او عند الارنبة
وسببه ورم ردي يستحيل الى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويودي
الى القلب كيفية ردية فيحدث القي والغثيان والغشي والخفقان وهو لرداته
لا يقبل من الاعضاء ما يضعف بالطبع واردا ما يقع في الاعضاء الرئيسة والاسود
منه قل من يسلم منه واسلمه الاحمر ثم الاصفر والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد
الوبية ومن ثمة اطلق على الطاعون وباء وبالعكس واما الوباء فهو فساد جوهر
الهواء الذي هو مادة الروح ومدده والحاصل ان حقيقته ورم ينشا عن هيجان
الدم وانصباب الدم الى عضو فيفسده وان غير ذلك من الامراض العامة الناشئة
عن فساد الهوى يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به او كثرة
الموت والدليل على ان الطاعون يغاير الوباء ان الطاعون لم يدخل المدينة
النبوية وقد قالت عايشة دخلنا المدينة وهي اوبا ارض الله وقال بلال
اخرجونا الى ارض الوباء والطاعون من طعن الجن وانما لم يتعرض الاطباء
لكونه من طعن الجن لانه امر لا يدرك بالعقل وانما عرف من الشارع فتكلموا

فى ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يويد ان الطاعون انما يكون من طعن الجن
وقوعه غالبا فى اعدل وفى اصح البلاد هواءً واطيبها ماءً ولانه لو كان بسبب
فساد الهوي لدام فى الارض لان الهوي يفسد تارة ويصح اخري ويذهب احيانا
ويجي احيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جاء سنة وربما ابطا سنين ولانه
لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة انه يصيب الكثير
ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو فى مثل مزاجهم ولو كان كذلك لعم جميع البدن
وهذا يختص بموضع من الجسد لا يتجاوزه ولان فساد الهوي يقتضى تغير الاخلاط
وكثرة الاسقام وهذا فى الغالب يقتل بلا مرض فدل على انه طعن الجن كما ثبت
فى الاحاديث الواردة فى ذلك منها حديث احمد والطبرانى عن ابى بكر بن ابى موسى
الاشعري قال سئلت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز
اعدايكم من الجن وهو لكم شهادة قال الشيخ الاسلام الحافظ بن حجر يقع فى
الالسنة وهو فى النهاية تبعا لغريبى الهروى بلفظ وخز اخوانكم ولم اره
بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ فى شى من طرق الحديث المسندة لا
الكتب المشهورة ولا فى الاجزاء المنثورة وقد عزاه بعضهم لمسند احمد
والطبرانى وكتاب الطوعين لابن ابى الدنيا ولا وجود لذلك واحد منها والله
اعلم انتهى **وفى** الصحيحين من حديث اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله عم
يقول الطاعون رجز ارسل على طايفة من بنى اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا

سمعتم

سمعتم به بارض فلا تدخلوا واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه
وقد ذكر العلماء فى النهى عن الخروج حكما منها ان الطاعون فى الغالب يكون عاما
فى البلد الذي يقع به فاذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا يفيده الفرار لان
المفسدة اذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل **ومنها**
ان الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور او بغيره ضايع المصلحة
لفقد من يتعهده حيا وميتا وايضا فلو شرع الخروج فخرج الاقوياء لكان فى ذلك
كسر قلوب الضعفاء وقد قالوا ان حكمة الوعيد فى الفرار من الزحف لما فيه كسر
قلب من يفر وادخال الرعب عليه بخلاف **وقد** جمع الغزالى بين الامرين فقال الهوى
لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب
والرية فيوثر فى الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التاثير فى الباطن والخارج من
البدن الذي يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به وينضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحا
فى الخروج لبقى المرضى لا يجدون من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم **ومنها** ما ذكره
بعض الاطباء ان المكان الذي يقع به الوباء تتكيف امزجة اهله بهواء تلك البقعة
فتالفها وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن الصحيحة
لم توافقهم بل ربما اذا استنشقوا هواها استصحب معه القلب من الابخرة الردية
التى حصل تكيف بدنها بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة **ومنها** ان الخا
يقول لو اقمت لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع فى اللو المنهى عنه

وقال العارف ابن ابي جمرة البلاء انما يقصد به اهل البقعة لا البقعة نفسها فمن
اراد الله تعالى انزال البلاء به فهو واقع به لا محالة فاينما توجه يدركه فارشدنا
الشارع الى عدم النصب قال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه
عن الدخول الى الارض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه
فان في الدخول في الارض التي هو فيها تعرضًا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه
واعانة الانسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب الدخول الى ارضه
من باب الحمية التي ارشدنا الله تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية
الموذية واما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان احدهما حمل النفوس
على الثقة بالله تعالى والتوكل والصبر على اقضيته والرضا والثاني ما قاله
ائمة الطب انه يجب على من كان يحترز من الوباء عن بدنه الرطوبات الفضلية
ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من ارض الوباء
والسفر منها لا يكون الا بحركة شديدة وهي مضرة جدًا هذا كلام افضل المتاخرين من الاطبا
فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما
انتهى وذكر طبه عليه الصلاة والسلام من السلعة اخرج البخاري في تاريخه و
الطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قايم السيف
ان اقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال

يطفئها

يطفئها بكفه حتى رفعها عنها وما ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجه ابيض
بن جمال وكان به القوبا فلم يمس من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وغيره ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم من الحمى روى البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحمى من فيح جهنم فاطفوها بالماء واختلف في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة
واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها باسباب
تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها
في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى ان حر الحمى
شبيه بحر جهنم تنبيهًا للنفوس على شدة حر النار وان هذه الحرارة الشديدة
شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله فاطفوها بهمزة قطع
امر بالاطفاء وروى الطبراني الحمى حظ المومن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر
عند الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من فيح
جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور وحكى كسر
الراء وفي رواية ماجة ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت اجالس ابن عباس
بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت الحمى قال ابردها
بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها
بالماء او بماء زمزم شك قال ابن القيم قوله بالماء فيه قولان احدهما انه كل ماء وهو
الصحيح والثاني انه ماء زمزم ثم قال بعد ان روى حديث ابي جمرة هذا وراوي

هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم
واخبرهم بما عندهم من الماء انتهى وتعقب بانه وقع في رواية احمد عن عفان
عن همام فابردوها بماء زمزم ولم يشك وكذا اخرجه النسائي وابن حبان
والحاكم قال ابن حبان والحاكم ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل المراد
به الصدقة بالماء او استعماله على قولين والصحيح انه استعماله واظن الذي
حمل من قال ان المراد به الصدقة به انه اشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى
ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزاء من جنس العمل فكما
اخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد اخمد الله لهيب الحمى عنه جزاءً
وفاقا انتهى وقال الخطابي وغيره اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث
بان قال اغتسال المحموم بالماء البارد خطر يقرب من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن
البخار ويعكس الحرارة التي في داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط
بعض من ينسب الى العلم فانغمس في الماء لما اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في
باطن بدنه فاصابته علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا
سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث والجواب ان هذا
الاشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له اولا من اين حملت
الامر على الاغتسال وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا من اختصاصها
بالغسل وانما في الحديث الارشاد الى تبريد الحمى بالماء فان اظهر الوجود

او

او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل محموم في الماء او صبه اياه على جميع
بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصده صلى الله عليه وسلم استعمال
الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهو كما وقع في
امره العاين بالاغتسال واطلق وقد ظهر من الحديث الاخر انه لم يرد مطلق الاغتسال
وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى
ما صنعته اسماء بنت الصديق رضي الله عنها فانها كانت ترش على بدن المحموم شيئا
من الماء بين ثدييه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة الماذون فيها والصحابي
ولا سيما مثل اسماء التي هي ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم
بالمراد من غيرها وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم
فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر وقال المازري لا شك ان علم الطب
من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشيء دواءه في ساعة فيصير
داءً له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير
علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم
منه وجود الشفاء به له او لغيره في ساير الاحوال والاطباء مجمعون على ان المرض
الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم
والتاثير المالوف وقوة الطباع ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون
من الخواص التي اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل عند ذلك

عند ذلك جميع كلام اهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم
فى هذا الحديث خاصًا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التى تعرض
لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال وهذه
ينفعها الماء البارد شربًا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل فى القلب
وتنتشر منه بتسوط الروح والدم فى العروق الى جميع البدن وقسمان
عرضية وهى الحادثة عن ورم او حركة او اصابة حرارة الشمس او القيظ الشديد
ونحو ذلك ومرضية وهى ثلاثة انواع ويكون عن مادة ثم منها ما يسخن جميع البدن
فاذا كان مبدا تعلقها بالروح فهى حمى يوم لا تقلع غالبًا فى يوم ونهايتها
الى ثلاث وان كان تعلقها بالاعضاء الاصلية فهى حمى دق وهى اخطرها
وان كان تعلقها خلاط سميت عفنية وهى بعدد الاخلاط الاربعة اعنى صفراوية
سوداوية بلغمية دموية وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بسبب
الافراد والتركيب انتهى واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول فانها
تسكن بالانغماس فى الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وبغيره ولا يحتاج
الى علاج اخر وقد قال جالينوس لو ان شابا حسن اللحم خصيب البدن ليس فى
احشائه ورم استحم بماء بارد وسبح فيه فى وقت القيظ عند منتهى الحمى
لانتفع بذلك وقد تكرر فى الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء البارد
فى علته كما فى الحديث صبوا على من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن وفى المسند

وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فابردوها
عنكم بالماء البارد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقربة
من ماء فافرغها على راسه فاغتسل وصححه الحاكم ولكن قال فى اسناده راوٍ
ضعيف وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليشن عليه الماء البارد من السحر
ثلاث ليال اخرجه الطحاوى وابو نعيم فى الطب واخرج الطبرانى من حديث
عبد الرحمن بن المرقع رفعه الحمى رايد الموت وهى سجن الله فى الارض فبردوا
لها الماء فى الشنان وصبوا عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشا قال ففعلوا
فذهب عنهم وقد اخرج الترمذى من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب
احدكم الحمى وهى قطعة من النار فليطفها عنه بالماء يستنقع فى نهر جار ويستقبل
جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة
الصبح قبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلثة ايام فان لم يبرء
فخمس والا فسبع فانها لا تكاد تجاوز تسعًا باذن الله قال الترمذى غريب
وفى سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه ذكرطته عليه السلام من حكة الجسم
وما يولد القمل لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة رخص
صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير
لحكة كانت بهما كما فى البخارى عن قتادة ان انسا حدثهم ان النبى صلى الله عليه وسلم
رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير فى قميص من حرير من حكة كانت بهما

وفى روايةان عبد الرحمن والزبير شكيا الى النبى صلى الله عليه وسلم يعنى
القمل فارخص لها فى الحرير فرايته عليهما فى غزاة وفى رواية رخص النبى عم
لعبد بن عوف والزبير بن العوام وفى رواية رخص او رخص لحكه كانت بهما
ويحتمل ان يكون العلتان باحدا لرجلين او ان الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة
تارة الى السبب وتارة الى المسبب قال النووي الحديث صريح فى الدلالة لمذهب
الشافعى وموافقته انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة
وكذا القمل وما فى معنى ذلك وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى
وتعقب قوله لما فيه من البرودة بان الحرير حار والصواب ان الحكة فيه لخاصية
فيه تدفع وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة فى مزاجه
مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه وقال الرازي الابريسم اسخن
من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب
البشرة فملابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفى وملابس الكتان والحرير
والقطن تدفى ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف
حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة الين وثياب الحرير الين من القطن
واقل حرارة منه ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شيء من اليبس والخشونة كغيرها
صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما قدمته لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة
فلذلك رخص عليه السلام لهما فى لباس الحرير لمداواة الحكة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم

من السم الذي اصابه بخيبر تقدم فى غزوتها قصة اليهودية التى اهدت
اليه الشاة المسمومة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن
عن كعب بن مالك ان امراة يهودية اهدت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة مصلية
بخيبر فقال ما هذه قالت هدية وحذرت ان تقول من الصدقة فلا يأكل فاكل
النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قال امسكوا ثم قال امسكوا للمراة هل سممت
هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو فى يده قالت نعم قال
لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك
قال فاحتجم النبى صلى الله عليه وسلم ثلثة على كاهله وقد ذكروا فى علاج السم
ان يكون بالاستفراغات بالادوية التى تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها
واما بخواصها فمن عدم الدواء فليتبادر الى دواء الكلى وانفعه الحجامة
ولاسيما اذا كان البلد حارا والزمان حار فان القوة السمية تسري فى الدم
فتتبعه من العروق والمجارى حتى يصل الى القلب والاعضاء فاذا بادر المسموم
واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التى خالطته فان كان استفراغا
تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة
فيبطل فعله او يضعفه ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل
لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة السمية مع لا خروجا كليا بل بقي اثرها
مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله

فضلا وشرفا **النوع الثالث** في طبه عليه والسلام بالادوية المركبة من الالهية
والطبيعة **ذكر** طبه عليه السلام من القرحة والجرح وكل شكوى عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا
وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري **وفى** رواية مسلم اذا
اشتكى الانسان او كانت قرحة او جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته
بالارض الحديث قوله تربة ارضنا خبر مبتدا محذوف اى هذه تربة ارضنا وقوله
يشفى سقيمنا ضبط بوجهين بضم اوله على البناء للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله
على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال النووي معنى الحديث
انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق بها
شئ منه ثم مسح به الموضع العليل والجرح قايلا الكلام المذكور فى حالة المسح
وقال القرطبى زعم بعض علمايئنا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته ويبسه
يبرئ الموضع الذى به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته فى
تجفيف الجراح واندمالها وقال فى الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابراء
الجرح والورم ولاسيما من الصايم الجايع **وتعقبه** القرطبى بان ذلك انما يتم اذا
وقعت المعالجة على قوانينها من مراعات التراب والريق وملازمة ذلك فى اوقاته
والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يعلق بها ما ليس له بال ولا اثر
وانما هذا من باب التبرك باسماء الله تعالى واثار رسوله صلى الله عليه وسلم

واما

واما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصيته فى ذلك او الحكمة اخفا اثار
القدرة بمباشرة الاسباب المعتاد **وقال** البيضاوى قد شهد المباحث
المطبية على ان للريق مدخلا فى النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تاثير
فى حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكر وا انه ينبغى للمسافر ان يستصحب تراب ارضه
ان عجز عن استصحاب مايها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيئا منه فى سقايه ليأمن
من مضرة ذلك ثم ان الرقا والعزايم لها اثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول
الى كنهها **وقال** التوربشتى كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كانه تضرع بلسان
الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابدعته من ماء مهين فهين
عليك ان تشفى من كانت هذه نشاته **وقال** النووى وقيل المراد بارضنا ارض
المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون
ذلك مخصوصا وفيه نظر وفى حديث عايشة عند ابى داود والنسايى ان النبى
صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف
الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله فى قدح ثم نفث عليه
ثم صبه عليه قال الحافظ بن حجر هذا الحديث تفرد به الشخص المرقى **ذكر طبه**
عليه السلام لدغة العقرب عن عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله
يصلى اذا سجد فلدغته عقرب فى اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله
وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل

يضع موضع اللدغة فى الماء والملح ويقرأ قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن ابى شيبة فى مسنده وقال ابن عبد البر رقا صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح وهذا طب مركب من الطبيعى والالمى فان سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التى هى مجامع التوحيد وفى المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى الله عليه وسلم عقبة ابن عامر ان يقرأ بهما عقب كل صلاة رواه الترمذي وفى هذا سر عظيم فى استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلها واما الماء والملح فهو الطب الطبيعى فان فى الملح نفعا كثيرا من السموم ولاسيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان فى لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح لذلك ذكر الطب من النملة وهى بفتح النون واسكان الميم قروح يخرج من الجنب وسمى نملة لان صاحبه يحس فى مكانه كان نملة تدب عليه وتعضه وفى حديث مسلم عن انس انه صلى الله عليه وسلم رخص فى الرقية من الحمة والعين والنملة وروى الخلال ان الشفا بنت عبد الله كانت ترقى فى الجاهلية فلما هاجرت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد بايعته بمكة قالت يا رسول الله انى كنت ارقى فى الجاهلية من النملة واريد ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس رب الناس قال

قال ترقيها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من البترة روى النسائى عن بعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم قال ما عندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على بترة بين اصبعين من اصابع رجليه ثم قال اللهم مطفى الكبير ومكبر الصغير اطفها عنى فطفيت ذكر طبه عليه السلام من حرق النار روى النسائى عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فاصاب كفى من مائها فاحرق ظهر كفى فانطلقت بى امى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذهب الباس رب الناس واحسبه قال واشف انت الشافى وتفل ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بالحمية وهى قسمان عما يجلب المرض وحمية عما يزيده فيقف على حاله فالاولى حمية الاصحا والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد واخذت القوى فى دفعه والاصل فى الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض من استعمال الماء لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك فى اوائل هذا المقصد وقد قال بعض الافاضل الاطباء راس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم فى المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع ما يكون الحمية للناقه من المرض لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب من ابتداء المرض والفاكهة يضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة من دفعها لعدم القوة وفى سنن ابن ماجة عن صهيب قال قدمت على النبى صلى الله

وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت تمرًا فاكلت فقال اتاكل تمرًا
وبك رمد فقلت يارسول الله امضغ من الناحية الاخري فتبسم رسول الله
ففيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد يضرّ به التمر وعن ابن
المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه علي وهو ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه
ياكل منها وقام علي ياكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي انك
ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرًا وسلقا فجئت به فقال صلى الله عليه وسلم
لعلي من هذا اصب فانه انفع لك رواه ابن ماجة وانما منعه صلى الله عليه وسلم
من اكله من الدوالى لان فى الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق
والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه ففي ماء الشعير التغذية والتلطيف
والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من اكبر الادوية قبل الداء لكي تمنع
تزايده وانتشاره قال ابن القيم ومما ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما يحمى عنه
العليل والناقه والصحيح اذا اشتد الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة
فتناول منه الشيء اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله
بل ربما انتفع به فان الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان
ما يخشى من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه وتدفعه من الدواء
ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناوله التمرات

اليسيرة

اليسيرة وعلم انها لا تضره ففي هذا الحديث يعني حديث صهيب سر طبي لطيف
فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان انفع
واقل ضررًا مما لا يشتهيه وان كان نافعًا فى نفسه فان صدق شهوته ومحبة
الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك بالعكس ذكر حمية المريض من الماء عن قتادة
ابن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله لعبد حماه الدنيا
كما يظل احدكم يحمي سقيمه قال الترمذي حديث حسن غريب وروى الحميدي
مرفوعًا لو ان الناس اقلوا من شرب الماء لاستقامت ابدانهم وللطبراني
فى الاوسط عن ابي سعيد مرفوعًا من شرب الماء على الريق انتقضت قوته وفيه
محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الماء
المشمس خوف البرص وروى الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص وروى الدارقطني هذا المعنى
مرفوعًا من حديث عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف وكذا اخرج
العقيلي نحوه عن انس بن مالك ورواه الشافعي عن عمر فعلى هذا يكره استعمال
الماء المشمس شرعًا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطًا ان يكون فى البلاد و
والاوقات الحارة دون الباردة وفى الاواني المنطبعة على الاصح دون الحجر و
الخشب ونحوهما واستثني الفقدان لصفائها وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن
الصلاح ولا يكره المشمس فى الحياض والبرك قطعًا وان يكون الاستعمال فى البدن

في البدن لا في الثوب وان يكون مستعملا في حال حرارته فلو برد زالت الكراهة في الاصح
في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب التهذيب كما
قاله الجيلي ان يكون راس الاناء منسدا لتنجيس الحرارة وفي شرح المهذب بانها شرعية
يثاب تاركها وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية
واذا قلنا بالكراهة فكراهة تنزيه لا يمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف
الاذى حرم قال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب استعماله واختار النووي
في الروضة عدم الكراهة مطلقا وحكاه الروياني في البحر عن النص ذكر الحمية
من طعام البخلاء عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام
البخيل داء وطعام الاسخياء شفاء رواه التنيسي عن مالك في غير الموطا كما ذكره
عبد الحق في الاحكام ذكر الحمية من داء الكسل روى ابو داود في المراسيل
عن يونس عن ربيعه بن ابي عبد الرحمن انه رواه مضطجعا في الشمس قال يونس فنهاني
وقال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين
ذكر الحمية من داء البواسير عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يجامعهن احدكم وبه حقن خلاء فانه يكون منه البواسير رواه ابو احمد الحاكم
ذكر حماية الشراب من سم احد جناحي الذباب باغماس الثاني عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه
كله ثم ليطرحه فان في احد جناحيه شفاء وفي الاخر داء وفي رواية ابي داود

انه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم
ويوخر الشفاء وفي قوله كله رفع توهم المجاز في الاكتفاء بالبعض قال شيخ الاسلام
لم يقع لي في شيء من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره لكن ذكر بعض العلماء
انه تامله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي فيه الشفاء واخرج
ابو يعلى عن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعون ليلة والذباب كله في النار الا النحل
وسنده لا باس به قال الجاحظ كونه في النار ليس تعذيبا له بل ليعذب باهل النار
ويتولد من العفونة ومن عجيب امره ان رجيعه يقع على الثوب الاسود ابيض وبالعكس
واكثر ما يظهر في اماكن العفونة ومبدء خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر
الطيور سفادا وربما اتى عامة اليوم على الانثى ويحكى ان بعض الخلفاء سال الشافعي
لاي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة قال الشافعي
سالني ولم يكن عندي جواب فاستنبط ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه
ورضوانه ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل في الاناء بالليل
بتغطيته عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا الاناء واوكوا السقاء
فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء او سقاء ليس عليه وكاء
الا ينزل فيه من ذلك الوباء رواه مسلم في صحيحه قيل وذلك في اخر شهور السنة
الرومية ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقى روى ابو داود في المراسيل باسناد
صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسترضع الحمقى

فان اللبن يشبه وعند ابن حبيب بعدى وعند القضاعى بسند حسن من حديث
ابن عباس مرفوعا ان الرضاع يغير الطباع وعند حبيب ايضا مرفوعا انه نهى
عن استرضاع الفاجرة وعن عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع لمن يسترضع واما الحمية
من البرد فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل ابا الدرداء لكن قال شيخ
الحفاظ بن حجر لا اعرفه فان كان واردا فيحتاج الى تاويل فان ابا الدرداء عاش
بعد النبى صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى واما ما اشتهر اصل كل داء البرد قال شيخنا
رواه ابو نعيم والمستغفرى معا فى الطب النبوي والدارقطنى فى العلل كلهم من طريق
تمام ان نجيح عن الحسن البصري عن انس رفعه وتمام ضعفه الدارقطنى وغيره ووثقه
بن معين وغيره ولابى نعيم ايضا من حديث ابن المبارك عن السايب بن عبد الله
بن على بن زحر عن ابن عباس مرفوعا مثله وحديث عمرو بن الحارث عن دراج عن
ابى الهيثم عن ابى سعيد رفعه اصل كل داء من البرد قد قال الدارقطنى عقب
حديث انس من علله عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه الصواب
وجعله الزمخشري فى الفايق من كلام ابن مسعود قال الدارقطنى فى كتاب التصحيف
قال اهل اللغة رواه المحدثون يعنى باسكان الراء والصواب البردة بالفتح وهى التخمة
لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة بطية الذهاب من برد اذا
ثبت وسكن وقد اورد ابو نعيم مضموما لهذه الاحاديث حديث الحرث بن
عن زياده بن ميناء عن ابى هريرة رفعه استدفئوا من الحر والبرد وكذا اورد المستغفرى

مع ما عنده منها حديث اصل كل داء البردة وهما ضعيفان وذلك شاهد
لما حكى عن اللغويين فى كون المحدثين رووه بالسكون انتهى الفصل الثانى فى تعبيره
يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة فى ذلك واما
الرؤيا بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة فهى ما يراه الشخص فى منامه قال القاضى ابو
بكر بن العربى فى الرؤيا ادراكات علقها الله تعالى فى قلب العبد فى يدي ملك
او شيطان اما باسمائها او حقيقتها ولما نكبها او بعبارتها واما تخليطا وذهب
القاضى ابو بكر بن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الراي قد يرى نفسه
بهيمة او طايرا مثلا وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد قد
يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربى والاول اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره
ابن الطيب من قبيل المثل فالادراك انما يتعلق به لا باصل الذات وقال المازري كثر
كلام الناس فى حقيقة الرؤيا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة
لانهم حاولوا الوقوف فى حقايق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم
لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمى الى الطب ينسب جميع الرؤيا
الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم راى انه يسبح فى الماء ونحو ذلك
لمناسبة الماء طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفراء راى النيران والصعود
فى الجو وهكذا الى اخره وهذا وان جوزه العقل وجاز ان يجرى العادة به لكنه لم يقم
عليه دليل ولا اطردت به عادة والقطع فى موضع التجويز غلط ومن ينتمى الى

الفلسفة يقول ان صور ما يجرى فى الارض هى فى العالم العلوي كالنقوش فما حاذي
بعض النفوس فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه
والانتقاش من صفات الاجسام واكثر ما يجرى فى العالم العلوي الاعراض و
الاعراض لا ينتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل السنة ان الله تعالى يخلق
فى النائم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان فاذا خلقها فكانه جعلها علما
فى امور اخرى يخلقها فى ثانى الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما
يقع لليقظان ونظيره ان الله تعالى خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك
الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يحضره والعلم عند الله
واخرج الحاكم العقيلي من رواية محمد بن عجلان من سالم بن عبد الله بن عمر
عن ابيه قال لقى عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل الرؤيا فمنها ما يصدق و
منها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من عبد ولا امة ينام فيمتلى نوما الا تخرج روحه الى العرش فالذي
لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذي يستيقظ دون
فتلك الرؤيا التى تكذب قال الذهبي فى تلخيصه هذا حديث منكر ولم
يصححه المولف وذكر ابن القيم حديثا مرفوعا غير معزو وان رؤيا المومن
كلام يكلمه ربه فى المنام ووجد الحديث للترمذي فى نوادر الاصول
من حديث عبادة بن الصامت اخرجه فى الاصل الثامن والسبعين وهو

من

من روايته عن شيخه عمر بن عمر وهو واه وفى سنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير
عن عبادة قال الحكيم قال بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب اى فى المنام ورؤيا الانبيا وحى بخلاف غيرهم
فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رؤيا غير الانبياء فانها قد يحضرها الشيطان
وقال الحكيم ايضا وكل الله بالرؤيا ملكا اطلع على احوال بنى ادم من اللوح المحفوظ
فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلا فاذا نام مثل له تلك الاشياء على طريقة
الحكمة ليكون له بشرى وانذارة او معاتبة والادمى تسلط عليه الشيطان
لشدة العداوة بينهما وهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره بكل طريق
فيلبس عليه رؤياه اما بتغليطه او بغفلته عنها وفى البخاري من حديث انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة و
اربعين جزوا من النبوة والمراد غالب رؤيا الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث
ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة
تسلط الشيطان عليهم وقد استشكل كون الرؤيا جزوا من النبوة مع ان النبوة
قد انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واجيب بان الرؤيا ان وقعت منه ءم
فهى جزء من اجزاء النبوة حقيقة ومن غير النبى صلى الله عليه وسلم فهى جزء من اجزاء
النبوة على سبيل المجاز وقيل المعنى انها جزء من علم النبوة لان النبوة وان
قطعت فعلمها باق وتعقب بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل ايعبر الرؤيا

كل احد فقال با البنوة يلعب ثم قال الرؤيا جزء من النبوة واجيب بانه لم يرد
انها نبوة باقية وانما اراد انها لما اشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض
الغيب لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير علم فليس المراد ان الرؤيا الصالحة نبوة لان
المراد تشبيه الرؤيا بالنبوة وجزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال
اشهد ان لا اله الا الله رافعا صوته لا يسمى مؤذنا وفي احديث ام كرز الكعبية
عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعند
احمد من حديث عايشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا وفي حديث
ابن عباس عند مسلم وابي داود انه عليه السلام كشف الستارة وراسه معصوب
في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف ابي بكر فقال يا ايها الناس انه لم يبق
من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له والتعبير بالمبشرات
خرج مخرج الغالب فان الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمومن رفقا
به ليستعد لما يقع قبل وقوعه قوله من الرجل لا مفهوم له فان المراة الصالحة كذلك
وحكى ابن بطال الاتفاق عليه وقوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
كذا في اكثر الاحاديث مسلم من حديث ابي هريرة جزء من خمسة واربعين
جزء وعنده ايضا من حديث عمر جزء من سبعين جزءا وعند الطبراني جزء
من ستة وسبعين وسنده ضعيف وعند ابن عبد البر من طريق عبد العزيز
بن المختار عن ثابت عن انس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزءا ووقع في شرح مسلم

للنووي وفي رواية عبادة اربعة وعشرين والذي تحصل من الروايات عشرة
اقلها ما عند النووي واكثرها من ستة وسبعين واضربنا عن باقيها حرف الاطالة
قال القاضي ابو بكر بن العربي اجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها الا ملك او نبي وانما القدر
الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم ان الرؤيا جزء من اجزاء النبوة في الجملة لان
فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما واما تفضيل النسبة فيختص بمعرفة درجة النبوة
وقال المازري لا يلزم العالم ان يعرف كل شيء جملة وتفصيلا فقد جعل الله للعالم
حدا يقف عنده فمنه ما يعلم المراد به جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا
تفصيلا وهذا من هذا القبيل وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وابدي
لها مناسبة فنقل ابن بطال عن سعيد السفاقسي ان بعض اهل العلم ذكر ان الله اوحى الى
نبيه في المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها
الى الوحي في المنام جزء من ستة واربعين جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلثا وعشرين
على الصحيح قال ابن بطال هذا التاويل بعيد من وجهين احدهما انه قد اختلف في
قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني انه يبقى
وهنا قاله ابن الانكار في هذه المسئلة سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض
اهل العلم يقول في تاويل هذا العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك انه عليه السلام
اقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحى اليه في منامه ستة اشهر وهي
نصف سنة وهي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال الخطابي وهذا

وان كان وجها يحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من قاله ان يثبت
ادعاه خبرا ولم نسمع فيه اثرا ولا ذكر مدعيه فى هذا خبرا فكانه قاله على سبيل
الظن والظن لا يغنى من الحق شيئا وليس كما خفى علينا علمه يلزمنا حجته كاعداد
الركعات وايام الصيام ورمى الجمار فانا لا نصل من علمها الى امر يوجب حصرها
تحت اعدادها ولم يقدح ذلك فى موجب اعتقادنا للزومها وفذكروا فى المناسبات
غير ذلك مما يطول ذكره وعن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اصدق
الرؤيا بالاسحار رواه الترمذي والدارمى وروى مسلم من حديث ابى هريرة عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم
رؤيا اصدقكم حديثا قال الخطابى فى المعالم فى قوله اذا اقترب الزمان
قولان احدهما ان يكون معناه تقارب زمان الليل زمان النهار وهو وقت استوا[نهما]
ايام الربيع وذلك وقت لاعتدال الطبايع الاربع غالبا قال والمعبرون يقولون
اصدق الرؤيا ما كان عند اعتدال الليل والنهار وادراك النهار والثانى ان اقتراب
الزمان مدته اذا دنا قيام الساعة وتعقب الاول بانه يبعده ما لنصد بالمومن
فان الوقت لذلك يعتدل فيه الطبايع لا يختص به وجزم ابن بطال بان الثانى هو الصو
واستند الى ما اخرجه الترمذي من طريق معمر عن ايوب فى هذا الحديث بلفظ
فى اخر الزمان لا تكذب رؤيا المومن وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي
عند بسط العدل وكثرة الامن وبسط الخير والرزق فان ذلك الزمان يستقصر

لا

لاستلذاذه فتتقارب اطرافه وقال القرطبى فى المفهم المراد والله اعلم باخر
الزمان المذكور فى هذا الحديث زمان الطايفة الباقية مع عيسى بن مريم
بعد قتله الدجال فاهل هذا الزمان احسن هذه الامة حالا بعد الصدر الاول
واصدقهم اقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب ومن ثمه قال عقب هذا واصدقكم
حديثا وانما كان كذلك لان من كثر صدقه تنور قلبه وقوى ادراكه وانتقشت
فيه المعانى على وجه الصحة وكذلك من كان غالب احواله الصدق فى يقظته
استصحب ذلك فى نومه فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والخلط فانه
يفسد قلبه ويظلم فلا يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا
فيرى الصادق ما لا يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم انتهى ملخصا وعن ابى
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راى احدكم الرؤيا
يحبها فانما هى من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره
فانما هى من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره
رواه البخاري وفى رواية مسلم ورؤيا سوء من الشيطان فمن راى رؤيا
فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها احدا
فان راى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر من يحب وقوله فليبشر بفتح التحتانية و
سكون الموحدة وضم المعجمة من البشري وفى حديث ابى رزين عند الترمذي ولا
يقصها الا على واد بتشديد الدال اسم فاعل من الود او ذى راى وفى اخرى لا يحدث

بها الا لبيبًا او حبيبًا وفى اخرى لا تقص رؤياك الا على عالم او ناصح وفى حديث
ابى سعيد بن عند مسلم فليحمد الله عليها وليحدث بها وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا
الصالحة ثلثه اشياء ان يحمد الله عليها وان يستبشر بها وان يتحدث بها لكن لمن
يحب دون من يكره وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا المكروهة اربعة اشيا ان يتعوذ
بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل حين يهب من نومه ولا يذكرها لاحد اصلا
وفى البخاري من حديث ابى هريرة خامسة وهى الصلاة ولفظه فمن راى شيئا يكرهه
فلا يقصه على احد وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم
وزاد سادسة وهى التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر يرفعه اذا راى
احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق على يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلثا
وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغى ان يجمع هذه الروايات كلها
ويعمل بجميع ما تضمنه فان اقتصر على بعضها اجزاه فى دفع ضررها كما صرحت
به الاحاديث وتعقبه الحافظ بن حجر بانه لم ير فى شئ من الاحاديث الاقتصار
على واحد ثم قال لكن اشار المهلب الى ان الاستعاذة كافية فى دفع شرها انتهى
ولا ريب ان الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبى لانه اذا قام يصلى تحول
عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة فى الوضوء واستعاذ قبل القراة ثم
دعاء الله فى اقرب الاحوال اليه فيكفيه الله شرها وذكر بعضهم سابعة و
هى قراءة اية الكرسى ولم يذكر لذلك مستندا فان اخذه عن عموم قوله فى حديث

ابى

ابى هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه وان ينبغى ان يقراها فى صلاته المذكورة
وحكمة النفل كما قاله القاضى عياض انه طردا للشيطان الذى حضرها الرؤيا
المكروهة تحقيرا له واستقذارا وخصت به اليسار لانها محل الاقذار ونحوها
والتثليث للتاكيد وقد ورد النفل والنفث والبصق قال النووى فى الكلام
على النفث فى الرقية تبعا للقاضى عياض اختلف فى النفل والنفث فقيل هما
بمعنى واحد ولا يكونان الا بريق وقال ابو عبيد يشترط فى النفل ريق يسير
ولا يكون فى النفث وقيل عكسه وسالت عايشة عن النفث فى الرقية فقالت
كما ينفث اكل الزبيب لا ريق معه قال والاعتبار بما يخرج معه من بله بغير قصد
قال وقد جاء فى حديث ابى سعيد فى الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه
قال القاضى عياض وفايدة النفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفث
للمباشرة للرقية للقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والاسما
وقال النووى ايضا واكثر الروايات فى الرؤيا فلينفث وهو النفخ اللطيف
بلا ريق فيكون النفل والبصق محمولين مجازا وتعقبه الحافظ بن حجر بان المطلوب
فى الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان و
اظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو عن عياض كما تقدم فالذي يجمع
الثلاثة الحمل على النفل فانه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر الى الريق قيل له بصق
واما قوله فانها لا تضره فمعناه كما قاله النووى ان الله تعالى جعل ما ذكر سببا للسلامة

من المكروه المترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال واما التحول فللتفاول
تحول تلك الحال التي كان عليها والحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها
الا من يحب لانه اذا حدث بها من لا يحب قد تفسرها له بما لا يحبا ما بغضا واما
حسدًا فقد يقع على تلك الصفة او يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فامر بترك حدث
من لا يحب لسبب ذلك وقد روي من حديث من لا يحب لسبب ذلك وقد روي
من حديث انس مرفوعًا الرؤيا الاول عابر وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي
ولكن له شاهد اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجة بسند حسن وصححه الحاكم
عن ابي رزين العقيلي رفعه الرؤيا على رجل طاير ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت
وعند الدارمي بسند حسن عن سليمان بن يسار عن عايشة قالت كانت امراة من
اهل المدينة لها زوج تاجر يختلف في التجارة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان زوجي غايب وتركني حاملًا فرايت في المنام ان سارية بيتي انكسرت
واني ولدت غلامًا اعور فقال خير يرجع زوجك ان شاء الله صالحًا وتلدين
غلامًا برًا فذكرت ذلك ثلثا فجات ورسول الله صلى الله عليه وسلم غايب
فسالتها فاخبرتني بالمنام فقلت لها لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك
وتلدين غلامًا فاجرًا فقعدت تبكي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
مه يا عايشة اذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فان الرؤيا تكون على ما يعبر
صاحبها وعند سعيد بن منصور من مرسل عطا بن ابي رباح قالت جاءت امراة

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني رايت كان جايزة بيتي انكسرت وكان
زوجها غايبًا فقد رد الله زوجك عنك فرجع سالمًا الحديث قال ابو عبيد
وغيره معنى قوله الرؤيا لاول عابر اذا كان العابر الاول عالمًا فعبر واصاب
وجه التعبير والا فهي لمن اصاب بعده اذ ليس المدار الا على اصابة الصواب
فتعبير المنام ليتوصل بذلك الى مراد الله تعالى فيما ضرب به من المثل فان اصاب
فلا ينبغي ان يسال غيره وان لم يصب فليسال الثاني وعليه ان يخبر بما عنده ويبين
ما جهل الاول هكذا قال وفيه بحث يطول ذكره ومن اداب المعبر ما اخرجه عبد
الرزاق عن معمر انه كتب الى ابي موسى اذا راى احدكم الرؤيا فقصها على اخيه
فليقل خير لنا وشر لاعدائنا ورجاله ثقات ولكن سنده منقطع وفي حديث ابن
زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلائل لما قص على النبي صلى الله عليه وسلم
رؤيا فقال عليه السلام خير تلقاه وشر تتوقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله
رب العالمين اقصص رؤياك الحديث وسنده ضعيف جدًا وياتي ان شاء الله
ومن اداب العابر ان يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند
الزوال ولا في الليل وان لا يقصها على امراة لكن ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان
اذا صلى الغداة يقول هل راى احد الليلة رؤيا فيقص عليه ما شاء الله ان يقص
ويعبر لهم ما يقصونه وبوب عليه البخاري باب تعبير الرؤيا بعد صلوة الصبح
قالوا وفيه اشارة الى ضعف ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن

عن بعض علمائهم قال لا تقصص رؤياك على امرأة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس
وفيه اشارة الى الرد على من قال من اهل التعبير ان المستحب ان يكون التعبير من بعد
طلوع الشمس الى الرابعة ومن العصر الى قبل المغرب فان الحديث دال على استحباب
تعبيرها قبل طلوع الشمس والى يخالف قولهم بكراهة تعبير فى اوقات كراهة
الصلاة قال المهلب تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح اولى من غيره من الاوقات
لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقل ما يعرض له نسيانها ولحضور ذهن العابر
وكله شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه
فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتاهب لذلك فربما كان فى الرؤيا تحذير من
معصية فيكيف عنها وربما كانت انذارا لامر فيكون له مترقبا قال فهذه عدة
فوائد لتعبير الرؤيا اول النهار قاله فى فتح البارى وذكر ائمة التعبير ان من ادب
الرائي ان يكون صادق اللهجة وان ينام على وضوء على جنبه الايمن وان يقرا عند
نومه والشمس والليل والتين وسورتي الاخلاص والمعوذتين ويقول
اللهم اني اعوذ بك من سيئ الاحلام واستجير بك من تلاعب الشيطان فى اليقظة
والمنام اللهم انى اسالك رؤيا صادقة نافعة صالحة حافظة غير منسية
اللهم ارنى فى منامي ما احب وان لا يقصها على عدو ولا على جاهل اذا
علمت هذا فاعلم ان جميع المرائي ينحصر فى قسمين اضغاث احلام وهى لا تنذر
بشئ وهى انواع الاول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كان يرى انه قطع راسه

وهو

وهو يتبعه او راى انه واقع فى هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروى مسلم
عن جابر جاء اعرابى فقال يا رسول الله انى حلمت ان راسى قطع فانا اتبعه فزجره
صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك فى المنام الثانى ان يرى
ان بعض الملائكة يامره ان يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا الثالث
ما تحدث به نفسك فى اليقظة او يتمناه فيراه كما هو فى المنام وكذا رؤية
ما جرت به عادته فى اليقظة او ما يغلب على مزاجه ويقع على المستقبل غالبا
وعن الحال كثيرا وعلى الماضى قليلا القسم الثانى الصادقة وهى رؤيا الانبيا
ومن تبعهم من الصالحين وقد يقع لغيرهم بندور وهى التى تقع فى اليقظة
على وفق ما وقعت فى النوم وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا
الصادقة التى تعلق الصبح ما لا يعد ولا يحد قالت عايشة اول ما بدى به رسول الله
من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جات مثل فلق الصبح
الحديث رواه البخاري وفى رواية الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد بالنسبة
الى امور الاخرة فى حق الانبياء واما بالنسبة الى امور الدنيا فالصالحة فى الاصل
اخص فرؤيا النبى صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة وهو
الاكثر وغير صالحة بالنسبة الى الدنيا كما وقع فى الرؤيا يوم احد فانه صلى الله
رأى بقرا تذبح وراى فى سيفه ثلما فاول البقر ما اصاب اصحابه يوم احد و
الثلم الذى فى سيفه برجل من اهل بيته يقتل ثم كانت العاقبة للمتقين وكان

بعد ذلك النصر والفتح على الخلق اجمعين واما غير الانبياء فبينهما عموم
وخصوص ان فسرنا الصادقة بانها التى لا تحتاج الى تفسير واما ان فسرناها
بانها غير الاضغاث فالصالحة اخص مطلقا وقال الامام نصر بن يعقوب الدينوري
فى التعبير القادري الرؤيا الصادقة ما تقع بعينه او ما يعتبر فى المنام او يخبر به من
لا يكذب والصالحة ما فسر واعلم ان الناس فى الرؤيا على ثلث درجات الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج الى تعبير
والتعبير والصالحون والاغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا
يحتاج الى تعبير ومن عداهم يقع فى رؤياهم الصدق والاضغاث وهم على ثلثة
اقسام مستورون فالغالب استواء الحال فى حقهم وفسقه والغالب على رؤياهم
الاضغاث ونقل فيها الصدق كفار ويندر فى رؤياهم الصدق جدا ويشير الى
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم واصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا اخرجه
مسلم من حديث ابى هريرة وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما فى
صاحبى السجن مع يوسف عليه السلام رؤيا ملكهما وغير ذلك وقد روى الامام
احمد مرفوعا وصححه بن حبان من حديث ابى سعيد اصدق الرؤيا الاسحار ذكر الامام
نصر بن يعقوب الدينوري ان الرؤيا اول الليل تبطى تاويلها ومن النصف الثانى
يسرع بتفاوت اجزاء الليل وان اسرعها تاويلا رؤيا السحر ولا سيما عند طلوع الفجر
وعن جعفر الصادق واسرعها تاويلا القيلولة وعن محمد بن سيرين رؤيا النهار

مثل الليل والنساء كالرجال وعن القيروانى ان المراة اذا رات ما ليست له اهلا
فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده كما ان رؤيا الطفل لابويه ومن رايه الكرامة
عليه السلام شرب اللبن وتعبيره بالعلم كما فى حديث بن عمر عند البخاري قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم اوتيت بقدح لبن فشربت منه
حتى انا لا ارى الرى يخرج فى اظافري ثم اعطيت فضيلى يعنى عمر قالوا فما
اولته يا رسول الله قال العلم وفى رواية الكشيهنى من اظافري وفى رواية صالح
بن كيسان من اطرافى وهذه الرواية تحتمل ان تكون بصرية وهو الظاهر وتحتمل
ان تكون علمية ويؤيد الاول ما اخرجه الحاكم والطبرانى من طريق ابى بكر بن عبد
الله بن عمر عن ابيه عن جده فى هذا الحديث فشربت حتى رايته يجري فى عروقى
بين الجلدي واللحم على انه يحتمل ايضا قال بعض العارفين الذي خلص من بين فرث
ودم قادر على ان يخلق المعرفة من بين شك وجهل وهو كما قال لكن اطردت
الكرامة بان العلم بالتعلم والذي ذكره قد يكون خارقا للعادة فيكون من باب
الكرامة وقال العارف بن ابى جمرة تاول النبى صلى الله عليه وسلم اللبن اعتبارا بما بين
له اول الامر حتى اتى بقدح خمر وقدح لبن فقال له جبريل اخذت الفطرة انتهى وقد
جاء فى بعض الاحاديث المرفوعة تاويله بالفطرة مما اخرجه البزار من حديث ابى
هريرة رفعه اللبن فى المنام فطرة وذكر الدينوري ان اللبن المذكور فى هذا يختص
بلبن الابل وانه لشاربه مال حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال

وفطرة ايضا ولبن الشاة مال وسرور وصحة جسم والبان الوحش في الدين
والبان السباع غير محمودة الا ان لبن اللبوة مال مع عداوة لذي امر وفي
الحديث ان علم النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا يبلغ احد درجته فيه لانه
شرب حتى راى الري يخرج من اطرافه واما اعطاؤه فضله عمر ففيه اشارة الى
ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا تاخذه في الله لومة لائم ووجه التعبير
في الحديث بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببا
للصلاح فاللبن للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي ومن ذلك رؤيته صلى الله
القميص وتعبيره بالدين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله
قال بينما انا نائم رايت الناس يعرضون علي وعليهم قميص منها ما يبلغ الثدي
ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه قميص
يجره قالوا ما اولته يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي رواية الترمذي
الحكيم من طريق اخرى في هذا الحديث فقال ابو بكر على ما تاول هذا يا رسول
الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء جمع ثدي بفتح ثم سكون
والمعنى ان القميص قصير جدا بحيث لا يصل من الحلق الى نحو السرة بل فوقها
وقوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل ان يريد به من جهة السفل وهو الظاهر
فيكون اطول ويكون دونه من جهة العلو فيكون اقصر ويؤيد الاول ما في رواية
الترمذي الحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان

قميصه

قميصه الى ركبته ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله
الدين التقدير اولت ويجوز الرفع وفي رواية الحكيم المذكورة على الايمان وقد قيل
في وجه تعبير القميص بالدين ان القميص يستر العورة في الدنيا والدين يسترها في
الاخرة ويحجبها عن كل مكروه والاصل فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير و
اتفق اهل التعبير على ان القميص يعبر بالدين وان طوله يدل على بقاء اثار صاحبه من بعده
وقال ابن العربي انما اول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين لان الدين يستر عورة
الجهل كما يستر القميص عورة البدن قال واما غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي
هو الذي يستر قلبه عن الكفر ولو كان يتعاطى المعاصي والذي كان يبلغ اسفل من ذلك
وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي الى المعصية والذي يستر رجله هو الذي
احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح
الخالص واشار العارف ابن ابي جمرة الى ان المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون
لتاويله القميص بالدين قال والذي يظهر ان المراد خصوص هذه الامة المحمدية بل
بعضها والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الاوامر واجتناب
المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي ويؤخذ من الحديث ان كل ما يرى في القميص
من حسن وغيره فانه يعبر بدين لابسه قال والنكتة في القميص ان لابسه اذا اختار
نزعه واذا اختار بقاه فلما البس الله المؤمنين لباس الايمان واتصفوا به كان الكامل
في ذلك سابغ الثوب ومن لا فلا وقد يكون نقص الثوب بسبب نقص الايمان

وقد تكون بسبب نقص العمل وفي الحديث ان اهل الدين يتفاضلون في الدين بالقلة
والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من امثلة ما يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعًا
اعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله عن عبيد الله ومن ذلك رؤيته عم
السوارين الذهب في يده الشريفة روي البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سالت
عبد الله بن عباس عن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكر فقال ابن عباس ذكر لي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نايم رايت انه وضع في يدي سواران
من ذهب فقطعتهما وكرهتهما فاذن لي فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان
فقال عبد الله احدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والاخر مسيلمة وفي
رواية ابي هريرة عند الشيخين بينا انا نايم اذ اوتيت خزاين الارض فوضع في يدي
سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فاولتهما
الكذابين الذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة قال المهلب هذه الرؤيا
ليست على وجهها وانما هي ضرب من المثل وانما اول النبي صلى الله عليه وسلم السوارين
بالكذابين لان الكذب وضع الشي في غير موضعه فلما راي في ذراعه سوارين
من ذهب وليسا من لبسه لانهما من حلية النسا عرف انه سيظهر من يدعي ما ليس له
وايضًا ففي كونهما من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب وايضًا فالذهب
مشتق من الذهاب فعلم انه شي يذهب عنه وتاكد ذلك بالاذن له في نفخهما فطارا
فعرف انه لا يثبت لهما امر وان كلامه بالوحي الذي جاء يزيلهما عن موضعهما وقال

ابن

ابن العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع بطلان امر مسيلمة والعنسي فاول
الرؤيا عليهما ليكون ذلك اخراجًا للمنام عليهما فان الرؤيا اذا عبرت
خرجت ويحتمل ان يكون بوحي والمراد بخزاين الارض التي ذكرها ما فتح على امته من
الغنايم ومن ذخاير كسرى وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن الارض التي فيها الذهب
والفضة وقال القرطبي انما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النساء
ومما حرم على الرجال وفي طيرانهما اشارة الى اضمحلال امرهما ومناسبة هذا التاويل
لهذا الرؤيا ان اهل صنعا واهل اليمامة كانوا اسلموا فكانوا كالمساعدين للاسلام
فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا على اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة
انخدع اكثرهم بذلك فكانا اليدين بمنزلة البلدين والسوارين بمنزلة الكذابين
وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفا والزخرف من اسماء الذهب وقال اهل التعبير
من راي انه يطير فان كان الى جهة السما بغير تعريج ناله ضرر فان غاب في السماء ولم يرجع
مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضًا سافر ونال رفعة بقدر طيرانه
ومن ذلك رؤيته عليه السلام المراة السودا الثايرة الراس وتعبيرها بنقل وباء
المدينة الى الجحفة وروي البخاري من حديث عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت امراة سوداء ثايرة الراس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة
فاولتها ان وباء المدينة نقل اليها وهذا من قسم الرؤيا المعبرة وهي مما ضرب به
المثل ووجه التمثيل انه شق من اسم السوداء السوء والداء فتاول خروجها بما جمع

اسمها وتاول من ثوران من شعر راسها ان الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة وقال المقير واني من اهل التعبير كل شي غلبت عليه السوداء في اكثر وجوهها فهو مكروه وقال غيره ثوران الراس يوول بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الراس لاسيما من السودا فانها اكثر استيحاشا ومن ذلك رؤيته عليه السلام انه في درع حصينة وبقرا تنحر وتعبير ذلك عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورايت فيها بقرا والله خير فاذا هم النفر من المومنين يوم احد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر رواه الشيخان وروي الامام احمد وغيره عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت كاني في درع حصينة ورايت بقرا تنحر فاول الدرع الحصينة المدينة والبقر بقر وهذه اللفظة الاخيرة وهي بقر بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر وبقره يبقره بقرا ولهذا الحديث سبب جاء بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسايي و الطبراني وصححه الحاكم من طريق ابي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في قصة احد واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه للامة وندامتهم على ذلك وقوله لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رايت اني في درع حصينة الحديث بنحو حديث جابر واتم منه وقد تقدمت الاشارة اليه في غزوة احد من

المقصد

المقصد الاول والمراد بقوله واذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي اتانا الله بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة اي ما جاء الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المومنين قال في فتح الباري وفي هذا السياق اشعار بان قوله في الخير والله خير من جملة الرويا قال والذي يظهر لي ان لفظه والله خير لم يتحرر ايراده وان رواية ابن اسحق هي المحررة وانه راي بقرا وراي خيرا فاول البقر على من قتل من اصحابه يوم احد واول الخير على من حصل لهم من ثواب الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا لا يختص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال ومن ذلك رؤيته عليه السلام انه اتي برطب روي مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت الليلة فيما يري النايم كاني في دار عقبة بن رافع واتيت برطب من رطب ابن طاب فاولته ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الاخرة وان ديننا قد طاب ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم سيفا بهزه وتعبيره في حديث ابي موسى المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ورايت في رؤياي هذه اني هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب به المومنون يوم احد ثم هززته اخري فعاد احسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المومنين رواه الشيخان وهذه ايضا من ضرب المثل ولما كان صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره بهم وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفي الهزة الاخرة لما عاد الى حالته من الاستوا

عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم وقال اهل التعبير السيف يصرف على اوجه
منها ان من نال سيفا فانه ينال سلطانا اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما
فان سله من غمده فانثلم سلمت زوجته واصيب ولده وان انكسر الغمد وسلم السيف
فبالعكس وان سلما او عطبا وكذلك وقايم السيف يتعلق بالاب والعصبات
ونعله بالام وذوي الرحم وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه يجرده
في خصومة وعبر السيف بسلطان جابر وقال بعض اهل التعبير ايضا من راي انه غمد
سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط لسانه فيه ومن راي انه يقاتل اخر
وسيفه اطول من سيفه فانه يغلبه ومن راي سيفا عظيما فهو فتنة ومن قلد سيفا
قلدا مرا فان كان قصيرا لم يدم امره ومن ذلك روٴيته عليه السلام انه على قليب
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نايم رايتني على قليب
وعليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها دلوا او
دلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها عمر بن الخطاب
فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن وعبقري
القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي رواية فلم يزل ينزع حتى تولى الناس
والحوض يتفجر وفي رواية فاتاني ابو بكر فاخذ الدلو من يدي ليريحني وفي رواية
موسى عن سالم عن ابيه رايت الناس اجتمعوا فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي
نزعه ضعف والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما رايت من الناس

يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي قالوا هذا المنام
مثال جري للخليفتين من ظهور اثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك
ماخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر
قواعد الدين ثم خلفه ابو بكر فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع
الاسلام في زمنه فشبه امر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم
وامرهم المستقي لهم منها وفي قوله فاخذ الدلو من يدي ليريحني اشارة الى خلافة
ابي بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها
فقام ابو بكر بتدبير امر الامة ومعاناة احوالهم واما قوله وفي نزعه ضعف
فهو اخبار عن حاله في قصر مدة ولايته واما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع
الناس بها واتسعت دايرة الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين
الدواوين وليس في قوله عليه السلام ويغفر الله له نقص ولا اشارة الى انه وقع
ذنب وانما هي كلمة كانوا يقولونها وقوله فاستحالت في يده غربا اي تحولت الدلو
غربا بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة اي دلوا عظيما واخرج احمد وابو
داود عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يا رسول الله رايت كان دلوا دلي
من السماء فجاء ابو بكر فاخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فاخذ بعراقيها
فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فانتشطت
وانتضح عليه منها شيء والعراقي جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعرضة على

فم الدلو وهما عرقوتان كالصليب وقد عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها
وانتشطت اي جذبت ورفعت هذه بنذة من مرائيه الكريمة صلى الله عليه وسلم
مع تعبيرها واما ما راه غيره فعبره صلى الله عليه وسلم له يخص ويعم من امور
الدنيا والاخرة وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلوة الصبح اقبل
اصحابه فقال من راى منكم الليلة رؤيا فليقصها علي اعبرها له فيقص عليه الناس مرائيهم
وروي البخاري والترمذي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله ع م
يكثر ان يقول لاصحابه هل راي احد منكم رؤيا فقالوا ما منا احد راى شيا قال لكني
اتاني الليلة اتيان وانهما ابتعثان فقالا لي انطلق فانطلقت فاتينا على رجل مضطجع
واذا اخر قايم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة على راسه فيثلغ راسه الحديث
واقام عليه السلام يسال اصحابه هل راي منكم الليلة احد رؤيا ماشاء الله ثم ترك
السؤال فكان يعبر لمن قص متبرعا واختلف النقلة في سبب تركه السؤال فقيل
فقيل سبب ذلك حديث ابي بكرة عند الترمذي وابي داود انه صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم من راي منكم رؤيا فقال رجل انا يا رسول الله رايت كان ميزانا نزل
من السماء فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح
ابو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عثمان ثم رفع الميزان فراينا الكراهة في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قالوا فمن حينئذ لم يسئل النبي صلى الله عليه وسلم
احد من رؤيا قال بعضهم وسبب كراهته عم ايثاره بستر العواقب واخفا المراتب

فلما

فلما كانت هذه الرؤيا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم على بعض في التعيين
حتى انه يتواتر ويتوالى الى ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله في ستر خلقه حكمة بالغة
ومشية نافذة وقال ابن قتيبة فيما ذكره بن المنير سبب تركه السؤال حديث بن زمل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال صلى الله عليه وسلم وهو ثان رجليه
سبحان الله وبحمده واستغفر الله ان الله توابا سبعين مرة ثم يقول سبعون بسبع ماية
لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم اكثر من سبعماية ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل
راى احد منكم شيا قال ابن زمل فقلت ذات يوم انا يا رسول الله قال خير تلقاه وشر
توقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك قال
رايت جميع الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس على الجادة منطلقون فبينما هم
كذلك اشفى ذلك الطريق بهم على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من انواع
الكلاء فكاني بالرعلة الاولى حين اشرفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق
فلم يصلوهم يمينا ولا شمالا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتفع ومنهم لاحد
الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج فاذا انا بك
يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا عن يمينك
رجل اقنا ادم اذا هو تكلم يسمو يكاد يفرع الرجال طولا واذا عن يسارك رجل ربعة
تار احمر كثير خيلان الوجه اذا هو تكلم اصغيتم له اكراما له واذا امام ذلك شيخ
كانكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفا شارف واذا انت كانك تبعثها يا رسول الله

قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سر عنه فقال اما ما رايت
من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك ما حملتكم عليه من الهدى فانتم عليه
واما المرج الذي رايت فالدنيا وغضارة عيشها لم يتعلق بها ولم تردنا ولم نردها
واما الزعلة الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله وانا اليه راجعون واما انت
فعلى طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما المنبر فالدنيا سبعة الاف
سبعة الاف سنة انا في اخرها الفا واما الرجل الطويل الادم فذلك موسى مكرمة
بفضل كلام الله اياه واما الرجل الربعة التار الاحمر فذلك عيسى عيسى عليه السلام
تكرمه بفضل منزلته من الله واما الشيخ الذي رايت كاننا تقتدي به فذلك ابراهيم
صلى الله عليه وسلم واما الناقة العجفاء الشارف التي رايتني ابعثها فهي الساعة علينا
اي على الامة تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعد امتي قال الراوي فما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذا احدًا من رؤيا الا ان يجي الرجل متبرعًا فيحدثه بها رواه قتيبة والطبراني والبيهقي
في الدلايل وسنده ضعيف جدًا ومن غرايب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم
من التعبير ان زرارة بن عمرو النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
وفد النخع فقال يا رسول الله اني رايت في طريقي هذا رؤيا رايت اتانا تركتها في الحي ولدت
جديًا اسفع احوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من امة تركتها
مصرة حملًا قال نعم تركت امة اظنها قد حملت قال فقد ولدت غلامًا وهو ابنك قال
فما باله اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك برص تكتمه قال نعم والذي

بعثك بالحق نبيًا ما راه مخلوق ولا علم به قال فهو ذاك قال ورايت النعمان بن المنذر
عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب عاد الى افضل زيه وبهجته
قال رايت عجوزًا شمطاء تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارًا خرجت
من الارض فحالت بيني وبين ابن لي فقال له عمرو ورايتها تقول لظى لظى بصير واعمى
واعمى اطعموني اكلكم كلكم اهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تكون في اخر الزمان
قال وما الفتنة يا رسول الله قال تفتك الناس بامامهم ثم يشتجرون اشتجار اطباق الراس
وخالف صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء انه محسن ودم المومن عند المومن
احلى من شرب الماء فانظر الى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة محشوًا حلاوة الحق
مكسوًا طلاوة الصدق محلوًا بانوار الوحي والاسفع الذي اصاب جسده لون اخر
والاحوى الاسود ليس بالشديد والمسكتان السوارتان من ذهب واطباق عظم الراس
والاشتجار الاختلاف والاشتباك فان قلت تعبيره عليه السلام السوارين هنا
يرجع الى بشرى وغيرهما بالكذابين في ما مر اجيب بان النعمان بن المنذر كان ملك
العرب وكان ملكًا من جهة الاكاسرة وكانوا يسورون الملوك ويحلونهم وكان
السواران من زي النعمان ليسا بمنكرين في حقه ولا موضوعين في غير موضعهما
عرفًا واما النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن لباس الذهب لاحاد امته فجدير ان
يهمه ذلك لانه ليس من زيه فاستدل به على امر يوضع في غير موضعه ولكن حمدت
العاقبة بذهابهما ولله الحمد ومن ذلك ما روي عن قيس بن عباد بضم العين وتخفيف

الموحدة كنت فى خلقه فيها سعد بن مالك وابن عمر فمرّ عبد الله بن سلام فقالوا هذا رجل
من اهل الجنة فقلت له انهم قالوا كذا قال سبحان الله ما كان ينبغى لهم ان يقولوا ما ليس لهم
به علم انما رايت كانما عمود وضع فى روضة خضرا فنصب فيها وفى راسها عروة وفى
اسفلها منصف والمنصف الوصيف فقال ارقه فرقيته حتى اخذت بالعروة فقصصتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يموت عبد الله وهو اخذ بالعروة الوثقى
رواه البخاري وفى روايته حرشة بينما انا نايم اتانى رجل فقام لم قم فاخذ بيدي
فانطلقت معه فاذا انا بجواد بجيم ودال مشددة جمع جادة وهى الطريق المسلوك
عن شمال قال فاخذ لاخذ فيها اى اسير فقال لا تاخذ فيها فانها طريق اصحاب الشمال
وفى رواية النسايى من طريقه فبينما انا امشى اذ عرض لى طريق عن شمالى فاردت
ان اسلكها فقال انك لست من اهلها وفى رواية مسلم فاذا منهج على يمينى فقال لى اصعد
خذ ههنا فاتى بى جبلا فقال لى اصعد قال فجعلت اذا اردت ان اصعد خررت حتى
ذلك مرارا وفى رواية ابن عون فقال تلك الروضة روضة الاسلام وتلك العروة
الوثقى لا تزال مستمسكا بالاسلام حتى تموت وفى رواية خرشة عند النسايى وابن ماجه
قال رايت خيرا اما المنهج فالمحشر واما الجبل فهو منزل الشهداء زاد مسلم ولن تناله
وهذا علم من اعلام نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فان عبد الله بن سلام لم يمت
شهيدا وانما مات على فراشه فى اول خلافة معاوية بالمدينة وقولهم انه من اهل الجنة
اخذوه من قوله لما ذكر طريق الشمال انك لست من اهلها وانما قال ما كان ينبغى لهم ان يقولوا

ما ليس لهم به علم على سبيل التواضع وكراهية ان يشار اليه بالاصابع خشية
ان يدخله العجب عافانا الله من ساير المكاره وقال القيرواني الروضة التى لا يعرف
بينها تعبر بالاسلام لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر ايضا بكل مكان فاضل وقد تعبر
بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك انتهى وقال غيره من المعبرين الحلقة والعروة
المجهولة تدل لمن تمسك بها على قوته فى دينه واخلاصه فيه ومن ذلك ما رواه
البخاري عن ام العلاء وهى امراة من نسايهم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارايت لعثمان بن مظعون بعد موته فى النوم عينا تجرى فجيت رسول الله صلى الله
فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله يجري له وقد قيل يحتمل انه كان لعثمان شيء من
من عمله بقى له ثوابه جاريا كالصدقة وانكره مغلطاي وقال لم يكن شيء من الامور
الثلاثة التى ذكرها مسلم فى حديث ابى هريرة رفعه اذا مات ابن ادم انقطع عمله
الا من ثلاثة وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بانه كان ولد صالح شهد بدرا وما بعدها
وهو السايب مات فى خلافة ابى فهو احد الثلاثة قال وقد كان عثمان من الاغنياء
فلا يبعد ان يكون له صدقة استمرت بعد موته وقال المهلب العين الجارية تحتمل وجوها
فان كان ماؤها صافيا عبرت بالعمل الصالح والا فلا وقال غيره العين الجارية
عمل جار من صدقة او معروف الحى او ميت وقال اخر عين الماء نعمة وبركة و
خير وبلوغ امنية ان كان صاحبها مستورا فان كان غير عفيف اصابته مصيبة
يبكى لها اهل داره والله اعلم فهذا طرف من تعبيره عليه السلام يهدى الى غيره

مما يشابهه والا فالذي نقل عنه صلى الله عليه وسلم من غرايب التاويل ولطايف
التعبير كما قاله ابن المنير لا تحصره المجلدات وانت اذا تاملت ان كل كرامة اينها واحد
من هذه الامة في علم او عمل هي من اثار معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم وسر
تصديقه وبركات طريقه وثمرات الاهتداء بهديه وتوفيقه واستحضرت
ما اوتيه الامام محمد بن سيرين من لطايف التعبير مما شاع وذاع وامتلاءت بلاد الاسماع
طبق الارض صدقا وصوابا وعجبا وعجابا بل عجاعيابا قضيت بان ما منحه
من العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات ولا يدرك حقيقة كنهه الاشارات
واذا كان هذا ابن سيرين واحد من امته عليه السلام نقل عنه من فن التعبير
ما لا يعد لكثرة فكيف به صلى الله عليه وسلم زاده الله فضلا وشرفا لديه وافاض
علينا من سحايب علومه ومعارفه وتعطف علينا بعواطفه الفصل الثالث في
انبايه صلى الله عليه وسلم بانباء المغيبات اعلم ان علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع
منه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي والهام
والشاهد لهذا قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
لتكون معجزة له واستدل به على ابطال الكرامات واجيب بتخصيص الرسول بالملك
والاظهار بما يكون بغير توسطه وكرامات الاوليا على المغيبات انما تكون برؤيا
الملايكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء في حديث انه صلى الله عليه وسلم
قال والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي وكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من

الابناء

الانباء المبينة عن الغيوب ليس هو الا من اعلام الله له اعلاما على ثبوت نبوته و
دلايل على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر امره عليه السلام بين اصحابه بالاطلاع
على الغيوب حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره
لاخبرته حجارة البطحاء ويشهد لهذا قول ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه … اذا انشق معروف من الصبح ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا … به موقنات ان ما قال واقع

وقول حسان بن ثابت

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله … ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غايب … فتصديقها في ضحوة اليوم او غد

وهذا الفصل ينقسم قسمان الاول فيما اخبر به عليه السلام مما نطق به القران العظيم من ذلك قوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فقوله ولن تفعلوا اخبار عن غيب تقضي العادة بخلافه ومن ذلك
قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم الاية فانه قد كانت لقريش قافلتان احديهما ذات غنيمة دون الاخرى
فاخبر الله عما في ضمايرهم واخبرهم ما وعد ولا شك ان الوعد كان قبل اللقاء لان
الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جايز ومن ذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر
وهذا اخبار عن المستقبل لان السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر
وقد يكون كان عددهم ما بين سبعماية الى الف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان

وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير ابن العوام والاخرى للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل ابطالهم واغتنام اموالهم ومن ذلك قوله تعالى في كفار سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوا فالقى الله الرعب في قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الى قوله لا يخلف الله وعده وسبب نزول هذه الاية ان كسرى وقيصر تقاتلا فقلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك لان الروم اهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به فاخبر الله تعالى بان الروم بعد ان غلبوا سيغلبون في بضع سنين والبضع ما بين الثلاث الى العشرة فغلبت الروم اهل فارس يوم الحديبية واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه ابدا فاخبر فوجد مخبره كما اخبر فلو لم يعلموا ما يلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمني ولو لم يعلم ذلك لخشي ان يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب

قال

قال البيضاوي وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب فيخفى وروي مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ومن ذلك قوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية هذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بان سيجعل امته خلفاء الارض ايمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلن من بعد خوفهم من الناس امنا وحكما فيهم وقد فعل ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وساير جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندر وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمة ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلم شعث ما وهى عند موته عليه السلام فاهد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا اخر صحبة ابي عبيدة الى ارض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق ومخالفيها من بلاد حوران وما والاها

وفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام واهله بان الهم الصديق ان
يستخلف عمر الفاروق فقام في الامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء
على مثله في قوة سيره وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار
مصر الى اخرها واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى
مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينيه وانفق
اموالهما في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما
كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق الارض ومغاربها
ففتحت بلاد الغرب الى اقصى ما هنالك اندلس وقيران وسبعة مما يلي البحر المحيط ومن
ناحية المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مداين
العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجيء بالخراج
من المشارق والمغارب الى حضرة امير المومنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته
ودراسته وجمعه للامة على حفظ القران فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله
وصدق الله ورسوله ومن ذلك قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود
اذل الكفار في كل مكان وزمان كما اخبر ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهذا ظاهر في العيان
بان دين الاسلام كما اخبر عال على ساير الاديان ومن ذلك قوله تعالى اذا جاء نصر الله
والفتح الى اخرها فكان كما اخبر دخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم

وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاوه

القسم الثاني

فيما اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب سوى ما في القران العزيز
فكان كما اخبر في حياته ومما تراخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كاين فيها الى يوم القيمة كانما انظر
الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك
شيا في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل اذا
غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما
ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه
ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته رواه ابو داود روى
مسلم من حديث ابن مسعود في الدجال فيبعثون عشر فوارس طليعة قال رسول الله عليه السلام
اني لاعرف اسماهم واسماء ابايهم والوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر
الارض يوميذ فوضح من هذا الخبر وغيره مما ياتي من الاخبار وسح من خواطر الابرار
الاخيار انه صلى الله عليه وسلم عرفهم بما يقع في حياته وبعد موته وما قد انختم وقوعه
فلا سبيل الى فوته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طاير
جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما ولا شك ان الله تعالى قد اطلعه على ازيد من
ذلك والقى عليه علوم الاولين والاخرين واما علم عوارف المعارف الالهية لانتناهى

عددها واليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها ومن ذلك ما رواه الشيخان
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات
فيه وخرج بهم الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وفي حديث
انس عند احمد والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد احدا ومعه ابو بكر
وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان فكان كما اخبر عليه السلام ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث ابي
هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك
قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قال
النووي قال الشافعي وساير العلماء معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام
كما كان في زمنه عليه السلام فاعلمنا صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما من هذين
الاقليمين وكان كما قال فاما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق
ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم واما قيصر فانهزم من الشام و
دخل اقصى بلاده فافتتح المسلمون بلاده واستقرت للمسلمين ولله الحمد انتهى وقد وقع
ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب كما قدمته ومن ذلك اخباره عليه السلام
بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها
واسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من المقصد الاول واخباره بشان كتاب حاطب
الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بخطامها في الشجرة وقال لسراقة

كيف

كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي
سلبهما كسرى والبسهما سراقة ولما رجع المشركون يوم الاحزاب قال النبي صلى الله
الان يغزوهم ولا يغزونا فلم يغز رسول الله بعث صلى الله عليه وسلم جيشا
الى موتة وامر عليهم زيد بن حارثة فان اصيب فجعفر بن ابي طالب فان اصيب فعبد الله
بن رواحة فلما التقى المسلمون بموتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فكشف
له حتى نظر الى معتركهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه
ثم قال استغفروا الله له ثم اخذ الراية جعفر بن ابي طالب حتى استشهد فصلى عليه
ثم قال استغفروا لاخيكم جعفر ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى
عليه ثم قال استغفروا الله لاخيكم فاخبر اصحابه بقتلهم في الساعة التي قتلوا فيها
وموتة دون دمشق بارض البلقا عن اسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله ع م
صبيحة اليوم الذي قتل فيه جعفر واصحابه فقال يا اسماء اين بنو جعفر فجئت
بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله
بلغك عن جعفر شيء قال نعم قتل اليوم رواه يعقوب الاسفرايني في دلايل
الاعجاز وخرجه ابن اسحق والبغوي ومن ذلك قوله عليه السلام زويت لي
الارض فرايت مشارقها ومغاربها ما بين ارض الهند الى اقصى المشرق الى بحر
طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ومن ذلك اعلامه قريشا
باكل الارض ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم

وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه السلام ومن ذلك ما رواه
الطبراني في الكبير والبزار من حديث ابن ماجة عمر قال كنت جالسا مع رسول الله
في مسجد منا فاتاه رجل من الانصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله
جئنا نسالك فقال ان شئتما اخبرتكما بما جئتما تسالاني عنه فعلت وان شئتما ان امسك
وتسالاني فعلت فقالا اخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للانصاري سل فقال اخبرني
يا رسول الله فقال جئتني تسالني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه و
عن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك
فيه وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه وعن رميك الجمار ومالك فيه وعن
نحرك ومالك فيه مع الاضافة فقال والذي بعثك بالحق نبيا لعن هذا جئت اسالك
ومن ذلك ما روي عن واثلة بن الاسقع قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في نفر من اصحابه يحدثهم فجلست وسط الحلقة فقال بعضهم يا واثلة قم
عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوني
واياه فاني اعلم ما الذي اخرجه من منزله قلت يا رسول الله ما الذي اخرجني
قال اخرجك من منزلك لتسال عن البر وعن الشك قال قلت والذي بعثك بالحق
ما اخرجني غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر ما استقر في الصدر واطمان
اليه القلب والشك ما لم يستقر في الصدر فدع ما يريبك الى ما لا يريبك
وان افتان المفتون. قوله عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها في مرضه

انك

١

انك اول اهلي لحوقا بي فعاشت بعده ثمانية اشهر وقيل ستة اشهر وقوله عليه السلام
لنسائه اسرعكن بي لحوقا اطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لانها كانت تعمل بيدها
وتتصدق ومن ذلك قوله عليه السلام لعلي اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله
اعلم قال قاتلك اخرجه احمد في المناقب وعند ابن ابي حاتم الذي يضربك على هذه
واشار الى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتخضبن هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وعند الضحاك الذي يضربك على هذه
قبيل منها هذه واخذ بلحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند الطبراني وابي نعيم
من حديث جابر مرفوعا انك مؤمر مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة من هذه
وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية اما انك ستلي امر امتي بعدي فاذا كان ذلك
فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم قال معاوية فما زلت ارجوها حتى قمت
مقامي هذا رواه ابن عساكر واخرج ابن عساكر ايضا من حديث عروة بن رويم
مرفوعا لن يغلب معاوية ابدا وان عليا قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث
ما قاتلت معاوية ومن ذلك قوله عليه السلام يقتل هذا مظلوما واشار الى عثمان
رضي الله عنه خرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن
غريب وخرجه احمد فكان كما قال عليه السلام فاستشهد في الدار وبين يديه
المصحف فنضح الدم على هذه الاية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وفي
الشفا انه عليه السلام قال يقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وان عسى ان يليه

قميصًا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله ح
انتهى وقد اخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا عثمان تقتل وانت تقرا سورة البقرة فيقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله
لكن قال الذهبي انه حديث موضوع وقد روى اسامة عن زيد ان رسول الله صلى
اشرف على اطم من اطام المدينة ثم قال هل ترون ما ارى انى لارى مواقع الفتن خلال
بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة قتلة عثمان وتتابعت الفتن الى فتنة الحرة وكانت
لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة وجرت فيها وقايع كثيرة مذكورة
فى كتب التواريخ واخرج البيهقى عن الحسن قال لما كان يوم الحرة قتل اهلى حتى لا يكاد
ينفلت منهم احد واخرج ايضًا عن مالك بن انس قال قتل يوم الحرة سبعماية رجل من
حملة القرآن منهم ثلثماية من الصحابة وذلك فى خلافة يزيد واخرج ايضًا عن مغيرة
قال انتهب ابو مسلم ابن عقبة المدينة ثلثة ايام وافتض فيها الف عذرا وقال
عليه السلام لابى موسى وهو قاعد على قف بير اريس لما طرق عثمان الباب
ايذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة الى ما تقدم من استشهاده يوم
الدار بل اصرح من ذلك ما رواه احمد عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله
فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلمًا قال فنظرت فاذا هو عثمان
واسناده صحيح واخبر عليه السلام بوقعة الجمل وصفين وقتال عايشة و
الزبير عليًا كما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقى عن ام سلمة قالت ذكر صلى الله ع م

خروج

خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت فقال انظرى يا حميرا ان ثم التفت الى على
فقال ان وليت من امرها شيئًا فارفق وعن ابن عباس مرفوعًا ايتكن صاحبة الجمل الاحمر
تخرج حتى ينبحها كلاب الحوئب يقتل حولها قتلى كثيرة تنجوا بعد ما كادت رواه البزار
وابو نعيم واخرج الحاكم وصححه والبيهقى عن ابى الاسود قال شهدت الزبير خرج
يريد عليًا فقال له على انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تقاتله وانت له ظالم فمضى الزبير منصرفا وفى رواية ابى يعلى والبيهقى فقال
الزبير بلى ولكن نسيت ومن ذلك قوله عليه السلام فى الحسن بن على ان ابنى هذا
سيد وسيصالح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين رواه البخاري فكان له
كما قاله عليه السلام لانه لما قتل على بن ابى طالب بايع الحسن اكثر من اربعين الفا
فبقى ستة اشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية
وسار معاوية اليه فلما ترى الجمعان بموضع يقال له بستكين بناحية الانبار من
ارض السواد فعلم ان لن تغلب احد الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معاوية
يخبره انه يصير الامر اليه على ان يشترط عليه ان لا يطلب احدًا من اهل المدينة والحجاز
والعراق بشئ مما كان فى ايام معاوية فاجابه معاوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى
بعث اليه برق ابيض وقال اكتب ما شئت فيه فانا التزمه واصطلحا على ذلك وكان الا
كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
وخرج الدولابى ان الحسن قال كانت جماجم العرب بيدى يسالمون من سالمت ويحاربون

من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين **ومن ذلك** اعلامه عم
بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه من
حديث انس بن مالك بلفظ استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم
فاذن له وكان في يوم ام سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة احفظي
علينا الباب لا يدخل احد فبينا هي على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك اتحبه قال نعم قال
ان امتك ستقتله وان شئت اريك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء بسهلة او تراب
احمر فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلاء وخرجه ابو
حاتم في صحيحه ورواه احمد بنحوه والسهلة بالكسر رمل حشن ليس بالدقاق الناعم **وفي**
رواية الملا قالت ثم ناولني كفا من تراب احمر وقال ان هذا من تربة الارض التي
يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت ام سلمة فوضعته في قارورة
عندي وكنت اقول ان يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم الحديث **فاستشهد** الحسين
كما قاله عليه السلام بكربلاء من ارض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع ايضا
بالطف قتله سنان بن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه بعثوا براسه الى يزيد
فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون بالراس فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من
الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم: اترجوا امة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب، فهربوا وتركوا الراس خرجه منصور بن عمار **وذكر**

ابو

ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نضرة الازدية انها قالت لما قتل الحسين
بن علي امطرت السماء دما فاصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوة دما وكذا روي في
احاديث غير هذه و قال عليه السلام لعمار تقتلك الفئة الباغية رواه البخاري
ومسلم فكان كما قال عليه السلام **ومن ذلك** ما رواه ابو عمر بن عبد البر ان عبد الله
بن عمر راى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فقال النبي صلى الله
ارايته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك فعمي في اخر عمره **ومن ذلك**
قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا
رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة الكذاب باليمامة **و
من ذلك** قوله لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان
من امره مع الحجاج ما كان **ومن ذلك** حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان
هذا الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
سلطانا وجبرية وقوله ملكا عضوضا تصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون
فيه عضا وفي حديث سفينة عند ابي داود والترمذي قال قال رسول الله صلى الله
الخلافة في امتي ثلثون سنة ثم ملك بعد ذلك قال سعيد بن جمهان امسك خلافة ابي
بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة فقيل له ان
بني امية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك
واخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك

حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتيته به فاذا فى اذنه اليمنى واقام
فى اليسري والباه من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبى بابى الخلفا فاخبرت العباس
فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون
منهم المهدي حتى يكون منهم من يصلى بعيسى ابن مريم واخرج ابو يعلى عن معاوية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليظهرن الشرك على العرب حتى يلحقها بمنابت
الشيح والقيصوم ومن ذلك اخباره عليه السلام بعالم المدينة اخرج الحاكم وصححه
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد
الابل فلا يجدوا عالما اعلم من عالم المدينة قال سفيان بن عيينة نرى هذا
مالك بن انس قال عبد الرزاق ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت اكباد الابل
الابل الى احد مثل ما ضربت اليه وقال ابو مصعب كان الناس يزدحمون على باب
مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعنى لطلب العلم وممن روي عنه من الائمة
المشهور ابن محمد بن شهاب الزهرى والسفيانان والشافعى والاوزاعى امام اهل
الشام والليث بن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة النعمان بن ثابت الامام و
صاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسن وعبد الرحمن مهدي شيخ للامام احمد ويحيى
بن يحيى شيخ البخارى وابو رجا قتيبة بن سعيد شيخ البخاري ومسلم وذو النون
المصري والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وابراهيم بن ادهم كما نقله
العلامة عيسى بن مسعود والزواوى فى كتابه المنهج السالك الى معرفة قدر الامام

مالك

مالك واخباره بعالم قريش عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا قريشا فان عالمها يملاء طباق الارض علما رواه ابو داود الطيالسي فى مسنده
وفيه الجارود مجهول لكن له شواهد عن ابى هريرة من تاريخ بغداد للخطيب وعن
على وابن عباس في المدخل للبيهقى قال الامام احمد وغيره هذا العالم هو الشافعى لانه
لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشى من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعى
وما كان الامام احمد ليذكر حديثا موضوعا يحتج به او يستانس فى امر شيخه الشافعى
واما قوله وروي عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عالم قريش الى اخره بصيغة
التمريض احتياطا للشك فى ضعفه فان اسناده لا يخلو من ضعف قال العراقى ردا على
الصغانى فى زعمه انه موضوع وقد جمع الحافظ بن حجر طرقه فى كتاب لذة العيش فى طرق
حديث الائمة من قريش كما افاده شيخنا واخبر عليه السلام بان طايفة من امته لا يزالون
ظاهرين على الحق حتى ياتى امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وبان الله
يبعث الى هذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها رواه الحاكم من حديث
ابى هريرة وبذهاب الامثل فالامثل رواه الحاكم وصححه بلفظ يذهبون الخير فالخير
وبالخوارج رواه الشيخان من حديث ابى سعيد الخدري بلفظ بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة فقال يا رسول الله
اعدل قال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل لخبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر يا رسول
الله دعنى اضرب عنقه قال عليه السلام دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم

وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام
كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة
تدردر يخرجون على خير فرقة من الناس قال ابو سعيد واشهد اني سمعت هذا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه
وامر بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله الذي
نعته واخبر عليه السلام ايضا بالرافضة اخرجه البيهقي عن علي قال قال رسول الله
في امتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام واخبر ايضا بالقدرية والمرجئة
وقال هم مجوس هذه الامة رواه الطبراني في الاوسط عن انس وقد اخبر عليه ع م
اصحابه باشياء بين موته وبين الساعة وحذر من مفاجاتها كما يحذر من جاد عن
الطاعة وان الساعة لا تقوم حتى تظهر جملة من الامارات في العالم فاذا جاءت
الطامة الكبرى تطيش منها الجاهل والعالم كما روي من رفع الامانة والقرآن
واستشهاد الخيانة وحسد الاقران وقلة الرجال وكثرة النسوان الى غير ذلك
مما شهدت بصحة الاخبار وقضي بحقيقية وقوعه الاعتبار وقد تعين
ان نلم بطرف من الآثار الصحاح والحسان وروى البخاري من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان
عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون
كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل

وتقارب

ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال
فيفيض حتى يهم الرجل من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه
لا ارب لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول
ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس اجمعون
فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن
الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد
انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه
ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها فهذه ثلاثة عشر علامة جمعها
ابو هريرة في حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما ينظر من صحيح العلامات فاما قوله حتى
يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحد فيريد فتنة معاوية وعلي بصفين قال القاضي
ابو بكر بن العربي وهذا اول خطب طرق الاسلام وتعقبه القرطبي بان اول امر دهم
الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعده موت عمر لان بموته صلى الله عليه
وسلم انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك وبموت
عمر سل سيف الفتنة فقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره ما كان ويكون
واما قوله دجالون كذابون قريب من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا من حديث حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي دجالون كذابون سبعة وعشرون
منهم اربع نسوة وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي اخرجه الحافظ ابو نعيم وقال

هذا حديث غريب قال القاضي عياض هذا الحديث قد ظهر فلو عد من تنبا من زمن
النبي صلى الله عليه وسلم الى الان ممن اشتهر بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع
كتب التواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العلم ولم
يبق الا رسمه واما الزلازل فوقع منها شي كثير وقد شاهدنا بعضها واما
قوله حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته هذا مما لم يقع
وقوله حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه لما يرى من عظم البلاء ورياسة الجهلاء
وخمول العلماء وغير ذلك مما ظهر كثير منه **وفي حديث** ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله
قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت
نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان بدوها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعا بعد
العشا ثالث جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وستماية وفي يوم الثلثا اشتدت
حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت حطمتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات
لباريها ودامت الحركة حتى يقن اهل ... بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا من جملة ثمانية
عشر حركة في يوم واحد دون ليلته **قال** القرطبي وكان على المدينة ببركته عليه السلام
نسيم بارد وشوهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن
فاحرقتها قال وقال لي بعض اصحابنا ولقد رايتها صاعدة في الهوي مسيرة خمسة ايام
قال وسمعت انها رايت من مكة ومن جبال بصرى **وقال** الشيخ شهاب الدين القسطلاني
اقامت اثنان وخمسون يوما وكان انطفاوها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة

الاسراء والمعراج به صلى الله عليه وسلم **وبالجملة** فاستيفاء الكلام على هذه النار
يخرج عن المقصود وقد نبه عليه القرطبي في التذكرة وافردها بالتاليف الشيخ شهاب
الدين القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز فاتى فيه من دقايق
الحقايق بالعجب العجايب والله الموفق للصواب **المقصد التاسع في لطيفة من لطايف
عباداته** صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين و
اعبد ربك حتى ياتيك اليقين فامره تعالى بعباداته حتى ياتيه الموت وهو المراد
باليقين وانما سمي الموت باليقين لانه امر متيقن **فان قيل** ما الفايدة في قوله حتى
واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادة **اجاب** القرطبي تبعا لغيره بانه لو قال واعبد ربك
مطلقا ثم عبده مرة واحدة كان مطيعا ولما قال حتى ياتيك اليقين اي اعبد ربك
في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من الخطاب الحياة من هذه العبادات كما
قال العبد الصالح واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وهذا منه ميل
الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي مسئلة معروفة في الاصول اختلف
فيها وهل هي الامر المطلق يفيد التكرار او المرة الواحدة او لا يفيد شيئا منها على
مذاهب الاول انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه يفيد طلب فعل المامور به من غير
اشعار بالمرة او المرات لكن المرة ضرورية لاجل تحقيق الامتثال اذ لا توجد الماهية
باقل منها وهذا مختار الامام مع نقله له عن الاقلين ورجحه الامدي وابن

وابن الحاجب وغيرهما الثاني انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب الاستاذ ابو اسحاق
الاسفرايني وابو القزويني فان عين للتكرار امدا ستوعبه والا استوعب زمان العمر
لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمان قضاء الحاجة والنوم وغيرهما من الضرورات
الثالث انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحاق في شرح اللمع عن اكثر اصحابنا وابي حنيفة و
غيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا
والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة انتهى ملخصا من شرح العلامة ابي
الحسن الاشموني لنظمه جمع الجوامع للعلامة ابن السبكي وقد روي جبير بن نفير مرسلا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من المتاجرين ولكن
اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين رواه
البغوي في شرح السنة ولابي نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني وقد امر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باربعة اشياء التسبيح والتحميد والسجود و
العبادة واختلف العلماء في انه كيف صار الاقبال على مثل هذه الطاعات سببا لزوال
ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين انه قال اذا اشتغل
الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل
ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة خف على القلب
فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك
يزول الحزن والغم وقال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى الطاعات

كانه

كانه يقول تجب علي عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكروهات وقال
تعالى واعبده واصطبر لعبادته فامره تعالى عليه السلام بالعبادة والمصابرة على
مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان قلت لم لم يقل واصطبر على عبادته بل
قال لعبادته فالجواب لان العبادة حصلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر
لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من مشاقه والمعنى ان العبادة تورد عليك
شدايد ومشاق فاثبت لها قاله الفخر الرازي وكذا البيضاوي وقال ولله غيب
السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فاول درجات
السير الى الله تعالى عبودية الله واخرها التوكل اليه واذا كان العبد لا يزال في مسافرة
الى ربه لا ينقطع سيره اليه ما دام في قيد الحياة فهو محتاج الى زاد العبادة لا يستغني
عنه البته ولو اتى باعمال الثقلين جميعا وكلما كان العبد الى الله تعالى اقرب
كان جهاده في الله اعظم قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
اعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظايف العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله
تعالى وتامل اصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا كلما ترقوا من القرب مقاما عظم
جهادهم واجتهادهم ولا تلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف
حيث قال القرب الحقيقي ينقل العبد من الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح
من كد العمل زاعما بذلك سقوط التكليف عنه وهولاء اعظم كفرا والحادا حيث
عطلوا العبودية وظنوا انهم استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة

التي هي من اماني النفس وخدع الشيطان فلو وصل العبد من القرب الى اعلى مقام
بنا له العبد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة ما دام قادرا عليه وقد اختلف
العلماء هل كان عليه السلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله ام لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشيء وهو قول الجمهور واحتجوا بانه لو كان ذلك لنقل لما امكن كتمه و
ستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا
لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول لمستند الى النقل اولى وقال
اخرون الى الوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء من ذلك جملة وذهبت
في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل وهذا مذهب الامام ابي المعالي هو امام الحرمين
وكذلك الغزالي والآمدي وقال اخرون كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين
ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن التعيين واحجم وجسر بعضهم على التعيين
وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل
موسى وقيل عيسى فهذه جملة المذاهب في هذه المسالة والاظهر منها ما ذهب
اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمنا
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام اخر الانبياء فلزمت شريعته
من جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا
لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي عياض وهو كلام حسن

بديع

بديع لكن قوله فهذه جملة المذاهب فيه نظر لانه بقي عليه منها شيء فقد قيل شريعة
آدم ايضا وهو محكي عن ابن برهان وقيل جميع الشرائع حكاه صاحب المحصول عن المالكية
واما من قال انه عليه السلام كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع هو منفرد به وان
المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم احياء شرع ابراهيم وعول في اثبات مذهبه
على قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهذا قول ساقط
مردود لا يصدر مثله الا عن سخيف العقل كثيف الطبع وانما المراد بهذه الاية
الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابراهيم عليه السلام في هذه الاية بانه ما كان
من المشركين فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك ومثله قوله تعالى اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه
كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس رسول وقد سمى الله جماعة منهم
في هذه الاية وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا
عليه من التوحيد وعبادة الله فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك
واثبت التوحيد بناء على الدلايل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا
لاحد فيمتنع حمل قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على شرايع التي يصح حصول
المتابعة فيها اجاب الفخر الرازي بانه يحتمل ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية
الدعوة الى التوحيد وهو ان يدعو اليه بالرفق والسهولة وايراد الدلايل مرة بعد اخرى
بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن وقد قال صاحب الكشاف

لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك يدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله
واجلال محله فان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة دلت على تباعد
النعت في المرتبة على ساير المدايح التي مدحه الله بها انتهى ومراده بالمدايح المذكورة
في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه و
هداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين وقال
بن العراقي في شرح تقريب الاسانيد وليت شعري كيف تلك العبادة واي انواعها
هي وعلى اي وجه فعلها يحتاج ذلك لنقل ولا استحضره الان وقال شيخ الاسلام
البلقيني في شرح البخاري ولم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده
لكن روى اسحق وغيره انه عليه السلام كان يخرج الى حرا في كل عام شهرا من السنة يتنسك
فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم لرجل من جاءه من المساكين حتى اذا
انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وحمل بعضهم التعبد
على التفكر قال وعندي ان هذا التعبد يشتمل على انواع وهي الانعزال عن الناس
كما صنع ابراهيم عليه السلام باعتزاله قومه والانقطاع الى الله تعالى فان
انتظار الفرج عبادة كما رواه علي بن ابي طالب مرفوعا وينضم الى ذلك الافكار وعن
بعضهم كانت عبادته عليه السلام في حرا التفكر انتهى وقد آن ان اشرع فيما قصدته
على النحو الذي اردته وقد اقتصرت من عباداته على سبعة انواع **النوع الاول**

في

في اظهاره وفيه فصول **الاول** في ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم وسواكه
ومقدار ما كان يتوضأ به اعلم ان الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الماء الذي يتوضأ
به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاءة وسمي به لان المصلي يتنظف به فيصير
وضياء وقد استنبط بعض العلماء كما حكاه في فتح الباري ايجاب النية في الوضوء
من قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا لان التقدير اذا اردتم القيام الى الصلوة
فتوضؤا لاجلها ومثله قوله اذا رايت الامير فقم اي لاجله **وقال** ابن القيم لم يرد
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه نويت رفع الحدث ولا غيرها
لا هو ولا اصحابه البتة ولم يرو عنه لا بسند صحيح ولا ضعيف انتهى **قلت**
اما التلفظ بالنية فلا نعلم انه روي عنه صلى الله عليه وسلم واما كونه اتى بها
فقد قال الامام فخر الدين الرازي في المعالم اعلم انا اذا اردنا في امر من الامور
انه هل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا الى اثباته طريقان الاول انا اذا اردنا
ان نقول عليه السلام توضأ مع النية بالترتيب قلنا لا شك ان الوضوء مع
النية والترتيب افضل والعلم الضروري حاصل بان افضل الخلق لم يواظب
على ترك الافضل طول عمره فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي ولم يثبت
عندنا انه اتى بالوضوء العاري عن النية والترتيب والشك لا يعارض اليقين
فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي فوجب ان يجب علينا مثله والطريق الثاني
ان يقول لو انه عليه السلام ترك النية والترتيب وجب علينا تركه للدلايل

الدالة على وجوب الاقتداء به ولما لم يجب علينا تركه ثبت انه ما تركه بل فعله
وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر مرفوعا انما الاعمال بالنيات وانما لكل
امرء ما نوى قال البخاري فدخل فيه الايمان والوضوء والصلوة والزكوة والحج و
الصوم والاحكام واشار لذكر الوضوء الى خلاف لم يشترط فيه النية كما نقل عن
الاوزاعي وابي حنيفة وغيرهما وحجتهم انه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى عبادة
كالصلاة ولو قصنوا بالتيمم فانه وسيلة وقد اشترط الحنفية فيه النية واستدل
الجمهور على اشتراط النية في الوضوء بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب
عليه فلا بد من قصد يميزه عن غيره ليحصل الثواب الموعود به وقوله انما
الاعمال بالنيات ليس المراد منه نفي ذات العمل لانه قد يوجد فيه النية بل المراد
نفي احكامها كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة اولى لانه اشبه بنفي الشيء نفسه
ولان اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع فلما منع الدليل
نفي الذات بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة قال بن دقيق العيد الذين اشترطوا
النية قدروا صحة الاعمال والذين لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال ورجح
الاول لان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها اولى وفي هذا الكلام
ايهام ان بعض العلماء لا يرى باشتراط النية وليس الخلاف بينهم في ذلك الا في
الوسايل واما المقاصد فلا اختلاف بينهم في اشتراط النية ومن ثم خالف الحنفية
في اشتراطها للوضوء كما تقدم وخالف الاوزاعي في اشتراطها في التيمم ايضا نعم بين

العلما

العلماء اختلاف في اقتران باول العمل كما هو معروف في مبسوطات الفقه واما
قوله اي البخاري فدخل فيه الايمان فتوجيه دخول النية في الايمان على طريقة البخاري
ان الايمان عمل واما الايمان بمعنى التصديق فلا يحتاج الى نية كسائر اعمال القلوب
من خشية الله وتعظيمه ومحبته والتقرب اليه لانها متميزة لله فلا يحتاج الى نية
تميزها لان النية انما تميز العمل لله عن العمل لغيره ريا وتميز مراتب الاعمال
كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية وقوله ايضا
والاحكام اي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات فيشمل البيوع و
الانكحة والاقارير وغيرها وكل صورة لم يشترط فيها النية فذلك لدليل خاص
وقد ذكر بن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية مما لا يشترط فقال كل عمل لا يظهر له
فايدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت
فايدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملائمة بينهما فلا تشترط النية فيه
الا لمن قصد بفعله معنى فايدة ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة اخر يترتب
عليه الثواب قال وانما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة تحقيق مناط التفرقة
قال واما ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية
فيه لانه لا يمكن ان يقع منويا ومتى فرضت النية مفقودة استحالت حقيقته فالنية
فيه شرط عقلي واما الاقوال فتحتاج الى النية في ثلثة مواطن احدها التقرب
الى الله تعالى فرارا عن الريا والثاني التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث

قصدا لا انشاء ليخرج سبق اللسان انتهى ذكره الحافظ بن حجر في فتح الباري وقد اختلف العلماء في الوقت الذي وجب فيه الوضوء فقال بعضهم اول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الاية ونقل بن عبد البر اتفاق اهل السير ان غسل الجنابة فرض عليه عم وهو بمكة كما افترضت الصلوة وانه لم يصل قط الا بوضوء وقال هذا مما لا يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك اهل السنة بهم حاجة الى دليل الرد على من زعم ان الوضوء لم يكن قبل نزول المايدة ثم ساق حديث بن عباس دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت هؤلاء الملأ من قريش قد تعاهدوا ليقتلوك فقال ايتوني بوضوء فتوضا قال الحافظ بن حجر وهذا يصلح ان يكون ردا على من انكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على من انكر وجوبه حينئذ وقد جزم ابن الجهم المالكي بانه كان قبل الهجرة مندوبا وجزم ابن حزم بانه لم يشرع الا بالمدينة ورد عليه بما اخرجه ابن لهيعة في المغازي التي يرويها عن ابي الاسود عن عروة ان جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء عند نزوله عليه بالوحي وهو مرسل ووصله احمد من طريق ابن لهيعة ايضا لكن قال الزهري عن عروة عن اسامة ابن زيد عن ابيه واخرجه بن ماجة من رواية رشد بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ولكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند واخرجه الطبراني في الاوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يتوضا لكل صلاة رواه الدارمي ورقيل له كيف كنتم تصنعون قال يجزي احدنا الوضوء ما لم يحدث رواه البخاري وابو داود والترمذي وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلوة رواه الدارمي وروى مسلم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلوة فلما كان يوم الفتح صلى الله عليه وسلم الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر يعني الجواز وفي رواية احمد وابي داود من حديث عبد الله بن ابي عامر الغسيل انه صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء لكل صلوة طاهرا كان او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك عند كل صلوة ووضع عنه الوضوء الا من حدث واختلف العلماء في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلاة معا ورجحه جماعة من الشافعية وقيل بالقيام الى الصلوة فقط ويدل له رواه اصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعا انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة وقد تمسك به من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في اسناده محمد بن اسحق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصايص لا تثبت الا بدليل صحيح واخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن عن عايشة مرفوعا ثلاث هن علي فرايض وهو لكم سنة الوتر والسواك وقيام وروى احمد في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقد حكى بعضهم الاجماع على انه ليس بواجب علينا لكن حكي عن بعض

الشافعية انه اوجبه للصلوة ونوزع فيه واتفقوا على انه مستحب مطلقا ويتاكد في
في احوال منها عند الوضوء وارادة الصلاة ومنها عدم القيام من النوم لما ثبت في
الصحيحين من حديث حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يسوك فاه
بالسواك لكن قد يقال المراد قام من الليل للصلاة فيكون المراد السواك للصلاة او عند
الوضوء ومنها عند قراءة القران كما جزم به الرافعي ومنها تغير الفم سواء فيه
تغير الرايحة او تغير اللون كصفرة الاسنان كما ذكر الرافعي ومنها دخول المنزل
جزم به النووي في زوايد الروضة لما روى مسلم وابو داود والنسائي وابن
ماجة من حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته يبدا بالسواك ومنها
ارادة النوم كما ذكره الشيخ ابو حامد في الرونق وروي فيه ما رواه ابن عدي
في الكامل من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك اذا اخذ
مضجعه وفيه حزام ابن عثمان متروك ومنها الانصراف من صلاة الليل لما روى
ابن ماجة من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي بالليل ركعتين ثم ينصرف فيستاك ويجزي بكل خشن ولو باصبع غيره وقد
جزم النووي في شرح المهذب ودقايق المنهاج انه يجزي بها قطعا قال في شرح
التقريب الاسانيد وما ادري ما وجه التفرقة بين اصبعه واصبع غيره وكونه جزءا
منه لا يظهر منه ما يقتضي منعه بل كونها اصبعه ابلغ في الازالة لانه يتمكن بها اكثر
من تمكن غيره ان يسوكه باصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب المختار اجزاؤه مطلقا

قال به قطع القاضي حسين والمحاملي في اللباب والبغوي واختاره في البحر انتهى
وقد اطبق اصحاب الشافعي على استحباب الاراك وروى الطبراني من حديث ابي خيرة الصباحي
وله صحبة حديثا قال فيه ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باراك فقال استاكوا
بهذا وبهذا وفي مستدرك الحاكم من حديث عايشة في دخول حينا عبد الرحمن بن ابي بكر
في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من اراك فاخذته عايشة فطيبته ثم اعطته
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به والحديث في الصحيح وليس فيه الاراك وفي بعض
طرقه عند البخاري ومعه سواك من جريد النخل وقد روى ابو نعيم في كتاب السواك من
حديث عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا وروى البيهقي ايضا
من حديث ربيعة بن اكثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك قال
اصحابنا والمراد بقولها عرضا عرض الاسنان في طول الفم وهل الاولى ان يباشر المستاك
بيمينه او شماله قال بعضهم بيمينه لحديث كان يعجبه التيمن في ترجله وتنعله وطهوره
وسواكه وبناه بعضهم على انه هل هو من باب التطهير والتطييب او من باب ازالة القاذورات
فان قلنا بالاول استحب ان يكون باليمين وان قلنا بالثاني فبشماله لحديث عايشة كانت
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلايه وما كان
من اذى رواه ابو داود باسناد صحيح قال في شرح تقريب الاسانيد وما استدل به على انه يستحب
باليمين امر فيه دلالة فان المراد منه بالشق الايمن في الترجل والبداة بلبس الاعضاء اليمنى في التطهير
والبداة بالجانب الايمن في الاستياك واما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر انه

من باب لازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون بالبسير وقد صرح بذلك
ابو العباس القرطبى فقال فى المفهم حكاية عن مالك انه لا يتسوك فى المساجد لانه
من باب ازالة القذر والله اعلم وامّا مقدار ما كان يتوضا به ويغتسل من الماء فعن انس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة امداد ويتوضاء
وفى رواية كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضاء بمكوك رواه البخاري ومسلم وابوداود
وعنده يتوضاء باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع ورواه الترمذى وعنده انه
يجزى فى الوضوء رطلان من ماء وعن عايشة قالت كان صلى الله عليه وسلم يغتسل
بالصاع ويتوضا بالمد رواه ابوداود وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم
وميمونة كانا يغتسلان من اناء واحد والصاع خمسة ارطال وثلث برطل بغداد وهو
على ما قاله النووى مائة وثمانية وعشرون درهمًا واربعة اسباع درهم وحذر
صلى الله عليه وسلم امته من الاسراف فيه ومر بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف
يا سعد قال افى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار رواه احمد باسناد
لين من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وقال صلى الله عليه وسلم ان للوضوء
شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذى من حديث ابى بن كعب الفصل
الثانى فى وضوئه صلى الله عليه وسلم مرةً مرةً ومرتين ومرتين وثلثا
ثلثًا عن ابن عباس قال توضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة رواه
البخاري وابوداود وغيرهما وهو بيان لمجمل قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا

الاية اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا يتعين لعدد فبين الشارع ان المرة الواحدة
للايجاب وما زاد عليها للاستحباب واما حديث ابى بن كعب انه صلى الله عليه وسلم
دعا بماء فتوضا مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ففيه بيان بالقول
والفعل معًا لكنه حديث ضعيف اخرجه ابن ماجة وله طرق اخرى كلها ضعيفة كما
قاله فى فتح البارى وعن عبد الله بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا
مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره رزين وعن عثمان رضى الله عنه ان رسول الله
توضاء ثلاثا ثلاثا رواه احمد ومسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا
ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى ووضوء ابراهيم ذكره رزين
وضعفه النووى فى شرح مسلم كما حكاه فى مشكاة المصابيح ولم يات فى شئ من الاحاديث
المرفوعة فى صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم انه زاد على ثلاث بل روى عنه انه
نهى عن الزيادة على الثلاث فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله
توضاء ثلثا ثلاثا ثم قال من زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم رواه ابوداود واسناده
جيد لكن عند مسلم فى جملة ما انكروه على عمرو بن شعيب لان ظاهره ذم النقص من
الثلاثة واجيب بانه امر نسبى والاساة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة وقيل فيه حذف
تقديره من نقص من واحدة ويؤيده ما رواه نعيم بن حماد من طريق المطلب بن حنطب مرفوعًا
الوضوء مرة ومرتين وثلثا فان نقص من واحدة او زاد على ثلث فقد اخطا وهو مرسل
رجاله ثقات واجيب عن الحديث ايضًا بان الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل اكثرهم

تقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه قال الشافعي لا احب ان يزيد المتوضئ
على ثلث فان زاد لم اكرهه اى لم احرمه لان قوله لا احب يقتضي الكراهة وهذا هو الاصح
عند الشافعية انه يكره كراهة تنزيه وحكى الدارمي من الشافعية عن قوم ان الزيادة على
الثلاثة تبطل الوضوء كالزيادة في الصلاة وهو قياس فاسد وقال احمد واسحاق وغيرهما
لا يجوز الزيادة على الثلاث وقال ابن المبارك لا امن ان يأثم ويلزم من القول بتحريم الزيادة
على الثلاث وكراهتها انه لا يندب تجديد الوضوء على الاطلاق **الفصل الثالث في كيفية وضوئه**
صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه دعا باناء فافرغ على يديه ثلاث
مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلثا ويديه
ثلاثا الى المرفقين ثم مسح براسه ثم غسل رجليه ثلث مرات الى الكعبين ثم قال قال رسول الله ع م
من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه
رواه البخاري وقد استدل بعضهم بقوله ثم ادخل يمينه على عدم اشتراط نية الاغتراف
ولا دلالة فيه نفيا ولا اثباتا واما اشتراط نية الاغتراف فليس في هذا الحديث
ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالي مجرد الاغتراف لا يصير الماء مستعملا لان الاستعمال
انما يقع في المغترف منه وبهذا قطع البغوي وقد ذكروا في حكمة تاخير غسل الوجه انه
لاعتبار اوصاف الماء لان اللون يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح بالانف
فقدمت المضمضة والاستنشاق قبل الوجه وهو مفروض احتياطا للعبادة وقال
النووي في قوله نحو وضوئي انما لم يقل عليه السلام مثل لان حقيقة مماثلة لا يقدر عليها

غيره لكن تعقبه في فتح الباري بانه ثبت التعبير بها في رواية البخاري في الرقاق من طريق معاذ بن
عبد الرحمن عن حمران عن عثمان ولفظه من توضأ مثل هذا الوضوء وفي الصيام من رواية
معمر من توضأ وضوء هذا ولمسلم من طريق زيد بن اسلم عن حمران توضأ مثل وضوئي
هذا قال وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق على المثلية مجازا ولان مثل
وان كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب فبهذا تلتئم الروايتان ويكون
المتروك بحيث لا يخل بالمقصود انتهى وعن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري انه قيل له توضأ
لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفأ منه على يديه فغسلهما
ثلثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين
مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح راسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين
ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاقبل بهما وادبر
بدأ بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه رواه
البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية لابي داود ثم مسح
براسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما وفي اخرى له ومسح باذنيه ظاهرهما وباطنهما
وادخل اصابعه في صماخي اذنيه وفي رواية ابي داود والترمذي والنسائي عن عبد
خير ابي عمارة بن زيد بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وتشديد الياء الهمداني
من كبار اصحاب علي بن ابي طالب قال اتانا علي وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع
بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتى باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء

على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي ياخذ فيه
ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل يده اليسرى ثلثا ثم جعل يده فى الاناء
فمسح براسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى
فهو هذا قال ابن القيم والصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يكرر مسح راسه انتهى وقال
النووي والاحاديث الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفى بعضها الاقتصار على قوله
مسح واحتج الشافعي بحديث عثمان رضى الله عنه فى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم توضأ
ثلاثا ثلاثا وبالقياس على باقى الاعضاء انتهى واجيب بانه مجمل مبين فى الروايات الصحيحة
ان المسح لم يتكرر فيحمل على الغالب ويخص بالمغسول وبان المسح مبنى على التخفيف فلا يقاس
على الغسل الذي المراد منه المبالغة فى الاسباغ وبان العدد لو اعتبر فى المسح لصار فى صورة
الغسل اذ حقيقة الغسل جريان الماء واحتج الشافعية ايضا بما رواه ابو داود فى سننه
من حديث من وجهين صحح احدهما ابن خزيمة انه صلى الله عليه وسلم مسح راسه ثلثا
وفى رواية ابى داود ايضا والترمذي من حديث الربيع بنت معوذ فغسل كفيه ثلاثا
ثلاثا ووضاء وجهه ثلاثا ومضمض واستنشق مرة ووضع يديه ثلاثا ومسح براسه مرتين
بدا بموخر راسه ثم بمقدمه وباذنيه كليتهما ظهورهما وبطونهما ووضاء رجليه
ثلاثا ثلاثا وقد اجاب العلماء عن احاديث المسح مرة واحدة بان ذلك لبيان الجواز ويؤيده
روايته مرتين هذه وقال ابن السمعاني كما حكاه فى فتح الباري اختلاف الرواة يحمل على
التعدد فيكون مسح تارة مرة وتارة ثلاثا فليس فى رواية مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج

للتعدد بالقياس على المغسول لان الوضوء طهارة حكمية ولا فرق فى الطهارة الحكمية
بين الغسل والمسح قال ومن اقوي الادلة على عدم التعدد الحديث المشهور الذي صححه
ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاصى فى صفة الوضوء بعد ان فرغ
من زاد على هذا فقد اساء وظلم فان فى رواية سعيد بن منصور التصريح بانه مسح راسه
مرة واحدة فدل على ان الزيادة فى مسح الراس غير مستحبة ويحمل ما ورد من الاحاديث
فى تثليث المسح ان صحت على ارادة الاستيعاب بالمسح لا انها مسحات مستقلة بجميع الراس
جمعا بين الادلة انتهى وفى حديث عبد الله بن زيد المتقدم عند البخاري الذي ذكرته
قبل ثم مسح راسه بيديه فاقبل بهما وادبر وفى رواية بدا بمقدم راسه حتى ذهب
بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدا منه وزاد ابن الطباع بعد قوله ثم مسح
راسه كله كما هو فى رواية ابن خزيمة وفى رواية غيره كما قدمته براسه بزيادة البا
موافقه لقوله تعالى وامسحوا برؤسكم قال البيضاوي الباء اى فى الاية مزيدة وقيل للتبعيض
فان الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل وجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل
معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف
ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم انتهى والشافعي احتمل قوله تعالى
وامسحوا برؤسكم جميع الراس وبعضه فدلت السنة ان بعضه يجزى والفرق بينه و
بين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم فى التيمم ان المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الراس
اصل فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجل لان الرخصة فيه ثبتت

بالاجماع وقد روي من حديث عطاء انه صلى الله عليه وسلم توضا فحسر العمامه
عن راسه ومسح مقدم راسه وهو مرسل لكنه اعتضد بمجيه من وجه اخر موصولا
اخرجه ابو داود من حديث انس وفي اسناده ابو معقل لا يعرف حاله لكن اعتضد
كل من المرسل والموصول بالاخر وحصلت القوة من الصورة المجهولة وهذا مثال لما
ذكره الشافعي من ان المرسل يعتضد بمرسل اخر او مسند وفي الباب ايضا عن عثمان في
صفة الوضوء قال ومسح راسه اخرجه سعيد بن منصور وفيه خالد بن زيد ابن ابي مالك
مختلف فيه وصح عن ابن عمر الاكتفاء بمسح بعض الراس قاله ابن المنذر وغيره ولم يصح
عن احد من الصحابة انكار ذلك قاله ابن حزم قال الحافظ ابن حجر وهذا كله مما يقوي
به المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في القدر الواجب في مسح الراس فذهب
الشافعي في جماعة الى ان الواجب ما ينطلق عليه الاسم ولو شعرة واحدة اخذا باليقين
وذهب مالك واحمد الى وجوب استيعابه اخذا بالاحتياط وقال ابو حنيفة في
رواية الواجب ربعه لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع والله
اعلم وعن طلحة بن مصرف عن ابيه عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وهو يتوضا والماء يسيل من وجهه ولحيته على صدره فرايته يفصل بين المضمضة
والاستنشاق رواه ابو داود وعنه ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضا فمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحد رواه ابن ماجة وفي حديث
مسلم ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في

الاناء

الاناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلث مرات وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري
ثم غسل ومضمض واستنشق من كف واحد ثم قال هذا وضوء رسول الله صلى الله
قال النووي فيه ان السنة في المضمضة والاستنشاق ان ياخذ الماء لهما بيمينه قال
وفي الافضل في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة اوجه الاصح ان يتمضمض و
يستنشق بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق منها ثلاثا والثاني يجمع بينهما
بغرفة واحدة يتمضمض منها ثلاثا ثم يستنشق منها ثلاثا والثالث يجمع ايضا بغرفة ولكن
يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع يفصل بينهما بغرفتين
فيتمضمض من احديهما ايضا ثم يستنشق من الاخرى ثلاثا والخامس يفصل بست غرفات
يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال والصحيح الاول وبه جاءت الاحاديث
الصحيحة وقد ذهب الامام احمد وابو ثور الى وجوب الاستنشاق وهو ان يبلغ الماء
الى خياشيمه مستدلين بقوله عليه السلام في حديث ابي هريرة اذا توضا احدكم
فليجعل في انفه ماء ثم لينتثر لظاهر الامر وحمله الجمهور مالك والشافعي واهل
الكوفة على الندب لقوله عليه السلام للاعرابي توضا كما امرك الله وليس في الاية ذكر
الاستنشاق والله اعلم وعند ابي داود كان عليه السلام يمسح الماقين وعن عثمان انه صلى
كان يخلل لحيته رواه الترمذي وابن ماجة وعنده من حديث ابن عمر كان عليه السلام اذا
عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها وعن انس كان صلى الله
اذا توضا اخذ كفا من ماء فيدخله تحت حنكه ويخلل به لحيته ويقول بهذا امرني

ربي عز وجل رواه ابو داود وعن ابي رافع كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا حرك
خاتمه رواه ابن ماجة والدارقطني وضعف وعن المستورد ابن شداد كان صلى الله
اذا توضا بذلك اصابع رجليه بخنصره رواه الترمذي وابو داود وابن ماجة وعن
عايشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى
لخلايه وما كان من اذى وعن المغيرة بن شعبة انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
سفر وانه ذهب لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضا رواه البخاري ومسلم
وعن صفوان بن عسال صببت على النبي صلى الله عليه وسلم الماء في السفر والحضر في الوضوء
من غير كراهة وكذا احضار الماء من باب اولى ولا دليل في هذين الحديثين لجواز الاعانة
بالمباشرة وقد روى الحاكم في المستدرك من حديث الربيع بنت معوذ انها قالت اتيت النبي ع م
بوضوء فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين
لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله اعلم وفي الترمذي من حديث معاذ
بن جبل كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عايشة
كانت له عليه السلام خرقة ينشف بها بعد الوضوء قال الترمذي هذا حديث ليس
بالقايم وابو معاذ الراوي ضعيف عند اهل الحديث وقد احتجم صلى الله عليه وسلم
فصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني واكل كتف شاة وصلى ولم يتوضا
رواه البخاري ومسلم وللنساي قال اخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ترك الوضوء مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا فلم يمضمض ولم يتوضا

وصلى

وصلى رواه ابو داود واتي بالسويق فامر به فثري فاكل ثم قام الى المغرب فتمضمض رواه
البخاري ومالك والنساي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من النوم ربما توضا لان عينيه
وربما لم يتوضا لان عينيه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل على ان النوم
ليس حدثا بل مظنة الحدث فلو احدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية شعوره بالوقوع
بخلاف غيره قال الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي ياتيه في منامه الفصل الرابع
في مسحه صلى الله عليه وسلم على الخفين اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح على الخفين
متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين بينهم العشرة وقال ابن عبد البر لا
اعلم انه قد روي عن احد من فقها السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة
عنه مصرحة باثباته وقد اشار الشافعي في الام الى انكار ذلك على المالكية والمعروف
المستقر عندهم الان قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا
الثاني مقتضى ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب وقال ابن المنذر اختلف العلماء
ايهما افضل المسح على الخفين او نزعهما وغسل الرجلين والذي اختاره ان المسح افضل
لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض وقال النووي مذهب اصحابنا
ان الغسل افضل لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك المسح وقد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله
وارجلكم عطفا على وامسحوا برؤسكم فذهب الى ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين و
حكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي و
قتادة الواجب الغسل او المسح وعن بعض اهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور الاحاديث

الصحيحة من فعله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ان شاء الله تعالى فانه بيان للمراد
واجابوا عن الاية باجوبة منها انه قرئ وارجلكم بالنصب عطفا على ايديكم وقيل معطوف
على محل برؤسكم كقوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير بالنصب وقيل المسح في الاية محمول
على مشروعية المسح على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل
الرجلين وجعل البيضاوي الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القران كقوله تعالى عذاب
اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك
وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح
انتهى وعن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك
قال فتبرز صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل الفجر فلما رجع اخذت
اهريق على يديه من الاداوة فغسل يديه ووجهه وعليه جبة من صوف ذهب يحسر
عن ذراعيه فضاق كما الجبة فاخرج يديه من تحت الجبة والقى الجبة في منكبيه وغسل
ذراعيه ثم مسح بناصيته وعلى العمامة ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني
فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وركبت الحديث رواه مسلم وعند
الترمذي من حديث المغيرة ايضا صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين على ظاهرهما
عند ابي داود من حديثه ايضا ومسح عليه السلام على الجوربين والنعلين وعنه
قال مسح صلى الله عليه وسلم على الخفين فقلت يا رسول الله نسيت فقال بل انت نسيت
بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود واحمد وعن عمرو بن امية الضمري قال رايته

يمسح على عمامته وخفيه رواه البخاري واحمد وقال علي بن ابي طالب جعل صلى الله عليه وسلم
المسح على الخفين ثلثة ايام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم الفصل
الخامس في تيممه صلى الله عليه وسلم اعلم ان التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع و
هو من خصايص هذه الامة واجمعوا على ان التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سواء كان
عن حدث اكبر او عن حدث اصغر وسواء تيمم عن الاعضاء كلها او بعضها واختلف
في كيفيته فمذهبنا ومذهب الاكثرين انه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين
الى المرفقين وعن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلث
جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها
لنا طهورا اذا لم نجد الماء رواه مسلم وفي رواية ابي امامة عند البخاري وجعلت الارض
كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وهذا عام وحديث حذيفة خاص فينبغي ان يحمل العام
عليه فيختص الطهورية بالتراب ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ التربة على خصوصية
التيمم بالتراب بان قال تربة كل مكان ما فيه من تراب او غيره واجيب بانه ورد في الحديث
بلفظ التراب اخرجه ابن خزيمة وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا اخرجه احمد
والبيهقي باسناد حسن وعن عمار قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني اجنبت فلم اجد
الماء فقال عمار لعمر اما تذكر انا كنا في سفر انا وانت فلم تصل واما انا فتمعكت فصليت
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انما يكفيك هكذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم
بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه رواه البخاري ومسلم واستدل

ما ينبغي على استحباب تخفيف التراب وسقوط استحباب التكرار في التيمم لان التكرار يستلزم
عدم التخفيف وعن ابي الجهيم بن الحرث بن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع
يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي رواه البغوي في شرح السنة وقال
حديث حسن وهذا محمول على ان الجدار كان مباحا او مملوكا لانسان يعرف رضاه **الفصل**
السادس في غسله صلى الله عليه وسلم والغسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل اذا
اذا اريد به الماء فهو مضموم واما المصدر فيجوز فيه الضم والفتح حكاه ابن سيدة
وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال بالضم وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل
وبالضم الماء الذي يغتسل به وبالكسر ما يجعل مع الماء كالاشنان وحقيقة الغسل
جريان الماء على الاعضاء مع تمييز ما للعبادة بالنية ووجوب الغسل على الجنب
مستفاد من قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ففي
الاية الاولى اجمال وهو قوله فاطهروا وبينه قوله في الاية الثانية حتى تغتسلوا و
يؤيد قوله تعالى في الحائض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن المفسر باغتسالهن
اتفاقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل واحد رواه مسلم
من حديث انس وعن ابي رافع طاف صلى الله عليه وسلم ذات يوم على نسائه يغتسل
عند هذه وعند هذه قال قلت له يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا اخرا قال

هذا ازكى واطيب واطهر رواه احمد وابو داود والنسائي وقد اجمع العلماء
على انه لا يجب الغسل بين الجماعين واما الوضوء فاستحبه الجمهور **وقال** ابو يوسف
انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب من المالكية واهل الظاهر لحديث اذا اتى احد اهله
ثم اراد ان يعود فليتوضأ بينهما وضوءا رواه مسلم وحمله بعضهم على الوضوء
اللغوي فقال المراد به غسل الوجه والفرج انتهى **قالت** عايشة كان صلى الله عليه وسلم
اذا اغتسل من الجنابة بدأ بغسل يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلوة ثم يدخل اصابعه
في الماء فيخلل بها اصول الشعر ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض
الماء على جلده كله رواه البخاري ويحتمل ان يكون غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان
ان يكون هو الغسل المشروع عند القيام من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة في هذا
الحديث عن هشام قبل ان يدخلهما في الاناء رواه الشافعي والترمذي وزاد ايضا
ثم يغسل فرجه وكذا لمسلم ولابي داود وهي زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل
به الامن من مسه في اثناء الغسل ويحتمل ان يكون الابتداء بالوضوء قبل الغسل سنة
مستقلة بحيث يجب غسل اعضاء الوضوء مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفي بغسلها
في الوضوء عن اعادته وعلى هذا فيحتاج الى نية غسل الجنابة في اول عضو وانما
قدم اعضاء الوضوء تشريفا لها وليحصل له صورة الطهارتين الصغرى
والكبرى نقل ابن بطال الاجماع على ان الوضوء لا يجب مع الغسل وهو مردود فقد
ذهب جماعة منهم ابو ثور وداود وغيرهما الى ان الغسل لا ينوب عن الوضوء

للمحدث وقوله فيخلل بها اصول الشعر اى شعر راسه ويدل عليه رواية حماد بن سلمة
عن هشام عند البيهقي يخلل بها شق راسه الايمن فيتبع بها اصول الشعر ثم يفعل بشق
راسه الايسر كذلك وقال القاضي عياض احتج به بعضهم على تخليل شعر اللحية في
الغسل اما لعموم قوله اصول الشعر واما بالقياس على شعر الراس وفائدة التخليل
ايصال الماء الى الشعر والبشرة ومباشرة الشعر باليد ليحصل تعميمه بالماء وهذا التخليل
غير واجب اتفاقا الا ان كان الشعر متلبدا بشئ يحول بين الماء وبين الوصول الى اصله
واختلف في وجوب الدلك فلم يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزني وجوبه واحتج
ابن بطال بالاجماع على وجوب امرار اليد على اعضاء الوضوء عند غسلها فيجب
ذلك في الغسل قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقب بان جميع من لم يوجب الدلك
اجازوا غمس اليد في الماء للمتوضي من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة
وفي قوله في هذا الحديث ثلث غرفات استحباب التثليث في الغسل قال
النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به الماوردي فانه قال لا يستحب
التكرار في الغسل قال الحافظ بن حجر في فتح الباري ومنه لخصت ما ذكرته قلت و
كذا قال الشيخ ابو علي السنجي وكذا قال القرطبي وقالت ميمونة وضعت له صلى
الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين او ثلاثا ثم افرغ على شماله فغسل
مذاكيره ثم مسح يده بالارض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم افاض
على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه رواه البخاري ولم تفد في هذه الرواية

تعدد فيحمل على قول ميمونة وهو المرة الواحدة لانا الاصل عدم الزيادة عليها
وفيه مشروعية المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق
وتمسك به الحنفية للقول بوجوبهما وتعقب بان الفعل المجرد لا يدل على الوجوب الا اذا
كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب وليس الامر هنا كذلك وعنها توضا صلى الله عليه وسلم
وضوءه للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذى ثم افاض عليه ثم نحى رجليه
فغسلهما رواه البخاري وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء الغسل الى اخره وهو
مخالف لظاهر رواية عائشة ويمكن الجمع بينهما اما بحمل رواية عائشة على المجاز واما بحمله
على حالة اخرى وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء فذهب الجمهور الى
استحباب تاخير الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تاخيرهما والا
فالتقديم وعند الشافعية في الافضل قولان قال النووي اصحهما واشهرهما
ومختارهما انه يكمل وضوءه قال ولم يقع في شئ من طرق هذا الحديث التنصيص على
مسح الراس في هذا الوضوء وتمسك به المالكية لقولهم ان وضوء الغسل لا يمسح
فيه الراس بل يكتفي عنه بغسله وعن جبير بن مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما انا فافيض على راسي ثلثا واشار بيديه كلتيهما رواه البخاري وفيه عن ابي
هريرة قال اقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم رجع فاغتسل ثم خرج
الينا وراسه يقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر اي تذكر لانه قال ذلك لفظا وعلم

الراوي بذلك من قراين او باعلامه له بعد ذلك وظاهر قوله فكبر الاكتفاء بالاقامة الثانية
فيوخذ منه جواز التخلل الكثير بين الاقامة والدخول في الصلاة وعنده ايضا من حديث
ميمونة وضعت للنبي صلى الله عليه وسلم غسلا فستر بثوب وصب على يديه فغسلهما
ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها ثم غسلها فمضمض واستنشق و
غسل وجهه وذراعيه ثم صب على راسه وافاض على جسده ثم تنحى فغسل قدميه فناولته
ثوبا فلم ياخذه فانطلق وهو ينفض يديه وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا
فلم ياخذه على كراهة التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق اليها
الاحتمال فيجوز ان يكون عدم الاخذ لامر اخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق بالخرقة
او غير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب لابقاء بركة بلل الماء او للتواضع او لشيء راه
في الثوب من حرير او وسخ وقد وقع عند احمد في هذا الحديث عن الاعمش قال فذكرت
ذلك لابراهيم النخعي فقال لا باس بالمنديل وانما رده مخافة ان يصير عادة قال التيمي في
شرحه في هذا الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا ذلك لم تاته بالمنديل وقال
ابن دقيق العيد نفضه الماء بيده يدل على ان لا كراهة في التنشيف لان كلا منهما
ازالة وقال النووي اختلف اصحابنا فيه على خمسة اوجه اشهرها ان المستحب تركه
وقيل مكروه في الصيف مباح في الشتا وفي هذا الحديث جواز نفض اليدين من ماء الغسل
وكذا ماء الوضوء لكن فيه حديث ضعيفا ورده الرافعي وغيره ولفظه لا تنفضوا
ايديكم في الوضوء فانها مراوح الشيطان قال ابن الصلاح لم اجده وتبعه النووي

وقالت

وقالت عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضا
للصلوة رواه البخاري وفيه رد على من حمل الوضوء هنا على التنظيف وقوله وتوضا
للصلوة اي وضوء كما للصلوة اي وضوءا شرعيا لا لغويا وليس انه توضا لاداء الصلوة
والحكمة فيه انه يخفف الحدث ولاسيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع الحدث
عن تلك الاعضاء المخصوصة على الصحيح ويؤيده ما رواه ابن ابي شيبة بسند رجاله ثقات
عن شداد بن اوس الصحابي قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام فليتوضا فانه
نصف غسل الجنابة وقيل الحكمة فيه انه احد الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم مقامه
وقد روى البيهقي باسناد حسن عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اجنب
فاراد ان ينام توضا او تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الماء وقيل
غير ذلك انتهى ملخصا من فتح الباري

النوع الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان بالصلوة يحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وساير العبادات و
سايل الى تحقيق سر الصلاة وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على اهل
السموات فلله ملايكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع الى يوم القيمة
وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها ايضا من العبوديات ما لم يجتمع في
غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة والاستفتاح بالتكبير والقراءة و
القيام والركوع والسجود والتسبيح في الركوع والدعاء في السجود الى غير ذلك
فهي مجموع عبادات عديدة لان الركوع بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذا كل

فرد فرد وقد امر الله تعالى نبيه بالصلوة في قوله سبحانه اتل ما اوحي اليك الى الكتاب
واقم الصلوة وقال تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وفي ذلك كما نبه عليه
صاحب كتاب التنوير امدنا الله بمدده اشارة الى ان في الصلوة تكليفا للنفوس شاقا
عليها لانها تاتي في اوقات ملاذ العباد واشتغالهم فيطالبهم بالخروج عن ذلك
كله الى القيام بين يديه والفراغ مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر عليها
قال ومما يدلك على ان في القيام بالصلوة تكاليف العبودية وان القيام بها على خلاف ما يقتضيه
البشرية قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة وانها لكبيرة الا على
الخاشعين فجعل الصبر والصلوة مقترنين اشارة الى انه يحتاج في الصلوة الى الصبر
صبر على ملازمة اوقاتها وصبر على القيام بمسنوناتها وواجباتها وصبر بمنع القلوب
فيها عن غفلاتها وكذلك قال تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلوة
بالذكر ولم يفرد الصبر به اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبيرة فذلك يدل على ما قلناه اولان
الصبر والصلاة مقترنان فكان احدهما عين الاخر كما قال تعالى في الاية الاخرى
والله ورسوله احق ان يرضوه انتهى ملخصا **ثم ان الكلام** فيها ينقسم الى خمسة
اقسام **القسم الاول في الفرايض** وما يتعلق بها وفيه ابواب **الاول** في فرضها
عن انس قال فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به خمسون صلاة
ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نودي يا محمد انه لا يبدل القول لدي وان لك بهذه
الخمس خمسين رواه الترمذي هكذا مختصرا ورواه البخاري ومسلم في حديث طويل تقدم

في مقصد الاسراء مع ما فيه من المباحث وعن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على
لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة رواه مسلم وابو داود
والنسايي وقوله في الخوف ركعة محمول على ان المراد ركعة مع الامام وينفرد بالاخرى
عن عايشة فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر
على الفريضة الاولى رواه البخاري وعنده في كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهري عن
عروة عن عايشة قال فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر صلى الله عليه وسلم ففرضت
اربعا تعين في هذه الرواية ان الزيادة في قوله في الحديث الذي قبله وزيد في صلاة
الحضر وقعت في المدينة وقد اخذ بظاهر هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه ان القصر في
السفر عزيمة لا رخصة واحتج مخالفهم بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
لان نفي الجناح لا يدل على العزيمة والقصر انما يكون من شيء اطول منه ويدل على
انه رخصة ايضا قوله عليه السلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
رواه مسلم واما خبر فرضت الصلوة ركعتين اي في السفر فمعناه لمن اراد الاقتصار
عليهما جمعا بين الاخبار قاله في المجموع **الفصل الثاني في الاوقات** التي صلى فيها
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس عن جابر ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمه مواقيت الصلوة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه
والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس
واتاه حين كان الظل مثل ظل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله م

فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فتقدم جبريل و رسول الله صلى الله
خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم اتاه جبريل
حين غاب الشفق فتقدم جبريل و رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العشاء ثم اتاه حين انشق الفجر فتقدم
جبريل و رسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الغداة
ثم اتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالامس
فصلى العصر الظهر ثم اتاه حين كان ظل الرجل مثلي شخصه وصنع كما صنع بالامس
فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالامس فصلى العشاء
ثم اتاه حين امتد الفجر واصنع واصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالامس
فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت رواه النسائي في رواية
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وكان
الفيء قدر الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثله ثم صلى المغرب حين غابت
الشمس ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ثم صلى الغداة
الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى
المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشا الى ثلث الليل او نصف الليل شك
احد رواته ثم صلى الفجر فاسفر وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم امني جبريل عند
البيت مرتين فصلى الظهر في الاولى حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان

ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وافطر الصائم ثم صلى العشاء حين
غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية
الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر حين كان ظل كل
شيء مثليه ثم صلى المغرب كوقته الاولى ثم صلى العشاء الاخرة حين ذهب ثلث
الليل ثم صلى الصبح حين اسفر ثم التفت الى جبريل فقال يا محمد هذا وقت الانبياء من
قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين رواه الترمذي وغيره وقوله صلى الظهر
حين كان ظله مثله اي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول وحينئذ فلا
اشتراك بينهما في وقت ويدل له حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس
ما لم يحضر العصر وقوله في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس يقتضي جواز
فعل الظهر اذا زالت الشمس ولا ينتظر بها وجوبا ولا ندبا فيصير الفيء مثل الشراك
كما اتفق عليه ايمتنا ودلت عليه الاخبار الصحيحة واما حديث ابن عباس فالمراد به
انه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لا انه اخر الى ان صار مثل الشراك
ذكره في المجموع وقد بين ابن اسحق في المغازي ان صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم
كانت صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الاسراء ولفظه قال نافع
بن جبير وغيره لما اصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي اسري به لم يرعه الا جبريل
نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الاولى اي صلاة الظهر فامر باصحابه الصلاة
جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فذكر الحديث

وفيه رد على من زعم ان بيان الاوقات انما وقع بعد الهجرة والحق ان ذلك وقع قبلها
ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وانما دعاهم بقوله الصلاة
جامعة لان الاذان لم يكن شرع حينئذ واستدل بهذا الحديث على جواز الايتمام
بمن ياتم بغيره ويجاب عنه بما يجاب عن قصة ابي بكر في صلاته خلف النبي صلى الله عليه
وصلاة الناس خلفه فانه محمول على انه كان مبلغا فقط كما سيأتي تقريره ان شاء الله تعالى
وقد صلى صلى الله عليه وسلم العصر والشمس في حجرة عايشة لم يظهر الفيء من حجرتها
رواه البخاري ومسلم وقال انس كان صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة
حية فيذهب الذاهب الى العوالي فياتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي من
المدينة على اربعة اميال رواه البخاري ومسلم وفي ذلك دليل على تعجيله
بصلاة العصر لوصف الشمس بالارتفاع بعد ان يمضي مسافة اربعة اميال والمراد
بالشمس ضوؤها وعن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا
غربت الشمس وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن رافع بن خديج
نصلي المغرب معه صلى الله عليه وسلم فينصرف احدنا وانه ليبصر مواقع نبله رواه
البخاري ومسلم والنبل بفتح النون السهام العربية اي يبصر مواقع سهامه اذا رمى
بها ومقتضاه المبادرة بالمغرب في اول وقتها بحيث ان الفراغ منها يقع والضوء باق
وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان الحر ابرد بالصلاة واذا كان البرد عجل رواه النسائي من
حديث انس ويوخر الصلاة العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية رواه ابو داود من رواية

علي بن شيبان وقال عليه السلام اذا قدم العشا فابدوا به قبل صلاة المغرب
ولا تعجلوا عن عشائكم رواه البخاري ومسلم وعند مسلم ابي داود لا تؤخروا الصلاة
لطعام ولا لغيره واعتم صلى الله عليه وسلم بالعشاء ليلة حتى ناداه عمر الصلاة
نام النساء والصبيان فخرج صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من اهل الارض
غيركم قال ولا تصلى يومئذ الا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين ان تغيب الشفق الى
ثلث الليل الاول زاد في رواية وذلك قبل ان يفشو الاسلام وفي رواية فخرج وراسه
يقطر يقول لولا ان اشق على امتي وعلى الناس لامرتهم بالصلوة هذه الساعة رواه
البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود من حديث ابي سعيد فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر
الليل فقال خذوا مقاعدكم فاخذنا مقاعدنا فقال ان الناس قد صلوا واخذوا
مضاجعهم وانكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلوة ولولا ضعف الضعيف
وسقم السقيم لاخرت هذه الصلاة الى شطر الليل وفي حديث ابي هريرة لولا
ان اشق على امتي لامرتهم ان يؤخروا العشاء الى ثلث الليل او نصفه صححه الترمذي
فعلى هذا من وجد به قوة على تاخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على احد من المامومين
فالتاخير في حقه افضل قد قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو اختيار كثير من اهل
الحديث من الشافعيه وغيرهم وقال الطحاوي تستحب الى الثلث وبه قال مالك واحمد
واكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي في الجديد وقال في القديم التعجيل افضل
وكذا قال في الاملاء وصححه النووي وجماعة وقالوا انه مما يفتى به على القديم وتعقب

بانه ذكره فى الاملاء وهو من كتبه الجديدة والمختار من حديث الدليل فضلية التاخير
قاله فى فتح الباري **الفصل الثالث** فى ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه
فروع الاول فى صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم وروى ابو داود انه عليه السلام
سمع بلالا يقيم فلما قال قد قامت الصلاة قال اقامها الله وادامها وكان صلى الله
نفتح الصلوة بالتكبير رواه من حديث عايشة وروى عن ابن عمر قال رايت النبى صلى
افتتح التكبير فى الصلوة واستدل بهما على تعين لفظ التكبير دون غيره من الفاظ
التعظيم وهو قول الجمهور ووافقهم ابو يوسف وعن الحنفية ينعقد بكل لفظ يقصد
التعظيم وقد روى البزار باسناد صحيح على شرط مسلم عن على ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام الى الصلاة قال الله اكبر ولاحمد والنسايي من طريق واسع بن حبان انه
سال ابن عمر عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر كلما وضع و
رفع وليعلم ان تكبيرة الاحرام ركن عند الجمهور وقيل شرط وهو مذهب الحنفية
ووجه عند الشافعية وقيل سنة **قال** ابن المنذر لم يقل به احد غير الزهري ولم يختلف
احد فى ايجاب النية فى الصلوة قال البخاري فى اواخر الايمان باب ما جاء فى قوله عم
الاعمال بالنية فدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكاة **قال** ابن القيم فى
الهدي النبوى كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال الله اكبر ولم يقل
شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال اصلى صلاة كذا مستقبل القبلة اربع ركعات
اماما او ماموما ولا اداء ولا قضاء ولا فرض الوقت **قال** وهذه عشر بدع لم ينقل

عنه احد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة البتة
بل ولا عن احد من الصحابة ولا استحبه احد من التابعين ولا الائمة الاربعة وقول الشافعى
فى الصلاة انها ليست كالصيام فلا يدخل احد فيها الا بذكر اى تكبيرة الاحرام
ليس الا وكيف يستحب الشافعى امرا لم يفعله صلى الله عليه وسلم الا فى صلاة واحدة
ولا احد من صحابته انتهى وعبارة الشافعى فى كتاب المناسك ولو نوى الاحرام بقلبه
ولم يلب اجزاه وليس كالصلاة لان فى اولها نطقا واجبا نصه وقد قال الشيخ ابو
على السنجى فى شرح التلخيص وابن الرفعة فى المطلب والزركشى فى الديباج وغيرهم انما
اراد الشافعى بذلك تكبيرة الاحرام قطعا انتهى وبالجملة فلم ينقل احد انه عليه السلام
تلفظ بالنية ولا علم احدا من اصحابه التلفظ بها ولا اقره على ذلك بل المنقول عنه فى
السنن انه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم و
فى الصحيحين انه عليه السلام لما علم المسيء صلاته فقال له اذا قمت الى الصلاة فكبر
ثم اقرا ما تيسر معك من القران فلم يامره بالتلفظ بشيء قبل التكبير نعم اختلف العلما
فى التلفظ بشيء قبل التكبير نعلم بها فقال قائلون هو بدعة لم ينقل فعله وقال
اخرون هو مستحب لانه عون على استحضار النية القلبية وعبادة للسان كما انه
عبودية للقلب والافعال المنوية عبودية الجوارح ونحو ذلك اجاب الشيخ تقى
الدين والحافظ عماد الدين ابن كثير واطنب ابن القيم فى غير الهدي فى رد الاستحباب
واكثر من الاستدلال بما فى ذكره طول يخرجنا عن المقصود لاسيما والذي استقر

عليه اصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين من حديث
انس انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعًا يقول لبيك عمرة
وحجا وفي البخاري من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو
بوادي العقيق اتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة
في حجة وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكن تعقب هذا بانه عم
قال ذلك في ابتداء احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه من النسك وامتثالا
للامر الذي جاء من ربه تعالى في ذلك الوادي ولقد صلى عليه السلام اكثر من ثلاثين
الف صلاة فلم ينقل عنه انه قال نويت اصلي صلاة كذا وكذا او ترك سنة كما ان فعله
سنة فليس لنا ان نسوي بين ما فعله وتركه فناتي من القول في الموضع الذي تركه بنظير
ما اتى به في الموضع الذي فعله والفرق بين الحج والصلاة اظهر من ان يقاس احدهما
على الاخر انتهى ما قاله هذا المتعقب فليتامل وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة
رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم يكبر فاذا اراد ان يركع فعل مثل ذلك واذا رفع راسه
من الركوع فعل ذلك وفي رواية واذا رفع راسه من الركوع رفعهما كذلك ايضا قال
سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد وفي اخرى نحوه قال ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين
يرفع من السجود رواه البخاري ومسلم وعند ابي داود من حديث علقمة كان صلى الله عليه وسلم
اذا قام من سجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح
وهو قطعة من حديث رواه ايضا الترمذي وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه

مالك

مالك قال النووي اجمعت الامة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام و
اختلفوا فيما سواها فقال الشافعي واحمد وجمهور العلماء من الصحابة يستحب ايضا رفعهما
عند الركوع وعند الرفع منه وهو رواية عن مالك وللشافعي قول انه يستحب رفعهما
في موضع رابع وهو اذا قام من التشهد الاول وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه
حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يفعله رواه البخاري وكان صلى الله عليه وسلم
يضع يده اليمنى على اليسرى رواه ابو داود ومذهب الشافعي والاكثرين ان المصلي اذا
وضع يديه حطهما تحت صدره فوق سرته وقال ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعي
تحت سرته وكان عليه السلام يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة فقال له ابو هريرة
بابي انت وامي اسكاتك بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين
خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى
الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد رواه البخاري
ومسلم وعن علي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة وفي رواية اذا افتتح
الصلوة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا
من المسلمين اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت
نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني
لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف سيئها لا يصرف عني سيئها

الا انت لبيك وسعديك والخير كله فى يديك والشر ليس اليك انا بك واليك تباركت و
استغفرك واتوب اليك الحديث رواه مسلم وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة
قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك رواه الترمذي
وابو داود وعن جبير بن مطعم انه راي رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة
قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا اعوذ بالله من
الشيطان من نفخة ونفثه وهمزه قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة رواه
ابو داود عن محمد بن سلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي تطوعا
قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا من المسلمين ثم قال اللهم انت الملك لا اله
الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرا رواه النسايي الفرع الثاني فى ذكر قراته صلى الله عليه وسلم
البسملة فى اول الفاتحة روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده
بذلك ورواه الحاكم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله
الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفى صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله
قرا البسملة فى اول الفاتحة فى الصلاة وعدها اية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخي
وفيه ضعف عن ابن ابي مليكة عنها روي الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في
تفسيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين

سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم احداهن وهي السبع المثاني والقران العظيم وهي ام الكتاب
وروي الدار قطني ايضا عن ابي هريرة مرفوعا نحوه ومثله وقال كلهم ثقات وروي
البيهقي عن علي وابن عباس وابي هريرة انهم فسروا قوله سبعا من المثاني بالفاتحة وان
البسملة هي الاية السابعة منها وعن شعبة عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراة بالحمد لله رب العالمين رواه البخاري اي كانوا يفتتحون
بالفاتحة وفى رواية مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم كذا اخرجه
مسلم وغيره لكنه حديث معلول اعله الحافظ كما هو فى كتب علوم الحديث وفى
شرح الفية العراقي لشيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي امتع الله بوجوده فى باب
المعلل ما نصه وعلة المتن القادحة فيه كحديث نفي قراة البسملة في الصلاة المروي
عن انس اذ ظن راو من رواته حين سمع قول انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين
نفي البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم
فى اول قراة ولا فى اخرها وفى لفظ فلم يكونوا يفتتحوا القراة بسم الله وصار بمقتضى
ذلك حديثا مرفوعا والراوي لذلك مخطي فى ظنه ولذا قال الشافعي رحمه الله في
الام ونقله عنه الترمذي فى جامعه المعنى انهم يبدون بقراة ام القران قبل
ما يقرا بعدها لا انهم يتركون البسملة اصلا ويتايد بثبوت تسمية ام القران
بجملة الحمد لله رب العالمين فى صحيح البخاري وكذا بحديث قتادة قال سيل انس

كيف كانت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن
الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري في صحيحه وكذا صححه الدارقطني
والحازمي وقال انه لا علة له لان الظاهر كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سال انسا
عن الاستفتاح في الصلوة باي سورة واجابه بالحمد لله ساله عن كيفية قراته فيها و
كانه لم ير ايهام السايل مانعا من تعيينه بقتادة خصوصا وهو السايل اولا وقد
اخرج ابن خزيمة في صحيحه وصححه الدارقطني ان ابا مسلمة سعيد بن زيد سال انسا اكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله او بسم الله فقال لا احفظ فيه شيئا
قال وهذا مما يتايد به خطاء النافي ولكن قد روي هذا الحديث عن انس جماعة منهم
حميد وقتادة والتحقيق ان المعل رواية حميد خاصة اذ رفعها وهم من الوليد بن
مسلم عن مالك عنه بل ومن بعض اصحاب حميد ايضا عنه فانها في ساير الموطات عن مالك
صليت وراء ابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كانوا لا يقرا بسم الله لا ذكر للنبي صلى الله عم
فيه وكذا الذي عند ساير حفاظ اصحاب حميد عنه انما هو في الوقف خاصة وبه صرح
ابن معين عن ابن عدي حيث قال ان حميدا كان اذا رواه عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن
قتادة عن انس رفعه واما رواية قتادة وهي من رواية الوليد بن مسلم وغيره من الاوزاعي
ان قتادة كتب اليه يخبره ان انسا حدثه قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم
في اول قراة ولا في اخرها فلم يتفق اصحابه عنه على هذا اللفظ بل اكثرهم لا ذكر عندهم
للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله وممن اختلف عليه فيه

من اصحابه شعبة فجماعة منهم غندر لا ذكر عندهم فيه للنفي وابو داود الطيالسي
فقط حسبما وقع من طريق غير واحد عنه بلفظ فلم يكونوا يفتتحون القراة ببسم الله وهي
موافقة للاوزاعي وابو عمر والدوري وكذا الطيالسي وعند د ايضا بلفظ فلم اسمع
احدا منهم يقرا ببسم الله بل كذا اختلف غير قتادة من اصحاب انس فاسحاق بن ابي طلحة
وثابت البناني ما اختلف عليهما ومالك بن دينار ثلاثتهم عن انس بدون نفي واسحق
وثابت ايضا ومنصور بن زاذان وابو قلابة وابو نعامة كلهم عنه باللفظ الثاني
للجهر خاصة ولفظ اسحق منهم يفتتحون القراة بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ
فطريق الجمع بين هذه الروايات كما قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله يمكن
يحمل نفي القراة على نفي السماع ونفي السماع على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية منصور
بن زاذان فلم يسمعنا قراة بسم الله واصرح منها رواية الحسن عن انس كما عند ابن
خزيمة كانوا يسرون بسم الله وبهذا الجمع زالت دعوى الاضطراب كما انه ظهر ان الا وزاعي
الذي رواه عن قتادة مكاتبة مع كون قتادة ولد اكمه وكاتبه مجهول لعدم تسميته
لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن قول انس لا احفظه بان المثبت مقدم على النافي خصوصا
وقد تضمن النفي عدم استحضار انس رضي الله عنه لاهم شيء يستحضره وبامكان
نسيانه حين سؤال ابي سلمة له وتذكره بعد فانه ثبت ان قتادة ايضا ساله ايقرا الرجل في
الصلاة بسم الله فقال صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم
اسمع احدا منهم يقرا ببسم الله ويحتاج اذا استقر محصل حديث انس على نفي الجهر

الى دليل له وان لم يكن مباحثنا وقد ذكر له الشارح دليلاً وارشد شيخنا يعني الحافظ
بن حجر لما يوخذ منه ذلك بل قال ان قول نعيم المجمر صليت وراء ابي هريرة فقراء بسم الله
الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران حتى بلغ ولا الضالين وقال الناس امين وكان لما
سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين يقول الله اكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده
لاشبهكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن
خزيمة وابن حبان ورواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر بسم الله الرحمن الرحيم
ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم في معظم الصلاة
لا في جميع اجزائها لاسيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون ذكر البسملة واجيب
بان نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزاء فيحمل على عمومه حتى يثبت دليل
يخصصه ومع ذلك فيتطرق احتمال ان يكون سماع نعيم لها من ابي هريرة حال مخافتته لقربه
منه وقد قال الامام فخر الدين الرازي في تصنيف له في الفاتحة وروى الشافعي باسناده
ان معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض
الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معاوية سرقت الصلاة اين بسم الله
الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع والسجود فاعاد الصلوة مع التسمية والتكبير ثم
قال الشافعي وكان معاوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة فلولا ان الجهر بالتسمية
كان كالامر المتقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والانصار لما قدروا على اظهار الانكار
عليه بسبب تركه انتهى وهو حديث حسن اخرجه الحاكم في صحيحه وكذا الدارقطني وق

ان

ان رجاله ثقات ثم قال الامام بعد وقد بينا ان هذا يعني الانكار المتقدم يدل على
ان الجهر بهذه الكلمة كالامر المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده بعد
ان ترجم بالجهر بالبسملة حديث معتمر بن سليمان عن اسماعيل بن حماد بن ابي سليمان
عن ابي خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته
ببسم الله الرحمن الرحيم ووافقه على تخريجه الدارقطني وابو داود وضعفه بل وقال
الترمذي ليس اسناده بذاك والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم الافطس
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ببسم الله الرحمن الرحيم
يمد بها صوته الحديث وهو عند الحاكم في مستدركه ايضا ما نصه وقد قال بهذا عدة
من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو هريرة وابو عمر وابن الزبير ومن
بعدهم من التابعين رووا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي انتهى وقال الشيخ ابو
امامة ابن النقاش والذي يروم تحقيق هذه المسالة ينبغي ان يعرف ان هذه المسالة بعلم القراآت
امس وذلك ان من القراء الذين صحت قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان
يقراها اية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وغيرهم من الصحابة والتابعين
ومنهم من لا يعدها اية من الفاتحة كابن عامر وابي عمرو ونافع في رواية عنه وحكم قراءتها
في الصلاة حكم قراءتها خارجها ومن قرا على قراءة من جعلها من ام القران لزمه فرضا ان يقراها
ومن قراء على قراءة من لم يرها من ام القران فهو مخير بين القراءة والترك فحينئذ الخلاف
منها كالخلاف في حرف من حروف القران وكلا القولين صحيح ثابت لا نطعن على مثبته ولا على

منفية ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم تارة قراها وتارة لم يقراها هذا هو الانصاف
ثم قال والمتيقن الذي يجب المصير اليه ان كلا من العملين ثابت لانه لا يختلف اثنان من اهل
الاسلام ان هذه القرات السبع كلها حق مقطوع بها من عند الله وليست هذه اول كلمة ولا
اول حرف اختلف في اثباته وحذفه وقل سورة من القران ليس فيها ذلك كلفظ هو في
سورة الحديد وهو الغني الحميد ولفظ من في سورة التوبة في قوله تعالى جنات تجري من
تحتها الانهار والفات عديدة وواوات وهاآت كذلك وكل هذا من نتيجة كون القران نزل
على سبعة احرف وهذا هو الذي يدلك على بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع
اختلاف الناس فيها وقوله ان الاختلاف لا يثبت معه قران فما ادري ما هذا الظن
وهذا الذي ذكرناه هو الذي يزيحك من تلك التقريرات من الجانبين ثم قال ولا ريب ان
الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كلا الامرين الجهر والاسرار فجهر واسر غير ان اسراره
كان اكثر من جهره وقد صح في الجهر احاديث لا يطعن فيها المصنف نحو احاديث كما انه قد صح في
الاسرار بها احاديث لا مطعن فيها نحو ثلثة لعار عن العصبية ولا يلتفت لمن يقول ان
ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كان الجهر فقط انتهى وقيل لعارفين بما ذا ظهر اسم
الامام الشافعي وغلب ذكره فقال اري ذلك باظهار بسم الله في البسملة لكل صلوة انتهى

الفرع الثالث في ذكر قراته صلى الله عليه وسلم الفاتحة وقوله آمين بعدها **كان**
صلى الله عليه وسلم اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين و
مد بها صوته وفي رواية وخفض بها صوته رواه الترمذي وفي رواية ابي داود ورفع

بها

بها صوته وفي رواية له جهر بامين **وقال** ابن شهاب وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قال ولا الضالين جهر بامين اخرجه السراج ولابن حبان من رواية الزبيدي
عن ابن شهاب كان اذا فرغ من قراة ام القران رفع صوته وقال امين وللحميدي من طريق
سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ اذا قال ولا الضالين ولابي داود وصححه ابن حبان
من حديث وايل بن حجر نحو رواية الزبيدي وفيه رد على من اوما الى النسخ فقال انما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالتامين في ابتداء الاسلام ليعلمهم فان وايل بن حجر
انما اسلم في اواخر الامر **الفرع الرابع** في ذكر قراته بعد الفاتحة في صلاة الغداة عن ابي
برزة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في صلاة الغداة ما بين الستين الى المائة رواه
النسائي وعن عمرو بن حريث انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقراء في الفجر والليل اذا
عسعس رواه مسلم وفي رواية النسائي يقراء في الفجر اذا الشمس كورت وعن جابر بن
سمرة قال كان صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر بقاف والقران المجيد ونحوها وكانت
قراته بعد تخفيفا رواه مسلم وعن عبد الله بن السايب قال صلى الله عليه وسلم الصبح
بمكة فاستفتح سورة المومنون حتى جاوز ذكر موسى وهارون او ذكر عيسى شك
الراوي واختلف عليه اخذت النبي صلى الله عليه وسلم سعلة فركع الحديث رواه
مسلم قال النووي فيه جواز قطع القراة وجواز القراة ببعض السورة وكرهه
مالك انتهى وتعقب بان الذي كرهه مالك ان يقتصر على بعض السورة مختارا
والمستدل بظاهر في انه كان للضرورة فلا يرد عليه وكذا يرد على من استدل

على انه لا يكره قراة بعض الاية اخذا من قوله حتى جاء ذكر موسى وهرون او ذكر عيسى
لان كلا من الموضعين يقع فى وسط اية نعم الكراهة لا تثبت الا بدليل وادلة الجواز
كثيرة وفى حديث زيد بن ثابت انه صلى الله عليه وسلم قرا الاعراف فى الركعتين
واما ابو بكر باصحابه فى صلاة الصبح بسورة البقرة قراها فى الركعتين وهنا اجماع منهم
وقرا فى الصبح اذا زلزلت فى الركعتين كلتيهما قال الراوي فلا ادري انسي ام قرا ذلك
عمدا رواه ابو داود وكان صلى الله عليه وسلم يقرا فى الصبح الجمعة الم تنزيل السجدة
وهل اتى على الانسان حين من الدهر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي
والنسايي من حديث ابى هريرة وانما كان يقراهما كاملتين وقراة بعضهما خلاف السنة
وانما كان يقرابهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدا فى المعاد وخلق ادم ودخول الجنة
والنار واحوال يوم القيمة لان ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية فى العلم
المشهور وقرره تقريرا حسنا كما افاده الحافظ ابن حجر قال وقد ورد فى حديث
ابن مسعود التصريح بمداومته صلى الله عليه وسلم على قراتهما فى صبح الجمعة
اخرجه الطبرانى ولفظه يديم ذلك واصله فى ابن ماجة لكن بدون هذه الزيادة و
رجاله ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله قال وكان ابن دقيق العيد لم يقف عليه فقال
فى الكلام على حديث الباب ليس فى الحديث ما يقتضى فعل ذلك دايما اقتضاء قويا وهو كما
قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة ليست نصا فى المداومة لكن الزيادة المذكورة
نصا فى ذلك ولهذه الزيادة شاهد من حديث ابن عباس بلفظ كل جمعة اخرجه الطبرانى

في الكبير

في الكبير واما تعيين السورة للركعة فورد من حديث على عند الطبرانى بلفظ كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا فى الركعة الاولى من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفى
الركعة الثانية هل اتى على الانسان وقد اختلف تعليل المالكية لكراهة قراة السجدة
فى الصلوة فقيل لكونها تشتمل على زيادة سجود فى الفرض قال القرطبى وهو تعليل فاسد
بشهادة هذا الحديث وقيل لخشية التخليط على المصلين ومن ثمه فرق بعضهم بين الجهرية
والسرية لان الجهرية يومن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرا
سورة فيها سجدة فى صلاة الظهر فسجد بهم فيها رواه ابو داود والحاكم فيطلب التفرقة
ومنهم من علل الكراهية بخشية اعتقاد العوام انها فرض قال ابن دقيق العيد اما القول
بالكراهة مطلقا فياباه الحديث لكن اذا انتهى الحال الى وقوع هذه المفسدة فينبغى ان يترك
احيانا لتندفع فان المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة وهو يحصل فى بعض الاوقات
انتهى وقال صاحب المحيط من الحنفية يستحب قراتهما فى صبح يوم الجمعة بشرط ان يقرء
غير ذلك احيانا لئلا يظن الجاهل انه لا يجزي غيره قال ولم ار فى شيء من الطرق التصريح
بانه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرا سورة الم تنزيل فى هذا المحل الا فى كتاب الشريعة ولابى
داود من طريق اخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال عددت على النبى صلى الله عليه
يوم الجمعة فى صلاة الفجر فقرا سورة فيها سجدة فسجد الحديث وفى اسناده من ينظر فى حاله
انتهى وعن على عند الطبرانى فى المعجم الاوسط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد
فى الصبح يوم الجمعة فى الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة تدفع احتمال ان يكون قرا السورة ولم يسجد

الفرع الخامس فى ذكر قرائته صلى الله عليه وسلم فى صلاتى الظهر والعصر عن قتادة
قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرا فى الظهر فى الاولين بام الكتاب وسورتين وفى
الركعتين الاخريين بام الكتاب ويسمعنا الاية احيانا ويطول فى الركعة الاولى ما لا
يطيل فى الركعة الثانية وهكذا فى العصر وهكذا فى الصبح رواه البخاري ومسلم قال
الشيخ تقى الدين السبكى كان السبب فى تطويله للاولى على الثانية ان النشاط فى الاولى
يكون اكثر فناسب التخفيف فى الثانية حذرا من الملل انتهى وروي عبد الرزاق عن معمر
عن يحى اخر هذا الحديث فظننا انه يريد بذلك ان يدرك الناس الركعة الاولى وعن
ابى سعيد الخدري قال كنا نحزر اى نقدر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهر
والعصر فحزرنا قيامه فى الركعتين الاولين من الظهر قدر الم تنزيل السجدة وفى رواية
فى كل ركعة قدر ثلثين اية وحزرنا قيامه فى الاخريين قدر النصف من ذلك وحزرنا
فى الركعتين الاولين من العصر على قدر قيامه فى الاخريين من الظهر وفى الاخريين
من العصر على النصف رواه مسلم وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقراء
فى الظهر بالليل اذا يغشى وفى رواية بسبح اسم ربك الاعلى وفى رواية العصر نحو ذلك
الحديث رواه مسلم وعنه كان يقراء فى الظهر و العصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق
رواه ابو داود والترمذي وعن البرا كنا نصلى خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر
فنسمع منه الاية بعد الايات من لقمان والذاريات رواه النساي قال ابن دقيق العيد
فيه دليل على ان جواز الاكتفاء بظاهر الحال فى الاخبار دون التوقف على اليقين لان

الطريق الى العلم بقراءة السورة فى السرية لايكون الا بسماع كلها وانما يفيد يقين ذلك
لو كان فى الجهرية وكانه ماخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قراءة باقيها ويحتمل
ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم عقب الصلاة دايما او غالبا بقراءة
السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن انس قراءته صلى الله عليه وسلم فى الظهر بسبح اسم
ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية رواه النساي وعن ابى سعيد كانت صلاة الظهر
تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضى حاجته ثم ياتى اهله فيتوضا ويدرك النبى صلى الله عليه وسلم
فى الركعة الاولى رواه مسلم الفرع السادس فى ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم فى صلاة المغرب
عن ام الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقراء فى المغرب بالمرسلات عرفا
رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنساي وفى رواية لانها الاخر
ما سمعت من رسول الله وصرح عقيل فى روايته عن ابن شهاب بانها اخر صلاة صلى الله عليه وسلم
ولفظه ثم ما صلى بعدها حتى قبضه الله اورده البخاري فى باب الوفاة وعنده فى باب
انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عايشة ان الصلاة التى صلاها النبى صلى الله عليه
باصحابه فى مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما بان الصلاة التى حكتها ام الفضل كانت فى بيته
كما رواه النساي لكن يعكر عليه رواية ابن اسحق عن ابن شهاب فى هذا الحديث بلفظ خرج
الينا رسول الله وهو عاصب راسه فى مرضه فصلى المغرب الحديث رواه الترمذي و
يمكن حمل قولها خرج الينا اى من مكانه الذي كان راقدا فيه الحمن فى البيت فصلى فتلتئم
الروايات وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله يقراء فى المغرب بالطور رواه البخاري

ومسلم زاد البخاري في الجهاد وكان جبير بن مطعم جاء في اساري بدر وزادا لاسماعيلي
وهو يوميذ مشرك وللبخاري في المغازي وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وللطبراني
فاخذني من قراته الكرب ولسعيد بن منصور فكان ما صدع قلبي وفي قوله سمعته صلى الله
دليل على الجهر بها والله اعلم وعن مروان بن الحكم قال زيد بن ثابت ما لك يقرا في المغرب
بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا بطولى الطوليين رواه البخاري
زاد ابو داود قلت وما طولى الطوليين قال الاعراف وفي رواية النساي من حديث
عايشة انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الاعراف فرقها في ركعتين وعن
عبد الله بن عتبة قرا صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب بحم الدخان رواه النساي
وهذه الاحاديث في القراة مختلفة المقادير لان الاعراف من السبع الطوال والطور
من الطوال المفصل والمرسلات من اوساطه قال الحافظ بن حجر ولم ار حديثا مرفوعا فيه
النصيص على القراة فيها بشي من قصار المفصل الا حديثا في بن ماجة عن ابن عمر فيه
على الكافرين والاخلاص مثله لابن حبان عن جابر بن سمرة فاما حديث بن عمر فظاهر
اسناده الصحة الا انه معلول قال الدارقطني اخطا بعض رواته فيه واما حديث جابر بن
سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك والمحفوظ انه قرا بهما في الركعتين بعد المغرب اعتمد
بعض اصحابنا وغيرهم حديث سليمان بن يسار عن ابي هريرة قال ما رايت احدا اشبه بصلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرا في الصبح بطوال المفصل وفي المغرب
بقصار المفصل رواه النساي وصححه ابن خزيمة وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في الاسناد

نظر نعم

نظر نعم حديث رافع انهم كانوا ينتضلون بعد صلاة المغرب يدل على تخفيف القراة
فيها وطريق الجمع بين هذه الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان احيانا يطيل القراة
في المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة على الماموميين وليس في حديث
جبير دليل على ان ذلك تكرر منه واما حديث زيد بن ثابت ففيه اشعار بذلك لكونه
انكر على مروان المواظبة على القراة بقصار المفصل ولو كان مروان يعلم ان النبي صلى الله
واظب على ذلك لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة على القراة بالطوال وانما
اراد منه ان يتعاهد ذلك كما راه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ام الفضل
اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصحة باطول من المرسلات لكونه في حال شدة
مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على ابي داود ادعاء نسخ التطويل لانه روى عقب
حديث زيد بن ثابت من طريق عروة انه كان يقرا في المغرب بالقصار قال وهذا يدل على نسخ
حديث زيد ولم يبين وجه الدلالة وكيف تصح دعوى النسخ وام الفضل تقول ان اخر صلاة
صلاها بهم قرا بالمرسلات قال ابن خزيمة في صحيحه هذا من الاختلاف المباح فجايز للمصلي
ان يقرا في المغرب وفي الصلوات كلها بما احب الا انه اذا كان اماما استحب له ان يخفف
القراة انتهى والراجح عند النووي ان المفصل من الحجرات الى اخر القران والله اعلم **النوع
السابع** في ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يقرء في صلوة العشاء عن البراء كان صلى الله
يقرا في العشاء والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراة منه صلى الله
رواه البخاري ومسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتى على اية عذاب وقف وتعوذ

رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي
الاعلى رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس وقال صلى الله عليه وسلم
من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على
ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى قوله اليس ذلك بقادر
على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يومنون
فليقل امنا بالله رواه ابو داود والترمذي الى قوله وانا على ذلك من الشاهدين
وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراة اسكاتة وعنها ساله ابو هريرة
ويسكت بعد الفاتحة ويسكت ثالثة بعد قراة السورة وهي سكتة لطيفة جدا حتى
يتراد اليه النفس ولم يكن يصل القراة بالركوع واما السكتة الاولى فانه كان يجعلها
بقدر الاستفتاح واما الثانية فلاجل قراة الماموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدرها
ذكره صاحب زاد المعاد وعن سمرة بن جندب سكتتان حفظتهما عن رسول الله ع م
اذا دخل في صلوته واذا فرغ من القراة ثم قال بعد ذلك واذا قرا ولا الضالين
قال وكان يعجبه اذا قرا فرغ من القراة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه رواه الترمذي
النوع الثامن في ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابي حميد الساعدي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي
بهما منكبيه فذكر الحديث الى ان قال ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما
منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصب راسه ولا يقنع رواه

ابو

ابو داود والدارمي النوع التاسع في ذكر مقدار ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابن
جبير قال سمعت انس بن مالك يقول ما صليت وراء احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز
قال فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات وسجوده عشر تسبيحات رواه ابو داود وعن البراء كان ركوع
النبي صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع من الركوع ما خلا القيام و
القعود قريبا من السواء رواه البخاري ومسلم قال النووي هذا الحديث محمول على بعض
الاحوال والا فقد ثبت في الحديث تطويل القيام فانه كان يقرا في الصبح بالستين الى المائة
وفي الظهر بالم السجدة وانه كان تقام الصلاة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته
ثم يرجع الى اهله فيتوضا ثم ياتي المسجد فيدرك الركعة الاولى وانه قرا سورة المومنين
حتى بلغ ذكر موسى وهرون وانه قرا في المغرب بالطور والمرسلات وفي البخاري
بالاعراف فكل هذا يدل على انه كانت له في اطالة القيام احوال بحسب الاوقات وهذا
الحديث الذي نحن فيه جرى في بعض الاوقات انتهى وقال ابن القيم مراد البراء ان صلاته ع م
كانت معتدلة فكان اذا اطال القيام والركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود
وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام وهديه عليه السلام الغالب تعديل الصلاة
وتناسبها انتهى النوع العاشر في ذكر ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في الركوع والرفع منه
عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم
وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران رواه البخاري ومسلم ومعنى يتاول القران يعمل

مما امر به فی قوله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان عليه السلام يقول
هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما امر به في الاية وعنها كان صلى الله عليه وسلم
يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح رواه مسلم وعن حذيفة
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان
ربي الاعلى وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع ظهره من الركوع قال سمع الله لمن حمده
ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد رواه مسلم قال
النووي يعني المصلي بقوله سمع الله لمن حمده حين الشروع في الرفع من الركوع ويمده
حتى ينتصب قائما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو ربنا لك الحمد الى اخره قال وفي هذا
الحديث دلالة للشافعي وطايفة انه يستحب لكل مصلي من امام ومأموم ومنفرد ان يجمع
بين سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد في حال استوائه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه
فعلهما جميعا وقد قال عليه السلام صلوا كما رايتموني رواه البخاري انتهى وقال
ابن القيم كان عليه السلام اذا استوى قائما قال ربنا ولك الحمد وربما قال ربنا لك
الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح عنه ذلك كله واما الجمع بين اللهم والواو
فلم يصح انتهى **قلت** وقع في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة في رواية الاصيلي مرفوعا
اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فجمع بين اللهم والواو
وهو يرد على ابن القيم كما ترى **وقال** الشيخ تقي الدين في شرح العمدة كان اثبات الواو
دال على معنى زايد لانه يكون التقدير ربنا استجب وما قارب ذلك ولك الحمد فيكون الكلام

مشتملا

مشتملا على معنى الدعاء ومعنى الخبر واذا قيل باسقاط الواو دل على احد هذين انتهى
وقال ابن العراقي اسقاط الواو وحكاه عن الشافعي ابن قدامة وقال لان الواو للعطف
وليس هنا شيء يعطف عليه وعن مالك واحمد في ذلك خلاف وقال النووي
كلاهما جاءت به روايات كثيرة والمختار انه على وجه الجواز وان الامرين جايزان ولا
ترجيح لاحدهما على الاخر انتهى وعن ابي سعيد الخدري كان صلى الله عليه وسلم اذا
رفع راسه من الركوع قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت
من شيء بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما اعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم **قوله** ملء السموات و ملء الارض حمدا لو كان
اجساما لملات السموات والارض ومعنى سمع الله لمن حمده اي اجاب يعني ان من حمد الله تعالى
متعرضا لثوابه استجاب الله له فاعطاه ما تعرض له فانا اقول ربنا لك الحمد ليحصل ذلك وقوله
اهل منصوب على النداء وقوله وكلنا لك عبد بالواو ويعني احق قول العبد لا مانع لما اعطيت
الى اخره واعترض بينهما قولا وقوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى
قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى على قراءة من قرا
وضعت بفتح العين واسكان التاء والجد بفتح الجيم الغنا اي لا ينفع ذا الغنا منك
غناه وانما ينفعه الايمان والطاعة والله اعلم **وفي** رواية ابن ابي اوفى عند مسلم
كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد قوله من شيء اللهم طهرني بالثلج والبرد و
الماء البارد

النوع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده صلى الله عليه وسلم وما يقول فيه

كان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ذكر قيامه عن الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع
يديه وقد روي انه عليه السلام كان يرفع يديه ايضا وصححه بعض الحفاظ كابن حزم و
الذي عزه ان الراوي غلط من قوله كان يكبر فى كل خفض ورفع الى قوله كان يرفع يديه
فى كل خفض ورفع وهو ثقة ولم يفطن لسبب غلطه وهم فصححه نبه عليه فى زاد المعاد
وكان عليه السلام يضع ركبتيه قبل يديه رواه ابو داود ثم جبهته والفه وقال
امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين رواه
البخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال النووي فينبغي للساجد ان يسجد على الجبهة و
الانف جميعا فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفي بعضها والانف
مستحب فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز هذا مذهب الشافعي ومالك
والاكثرين وقال ابو حنيفة عليهما معا لظاهر الحديث قال الاكثرون بل ظاهر
الحديث انها فى حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعل عضوين صارت ثمانية و
كان عليه السلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان وقال
ميمونة جاء فى بين يديه حتى لو شاء بهمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم ولم نذكر عنه
صلى الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك فى حديث صحيح حسن ولا
ولكن روى عبد الرزاق فى المصنف عن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم يسجد على كور
عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرز وهو متروك وذكر ابو داود فى المراسيل
انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر

صلى الله

صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى سجوده اللهم اغفر لي
ذنبي كله دقه وجله اوله واخره وعلانيته وسره رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله
دقه وجله بكسرا ولهما اى قليله وكثيره وعن عايشة قالت فقدت رسول الله صلى الله
ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو فى السجود وهما منصوبتان
وهو يقول اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوباتك واعوذ بك
منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه مسلم قال الخطابي فى هذا الحديث
معنى لطيف وذلك انه عليه السلام استعاذ بالله وساله ان يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته
من عقوباته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمعاقبة فلما صار
الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير
فى بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا احصي ثناء عليك اي لا اطيقه
ولا اتى عليه وقيل لا احيط به وقال مالك لا احصي نعمتك واحسانك والثناء بها
عليك وان اجتهدت فى الثنا وقوله انت كما اثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن
تفصيل الثناء فانه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء الى الجملة دون التفصيل
والاحصا والتعيين فكل ذلك الى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما
انه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لان الثناء عليه تابع للمثنى عليه فكل شيء اثنى به
عليه وان كثر وطال وبالغ فيه فقدر الله اعظم وسلطانه اعز وصفاته اكثر واكبر وفضله
واحسانه اوسع واسبغ انتهى وههنا فائدة ذكرها بعض المحققين فى نهيه صلى الله عليه وسلم

عن قراة القران فی الرکوع والسجود وهی ان القران اشرف الکلام وحالتا الرکوع والسجود
حالتا ذل وانخفاض من العبد فمن الادب مع کلام الله تعالی ان لا یقرأ فی هاتین الحالتین
ویکون حالة القیام وانتصاب اولی به والله اعلم وروی ابو داود انه صلی الله علیه وسلم
سجد علی الماء والطین وکان صلی الله علیه وسلم یرفع راسه من السجود مکبرا غیر رافع
یدیه ویرفع منه راسه قبل یدیه ثم یجلس علی رجله الیسری وینصب الیمنی وکان علیه السلام
یجلس للاستراحة جلسة لطیفة بحیث تسکن جوارحه سکونا بینا ثم یقوم الی الرکعة الثانیة
کما فی صحیح البخاری وغیره قال النووی ومذهبنا استحبابها عقب السجدة الثانیة من کل
رکعة یقوم عنها ولا یستحب فی سجود التلاوة فی الصلوة وکان علیه السلام یقول بین
السجدتین اللهم اغفر لی وارحمنی واهدنی وعافنی وارزقنی رواه ابو داود والدارمی
من حدیث ابن عباس **الفرع الثانی عشر** فی ذکر صفة جلوسه صلی الله علیه وسلم للتشهد کان
یفرش رجله الیسری وینصب الیمنی رواه مسلم قال النووی معناه یجلس مفترشا
وفیه حجة لابی حنیفة ومن وافقه ان الجلوس فی الصلوة یکون مفترشا سواء فیه جمیع الجلسات
وعند مالک یسن متورکا بان یخرج رجله الیسری من تحته ویفضی بورکه الی الارض
وقال الشافعی رحمه الله السنة ان یجلس کل الجلسات مفترشا الا الجلسة التی یعقبها
السلام والجلسات عند الشافعی اربع الجلوس بین السجدتین وجلسة الاستراحة علی
کل رکعة یعقبها قیام والجلسة للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخیر والجمیع یسن مفترشا
فی تشهده فاذا سجد فی السهو تورک ثم سلم هذا تفصیل مذهب الشافعی واحتج ابو حنیفة

باطلاق

باطلاق حدیث عایشة هنا واحتج الشافعی بحدیث ابی حمید الساعدی فی صحیح البخاری
وفیه التصریح بالافتراش فی الجلوس الاول والتورک فی اخر الصلوة وحمل حدیث عایشة
علی هذا الجلوس فی غیر التشهد الاخر لیجمع بین الاحادیث انتهی فلیتامل مع قول ابن القیم فی
الهدی انه لم ینقل احد عنه صلی الله علیه وسلم ان هذا کان صفة جلوسه فی التشهد الاول
ولا اعلم احدا قال به انتهی قال ابو حمید الساعدی فی عشرة من اصحابه صلی الله علیه وسلم
انا اعلمکم بصلاة رسول الله صلی الله علیه وسلم قالوا فاعرض فذکر الحدیث الی
ان قال حتی اذا کانت السجدة التی فیها التسلیم اخرج رجله الیسری وقعد متورکا
علی شقه الایسر ثم سلم قالوا صدقت هکذا کان یصلی رواه ابو داود والدارمی
وفی روایة لابی داود فاذا قعد فی الرکعتین قعد علی بطن قدمه الیسری وینصب الیمنی واذا کان
فی الرابعة افضی بورکه الیسری الی الارض واخرج قدمیه من ناحیة واحدة الحدیث
وکان علیه السلام اذا قعد فی التشهد وضع یده الیسری علی رکبته الیسری ووضع یده
الیمنی علی رکبته الیمنی وعقد ثلثا وخمسین واشار بالسبابة وفی روایة مسلم وضع یدیه علی
رکبتیه ورفع اصبعه الیمنی التی تلی الابهام یدعو بها ویده الیسری علی رکبتیه باسطها علیها
وعند ابی داود من حدیث وائل بن حجر حد مرفقه الیمنی علی فخذه الیمنی وقبض ثنتین
وحلق حلقه ثم رفع اصبعه فرایته یحرکها ویدعو وفی حدیث ابن الزبیر عنده ایضا کان
یشیر بها ولا یحرکها الحدیث وکان صلی الله علیه وسلم یستقبل فی رفع یدیه ورکوعه و
سجوده وفی التشهد ویستقبل باصابع رجلیه القبلة فی سجوده **الفرع الثالث عشر**

فی ذکر تشهده صلی الله علیه وسلم کان صلی الله علیه وسلم یتشهد دایما فی هذه الجلسة و
یعلم اصحابه ان یقولوا التحیات المبارکات الصلوات الطیبات لله السلام علیك ایها
النبی و رحمة الله و برکاته السلام علینا و علی عباد الله الصالحین اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده و رسوله رواه مسلم من روایة ابن عباس و هو الذی اختاره الشافعی
لزیادة المبارکات لا تشهد ابن مسعود وان قاله القاضی عیاض رحمه الله تعالی وعبارة
الشافعی فیما اخرجه البیهقی بسنده الی الربیع ابن عباس سلیمان انا الشافعی جوابا لمن ساله بعد
ذکر حدیث ابن عباس فانا نری الروایة اختلفت فیه عن النبی صلی الله علیه وسلم فروی
ابن مسعود خلاف هذا فساق الکلام الی ان قال فلما رایته واسعا وسمعته یعنی حدیث ابن عباس
صحیحا و رایته اکثر لفظا من غیره یعنی من المرفوعات اخذت غیر معنف لمن اخذ بغیره
هذا اخر کلامه ولیس فیه تصریح بالافضلیة والعلم عند الله تعالی و قال ابو حنیفة واحمد
وجمهور الفقها واهل الحدیث تشهد ابن مسعود افضل لانه عند المحدثین اشد صحة
و قال مالك تشهد عمر بن الخطاب الموقوف علیه افضل لانه علمه للناس علی المنبر و
لم ینازعه احد فدل علی تفضیله و مذهب الشافعی ان التشهد الاول سنة والثانی
واجب وجمهور المحدثین انهما واجبان و قال احمد الاول واجب والثانی رکن وقالت
ابو حنیفة و مالك وجمهور الفقهاء هما سنتان و عن مالك روایة بوجوب الاخیر
وقد کان علیه الصلوة والسلام یاتی بالتشهدین و فی الغیلانیات عن القاسم بن
محمد قال علمتنی عایشة قالت هذا تشهد رسول الله صلی الله علیه وسلم التحیات

لله والصلوات والطیبات السلام علیك ایها النبی و رحمة الله و برکاته السلام علینا
وعلی عباد الله الصالحین اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده و رسوله
وهو مثل حدیث ابن مسعود سواء رواه البیهقی باسناد جید و قال النووی و فی هذا
فایدة حسنة وهی ان تشهده علیه السلام بلفظ تشهدنا انتهی قال الحافظ ابن حجر وکانه
یشیر الی رد ما وقع فی الرافعی انه صلی الله علیه وسلم کان یقول فی التشهد واشهد انی
رسول الله وتعقبوه بانه لم یر وکذلك صریحا نعم وقع فی البخاری من حدیث سلمة بن
الاکوع قال خفت ازواد القوم فذکر الحدیث و فیه فقال صلی الله علیه وسلم اشهد
ان لا اله الا الله وانی رسول الله ومن لطایف التشهد ما قاله البیضاوی علمهم
ان یفردوه صلی الله علیه وسلم بالذکر لشرفه ومزید حقه علیهم فان قیل کیف شرع
هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع کونه منهیا عنه فی الصلاة فالجواب ان ذلك من خصائصه
فان قلت ما الحکمة فی العدول عن الغیبة الی الخطاب فی قوله علیك ایها النبی مع ان
لفظ الغیبة هو الذی یقتضیه السیاق کان یقول السلام علی النبی صلی الله علیه وسلم
فینتقل من تحیة الله الی تحیة النبی ثم الی تحیة النفس ثم الی تحیة الصالحین اجاب
الطیبی بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعینه الذی علمه للصحابة ویحتمل ان یقال
علی طریق اهل المعرفة بالله ان المصلین لما استفتحوا باب الملکوت بالتحیات اذن لهم
بالدخول الی حریم الحی الذی لا یموت فقرت اعینهم بالمناجاة فنبهوا علی ان ذلك
بواسطة نبی الرحمة و برکة متابعته فالتفتوا فاذا الحبیب فی حرم الحبیب حاضر فاقبلوا

عليه قايلين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته انتهى وقال الترمذي الحكيم
في قوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من اراد ان يحظى بهذا السلام الذي يسلمه
الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل العظيم وقال القفال في فتاويه
ترك الصلوة يضر جميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات
ولا بد ان يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون مقصرا لخدمة
الله وفي حق رسوله وفي نفسه وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية بتركها
واستنبط منه السبكي في ان الصلوة حقا للعباد مع حق الله وان من تركها اخل بحق جميع المؤمنين
من مضى ومن يجئ الى يوم القيمة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
انتهى وتقدم الكلام على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد
الاخير وما في ذلك من المباحث في فضل الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم و
عند الطبراني مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه وكذا عند ابن
ماجة والدار قطني وعن ابن مسعود الانصاري عند الدار قطني من صلى صلاة
لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا تشهد احدكم في الصلوة فليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت و
باركت وترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم واغتر
قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيى بن السباق وهو مجهول عن رجل مبهم وبالغ
ابن العربي في انكار ذلك فقال حذار مما ذكره ابن ابي زيد من زيادة وترحم فانه قريب

من

من البدعة لانه صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلوة بالوحي ففي الزيادة على ذلك
استدلال عليه انتهى قال الحافظ بن حجر وابن ابي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة
التشهد لما ذكر ما يستحب في التشهد ومنه اللهم صل على محمد وال محمد فزاد وترحم
على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى ال محمد الى اخره فان كان انكاره لكونه لم يصح فمسلم
والا فدعوى من ادعى انه لا يقال وارحم محمدا مردودة لثبوت ذلك في عدة احاديث
اصحها في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال ثم وجدت لابن ابي
مستند فاخرج الطبري في تهذيبه من طريق حنظلة بن علي عن ابي هريرة رفعه من قال اللهم
صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم شهدت له يوم القيمة وشفعت له ورجال سنده رجال
الصحيح الا سعيد بن سليمان مولى سعيد بن العاصي الراوي له عن حنظلة بن علي فانه
مجهول وهذا كله فيما يقال مضموما الى السلام والصلاة وقد وافق ابن العربي الصيدلاني
من الشافعية على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز مطلقا وقال القرطبي في
المفهم انه الصحيح لورود الاحاديث به وخالفه غيره ففي الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد
يكره ذلك لا يهامه النقص لان الرحمة غالبا انما تكون لفعل ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر
بمنعه فقال لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه
عليه السلام قال من صلى علي ولم يقل من ترحم علي ولا من دعا لي وان كان معنى الصلوة

الرحمة ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما فلا يعدل عنه الى غيره انتهى واخرج ابو العباس
السراج عن ابى هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما صليت وباركت على ابرهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وفى حديث بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك و
رحمتك وبركاتك على محمد وعلى ال محمد كما جعلتها على ابراهيم وعلى ابراهيم ووقع
فى حديث ابن مسعود عند ابى داود والنساى على محمد النبى الامى وفى حديث ابى سعيد على
ابراهيم ولم يذكر ال محمد ولا ال ابراهيم وعند ابى داود من حديث ابى هريرة اللهم
صل على محمد النبى وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته ووقع فى حديث ابن
مسعود فى العالمين انك حميد مجيد قال النووى فى شرح المهذب ينبغى ان يجمع ما فى
الاحاديث الصحيحة فيقول اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى ال محمد وازواجه
وذريته كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وبارك مثله وزاد فى اخره فى العالمين
وقال فى الاذكار مثله وزاد عبدك ورسولك بعد قوله محمد فى صل ولم يزدها
وبارك وقد قال فى التحقيق والفتاوى مثله الا انه اسقط النبى الامى وقد تعقبه
الاسنوى فقال لم يستوعب ما ثبت فى الاحاديث مع اختلاف كلامه وقال
الاذرعى لم يسبق الى ما قاله والذى يظهر ان الافضل لمن تشهد ان ياتى باكمل الروايات
ويقول كلما ثبت هذا مرة واما التلفيق فانه يستلزم احداث صفة فى التشهد لم ترد
مجموعة فى حديث واحد وسبقه الى معنى ذلك ابن القيم وقد كان صلى الله عليه وسلم

يدعو

يدعو فى الصلوة اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال
واعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات اللهم واعوذ بك من المأثم والمغرم فقال
له قايل ما اكثر ما تستعيذ من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف
رواه البخارى ومسلم من رواية عايشة قال ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان
مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات واعظمها والعياذ بالله
امر الخاتمة عند الموت وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت اضيف
لقربها منه ويجوز ان يكون المراد به فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله
عذاب القبر لان العذاب مرتب على الفتنة والسبب غير المسبب روى الحكيم الترمذى
فى نوادر الاصول عن سفيان الثورى ان الميت اذا سئل من ربك تريى له الشيطان
فيشير الى نفسه انا ربك فلهذا ورد سؤال التثبت له حين يسئل وقد استشكل دعاؤه
صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع انه مغفور له ما تقدم وما تاخر واجيب باجوبة
منها انه قصد التعليم لامته ومنها ان المراد السؤال منه لامته فيكون المعنى
هنا اعوذ بك لامتى ومنها سلوك طريق التواضع واظهار العبودية والتزام خوف
الله واعظامه والافتقار اليه وامتثال امره فى الرغبة اليه ولا يمتنع تكرير الطلب مع الطلب
تحقق الاجابة لان فى ذلك تحصيل الحسنات ورفع الدرجات وفيه تحريض لامته على
ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك احرى
بالملازمة واما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه انه لا يدركه فلا اشكال فيه

على الوجهين الاولين وقيل على الثالث يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يتحقق عدم ادراكه ويدل
ويدل عليه قوله فى الحديث الاخر عند مسلم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه الحديث
والله اعلم وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد
اللهم انى اعوذ بك من فتنة الدجال الاعور واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك
من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة الدجال الاعور واعوذ بك من فتنة المحيا والممات
رواه ابو داود وعن على ابن ابى طالب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين
التشهد والتسليم اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
وما اسرفت وما انت اعلم به منى انت المقدم وانت الموخر لا اله الا انت رواه مسلم
وغيره وفى رواية له واذا سلم قال اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت الى اخره ويجمع
بينهما بحمل الرواية الثانية على ارادة السلام لان مخرج الطريقين واحد واورده
ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلاة وسلم وهذا ظاهر فى انه بعد السلام ويحتمل انه
كان يقول ذلك قبل السلام وبعده وسياتى الجواب عما استشكل فى دعايه عليه السلام بهذا
الدعاء فى ادعيته صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وحاصل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم
من المواضع التى كان يدعو بها فى داخل الصلاة ستة مواطن الاول عقيب تكبيرة الاحرام
كما فى حديث ابى هريرة فى الصحيحين اللهم باعد بينى وبين خطاياى الحديث ونحوه الثانى
فى الركوع كما فى حديث عايشة عند الشيخين كان يكثر ان يقول فى ركوعه وسجوده
سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى الثالث فى الاعتدال من الركوع كما فى حديث

ابن ابى اوفى عند مسلم انه كان يقول بعد قوله من شىء بعد اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء
البارد الرابع السجود وهو اكثر ما كان يدعو فيه وامر به الخامس بين السجدتين اللهم
اغفر لى الى اخره السادس فى التشهد وكان ايضا يدعو فى القنوت وفى حال القراة اذا مر باية
رحمة سال واذا مر باية عذاب استعاذ وتقدم كل ذلك والله الموفق الفرع الرابع عشر فى ذكر
تسليمه عليه السلام من الصلوة كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى
بياض خده رواه مسلم والنساى من حديث عامر بن ربيعه عن ابيه وفى حديث ابن مسعود كان
يسلم عن يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله رواه الترمذى وزاد ابو داود حتى
يرى بياض خده وفى رواية النساى حتى يرى بياض خده من ههنا وبياض خده من ههنا الحديث
وهذا كان فعله الراتب رواه عنه خمسة عشر صحابيا وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن ابى
وقاص وسهل بن سعد ووايل بن حجر وابو موسى الاشعرى وحذيفة بن اليمانى وعمار بن
ياسر وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وابو مالك الاشعرى
وطلق بن على واوس بن اوس وابو ثور وعدى بن عمر وهذا مذهب الشافعى
وابى حنيفة واحمد والجمهور ومذهب مالك فى طايفة المشروع تسليمه ودليل
مذهبنا ما تقدم واما ما روى انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء
وجهه فلم يثبت من وجه صحيح واجود ما فى ذلك حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم
كان يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا وهو حديث معلول
وهو فى السنن لكنه فى قيام الليل والذين رووا عنه التسليمتين رووا ما شهدوا فى

فى الفرض والنقل وحديث عايشة ليس هو صريحا فى الاقتصار على تسليمة واحدة بل اخبرت
انه كان يسلم تسليمة يوقظهم بها ولم تنفا لاخري بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدما
على رواية من حفظها وضبطها وهم اكثر عددا واحاديثهم وضح والله اعلم ولختلاف
فى التسليم فقال مالك والشافعى واحمد وجمهور العلماء انه فرض لا تصح الصلوة الا به
وقال ابوحنيفة والثوري والاوزاعي سنة لو تركه صحت صلاته وقال ابوحنيفة لو
فعل منافيا للصلوة من حدث وغيره فى اخرها صحت صلاته واحتج بانه عليه السلام لم
يعلمه الاعرابي حين يعلم علمه واجبات الصلاة واحتج الجمهور بحديث ابى داود مفتاح
الصلاة الطهور وتحليلها التسليم وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة طاطا
راسه رواه احمد وكان لا يجاوز بصره اشارته وكان قد جعل الله قرة عينه فى الصلاة
كما قال وجعلت قرة عينى فى الصلاة رواه النساي وكان قد جعل ولم يكن يشغله عم
ماهو فيه عن مراعات احوال المامومين مع كمال اقباله وقربه من ربه وحضور قلبه بين
يديه وكان يدخل فى الصلاة فيريد اطالتها فيسمع بكاء الصبى فيتجوز فى صلاته مخافة
ان يشق على امه رواه البخاري وابو داود والنساي وكان يوم الناس وهو حامل
امامة بنت ابى العاص بن الربيع على عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووي وهذا يدل
لمذهب الشافعى رحمه الله ومن وافقه انه يجوز حمل الصبى والصبية وغيرهما من الحيوان
فى صلاة الفرض والنفل للامام والماموم والمنفرد وحمله اصحاب مالك رحمه الله على
النافلة ومنعوا جواز ذلك فى الفريضة وهذا التاويل فاسد لان قوله يوم الناس صريح

او كالصريح فى انه كان فى الفرض وادعى بعض المالكية انه منسوخ وبعضهم انه خاص به صلى الله
وبعضهم انه كان لضرورة وكلها مردودة ولا دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح
فى جواز ذلك وليس فيه ما يخالف الشرع لان الادمى طاهر وما فى جوفه من النجاسة معفو عنها
لكونه فى معدته وثياب الاطفال واجسادهم مبنية على الطاهرة الطهارة ودلايل الشرع
متظاهرة على هذا والافعال فى الصلوة لا تبطلها اذا قلت وتفرقت وفعله عليه الصلوة والسلام
للجواز وتنبيها على هذه القواعد التى ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه ابو سليمان الخطابى ان هذا
الفعل يشبه ان يكون بغير تعمد لحملها فى الصلاة لكنها كانت تتعلق به عليه السلام فلم يدفعها
فاذا قام بقيت معه قال ولا يتوهم انه حملها ووضعها مرة بعد اخري لانه عمل كثير ويشغل القلب
واذا كان علم الخميصة شغله فكيف لا يشغله هذا هذا كلام الخطابى وهو باطل ودعوي
مجردة ومما يرده قوله فى صحيح مسلم فاذا قام حملها فاذا رفع من السجود واعادها وقوله فى
رواية غير مسلم خرج حاملا امامة وصلى وذكر الحديث واما قضية الخميصة فانها
تشغل القلب بلا فايدة وحمل امامة لا نسلم انه لا يشغل القلب وان اشغله فيترتب عليه فوايد
وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحتمل ذلك الشغل لهذه الفوايد بخلاف الخميصة والصواب
الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان والتنبيه على هذه القواعد فهو جايز لنا وشرع مستمر
الى يوم الدين والله اعلم انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فيجي الحسن والحسين فيركب
ظهره فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه ظهره وكان يرد السلام بالاشارة على من سلم عليه وهو
فى الصلاة قال جابر بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فادركته وهو يصلي فسلمت

عليه فاشار الى رواه مسلم وقال عبدالله بن مسعود لما قدمت من الحبشة اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يصلى الله فسلمت عليه فاوما براسه رواه البخاري والبيهقي وكان
يصلي وعايشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فيقبضت رجليها واذا
قام بسطتهما رواه البخاري وكان عليه السلام لا يلتفت فى صلاته وفى البخاري عن
عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة قال
هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وروى ابو داود من حديث سهل بن الحنظليه
انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال انس بن مرثد الغنوى انا يا رسول الله
قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون فى اعلاه فلما اصبحنا ثوب بالصلوة
فجعل صلى الله عليه وسلم وهو يصلى يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى الصلوة قال ابشروا فقد جاء
فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد فى الصلوة وهو يدخل فى مداخل العبادات
كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر رضى الله عنه انى لاجهز الجيش وانا فى الصلاة فهذا جمع
جمع بين الصلاة والجهاد ونظيره التفكر فى معانى القران واستخراج كنوز العلم منه وكان
صلى الله عليه وسلم يصلى فعرض له الشيطان ليقطع عليه الصلاة فاخذه وخنقه
حتى سال لعابه على يديه وروى مطرف بن عبدالله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل يعنى يبكى وفى رواية ولصدره
ازيز كازيز الرحى من البكاء رواه احمد ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغمض عينيه فى صلاته
وعن انس قال كان قرام لعايشة سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم اميطي عنا

قرامك

قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى رواه البخاري ولو كان يغمض
عينيه لما عرضت له فى صلاته وقد اختلف الفقهاء فى كراهيته والحق ان يقال ان كان
تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو افضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع كان يكون فى قبلته
زخرفة او غيرها مما يشغل قلبه فلا يكره التغميض عارية عن الغلو كالوسوسه قطعا
بل ينبغى ان يكون مستحبا فى هذه الحالة وقد كانت صلاته صلى الله عليه وسلم متوسطة
عارية عن الغلو كالوسوسة فى عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات
التى شرعت سرا وتطويل ما السنة تخفيفه كالتشهد الاول الى غير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلى
بداء الوسوسة عافانا الله منها وهى نوع من الجنون وصاحبها بلا ريب مبتدع مستنبط فى افعاله
واقواله شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه وقد قال عليه السلام
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعنه ايضا واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ومما نسب
لامام الحرمين الوسوسة نقص فى العقل او جهل باحكام الشرع ومن غرايب ما يقع لهولاء الموسوسين
ان بعضهم يشتغل بتكرار الطهارة حتى تفوته الجماعة وربما فاته الوقت ومنهم من يشتغل
فى النية حتى تفوته التكبيرة الاولى وربما تفوته ركعة او اكثر ومنهم من يحلف انه لا يزيد
على هذه التكبيرة ثم يكذب ومن العجب ان بعضهم يتوسوس فى حال قيامه حتى يركع
الامام فاذا اخشى فوات الركوع كبر سريعا وادركه فمن لم تحصل له النية فى القيام الطويل
حال فراغ باله فكيف حصلت له فى الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة ومنهم

يكثر التلفظ بالتكبير حتى يشوش على غيره من المامين ولا ريب ان ذلك مكروه ومنهم
من يزعج اعضاوه ويحني جبهته ويقيم عروق عينيه ويصرح بالتكبير كانه يكبر على العدو
ومنهم من يغسل عضوه غسلا يشاهده ببصره ويكبر ويقرا بلسانه ويسمع باذنه ويعلمه
قلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في انكاره يقين نفسه وجحده لما راه ببصره وسمعه باذنه
وقد سال رجل ابا الوفاء بن عقيل فقال اني اكبر واقول ما كبرت واغسل العضو في الوضو
واقول ما غسلته فقال ابن عقيل دع الصلوة فانها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك
فقال لان النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم على المجنون حتى يفيق ومن يكبر ثم يقول ما
كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلوة فمن اراد التخلص من هذه البلية فليتبع
سنة نبيه صلى الله عليه وسلم السوية ويقتدي بملته الحنيفية فان غلبه الامر وضاقت
عليه المسالك فليتضرع الى الله ويبتهل اليه في كشف ذلك الفرع الخامس عشر في
ذكر قنوته صلى الله عليه وسلم ليعلم ان القنوت يطلق على القيام والسكوت
ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخضوع كما قال تعالى وله من في السموات
والارض كل له قانتون وقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما الاية
وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين والمراد
هنا الدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام وعن انس قال بعث النبي صلى الله
سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض لهم حيان بن سليم رعل وذكوان عند بير
يقال لها بير معونة فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة

وذلك بدو القنوت وما كنا نقنت قال عبد العزيز بن صهيب فسال رجل انسا عن القنوت
ابعد الركوع ام عند فراغ القراة قال بل عند فراغ القراة وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع
يدعو على احيا من العرب وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلوة الصبح يدعو على رعل
وذكوان ويقول عصية عصت الله ورسوله وفي اخرى بعث صلى الله عليه وسلم
سرية يقال لهم القراء فاصيبوا فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شيء
ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر هذه روايات البخاري ومسلم وللبخاري
كان القنوت في المغرب والفجر وفي رواية ابي داود والنسايي قنت في صلاة الصبح بعد
الركوع وفي اخرى قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان وعن ابن عباس قنت صلى الله
شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة اذا
قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخرة يدعو على احيا من سليم على رعل وذكوان وعصية
ويومن خلفه رواه ابو داود وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه
من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده
ربنا ولك الحمد فانزل عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون رواه البخاري وعن
ابي هريرة لما رفع صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد
ومسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك
على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وفي رواية في صلاة الفجر وفي رواية ثم
بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شيء الاية رواه البخاري ومسلم

وعن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي ولابي
داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب وعن ابي مالك الاشجعي قال قلت لابي يا ابت انك قد صليت
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب ههنا بالكوفة
خمس سنين كانوا يقنتون قال اي بني محدث رواه الترمذي وعن سعيد بن جبير قال اشهد
اني سمعت ابن عباس يقول ان القنوت في صلاة الفجر بدعة رواه الدارقطني قال بعض العلماء
والصواب انه صلى الله عليه وسلم قنت وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله فانه انما قنت
عند النوازل للدعاء لقوم وللدعاء على اخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من
الاسر واسلم من دعا عليهم فجاؤا تائبين وكان قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت
ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب ذكره البخاري في صحيحه عن انس
وذكره مسلم عن البراء وصح عن ابي هريرة انه قال والله لانا اقربكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يقنت في الركعة الاخيرة من الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده قال ابن ابي فديك
ولا ريب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فهنا رد على القائل
بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة
واهل الحديث متوسطون بين هؤلاء ومن استحبه ويقولون فعله سنة وتركه سنة
ولا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا
للسنة من قنت فقد احسن ومن ترك فقد احسن انتهى ومذهب الشافعي رحمه الله ان
القنوت مشروع في صلاة الصبح دائما في اعتدال ثانية الصبح لما رواه انس ما زال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا رواه احمد وغيره قال ابن الصلاح
قد حكم بصحته غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي وابو عبد الله محمد بن علي البلخي
وفي البيهقي العمل بمقتضاه عن الخلفاء الاربعة وقال بعضهم اجمعوا على انه صلى الله عليه وسلم
قنت في الصبح ثم اختلفوا هل ترك فيتمسك بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه انتهى
واما حديث ابن ابي فديك عن عبد الله بن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الثانية
من صلوة الصبح يرفع يديه يدعو بهذا الدعاء اللهم اهدني فيمن هديت الى اخره فقال
ابن القيم في زاد المعاد ما ابين الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله
هذا وان كان الحاكم صحح حديثه في القنوت انتهى وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه ورد
عليه كما قاله ابن القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن عباس كان صلى الله
يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت اخرجه
اخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل والصحيح انه لا يتعين فيه دعاء مخصوص
بل يحصل بكل دعاء وفيه وجه انه لا يحصل الا بالدعاء المشهور وهو اللهم اهدني
فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني
شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت رواه
ابو داود والترمذي والنسائي من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله
كلمات اقولهن فذكره واسناده صحيح قال البيهقي قد صح ان تعليم هذا الدعاء وقع القنوت

صلوة الصبح والقنوت الوتر انتهى وقوله فانك تقضى بالفاء وبالواو وبقوله وانه لا يذل
وربنا قبل وتعاليت لا ان الفاء لم تقع فى رواية ابى داود وزاد البيهقى بعد قوله انه
لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وزاد بن ابى عاصم فى كتاب التوبة نستغفرك
اللهم ونتوب اليك ويسن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اخره لان النسا
قد رواه فى حديث الحسن باسناد صحيح او حسن كما قاله فى شرح المهذب فى ولفظه اى النساء و
صلى الله على النبى وجزم فى الاذكار باستحباب الصلاة على الال والسلام وخالفه صاحب
الاقليد فقال اما ما وقع فى كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الائمة الان من ذكر الال
والازواج والاصحاب فكل ذلك لا اصل له قلت وعبارة النووى فى الاذكار يستحب
ان يقول عقب هذا الدعاء اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وسلم فقد جاء فى رواية
النساى باسناد حسن وصلى الله على النبى انتهى وتعقب بان لفظ الدعوى خلاف الدليل
ويزيد عليه ذكر الال والتسليم نعم وقعت الزيادة عند الرافعى والرويانى معزوة
لحديث الحسن بن على عند النساى لكنها ليست عنده فى رواية احد احد من الرواه
عنه على ان لفظ وصلى الله على النبى زايد على رواية الترمذى وهى زيادة غريبة غير
غير ثابته لاجل عبد الله بن على احد رواته لانه غير معروف وعلى تقدير ان يكون هو عبد الله
بن على بن الحسن بن على فهو منقطع لانه لم يسمع من جده الحسن بن على فقد تبين انه ليس
من شرط الحسن لانقطاعه او جهالة رواته ولم تنجبر الزيادة بمجيئها من وجه اخر وحينئذ
فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى نعم اصل الى اخر وتعاليت حسن لاعتضاده برواية الترمذى

وغيره بخلاف الزيادة اذ لم يجئ فى غيره وحيث سننا الصلاة على الال على ما
جزم به النووى فينبغى عدها فى القنوت بعضا وقال فى المجموع عن البغوى و
يكره اطالة القنوت كالتشهد الاول وهو ظاهر على ما صححه فيه وفى تحقيقه في
باب سجود السهو من ان الاعتدال ركن طويل اما على ما صححه فيها فى صلاة الجماعة
من انه قصير وهو فى المنهاج والروضة قد يقال القياس البطلان لان تطويل
الركن القصير عمدا مبطل ويجاب بحمل ذلك على غير محل القنوت اذ البغوى نفسه
القايل بكراهة الاطالة قايل بان تطويل الركن القصير يبطل عمده ويسن للمنفرد و
الامام برضى المحصورين الجمع فى قنوت الوتر بين القنوت السابق وبين قنوت عمر و
هو اللهم انا نستعينك الى اخره والاولى تاخيره عن القنوت السابق ويسن
رفع يديه رواه البيهقى باسناد جيد قال فى المجموع وفى سن مسح وجهه بهما وجهان
اشهرهما نعم واصحهما لا قال البيهقى ولا احفظ فى مسحه هنا عن احد من السلف
شيئا وانما يروى عن بعضهم فى الدعاء خارج الصلوة وغير مسح الصدر كالصدر مكروه
وقال النووى فى الاذكار اختلف اصحابنا فى رفع اليدين فى القنوت ومسح الوجه
بهما على ثلثة اوجه اصحهما يستحب رفعهما ولا يمسح الوجه والثانى يرفع ويمسحه
والثالث لا يمسح ولا يرفع واتفقوا على انه لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه بل قالوا
ذلك مكروه انتهى ويجهر الامام دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلاة سرية
للاتباع رواه البخارى قال الماوردى وليكن جهره به دون جهره بالقراة فان سمعه

المأموم امن كما كانت الصحابة يؤمنون خلفه صلى الله عليه وسلم في ذلك رواه ابو داود باسناد حسن ويوافقه في الثناء سرا او يسكت لانه ثناء او ذكر لا يليق به التأمين والدعاء يشمل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبري وان لم يسمع المأموم قنوت الامام قنت معه سرا كيفية الاذكار والدعوات ولا قنوت لغير وتر وصبح الا لنازلة من خوف وقحط او وباء او جراد ونحوها فيستحب ان يقنت في مكتوبة غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة او نافلة وفي البخاري من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم جهر في القنوت في النازلة انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ الاسلام ابي يحيى زكريا الانصاري مع زيادة من غيره والله اعلم

الفصل الرابع في ذكر سجوده صلى الله عليه وسلم

للسهو في الصلوة اعلم ان السهو هو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب الى غيره قاله الازهري وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان من حيث المعنى وزعم ان السهو جائز في الصلاة على الانبياء عليهم السلام بخلاف النسيان قال لان النسيان من حيث المعنى وزعم ان السهو جائز في الصلوة على الارض لانبياء عليهم السلام بخلاف النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف من جهة الحديث ومن حيث اللغة اما من جهة الحديث ومن حيث اللغة اما من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون واما من

حيث

حيث اللغة فقول الازهري الماضي ونحوه قول الجوهري وغيره وقال في النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق وبه يظهر الفرق بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عن الصلاة الذي ذم الله فاعله وقد كان سهوه صلى الله عليه وسلم من تمام نعمة الله على امته واكمال دينهم ليقتدوا به فيما يشرعه لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطا الاتي التنبيه عليه ان شاء الله انما انسى او انسى لاسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه احكام شرعية تجري على سهو امته الى يوم القيمة واختلف في حكمه فقال الشافعية هو مسنون كله وعن المالكية السجود للنقص واجب دون الزيادة وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات فيجب لتركها سهوا وبين السنن القولية فلا يجب اذا سهى زيادة فعل او قول يبطلها عمده وعن الحنفية واجب كله وحجتهم قوله عليه السلام في حديث ابن مسعود وعند البخاري يسجد سجدتين والامر للوجوب وقد ثبت من فعله عليه السلام وافعاله في الصلوة محمولة على البيان وبيان الواجب ولا سيما مع قوله عليه السلام صلوا كما رأيتموني انتهى وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على قسمين الاول السجود قبل التسليم فعن الاعرج عن عبد الله بن بحينة انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوة ثم قام فلم يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم رواه البخاري وفي رواية له عن

عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة ايضًا انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام
من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك
وفي روايته ايضًا عن الاعرج عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلاة
الظهر وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم
وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس ورواه مسلم ايضًا وزاد الضحاك عن الاعرج
عند ابن خزيمة بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا به فمضى حتى فرغ من صلاته وفي رواية
الترمذي قام في الظهر وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو
جالس قبل ان يسلم وفي هذا مشروعية سجود السهو وانه سجدتان فلو اقتصر على سجدة
واحدة ساهيًا لم يلزمه شيء او عامدًا بطلت صلاته لانه تعمد الاتيان بسجدة زائدة
ليست مشروعة وانه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود واستدل به على ان سجود السهو
قبل السلام ولا حجة فيه في كون جميعه كذلك نعم يرد على من زعم ان جميعه بعد السلام
كالحنفية واستدل به ايضًا على ان المأموم يسجد مع الامام اذا سها الامام وان لم يسه
المأموم وان سجود السهو لا تشهد بعده وان محله اخر الصلاة فلو سجد للسهو قبل
ان يتشهد ساهيًا اعاد عند من يوجب التشهد الاخير وهم الجمهور وفيه ان من سها
عن التشهد الاول حتى قام الى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه وسلم
كما في رواية ابن خزيمة فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته
عند الشافعي القسم الثاني السجود بعد التسليم عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال صلى بنا النبي

الظهر او العصر فسلم فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله انقصت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لاصحابه احق ما يقول قالوا نعم فصلى ركعتين اخراوين ثم سجد سجدتين قال سعد ورايت
عروة بن الزبير صلى المغرب ركعتين فسلم وتكلم ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين وقال
هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وقوله صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهر ان ابا هريرة حضر القصة وحمله الطحاوي على المجاز فقال ان المراد به صلى الله عليه وسلم
بالمسلمين وسبب ذلك قول الزهري ان صاحب القصة استشهد ببدر فان مقتضاه ان تكون
القصة وقعت قبل بدر وقيل قبل اسلام ابي هريرة باكثر من خمس سنين لكن اتفق ائمة الحديث
كما نقله ابن عبد البر وغيره على ان الزهري وهم في ذلك وسببه انه جعل القصة لذي
الشمالين وذو الشمالين هو الذي قتل ببدر وهو خزاعي واسمه عمير واما ذو اليدين
فتاخر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة لانه حدث بهذا الحديث بعد النبي صلى الله
كما اخرجه الطبراني وغيره وهو سلمي واسمه الخرباق كما سيأتي فلما وقع عند الزهري
بلفظ فقام ذو الشمالين وهو يعرف انه قتل ببدر قال لاجل ذلك ان القصة وقعت قبل
بدر وقد جوز بعض الائمة ان تكون القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي اليدين
وان ابا هريرة روى الحديثين فاحدهما وهو قصة ذي اليدين وهذا محتمل في طريق
وروى البخاري ايضًا عن ابن سيرين عن ابي هريرة قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم احدى صلاتي العشي
قال محمد بن سيرين واكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة في مقدم المسجد
فوضع يده عليها وفيهم ابو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا اقصرت

الصلوة ورجل يدعو له النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين فقال انسيت ام قصرت
فقال لم انس ولم تقصر فقال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده
او اطول ثم رفع راسه وكبر وعن عمران بن الحصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى العصر فسلم فى ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق وكان
فى يديه طول فقال يا رسول الله فذكر صنيعه وخرج غضبانا يجر رداءه حتى انتهى
الى الناس فقال اصدق هذا قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم
رواه مسلم وهو من افراده لم يروه البخاري ورواه احمد وابو داود والخرباق بكسر
الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة واخره قاف هو اسم ذى اليدين كما ذكره
الاكثر وطول اليدين يمكن ان يحمل على الحقيقة او كناية عن طولها بالعمل والبذل
قال الحافظ بن حجر الظاهر فى نظرى توحيد حديث ابى هريرة وان كان قد جنح ابن
خزيمة ومن تبعه الى تعدد هذه القصة والحامل لهم على ذلك اختلاف الواقع فى
السياقين ففى حديث ابى هريرة ان السلام وقع من اثنتين وانه صلى الله عليه وسلم
قام الى الخشبة فى المسجد وفى حديث عمران هذا انه سلم من ثلاث وانه دخل منزله لما
فرغ من الصلاة فاما الاول فقد حكى ابن كيكلدى العلاى ان بعض شيوخه حمله على
ان المراد به انه سلم فى ابتداء الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق الجمع يكتفى فيها بادنى
مناسبة وليس بابعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم منه كون ذى اليد فى كل مرة
استفهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك واستفهم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة

عن صحة قوله واما الثانى فلعل الراوى لما راه تقدم من مكانه الى جهة الخشبة ظن انه
دخل منزله لكون الخشبة كانت فى جهة منزله فان كان كذلك والا فرواية ابى هريرة
ارجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما اخرجه الشافعى وابو داود وابن ماجة وابن خزيمة
انتهى وعن معاوية بن حديج بضم الحاء المهملة اخره جيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى يوما فانصرف وقد بقى من الصلاة ركعة فادركه رجل فقال نسيت من الصلوة ركعة
فرجع فدخل المسجد فامر بلالا فاقام الصلاة فصلى بالناس ركعة فاخبرت بذلك
الناس فقالوا اتعرف الرجل قلت لا الا ان اراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا
طلحة ابن عبيد الله رواه ابو داود والبيهقى فى سننهما وابن خزيمة فى صحيحه وعين الصلوة
المغرب وقال ابن خزيمة وهذه القصة غير قصة ذى اليدين لان المعلم للنبي صلى الله
فى هذه القصة طلحة ابن عبد الله ومخبره فى تلك القصة ذو اليدين والسهو منه عليه السلام
فى قصة ذى اليدين انما كان فى الظهر او العصر وفى هذه القصة انما كان السهو فى
المغرب لا فى الظهر ولا فى العصر وعن محمد بن سيرين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انصرف من اثنتين فقال ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله فقال رسول الله
اصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام صلى الله عليه وسلم فصلى اثنتين اخريين
ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع وفى رواية سلمة بن علقمة قلت لمحمد يعنى
ابن سيرين فى سجدتى السهو تشهد فقال ليس فى حديث ابى هريرة رواه البخاري ومسلم و
مالك وابو داود والترمذي والنسائي قال الحافظ بن حجر لم يقع فى غير هذه الرواية

لفظ القيام وقد استشكل لانه صلى الله عليه وسلم كان قايما واجيب بان المراد بقوله فقام
اي اعتدل لانه كان مستندا الى الخشبة كما مر وقد يفهم من قول محمد بن سيرين عن التشهد
ليس في حديث ابي هريرة انه ورد في حديث غيره وهو كذلك فقد رواه ابو داود والترمذي
وابن حبان والحاكم من طريق اشعث بن عبد الملك عن محمد بن سيرين عن خالد الحذاء عن ابي قلابة
عن ابي المهلب عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم فسهى فسجد سجدتين
ثم تشهد ثم سلم قال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما وقال ابن حبان
ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه البيهقي وابن عبد البر وغيرهما
ووهموا رواية اشعث لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن سيرين فزيادة اشعث شاذة
لكن قد ورد في التشهد في سجود السهو عن ابن مسعود عند ابي داود والنسائي عن
المغيرة عند البيهقي وفي اسنادهما ضعف فقد يقال ان الاحاديث الثلاثة في التشهد
باجتماعهما ترتقي الى درجة الحسن قال العلائي وليس ذلك ببعيد وقد صح ذلك
عن ابن مسعود من قوله اخرجه ابن ابي شيبة انتهى ملخصا من فتح الباري وفي رواية ابي
سفيان عن ابي هريرة عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم في
ركعتين فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول الله وفي رواية
ابي داود من طريق حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن ابن سيرين في هذا قال فكبر ثم
كبر وسجد للسهو وهذا يؤيد من قال لا بد من تكبيرة الاحرام في سجود السهو بعد السلام

والجمهور

والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود وظاهر غالب الاحاديث وقال ابو داود لم يقل احد
كبر ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار الى شذوذ هذه الزيادة ويحتمل ان تكون الخشبة المذكورة
في هذا الحديث الجذع الذي كان عليه السلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر وانما وقع لا سبقها
هل قصرت لان الزمان كان زمان النسخ وقوله قال لم انس ولم تقصر صريح في نفي النسيان
ونفي النقص وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية ابي سفيان المتقدمة كل ذلك لم يكن
وتاييد لما قاله اصحاب المعاني ان لفظ كل اذا تقدمت وعقبها النفي كانت نفيا لكل فرد لا
للمجموع بخلاف ما اذا تاخرت كان يقول لم يكن كل ذلك ولهذا اجاب ذو اليدين في رواية
ابي سفيان بقوله قد كان بعض ذلك واجابه في هذه الرواية بقوله بلى قد نسيت لانه لما
نفى الامرين وكان مقررا عند الصحابة ان السهو غير جايز عليه في الامور البلاغية جزم
بوقوع النسيان لا القصر وهو حجة من قال ان السهو جايز على الانبياء فيما طريقه التشريع
وان كان القاضي عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية
وخص الخلاف بالافعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل
يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل او بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله لم انس
ولم تقصر ثم تبين انه نسي ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي لا في نفس الامر ويستفاد
منه ان الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفايدة السهو في مثل ذلك بيان
الحكم الشرعي اذا وقع مثله لغيره واما من منع السهو مطلقا فاجابوا عن هذا الحديث باجوبة
فقيل قوله لم انس نفي للنسيان ولا يلزم منه نفي السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم

تضعيفه ويكفي فيه قوله في هذه الرواية بلى قد نسيت واقره على ذلك وقيل قوله لم انس
على ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه ابلغ
من القول وتعقب بحديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم بلفظ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزاد او نقص شك بعض الرواة والصحيح انه زاد فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في
شيء قال وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد
سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه قال انه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ولكن انما
انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم في صلاته فليتحر الصواب
فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما انا بشر مثلكم ولم
يكتف باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس نسيانه كنسياننا فقال كما
تنسون وبهذا الحديث ايضا يرد قول من قال معنى قوله لم انس انكارا للفظ الذي
نفاه عن نفسه حيث قال اني لا انسى ولكن انسى لاسن وانكار للفظ الذي انكره على
غيره حيث قال بئسما لاحد كم ان يقول نسيت اية كذا وكذا وقد تعقبوا هذا ايضا بان
حديث اني لا انسى لا اصل له فانه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث
الشديد وهي اربعة قاله ابن عبد البر واما الاخر فلا يلزم من ذم اضافة نسيان
الاية ذم اضافة نسيان كل شيء فان الفرق بينهما واضح جدا وقيل ان قوله لم انس
راجع الى السلام اي سلمت قصدا بانيا على ما اعتقادي اني صليت اربعا وهذا
جيد وكان ذا اليدين فهم العموم فقال بلى قد نسيت وكان هذا القول وقع شكا

احتياج

احتياج معه الى استثبات الحاضرين وبهذا التقرير يندفع ايراد من استشكل قول ذي
ذي اليدين عدلا ولم يقبل خبره بمنفرده فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر يتعلق بفعل
المسئول مغاير لما في اعتقاده وبهذا يجاب من قال ان من اخبر بامر حسي بحضرة جمع لا يخفى
عليهم ولا يجوز عليهم التواطئ ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه انه لا
يقطع بصدقه فان سبب عدم القطع كون خبره معارضا باعتقاد المسئول خلاف ما اخبر
وفيه ان الثقة اذا انفرد بزيادة وكان المجلس متحدا وامتنع في العادة غفلتهم عن ذلك
انه لا يقبل خبره وفيه جواز البناء على الصلاة لمن اتى بالمنافي سهوا وقال سحنون انما
يبني من سلم من ركعتين كما في قصة ذي اليدين لان ذلك وقع على غير القياس فيقتصر به
على مورد النص والزم بقصر ذلك على احدى صلاتي العشي فيمنعه مثلا في الصبح والذين
قالوا بجواز البناء مطلقا قيدوه بما اذا لم يطل الفصل وفيه ان الكلام سهوا لا يقطع
الصلاة خلافا للحنفية واستدل به على ان من تعمد الكلام لمصلحة الصلاة لا يبطلها
وتعقب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم الا ناسيا واما قول ذي اليدين له بلى قد
نسيت وقول الصحابة له صدق ذو اليدين فانهم تكلموا معتقدين للنسخ في وقت يمكن
وقوعه فيه فتكلموا ظنا انهم ليسوا في صلاة كذا قيل وهو فاسد لانهم تكلموا بعد
قوله عليه السلام لم تقصر واجيب بانهم لم ينطقوا وانما اوموا كما عند ابي داود
في رواية ساق مسلم اسنادها وهذا اعتمده الخطابي وقال حمل القول على الاشارة مجاز
شايع بخلاف عكسه فينبغي رد الروايات التي فيها التصريح بالقول الى هذه وهو قوي اقوى

من غيره يحمل على ان بعضهم قال بالنطق وبعضهم بالاشارة لكن يبقى قول
ذي اليدين بل قد نسيت ويجاب عنه وعن البقية على تقدير ترجيح انهم نطقوا بان
كلامهم كان جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلاة وتعقب بانه
لا يلزم من وجوب الاجابة عدم قطع الصلاة فاجيب بانه ثبت مخاطبته في التشهد وهو
حي بقولهم السلام عليك ايها النبي ولم يفسدوا الصلاة والظاهر ان ذلك من خصايصه
وعن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له ازيد في الصلاة
فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين بعد ما سلم رواه البخاري ومسلم وابو
داود والترمذي والنسايي بهذا اللفظ الا ان مسلما لم يقل فيه بعد ما سلم وعبد الله
هنا هو ابن مسعود ففي هذه الاحاديث السجود بعد السلام وقد اختلف في ذلك فقال مالك
والمزني وابو ثور من الشافعية بالتفرقة بين ما اذا كان السهو بالنقصان او الزيادة ففي الاول
يسجد قبل السلام وفي الثاني يسجد بعده وزعم ابن عبد البر انه اولى من قول غيره للجمع بين الخبرين قال وهو موافق للنظر
لانه في النقص جبر فينبغي ان يكون من اصل الصلاة وفي الزيادة ترغيم للشيطان فيكون
خارجها وقال ابن دقيق العيد لا شك ان الجمع اولى من الترجيح وادعاء النسخ ويترجح الجمع
المذكور بالمناسبة المذكورة واذا كانت ظاهرة كان الحكم على وفقها فيعم الحكم جميع محالها
فلا تتخصص الا بنص وتعقب بان كون السجود في الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل
هو جبر ايضا لما وقع من الخلل فانه وان كان زيادة فهو نقص في المعنى وقال الخطابي
لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقصان الى فرق صحيح وايضا فقصة ذي اليدين وقع فيها

السجود

السجود بعد السلام وهي عن نقصان واما قول النووي اقوى المذاهب قول مالك
ثم احمد فقد قال غيره بل طريق احمد اقوى لانه قال يستعمل كل حديث فيما ورد فيه وما لم يرد
فيه شيء يسجد قبل السلام قال ولولا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لرايت
كله قبل السلام لانه من شان الصلاة فيفعله قبل التسليم وعند امامنا الشافعي سجود
السهو كله قبل السلام وعند الحنفية كله بعد السلام واعتمد الحنفية على حديث ابن مسعود
هنا وتعقب بانه لم يعلم بزيادة الركعة الا بعد السلام حين سالوه هل زيد في الصلاة
وقد اتفق العلماء في هذه الصورة على ان سجود السهو لتعذره قبله لعدم علمه بالسهو وانما
تابعه الصحابة لتجويزهم الزيادة في الصلاة لانه كان زمان توقع النسخ واجاب بعضهم بما وقع
في حديث ابن مسعود من الزيادة وهي واذا شك احدكم فليتحر الصواب فليتم عليه ثم
يسجد سجدتين واجيب بانه معارض بحديث ابي سعيد عند مسلم ولفظه اذا شك
احدكم في صلاته فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين
قبل ان يسلم وبه تمسك الشافعية وجمع بعضهم بينهما بحمل الصورتين على حالتين
ورجح البيهقي طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام او بعده ونقل الماوردي
الاجماع على الجواز وانما الخلاف في الافضل وكذا اطلق النووي وتعقب
بان امام الحرمين نقل في النهاية الخلاف في الاجزاء عن المذهب واستبعد القول
بالجواز ويمكن ان يقال الاجماع الذي نقله الماوردي والنووي قبل هذه الاراء
في المذاهب المذكورة والله اعلم قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله ولو سها سهوين

فاكثر كفاه عند الشافعي ومالك وابي حنيفة واحمد سجدتان للجميع والجمهور انه
يسجد للسهو في التطوع كالفرض الفصل الخامس ما كان صلى الله عليه وسلم يقوله
بعد انصرافه من الصلوة وجلوسه بعدها وسرعة انفتاله بعدها عن ثوبان كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلثا وقال اللهم انت
السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم ولم يمكث
مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك وقد ثبت انه كان اذا صلى اقبل على اصحابه
فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلوة على انه كان يقوله بعد ان يقبل على اصحابه بوجهه
الشريف فقد كان يسرع الانفتال الى المامومين وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره
وقال ابن مسعود رايته صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان
وقال انس اكثر ما رايته ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت ام سلمة كان اذا
سلم مكث في مكانه يسيرا قالت فنري والله اعلم لكي ينصرف النساء قبل ان يدركهن
الرجال رواه البخاري وقالت عائشة كان لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام
ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم وهذا الحديث يتمسك
به من قال ان الدعاء بعد الصلوة لا يشرع والجواب ان المراد بالنفي المذكور نفي استمراره
جالسا على هيئته قبل السلام الا بقدر ان يقول ما ذكر وكان يقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة بن

شعبة

شعبة وكان يقول باعلا صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل
وله الثناء الحسن الجميل لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
رواه مسلم من حديث عبد الله بن الزبير وعن سعد انه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات
ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلوة اللهم اني
اعوذ بك من الجبن واعوذ بك من البخل واعوذ بك من ارذل العمر واعوذ بك من فتنة
الدنيا وعذاب القبر رواه البخاري وعن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في دبر كل صلوة اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد انك الرب وحدك لا
شريك لك اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك اللهم ربنا
ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصا لك
واهلي في كل صلوة ساعة من الدنيا والاخرة يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب
الله الاكبر الله الاكبر الله نور السموات والارض الله الاكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله
الاكبر الله الاكبر رواه ابو داود واحمد ورايت في كتاب الهدي لابن القيم واما الدعا
بعد السلام من الصلوة مستقبل القبلة سواء للمنفرد والامام والمامومين فلم يكن ذلك
من هدي النبي صلى الله عليه وسلم اصلا ولا روي عنه باسناد صحيح ولا حسن وخص
بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء
بعده ولا ارشد اليه امته وانما هو استحسان راه عوضا من السنة بعدهما قال وغاية

الادعية المتعلقة بالصلوة انما فعلها فيها وامر بها فيها قال وهذا هو الاليق
بحال المصلي فانه مقبل على ربه مناجيه فاذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه
وقربه فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب وهو مقبل عليه ثم يسال اذا انصرف
عنه ثم قال لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن اتى بها ان يصلي على النبي ع م
بعد ان يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي
الذكر لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد كان في خاطري من دعواه النفي مطلقا شيء لما سياتي
ثم رايت شيخ مشايخنا امام الحفاظ ابا الفضل بن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي
مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له والله اني
احبك فلا تدع دبر كل صلاة ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
اخرجه ابو داود والنسائي وحديث زيد بن ارقم سمعته صلى الله عليه وسلم
يدعو في دبر الصلاة اللهم ربنا ورب كل شيء اخرجه ابو داود والنسائي وحديث
صهيب رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلاة اللهم اصلح لي ديني اخرجه النسائي
وصححه ابن حبان وغير ذلك ثم قال فان قيل المراد بدبر الصلاة قرب اخرها وهو التشهد
قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلاة والمراد به بعد السلام اجماعا فكذا هذا حتى
ثبت ما يخالفه وقد اخرج الترمذي من حديث ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعا
اسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات وقال حسن ~~واخرج الترمذي~~
~~من حديث ابي امامة قيل يا رسول الله~~ الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال

الدعاء

الدعاء بعد المكتوبة افضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة
قال وفهم كثير من الحنابلة ان مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقا وليس
كذلك فان حاصل كلامه انه يقال بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وايراده عقب
السلام واما اذا انفتل بوجهه او قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان
بالدعاء حينئذ انتهى وكان عليه السلام حين تقام الصلاة في الصلاة في الصلوة
اذا راهم قليلا جلس واذا راهم جماعة صلى رواه ابو داود وقال ابو مسعود
البدري كان صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استووا ولا
تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه
مسلم وقال ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فقمت عن يساره
فاخذ بيدي من وراء ظهري فعدلني كذلك من وراء ظهري الى الشق الايمن رواه
البخاري ومسلم وقال انس سقط رسول الله صلى الله عن فرس فجحش شقه الايمن
فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى قاعدا فصلينا وراءه قعودا فلما
قضى الصلوة قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا حتى قال واذا صلى
قاعدا فصلوا قعودا اجمعين زاد بعض الرواة واذا صلى قاعدا قائما فصلوا قياما
رواه البخاري ومسلم قال الحميدي ومعاني ساير الروايات متقاربة وزاد البخاري
قوله اذا صلى جالسا فصلوا جلوسا هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي
مات فيه جالسا والناس خلفه قياما لم يامرهم بالقعود وانما يؤخذ بالاخر والاخر

من امره صلى الله عليه وسلم انتهى وقال الشافعي وابو حنيفة وجمهور السلف
لا يجوز للقادر على القيام ان يصلي خلف القاعد الا قايما واحتجوا بانه صلى الله عليه
صلى في مرض موته بعد هذا قاعدًا وابو بكر والناس خلفه قيامًا وان كان بعض العلماء
زعم ان ابا بكر رضي الله عنه كان هو الامام والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن
الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان هو الامام **الباب الثاني في ذكر صلاته** صلى الله عليه وسلم
الجمعة عن انس بن مالك قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمراة بيضاء فيها
نكتة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه فقال هذه الجمعة فضلت بها
انت وامتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصاري ولكم فيها خير وفيها ساعة
لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي
يا جبريل وما يوم المزيد فقال ان ربك اتخذ في الفردوس واديًا افيح فيه كثب
من مسك فاذا كان يوم الجمعة انزل الله ما شاء من ملايكته وحوله منابر من نور عليها
مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزمرد عليها
الشهداء والصديقون فجلسوا من ورايهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد
صدقتكم وعدي فسلوني اعطكم فيقولون ربنا نسالك رضوانك فيقول قد رضيت
عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم القيمة لما يعطيهم ربهم
فيه من الخير وفيه استوى ربك على العرش رواه الشافعي في مسنده وروي
مسلم من حديث ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه

الشمس

الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم
الساعة الا في يوم الجمعة وروي البيهقي في الدعوات من حديث انس كان صلى الله
اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان يقول
ليلة الجمعة ليل اغر ويوم الجمعة يوم ازهر وليوم الجمعة من الخواص ما يبلغ العشرين
ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا اطيل بذكرها سيما وليست من غرضي وهو افضل
ايام الاسبوع كما ان يوم عرفة افضل ايام العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة
ولهذا كان لو فقة الجمعة يوم عرفة مزية على ساير الايام وقال ابو امامة ابن النقاش
يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم النحر افضل ايام العام قال وغير هذا لا يسلم
قايله من اعتراض يعجز عنه دفعه انتهى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم
الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس تبع اليهود غدًا و
النصاري بعد غدٍ رواه البخاري وفي رواية ابن عيينه عن ابن الزناد عند مسلم
نحن الاخرون ونحن السابقون اي الاخرون زمانا الاولون منزلة والمراد باليوم
الجمعة وبيد بفتح الموحدة واسكان المثناة من تحت وفتح الدال المهملة اي غير واذا عرفت
هذا فقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة
فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم لاجله
فان قيل هل في العقل وجه يدل على ان يوم الجمعة افضل من السبت والاحد وذلك

لان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدا الخلق والتكوين في يوم الاحد
وفي يوم الجمعة فكان الفراغ يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال
فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدا الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا
عيدا لنا فهذان اليومان معقولان فالوجه في جعل يوم الجمعة عيدا فالجواب ان يوم الجمعة
فهو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم
فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولى من هذا الوجه والله اعلم قال ابن بطال وليس المراد في الحديث
انه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك ما فرض الله عليه
وهو مومن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا
فيه بشريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا اليوم الجمعة كذا قال لكن قد روى ابن ابي
حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابوا ولفظه ان الله
فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم
وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا
حطة وهم القايلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدانا الله له بان نص لنا عليه
وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق باسناد
صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة
ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي

ونشكره

ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وانزل
الله تعالى بعد ذلك اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله شاهد
باسناد حسن اخرجه احمد وابو داود وابن ماجة وصححه ابن خزيمة من حديث كعب
بن مالك قال كان اول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اسعد بن زرارة فمرسل ابن سيرين يدل على ان اوليك الصحابة اختاروا يوم الجمعة
بالاجتهاد ولا يمنع ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن
من اقامتها ثم ولذلك جمع بهم اول ما قدم المدينة انتهى وقال ابن اسحق لما قدم عليه السلام
المدينة اقام بقبا في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلثا ويوم الاربعاء
ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة في بني سالم فصلاها
في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تاسيس
مسجده وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس رواه البخاري من
حديث انس وفي رواية اذا اشتد البرد بكر بالصلوة واذا اشتد الحر ابرد بالصلوة
يعني الجمعة وفي رواية سهل بن سعد عند البخاري ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم
الجمعة ونقيل بعد الجمعة ثم اعلم ان الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها وقال سعيد
بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين
من صلاة الظهر ولم يكن يوذن في زمانه صلى الله عليه وسلم على المنابر وبين يديه وانما
كان بلال يوذن وحده بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر كما صرح بايمة الحنفية

والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة البرهان المرغيناني من الحنفية في
هدايته واذا صعد الامام المنبر جلس واذن المؤذن بين يدي المنبر بذلك جرى
التوارث ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الاذان وعبارة ابن الحاجب
من المالكية ويحرم السعي عند اذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان عثمان
وكثروا امر باذان قبله على الزوراء ثم نقله هشام الى المسجد وجعل الاخر بين
يديه انتهى ونحوه قال عبد الحق في تهذيب الطالب واما قول ابن ابي زيد في رسالته
وهذا الاذان الثاني احدثه بنو امية فقال شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الثاني
في الاحداث وهو الاول في الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الاول هو الثاني
والثاني هو الاول في الفعل قال وكان بعض شيوخنا ومفسره ما تقدم انتهى
وعبارة الزركشي كغيره من الشافعية ويجلس الامام على المستراح ليستريح من تعب
الصعود ثم يؤذن المؤذن بعد جلوسه فان التاذين كان حين يجلس رسول الله
ولم يكن قبله اذان فلما كان زمن عثمان وكثر الناس امرهم بالتاذين ثانيا ثم يديم
الجلوس الى فراغ المؤذن انتهى وعن السايب بن يزيد قال كان الندا يوم الجمعة اوله
اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان
عثمان وكثر الناس زاد الندا الثالث على الزوراء رواه البخاري وقال الزوراء موضع
بالسوق بالمدينة وفي رواية له ايضا ان التاذين الثاني يوم الجمعة امر به عثمان حين
كثر اهل المسجد وهو مفسر بما يفسر به قول ابن ابي زيد السابق وعند ابن خزيمة كان الاذان

على

على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر اذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله
اذانين يريد الاذان والاقامة تغليبا او لاشتراكهما في الاعلام وللنسائي كان
بلال يؤذن اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فاذا نزل اقام وفي رواية
وكيع عن ابن ابي ذيب فامر عثمان بالاذان الاول ونحوه للامام الشافعي من هذا
الوجه قال في فتح الباري ولا منافاة بينهما لانه باعتبار كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار
كونه مقدما على الاذان والاقامة يسمى اولا ولهذا قوله في رواية البخاري التاذين
الثاني فمتوجه بالنظر الى الاذان الحقيقي لا الاقامة وقال الشيخ خليل في التوضيح
واختلف النقل هل كان يؤذن بين يديه عليه السلام او على المنار الذي نقله
اصحابنا انه كان على المنار نقله ابن القاسم عن مالك في المجموعة ونقل ابن عبد البر في
كافيته عن مالك ان الاذان بين يدي الامام ليس من الامر القديم وقال غيره هو
اصل الاذان في الجمعة وكذلك نقل صاحب تهذيب الطالب والمازري وفي
الاستدراك ان هذا اشتبه على بعض اصحابنا فانكر ان يكون الاذان يوم الجمعة بين
يدي الامام كان في زمنه عليه السلام وابي بكر وعمر وان ذلك حدث في زمان
هشام قال وهذا قول من قل علمه ثم استشهد بحديث السايب بن يزيد قال كان
يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة وابي بكر و
عمر انتهى والحكمة في جعل الاذان في هذا المحل ليعرف الناس بجلوس الامام على
المنبر فينصتون له اذا خطب قاله المهلب قال في فتح الباري وفيه نظر فان من

سياق محمد بن اسحاق عند الطبراني وغيره في هذا الحديث ان بلالا كان يوذن على باب
المسجد فالظاهر انه كان لمطلق الاعلام لا لخصوص الانصات والذي يظهر ان الناس
اخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك لكونه حينئذ خليفة مطاع الامر لكن
ذكر الفاكهي ان اول من احدث الاذان الاول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد وفي تفسير
جويبر عن الضحاك عن معاذ ان عمر امر موذنين ان يوذنا للناس الجمعة خارجا من
المسجد حتى يسمع الناس وامر ان يوذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله
وابي بكر ثم قال عمر نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ
ولا يثبت وقد تواردت الاخبار ان عثمان هو الذي زاد فهو المعتمد وقد روى عبد الله
الرزاق ما يقوي هذا الاثر عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى اول من زاد فهو المعتمد
الاذان بالمدينة عثمان فقال عطا كلا انما كان يدعو الناس ولا يوذن غير اذان واحد
انتهى لكن عطا لم يدرك عثمان بن عفان فرواية من اثبت ذلك عنه تقدم على انكاره
ويمكن الجمع بان الذي كان في زمن عمر بن الخطاب استمر على عهد عثمان ثم راى ان
يجعله اذانا وان يكون على مكان عال ففعل ذلك فنسب اليه لكونه بالفاظ الاذان وترك
ما كان يفعله عمر لكونه مجرد اعلام وروى ابن ابي شيبة عن ابن عمر قال الاذان الاول يوم الجمعة
بدعة فيحتمل ان يكون قال ذلك على سبيل الانكار وان يكون اراد انه لم يكن في زمنه عم
لان كل ما لم يكن في زمنه ع م يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون غير
ذلك ثم ان فعل ذلك عثمان رض كان اجماعا سكوتيا لانهم لم ينكروه عليه انتهى اول جمعة

جمعها

جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه كما قدمناه في حديث الهجرة في بني سالم بن عوف
في بطن وادٍ لهم فخطبهم فهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده
واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفره واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى و
دين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من
الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم
بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى
واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه
عون وصدق على ما يبتغون من الاخرة ومن يصل الذي بينه وبين الله من امره في السر
والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر
المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
والله رؤف بالعباد هو الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل
القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية
فانه من يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما
وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وسخطه وان تقوى الله يبيض الوجه و
يرضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه

ونهج سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم
وعادوا اعداه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله و
اعملوا لما بعد الموت فانه من يصالح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس ذلك
بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر و
لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ذكر هذه القرطبي في تفسيره وغيره وقد كان صلى الله عليه وسلم
يخطب متوكيا على قوس او عصا وفي سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب
في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وعند ابن داود باسناد
حسن انه صلى الله عليه وسلم قام متوكيا على قوس او عصا قالوا والحكمة في التوكا على نحو
السيف الايماء الى ان هذا الدين قام بالسلاح ولهذا قبضه باليسرى كعادة من يريد
الجهاد به ونازع فيه العلامة ابن القيم في الهدي النبوي وقال ان الدين لم يقم الا
بالقران والوحي كذا قال والله اعلم وكان عليه السلام اذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجة
وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما رواه مسلم من روايته
جابر بن سمرة وفي رواية له كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا
القران ويذكر الناس وفي حديث ابن عمر عند ابي داود كان عليه السلام يخطب
خطبتين كان يجلس اذا صعد المنبر حتى يفرغ الموذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا
يتكلم ثم يقوم فيخطب قال ابن المنذر الذي اهل العلم من علماء الامصار الخطبة قائما

ونقل

ونقل غيره عن ابي حنيفة ان القيام في الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك روايتان
واجب فان تركه اسا وصحت الخطبة وعند الباقين ان القيام شرط يشترط للقادر كالصلاة
واستدلوا بحديث جابر بن سمرة وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام ومشروعية
الجلوس بين الخطبتين ما احتيج الى الفصل بالجلوس ولان الذي نقل عنه الجلوس وهو
معاوية كان معذورا فعند ابن ابي شيبة من طريق الشعبي ان معاوية انما خطب قاعدا لما كثر شحم
بطنه واستدل الشافعي بوجوب الجلوس بين الخطبتين بما تقدم وبمواظبة النبي صلى الله
على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الثناء اما بعد كما قاله البخاري وكان
صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كانه
منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه
السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد
وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه من
ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي رواه مسلم والنسائي من حديث جابر
وفي رواية كانت خطبته صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم
يقول على اثر ذلك وقد علا صوته وذكر نحوه وفي اخرى كان يخطب الناس يحمد الله
ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له وخير الحديث كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم وعن ام هشام بنت حارثة بن النعمان
قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها

كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وعن الحكم بن حزن الكلبى قال قدمت
الى النبى صلى الله عليه وسلم سابع سبعة او تاسع تسعة فلبثنا عنده اياما شهدنا فيها
جمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على قوس او قال على عصا فحمد الله و
اثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال يايها الناس انكم لن تفعلوا ولن
تطيقوا كلما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا رواه احمد وابو داود وعن يعلى بن امية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يامالك ليقض
علينا ربك رواه البخارى ومسلم وعن ابى الدرداء قال خطبنا رسول الله صلى الله ع م
يوم جمعة فقال توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا
وصلوا الذى بينكم وبين ربكم تسعدوا واكثروا الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف
تحصنوا وانهوا عن المنكر تنصروا ايها الناس ان اكيسكم اكثركم ذكرا للموت واكرمكم
احسنكم استعدادا له الا وان من علامات العقل التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور رواه ورواه ابن ماجة من حديث
جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه وفى مراسيل ابى داود عن الترمذى قال كان صدر خطبته
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدى الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه

ويجتنب سخطه وعند ابى نعيم عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول اذا خطب كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شاء الله
كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شى الا باذن
الله عز وجل وقال جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله
ويصلى على انبيايه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا
الى نهايتكم ان العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدرى ما الله قاض فيه وبين
اجل قد بقى لا يدرى ما الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته
ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب
وما بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وعن عمرو
ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال الا ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها
البر والفاجر الا وان الاخرة اجل صادق ويقضى فيها ملك قادر الا وان الخير كله بحذافيره
فى الجنة الا وان الشر بحذافيره فى النار فاعملوا وانتم من الله على حذر واعلموا انكم
معروضون على اعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه
الشافعى وعند ابى نعيم فى الحلية نحوه واختلف هل يجب الانصات ويمتنع من جميع انواع
الكلام حال الخطبة ام لا وعن الشافعى فى المسالة قولان مشهوران وبناهما بعض
الاصحاب على الخلاف فان الخطبتين بدل على الركعتين ام لا فعلى الاول يحرم لا على الثانى
والثانى هو الارجح عندهم فمن ثمة اطلق من اطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع من شنع

عليهم من المخالفين وعن احمد ايضا رايتان وعنهما ايضا التفرقة بين من يسمع الخطبة وبين من لا يسمعها واغرب ابن عبد البر فنقل الاجماع على وجوب الانصات على من سمعها الا عن قليل من التابعين ودخل ابو سليك الغطفاني وهو صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له ءصليت قال لا قال قم فاركع ركعتين رواه البخاري ومسلم وابو داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من صلاة تحية المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاصها بسليك ويدل عليه قوله في حديث ابي سعيد عند اهل السنن جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب في هيئة بذة فقال له اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث فامره بان يصلي ليراه بعض الناس وهو قائم فيتصدق عليه وورد ايضا ما يؤيد الخصوصية وهو ما اخرجه ابن حبان وقوله لسليك في اخر الحديث لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال به على جواز التحية في تلك الحالة انهم اطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس فهذا ما اعتل به من طعن في الاستدلال بهذه القضية على جواز التحية وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه السلام قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية فان المانعين منها لا يجيزون التطوع لعلة التصدق قال ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع عند طلوع الشمس وساير الاوقات المكروهة ولا قايل به ومما يدل على ان امره بالصلاة لم ينحصر في قصد التصدق معاودته عليه السلام بامره بالصلاة في الجمعة الثانية بعد ان حصل له في الجمعة الاولى ثوبين فدخل بهما في الثانية فتصدق باحدهما فنهاه

عن ذلك

عن ذلك اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث ابي سعيد ايضا ولاحمد وابن حبان انه كرر امره بالصلاة ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على ان قصد التصدق عليه جزء علة لا علة كاملة واما اطلاق من اطلق ان التحية تفوت بالجلوس فقد حكى النووي في شرح مسلم عن المحققين ان ذلك في حق العامد العالم اما الجاهل والناسي فلا وحال هذا الداخل محمولة في الاولى على احدهما وفي المرتين الاخيرتين على النسيان والحامل للمانعين على التاويل المذكور انهم زعموا ان ظاهره معارض للامر بالانصات والاستماع للخطبة وقد اجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك وغيره من ادلة المانعين بما يطول ذكره ثم قال وهذه الاجوبة التي قدمناها تندفع من اصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي قتادة اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه قال وورد اخص منه في حال الخطبة ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر ابن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب اذا جاء احدكم والامام يخطب او قد خرج فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من طريق ابي سفيان عن جابر انه قال ذلك في قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز ثم قال اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق اليه التاويل ولا اظن عالما يبلغه هذا اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه وقال العارف ابو محمد بن ابي جمرة هذا الذي اخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل التاويل انتهى وقد قال قوم انما امره صلى الله عليه وسلم بسنة الجمعة التي قبلها ومستندهم قوله عليه السلام في قصة سليك عند ابن ماجة

اصليت ركعتين قبل ان تجئ لان ظاهره قبل ان تجئ من البيت ولهذا قال الاوزاعي ان كان صلى في البيت قبل ان تجئ فلا يصل اذا دخل المسجد وتعقب بان المانع من صلاة التحية لا يجوز التنفل حال الخطبة مطلقا ويحتمل ان يكون معنى قوله قبل ان تجئ الى الموضع الذي انت به الان وفايدة الاستفهام احتمال ان يكون صلاهما في موخر المسجد ثم تقدم ليقرب من سماع الخطبة ويويده ان في رواية مسلم اصليت الركعتين بالالف واللام فهي للعهد ولا عهد هناك اقرب من تحية المسجد واما سنة الجمعة التي قبلها فيأتي الكلام فيها ان شاء الله وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والترمذي من رواية جابر بن سمرة زاد في رواية ابي داود يقرا بايات من القران ويذكر الناس وله في اخرى كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة انما هو كلمات يسيرات وعن عمرو بن حريث انه صلى الله عليه وسلم خطب وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه رواه مسلم قال ابن القيم في الهدي وكان عليه السلام اذا اجتمع الناس خرج اليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سوداء فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس ويأخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام ثم يخطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بايراد خبر ولا غيره ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وانما يعتمد على قوس وعصا قبل ان يتخذ المنبر وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالانصات انتهى وينظر في قوله ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وانما

كان

كان يعتمد على قوس وعصى قبل ان يتخذ المنبر وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة الجمعة في الركعة الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي وابو داود والحكمة في قراءته عليه السلام بسورة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث على التوكل والذكر وغير ذلك وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضر منهم وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيهما من القواعد لانهم ما كانوا يجتمعون في مجلس اكثر من اجتماعهم فيها وفي حديث النعمان بن بشير عند مسلم وكان يقراء في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتيك حديث الغاشية وقد اختلف في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا احدها تصح من الواحد نقله ابن حزم الثاني اثنان كالجماعة وهو قول النخعي واهل الظاهر الثالث اثنان مع الامام عند ابي يوسف ومحمد والليث الرابع ثلاثة معه عند ابي حنيفة وسفيان الثوري الخامس سبعة عند عكرمة السادس تسعة عند ربيعة السابع اثنا عشر عن ربيعة ايضا في رواية الثامن مثله غير الامام عند اسحاق التاسع عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك العاشر ثلاثون كذلك الحادي عشر اربعون بالامام عند امامنا الشافعي واشترط كونهم احرارا بالغين عقلاء مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء الا لحاجة وان يكونوا حاضرين من اول الخطبة الى ان تقام الجمعة وحجة الشافعي ما رواه الدارقطني وابن ماجة والبيهقي في الدلايل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قايد ابي حين ذهب بصره فاذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان صلى على

ابي امامة واستغفر له قال فمكث كذلك حينا لا يسمع الاذان في الجمعة الا فعل
ذلك فقلت له يا ابتا استغفارك لابي امامة كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال يا بني
هو اول من جمع بالمدينة قال قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون رجلا وقال جابر بن
عبد الله مضت السنة ان في كل ثلثة اماما وفي كل اربعين فما فوق ذلك جمعة خرجه
الدارقطني وروي البيهقي عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا
اربعين رجلا قال الشيخ الاسلام زكريا الانصاري نفع الله بوجوده قال في المجموع قال
اصحابنا وجه الدلالة ان الامة اجمعوا على اشتراط العدد والاصل الظهر فلا يصح الجمعة
الجمعة الا بعدد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها باربعين وثبت صلوا كما رايتموني
اصلي ولم تثبت صلاتها بما اقل من ذلك فلا يجوز بما اقل منه واما خبر انفضاضهم فلم
يبق الا اثني عشر فليس فيه انه ابتداها باثني عشر بل يحتمل عودهم او عود غيرهم مع سماعهم
اركان الخطبة وفي رواية للبخاري انفضوا في الصلاة وهي محمولة على الخطبة
جمعا بين الاخبار انتهى الثاني عشر اربعون غير الامام عند الشافعي ايضا وبه
قال عمر بن عبد العزيز وطايفة الثالث عشر خمسون عند احمد في رواية وحكيت
عن عمر بن عبد العزيز الرابع عشر ثمانون حكاه الماوردي الخامس عشر جمع كثير بغير
ولعل هذا الاخير ارجحها من حيث الدليل قاله في فتح الباري الباب الثالث في ذكر تهجده
صلوات الله وسلامه عليه قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به اي بالقران والمراد منه الصلاة
المشتملة على القران والهجود في اللغة النوم وعن ابي عبيدة النائم والهاجد وقال المصلي بالليل

وعن

وعن الزهري الهاجد النايم وقال المازني التهجد بعد الرقاد ثم صلاة اخرى بعد
رقدة قال وهكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله نافلة لك
اي عبادة زائدة في فريضتك ويمكن نصرة هذا القول بان قوله فتهجد امر وصيغة
الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا وروى الطبري عن ابن عباس ان النافلة
للنبي صلى الله عليه وسلم تقع خالصا له لكونه امر بقيام الليل وكتب عليه دون امته
واسناده ضعيف وقيل معناه زيادة لك خالصة لان تطوع غيره يكفر ما على صاحبه
من ذنب وتطوعه هو صلى الله عليه وسلم يقع خالصا له لكونه لا ذنب عليه فكل
طاعة ياتي بها صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة انما تكون لزيادة الدرجات و
كثرة الحسنات ولهذا سمي نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات
فهذه الطاعات يحتاجون اليها لتكفير الذنوب والسيئات وروي مسلم
من طريق سعيد بن هشام عن عايشة قالت ان الله افترض قيام الليل في اول
هذه السورة يعني يايها المزمل فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا
حتى انزل الله في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وروي
محمد بن نصر في قيام الليل من طريق سماك عن ابن عباس شاهدا لحديث عايشة في ان بين
الايجاب والتسبيح سنة وحكى الشافعي عن بعض اهل العلم ان اخر السورة نسخ افتراض
قيام الليل الا ما تيسر منه ثم نسخ فرض ذلك بالصلوة الخمس وروي محمد بن نصر
من حديث جابر ان نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع ابي عبيدة في جيش الخبط

وكان ذلك بعد الهجرة لكن في اسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف فوجوب
قيام الليل قد نسخ في حقنا وهل نسخ في حقه عليه السلام اكثر الاصحاب لا والصحيح
نعم ونقله الشيخ ابو حامد عن النص وقالت عايشة قام صلى الله عليه وسلم
حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تقطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول
الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قالت
فلما بدن وكثر لحمه صلى الله جالسا فاذا اراد ان يركع قام يقرأ ثم يركع رواه البخاري
ومسلم والفاء في قوله افلا اكون للسببية وهي عن محذوف تقديره اترك تهجدي
فلا اكون عبدا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه قال ابن في هذا الحديث
اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله ع م
اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يامن
انه استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال الحافظ بن حجر في فتح الباري ما لم يفض
ذلك الى الملال لان حال النبي صلى الله عليه وسلم كان اكمل الاحوال فكان لا يمل من
عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح انه قال عليه السلام وجعلت قرة عيني
في الصلوة كما اخرجه النسايي من حديث انس فاما غيره صلى الله عليه وسلم فاذا
خشي الملل ينبغي له ان لا يكد نفسه وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال
ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما دست النفس والشيطان على
المجتهد في العبادة بمثل ما ذكر خصوصا اذا كبر فيقول قد ضعفت وكبرت فابق على

نفسك

نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية وهذا وان كان ظاهره جميلا لكن فيه دسايس فانه
ان اطاعه فقد يكون استدراجا يؤول به الى ترك العمل شيئا فشيئا الى ان ينقطع بالكلية
وما ترك سيد المرسلين المغفور له شيئا من عمله بعد كبره كان يصلي بعض ورده جالسا
بعد ان كان يقوم حتى تتفطر قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الاوزار ولا يامن عذاب
النار ان يغفل حال شبيبته وتيوانا عند ظهور شيبه فينبغي للانسان ان يستعد قبل
حلول مشيبه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك فان من شاب فقد لاح صبح
سواد ليل شعره وقد قال تعالى منذرا لمن يدخل في الصباح ان موعدهم الصبح اليس
الصبح بقريب فكيف بقريب من دخل في الصباح وظهر كوكب نهاره في فوق راسه ولاح
وقال القرطبي ظن من ساله صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة في العبادة انه
انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج
الى ذلك فافادهم ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وايصال النعمة
لمن لا يستحق عليه فيها سببا فيتعين كثير الشكر على ذلك والشكر الاعتراف بالنعمة
والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا ومن ثم قال الله تعالى وقليل
من عبادي الشكور وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه من الاجتهاد
في العبادة والخشية من ربه قال العلماء انما الزم الانبياء انفسهم لشدة الخوف
لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته
ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد والله اعلم ذكر سياق صلاة تهجده

بالليل عن شريح بن هاني قالت عايشة رضى الله عنها ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا
قط فدخل بيتى الا صلى اربع ركعات او ست ركعات رواه ابو داود وكان يقوم اذا سمع
الصارخ رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة وهو يصرخ فى النصف الثانى وقالت
كان عليه السلام ينام اول الليل ويقوم اخره فيصلى ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن
وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج الشيخان وقالت ايضا كان عم
ربما اغتسل فى اول الليل وربما اغتسل فى اخره وربما اوتر فى اول الليل وربما
اوتر فى اخره وربما جهر بالقران وربما خفت وقالت ام سلمة كان يصلى ثم
ينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه ابو داود
والترمذي والنسايى وفى رواية للنسايى كان العتمة ثم يسبح ثم يصلى بعدها ما شاء الله
من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ من نومه ذلك فيصلى مثل ما نام
وصلوته تلك الاخرة تكون الى الصبح وعنه انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله
فى الليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نايما الا رايناه رواه النسايى وكان عم
اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبى و
اسالك رحمتك اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى وهب لى من لدنك
رحمة انك انت الوهاب رواه ابو داود من حديث عايشة وعنها كان عليه السلام
اذا هب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان
الملك القدوس عشرا واستغفر عشرا ثم قال اللهم انى اعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق

يوم

يوم القيمة عشرا ثم يفتتح الصلوة رواه ابو داود وقد روى حديث قيامه بالليل
ووتره عن عايشة وابن عباس قال ابن القيم واذا اختلف ابن عباس وعايشة فى شئ
من امر قيامه عليه السلام بالليل فالقول قول عايشة لكونها اعلم الخلق بقيامه بالليل
انتهى فاما حديث ابن عباس فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتى ميمونة ليلة و
النبى صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد
فلما كان ثلث الليل الاخير او بعضه قعد ينظر الى السماء وقرا ان فى خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق
شناقها ثم صب فى الجفنة ثم توضا وضوءا حسنا بين الوضوئين لم يكثر وقد ابلغ
فقام فصلى فقمت وتوضات فقمت عن يساره فاخذ باذنى فادارنى عن يمينه
فتتامت صلوته ثلث عشر ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ فاذنه بلال بالصلوة فصلى
ولم يتوضا وكان فى دعايه اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصري نورا وفى سمعى
نورا وعن يمينى نورا وعن يساري نورا وفوقى نورا وتحتى نورا وامامى نورا و
خلفى نورا واجعل لى نورا وزاد بعضهم وفى لسانى نورا وذكر عصبى ولحمى و
دمى وشعري وبشري وفى رواية فصلى ركعتين خفيفتين قلت قرا فيهما بام
الكتاب فى كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام فاتاه
بلال فقال الصلاة يا رسول فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس وفى رواية
فقام فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه فى كل ركعة بقدر

يايها المزمل وفي رواية فصلى ركعتين ركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم اوتر بخمس
لم يجلس فيهن وفي رواية النسايي انه صلى احد عشر ركعة بالوتر ثم نام حتى استثقل فرايته
ينفخ فاتاه بلال الحديث وفي اخري له فتوضا واستاك وهو يقرا هذه الاية حتى فرغ
منها ان في خلق السموات والارض ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه
ثم قام فتوضا واستاك ثم صلى ركعتين ثم نام ثم قام فتوضا واستاك وصلى ركعتين
واوتر بثلاث ولمسلم فاستيقظ فتسوك وتوضا وهو يقول ان في خلق السموات
والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين اطال فيهما القيام والركوع
والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك
يستاك ويتوضاء ويقراء هولاء الاية ثم اوتر بثلاث واما حديث عايشة فعن سعيد
بن هشام قال انطلقنا الى عايشة فقال يام المومنين انبيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه
قالت الست تقرا القران قلت بلى قالت كان خلقه القران قلت يا ام المومنين انبئيني عن
وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم سواكه و
طهوره فيبعثه الله متى شاء ان يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضا ويصلي تسع ركعات
ولا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي
التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعو ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين
بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك احدي عشر ركعة يا بني فلما اسن واخذه اللحم اوتر
بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني رواه مسلم وللنسايي

كنا

كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء ان يبعثه من الليل فيستاك ويتوضاء
ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيهن الا عند الثامنة ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه
ويدعو بينهن ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ويقعد ويحمد الله ويصلي على نبيه ثم يسلم
تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين وهو قاعد زاد في اخرى فتلك احدى عشر ركعة يا بني
فلما اسن صلى الله عليه وسلم واخذ اللحم اوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما
سلم فتلك تسع اي بني وفي رواية له فصلى ست ركعات فخيل الي انه سوي بينهن في القراة
والركوع والسجود ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع جنبه وعن عايشة
كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه مسلم
واحمد وعنها كان عليه السلام يصلي فيما بين ان يفرح ان يفرغ من صلاة العشاء الى
الفجر احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعة ويوتر بواحدة فيسجد السجدة من ذلك قدر ما
يقرا احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين لنا
الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة
رواه ابو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث ركعة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس
في شيء الا في اخرها رواه البخاري ومسلم وفي البخاري عن مسروق سالت عايشة
عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبعا وتسعا واحدي عشر سوى
ركعتي الفجر وعنده ايضا عن القاسم بن محمد عنها كان صلى الله عليه وسلم يصلي
من الليل ثلثة عشر ركعة منها الوتر وركعتا الفجر قال القرطبي اشكلت روايات

عايشة على كثير من اهل العلم حتى نسبت بعضهم حديثها الى الاضطراب و
هذا يتم لو كان الراوي عنها واحدًا واخبرت عن وقت واحد والصواب ان كل
شيء ذكرته من ذلك محمول على اوقات متعددة واحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان
الجواز انتهى فاما ما اجابت به مسروقا فمرادها ان ذلك وقع منه في اوقات متفرقة
فتارة كان يصلي سبعًا وتارة تسعًا وتارة احدى عشرة واما حديث القاسم فمحمول
على ان ذلك كان غالب احواله قيل والحكمة في عدم الزيادة على احدى عشرة ان التهجد
والوتر مختص بصلاة الليل وفرايض النهار الظهر وهي اربع والعصر وهي اربع و
المغرب وهي ثلث وتر النهار فناسب ان تكون صلاة الليل كصلاة النهار في العدد
جملا وتفصيلا واما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية الى ما
بعدها انتهى وعن زيد بن خالد الجهني انه قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الليلة قال فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون
اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة
ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما اربع مرات هكذا في صحيح
مسلم وموطا مالك وسنن ابي داود وجامع الاصول لابن الاثير فقد كان قيامه ع م
بالليل انواعا احدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بثلاث كما في حديث ابن عباس
عند مسلم ثانيها انه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده احدى عشرة ركعة
يسلم من كل ركعة ويوتر بركعة رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة ثالثها ثلث عشر

كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رابعها ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين
ثم يوتر بخمس سردًا متوالية لا يجلس الا في اخرهن رواه البخاري ومسلم من حديث
ابن عباس خامسها تسع ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعو
ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد ويحمده ويدعوه ثم يسلم ثم يصلي ركعتين
بعد ما يسلم قاعدًا رواه مسلم من حديث عايشة رض وسادسها يصلي سبعًا كالتسع ثم
يصلي بعدها ركعتين جالسًا رواه مسلم ايضا من حديثها وسابعها كان يصلي مثنى ثم
يوتر بثلاث لا يفصل بينهن رواه احمد وثامنها ما رواه النسايي عن حذيفة انه صلى مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم
مثل ما كان قايما ثم جلس يقول رب اغفر لي فما صلى الا اربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه
الى الغداة ورواه ابو داود ولفظه انه راي النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل
فكان يقول الله اكبر ثلاثا ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح
فقرا البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في ركوعه صح سبحان ربي العظيم ثم رفع راسه نحوا من قيامه وكان
يقول في ركوعه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربي الحمد ثم سجد نحوا من
قيامه فكان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع راسه من السجود وكان يقعد
فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر لي فصلى اربع ركعات قرا
فيهن البقرة وال عمران والنسا والمائدة والانعام شك شعبة ورواه البخاري
ومسلم بلفظ صليت مع رسول الله صلى الله ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة

ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقراها
ثم افتتح ال عمران فقراها مترسلا اذا مر باية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سال واذا
مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحو قيامه ثم
قال سمع الله لمن حمده زاد في رواية ربنا لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا
مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى فكان سجوده قريبا من قيامه وزاد النسائي
لا يمر باية تخويفا وتعظيم لله عز وجل الا ذكره وقد كانت هيئة صلاته عليه السلام
ثلثة احدها انه كان اكثر صلاته قايما فعن حفصة قالت ما رايته صلى الله عليه وسلم
صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث رواه
احمد ومسلم والنسائي وصححه الترمذي الثاني كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا رواه
البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عايشة بلفظ واذا قرا وهو قاعد ركع و
سجد وهو قاعد الثالث كان يقرا قاعدا فاذا بقي يسير من قراته قام فركع قايما
رواه مسلم من حديث عايشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي
جالسا ويقرا وهو جالس فاذا بقي من قراته قدر ما يكون ثلثين اية او اربعين
قام وقرا وهو قايم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك وعن عايشة
كان صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا رواه الدارقطني وكان صلى الله عليه وسلم
يصلي ركعتين بعد الوتر جالسا تارة وتارة يقرا فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع
قام فركع قالت عايشة كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرا فيهما وهو جالس فاذا

اراد

اراد ان يركع قام فركع رواه ابن ماجة وعن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرا فيهما اذا زلزلت والكافرون رواه احمد
واختلف في هاتين الركعتين فانكرهما مالك وكذا النووي في المجموع وقال
احمد لا افعله ولا امنعه انتهى والصواب انه انما فعلهما بيانا لجواز الصلوة
بعد الوتر ولفظه كان لا يفيد دواما ولا اكثرية هنا وغلط من ظنهما سنة راتبة
فانه صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشبيه السنة بالفرض حتى يكون للوتر صلاة
بعده واما قيامه عليه الصلاة والسلام ليلة النصف من شعبان عن عايشة رضي
قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل يصلي فاطال السجود حتى ظننت
انه قبض فلما رايت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع راسه من
السجود وفرغ من صلاته قال يا عايشة او يا حميرا اظننت ان النبي صلى الله
قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قبضت لطول سجودك
فقال اتدرين اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة النصف من شعبان
ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم
المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحرث عنها
وقال هذا مرسل جيد يعني ان العلاء لم يسمع من عايشة وقد ورد في فضل ليلة
النصف من شعبان احاديث كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها
وخرجه في صحيحه ومن امثلها كما نبه عليه الحافظ بن رجب حديث عايشة قالت

فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع راسه الى السماء فقال
اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله ظننت انك اتيت
بعض نسائك قال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر
لاكثر من عدد شعر غنم كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه وفي
سنن ابن ماجة باسناد ضعيف عن علي مرفوعا اذا كان ليلة نصف من شعبان فقوموا ليلها
وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول الا
من مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه الا مبتلى فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر
وقد كان التابعون من اهل الشام كخالد بن سعدان ومكحول يجتهدون ليلة النصف من
شعبان في العبادة وعنهم اخذ الناس تعظيمها ويقال انه بلغهم في ذلك اثار اسرائيلية
فلما اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس فيه فمنهم من قبله ومنهم وقد انكر ذلك
اكثر العلماء من اهل الحجاز منهم عطا وابن ابي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم عن فقهاء اهل المدينة وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله
بدعة واختلف علماء اهل الشام في صفة احيائها على قولين احدهما انه يستحب
احياؤها جماعة في المساجد وكان خالد بن معدان ولقمان بن عامر يلبسون فيها احسن
ثيابهم ويتجرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم ووافقهم اسحق بن راهوية
على ذلك وقال في قيامها في المسجد جماعة ليس ببدعة نقله عنه حرب الكرماني
في مسائله والثاني انه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره

ان يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم
ولا يعرف للامام احمد كلام في ليلة النصف من شعبان ويخرج في استحباب قيامها عنه
روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد وانه في رواية لم يستحب قيامها جماعة
لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه فعلها واستحبها في رواية لفعل
عبد الرحمن بن زيد الاسود لذلك وهو من التابعين وكذلك قيام ليلة النصف من
شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه انما ثبت عن طائفة
من التابعين من اعيان فقهاء اهل الشام انتهى ملخصا من اللطائف واما قوله تعالى
في سورة الدخان انا انزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها انزاله تعالى القران في
ليلة القدر وكان ذلك في رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران
قال الحافظ بن كثير ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد
ابعد النجعة فان نص القران انها في رمضان واما الحديث الذي رواه عبد الله
بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري اخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة ابن الاخنس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى
ان الرجل لينكح ويولد له وقد اخرج اسمه في الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا
لا يعارض النصوص انتهى واما قيامه عليه السلام في رمضان وهو الذي
سمي بالتراويح جمع ترويحة وهي المرة الواحدة من الراحة وسميت بذلك لانهم
اول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين فعن عائشة كان رسول الله ع م

اذا دخل العشر الاول لاواخر من رمضان احيا الليلة وايقظ اهله وجد وشد
المئزر رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسايي ولمسلم قالت كان صلى الله عليه وسلم
يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الاخر منه ما لا يجتهد في غيره
وفي رواية الترمذي كان يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره وعنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة
فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما اصبح قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت ان تفرض
عليكم وذلك في رمضان رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري ومسلم
انه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته
فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر منهم فخرج عليهم عليه السلام في الليلة
الثانية فصلوا بصلاته فلما اصبح الناس يذكرون ذلك فكثر اهل المسجد من الليلة
الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كان في الليلة الرابعة عجز عن المسجد اهله
فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون فلا يخرج اليهم
حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر اقبل على الناس ثم تشهد فقال اما بعد فانه لم يخف
على شانكم الليلة ولكني خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها وفي رواية بنحوه ومعنا
مختصرا قال وذلك في رمضان قال في فتح الباري ظاهر هذا الحديث انه ع م
توقع افتراض الصلوة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال

وقد

وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في ان الشروع ملزم وفيه نظر واجاب
المحب الطبري بانه يحتمل ان يكون الله عز وجل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة
معهم افترضتها عليهم فاحب التخفيف عنهم وقيل خشي ان يظن احد من الامة
من مداومته عليها الوجوب قال القرطبي اي يظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك كما
اذا ظن المجتهد حل شيء او تحريمه فانه يجب عليه العمل به واستشكل الخطابي اصل هذه
الخشية مع ما ثبت في حديث الاسراء من ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون
لا يبدل القول لدي فاذا امن التبديل كيف يقع الخوف من الزيادة وهذا يدفع في
صدر الاجوبة المتقدمة واجاب عنه الخطابي بان صلاة الليل كانت واجبة عليه
صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية يجب على الاقتداء به فيها يعني عند المواظبة فترك
الخروج اليهم لئلا يدخل ذلك في الواجب من طريق الامر بالاقتداء به لا من طريق انشاء فرض
جديد زايد على الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فيجب عليه ولا يلزم من
ذلك زيادة فرض في اصل الشرع قال وفيه احتمال اخر وهو ان الله تعالى فرض الصلوة
خمسين ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما
استوهب لها والتزمت ما استعفى لهم نبيهم عليه السلام منه لم يستنكر ان
يثبت ذلك فرضا عليهم قال الحافظ بن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابي
جماعة كابن الجوزي وهو مبني على ان قيام الليل كان واجبا على النبي عليه السلام
وعلى وجوب الاقتداء بافعاله وفي كل من الامرين نزاع ثم اجاب بثلاثة اجوبة احدها انه

يحتمل ان يكون الخوف افتراض قيام الليل جعل التهجد فى المسجد جماعة شرطا فى صحة
التنفل بالليل قال ويومي اليه قوله فى حديث زيد بن ثابت حتى خشيت ان يكتب عليكم
ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس فى بيوتكم فمنعهم من الجمع فى المسجد اشفاقًا
عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه فى المواظبة على ذلك فى بيوتهم من افتراضه
عليهم وثانيها ان يكون الخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الاعيان
فلا يكون ذلك زايدًا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم فى العيد ونحوها وثالثها
يحتمل ان يكون الخوف افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع فى حديث الباب اذ ذلك
كان فى رمضان وفى حديث سفيان بن حسين خشيت ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر
قال وعلى هذا يرتفع الاشكال لان قيام رمضان لا يتكرر كل يوم فى السنة فلا يكون ذلك
قدرًا زايدًا على الخمس واقوي هذه الاوجه الثلاثة فى نظري الاول وعن النعمان بن بشير
قال قمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين الى ثلث
الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة سبع
وعشرين حتى ظننا ان لا ندرك وكانوا يسمونه السحر رواه النسايي واختلف العلماء اهل
الافضل فى صلاة التراويح ان تصلى جماعة فى المسجد او فى البيوت فرادي فقال الشافعي
وجمهور اصحابه وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها جماعة كما فعله
عمر بن الخطاب والصحابة واستمر عمل المسلمين لانه من الشعاير الظاهرة فاشبه
صلاة العيد فان قلت قد ذكرت ان الحافظ بن حجر حمل قوله عليه السلام انى خشيت

ان

ان تفرض عليكم على التجميع فى المسجد وقال انه اقوي الاوجه فالجواب انه صلى الله عليه وسلم
لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر التجميع لما فى الاختلاف من افتراق الكلمة ولان الاجتماع
على احد انشط لكثير من المصلين وقال مالك وابو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل
صلاتها فرادي فى البيوت لقوله عليه السلام افضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة قالوا
انما فعلها صلى الله عليه وسلم فى المسجد لبيان الجواز ولانه كان معتكفًا واما عدد الركعات
التى كان صلى الله عليه وسلم فى رمضان فعن ابى سلمة انه سال عايشة كيف كانت صلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان قالت ما كان يزيد فى رمضان ولا فى
غيره على احدى عشرة ركعة يصلى اربعًا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى
اربعًا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله
اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى رواه البخاري ومسلم
واما ما رواه ابن ابى شيبة من حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يصلي
فى رمضان عشرين ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد عارضه حديث
عايشة فهذا وهى اعلم بحال النبى صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها وقد كان
الامر من زمنه صلى الله عليه وسلم استمر على ان كل واحد يقوم فى رمضان
فى بيته منفردا حتى انقضى صدر من خلافة عمر وفى البخاري ان عمر خرج ليلة الى
المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته
الرهط قال عمر انى لو جمعت هولاء على قاري واحد لكان اجمع ثم عزم فجمعهم

على ابي بن كعب ثم خرج ليلة اخري والناس يصلون بصلاة قاريهم قال عمر
نعمت البدعة هذه والتي تنامون عنها افضل من التي تقومون يريد اخر الليل
وكان الناس يقومون اوله واختار ابيًا لانه كان اقراهم كما قال عمر وروي
سعيد بن منصور من طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابي بن كعب فكان يصلي بالرجال
وكان تميم الداري يصلي بالنساء وفي الموطا امر عمر ابي بن كعب وتميم الداري
ان يقوما للناس في رمضان وروي البيهقي باسناد صحيح ان الناس كانوا يقومون
على عهد عمر بن الخطاب في شهر رمضان عشرين ركعة قال الحليمي والسر في كونها
عشرين ان الرواتب في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت لانه وقت جد وتشمير
وفي الموطا بثلاث وعشرين وجمع البيهقي بينهما بانهم كانوا يوترون بثلاث وفي
الموطا عن محمد بن يوسف عن السايب بن زيد انها احدي عشرة وعند عبد العزيز احدي
وعشرين والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل ذلك الاختلاف
بحسب تطويل القراة وتخفيفها فحيث يطول القراة يقل الركعات وبالعكس وقد
روي محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت الناس في امارة ابان بن عثمان
وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون
بثلاث وقال مالك هو الامر القديم عندنا وعن الزعفراني عن الشافعي رايت الناس
يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شي من ذلك
ضيق وعنه وعنه قال ان اطالوا القيام واقلوا السجود فحسن وان اكثروا السجود

واخفوا القراة فحسن والاول احب الي انتهى وهل يجوز لغير اهل المدينة صلاتها
ستا وثلاثين وقال النووي قال الشافعي لا يجوز لغيرهم لان لاهلها شرفا بهجرته
ومدفنه ويخالفه قول الحليمي ومن اقتدي باهل المدينة فقام بست وثلاثين
فحسن ايضا وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلي اربعًا بتسليمة لم يصح وفاقا للقاضي
حسين في فتاويه ولو صلي سنة الظهر او العصر اربعًا بتسليمة واحدة جاز والفرق
بين التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت الفرايض قاله النووي في فتاويه وصرح به
في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراة في قيام رمضان بالليل اكثر
من غيره وقد صلي معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرا بالبقرة ثم النسا ثم ال عمران
لا يمر باية تخويف الا وقف وسال قال فما صلي الركعتين حتى جاء بلال فاذنه بالصلاة
اخرجه احمد واخرجه النساي وعنده انه ما صلي الا اربع ركعات وكان للشافعي في
رمضان ستون ختمة يقروها في غير الصلاة **الباب الرابع في صلاة**
الوتر قد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه اوتر بخمس لم يجلس الا في اخرها لكن احاديث
الفصل اثبت واكثر طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين الوصل والاقتصار
على ثلاث بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث موصولة حسن جايز واختلفوا فيما
زاد قال فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه وتعقبه محمد بن منصور
المروزي بما رواه من طريق عراك بن مالك عن ابي هريرة مرفوعًا وموقوفا لا توتروا
بثلاث تشبهوا بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان بن يسار انه كره الثلاث في الوتر

وقال لا تشبه التطوع بالفريضة انتهى لكن قد روى الحاكم من حديث عايشة انه كان
صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد الا فى اخرهن وروى النساي من حديث
ابى بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
ولا يسلم الا فى اخرهن وبين فى عدة طرق ان السور الثلاث بثلاث ركعات والجمع بين
هذا وبين ما تقدم من النهى عن التشبيه بصلاة المغرب ان يحمل النهى على صلاة الثلاث
بتشهدين وقد فعله السلف ايضًا وروى محمد بن نصر من طريق الحسن ان عمر كان ينهض
فى الثالثة من الوتر بالتكبير ومن طريق السور بن مخرمة ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم الا فى اخرهن
ومن طريق ابن طاوس عن ابيه انه كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن وكان ابن عمر يسلم من
الركعة والركعتين فى الوتر حتى يامر ببعض حاجته وهذا ظاهره انه كان يصلى الوتر موصولًا
فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفى هذا رد على من قال لا يصح الوتر الا مفصولًا
واصرح من ذلك ما رواه الطحاوى من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه انه كان يفصل
بين شفعه ووتره بتسليمة واحدة واخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده
قوى وقد استدل بعضهم على فضل الفصل بانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما
الوصل فورد من فعله فقط وقد حمل المخالف من الحنفية كل ما ورد من الثلاث على الوصل
مع ان كثيرًا من الاحاديث ظاهر فى الفصل كحديث عايشة يسلم من كل ركعتين فانه
يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص فى موضع النزاع وحمل الطحاوى
هذا ومثله على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم يتمسك فى دعوى ذلك

الا بالنهى عن البتيرا مع احتمال ان يكون المراد بالبتيراء ان يوتر بواحدة فردة ليس قبلها
شى وهو اعم من ان يكون مع الوصل والفصل وقد اختلف السلف فى امرين
احدهما فى مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثانى فيمن اوتر ثم اراد ان
يتنفل فى الليل هل يكتفى بوتره الاول ويتنفل ما شاء او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل
ثم اذا فعل هل يحتاج الى وتر اخر ام لا فاما الاول فوقع عند مسلم من طريق ابى سلمة
عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد
ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر فى قوله اجعلوا اخر صلاتكم بالليل وترًا
مختصًا بمن اوتر اخر الليل واجاب من لم يقل بذلك بان الركعتين المذكورتين هما
الفجر وحمله النووى على انه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر
وجواز التنفل جالسًا واما الثانى فذهب الاكثر الى انه يصلى شفعًا ما اراد ولا
ينقض وتره عملًا بقوله عليه السلام لا وتران فى ليلة وهو حديث حسن اخرجه
النساى وابن خزيمة من حديث طلق بن على وانما يصح نقض الوتر عند من يقول
بمشروعية التنفل بركعة واحدة غير الوتر واختلف السلف ايضًا فى مشروعية
قضاء الوتر فنفاه الاكثر وفى مسلم وغيره عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام
من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة وقال محمد
بن نصر لم نجد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شى من الاخبار انه قضى الوتر ولا امر
بقضائه وعن عطا والاوزاعى يقضى ولو طلعت الشمس الى الغروب وهو وجه

عند الشافعي حكاه النووي في شرح مسلم وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة و
عن الشافعية يقضي مطلقًا وقالت عايشة اوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليلة
من اوله واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم وابو داود
والترمذي والنسايي والمراد باوله بعد صلاة العشا ويحتمل ان يكون اختلاف
وقت الوتر باختلاف الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعًا او تره في وسطه
لعله كان مسافرا واما وتره في اخره فكان غالب احواله لما عرف من مواظبته على الصلاة
اخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي انه السدس الاخير وقيل اوله الفجر الاول
وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة فلما انفجر الفجر قام صلى الله ع م
فاوتر بركعة قال ابن قال خزيمة المراد به الفجر الاول وروي احمد من حديث معاذ
مرفوعًا زادني ربي صلاة وهي الوتر وقتها من العشا الى طلوع الفجر وفي اسناده
ضعف وكذا في حديث خارجة بن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب
الوتر وليس صريحًا في الوجوب واما حديث بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس
منا واعاد ذلك ثلثا ففي سنده ابو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير قبوله فيحتاج
من احتج به الى ان يثبت ان لفظة حق بمعنى واجب في عرف الشارع وان لفظ واجب بمعنى
ما ثبت من طريق الاحاد والله اعلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي وعايشة راقدة معترضة
على فراشه فاذا اراد ان يوتر ايقظها فتوتر كما في البخاري وهذا يدل على استحباب جعل الوتر
اخر الليل سواء المتهجد وغيره ومحله اذا اوثق ان يستيقظ بنفسه وبايقاظ غيره

واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه السلام سلك به مسلك الواجب حيث لم يدعها
نايمة للوتر وابقاها للتهجد وتعقب بانه لا يلزم من ذلك الوجوب نعم يدل على تاكيد ام
الوتر وانه فوق غيره من النوافل الليلية وفيه استحباب ايقاظ النايم لادراك
الصلاة ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج الوقت بل يشرع ذلك لادراك
الجماعة وادراك اول الوقت وغير ذلك من المندوبات قال القرطبي ولا يبعد ان يقال
انه واجب في الواجب مندوب في المندوب لان النايم وان لم يكن مكلفًا لكن مانعه سريع
الزوال فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله اعلم وعن علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوتر بثلاث يقرا فيهن بتسع سور من المفصل يقرا في كل ركعة بثلاث سور اخرهن قل هو الله احد
رواه الترمذي وعن ابن عباس كان يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد في كل ركعة وعن عايشة كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي
الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود و
الترمذي ولابي داود وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النسايي ثلاثًا
يطيل في اخرهن وفي رواية يرفع صوته بالثالثة وعن علي كان عليه السلام يقول
في اخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوباتك واعوذ بك
منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه ابو داود والترمذي
والنسايي وابن ماجة قال ابن تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته و
قد كان عليه السلام يقرا في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان

لتوحيد العلم والعلم والعمل و توحيد المعرفة والارادة ولتوحيد الاعتقاد فسورة
قل هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة و مايجب اثباته للرب تعالى
من الاحدية والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي
الولد والولد والكفو المتضمن لنفي الشبه والمثل والنظير فتضمنت اثبات كل كمال ونفي
كل نقص عنه ونفي كل شبيه وهذه هي مجامع التوحيد العلمي والاعتقادي فلذلك
كانت تعدل ثلث القران فان القران مداره على الخبر والانشاء ثلثة امر ونهي واباحه
والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى واسماءه وصفاته واحكامه وخبر عن خلقه فا خلصت
سورة الاخلاص للخبر عنه وعن اسمايه وصفاته فعدلت ثلث القران وخلصت
قاريها المومن من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل يايها الكافرون من الشرك
العملي قاله ابن القيم واما القنوت في الركعة الاخيرة من الوتر في النصف
الاخير من شهر رمضان فقال النووي في الاذكار باستحبابه ولم يذكر لذلك
دليلاً وقد اخرج ابوداود باسنادين رجالهما ثقات لكن احدهما منقطع و
الاخر اولم يسم ان عمر لما جمع الناس على ابي بن كعب كان لا يقنت الا في النصف
الاخير وعن الحسن بن علي قال علمني جدي كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني
فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت
وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز
من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وهذا لفظ رواية شريك رواه الطبراني وغيره

الباب

الباب الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى اختلف الرواة هل صلاها
النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم المثبت ومنهم النافي فمن العلماء من رجح رواية
المثبت على النافي جريا على القاعدة المعروفة لانها تتضمن زيادة علم خفيت على
النافين قالوا وقد يجوز ان يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند
الاقل ومنهم من رجح رواية النافي بقرينة ولم يعتد برواية المثبت اما لضعفها
اوصرفها كما سياتي عن صلاة الضحى قال الحاكم وفي الباب عن ابي سعيد وابن ذر الغفاري
وزيد بن ارقم وابي هريرة وبريدة الاسلمي وابي الدرداء وعبد الله بن ابي اوفى
وعتبان بن مالك وعتبة بن عبد السلمي ونعيم بن همام الغطفاني وابي امامة
الباهلي وعايشة بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة كلهم شهد وان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصلي الضحى انتهى فاما حديث ابي سعيد فاخرجه الحاكم والترمذي عن عطية
العوفي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى انتهى حتى نقول لا يدعها ويدعها
حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي حسن غريب قال النووي عطية ضعيف
فلعله اعتضد واما حديث ابي ذر الغفاري فرواه واما حديث زيد بن ارقم فرواه
مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك صلاة الضحى في سفر ولا غيره
واسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السهمي ضعيف جدا واما حديث بريدة الاسلمي
فرواه واما حديث ابن ابي اوفى فرواه ابن عدي والحاكم بلفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى الضحى ركعتين يوم بشر براس ابي جهل قال بعض العلماء النافين لرواية المثبتين

هذا الحديث ان كان صحيحًا فهي صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكره يوم فتح مكة واما
حديث عتبان بن مالك فرواه احمد من رواية محمود بن الربيع عنه ان النبي صلى الله
صلى في بيته سبحة الضحى واما حديث عتبة فرواه بن عبد فرواه مسلم واحمد وابن ماجة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعًا ويزيد ما شاء الله وعن عبد الله
بن شقيق قال سالت عايشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت
لا الا ان يجيء من مغيبه واما حديث ام هاني فرواه البخاري ومسلم قالت ان النبي ع م
دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة قط اخف
منها غير انه يتم الركوع والسجود قالت في رواية اخري وذلك ضحى ولمسلم ان رسول الله
صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وللنسايي انها
ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت
فقال من هذا قلت ام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات يسلم من كل
ركعتين ملتحفًا في ثوب واحد ولابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
صلى سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين وقد استدل بحديث البخاري ومسلم
على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال ان يكون السبب فيه التفرغ لمهمات الفتح
لكثرة شغله وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم انه صلى الضحى فطول فيها اخرجه ابن
ابي شيبة من حديث حذيفة واما حديث ام سلمة فرواه الحاكم من طريق اسحاق بن بشر المحاربي
قالت كان صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة قلت وروي عن ابن

جبير بن مطعم عن ابيه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى رواه الحاكم ايضًا وعن
انس بن مالك قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم صلى في السفر سبحة الضحى ثماني ركعات
رواه احمد وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى رواه
النسايي في سننه الكبري واحمد وابو يعلى واسناده جيد وعن ابن عمر ان رسول الله
كان لا يصلي من الضحى الا يومين يوم يقدم مكة وعن ابي بكرة عند ابن عدي في الكامل
رواية عمر وابن عبيد عن الحسن عن ابي بكرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
الضحى فجاء الحسن وهو غلام فلما سجد ركب ظهره الحديث وعمرو بن عبيد متروك واحتج
القايلون بالنفي بحديث عايشة ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب
ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحة الضحى قط واني لاسبحها رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود وبحديث
مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي الضحى قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت
فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله رواه البخاري وقوله لا اخاله اي لا اظنه
وهو بكسر الهمزة وبفتح ايضًا والخاء معجمة وقال الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون
افضل من صلاة الضحى وروي عن مجاهد قال دخلت انا وعروة بن الزبير المسجد فاذا
ابن عمر جالس عند حجرة عايشة رض فاذا الناس في المسجد يصلون صلاة الضحى
فسالناه عن صلاتهم فقال بدعة وروي عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم
عن ابيه قال لقد قتل عثمان وما احد يسبحها وما احدث الناس شيئًا احب الي منها

وقد جمع العلماء بين هذه الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلاة
الضحى مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صرحت عايشة كما تقدم
تقدم وكما ذكرته ام هاني او غيرها وقول عايشة ما رايته صلاها لا يخالف قولها
كان يصليها لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكون عندها في وقت الضحى الا في النادر
من الاوقات لانه قد يكون مسافرا وقد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون
في بيت من بيوت زوجاته وغيره وما رات انه صلاها في تلك الاوقات النادرة فقالت ما رايته
وعلمت بغير رؤية انه كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم وباخبار غيره فروت ذلك
وقول ابن عمر لا اخاله فتوقف وكان سبب توقفه انه بلغه عن غيره انه صلاها ولم يثق بذلك
عمن ذكره واما قوله انها بدعة فمؤول على انه لم يبلغه الاحاديث المذكورة او اراد انه صلى الله عليه وسلم
لم يداوم عليها او ان اظهارها في المساجد ونحوها بدعة وانما سنة النافلة في البيوت
والله اعلم وبالجملة فليس في احاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية صلاة الضحى لان
نفيه محمول على عدم رؤيته لا على عدم الركوع في نفس الامر او الذي نفاه صفة مخصوصة
كما قدمناه وقد روى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انه راى قوما يصلونها فانكر عليهم
وقال ان كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب اخرون الى استحباب فعلها غبا فتصلى في
بعض الايام دون بعض وكان ابن عباس يصليها يوما ويدعها عشرة ايام وذهب اخرون
الى انها تفعل بسبب من الاسباب وانه عليه السلام انما صلاها يوم الفتح من اجل الفتح وكان
الامراء يسمونها صلاة الفتح متمسكين بما قاله القاضي عياض وغيره ان حديث ام هاني ليس

بظاهر

بظاهر في انه عليه السلام قصد سنة الضحى وانما فيه انها اخبرت عن وقت صلاته
فقط قال وقد قيل انها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيها وتعقبه
النووي بان الصواب صحة الاستدلال به لما رواه ابو داود من طريق كريب عن ام
هاني انه صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق ابي مرة
عن ام هاني في قصة اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثماني ركعات
سبحة الضحى وروى ابن عبد البر في التمهيد من طريق عكرمة بن خالد عن ام هاني قالت
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلوة قال هذه
صلاة الضحى واستدل به على ان اكثر الضحى ثماني ركعات واستبعده السبكي ووجه بان
الاصل في العبادة التوقف وهذا اكثر ما ورد من فعله عليه السلام وقد ورد من
فعله دون ذلك كحديث ابن اوفى انه عليه السلام صلى الضحى ركعتين اخرجه ابن عدي
واما ما ورد من قوله عليه السلام ففيه ازيادة على ذلك كحديث انس مرفوعا من
صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي واستغربه
وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف ومن ثمه قال الروياني اكثرها ثنتي عشرة
وقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه يشير الى حديث انس
لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدرداء رفعه وفيه من صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله
له بيتا في الجنة رواه الطبراني وحديث ابي ذر عند البزار وفي اسناده ضعف
ايضا قوي وصلح للاحتجاج ونقل الترمذي عن احمد ان اصح شيء ورد في حديث ام

ام هاني وهو كما قال النووي في الروضة اقلها ثمان واكثرها ثنتي عشرة ففرق
بين الاكثر والافضل واجاب القائلون بانها لا تفعل لا لسبب عن قول ابي
هريرة المروي في البخاري اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا ادعهن
حتى اموت بصوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى الحديث بانه قد روي ان ابا
هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلوة فامر بالضحى بدلا من قيام الليل
ولهذا امره ان لا ينام الا على وتر ولم يامر بذلك ابا بكر ولا عمر ولا سائر الصحابة
انتهى قال الحافظ بن حجر وهذه الوصية لابي هريرة قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما
رواه مسلم ولابي ذر فيما رواه النسائي قال والحكمة في الوصية على المحافظة
على ذلك تمرين النفس على جنس الصلوة والصيام ليدخل في الواجب منهما
بانشراح ولينجبر ما لعله يقع من نقص ومن فوائد صلوة الضحى انها تجزي عن الصدقة
التي تصبح على مفاصل الانسان الثلثماية وستون مفصلا كما اخرجه من حديث ابي ذر قال
فيه ويجزي من ذلك ركعتا الضحى وقد ذكر اصحابنا الشافعية انها افضل التطوع
بعد الرواتب لكن النووي في شرح المهذب قدم عليها صلاة التراويح فجعلها
في الفصل بين الرواتب والضحى وحكى الحافظ ابو الفضل العراقي في شرح الترمذي انه
اشتهر بين العوام ان من صلى الضحى ثم قطعها يعمى فصار كثير من الناس تركها اصلا
لذلك وليس لما قالوا اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم
الخير الكثير لا سيما ما وقع في حديث ابي ذر واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين

على الثلاثة المذكورة في الحديث لان الصلاة والصيام اشرف العبادات البدنية
ولم يكن المذكورون من اصحاب الاموال فكان يجزيهم من الصدقة عن السلامى
كما في الحديث والله اعلم وروى الحاكم من طريق ابي الخير عن عقبة بن عامر قال امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان نصلي الضحى بسور منها والشمس وضحيها والضحى ومناسبة ذلك ظاهرة
جدا والله اعلم تنبيه قال الشيخ الاسلام والحافظ ابو الفضل بن حجر قول عايشة في الصحيح
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف ما روي عنه
صلى الله عليه وسلم ان صلاة الضحى كانت واجبة عليه وقد عدها جماعة من العلماء
من خصايصه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك في خبر صحيح وقول الماوردي
في الحاوي انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى ان مات يعكر عليه ما رواه
مسلم في حديث ام هاني انه لم يصليها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفي ام هاني لذلك يلزم منه
العدم لانا نقول يحتاج من اثبته الى دليل ولو وجد لم يكن حجة لان عايشة ذكرت
انه كان اذا عمل عملا اثبته فلا يستلزم المواظبة على هذا الوجوب عليه انتهى وقال
ابن العربي في عارضة الاحوذي انبانا ابو الحسن الازدي انبانا ابو طاهر انبانا علي حدثنا
ابو العباس عبد الله بن عبد الرحمن العسكري حدثنا الختلي حدثنا ابو عتبان حدثنا
قيس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب
على النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها ورواه الدارقطني
القسم الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها وفيه ابواب

الاول في النوافل المقرونة بالاوقات وفيه فصلان الاول في رواتب الصلاة
الخمس والجمعة وفيه فروع الاول في احاديث جامعة لرواتب مشتركة عن نافع
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها
ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء ركعتين وكان لا يصلي
بعد صلاة الجمعة حتى ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح
صلى ركعتين خفيفتين قبل ان تقام الصلاة رواه البخاري فهذه عشر ركعات
لان الركعتين بعد الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر الا لعارض بان يصلي
الجمعة وسنتها التي بعدها ثم يتبين له فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها
كما نبه عليه الشيخ ولي الدين ابن العراقي واختلف في دلالة كان على التكرار وصحح
ابن الحاجب انها تقتضيه قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم يقري الضيف
وصحح الامام فخر الدين في المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا وقال النووي في
شرح مسلم انه المختار الذي عليه الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر ابن
دقيق العيد انها تقتضيه عرفا فعلى هذا ففي الحديث دلالة على تكرر فعل هذه النوافل
من النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان هذا دابه وعادته وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم
يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان
يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين وفي اخره وكان اذا طلع الفجر صلى ركعتين

الحديث

رواه مسلم فهذه ثنتي عشرة ركعة وعنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا
قبل الظهر وركعتين قبل الغداة وفي رواية لم يكن يتركهما سرا وعلانية في سفر ولا
حضر ركعتان قبل الظهر الصبح وركعتان بعد العصر رواه البخاري ومسلم الثاني
في ركعتي الفجر قالت عايشة لم يكن صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا
منه على ركعتي الفجر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ولمسلم لهما احب
الي من الدنيا جميعا وكان يصليهما اذا سكت المؤذن بعد ان يستنير الفجر ويخففهما
رواه الشيخان وهذا لفظ النسائي واختلف في حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر الى
صلاة الصبح في اول الوقت وبه جزم القرطبي وقيل ليستفتح صلاة النهار بركعتين
خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل كما تقدم ليدخل في الفرض وما شابهه في
الفضل بنشاط واستعداد تام وقد ذهب بعضهم الى اطالة القراءة فيهما وهو قول اكثر
الحنفية ونقل عن الشعبي واورد البيهقي فيه حديثا مرفوعا من مرسل سعيد بن جبير وفي
سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك بمن فاته شيء من قراءته في صلاة الليل فليستدركها
في ركعتي الفجر واخرجه ابن ابي شيبة بسند صحيح عن الحسن البصري وكان كثيرا مما يقرا
في الاولى منهما قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية التي في البقرة وفي الاخرة قل
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله واشهدوا بانا مسلمون
رواه مسلم وابو داود والنسائي من رواية ابن عباس وفي رواية ابي داود من
حديث ابي هريرة قولوا امنا بالله وما انزل الينا في الركعة الاولى وبهذه الاية

ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وانا ارسلناك بالحق
بشيرًا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم قال ابو داود شك الراوي وقال ابو هريرة
قرا في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه مسلم وابو داود والترمذي
وقد روى ابن ماجة باسناد قوي عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرا بهما
في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولابن ابي شيبة من طريق ابن سيرين
عن عايشة كان يقراء فيهما بهما وللترمذي والنسايي من حديث ابن عمر رمقت النبي
شهرا يقرا بهما وقد استدل بعضهم بهذا على الجهر بالقراة في ركعتي الفجر ولا حجة
فيه لاحتمال ان يكون ذلك عرف بقراته بعض السورة ويدل على ذلك ان في رواية
ابن سيرين المذكورتين يسر فيهما القراة وصححه ابن عبد البر واستدل بعضهم
ايضا بهذه الاحاديث المذكورة على انه لا تتعين الفاتحة لانه لم يذكرها مع سورتي
الاخلاص واجيب بانه ترك الفاتحة لوضوح الامر فيها انتهى وكان عليه السلام
اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الايمن رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة رض
لانه عليه السلام كان يحب التيمن وقد قيل ان الحكمة فيه ان القلب من جهة اليسار فلو
اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه ابلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا
فلا يستغرق وهذا انما يصح بالنسبة الى غيره عليه السلام كما لا يخفى واما ما روي
ان ابن عمر راي رجلا يصلي ركعتي الفجر ثم اضطجع فقال ما حملك على ما صنعت قال اردت

ان افضل

ان افصل بين صلاتي فقال له واي فصل افصل من السلام قال فانها سنة قال بل بدعة
رواه ابن الاثير في جامعه عن رزين وكذا ما روي من انكار ابن مسعود ومن قول ابراهيم
النخعي انها ضجعة الشيطان كما اخرجهما ابن ابي شيبة فهو محمول على انه لم يبلغهم الامر بفعله
وارجح الاقوال مشروعيته للفصل لكن لمن يداوم عليه السلام عليه وكذا احتج الايمة
على عدم الوجوب وحملوا الامر الوارد بذلك عند ابي داود وغيره على الاستحباب
وفايدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه
جزم ابن العربي ويشهد لهذا ما اخرجه عبد الرزاق ان عايشة كانت تقول ان النبي صلى الله
لم يضطجع لسنة ولكن كان يداب ليلته فيستريح وفي اسناده راو لم يسم وقيل ان فايدتها
الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثمه قال الشافعي
ان السنة تتادى بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره حكاه البيهقي وقال النووي
والمختار انها سنة لظاهر حديث ابي هريرة وقد قال ابو هريرة راوي الحديث ان الفصل
ان الفصل بالمشي الى المسجد لا يكفي وافرط ابن حزم فقال يجب على كل احد وجعله شرطا لصحة
صلاة الصبح فرد عليه العلماء بعده حتى طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد
بن زياد وفي حفظه مقال والحق انه يقوم به الحجة وذهب بعض السلف الى استحبابها في البيت
دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض شيوخنا بانه لم ينقل عن النبي صلى الله
انه فعله في المسجد اخرجه ابن ابي شيبة وقال عليه السلام من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما
بعد ما تطلع الشمس رواه الترمذي من رواية ابي هريرة الثالث في راتبة الظهر عن

ابن عمر صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه
البخاري ومسلم والترمذي وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعًا قبل
الظهر وركعتين قبل صلاة الغداة رواه البخاري ايضًا فاما ان يقال انه صلى الله عليه
كان اذا صلى في بيته صلى اربعًا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين وهذا اظهر واما ان
يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل عن عايشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان
لا مطعن في واحد منهما وقال ابو جعفر الطبري الاربع كانت في كثير من احواله و
الركعتان في قليلها انتهى وقد يقال ان الاربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر
بل هي صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال وروي البزار من حديث ثوبان انه صلى
الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلي بعد نصف النهار فقالت عايشة يا رسول الله
اراك تستحب الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها ابواب السماء وينظر الله تعالى الى خلقه
بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وعن
عبد الله بن السايب كان صلى الله عليه وسلم يصلي اربعًا بعد ان تزول الشمس قبل الظهر
وقال انها ساعة تفتح لها ابواب السما واحب ان يصعد لي فيها عمل صالح رواه الترمذي
وروي الترمذي ايضًا حديث اربع قبل الظهر وبعد الزوال تحتسب بمثلهن في السحر
وما من شيء الا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرا تتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمايل
سجدًا لله وهم داخرون فهذه والله اعلم هي الاربعة التي ارادت عايشة انه كان لا
يدعهن واما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر يوضح هذا ان ساير الصلوات سنتها

ركعتان

ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الاربعة وردًا مستقلًا سببه انتصاف النهار وزوال
الشمس وسر هذا والله اعلم ان انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وابواب السما
تفتح بعد الزوال الشمس ويحصل النزول الالهي بعد انتصاف الليل فهما وقت قرب
رحمة هذا فيه تفتح ابواب السماء وهذا ينزل فيه الرب تبارك وتعالى عن حركة الاجسام
الرابع في سنة العصر عن علي كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين رواه
رواه ابو داود وعن علي كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر اربع ركعات
يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمومنين رواه الترمذي
وروي مرفوعًا ايضًا حديث رحم الله امرًا صلى قبل العصر اربعًا وقالت عايشة ما كان النبي
صلى الله عليه وسلم ياتيني في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين وفي رواية ما ترك
ركعتين بعد العصر عندي قط رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان ابا سلمة سالها
عن السجدتين اللتين كان يصليها بعد العصر فقالت يصليهما قبل العصر ثم انه
شغل عنها ونسيهما فصليهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان اذا صلى صلوة اثبتها
يعني داوم عليها ولابي داود قالت كان يصلي بعد العصر ركعتين وينهى عنهما ويواصل
وينهى عن الوصال وقال ابن عباس انما صلى عليه السلام ركعتين بعد العصر لانه اشتغل
بقسمة مال اتاه عن الركعتين بعد الظهر ثم لم يعد لهما رواه الترمذي وقالت ام سلمة
سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما ثم رايته يصليهما حين صلى العصر ثم سالته عنهما فقال
انه اتاني ناس من عبد القيس بالاسلام فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث

وفيه ابن هشام قال كنت اضرب عمر بن الخطاب الناس عنهما قال ابن القيم قضا السنن
الروابت فى اوقات النهى عام له ولامته واما المداومة على تلك الركعتين فى وقت النهى
فخاص به قال وقد عد هذا من خصائصه انتهى والدليل عليه رواية عايشة كان يصلى
ركعتين بعد العصر وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال لكن قال البيهقى الذى
اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة على ذلك لا اصل القضا واما رواية ابن عباس
عند الترمذى انه انما صلاهما بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه فهو من رواية
جرير عن عطا وقد سمع منه بعد اختلاطه وان صح فهو شاهد لحديث ام سلمة لكن
ظاهر قوله ثم لم نعد معارض لحديث عايشة المذكور فى هذا الباب فيحمل النفى على
علم الراوى فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافى وكذا ما رواه النساى من
طريق ابى سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى بيتها بعد العصر ركعتين مرة واحدة
الحديث وفى رواية عنها لم اره يصليهما قبل ولا بعد فيجمع بين الحديثين بانه صلى الله
لم يكن يصليهما الا فى بيته فلذلك لم يره ابن عباس ولا ام سلمة ليشير الى ذلك قول عايشه
فى رواية وكان لا يصليهما فى المسجد مخافة ان تثقل على امته ومراد عايشة بقولها
ما كان فى يومى بعد العصر الا صلى ركعتين من الوقت الذى شغل فيه عن الركعتين بعد
الظهر فصلاهما ولم ترد انه كان يصلى بعد العصر من اول ما فرضت الصلوة مثلا الى
اخر عمره والله اعلم الخامس فى راتبة المغرب عن ابن مسعود قال ما احصى ما سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا فى الركعتين بعد المغرب وفى الركعتين قبل صلاة الفجر قل يا ايها

الكافرون وقل هو الله احد رواه الترمذى وعن ابن عباس قال كان صلى الله عليه وسلم
يطيل القراة فى الركعتين بعد المغرب حتى يفرق اهل المسجد رواه ابو داود وكان الصحابة
يصلون ركعتين قبل المغرب قبل ان يخرج اليهم عليه السلام رواه البخارى ومسلم و
ابو مسلم داود من حديث انس وفى رواية ابى داود قال انس رانا صلى الله عليه وسلم
فلم يامرنا ولم ينهانا وقال عقبة كنا نفعله على عهده صلى الله عليه وسلم رواه البخارى
ومسلم وظاهره ان الركعتين بعد الغروب وقبل صلاة المغرب كان امرا قرر اصحابه
عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب واما كونه عليه السلام لم يصليهما
فلا ينفى الاستحباب بل يدل على انهما ليسا من الرواتب والى استحبابهما ذهب احمد
واسحاق واصحاب الحديث وعن ابن عمر ما رايت احدا يصليهما على عهده صلى الله عليه وسلم
وعن الخلفاء الاربعة وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يصلونهما فادعى بعض المالكية
وتعقب بان دعوى النسخ لا دليل عليها ورواية المثبت وهو انس مقدم على رواية النافى
وهو ابن عمر وعن سعيد بن المسيب انه كان يقول حق على كل مومن اذا اذن المؤذن ان يركع ركعتين
وعن مالك قول اخر باستحبابهما وهو عند الشافعية وجه رجحه النووى ومن تبعه وقال
فى شرح مسلم قول من قال ان فعلهما يؤدى الى تاخير المغرب عن اول وقتها خيال فاسد منابذ
للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتاخر به الصلوة عن اول وقتها ومجموع الادلة
يرشد الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه وسلم صلوا قبل المغرب ركعتين لمن
شاء ان يتخذها سنة رواه ابو داود قال المحب الطبرى لم يرد نفى استحبابهما لانه لا يمكن

ان تامر بما لا يستحب بل هذا الحديث من ادل الادلة على استحبابهما ومعنى قوله سنة
اي شرعية وطريقة لازمة وكان لا المراد انحطاط مرتبتهما على الرواتب ولهذا لم يعدها
اكثر الشافعية فى الرواتب واستدركهما بعضهم وتعقب بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
واظب عليهما وقال عليه السلام فى الصلوة بعد المغرب هذه صلاة البيوت رواه ابو
والنسايي من حديث كعب بن عجرة وعنه عليه السلام من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان
يتكلم رفعت صلوته فى عليين رواه رزين السادس فى راتبة العشا قالت عايشة ما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات او ست ركعات
رواه ابو داود وفى مسلم قالت عايشة ثم يصلي بالناس العشا فيدخل بيتي فيصلي ركعتين
وكذا فى حديث ابن عمر عند الشيخين وتقدما اول هذا القسم والله اعلم الفرع السابع فى راتبة
الجمعة عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين
وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة
حتى ينصرف فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيئا فى الصلوة قبل صلاة الجمعة قال
ابن المنير كما حكاه فى فتح الباري كانه يقول الاصل استواء الظهر والجمعة حتى يدل دليل على
خلافه لان الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال انما اعاد ابن عمر ذكر الجمعة ذكر الظهر من اجل انه
كان صلى الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة فى بيته بخلاف الظهر قال والحكمة فيه ان الجمعة لما
كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك التنفل بعدها فى المسجد خشية ان يظن انها
التي حذفت انتهى وعلى هذا فينبغي ان لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها فى المسجد لهذا المعنى

وقد

وقد روى ابو داود وابن حبان من طريق ايوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل
الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعل ذلك وقد احتج به النووي فى الخلاصة على اثبات سنة الجمعة التي قبلها و
تعقب بان قوله وكان يفعل ذلك عايد على قوله ويصلي بعد الجمعة ركعتين فى بيته و
يدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين
فى بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك رواه مسلم واما قوله كان
يطيل الصلوة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح ان يكون مرفوعا لانه
عليه السلام كان يخرج اذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة وان كان
المراد قبل دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لسنة الجمعة
التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد انكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا فى الانكار
ومنهم الامام شهاب الدين ابو شامة لانه لم يكن يؤذن للجمعة الا بين يديه عليه السلام
وهو على المنبر فلم يصلها وكذلك الصحابة لانه اذا خرج الامام انقطعت الصلاة قال
ابن العراقي ولم ار فى كلام الفقهاء من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة التي
قبلها انتهى وقد ورد فى سنة الجمعة التي قبلها احاديث اخرى ضعيفة منها عن ابي
هريرة رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل الجمعة اربعا وبعدها اربعا واقوى ما يتمسك
فى مشروعية الركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا
من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان قاله فى فتح الباري وعن عطا قال

قال كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم تيقدم فيصلى اربعا
واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل فى المسجد
فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله رواه ابو داود وفى رواية
الترمذي قال رايت ابن عمر صلى بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك اربعا وعن ابن عمر
ايضا قال كان صلى الله عليه وسلم يصلى بعد الجمعة ركعتين رواه النساي وفى رواية كان
يصلى بعد الجمعة ركعتين فى بيته وفى اخرى ان ابن عمر كان يصلى بعد الجمعة ركعتين يطيل
فيهما ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وتقدم حديث دخول سليك
الغطفانى يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب وقوله صلى الله عليه وسلم
له صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث فى صلاة الجمعة الفصل
الثانى فى صلاته صلى الله عليه وسلم العيدين وفيه فروع الاول فى عدد الركعات
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلها
ولا بعدهما ثم اتى النساء ومعه بلال فامرهن بالصدقة فجعلت المراة تصدق بخرصها و
سخابها وفى رواية خرج فى يوم اضحى او فطر وفى اخرى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى
يوم الفطر ركعتين الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنساي الفرع
الثانى فى عدد التكبير عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر فى الفطر و
الاضحى فى الاولى سبع تكبيرات وفى الثانية خمس تكبيرات زاد فى رواية سوى تكبيرتى
الاحرام والركوع رواه ابو داود وعن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله

كبر

كبر فى العيدين فى الاولى سبعا قبل القراة وفى الاخرى خمسا قبل القراة رواه الترمذ
وابن ماجة والدارمي الفرع الثالث فى الوقت والمكان عن ابى سعيد الخدري قال كان
النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول شى يبدا به الصلاة
الحديث رواه البخاري ومسلم وفى هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد
الى المصلى وانه افضل من صلاتها فى المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل
مسجده وعلى هذا عمل الناس فى الامصار واما اهل مكة فلا يصلوها الا فى المسجد
من الزمن الاول ولاصحابنا الشافعية وجهان احدهما الصحراء افضل لهذا الحديث والثانى
هو الاصح عند اكثرهم المسجد افضل الا ان يضيق قالوا وانما صلى اهل مكة فى المسجد لسعته
وانما خرج النبى صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل على ان المسجد افضل اذا اتسع و
المراد بالمصلى المذكور الذى على باب المدينة الشرقى قال ابن القيم ولم يصل العيد بمسجده
الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد فى المسجد ان ثبت الحديث وهو فى
سنن ابى داود وابن ماجة انتهى ولفظ ابى داود عن ابى هريرة قال اصابنا مطر فى يوم فطر
فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد زاد رزين ولم يخرج بنا الى المصلى
الفرع الرابع فى الاذان والاقامة عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله
العيدين غير مرة ولا مرتين بغير اذان ولا اقامة رواه مسلم وابو داود والترمذي
وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا اقامة
رواه ابو داود الفرع الخامس فى قراته صلى الله عليه وسلم فى صلاة العيدين

عن ابی واقد اللیثی قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یقرا فی الاضحی والفطر بقاف
والقران المجید واقتربت الساعة وانشق القمر رواه مسلم ومالك وابو داود و
الترمذی وعن النعمان بن بشیر قال کان النبی صلی الله علیه وسلم یقرا فی العیدین
وفی الجمعة سبح اسم ربك الاعلی وهل اتاك حدیث الغاشیة وربما اجتمعا فی یوم
واحد فقراهما رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذی والنسای الفرع السادس
فی خطبته صلی الله علیه وسلم وتقدیمه صلاة العیدین علیها عن ابن عمر قال کان رسول الله
وابو بکر وعمر یصلون العیدین قبل الخطبة رواه البخاری ومسلم والترمذی والنسای
وعن جابر انه صلی الله علیه وسلم خرج یوم الفطر فبدا بالصلوة قبل الخطبة وفی روایة
قام فبدا بالصلوة ثم خطب الناس فلما فرغ نزل فاتی النسا فذکرهن وهو یتوکا علی ید
بلال وبلال باسط ثوبه یلقی فیه النسا صدقة وفی روایة اخری قال شهدت مع رسول الله
العید فبدا بالصلوة قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوکأ علی بلال فامر بتقوی
الله وحث علی طاعته ووعظ وذکرهم ثم مضی حتی اتی النساء فوعظهن وذکرهن
فقال تصدقن فانکن اکثر حطب جهنم فقامت امرأة من وسط النسا سفعا الخدین
فقالت لم یا رسول الله قال لانکن تکثرن الشکاة وتکفرن العشیر قال فجعلن یتصدقن
من حلیهن یلقین فی ثوب من اقراطهن وخواتیمهن رواه البخاری ومسلم وفی روایة
ابی سعید الخدری عند البخاری فاول شیء یبداء به الصلاة ثم ینصرف فیقوم مقابل الناس
والناس جلوس علی صفوفهم فیعظهم ویوصیهم ویامرهم فان کان یرید ان یقطع بعثا قطعه

ویامر بشیء امر به ثم ینصرف قال ابو سعید فلم یزل الناس علی ذلك حتی خرجت مع
مروان وهو امیر المدینة فی اضحی او فطر فلما اتینا المصلی اذا منبر بناه کثیر بن الصلت
فاذا مروان یرید ان یرتقیه فقلت له غیرتم والله الحدیث ولابن ماجة خطب
علیه السلام یوم عید علی رجلیه وهذا یشعر بانه لم یکن فی المصلی فی زمانه علیه السلام
منبرا ویدل علی ذلك قول ابی سعید فلم یزل الناس علی ذلك حتی خرجت مع مروان
ومقتضاه ان من اتخذه مروان ووقع فی المدونة للامام مالك ان اول من خطب
الناس فی المصلی علی منبر عثمان بن عفان کلمهم علی منبر من طین بناه کثیر بن الصلت
لکنه معضل وما فی الصحیحین اصح فقد رواه مسلم من طریق داود بن قیس نحو روایة
البخاری ویحتمل ان یکون عثمان فعل ذلك مرة ثم ترکه حتی اعاده مروان ولم یطلع علی ذلك
ابو سعید قاله الشیخ الاسلام بن حجر رحمه الله الفرع السابع فی اکله صلی الله علیه وسلم
یوم الفطر قبل خروجه الی صلاة العید عن انس کان رسول الله صلی الله علیه وسلم
لا یغدو یوم الفطر حتی یاکل تمرات رواه البخاری وقال قال مرجا بن رجا حدثنی
عبید الله حدثنی انس عن النبی صلی الله علیه وسلم ویاکلهن وترا ورواه الحاکم
من روایة عتبة بن حمید عنه بلفظ ما خرج یوم فطر حتی یاکل تمرات ثلاثا او خمسا
او سبعا او اقل من ذلك او اکثر وترا قال المهلب الحکمة فی الاکل قبل الصلوة ان لا یظن
ظان لزوم الصوم حتی یصلی العید فکانه اراد سد هذه الذریعة وقال غیره لما وقع
وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجیل الفطر مبادرة الی امتثال امر الله تعالی

ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لاكل قدر الشبع اشار
الى ذلك بن ابي جمرة وقيل لان الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق الا بعد
صلاة العيد فاستحب تعجيل الفطر بدارا الى السلامة من وسوسته والحكمة في استحباب
التمر لما في الحلو من تقوية النظر الذي يضعفه الصوم ولان الحلو مما يوافق الايمان
ويعبر به في المنام ويرق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين ان يفطر على الحلو مطلقا
كالعسل رواه ابن ابي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما وفي الترمذي
والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر
حتى يطعم ولا يطعم يوم الاضحى حتى يصلي ونحوه عند البزار عن جابر بن سمرة
وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن عباس قال من السنة ان لا يخرج يوم الفطر حتى
يخرج الصدقة ويطعم شيئا قبل ان يخرج وفي كل من اسانيد الثلاثة مقال فقد اخذ اكثر الفقها
بما دلت عليه قال ابن المنير وقع اكله صلى الله عليه وسلم في كل من العيدين في
الوقت المشروع لاخراج صدقتهما الخاصة بهما فاخراج صدقة الفطر قبل الغدو
الى المصلى واخراج صدقة الاضحية بعد ذبحها فاجتمعا من جهة وافترقا من
اخرى وقال الشافعي في الام بلغنا عن الزهري قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عيد ولا جنازة قط وفي الترمذي عن علي قال من السنة ان يخرج الى العيد ماشيا وفي
ابن ماجة عن سعد القرظ انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى العيد ماشيا وفي ابن ماجة
عن سعد وفيه عن ابي رافع نحوه واسانيد الثلاثة ضعاف وعن ابي هريرة قال

كان

كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره رواه الترمذي وقد
اختلف في معنى ذلك اقوال كثيرة قال الحافظ بن حجر اجتمع لي منها اكثر من عشرين وقد
لخصتها وبينت الواهي منها فمن ذلك انه فعل ذلك ليشهد له الطريقان وقيل سكانهما
من الجن والانس وقيل ليستوي بينهما في مزية الفضل بمروره وفي التبرك به او ليشم
رائحة المسك من الطريق التي يمر بها لانه كان معروفا بذلك وقيل لان طريقه الى المصلى كانت
على اليمين فلو رجع منها لرجع على جهة الشمال فرجع من غيرها وهذا يحتاج الى دليل وقيل
لاظهار شرايع الاسلام وقيل لاظهار ذكر الله وقيل ليغيظ المنافقين واليهود وقيل حذرا
من كيد الطايفتين او احدهما وقيل ليعمهم بالسرور به والتبرك بمروره والانتفاع به
في قضاء حوايجهم في الاستفتاء او التعلم والاقتدا او الاسترشاد والسلام عليهم
او غير ذلك وقيل ليزور اقاربه الاحيا والاموات وقيل ليصل رحمه وقيل ليتفال
بتغير الحال الى المغفرة والرضى وقيل كان يتصدق في ذهابه فاذا رجع لم يبق معه
شيء فيرجع في طريق اخرى لئلا يرد من يساله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه الى الدليل و
وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام وهذا رجحه الشيخ ابو حامد وقيل كان طريقه التي يتوجه
منها ابعد من التي يرجع فيها فاراد تكثير الاجر بتكثير الخطا في الذهاب واما في الرجوع
فليسرع الى منزله وهذا اختيار الرافعي وتعقب بانه يحتاج الى دليل وبان اجر الخطا في الرجوع
ايضا كما ثبت في حديث ابي بن كعب عند الترمذي وغيره وقيل لان الملائكة تقف
في الطرقات فاراد ان يشهد له فريقان منهم وقال ابن ابي جمرة هو في معنى قول يعقوب

لبنيه لا تدخلوا من باب واحد فاشار الى انه فعل ذلك حذر اصابة العين انتهى وكان
صلى الله عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين
فاما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت احداهن يا رسول الله احدانا
ان لم يكن لها جلباب قال فلتعرها اختها من جلابيبها رواه البخاري ومسلم والترمذي
واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب صلاة العيد لان من جملة من امر بذلك من ليس بمكلف
فظهر ان القصد منه اظهار شعار الاسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة وفيه
استحباب خروج النسا الى شهود العيد سواء كن شوابا ام لا او ذوات هيات ام لا لكن نص
الشافعي في الام تقتضي استثناء ذوات الهيات قال واحب شهود العجايز وغير ذوات الهيات
الصلاة وانا لشهودهن الاعياد اشد استحبابا وادعى بعضهم النسخ فيه قال الطحاوي
وامره عليه السلام بخروج الحيض وذوات الخدور الى العيد يحتمل ان يكون في اول الاسلام
والمسلمون قليل فاريد به التكثير بحضورهن ارهابا للعدو واما اليوم فلا يحتاج
الى ذلك وتعقب بان النسخ لا يثبت بالاجماع وقد صرح في حديث ام عطية بعلة الحكم
وهي شهوده من الخير ودعوة المسلمين ورجا بركة ذلك اليوم وطهرته وقد افتت به ام عطية
بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ولم يثبت عن احد من الصحابة مخالفتها في ذلك واما
قول عايشة لو راى النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن المساجد فلا يعارض
ذلك لندوره ان سلمنا ان فيه دلالة على انها افتت بخلافه مع ان الدلالة منه بان عايشة
افتت بالمنع ليست صريحة وفي قول الطحاوي ارهابا للعدو نظر لان الاستنصار بالنسا والتكثير بهن

في الحرب دال على الضعف والاولى ان يخص ذلك بمن يومن عليها وبها الفتنة فلا يترتب
على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في المجامع قاله في فتح الباري
وكان عليه السلام يخرج العنزة يوم الفطر والاضحى يركزها فيصلي اليها رواه النساي
وغيره واذا علمت هذا فاعلم ان للمومنين في هذه الدنيا ثلثة اعياد عيد يتكرر كل
اسبوع وعيدان ياتيان في كل عام مرة من غير تكرار في السنة واما العيد المتكرر فهو
يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبة فيه فشرع لهم عيدا
واما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما ياتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة
فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على كمال صيام رمضان وهو
الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون صيام شهر رمضان
المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم
من الذنب واخره عتق من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله لهم عقب صيامهم عيدا يجتمعون
فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة و
الصدقة وهو يوم الجوايز يستوفي فيه الصايمون اجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة
والعيد الثاني عيد النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما وهو مترتب على اكمال
الحج وهو الركن الرابع من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون حجهم غفر لهم
وانما يكمل الحج بيوم عرفة فان الوقوف بعرفة ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم
العتق من النار فيعتق فيه من النار من وقف بعرفة ولم يقف بها من اهل الامصار

من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدا لجميع المسلمين في جميع امصارهم من
شهد الموسم منهم ومن لم يشهد لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة وشرع للجميع
التقرب اليه تعالى بالنسك باراقة دماء ضحاياهم فيكون ذلك اليوم شكرا منهم لهذه
النعما والصلوة والنحر الذي يجتمع في عيد النحر افضل من الصلوة والصدقة في عيد الفطر
ولهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل شكره لربه على اعطايه الكوثر ان يصلي لربه
وينحر وقد ضحى صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وضحى وكبر
رواه البخاري من حديث انس قال ورايته واضعا قدمه على صفاحهما يقول بسم الله
والله اكبر وعن عايشة انه صلى الله عليه وسلم امر بكبش يطا في سواد ويبرك في سواد
فاتى به ليضحي به قال يا عايشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ
الكبش فاضجعه ثم ذبحه قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة ثم ضحى به
رواه مسلم وعن جابر ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الذبح بكبشين اقرنين املحين
موجوئين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض على ملة
ابراهيم حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله
والله اكبر ثم ذبح رواه ابو داود وابن ماجة والدارمي وفي رواية لاحمد والترمذي ذبح
بيده ثم قال بسم الله والله اكبر اللهم هذا عني وعن من لم يضح من امتي فهذه اعياد المسلمين
في الدنيا وكلها عند كمال طاعات مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من جزيل

الاجر والثواب فليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن طاعته يزيد وليس العيد
لمن تجمل باللباس والمركوب انما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق
خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن ناله منها شيء فله عيد والا فهو مطرود بعيد
واما المؤمنون في الجنة فهي ايام زيارتهم ربهم عز وجل فيزورونه ويكرمهم
غاية الكرامة ويتجلى لهم فينظرون اليه فما اعطاهم شيا هو احب اليهم من ذلك
وهو الزيارة فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه وان يوما جامعا شملي بهم ذاك
عيدي ليس لي عيد سواه **الباب الثاني في النوافل المقرونة بالاسباب**
وفيه اربعة فصول **الفصل** الاول في صلاته صلى الله عليه وسلم الكسوف الكسوف
لغة التغير الى السواد يقال كسفت الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها من قبيصة
ابن المخارق قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا
يجر ثوبه وانا معه يومئذ بالمدينة فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام ثم انصرف
وانجلت ثم قال انما هذه الايات يخوف الله بها عباده رد على من يزعم اهل الهيئة
ان الكسوف امر عادي لا يتاخر ولا يتقدم اذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك
تخويف وقد رد عليهم ابن العربي وغيره بما في حديث ابي موسى عند البخاري حيث
قال فيه فقام فزعا يخشى ان تقوم الساعة قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع
ولو كان بالحساب لم يكن للامر بالعتق والصدقة معنى يعني كما في حديث اسماء عند البخاري
لقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس وكما عنده ايضا من حديث

عايشة مرفوعًا فاذا رايتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا فان ظاهر الاحاديث
ان ذلك يفيد التخويف وان كل ماذكر من انواع الطاعة يرجا ان يدفع به ما يخشى من اثر
ذلك الكسوف ومما نقض به ابن العربي وغيره ايضًا انهم يزعمون ان الشمس لا تنكسف
على الحقيقة وانما يحول القمر بينها وبين اهل الارض عند اجتماعهما في العقدتين
فقال هم يزعمون ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير اذا قابله
ام كيف يظلم الكثير بالقليل لاسيما وهو من جنسه وكيف يحجب الارض نور الشمس وقد
وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب اخر غير ما يزعمه اهل الهيئة وهو ما
اخرجه احمد والنسايي وابن ماجة وصححه ابن خزيمة والحاكم بلفظ ان الشمس والقمر لا ينكسفان
لموت احد ولا لحياته ولكنهما آيتان من ايات الله وان الله اذا تجلى لشيء من خلقه خشع له
وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة وقال انها لم يثبت فيجب تكذيب ناقلها قال ولو صحت
لكان تاويلها اهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم اصلًا من اصول الشريعة قال ابن
بزيزة هذا عجب منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة وتزعم انها مبنية على ان العالم كري
الشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف ذلك والثابت من قواعد الشرع ان الكسوف اثر الارادة
القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين النور متى شاء والظلمة متى شاء
من غير توقيف على سبب وربط باقتران والحديث الذي رده الغزالي قد اثبته غير واحد
من اهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى ايضًا لان النورية والاضاءة من عالم الجمال الحسي
فاذا تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ويؤيده قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله

دكًا

دكًا انتهى ويؤيد هذا الحديث ما رويناه عن طاوس انه نظر الى الشمس وقد انكسفت
فبكى حتى كاد ان يموت وقال هي اخوف لله منا وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم
ان الذي يذكره اهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بهما عباده وليس بشيء لان الله تعالى
افعالا على حسب العادة وافعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب يقتطع ما يشاء
من الاسباب والمسببات بعضها عن بعض واذا ثبت ذلك والعلماء بالله لقوة اعتقادهم
في عموم قدرته على خرق العادة وانه يفعل ما يشاء اذا وقع شيء غريب حدث عندهم
الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع ان يكون هناك اسباب تجري عليها العادة
الى ان يشاء الله خرقها وحاصله ان الذي يذكره اهل الحساب ان كان حقا في نفس الامر
لا ينافي كون ذلك مخوفًا لعباد الله تعالى قاله في فتح الباري وعن ابن عباس قال انخسفت
الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قيامًا طويلًا نحوًا من قراة
سورة البقرة ثم ركع ركوعًا طويلًا ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الاول
ثم ركع ركوعًا وهو دون الركوع الاول ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام
الاول ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الاول ثم رفع ثم سجد ثم قام قيامًا
طويلًا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الاول
ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الاول وهو دون الركوع الاول ثم سجد
ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا يخسفان
لموت احد ولا لحياته واذا رايتم ذلك فاذكروا الله فقالوا يا رسول الله رايناك تناولت

شيئا في مقامك هذا ثم رايناك تكعكعت قال اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودًا
ولو اصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا و رايت النار فلم ار منظرا كاليوم قط و رايت
اكثر اهلها النسا قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل ايكفرن بالله قال يكفرن العسير و
يكفرن الاحسان لو احسنت الى احداهن كله ثم رايت منك شيئًا قالت ما رايت منك خيرًا
قط رواه البخاري ومسلم **وقوله** و رايت الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل انه راهما رؤية
عين كشف الله عنهما وازال الحجب بينه و بينهما كما فرج له عن المسجد الاقصى حين وصفه و
يكون قوله عليه السلام في عرض هذا الحايط كما في رواية في جهته و ناحيته ويحتمل ان يكون
رؤيته رؤية علم وعرض و وحي باطلاعه و تعريفه من امورهما مفصلا ما لم يعرفه
قبل ذلك اليوم قال القاضي والاول اولى واشبه بالفاظ الحديث لما فيه من الامور
الدالة على روية العين لتناوله العنقود وتاخره مخافة ان يصيبه لفح النار انتهى
واستشكل قوله ولو اصبته مع قوله تناولت واجيب بحمل التناول على تكلف الاخذ لا حقيقة
الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولو اخذته لكم حكاه الكرماني **قال الحافظ** بن حجر وليس
بجيد وقيل المراد بقوله اخذت وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرًا على تحويله لكن
لم يقدر لي قطعه و لو اصبته اي لو تمكنت من قطعه و يدل عليه قوله في حديث
عقبة بن عامر عند ابن خزيمة اهوى بيده ليتناول شيئا و في حديث اسما عند البخاري
حتى لو اجترات عليه وكانه لم يوذن له في ذلك فلم يجترئ عليه قال ابن بطال لم ياخذ
العنقود لانه من طعام الجنة وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز ان يوكل فيها ما لا يفنى

وفي

وفي حديث اسما بنت ابي بكر عند البخاري ومسلم ومالك والنساى قال ما من شيء
كنت لم اره الا رايته في مقامي هذا حتى الجنة ولقد اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم
مثل او قريبًا لا ادري اي ذلك قالت اسماء من فتنة المسيح الدجال يقال ما علمك
بهذا الرجل فاما المومن او الموقن لا ادري اي ذلك قالت اسما فيقول هو محمد رسول الله
جاءنا بالبينات والهدى فاجبنا واتبعنا هو محمد ثلثا فيقال نم صالحا قد علمنا ان كنت
موقنا واما المنافق او المرتاب لا ادري اي ذلك قالت اسماء فيقول لا ادري سمعت
الناس يقولون شيا فقلته **وفي رواية** فراى امراة تخدشها هرة ربطتها حتى ماتت
جوعا وعطشًا **وفي رواية** فراى عمرو بن مالك يجر قصبة في النار وكان اول من
غير دين ابراهيم و راى فيها سارق الحاج يعذب **قوله** قصبه بضم القاف و
سكون الصاد اي امعاه **وفي رواية** عايشة ثم قال يا امة محمد والله ما من احد اغير من الله من
ان يزني عبده او تزني امته والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرا الا قل بلغت
اي لو تعلمون من عظم انتقام الله من اهل الجرايم وشدة عقابه واحوال القيامة ما اعلم
وما بعدها كما علمت وترون النار كما رايت في مقامي هذا و في غيره لبكيتم كثيرًا ولقل
ضحككم لتفكركم فيما علمتموه **وفي حديث** عايشة عند البخاري فخرج الى المسجد فصف الناس
وراه فكبر فاقترا رسول الله صلى الله عليه وسلم قراة طويلة ثم كبر فركع ركوعًا طويلًا
ثم قال سمع الله لمن حمده فقام ولم يسجد و قرا قراة طويلة هي ادنى من القراة الاولى
وزاد في رواية ربنا ولك الحمد واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال

فى اول القيام الثانى من الركعة الاولى واستشكله بعض متاخري الشافعية من جهة كونه قيام
قراة لا قيام اعتدال بدليل اتفاق العلما و زيادة الركوع فى كل ركعة على قراة الفاتحة
فيه وان كان محمد بن مسلمة المالكى خالف فيه والجواب ان صلاة الكسوف جاءت على صفة مخصوصة
فلا مدخل للقياس فيها بل كل ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعله فيها كان مشروعا لانها
اصل براسها وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها على صلاة النافلة حتى منع من زيادة
الركوع فيها فصلاة الكسوف اشبه شيء بصلاة العيد ونحوها مما يجتمع فيه من مطلق
النوافل فامتازت صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود وصلاة العيد بزيادة التكبيرات
وصلاة الخوف بزيادة الافعال الكثيرة واستدبار القبلة وكذلك اختصت
صلاة الكسوف بزيادة الركوع فالاخذ به جامع بين العمل بالنص والقياس بخلاف من لم
يعمل به وقد تبين ان لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزايد على العادة في
القيام وغيره و زيادة ركوعه فى كل ركعة وقد وردت زيادة فى ذلك من طرق
اخرى فعند مسلم من وجه اخر عن عايشة واخر عن جابر ان في كل ركعة ثلاث ركوعات
وعنده من وجه اخر عن ابن عباس ان في كل ركعة اربع ركوعات ولابى داود من
حديث ابى بن كعب والبزار من حديث على ان في كل ركعة خمس ركوعات ولا يخلو
اسناد منها عن علة ونقل ابن القيم فى الهدي عن الشافعى واحمد والبخاري انهم كانوا
يعدون الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا من بعض الرواة فان اكثر طرق الحديث
يمكن رد بعضها الى بعض ويجمعها ان ذلك كان يوم مات ابراهيم عليه السلام

واذا

واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح وجمع بعضهم بين هذه الاحاديث بتعدد
الواقعة وان الكسوف وقع مرارا فيكون كل من هذه الاوجه جايزا قال ابن خزيمة وابن
المنذر والخطابى وغيرهم من الشافعية بجواز العمل بجميع ما ثبت من ذلك وهو من الاختلاف
المباح وقواه النووى فى شرح المسلم وابدي بعضهم ان حكمة الزيادة فى الركوع و
النقص كان بحسب سرعة الانجلاء وبطيه فحين وقع الانجلاء فى اول ركوع اقتصر
على مثل النافلة وحين ابطا زاد ركوعا وحين زاد فى الابطا زاد ثالثا وهكذا الى
غاية ما ورد فى ذلك وتعقبه النووي وغيره بان ابطاء الانجلاء وعدمه لا يعلم في
اول الحال ولا فى الركعة الاولى وقد اتفقت الروايات على ان عدد الركوع فى الركعتين سواء
وهذا يدل على انه مقصود فى نفسه منوي من اول الحال انتهى ملخصا من فتح الباري وعند الامام
احمد انه لما سلم حمد الله واثنى عليه وتشهد ان لا اله الا الله وشهد انه عبد الله ورسوله
ثم قال ايها الناس انشدكم بالله ان كنتم تعلمون انى قصرت عن شيء من تبليغ رسالات
ربي لما اخبرتموني ذلك فقام رجل فقال نشهد انك قد رسالات ربك ونصحت لامتك
وقضيت الذي عليك ثم قال وايم الله لقد رايت منذ قمت اصلى ما انتم لاقون
من امر دنياكم واخرتكم وانه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلثون كذابا اخرهم الاعور
الدجال من تبعه لم ينفعه صالح من عمله وفى البخاري وقالت عايشة واسماء خطب النبى
وقد اختلف فى الخطبة فيه فاستحبها الشافعى واسحاق واكثر اهل الحديث وقال ابن قدامة
لم يبلغنا عن احمد ذلك وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف خطبة لانه لم ينقل

وتعقب بان الاحاديث ثبتت فيه وهى ذات كثرة والمشهور عند المالكية ان لاخطبة
لها مع مالكا روي الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم
لم يقصد بها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان يبين لهم الرد على من يعتقد ان
الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما فى الحديث الصحيحة من التصريح بالخطبة
وحكاية شرايطها فى الحمد والثناء والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر
على الاعلام بسبب الكسوف والاصل مشروعية الاتباع والخصايص لا تثبت الا بدليل
انتهى وعن المغيرة بن شعبة عند البخاري كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتموها
فصلوا وادعوا الله وابراهيم هو ابن النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور اهل السير
انه مات فى السنة العاشرة من الهجرة فقيل فى ربيع الاول وقيل فى رمضان وقيل
فى ذي الحجة والاكثر على انها وقعت فى عاشر الشهر وقيل فى رابعه وقيل رابع عشرة
ولا يصح شئ منها على قول ذي الحجة لان النبى صلى الله عليه وسلم اذ ذاك بمكة فى الحج وقد
ثبت انه شهد وفاته وكانت بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات فى سنة تسع فان
فيصح وجزم النووي بانها كانت سنة الحديبية فلعل ذلك كان فى اواخر ذي
القعدة حين رجع منها وفى هذا الحديث ابطال ما كان اهل الجاهلية يعتقدونه من تاثير الكواكب
فى الارض قال الخطابى كانوا فى الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير فى

الارض موت او ضرر فاعلم النبى صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان الشمس
والقمر خلقان مسخران ليس لهما سلطان فى غيرهما ولا قدرة للدفع عن انفسهما
وعن عبد الله بن عمرو قال لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
نودي ان الصلوة جامعة رواه البخاري وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي
المفسرة وفى رواية له ولمسلم فى حديث عايشة بعث صلى الله عليه وسلم مناديا
فنادي الصلوة جامعة قال ابن دقيق العيد هذا الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد
اجمعوا على انه لا يؤذن له ولا يقام وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم صلى
فى كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم واخرجه الدارقطني ايضا وفيه
رد على من اطلق كابن رشيد انه صلى الله عليه وسلم لم يصل فى كسوف القمر
ومنهم من اول قوله صلى اى امر بالصلاة جمعا بين الروايتين وقال ابن القيم فى
الهدي لم ينقل صلى الله عليه وسلم صلى فى كسوف القمر فى جماعة لكن ابن حبان فى
السيرة له ان القمر خسف فى السنة الخامسة فصلى النبى صلى الله وسلم باصحابه
صلاة الكسوف فكانت اول صلاة كسوف فى الاسلام وهذا ان ثبت انتفى التاويل
المذكور وقد جزم به مغلطاي فى سيرته المختصرة وتبعه الحافظ ابن زين الدين العراقى
فى نظمها وفى البخاري من حديث عايشة جهر النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الكسوف
بقراته فاذا فرغ من قراته كبر فركع واذا رفع من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا
ولك الحمد ثم يعاود القراة فى صلاة الكسوف اربع ركعات فى ركعتين واربع سجدات

واستدل به على الجهر فيها بالنهار وحمله جماعة ممن لم يره ذلك على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان الاسماعيلي روى هذا الحديث من وجه اخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله صلى عليه وسلم جهر بالقراءة في صلاة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا وموقوفا اخرجه ابن خزيمة وغيره وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحاق وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهما من محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار وقال الايمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر واحتج الشافعي بقول ابن عباس قرا نحوا من سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير وقد روى الشافعي تعليقا عن ابن عباس انه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا ووصله البيهقي من ثلثة طرق اسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر معه قدر زائد فالاخذ به اولى قال ابن العربي والجهر عندي اولى لانها صلاة جامعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقاء انتهى ملخصا والله اعلم

الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء اعلم ان الاستسقاء طلب السقيا من الله تعالى عند الحاجة اليها كما تقول استعطى اي طلب العطا ولم يخالف احد من العلماء في سنية الصلاة في الاستسقاء الا ابو حنيفة محتجا باحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما انه صلى الله صلى الاستسقاء ركعتين واما الاحاديث التي ليس فيها الصلاة فبعضها محمول على نسيان

الراوي

الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة وتعقبه صلاة الجمعة فاكتفى بها ولم يصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقا بالدعاء بلا صلاة ولا خلاف في جوازه وتكون الاحاديث المثبتة للصلوة مقدمة لان فيها زيادة علم ولا معارضة بينهما والاستسقا انواع الاول الاستسقاء بصلاة ركعتين وخطبتين ويتاهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا حتى اتى المصلى فرقى المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد رواه الترمذي وغيره وفي حديث عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا المصلى يستسقي ثم استقبل القبلة وقلب رداءه ثم صلى ركعتين رواه البخاري ومسلم وفي رواية خرج بالناس الى المصلى يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة واستقبل يدعوا ورفع يديه وحول رداءه حين استقبل القبلة وفي رواية قال وحول رداءه وجعل عطافه الايمن على عاتقه الايسر وجعل عطافه الايسر على عاتقه الايمن ثم دعا الله قال الحافظ ابن حجر ولم اقف في شيء من طرق حديث عبد الله بن زيد على سبب ذلك وعلى صفته صلى الله عليه وسلم حال الذهاب الى المصلى على وقت ذهابه وقد وقع ذلك في حديث عايشة عند ابي داود وابن حبان قالت شكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فامر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يخرجون فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على

المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستيخار المطر عن ابان زمانه عنكم
وقد امركم الله ان تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين الذي لا اله الا هو يفعل ما يريد اللهم انت الله لا اله الا انت الغني ونحن
الفقراء انزل علينا الغيث واجعل ما انزلت لنا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه حتى بدا
بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب وحول رداءه وهو رافع يديه ثم اقبل
على الناس ونزل فصلى ركعتين فانشا الله سحابا فرعدت وبرقت ثم امطرت باذن الله
فلم يات مسجده حتى سالت السيول فلما راى سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه
فقال اشهد ان الله على كل شيء قدير واني عبد الله ورسوله وقد حكى ابن المنذر الاختلاف
في وقتها والراجح انه لا وقت لها معين وان كان اكثر احكامها كالعيد لكنها تخالفه
بانها لا تختص بيوم معين وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم من كونه صلى الله عليه وسلم
جهر بالقراءة فيها بالنهار انها نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلى بالليل لاسر فيها بالنهار
وجهر بالليل لمطلق النوافل ونقل ابن قدامة بالاجماع على انها لا تصلى في وقت الكراهة
وافاد ابن حبان ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى المصلى للاستسقاء كان في شهر رمضان
سنة ست من الهجرة وذكر الواقدي ان طول ردائه صلى الله عليه وسلم كان ستة اذرع في
ثلثة اذرع وطول ازاره اربعة اذرع وشبرين في ذراعين وشبر كان يلبسهما
في الجمعة والعيدين وقد روى ابو داود عن عباد استسقى صلى الله عليه وسلم وعليه
خميصة سودا فاراد ان ياخذ باسفلها فيجعله اعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه

وقد

وقد استحب الشافعي في الجديد فعل ما هم به صلى الله عليه وسلم من تنكيس الرداء مع التحويل
الموصول وزعم القرطبي تبعا لغيره ان الشافعي اختار في الحديث تنكيس الرداء لا
تحويله والذي في الام ما ذكرته والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب
ان الذي استحبه الشافعي احوط وعن ابي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب شيء من
ذلك واستحب الجمهور على ان تحول الناس بتحويل الامام ويشهد له ما رواه احمد من
طريق اخرى عن ابن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس معه وقال الليث
وابو يوسف يحول الامام وحده واستثنى ابن الماجشون النسا فقال لا يستحب
في حقهن واختلف في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بانه للتفاول بتحويل الحال عما هي عليه
وتعقبه ابن العربي بان من شرط الفال ان لا يقصد اليه قال وانما التحويل امارة بينه وبين
ربه قيل له حول رداءك ليتحول حالك وتعقب بان الذي جزم به يحتاج الى نقل والذي رده ورد
فيه حديث رجاله ثقات اخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر بن محمد بن علي عن ابيه
عن جابر ورجح الدارقطني ارساله وعلى كل فهو اولى من القول بالظن واستدل
بقوله في حديث عايشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد على المنبر على ان الخطبة
في الاستسقاء قبل الصلوة وهو مقتضى حديث ابن عباس لكن وقع عند احمد
في حديث عبد الله بن زيد التصريح بانه بدا بالصلوة قبل الخطبة وكذا في حديث ابي هريرة عند ابن ماجة حيث قال فصلى بنا ركعتين بغير اذان ولا اقامة والمرجح
عند الشافعية والمالكية الثاني ولم يقع في شيء من طرق حديث عبد الله بن زيد صفة
الصلاة المذكورة ولا ما يقرا فيها وقد اخرج الدارقطني من حديث ابن عباس انه يكبر

فهما سبعا او خمسا كالعيد وانه يقرا فيهما بسبح وهل اتاك وفي اسناده مقال
لكن اصله في السنن بلفظ ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين فاخذ بظاهره الشافعي
فقال يكبر فيهما الثاني استسقاؤه عليه السلام في خطبة الجمعة عن انس ان رجلا دخل
المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضا ورسول الله عم قائم يخطب فاستقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل
فادع الله يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اغثنا
اللهم اغثنا قال انس والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع
من بيت ولا دار قال فطلعت من ورايه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء تنشرت
ثم امطرت قال فلا والله ما راينا الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة
المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله
هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله
يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت
الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك فسالت انس بن مالك اهو الرجل
الاول قال لا ادري رواه مسلم وفي رواية له قال فما يشير بيده الى ناحية الا انفرجت
حتى رايت المدينة في مثل الجوبة وسال وادي قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحيته
الا اخبر بجود قوله يغيثنا بفتح اوله يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا ارسل عليها المطر
وقوله من باب كان نحو دار القضا هي دار عمر بن الخطاب وسميت لانها بيعت في قضا دينه

وقوله هلكت الاموال وفي رواية كريمة وابي ذر عن الكشميهني المواشي وهو المراد
بالاموال هنا وفي رواية البخاري هلك الكراع بضم الكاف وهو يطلق على الخيل و
غيرها وفي البخاري ايضا هلكت الماشية هلك العيال هلك الناس وهو من ذكر العام
بعد الخاص والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة
بحبس المطر وانقطعت السبل لان الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر لكونها لا تجد
في طريقها من الكلاء ما يقيم اودها والاكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع اكمة بفتحات
التراب المجتمع وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الارض الظراب بكسر المعجمة جمع ظرب
بكسر الراء الجبل المنبسط ليس بالعالي وقوله مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح
الموحدة هي الحفرة المستديرة الواسعة والمراد بها هاهنا الفرجة في السحاب والجود
المطر الغزير وقوله قناة شهرا اي جرى فيه المطر من السما الماء شهرا وفي هذا دليل
على عظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو ان سخرت السحاب له كلما اشار اليها
امتثلت بالاشارة دون كلامه لان كلامه عليه السلام مناجاة للحق تعالى واما
السحاب فبالاشارة فلولا الامر لها بالطاعة له عليه السلام لما كان ذلك لانها
ايضا كما جاء مامورة حيث يشير وقد رسا فيهم وابن القيم ويرحم الله السقراطيسي فلقد احسن حيث قال

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا ... افديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفيك اذ كف الغمام فما ... صوبت الا بصوب الواكف الهطل
اراق بالارض ثجا صوب ريقه ... فحل بالروض نسج رايق الحلل

زهرمن النورحلت روض ارضهم … زهرمن النورصافي النبت مكتمل

من كل غصن نضيرمورق خضر … وكل نورنضيد مونق خضل

تحية احيتا لاحياء مضر … بعد المضرة تروى السبل بالسهل

دامت على الارض سبعاغيرمقلعة … لولا دعاوك بالاقلاع لم تزل

وقوله في الحديث سبتا اى من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهرانه غيرالاول لان النكرة اذا تكررت دلت على التعدد وفي رواية ابن اسحاق فقام ذلك الرجل او غيره وفي رواية فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطرحواليها وما تمطربالمدينة قطرة فنظرت الى المدينة وانها لفي مثل الاكليل وهو بكسرالهمزة وسكون الكاف كل شئ دار من جوانبه واشتهر لما يوضع على الراس فيحيط بها وهو من ملابس الملوك كالتاج وفي رواية له ايضا فالف الله بين السحاب وملتنا حتى رايت الرجل الشديد تهمه نفسه ان ياتي اهله وفي رواية له ايضا فرايت السحاب يتمزق كانه الملاحين يطوى والملاء بضم الميم والقصر وقد تمد جمع ملاة وهي ثوب معروف واستدل بها بهذا الحديث على جواز الاستسقا بغيرصلاة مخصوصة وعلى ان الاستسقا ليس فيه صلاة فاما الاول فقال به الشافعي واما الثاني فقال به ابو حنيفة وتعقب بان الذي وقع في هذه القصة مجرد دعا لاينا في مشروعية الصلاة لها وقد ثبتت في واقعة اخرى كما تقدم والله اعلم الثالث استسقاوه صلى الله عليه وسلم على منبرالمدينة روي البيهقي في الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السلمي قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك

اتاه وفد بني فزارة بضعة عشررجلا وفيهم خارجة بن حصن والحربن قيس وهو اصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الانصار وقدموا على ابل عجاف وهم مسنتون فاتوا مقرين بالاسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يارسول الله اسنتت بلادنا واجدب جناننا وعريت عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك ان يغيثنا وتشفع لنا الى ربك وتشفع ربك اليك فقال صلى الله سبحان الله ويلك اذا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليك لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرجل الحديد فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي ٦
او يضحك ربنا يارسول الله قال نعم فقال الاعرابي لن نعدم يارسول الله من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه وكان صلى الله عليه وسلم لا يرفع يده في شئ من الدعاء الا في الاستسقاء فرفع يديه حتى رئي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعايه اللهم اسق بلدك وبهيمتك وانشررحمتك واحي بلدك الميت اللهم سقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسقا عاجلا غير آجل نافعا غيرضار اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم سقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام ابو لبابة ابن عبد المنذر فقال يارسول الله ان التمر في المرابد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سقنا فقال ابو لبابة التمر في المرابد ثلاث مرات

فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده
بازاره قال فلا والله ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بيت
ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت
وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما راوا الشمس سبتا وقام ابو لبابة يسد ثعلب
مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فقال الرجل يا رسول الله يعني الذي سأله ان
يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر
فدعا ورفع يديه مدا حتى روي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا
على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة
كانجياب الثوب والاطيط صوت الاقتاب يعني ان الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته
اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا
مثل لعظمته تعالى وجلاله وان لم يكن اطيط وانما هو كلام تقريبا اريد به تقرير عظمة
الله تعالى وقوله طبقا بفتح الطاء والموحدة اي ماليا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق
اي عام واسع والمربد موضع يجفف و ثعلبه ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر وعن
انس بن مالك قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط
ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لان البعير لا بد ان يئط وانشد

اتيناك والعذراء يدمى لبانها … وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
والقى بكفيه الفتى لاستكانة … من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلي

ولا

وليس شيء مما ياكل الناس عندنا … سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا … واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء
ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث
تملأ به الضرع وتنبت الزرع وتحيي به الارض بعد موتها قال فما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه الى نحره حتى التفت السماء بابراقها وجاء اهل البطانة يضجون الغرق فقال اللهم
حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها الاكليل وضحك صلى الله
عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان لقرت عيناه من ينشدنا قوله
فقال علي يا رسول الله انك تريد قوله … وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل … يطيف به الهلاك من ال هاشم … فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا … ولما نطاعن حوله ونناضل … ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابنائنا والحلائل … فقال اجل رواه البيهقي وقوله يدمى لبانها اي يدمى
صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب
وشدة الزمان واصل اللبان في الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس وقوله ما يمر
وما يحلي اي ما ينطق بخير ولا شر من الجوع والضعف قوله سوى الحنظل العامي نسبه
الى العام لانه يتخذ في عام الجدب كما قالوا للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا
يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهري والعسل والفسل الرذل

قال السهيلي فان قلت كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ولم ير قط
استسقى وانما كان ذلك منه بعد الهجرة واجاب بما حاصله ان ابا طالب اشار الى ما وقع
في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام
انتهى وقال الحافظ بن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخايل
ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى قلت وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن
عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي
واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه
سحابة قتما وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في
السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي
واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه
انتهى الرابع استسقاؤه صلى الله عليه وسلم بالدعاء من غير صلاة عن ابن مسعود
ان قريشا ابطاوا عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاء ابو سفيان فقال
يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فقرا فارتقب يوم تاتي
السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى
يوم بدر زاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث
فاطبقت عليهم سبعا وشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فتحدر

السحابة

السحابة عن راسه فسقوا الناس حولهم رواه البخاري وافاد الدمياطي ان
ابتداء الدعاء على قريش كان عقب طرحهم على ظهره سلا الجزور وكان ذلك
بمكة قبل الهجرة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بالمدينة في القنوت
كما في حديث ابي هريرة عند البخاري ولا يلزم من ذلك اتحاد هذه القصص اذ لا
اذ لا مانع ان يدعوا بذلك عليهم مرارا والظاهر ان مجيء ابي سفيان قبل الهجرة لقول
ابن مسعود ثم عادوا فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر ولم ينقل
ان ابا سفيان قدم المدينة قبل البدر وعلى هذا فيحتمل ان يكون ابو طالب كان حاضرا
ذلك فلذلك قال ابيض يستسقى الغمام بوجهه لكن ورد ما يدل على ان القصة وقعت
بالمدينة فان لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل وفي الدلائل للبيهقي عن كعب
بن مرة او مرة بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتاه
ابو سفيان فقال ادع الله لقومك قد هلكوا وقد رواه احمد وابن ماجة عن كعب
بن مرة ولم يشك فابهم ابا سفيان قال جاء رجل فقال استسق الله لمضر قال
يا رسول الله استنصرت الله فنصرك ودعوت الله فاجابك فرفع يديه فقال اللهم
اسقنا غيثا مغيثا الحديث فظهر ان هذا الرجل المبهم المقول له انك لجريء هو ابو سفيان
لكن يظهر ان فاعل قال يا رسول الله استنصرت الله الى اخره وهو كعب بن مرة راوي هذا
الحديث لما اخرجه احمد ايضا والحاكم عن ابي كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على مضر فاتيته فقلت يا رسول الله ان الله قد نصرك واعطاك واستجاب وان

قومك قد هلكوا وعلى هذا فكان اباسفيان وكعبًا حضرا جميعًا فكلمه ابو سفيان
بشئ وكعب بشئ فدلّ ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت فى هذه ما ثبت فى تلك
من قوله انك لجري ومن قوله فقال اللهمّ حوالينا ولا علينا وسياق كعب بن مرة
يشعر بان ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا
اتحاد هذه القصّة مع قصة انس السّابقة فهى واقعة اخرى لان فى رواية
انس فلم ينزل عن المنبر حتى مطروا وفى هذه فما كان الا جمعة او نحوها حتى مطروا
والسائل فى هذه القصة غير السّايل فى تلك فهما قصّتان وقع فى كل منهما طلب
الدّعاء بالاستسقاء ثم طلب الدّعاء بالاستصحاء وان ثبت ان كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة
حمل قوله استنصرت الله فنصرك باجابة دعائه عليه السلام عليهم وزال الاشكال
المتقدم والله اعلم انتهى ملخصًا من فتح البارى الخامس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم
عند احجار الزيت قريبًا من الزوراء وهى خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام
نحو قذفة بحجر ينعطف عن يمين الخارج من المسجد عن عمير مولى ابن اللحم انه راى
النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى رافعًا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما راسه رواه
ابو داود والترمذى السادس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته لما
سبقه المشركون الى الماء فاصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال بعض المنافقين لو كان نبيًا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى
لقومه فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال او قد قالوها عسى ربكم ان يسقيكم

ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى اظلهم السحاب وامطروا الى
السحاب وامطروا الى ان سال الوادي فشرب الناس وارتووا فصل عن سالم بن عبد الله
عن ابيه مرفوعًا انه كان اذا استسقى قال اللهمّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين
اللهمّ اسقنا ان بالعباد والبلاد والبهايم والخلق من اللاواء والجهد والضنك
ما لا نشكوه الا اليك اللهم انبت لنا الزرع وادر لنا الضرع واسقنا من بركات السما وانبت لنا
من بركات الارض اللهمّ ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء
ما لا يكشفه غيرك اللهمّ انا نستغفرك انك كنت غفارًا فارسل السما علينا مدرارًا
رواه الشافعى فصل روى ابو الجوزاء قال قحط اهل المدينة قحطًا شديدًا فشكوا
الى عايشة فقالت انظروا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى
السماء حتى لا يكون بينه وبين السما سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت
الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق وروى ابن ابى شيبة باسناد صحيح
من رواية ابى صالح السمان عن مالك الدار قال اصاب الناس قحط فى زمن عمر
بن الخطاب فجاء رجل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق
لامتك فانهم قد هلكوا فاتى الرجل فى المنام فقيل له ايت عمر وفى رواية عبد الرزاق
ان عمر استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق وذكر الزبير بن بكار ان عمر بن الخطاب
استسقى بالناس عام الرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم وسمى به لما حصل من شدة
الجدب فاغبرت الارض جدًا من عدم المطر وذكر ابن عساكر فى كتاب الاستسقاء

ان العباس لما استسقى ذلك اليوم قال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر
السحاب ثم انزل منه الماء ثم انزله منه الماء ثم انزله علينا واشدد به الاصل واطلع به
الفرع وادر به الضرع اللهم شفعنا اليك عن لا منطق له من بهائمنا وانعامنا
اللهم اسقنا سقيا وادعة بالغة طبقا اللهم لا نرغب الا اليك وحدك
لا شريك لك اللهم نشكو اليك كل ساغب وعدم كل عادم وجوع كل جائع
وعرى كل عاري وخوف كل خائف وفي رواية الزبير بن بكار ان العباس لما استسقى
به عمر قال اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي
القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك
بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السماء مثل الجبال حتى خصبت الارض وعاش الناس
وعنده ايضا تحط الناس فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يري للعباس ما يري الولد للوالد فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلى الله
عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى وفيه فما برحوا حتى
سقوا وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن ابي لهب

بعمي العباس سقى الله الحجاز واهله	عشية يستسقي لشيبة عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا	اليه فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه	فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

القسم الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول الاول

في قصره صلى الله عليه وسلم الصلاة واحكامه وفيه فرعان الاول في كم كان عم
يقصر الصلاة تقدم هل القصر رخصة او عزيمة وما استدل به لكل من القولين
في اوايل هذا المقصد وعن انس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عم
بالمدينة اربعا وخرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين رواه البخاري
ومسلم وهذا الحديث مما احتج به اهل الظاهر في جواز القصر في طول السفر وقصيره
فان بين المدينة وذي الحليفة ستة اميال ويقال سبعة اميال وقال الجمهور لا يجوز
القصر الا في سفر يبلغ مرحلتين وقال ابو حنيفة وطايفة شرطه ثلاث مراحل واعتمدوا
في ذلك اثارا عن الصحابة واما هذا الحديث فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد
انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى مكة في حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة اربعا
ثم سافر فادركته العصر وهو مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد
ان ذا الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعا والاحاديث المطلقة مع ظاهر القران
متعاضدات على جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه حينئذ يسمى مسافرا وطول
السفر ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا وهي اربعة برد والميل
من الارض منتهى مد البصر لان البصر يميل عنه على وجه الارض حتى يفنى ادراكه
وبذلك جزم الجوهري وقيل حده ان ينظر الى الشخص في ارض مصطحبة فلا يدري
اهو رجل ام امرأة او هو ذاهب او آت قال النووي الميل ستة الاف ذراع والذراع
اربعة وعشرون اصبعا معترضة وقد حرره غيره بذراع الحديد المستعمل الان

بمصر والحجاز في هذه الاعصار فوجده ينقص عن ذراع الحديث بقدر الثمن فعلى هذا فالميل
بذراع الحديد خمسة آلاف ذراع ومايتان وخمسون ذراعا وهذه فايدة جليلة قل من
تنبه لها وروى البيهقي عن عطا ان ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين اي يقصران
في اربعة برد فما فوقها وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم ورواه بعضهم
عن صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين فلما هاجر
عليه السلام فرضت اربعا رواه البخاري من حديث عايشة لكن يعارضه حديث ابن عباس
فرضت الصلاة في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وجمع بينهما بما يطول
ذكره ثم بعد ان استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول قوله تعالى
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ويويده ما ذكره ابن الاثير في شرح المسند ان
قصر الصلوة كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل
كان قصر الصلاة في ربيع الاخر من السنة الثانية ذكره الدولابي وقيل بعد الهجرة باربعين
يوما **الفرع الثاني في القصر مع الاقامة** عن انس قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى مكة وكان يصلي ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قيل له اقمتم بمكة شيئا
قال اقمنا بها عشرا رواه البخاري ومسلم مختصرا قال اقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة يقصر الصلاة
وعن ابن عباس اقام النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يقصر الصلاة فنحن اذا سافرنا تسعة عشر
قصرنا وان زدنا اتممنا رواه البخاري **وفي** رواية ابي داود انه صلى الله عليه وسلم اقام سبعة عشر
بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس فلوا قام اكثر اتم والرواية الاولى بتقديم التاء على السين

والثانية

والثانية بتقديم السين على الموحدة ولابي داود من حديث عمران بن حصين غزوت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفتح فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي الا ركعتين وله من طريق
ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس اقام صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح
خمس عشرة يقصر الصلاة وجمع البيهقي بين هذا الاختلاف بان قال تسع عشرة عد يوم الدخول
والخروج ومن قال سبعة عشر حذفهما **واما رواية** خمس عشرة فضعفها النووي في الخلاصة
وليس بجيد لان رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن اسحاق فقد اخرجها النسائي من
رواية عراك بن مالك عن عبيد الله كذلك فاذا ثبت انها صحيحة فليحمل على ان الراوي ظن ان
رواية الاصل سبع عشرة فحذف منها يومي الدخول والخروج فذكر انها خمس عشرة واقتضى
ذلك ان رواية تسع عشرة ارجح الروايات واخذ الشافعي بحديث عمران بن الحصين لكن محله
عنده فيمن لم يزمع الاقامة فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة وجب عليه الاتمام
فان ازمع الاقامة في اول الحال على اربعة ايام اتم على خلاف بين الصحابة في دخول يومي
الدخول والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث انس لان حديث
ابن عباس كان في فتح مكة وحديث انس قال في حجة الوداع **وفي حديث** ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم
واصحابه يعني مكة لصبح رابعة ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فيكون مدة الاقامة بمكة
وضواحيها عشرة ايام بلياليها كما قال انس وتكون مدة اقامته بمكة اربعة ايام سوا لانه
قدم في اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى الظهر في منى ومن ثم قال الشافعي ان
المسافر اذا اقام ببلدة قصر اربعة ايام فالمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ الاستدلال بها

على من لم ينو الاقامة بل كان مترددا متى تهيأ له فراغ حاجته يرحل والمدة التي في حديث انس
يستدل بها على من نوى الاقامة انه صلى الله عليه وسلم في ايام الحج كان جازما بالاقامة تلك المدة ووجه
الدلالة من حديث ابن عباس لما كان الافضل في المقيم الاتمام فلما لم يجئ عنه صلى الله عليه وسلم
انه اقام في حال السفر اكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله اعلم الفصل الثاني وفيه
فرعان ايضًا الاول في جمعه صلى الله عليه وسلم عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ارتحل قبل ان يزيغ الشمس اخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت الشمس
قبل ان يرتحل صلى الظهر ثم ركب وفي رواية كان اذا اراد ان يجمع بين الصلاتين في السفر اخر
الظهر حتى يدخل اول وقت العصر وفي اخرى كان اذا عجل عليه السير يوخر الظهر الى وقت
العصر فيجمع بينهما ويوخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء رواه البخاري ومسلم وابو
داود وفي رواية للبخاري كان يجمع بين هاتين الصلاتين في السفر يعني المغرب والعشا وفي
حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلاتي الظهر والعصر اذا كان على ظهر سير
ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخاري ولمسلم جمع بين الصلاة في سفرة سافرها
في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء وله ولمالك ولابي داود
والنسائي انهم خرجوا معه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فجمع فكان عليه السلام
يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فاخر الظهر يومًا ثم خرج الظهر والعصر
جميعًا ودخل ثم خرج فصلى المغرب والعشا جميعًا وفي رواية ابي داود والترمذي من حديث
معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك اذا زاغت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر

فان ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر حتى ينزل للعصر وفي المغرب مثل ذلك ان غابت
الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس اخر المغرب
حتى ينزل للعشاء ثم يجمع بينهما الفرع الثاني في جمعه صلى الله عليه وسلم بجمع ومزدلفة عن ابن عمر انه
صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعًا رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود زاد البخاري
في رواية كل واحدة منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب والعشاء بجمع وصلى
المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند
مسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء في المزدلفة وفي رواية ابن عباس
عند النسائي صلى المغرب والعشاء باقامة واحدة وفي رواية جعفر بن محمد عن ابيه
عند ابي داود صلى الظهر والعصر باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين
وصلى المغرب والعشاء بجمع باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما الفصل
الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل في السفر عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي
بكر وعمر وعثمان فكانوا يصلون الظهر والعصر ركعتين ركعتين ولا يصلي قبلها او بعدها
وقال ابن عمر لو كنت مصليًا قبلها او بعدها لاتممتها رواه الترمذي وفي رواية صحبت
النبي صلى الله عليه وسلم فلم اره يسبح في السفر اي يتنفل الرواتب التي قبل الفرايض وبعدها
وهو مستفاد من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين قال ابن دقيق
العيد وهذا اللفظ يحتمل ان يريد لا يزيد ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي
رواية مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا

معه حتى جاء رحله فجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فراى ناسًا قيامًا فقال ما يصنع
هؤلاء قلت يسبحون قال لو كنت مسبحًا لاتممت قال النووي اجابوا عن قول ابن عمر هذا بان
الفريضة متحتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهى الى خيرة المصلى فطريق الرفق
ان تكون مشروعة ويخير فيها انتهى وتعقب بان مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعنى
انه لو كان مخيرا بين الاتمام وصلاة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكنه فهم من القصر
التخفيف فلذلك كان لا يصلى الراتبة ولا يتم وفى البخاري من حديث ابن عمر كان يصلى الله عليه وسلم
يوتر على راحلته وبوب عليه باب الوتر فى السفر واشار به الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر
فى السفر وهو منقول عن الضحاك واما قول ابن عمر لو كنت مسبحا فى السفر لاتممت كما اخرجه
مسلم فانما اراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة كالوتر وذلك بين من سياق الحديث
المذكور عند الترمذي من وجه اخر بلفظ لو كنت مصليًا قبلها او بعدها لاتممت واما حديث
عايشة عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع اربعًا قبل الظهر وركعتان بعدها
فليس بصريح فى فعله ذلك فى السفر ولعلها اخبرت عن اكثر احواله وهو الاقامة والرجال
اعلم بسفره من النساء واجاب النووي تبعًا لغيره بما لفظه لعل النبى صلى الله عليه وسلم كان
يصلى الرواتب فى رحله ولا يراه ابن عمر او لعله تركها فى بعض الاوقات لبيان الجواز انتهى
وفى رواية الترمذي من حديث ابن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر
فى السفر ركعتين وبعدها ركعتين وفى رواية صليت معه صلى الله عليه وسلم فى الحضر والسفر فصليت
معه فى الحضر الظهر اربعًا وبعدها ركعتين وصليت معه فى السفر الظهر ركعتين وبعدها

ركعتين

ركعتين ولم يصل بعدها شيئًا والمغرب فى الحضر والسفر سواء ثلاث ركعات لا ينقص
فى حضر ولا سفر وهى وتر النهار وبعدها ركعتين وفى حديث ابى قتادة عند مسلم
فى قصة النوم عن صلوة الصبح انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى
الصبح كما كان يصلى وقول صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى سنة الصلاة
قبلها ولا بعدها فى السفر الا ما كان من سنة الفجر يرد على اطلاقه ما قدمناه فى رواية الترمذي
من حديث ابن عمر وما رواه ابو داود والترمذي من حديث البراء بن عازب قال سافرت
مع النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرًا فلم اره ترك ركعتين اذا زاغت الشمس
قبل الظهر وكانه لم يثبت عنده ذلك لكن الترمذي استغربه ونقل عن البخاري انه راه حسنًا
وقد حمله بعض العلماء على سنة الزوال لا على الراتبة قبل الظهر الرابع فى صلاته
التطوع فى السفر على الدابة عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى سبحته
حيثما توجهت ناقته وفى رواية يصلى وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث كان وجهه
وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفى رواية رايته صلى الله عليه وسلم يصلى
على حمار وهو موجه الى خيبر وفى رواية كان يوتر على البعير رواه مسلم وقد اخذ
بهذه الاحاديث فقهاء الامصار فى جواز التنفل على الراحلة فى السفر حيث توجهت الا ان
احمد وابا ثور كانا يستحبان ان يستقبل القبلة بالتكبير حال ابتداء الصلاة والحجة لذلك ما
فى حديث انس عند ابى داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتطوع فى السفر استقبل بناقته
القبلة ثم صلى حيث توجهت ركابه ذهب الجمهور الى جواز التنفل على الدابة سواء كان السفر طويلا

او قصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجته ان هذه الاحاديث انما وردت في
اسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه عليه السلام انه سافر سفرا قصيرا فصنع ذلك وحجة الجمهور
مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي قال الدارقطني وغيره هذا
غلط من عمرو بن يحيى المازني وانما المعروف في صلاته عليه السلام على راحلة او بعير
والصواب ان الصلاة على الحمار من فعل انس كما ذكر مسلم ثم قال وفي تغليطه رواية
نظر لانه ثقة نقل شيا محتملا فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال
انه شاذ مخالف رواية الجمهور والشاذ مردود انتهى وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده
انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فانتهوا الى مضيق فحضرت الصلاة فمطروا السماء من
فوقهم والبلة من اسفل منهم فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته
فصلى بهم يومي ايماء اخفض من الركوع رواه الترمذي القسم الرابع في ذكر صلاته
صلاة الخوف عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات
الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين
وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال
من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه
فاقيمت الصلوة فصلى بطايفة ركعتين ثم تاخروا وصلى بالطايفة الاخرى ركعتين
فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم ولمسلم فصففنا
صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم

وكبرنا

وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر
بالسجود والصف الذي يليه فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله
السجود وقام الى الصف المؤخر تاخر الصف المقدم ثم ركع النبي وركعنا جميعا ثم رفع راسه
من الركوع ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف
الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الى الصف المؤخر
تاخر الصف المقدم ثم ركع النبي وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ثم انحدر بالسجود
والصف الذي يليه كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو
فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود
فسجد ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم والبخاري ايضا من حديث
يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة
الخوف ان طايفة صلت معه وطايفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما
واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجات الطائفة الاخرى فصلى
بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك
وذلك احسن ما سمعت في صلاة الخوف وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه
الشافعي واحمد على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب
وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
نجد فوازينا العدو فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا

فقامت طايفة معه واقبلت طايفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطايفة التي لم تصل فجاوا فركع رسول الله
بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم يركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين
ثم سلم رواه في حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف
ببطن نخل فصلى بطايفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طايفة اخرى فصلى بهم ركعتين
ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة وعنه انه صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان
وعسفان فقال المشركون لهولاء صلاة هي احب اليهم من ابايهم وهي العصر
فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم
اصحابه شطرين فيصلي بهم ويقوم طايفة اخرى ورآءهم وليأخذوا حذرهم و
اسلحتهم فيكون لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان رواه الترمذي
والنسايي قال ابن حزم وقد صح فيها يعني صلاة الخوف اربعة عشر وجها وبينها
في جزء مفرد وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة عشر
رواية مختلفة ولم يبينها وقال النووي نحوه في شرح مسلم ولم يبينها ايضا وقد
بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي وزاد وجها اخر فصارت سبعة
عشر وجها لكن يمكن ان يتداخل وقال صاحب الهدي اصولها ست صفات وبلغها بعضهم
اكثر وهولاء كلما راوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجوها من فعله صلى الله عليه وسلم
وانما هو من اختلاف الرواة انتهى وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله

يمكن تداخلها وقد حكى ابن القصار المالكي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال
ابن العربي اربعا وعشرين وقال الخطابي صلاها عليه السلام في ايام مختلفة باشكال
متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلاة والابلغ للحراسة فهي على اختلاف
صورها متفقة المعنى انتهى وفي كتب الفقه تفاصيل لها كثيرة وفروع يطول
ذكرها حكاه في فتح الباري القسم الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على
الجنازة وفيه فروع اربعة الاول في عدد التكبيرات عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
كبر على جنازة فرفع يديه مع اول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى الفرع الثاني
في قراءة والدعاء نقل ابن المنذر عن ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور
بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة وبه قال الشافعي واحمد واسحاق
ونقل عن ابي هريرة وابن عمر ليس فيها قراءة وهو قول مالك والكوفيين وروى
عبد الرزاق والنسايي باسناد صحيح عن ابي امامة بن سهل بن حنيف السنة في الصلاة
على الجنازة ان يكبر ثم يقرا بام القران ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تخلص الدعا
للميت ولا يقرا الا في الاولى وفي البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن
عباس على جنازة فقرا فاتحة الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وليس فيه بيان محل
قراءة الفاتحة الكتاب وقد وقع التصريح بذلك في حديث جابر عند الشافعي بلفظ
وقرا بام القران بعد التكبيرة الاولى كما ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي
وعن ابن عباس قال ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرا بفاتحة الكتاب رواه الترمذي

وقال لا يصح هنا والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة وهذا مصير منه الى الفرق
بين الصيغتين ولعله اراد الفرق بالنسبة الى الصراحة والاحتمال وعن عوف بن مالك
صلى رسول الله ع م على جنازة فحفظنا من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف
عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما
ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا
خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار قال عوف
حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله ع م رواه مسلم وعن واثلة
ابن الاسقع قال صلى بنا رسول الله ع م على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان
بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت
اهل الوفا والحق اللهم اغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم رواه ابو داود
وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر
لحينا وميتنا وشاهدنا وغايبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من
احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا
اجره ولا تفتنا بعده رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه سمعته صلى الله ع م
يقول اللهم انت ربها وانت خلقتها هديتها للاسلام قبضت روحها وانت اعلم
بسرها وعلانيتها جينا شفعاء فاغفر لها رواه ابو داود الفرع الثالث في صلاته
صلى الله ع م على القبر عن ابي هريرة ان امراة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول

رسول الله ع م فسال عنها فقالوا ماتت قال افلا اذنتموني قالوا فكانهم صغروا امرها
فقال دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها رواه البخاري ومسلم زاد ابن حبان فقال
في رواية حماد بن سلمة عن ثابت ان هذه القبور مملوة ظلمة على اهلها وان الله ينورها
بصلاتي عليهم واشار الى ان بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على ان ذلك من خصايصه
صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن عمه زيد بن ثابت نحو هذه
هذه القصة وفيها ثم اتى القبر فصففنا خلفه وكبر عليه اربعا قال ابن حبان في ترك انكاره
عليه السلام على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه ليس من خصايصه
وتعقب بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا للاصالة وعن عقبة ابن عامر انه صلى الله ع م
خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف وفي رواية صلى على قتلى احد
بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات رواه ابو داود والنسايي ورواه
الشيخان ايضا بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد كصلاته على الميت ثم انصرف الى
المنبر فقال اني فرطكم الحديث وفيه الصلاة على الشهداء في حرب الكفار وقد
اختلف العلماء في هذه المسئلة وذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق والجمهور
الى انه لا يصلى عليهم وذهب ابو حنيفة الى الصلاة عليهم كغيرهم وبه قال المزني وهو
رواية عن احمد اختارها الخلال وحجة الجمهور انه عليه السلام لم يصل على قتلى احد كما
رواه البخاري في صحيحه عن جابر واما هذه الصلاة فالمراد بها الدعا وليس المراد بها
صلاة الجنازة المعهودة قال النووي دعا لهم بدعا صلاة الجنازة او ان هذه

الصلاة مخصوصة بشهداء احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود في
صلاة الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثماني سنين والحنفية يمنعون الصلاة
على القبر مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم ان الشافعية اختلفوا
في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال اكثرهم معناه تحرم الصلاة عليه وهو المصحح عندهم
وقال الاخرون معناه لا تجب الصلاة عليهم لكن يجوز وذكر ابن قدامة ان كلام احمد في
الرواية التي قال فيها يصلى عليهم يشير الى انها مستحبة غير واجبة الفرع الرابع في صلاته
صلى الله عليه وسلم على الغايب عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال توفي اليوم رجل صالح
من الحبش فهلم فصلوا عليه قال فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن رواه البخاري
ومسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى
المصلى فصف بهم وكبر اربع تكبيرات رواه الشيخان ايضا وعند البخاري من طريق
بن عيينة عن ابن جريج فقوموا فصلوا على اخيكم اصحمه وبهذا الحديث استدل من
منع الصلاة على الميت في المسجد وهو قول الحنفية والمالكية لكن قال ابو يوسف
ان اعد مسجد للصلوة على الموتى لم يكن للصلاة فيه عليهم باس قال النووي ولا حجة
فيه لان الممتنع عند الحنفية ادخال الميت المسجد لا مجرد الصلاة عليه حتى لو كانت الميت
خارج المسجد جازت الصلاة عليه لمن هو داخله وقال بن بزيزة وغيره استدل به بعض
المالكية وهو باطل لانه ليس فيه نهي ولاحتمال ان يكون خرج بهم الى المصلى لامر
غير المعنى المذكور وقد ثبت انه عليه السلام صلى على سهيل بن بيضا في المسجد فكيف

يترك

يترك هذا التصريح لامر محتمل بل الظاهر انه انما خرج بالمسلمين الى المصلى لقصد تكثير
الجمع الذين يصلوا عليه ولاشاعة كونه مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر كونه
اسلم فقد روى ابن ابي حاتم في التفسير والدارقطني في الافراد والبزار كلاهما
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال بعض اصحابه صلى فنزلت
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية وله شاهد من حديث ابي سعيد
عند الطبراني في معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي طعن بذلك كان منافقا وقد قال
البخاري باب الصلوة على الجنايز بالمصلى والمسجد وروى حديث ابن عمر ان اليهود جاءوا
النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامراة زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع الجنايز
عند المسجد وحكى ابن بطال عن ابن حبيب ان مصلى الجنايز بالمدينة كان لاصقا بالمسجد
النبوي من ناحية المشرق انتهى فان ثبت ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد
هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقاء لانه لم يكن عند المسجد النبوي مكانا مهيئا
للرجم ودل حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنايز مكانا معدا للصلوة عليها فقد
يستفاد منه ان ما وقع من الصلوة على بعض الجنايز في المسجد كان لامر عارض او لبيان
الجواز واستدل به على مشروعية الصلاة على الجنايز في المسجد ويقويه حديث
عايشة كما صلى صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضا الا في المسجد اخرجه مسلم وبه
قال الجمهور وحمل المانعون الصلاة على سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله
وذلك جايز اتفاقا وفيه نظر لان عايشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور

بجنازة سعد على حجرتها لتصلى عليه وقد سلم لها الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما
نسوه وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على ابي بكر في المسجد وان صهيبا صلى
على عمر في المسجد زاد في رواية ووضعت الجنازة في المسجد تجاه المنبر وهذا يقتضي الاجماع
على جواز ذلك وقد استدل ايضا بحديث قصة النجاشي على مشروعية الصلوة على الميت
الغايب عن البلد وبذلك قال الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم يات
عن احد من الصحابة منعه وعن الحنفية والمالكية لا يشرع وعن بعض اهل العلم انما يجوز
ذلك في (اليوم) الذي يموت فيه الميت وما قرب لا ما اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر وقال
ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا لم
يجز قال المحب الطبري لم ار ذلك لغيره وقد اعتذر من لم يقل الصلاة على الغايب عن
قصة النجاشي بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه بها احد فتعينت الصلاة عليه لذ(لك)
ومن ثمه قال الخطابي لا يصلى على الغايب الا اذا وقع موته بارض ليس بها من يصلي عليه
واستحسنه الروياني من الشافعية ومنها قول بعضهم كشف الله له صلى الله عليه وسلم عنه
حتى راه وعبر عنه القاضي عياض في الشفاء بقوله ورفع له النجاشي حتى صلى عليه
فتكون صلاته عليه كصلاة الامام على ميت راه ولم يره المأموم ولا خلاف في
جوازها قال ابن دقيق العيد هذا يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية
بان الاحتمال كاف في مثل هذا وكان مستند هذا القايل ما ذكره الواحدي في اسبابه بغير
اسناد عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى راه وصلى

عليه

عليه ولابن حبان من حديث عمران بن حصين فقام وصفوا خلفه وهم لا يظنون الا
ان جنازته بين يديه ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص بالنجاشي لانه لم يثبت
انه صلى الله عليه وسلم صلى على ميت غايب غيره قاله المهلب وكانه لم يثبت عنده
قصة معاوية بن معاوية الليثي واستدل من قال بتخصيص النجاشي بذلك الى ما تقدم من
اشاعة انه مات مسلما او استيلاف قلوب الملوك الذين اسلموا في حياته قال النووي
لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع مع انه لو كان شيء مما ذكروه لتوفرت
الدواعي على نقله وقال ابن العربي قال المالكية ليس ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم
قلنا وما عمل به محمد تعمل به امته يعني لان الاصل عليه الخصوصية قالوا طويت له الا(رض)
واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر وان نبينا لاهل لذلك ولكن
لا تقولوا الا ما رويتم ولا تخترعوا احاديثا من عند انفسكم ولا تحدثوا الا با(لثابتات)
ودعوا الضعاف فانها سبيل الى تلاف ما ليس له تلاف وقال الكرماني قولهم
رفع الحجاب عنه ممنوع ولين سلمنا فكان غايبا عن الصحابة الذين صلوا عليه مع
النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من فتح الباري الفرع الثالث في ذكر سيرته
صلى الله عليه وسلم في الزكوة وهي لغة النما والتطهير والمال ينمى بها من حيث لا
وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمي اجرها عند الله تعالى وسميت في الشرع
زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها وقيل لانها تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهي
قيد النعمة وسميت الصدقة صدقة لانه دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره

الثابتات

وباطنه وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم ان الزكاة وجبت للمواساة و
ان المواساة لا تكون الا فى مال له مال وهو النصاب ثم خصّها صلى الله عليه وسلم في
الاموال النامية وهى اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم
والثاني الزروع والثمار والثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والرابع اموال
التجارة على اختلاف انواعها وحدد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل
المواساة فنصاب الفضة خمس اوراق وهى مايتا درهم بنص الحديث والاجماع واما
الذهب فعشرون مثقالا واما الزروع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون شاة
والبقر ثلاثون بقرة والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب
المؤونة والتعب فى المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه
ولم يعتبر له حول بل وجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه الزرع والثمار فان سقي بما
السماء ونحوه ففيه العشر والا فنصفه ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيها
ربع العشر لانه يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص
بخلاف الانواع السابقة ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب
فيها شاة فاذا صارت الخمس خمسًا وعشرين احتمل نصابها واحدًا فكان هو الواجب
ثم انه قدر سن هذا الواجب فى الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها وفي كتابه
صلى الله عليه وسلم الذي كتبه فى الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض في كل خمس
من الابل شاة وفى عشر شاتان وفى خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين بنت مخاض

الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فان
زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس
وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فاذا زادت واحدة ففيها
حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وكل اربعين
ابنة لبون وفى الغنم فى كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة
فشاتان الى المائتين فاذا زادت على المائتين ففيها ثلث شياه الى ثلثمائة فان كانت الغنم
اكثر من ذلك فكل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة ورواه ابو داود
الترمذي من حديث سالم بن عبد الله بن عمر وفرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر
صاعا من تمر او صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين
وامر بها ان يؤدي قبل خروج الناس الى الصلاة رواه البخاري ومسلم من حديث
ابن عمر وفي رواية ابن داود من حديث ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر
طهرة للصايم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض
بحكم نبي وغيره فى الصدقات حتى حكم فيها فجزاها ثمانية رواه ابو داود من حديث
زياد بن الحارث الصدائى وهذه الثمانية الاجزا يجمعها صنفان من الناس احدهما
من ياخذ لحاجته فياخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء
والمساكين وفى الرقاب وابن السبيل والثاني من ياخذ لمنفعته وهم العاملون عليها
والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة فى سبيل الله فان لم يكن

الاخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة اعلم ان الانبيا لا تجب الزكاة
عليهم لانهم لا ملك لهم مع الله تعالى حتى تجب عليهم الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة
ما انت له مالك انما كانوا يشهدون ما في ايديهم من ودايع الله لهم يبذلونه في اوان
بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عساه ان يكون ممن وجبت عليه لقوله
تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام
مبرؤن من الدنس لوجود العصمة ولهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان زكاة
لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ و
اذا كان اهل المعرفة بالله المشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا كما هو
مشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبياء والرسل واهل التوحيد لا يشهدون
لهم مع الله والمعرفة انما عرفوا من بحارهم واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا
من كتاب التنوير للعارف الكبير ابي الفضل بن عطا الشاذلي اذاقنا الله حلاوة
مشربه تنبيه ما حكي ان الشافعي واحمد بن حنبل كانا جالسين اذا قيل شيبان
الراعي فقال احمد بن حنبل للشافعي اريد ان اسال هذا المشار اليه في هذا الزمن
فقال الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي اربع
سجدات من اربع ركعات فقال يا احمد هذا قلب غافل عن الله تعالى يجب ان يؤدب
حتى لا يعود الى مثل ذلك قال فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال ما تقول فيمن له اربعون
شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا او على مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم اما على

مذهبكم

مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة واما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئا فقد
نقل شيخنا في المقاصد الحسنة عن ابن تيمية ان ذلك باطل باتفاق اهل المعرفة لان الشافعي
واحمد لم يدركا شيبان الراعي والله اعلم انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة
قال اللهم صل على ال فلان واتاه ابو اوفى بصدقة فقال اللهم صل على ال ابي اوفى رواه
البخاري ومسلم واختلف في اول وقت فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع
بعد الهجرة فقيل كان في السنة الثانية قبل فرض رمضان اشار اليه النووي في باب
السير من الروضة وجزم ابن الاثير في التاريخ بان ذلك كان في التاسعة وفيه نظر
لما في حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابي سفيان مع هرقل
وكان في اول السابعة وقال فيها يامرنا بالزكاة وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير
بما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها لما نزلت اية الصدقة بعث النبي صلى الله عليه وسلم
غلاما فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية انما وجبت في التاسعة فتكون الزكاة
في التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج بمثله وادعى ابن خزيمة في صحيحه ان فرضها
كان قبل الهجرة واحتج بما اخرجه من حديث ام سلمة في قصة هجرتهم الى الحبشة و
فيها ان جعفر بن ابي طالب قال للنجاشي في جملة ما اخبره به عن الرجل الذي يامرنا بالصلاة
والزكاة والصيام انتهى وفي الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت
بعد ولا صيام رمضان فيحتمل ان تكون مراجعة جعفر لم تكن في اول ما قدم على النجاشي و
انما اخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر من فرضية الصلوة والصيام وبلغ ذلك

جعفر فقال يامرنا بمعنى يامر امته وهو بعيد جدًا واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة
هنا ان سلم ممن قدح فى اسناده ان المراد بقول جعفر يامرنا بالصلوة والزكاة والصيام
اى فى الجملة ولا يلزم من ذلك ان يكون المراد بالصلوة الصلوات الخمس ولا بالصيام
صيام شهر رمضان ولا بالزكاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول والله
اعلم وممّا يدل على ان فرض الزكاة كان قبل التاسعة حديث انس فى قصة ضمام بن
ثعلبة وقوله انشدك الله الله امرك ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها
على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة خمس وانما الذي وقع فى التاسعة بعث العمال
لاخذ الصدقات وذلك يستدعى تقدم فرضية الزكاة قبل ذلك وممّا يدل على ان فرض
الزكاة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على ان صيام رمضان انما فرض بعد الهجرة لان الاية الدالة
على فرضيته مدنية بلا خلاف وثبت عند احمد وابن خزيمة والنسائى وابن ماجة والحاكم
من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال امرنا رسول الله صلى الله عم بصدقة الفطر قبل ان
تنزل الزكاة ثم نزلت الزكاة فرضية الصلاة فلم يامرنا ولم ينهانا ونحن نفعله اسناده صحيح
رجاله رجال الصحيح الا ابا عمار الراوي عن قيس بن قيس بن سعد وقد وثقه احمد وابن
معين وهو دال على ان فرض صدقة الفطر كان قبل فرض الزكاة فيقتضى وقوعها بعد
فرض رمضان قاله الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه الله النوع الرابع فى ذكر صيامه عم
اعلم ان المقصود من الصيام امساك النفس عن خسيس عادتها وحبسها عن شهواتها و
نظامها عن مالوفاتها فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين

وهو

هو لرب العالمين من بين ساير الاعمال العاملين كما قال الله تعالى فى الحديث الالهى الذى
رواه مسلم كل عمل ابن ادم له الا الصيام هو لى وانا اجزى به فاضافه تعالى اليه اضافة
تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع ان العالم كله له سبحانه وقيل لانه لم يتعبد به غيره فلم يعظم
الكفار فى عصر من الاعصار معبودًا لهم بالصيام وان كانوا يعظمونه بصورة الصلوة
والسجود وغيرهما قال فى شرح تقريب الاسانيد واعترض بما يقع من عبادة النجوم
واصحاب الهياكل والاستخدامات فانهم يتعبدون لها بالصيام واجيب بانهم لا يعتقدون
انها فعالة بانفسها وقيل لان الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو
وغير ذلك من العبادات الظاهرات قال فى فتح البارى معنى النفى فى قولهم لا رياء فى
الصوم انه يدخله الرياء بفعله وان كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم
يخبر بانه صائم فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية فدخول الرياء فى الصوم انما
يقع من جهة الاخبار بخلاف بقية الاعمال فان الرياء يدخلها بمجرد فعلها انتهى
وعن شداد بن اوس مرفوعًا من صام يرائى فقد اشرك رواه البيهقى وقيل لانه ليس
للصائم ونفسه فيه حظ وقيل لان الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات
من صفات الله تعالى فلما تقرب الصائم اليه بما يوافق صفاته اضافه اليه قال القرطبى معناه
ان اعمال العباد مناسبة لاحوالهم الا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات
الحق كانه تعالى يقول ان الصائم يتقرب الى بامر هو متعلق بصفة من صفاتى او لكون
ذلك الصفة من صفات الملائكة او لانه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف

حسنات بخلاف غيره من العبادات فقد اظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها
وكذا قال في بقية الحديث وانا اجزي به وقد علم بان الكريم اذا اخبر بانه يتولى بنفسه
الجزاء اقتضى ذلك سعة العطا وانما جوزي الصايم هذا الجزاء لانه ترك شهوته وطعامه
وشرابه من اجل معبوده والمراد بالشهوة في الحديث الجماع لعطفها على الطعام والشراب
ويحتمل ان يكون من العام بعد الخاص لكن وقع في رواية عند ابن خزيمة يدع لذته من اجلي
ويدع زوجته لاجلي واصرح منه ما روي من الطعام والشراب والجماع من اجلي
وللصايم تاثير عجيب في حفظ الاعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحميتها عن
التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الردية المانعة له من صحتها فهي
من اكبر العون على التقوى كما اشار اليه تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه السلام كما في البخاري الصوم جنة وهي بضم الجيم
الوقاية والستر اي ستر من النار وبه جزم ابن عبد البر وفي النهاية اي يقي صاحبه
مما يوذيه من الشهوات وقال القاضي عياض من الاثام وقد اتفقوا على ان المراد بالصيام
هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا واختلف اهل الصوم افضل ام الصلاة
فقيل الصوم افضل الاعمال البدنية لحديث النسايي عن ابي امامة قال اتيت النبي عم
فقلت يا رسول الله مرني بامر اخذه عنك فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له و
المشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعي وغيره لقوله عليه السلام فاعلموا
ان خير اعمالكم الصلاة رواه ابو داود وغيره ثم ان الكلام في صيامه صلى الله عم

شهر

شهر رمضان وفيه فصول الاول فيما كان صلى الله عليه وسلم يخص به رمضان
من الصلوات وتضاعف وجوده عليه السلام اعلم ان رمضان هو مشتق من الرمض
وهو شدة الحر لان العرب لما ارادوا ان يضعوا اسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور
شديد الحر فسموه بذلك كما سموا الربيعين لموافقتهما زمن الربيع ولانه يرمض الذنوب
اي يحرقها وهو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع ورمضان افضل الاشهر
كما حكاه الاسنوي عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقال النووي وهم
انه من اسماء الله تعالى ليس بصحيح وان كان قد جاء فيه اثر ضعيف واسماء الله تعالى توقيفية
لا تثبت الا بدليل صحيح انتهى وقد اختلف السلف هل فرض صيام قبل رمضان ام لا
فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية انه لم يجب قط صوم قبل رمضان وفي وجه وهو
قول الحنفية اول فرض عاشوراء فلما نزل رمضان نسخ وسياتي ادلة الفريقين في
الكلام على صوم عاشوراء ان شاء الله تعالى وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية
من الهجرة كما تقدم فتوفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات
ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات ومنبع الجود والبركات لان نعم الله تعالى فيه
تزيد على غيره من الشهور كان سيدي رسول الله صلى الله عم يكثر فيه من العبادات
وانواع القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة والاحسان والصلاة والذكر
والاعتكاف ويخص به من العبادات بما لا يخص به غيره من الشهور وكان جوده عم
يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما جود ربه يتضاعف فيه ايضا

فان الله تعالى جبله على ما يحبه من الاخلاق الكريمة وفي حديث ابن عباس عند الشيخين
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس واجود ما يكون في رمضان حين يلقاه
جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة فمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو شهر
رمضان والمنزول وهو القران والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهي مدارسة
القران حصل له عليه الصلوة والسلام المزيد في الجود والمرسلة المطلقة يعني انه
في الاسراع بالجود اسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى
عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه ووقع
عند الامام احمد في اخر هذا الحديث لا يسال شيئا الا اعطاه وتقدم في ذكر سخائه
صلى الله وسلم مزيد لك وقد كان ابتداء نزول القران في شهر رمضان وكذا نزوله
الى سماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس فكان
جبريل عليه السلام يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل
عليه من رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم عارضه
به مرتين كما في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها قال في فتح الباري وفي معارضة
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالقران في شهر رمضان حكمتان احداهما تعاهده
والاخرى تبقيه ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة و
تفصيلا وعرضا واحكاما وفي المسند عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله
انه قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلاث

عشرة ليلة

ليلة من شهر رمضان وانزل التورية لست من رمضان وانزل القران لاربع وعشرين
خلت من رمضان وقد دل الحديث على استحباب مدارسة القران في رمضان
والاجتماع عليه وعرض القران على من هو احفظ منه وفي حديث ابن عباس ان مدارسة
بينه ع م وبين جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة القران
في رمضان ليلا لان الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهمم ويتواطؤ فيه القلب
واللسان على التدبر وقد كان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان
كما اخرجه احمد والنسائي عن ابي هريرة ولفظه قال كان النبي م يبشر اصحابه بقدوم رمضان
يقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق
فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم
قال بعض العلماء هذا الحديث اصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان
وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يدعوا ببلوغ رمضان فكان اذا دخل شهر رجب
وشعبان قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان رواه الطبراني
وغيره من حديث انس وكان عليه السلام اذا راى هلال رمضان قال هلال رشد وخير
هلال رشد وخير امنت بالذي خلقك رواه النسائي من حديث انس وروي انه عليه السلام
كان يقول اذا دخل شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلم رمضان لي وسلمه مني
اي سلمني منه حتى لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض وغيره وسلمه لي
حتى لا يغم هلاله علي في اوله او اخره فيلتبس علي الصوم والفطر وسلمه مني اي تعصمني

من المعاصي فيه وهذا منه عليه السلام تشريع لامته الفصل الثاني في صيامه ع م
برويت الهلال عن عايشة كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ
من غيره ثم يصوم لروية رمضان فان غم عليه عد ثلثين يوما ثم صام رواه ابو
داود وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتموه فصوموا واذا رايتموه فافطروا فان غم
عليكم فاقدروا له رواه مسلم قوله فان غم عليكم اي حال بينكم وبينه غيم فاقدروا له
من التقدير اي قدروا له تمام عدد ثلثين يوما ويويده قوله في الرواية السابقة
فان عليه صلى الله عليه وسلم عد ثلثين وهو مفسر لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في
الرواية ويوكده رواية فاقدروا له ثلثين قال المازري حمل جمهور الفقها قوله
اقدروا له على ان المراد كمال العدة ثلثين كما فسره في حديث اخر قالوا ولا يجوز ان يكون
المراد حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به لضاق عليهم لانه لم يعرفه الا افراد
والشرع انما يعرف الناس بما يعرفه جماهرهم انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك
وابي حنيفة وجمهور السلف والخلف وفيه دليل انه لا يجوز صوم يوم الشك
ولا يوم الثلثين من شعبان عن رمضان اذ كانت ليلة الثلثين ليلة غيم وقال
الامام احمد بن حنبل في طايفة اي اقدروا واتحت السحاب فيجوزون صوم ليلة الغيم
عن رمضان بل قال احمد بوجوبه وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله
وابن قتيبة واخرون معناه قدروه بحسب المنازل الفصل الثالث في صومه ع م
بشهادة العدل الواحد عن ابن عمر قال ترايا الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله

انی رايته فصام وامر الناس بصيامه رواه ابو داود وصححه ابن حبان وعن
ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله ع م فقال اني رايت هلال رمضان فقال
اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن في
الناس فليصوموا رواه ابو داود والترمذي والنسايي والمراد في قوله عليه السلام
في الحديث السابق اذا رايتموه روية بعض المسلمين ولا يشترط روية كل انسان بل
يكفي جميع الناس روية عدل على الاصح في مذهبنا وهذا في الصوم واما الفطر
فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور
فيجوزه بعدل قال الاسنوي واذا قلنا بالواحد في الصوم فلا خلاف انه لا
يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقين بدخول رمضان ولا
يحل به الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكاة كذا اطلقه الرافعي هنا نقلا عن البغوي
واقره وتبعه عليه في الروضه وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة
فان وقعت الشهادة اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى التعليق فان
الطلاق والعتق يقعان كذا نقله القاضي حسين في تعليقه عن ابن سريج وقال
الرافعي في الباب الثاني من كتاب الشهادات انه القياس انتهى الفصل الرابع فيما يفعله
وهو صايم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صايم
رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي واعلم ان الجمهور على عدم الفطر
بالحجامة مطلقا وعن علي وعطا والاوزاعي واحمد واسحق وابي ثور يفطر

الحاجم والمحجوم واوجبوا عليهما القضا وشدد عطا فاوجب الكفارة ايضا
وقال بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ونقل الترمذي
عن الزعفراني ان الشافعي علق القول به على صحة الحديث قال الترمذي كان الشافعي
يقول ذلك ببغداد واما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال الشافعي في اختلاف
بعد ان اخرج حديث شداد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان الفتح
فراى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان فقال وهو آخذ بيدي افطر الحاجم
والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صايم قال و
حديث ابن عباس مثلها اسنادا فان توقى احد الحجامة كان احب الى احتياطا
والقياس مع حديث ابن عباس والذي حفظ عن الصحابة والتابعين وعامة اهل
العلم انه لا يفطر احد بالحجامة انتهى واول بعضهم حديث افطر الحاجم والمحجوم ان المراد به
انهما سيفطران كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا اي ما يول اليه ولا يخفى بعد هذا التاويل
وقال البغوي في شرح السنة معناه اي تعرضا للافطار اما الحاجم فانه لا يامن من
وصول شيء من الدم الى جوفه عند المص واما المحجوم فانه لا يامن ضعف قوته بخروج
الدم فيؤول امره الى ان يفطر وقيل معنى افطرا فعلا مكروها وهو الحجامة فصار كانهما
غير متلبسين بالعبادة وقال ابن حزم صح حديث افطر الحاجم والمحجوم بلا ريب لكن و
جدنا من حديث ابي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم في الحجامة للصايم واسناده صحيح
فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة فدل على نسخ الفطر بالحجامة

سواء كان حاجما او محجوما انتهى والحديث المذكور اخرجه النسايي وابن خزيمة والدارقطني
ورجاله ثقات ولكن اختلف في رفعه ووقفه وله شاهد من حديث انس عند الدارقطني
ولفظه اول ما كرهت الحجامة للصايم ان جعفر بن ابي طالب احتجم وهو صايم فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال افطر هذان ثم رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد في الحجامة للصايم وكان
انس يحتجم وهو صايم وكلهم من رجال البخاري الا ان في المتن ما ينكر لان فيه ذلك
كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك ومن احسن ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق
وابو داود عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصايم وعن المواصلة ولم يحرمهما
ابقاء على اصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر ورواه ابن ابي شيبة
عن وكيع عن الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن الحجامة للصايم وكرهها للضعف اي لئلا تضعف رواه البخاري ومسلم
ومالك وابو داود قالت وكان املككم لاربه اي لحاجته يعني انه كان غالبا لهواه
قال ابن الاثير اكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والراء يعنون به الحاجة وبعضهم يرونه
بكسر الهمزة وسكون الراء تاويلان احدهما انه الحاجة يقال فيها الارب والارب
والاربة والماربة والثاني اردات العضو وعنت به من الاعضا الذكر خاصة
انتهى فمذهب الشافعي والاصحاب ان القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته
لكن الاولى تركها واما من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الاصح عند اصحابنا

وقوله فضحكت قيل يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا وقيل تعجب من نفسها اذ حدثت
بمثل هذا مما يستحيي من ذكر النسا مثله للرجال ولكنها الجاتها الضرورة في تبليغ العلم
الى ذكر ذلك وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها على انها صاحبه
القصة ليكون ذلك ابلغ في الثقة بها اوسرورا بمكانتها من النبي صلى الله عليه وسلم
ومحبته لها وقد روي ابن ابي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت وظننا
انها هي وروي النساي عنها قالت اهوى الى النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني فقلت
اني صايمة فقال وانا صايم فقبلني وروي ابو داود عن عايشة ان النبي صلى الله
كان يقبلها ويمص لسانها يعني وهو صايم واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على
انه لم تبتلع ريقه الذي خالط ريقها وكان عليه السلام يكتحل بالاثمد وهو صايم ثم رواه
البيهقي من رواية محمد بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ثم قال ان محمدا هذا ليس
بالقوي ووثقه الحاكم واخرج له في مستدركه وقالت ام سلمة كان صلى الله ع م
يصبح جنبا من جماع لا حلم ثم لا يفطر ولا يقضي رواه البخاري ومسلم وقال القرطبي
في هذا فايدتان احدهما انه كان يجامع في رمضان ويوخر الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا
للجواز الثانية ان ذلك كان من جماع لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذا الاحتلام من
الشيطان وهو معصوم منه وقال غيره في قولها من غير الاحتلام اشار الى جواز الاحتلام
عليه والا لما كان للاستثناء به معنى ورد بان الاحتلام من الشيطان وهو معصوم
منه واجيب بان الاحتلام يطلق على الانزال وقد يقع الانزال بغير رويتر شي في المنام

وارادت

وارادت بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد على من زعم ان فاعل ذلك عمدا مفطر
انتهى وقال عامر بن ربيعة ما رايته صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صايم ما لا
اعد ولا احصي رواه ابو داود والترمذي الفصل الخامس في وقت افطاره ع م
عن عبد الله بن اوفي قال كنا مع رسول الله عليه السلام في سفر في شهر رمضان
فلما غابت الشمس قال يا بلال انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال
انزل فاجدح قال فنزل فجدح فاتى به فشرب النبي ع م ثم قال بيده اذا غابت الشمس
من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد افطر الصايم رواه البخاري ومسلم والجدح بجيم
ثم حاء مهملة خلط الشيء بغيره والمراد خلط السويق بالماء وتحريكه حتى يستوي ومعنى
الحديث انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا صياما فلما غربت الشمس امره صلى الله ع م
بالجدح ليفطروا فراي المخاطب اثار الضيا والحمرة التي تبقا بعد غروب الشمس وظن
ان الفطر لا يحصل الا بعد ذلك واحتمل عنده انه عليه الصلوة والسلام لم يرها فاراد تذكيره
واعلامه بذلك ويؤيد هذا قوله ان عليك نهارا لتوهمه ان ذلك الضوء من النهار
الذي يجب صومه وهو معنى قوله في الرواية الاخري لو امسيت وتكرر المراجعة لغلبة
اعتقاده على ان ذلك نهار يحرم الاكل فيه مع تجويزه انه عليه السلام لم ينظر الى ذلك
الضوء نظرا تاما فقصد زيادة الاعلام ببقاء الضوء والله اعلم قاله النووي الفصل
السادس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه عن انس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل
ان يصلي على رطبات فان لم يجد رطبات فتمرات فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ماء رواه

ابو داود وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم الفطر بما ذكر لان اعطاء الطبيعة الشي
الحلو مع خلو الطبيعة المعدة ادعى الى قبوله وانتفاع القوي به لاسيما قوة البصر واما الما
فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فاذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذا بعده و
لهذا كان الاولى بالظمان الجايع ان يبدا بشرب قليل من الماء ثم ياكل بعده قاله ابن القيم
الفصل السابع فيما كان يقوله صلى الله عم عند الافطار عن معاذ بن زهرة بلغه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك فطرت وهو حديث
مرسل ومعاذ هذا ذكره البخاري في التابعين لكن قال معاذ ابو زهرة وتبعه ابن ابي
حاتم وابن حبان في الثقات وذكره يحيى بن يونس الشيرازي في الصحابة وغلطه جعفر
المستغفري قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون الحديث موصولا ولو كان معاذ تابعيا
لاحتمال ان يكون الذي بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار اورده ابو داود في
السنن وبالاعتبار الاخر اورده في المراسيل وخرج ابن السني والطبراني في المعجم الكبير
بسند واه جدا عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال اللهم لك صمت
وعلى رزقك فطرت فتقبل مني انك انت السميع العليم وعن ابن عمر كان صلى الله عم
اذا افطر قال ذهب الظما وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله رواه ابو داود
زاد رزين الحمد لله في اول الحديث وفي كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة قال كان رسول الله
اذا افطر قال الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت الفصل الثامن في وصاله
عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست

كهيئتكم

كهيئتكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم وللبخاري انه صلى الله عليه وسلم واصل
فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تواصلوا قالوا
انك تواصل قال لست كهيئتكم اني اظل واطعم واسقى وفي رواية انس واصل صلى الله عم
في اخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر
لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم انكم لستم مثلي او قال لست مثلكم اني
اظل ويطعمني ربي ويسقيني وفي رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست
كاحد منكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم المتعمقون هم المشتدون في الامر
المجاوزون الحدود في قول او فعل وفي رواية سعيد بن منصور وابن ابي شيبة من مرسل
الحسن اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وعن عايشة قالت نهاهم صلى الله عليه وسلم
عن الوصال رحمة لهم فقالوا انك تواصل فقال اني لست كهيئتكم اني يطعمني
ربي ويسقيني رواه البخاري ومسلم الا ان البخاري قال نهى ولم يقل نهاهم
وعن ابي هريرة قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فلما ابوا
ان ينتهوا عن الوصال واصل يوما ثم راوا الهلال فقال لو تاخر لزدتكم كالتنكيل
لهم حين ابوا ان ينتهوا رواه البخاري والوصال هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا
من غير اكل او شرب بينهما قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وقد اختلف في معنى
قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو على حقيقته وانه صلى الله عليه وسلم كان
يوتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له في ليالي صيامه وتعقب بانه لو كان كذلك

لم يكن مواصلا وبان قوله اظل يدل على وقوع ذلك بالنها فلو كان الاكل والشراب
حقيقة لم يكن صايما واجيب بان الراجح من الروايات لفظ ابيت دون اظل وعلى تقدير
ثبوتها فهى محمول له على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ لان المتحدث عنه هو الامساك
ليلا لا نهارا واكثر الروايات انما هو ابيت فكان بعض الرواة عبر عنها باظل نظرا الى اشتراكهما
فى مطلق الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحى ومنه
قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا فان المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص
لذلك بنهار دون ليل وليس حمل لفظ اظل على المجاز وعلى التنزيل فلا يضر شئ
من ذلك لان ما يؤتى به الرسول على سبيل الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا يجرى عليه
احكام المكلفين فيه كما غسل صدره الشريف فى طشت الذهب مع ان استعمال اوانى الذهب
الدنيوية محرمة وقال ابن المنير الذى يفطر شرعا انما هو الطعام المعتاد واما الخارق للعادة
كالمحضر من الجنة فعلى هذا المعنى وليس تعاطيه من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب
كاكل اهل الجنة والكرامة لا تبطل العادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب
على حقيقتها واكله وشربه فى الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكانه قال
لما قيل له انك تواصل قال انى لست فى ذلك كهيئتكم اى على صفتكم فى ان من اكل منكم
او شرب انقطع وصاله بل انما يطعمنى ربى ويسقينى ولا ينقطع بذلك مواصلتى فطعامى
وشرابى على غير طعامكم وشرابكم صورة ومعنى وقال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام
والشراب وهو القوة فكانه قال يعطينى قوة الاكل الشارب ويفيض على ما يسد مسد

الطعام

الطعام والشراب ويقوى على انواع الطاعة من غير ضعف فى القوة او المعنى ان الله يخلق
فيه من الشبع والرى ما يغنيه عن الطعام والشراب فلا يحس بجوع ولا عطش والفرق
بينه وبين الاول انه على الاول يعطى القوة من غير شبع ولا رى بل مع الجوع والظما وعلى
الثانى يعطى القوة مع الشبع والرى ورجح الاول بان الثانى ينافى حال الصايم ويفوت
المقصود من الصوم والوصال لان الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها قال
القرطبى ويبعده ايضا النظر الى حاله عليه السلام فانه كان يجوع اكثر مما يشبع ويربط
على بطنه الحجر انتهى ويحتمل كما قاله ابن القيم فى الهدى وابن رجب فى اللطايف
ان يكون المراد ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة
عينه بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الاحوال التى هى غذاء القلوب
ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة النفوس فللروح والقلب بها اعظم غذاء
واجله وانفعه وقد يغنى هذا الغذاء عن غذاء الاجسام مدة من الزمان كما قيل فى المعنى

لها احاديث من ذكراك يشغلها ... عن الشراب ويلهيها عن الزاد
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له ادنى تجربة شوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من
الغذاء الحيوانى ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذى قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم
بقربه والرضى عنه والطاف محبوبه مكرم له غاية الاكرام مع الحب التام افليس
هذا من اعظم غذاء لهذا المحب فكيف بالحبيب الذى لا شئ اعظم منه ولا اجل

ولا اجمل ولا اكمل ولا اعظم احسانا افليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه
ليلاً ونهاراً ولهذا قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى وحكى النووي في
شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الاسانيد ان معناه ان محبة الله تشغلني عن الطعام
والشراب قال والحب البالغ يشغل عنهما انتهى فان قلت لم اثر اسم الرب دون اسم الذات
المقدسة في قوله يطعمني ربي دون ان يقول يطعمني الله اجيب لان التجلي باسم الربوبية
اقرب الى العباد من الالهية لانه تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة
وشفقة وقد اختلف الناس في الوصال لنا هل هو جايز او محرم او مكروه فقالت انه جايز ان
قدر عليه وهذا روي عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف وكان ابن الزبير يواصل الايام
وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح انه كان يواصل خمسة عشر يوما وذكر معه من الصحابة
ايضا اخت ابي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن ابن ابي معمر وعامر بن عبد الله بن الزبير و
ابراهيم بن يزيد التيمي وابو الجوزا كما نقله ابو نعيم في الحلية ومن حجتهم انه عليه السلام
واصل باصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما اقرهم على فعله فعلم انه اراد بالنهي الرحمة
لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عايشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد
موافقة اهل الكتاب ولا رغب عن السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال و
من ادلة الجواز ايضا اقدام الصحابة عليه بعد النهي فدل على انهم فهموا ان النهي
للتنزيه لا للتحريم والا لما قدموا عليه وقال الاكثرون لا يجوز الوصال وبه قال مالك
وابو حنيفة ونص الشافعي واصحابه على كراهته ولهم وجهان اصحهما انها كراهة تحريم و

والثاني

والثاني انها للتنزيه واختار ابن وهب واحمد بن حنبل واسحاق جواز الوصال الى
السحر لحديث ابي سعيد عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فايكم اراد
ان يواصل فليواصل الى السحر وهذا الوصال لا يترتب عليه شيء مما يترتب على غيره لانه
في الحقيقة بمنزلة عشائه الا انه يوخره لان الصايم له في اليوم والليلة اكلة فاذا
اكلها في السحر كان قد نقلها من اول الليل الى اخره وكان اخف لجسمه في قيام الليل
ولا يخفى ان محل ذلك لم يشق على الصايم والا فلا يكون قربة وقد صرح في الحديث ان الوصال
من خصايصه صلى الله عليه وسلم فقال اني لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر بن
الخطاب قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصايم
قالوا لجعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج
الجمهور للتحريم بعموم النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا واجابوا عن قوله رحمة بانه
لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب تحريمه الشفقة عليهم ليلا يتكلفوا ما
يشق عليهم واما الوصال لهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تاكيد زجرهم وبيان
الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير
في بعض وظايف الدين من اتمام الصلوة بخشوعها واذكارها وساير الوظايف المشروعة
في نهاره وليله واجابوا ايضا بقوله عليه السلام اذا اقبل الليل من ههنا وادبر
النهار من ههنا فقد افطر الصايم اذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه
مخالف لوضعه وروى الطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر ان جبريل قال

للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد قيل وصالك ولا يحل لاحد بعدك ولكن
اسناده ليس بصحيح فلا حاجة فيه الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم
عن ابي هريرة عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبي
وهو يتسحر فقال انها بركة اعطاكم الله اياها فلا تدعوه رواه النسائي وعن العرباض
بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحور في رمضان قال هلم
الى الغداء المبارك رواه ابو داود والنسائي والمراد انه متوسطة لا طويلة ولا قصيرة
ولا بطيه قال ابن ابي جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الارفق بامته فيفعله
لانه لو لم يتسحر لا يتبعوه فشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل لشق ايضا على
من يغلب عليه النوم فقد يفضي الى ترك الصبح او يحتاج الى المجاهدة بالسهر فقال
القرطبي فيه فيه دلاله على الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول
حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع انتهى واجاب في فتح الباري بان لا معارضة
بل يحمل على اختلاف الحال فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة وعن انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند السحور يا انس اني اريد الصيام فاطعمني
فاطعمني شيئا فاتيته بتمر واناء فيه ماء وذلك بعد ما اذن بلال قال يا انس انظر
رجلا ياكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال اني اريد شربة سويق وانا اريد
الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد الصيام فتسحر معه
ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلوة رواه النسائي وعن زر بن حبيش

قلنا

قلنا لحذيفة اي ساعة تسحرت مع رسول الله عم قال هو النهار الا ان الشمس
لم تطلع رواه النسائي الفصل العاشر في افطاره عم في رمضان في السفر وصومه
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام
حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب
فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال اولئك العصاة اولئك العصاة
زاد في رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينتظرون فيما فعلت
فدعا بقدح من ماء بعد العصر رواه وعن ابن عباس قال سافر رسول الله عم
في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا باناء من ماء فشرب نهارا ليراه الناس
وافطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله عم في السفر وافطر
فمن شاء صام ومن شاء افطر رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان ابن عباس كان لا يعيب
على من صام ولا على من افطر قد صام رسول الله في السفر وافطر قال النووي رحمه
اختلف العلماء في صوم رمضان في السفر فقال بعض اهل الظاهر لا يصح صوم رمضان
في السفر فان صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الاية والحديث ليس من البر
الصيام في السفر وفي الحديث الاخر اولئك العصاة وقال جماهير العلماء
وجميع اهل الفتوى يجوز صومه في السفر وينعقد ويجزيه واختلفوا في ان الصوم
افضل ام الفطر ام هما سواء فقال مالك وابو حنيفة والشافعي والاكثرون
الصوم افضل لمن اطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر فان تضرر به فالفطر افضل

واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم ولانه يحصل به براءة الذمة فى الحال وقالت
سعيد بن المسيب والاوزاعي واحمد واسحق وغيرهم الفطر افضل مطلقا وحكاه
بعض اصحابنا قولا للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لاهل الظاهر وبقوله عم
هى رخصة من الله فمن اخذ بها فحسن ومن احب ان يصوم فلا جناح عليه وظاهره
ترجيح الفطر واجاب الاكثرون بان هذا كله فيمن يخاف ضررا او يجد مشقة كما هو صرح
فى الاحاديث واعتمدوا حديث ابى سعيد الخدري قال كنا نغزو مع رسول الله فى
رمضان فمنا الصايم ومنا المفطر ولا يجد الصايم على المفطر ولا المفطر على الصايم
يرون ان من وجد قوة فصام فان ذلك حسن ويرون ان من وجد ضعفا فافطر
فان ذلك حسن وهذا صريح فى ترجيح مذهب الاكثرين وهو تفضيل الصوم لمن
اطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة وقال بعض العلماء الفطر والصوم سواء
لتعادل الاحاديث والصحيح قول الاكثرين والله اعلم القسم الثانى فى صومه صلى الله عم
صومه غير شهر رمضان وفيه فصول الفصل الاول فى سرده عليه السلام صوم
ايام من الشهر وفطره اياما عن امامة ان رسول الله عم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر
ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسايي وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفطر من الشهر حتى تظن ان لا يصوم منه ثم يصوم حتى يظن ان لا يفطر منه شيا وكان
لا تشا ان تراه من الليل مصليا الا رايته ولا نايما الا رايته وفى رواية ما كنت احب
ان اراه من الشهر صايما الا رايته ولا مفطرا الا رايته ولا من الليل قايما الا رايته

ولا نايما الا رايته رواه البخاري ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام صام و
يفطر حتى يقال افطر افطر وعن ابن عباس قال ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهرا كاملا غير رمضان وكان يصوم حتى يقول القايل والله ما يفطر ويفطر حتى
يقول القايل لا والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسايي وزاد ما صام
شهرا متتابعا غير رمضان منذ قدم المدينة ففى هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يصم
الدهر ولا قام الليل كله وكانه ترك ذلك لئلا يقتدى به فيشق على الامة وان كان
قد اعطى من القوة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادة الطريقة
الوسطى فصام وافطر وقام ونام الفصل الثانى فى صومه صلى الله عليه وسلم عاشورا
وهو بالمد على المشهور واختلف فى تعيينه فعن الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس
وهو متوسد رداه فى زمزم فقلت له اخبرنى عن صوم عاشوراء فقال اذا رايت
هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صايما قلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم
يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي هذا تصريح من ابن عباس بان مذهبه ان
عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم ويتاوله على انه ماخوذ من اظماء الابل فان العرب
تسمى اليوم الخامس من ايام الورد ربعا وكذا باقى الايام على هذه النسبة فيكون
التاسع عشرا انتهى لكن قال ابن المنير قوله اذا اصبحت من تاسعه فاصبح يشعر بانه اراد العاشر
لانه لا يصبح صايما بعد ان اصبح صايما تاسعه الا اذا نوى الصوم من الليلة المقبلة
وهى الليلة العاشرة انتهى وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف الى ان عاشورا

هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال ذلك سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك واحمد
واسحاق وخلايق وهذا ظاهر الاحاديث ومقتضى اللفظ واما تقدير اخذه من الاظما
فبعيد ثم ان حديث ابن عباس يرد عليه يعنى قوله ان النبى صلى الله عليه وسلم
صام يوم عاشوراء فقالوا له يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصاري فقال صلى الله عليه وسلم
اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يات العام المقبل حتى توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تصريح بان الذي كان يصومه ليس هو التاسع
فتعين كونه العاشر قاله النووي وقال القرطبى عاشوراء معدول عن عاشر للمبالغة
والتعظيم وهو فى الاصل صفة لليلة العاشرة لانه ماخوذ من العشر الذي هو
اسم للعقد واليوم مضاف اليها فاذا قيل يوم عاشوراء فكانه قيل يوم الليلة العاشرة
الا انهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا
الليلة وعلى هذا فيوم عاشوراء هو العاشر وهذا قول الخليل وغيره وقال ابن المنير
الاكثر على ان عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق
والتسمية وقال ابن القيم من تامل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الاشكال
وسعة علم ابن عباس فانه لم يجعل يوم عاشوراء اليوم التاسع بل قال للسايل صم
اليوم التاسع واكتفى بمعرفة السايل ان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي بعده الناس
يوم عاشوراء فارشد السايل الى صيام التاسع معه فاخبر ان رسول الله عم كان يصو
كذلك فاما ان يكون فعل ذلك وهو الاولى واما ان يكون حمل فعله على الامر وعزمه

عليه

عليه فى المستقبل وهو الذي روى امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام
يوم عاشورا يوم العاشر وكل هذه الاثار عنه يصدق بعضها بعضا انتهى
فليتامل وعن ابن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة كان يوم عاشورا تصومه
قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما
قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه
ومن شاء تركه رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي واستفيد
من هذه الرواية تعيين الوقت الذي وقع الامر فيه بصيام عاشورا وهو اول قدوم
المدينة ولا شك ان قدومه عليه السلام كان فى ربيع الاول فحينئذ كان الامر بذلك
فى اول السنة الثانية وفى السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الامر بصومه
عاشورا الا فى سنة واحدة ثم فوض الامر فى صومه الى راي المتطوع فعلى تقدير صحة قول
من يدعي انه كان فرض فقد نسخ فرضه بهذه الاحاديث الصحيحة واما صيام قريش لعاشورا
فلعلهم تلقوه من الشرع السالف ولذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة وقد روي عن
عن عكرمة انه سيل عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا فى الجاهلية فعظم فى صدورهم
فقيل صوموا عاشوراء يكفر ذلك قاله فى فتح الباري وعن ابن عمر ان اهل الجاهلية
كانوا يصومون يوم عاشورا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عاشورا
يوم من ايام الله فمن شاء صامه رواه البخاري ومسلم وابو داود وفى رواية
وكان عبد الله لا يصومه الا ان يوافق صومه وعن سلمة بن الاكوع بعث رسول الله

رجلا من اسلم يوم عاشوراء فامره ان يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم ومن
كان اكل فليتم صيامه الى الليل رواه مسلم قال النووي اختلفوا في حكم صوم عاشوراء
في اول الاسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان فقال ابو حنيفة كان واجبا
واختلف اصحاب الشافعي فيه على وجهين اشهرهما عندهم انه لم يزل سنة من حين
شرع ولم يكن واجبا قط في هذه الامة ولكنه كان متاكد الاستحباب فلما نزل صوم
رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب والثاني كان واجبا كقول ابي حنيفة وتظهر فائدة
الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل فابو حنيفة لا يشترطها ويقول كان
الناس مفطرين اول يوم عاشورا ثم امروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا بقضائه
بعد صومه واصحاب الشافعي يقولون كان مستحبا فصح بنية من النهار ويتمسك ابو حنيفة
بقوله امر بصيامه والامر للوجوب وبقوله فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه
ومن شاء تركه ويحتج الشافعية بقوله هذا يوم عاشورا ولم يكتب الله عليكم صيامه
والشافعية يقولون ايضا معنى قوله في حديث ام سلمة فامره ان يؤذن في الناس
من كان لم يصم فليصم الحاجز ان من كان نوى الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو
الصوم ولم ياكل او اكل فليمسك بقية يومه لحرمة اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث
لمذهبه ان صوم رمضان الفرض يجب نيته في النهار ولا يشترط تبييتها قال لانهم
نووا في النهار واجزاهم واجاب الجمهور عن هذا الحديث بان المراد امساك بقية النهار
لا حقيقة الصوم والدليل على هذا انهم اكلوا ثم امروا بالاتمام وقد وافق ابو حنيفة

على

على ان شرط اجزاء النية في النهار في الفرض والنفل ان لا يتقدمها مفسد للصوم من اكل
وغيره وقال الحافظ شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر يؤخذ من مجموع الاحاديث انه كان
واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تاكيد الامر بصومه ثم زيادة التاكيد بالنداء العام ثم
زيادته بامر من اكل بالامساك ثم زيادته بامر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال
وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم لما فرض رمضان ترك عاشورا مع العلم بانه ما ترك
استحبابه بل هو باق فدل على ان المتروك وجوبه واما قول بعضهم المتروك تاكد استحبابه
والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه بل تاكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار الاهتمام
به حتى في عام وفاته صلى الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع
والعاشر ولترغيبه في صومه وانه يكفر السنة فاي تاكيد ابلغ من هذا انتهى وعن
ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فراى اليهود تصوم
عاشوراء فقال ما هذا قالوا هذا يوم صالح نجا الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم
فصامه فقال انا احق بموسى منكم فصامه وامر بصيامه وفي رواية فقال لهم ما هذا
اليوم الذي تصومونه قالوا هذا يوم عظيم نجا الله فيه موسى واغرق فيه فرعون
وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن
احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلعم وامر بصيامه وفي اخرى فنحن نصومه
تعظيما له رواه البخاري ومسلم وابو داود وقد اجاب صاحب زاد المعاد وغيره
عما استشكله بعضهم في هذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قدم

المدينة في شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم المدينة فوجد اليهود صياماً
يوم عاشوراء بانه ليس في الحديث ان يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم يوم الاثنين
في ربيع الاول ثاني عشر ولكن اول علمه بذلك ووقوع القصة في اليوم كان بعد قدومه
المدينة لم يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته ان في الكلام حذفا تقديره قدم
المدينة فاقام الى يوم عاشوراء فوجد اليهود صياماً ويحتمل ان يكون اولئك اليهود
كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسابهم
اليوم الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التاويل مما يترجح به
اولوية المسلمين واحقيتهم بموسى لاضلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين
له ولكن سياق الاحاديث تدفع هذا التاويل والاعتماد على التاويل الاول وقد استشكل
ايضا رجوعه عليه السلام الى خبر اليهود وهو غير مقبول واجاب المازري بانه
يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه بصدقهم فيما قالوه وتواتر عنده النقل
بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض ردا على المازري قد روى مسلم
ان قريشا كانت تصومه فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود حكم يحتاج
الى الكلام عليه وانما هي صفة حال وجواب سؤال فقوله صامه ليس فيه ابتداء صومه
حينئذ ولو كان هذا لحملناه على انه اخبر به من اسلم من علمائهم كابن سلام وغيره
قال وقد قال بعضهم يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ثم ترك صيامه
حتى علم ما عند اهل الكتاب منه فصامه قال وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث قال

النووي

النووي المختار قول المازري ومختصر ذلك انه كان يصومه كما تصومه قريش في مكة
ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه ايضا بوحي او تواتر او اجتهاد لا بمجرد
اخبار احادهم انتهى وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه الى شرع
من مضى كابراهيم وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون بحكم الموافقة
لهم كما في الحج واذن الله له في صيامه على انه فعل خير فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه
وسألهم وصامه وامر بصيامه احتمل ان يكون ذلك استيلافا لليهود كما استالفهم
باستقبال قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه
قبل ذلك وكان ذلك في الوقت الذي يجب فيه الموافقة اهل الكتاب فيما لم ينه
عنه ولاسيما اذا كان فيه ما يخالف اهل الاوثان فلما فتحت مكة واشتهر الاسلام
احب مخالفة اهل الكتاب ايضا كما في حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين صام يوم عاشوراء وامر بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود و
النصارى فقال صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع
قال فلم يات العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لئن
بقيت الى قابل لاصومن التاسع رواه مسلم وهذا دليل الشافعي واصحابه واحمد
واسحاق القائلين باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعا لانه صلى الله عليه وسلم
صام العاشر ونوى صوم التاسع قال النووي قال بعض العلماء ولعل السبب في
صوم التاسع مع العاشر ان لا يتشبه باليهود في افراد العاشر وفي الحديث اشارة

الى هنا وقيل الاحتياط فى تحصيل عاشورا اولا اولى انتهى وفى رواية البزار من
حديث ابن عباس ان رسول الله صلعم قال يوم عاشوراء صوموه وخالفوا فيه اليهود صوموا
قبله يوما او بعده يوما ولاحمد نحوه فمراتب صومه ثلاثة ادناها ان يصام وحده
واكملها ان يصام يوما قبله ويوما بعده ويلى ذلك ان يصام التاسع والعاشر وعليه
الاكثر الاحاديث وقال بعضهم قد ظهر ان القصد مخالفة اهل الكتاب فى هذه العبادة
وذلك يحصل باحد الامرين اما بنقل العاشر الى التاسع واما بصيامهما معا والله اعلم
وفى البخاري من حديث ابى موسى قال كان يوم عاشورا تعده اليهودي عيدا قال النبى صلعم
تصوموه انتم وهذا ظاهره ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود وحتى
حتى يصام ما يفطرون فيه لان يوم العيد لا يصام وحديث ابن عباس يدل على ان
الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى
لكن لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم بانه عيد انهم كانوا لا يصومونه فلعله
كان من جملة تعظيمهم فى شرعهم ان يصوموه وقد ورد ذلك صريحا فى حديث مسلم
كان اهل خيبر يصومون يوم عاشورا يتخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه حليهم
وشارتهم وهو بالشين المعجمة اى هيئتهم الحسنة ومحصل ما ورد فى صيامه صلعم
عاشوراء اربعة احوال اولها انه كان يصومه بمكة ولا يامر الناس بصيامه كما تقدم
وفى حديث عايشة عند الشيخين وغيرهما كان عاشورا يوما تصومه قريش فى الجاهلية
وكان عاشورا له صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه الحديث

الثانية

الثانية انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ورأى صيام اهل الكتاب له وتعظيمهم
له وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وامر الناس بصيامه واكد الامر بصيامه
والحث عليه حتى كانوا يصومونه اطفالهم كما تقدم فى حديث ابن عباس عند الشيخين
وغيرهما الثالثة انه لما فرض صيام شهر رمضان ترك صلى الله عليه وسلم صيامه و
قال ان عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ويشهد له حديث
عايشة السابق الحالة الرابعة انه صلى الله عليه وسلم عزم فى اخر عمره ان لا يصومه مفردا
بل يضم اليه يوما اخر مخالفة لاهل الكتاب فى صيامه كما قدمناه وقد روي من حديث
ابى قتادة مرفوعا ان صوم عاشورا يكفر سنة واما صيام يوم عرفة يكفر سنتين
وظاهره ان صيام يوم عرفة افضل من صيام يوم عاشورا وقد قيل الحكمة فى
ذلك ان عاشوراء منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبى صلى الله عليه وسلم
فلذلك كان افضل والله اعلم واما ما روى من وسع على عياله فى يوم عاشوراء
وسع الله عليه السنة كلها رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب وفى فضائل الاوقات
وابو الشيخ عن ابن مسعود والاولان فقط عن ابى سعيد والثانى فقط فى الشعب
عن جابر وابى هريرة وقال ان اسانيده كلها ضعيفة ولكن اذا ضم بعضها الى بعض
افاد قوة بل قال العراقى فى اماليه لحديث ابى هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ واورده
ابن الجوزي فى الموضوعات من طريق سليمان ذكره ابن حبان فى الثقات فالحديث حسن على
رايه قال وله طريق عن جابر على شرط مسلم اخرجها ابن عبد البر فى الاستذكار من رواية

ابي الزبير عنه وهو اصح طرقه ورواه هو والدارقطني في الافراد بسند جيد
عن عمر موقوفا عليه والبيهقي في الشعب من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال
وذكره **الفصل الثالث** في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان عن عايشه رض
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان
وما رايته في شهر اكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري ومسلم وفي اخرى لهما
لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية الترمذي
كان يصومه الا قليلا بل كان يصومه كله وفي رواية ابي داود كان احب الشهور الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصومه شعبان ثم يصله برمضان وللنسايي
كان يصوم شعبان وفي اخرى له كان يصوم شعبان الا قليلا وفي اخرى له ايضا
كان يصوم شعبان كله قال الحافظ بن حجر اي يصوم معظمه ونقل الترمذي عن ابن
المبارك انه قال جايز في كلام العرب اذا صام اكثر الشهر ان يقول صام الشهر كله ويقال
قام فلان ليلته اجمع ولعله قد تعشى واشتغل ببعض امره قال الترمذي كان ابن المبارك
جمع بين الحديثين بذلك وحاصله ان الرواية الاولى مفسرة للثانية ومخصصة لها
وان المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبي وقال يحمل على انه كان
يصوم شعبان كله تارة ويصوم معظمه اخرى ليلا يتوهم انه واجب كله كرمضان وقال ابن
المنير اما ان يحمل قول عايشة على المبالغة والمراد الاكثر واما ان يجمع بان قولها الثاني متاخر
عن قولها الاول فاخبرت عن اول امره انه كان يصوم اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن اخر امره

انه

انه كان يصوم اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن اخر امره انه كان يصوم كله انتهى ولا
يخفى تكلفه والاول هو الصواب واختلف في الحكمة في اكثاره صلى الله عم من صوم
شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام ثلاثة ايام من كل شهر لسفر او غيره فيجتمع فيقضيها
في شعبان اشار الى ذلك ابن بطال وفيه حديث ضعيف اخرجه الطبراني في الاوسط
من طريق ابن ابي ليلى عن اخيه عيسى عن ابيه عن عايشة كان رسول الله عم يصوم ثلاثة
ايام من كل شهر فربما اخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وابن ابي
ليلى ضعيف وقيل كان يصنع الحديث **وقيل** كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان
وورد فيه حديث اخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت عن انس
قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم اي الصوم افضل بعد رمضان قال شعبان
لتعظيم رمضان قال الترمذي حديث غريب وصدقة عندهم ليس بذلك
القوي لكن يعارضه ما رواه مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا افضل الصوم بعد رمضان
صوم المحرم والاولى في ذلك ما جاء في اصح مما مضى اخرجه النسايي وابو داود و
صححه ابن خزيمة عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم ارك تصوم شهرا من الشهور
ما تصوم في شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر
ترفع فيه الاعمال الى رب فاحب ان يرفع عملي وانا صايم فبين صلى الله عليه وسلم
وجه صيامه لشعبان دون غيره من الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين
رجب ورمضان يشير الى انه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام

بها الايام التسعة من اول ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امراته عن بعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع
ذي الحجة رواه ابو داود وعن عايشة قالت ما رايت رسول الله ع م صايما في
العشر قط رواه مسلم وهذا يوهم كراهة صوم العشر وليس فيها كراهة بل هي
مستحبة استحبابا شديدا لا سيما يوم التاسع منها وهو يوم عرفة وقد ثبت
في صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل الصالح فيها افضل منه في
هذه يعني العشر الاول من الحجة واستدل به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج
الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد واجيب بانه محمول على الغالب
والله اعلم وتاول قولها يعني عايشة لم يصم العشر انه لم يصمه لعارض من مرض او
سفر او غيرهما او انها لم تره صايما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس
الامر ويدل عليه حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته قال الحافظ بن حجر وقد
وقع في رواية القاسم بن ابي ايوب ما من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من خير
يعمله في عشر الاضحى وفي حديث جابر في صحيحي ابي عوانة وابن حبان ما من ايام افضل
عند الله من ايام عشر ذي الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر الحجة على غيرها من ايام
السنة وتظهر فايدة ذلك فمن نذر الصيام او علق عملا من الاعمال بافضل الايام
فلو افرد يوما منها تعين يوم عرفة لانه على الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد
افضل ايام الاسبوع تعين يوم الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث

ابي

ابي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة رواه مسلم اشار الى ذلك
كله النووي في شرحه وقال الداودي لم يرد عليه السلام ان هذه الايام خير
من يوم الجمعة لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعني فيلزم تفضيل الشي على نفسه
وتعقب بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره من ايام السنة سواء كان
يوم الجمعة ام لا ويوم الجمعة فيه افضل من يوم الجمعة في غيره لاجتماع الفضيلتين
فيه والذي يظهر ان السبب في امتياز عشر ذي الحجة امكان اجتماع امهات العبادة
فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتاتى ذلك في غيرها وعلى
هذا هل يختص الفضل بالحاج او يعم المقيم فيه احتمال انتهى وقال ابو امامة ابن
النقاش فان قلت ايما افضل عشر ذي الحجة او العشر الاواخر من رمضان الجواب
ان ايام عشر الحجة افضل لاشتمالها على اليوم الذي ما رى الشيطان في يوم
غير يوم بدر ادحر ولا اغيظ ولا احقر منه وهو يوم عرفة ولكونه يكفر
صيامه سنتين ولاشتماله على اعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر
الذي سماه الله تعالى يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان الاخير افضل لاشتمالها
على ليلة هي خير من الف شهر ومن تامل هذا الجواب وجده كافيا شافيا اشار اليها
الفاضل المفضل في قوله ما من ايام العمل فيه احب الى الله من عشر ذي الحجة
الحديث فتامل قوله ما من ايام دون ان يقول ما من عشر ونحوه ومن
اجاب بغير هذا التفضيل لم يدل بحجة صحيحة قط الفصل الخامس في صومه

الاسبوع عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام الاثنين
والخميس رواه الترمذي والنساى وعن قتادة قال سيل رسول الله صلى الله
عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي رواه مسلم وعن
ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين
والخميس فاحب ان يعرض عملى وانا صايم رواه الترمذي وعن اسامة بن زيد
قلنا يا رسول الله انك تصوم حتى تكاد تفطر وتفطر حتى تكاد تصوم الا يومين
ان دخلا فى صيامك ولا صمتهما قال اي يومين قلت يوم الاثنين والخميس
قال ذلك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فاحب ان تعرض عملي
وانا صايم رواه النساى وروي علي بن ابى طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال يكتب كلما تكلم به من خير وشر حتى
انه ليكتب قوله اكلت وشربت وذهبت وجيت ورايت حتى اذا كان يوم الخميس
عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير او شر والقى سايره وهذا عرض
خاص في هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دايم بكرة
وعشيا ويدل على ذلك ما في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له
ان ينام يخفض ويرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل الحديث
وعن ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلثة ايام الاثنين و

والخميس

الجزء

والخميس من هذه الجمعة والاثنين من المقبلة وفي رواية اول اثنين من الشهر ثم الخميس
ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي وعن عايشة كان يصوم من الشهر السبت والاحد
والاثنين ومن الشهر الاخر الثلثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذي وعن
كريب مولى ابن عباس قال ارسلني ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
الى ام سلمة اسالها اى الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت
السبت والاحد ويقول انهما عيد المشركين وانا احب ان اخالفهم رواه احمد
والنساى وفيه محمد بن عمر ولا يعرف حاله ويرويه عنه ابنه عبد الله بن محمد بن
عمر ولا يعرف حاله ايضا وعن عبد الله بن بسر عن اخته الصما ان رسول الله عم
قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فانه لم يجد احدكم الا لحاء عنبة
او عود شجرة فليمضغه رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة والدارمي
قال بعضهم لا تعارض بينه وبين حديث ام سلمة فان النهي عن صومه انما هو عن افراده
وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت بالصوم وحديث
صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظير هذا انه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم
الا ان يصوم يوما قبله ويوما بعده وقال النووي واما قول مالك في الموطا لم
اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن يقتدي به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه
حسن فقد رايت بعض اهل العلم يصومه واراه كان يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي
راه وقد راي غيره خلاف ما راي هو والسنة مقدمة على ما راه هو وغيره و

قد ثبت النهي عن صوم يوم معين فتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه قال
الداودي من اصحاب مالك لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا و
استحباب الفطر يوم الجمعة ليكون اعون له على وظايف العبادات المشروعة في
الجمعة وادايها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سامة كالحاج
بعرفة فان قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله او بعده
لبقاء المعنى فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله او بعده ما يجبر
من فتور او تقصير في وظايف يوم الجمعة لسبب صومه والله اعلم **الفصل السادس**
في صوم الايام البيض وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى اخره
وهي ثلث عشرة واربع عشرة وخمس عشرة وليس في الشهر يوم ابيض كله الا هذه
الايام لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف
واليوم الكامل هو النهار بليلته وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام
البيض فجعل البيض صفة فقد اخطا والله اعلم وعن ابن عباس قال كان رسول الله
لا يفطر ايام البيض في حضر وسفر رواه النسايي وعن حفصة اربع لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشورا والعشر وايام البيض من
كل شهر وركعتي الفجر وعن معاذة العدوية انها سالت عايشة اكان رسول الله صلى
يصوم من كل شهر ثلثة ايام قالت نعم فقلت لها من اي ايام الشهر كان يصوم قالت
لم يكن يبالي من اي ايام الشهر يصوم رواه مسلم قال بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم

لم يواظب على ثلثة معينة ليلا يظن تعيينها قال وقد جعل الله تعالى صيام هذه الثلثة
الايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر امثالها وقد روى اصحاب
السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصوم ثلثة ايام من غرة كل شهر وقد تحصل ان صيامه صلى الله عليه وسلم
في الشهر على اوجه الاول انه كان يصوم اول اثنين من الشهر ثم الخميس الذي يليه رواه
النسايي الثاني كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر الثلثا
والاربعاء والخميس رواه الترمذي الثالث ايام البيض ثالث عشر ورابع عشر
وخامس عشر الرابع انه كان يصوم ثلثة غير معينة كما روته معاذة عن عايشة
عند مسلم الخامس انه كان يصوم ثلثة من اول الشهر واختاره جماعة منهم الحسن
وهو ما رواه اصحاب السنن من حديث ابن مسعود قال القاضي عياض واختار
صوم ثلثة ايام من اخر الشهر ليكون كفارة لما مضى واختار اخرون اول يوم
من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك بن انس وقال ابن شعبان من
المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي والعشرون ونقل ذلك
عن ابي الدرداء وهو موافق لما رواه النسايي من حديث عبد الله بن عمرو
صم من كل عشرة ايام يوما وحكى الاسنوي عن الماوردي انه يستحب ايضا
صوم الايام السود وهي السابع والعشرون واليومان بعده وتترجح البيض بكونها
وسط الشهر ووسط الشيء اعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد وقع الامر به

العبادة اذا وقع فاذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض دايمًا
فيتهيا له ان يجمع بين انواع العبادات من الصيام والصلوة والصدقة بخلاف
من لم يصمها فانه لم يتهيا له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلث
في اول الشهر لان المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم **النوع الخامس في**
ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه
ليلة القدر اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم وفي الشرع
المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف
القلب على الله وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير
انسه بالله بدلا عن انسه بالخلق ليكون ذلك انسه يوم الوحشة في القبر حين لا انس
وليس بواجب اجماعا الا على من نذره وكذا من شرع فيه فقطعه عامدًا عند
قوم واختلف في اشتراط الصوم له ومذهب الشافعي انه ليس بشرط لصحة
الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر **وقال** مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط
الصوم فلا يصح اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم
في العشر الاول من شوال رواه البخاري ومسلم وبحديث عمر انه قال يا رسول الله
اني نذرت ان اعتكف ليلة فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم والليل
ليس محلا للصوم فدل على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف واتفق العلما على مشروطية
المسجد للاعتكاف الا محمد بن عمر بن لبابة المالكي فاجازه في كل مكان واجاز الحنفية

للمراة ان تعتكف في مسجد بيتها وهو المكان المعد للصلوة فيه وفيه قول قديم
للشافعي وذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمساجد التي تقام الصلوات
وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما النفل ففي كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة
فاستحبه له الشافعي في الجامع وشرطه مالك لان الاعتكاف عنده ينقطع بالجمعة
ويجب بالشروع عند مالك وخصه طايفة من السلف كالزهري بالجامع مطلقا
واوما اليه الشافعي في القديم وخصه حذيفة بن اليمان بالمساجد الثلاثة
وعطاء بمسجدي مكة والمدينة وابن المسيب بمسجد المدينة واتفقوا على انه لا حد
لاكثره واختلفوا في اقله فمن فيه الصيام قال اقله يوم ومنهم من قال يصح مع
شرط الصيام في دون اليوم حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة ايام و
عنه يوم او يومان ومن لم يشترط الصوم قالوا اقله ما يطلق عليه اسم لبث
ولا يشترط القعود واتفقوا على فساده بالجماع **وقد كان** سيدنا رسول الله صلعم
يعتكف العشر الاواخر من رمضان رواه البخاري ومسلم من حديث وعن ابي
هريرة كان صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل عام عشرًا فاعتكف عشرين في العام
الذي قبض فيه رواه البخاري **وعن** ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم اعتكف
العشر الاول من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم اطلع راسه
فقال اني اعتكفت العشر الاول التمس هذه الليلة يعني ليلة القدر ثم اعتكفت العشر
الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف

العشر الاواخر فقد اريت هذه الليلة ثم نسيتها وقد رايتني اسجد في ماء وطين
من صبحتها فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال فمطرت السماء
تلك الليلة وكان المسجد عريش فوكف المسجد فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبحة احدى وعشرين رواه الشيخان وفي حديث
عبادة بن الصامت انه صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحا فلان
وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة
رواه البخاري ولمسلم من حديث عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم قال اريت
ليلة القدر ثم انسيتها واراني في صبحتها اسجد في ماء وطين قال فمطرت ليلة ثلث
وعشرين فصلى بنا وان اثر الماء والطين في جبهته وانفه وفي سنن ابي داود عن
ابن مسعود مرفوعا اطلبوها ليلة سبع عشرة وخرج الطبراني مرفوعا من حديث ابي
هريرة التمسوا ليلة القدر في ليلة سبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين
او ثلث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين وقد اختلف
العلماء في ليلة القدر اختلافا كثيرا وافردها بعضهم بالتاليف وجمع الحافظ
ابو الفضل بن حجر من كلام العلماء في ذلك اكثر من اربعين قولا كساعة الجمعة
ومذهب الشافعي انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي فيما حكاه عنه الاسنوي
وعن المحاملي انها تلتمس في جميع الشهر وتبعه عليه الشيخ ابو اسحاق في التنبيه
فقال تطلب ليلة القدر في جميع شهر رمضان ثم الغزالي في كتبه وتردد صاحب

التقريب في جواز كونها في النصف الاخير كذا نقله عنه الامام وضعفه وحكاه
ابن الملقن في شرح العمدة وفي المفهم للقرطبي حكاية قول انها ليلة النصف من
شعبان ودليل الاول حديث ابي سعيد الذي قدمناه قال النووي وميل الشافعي
الى انها ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين اما الحادي والعشرون
فلقوله عليه السلام في حديث ابي سعيد فقد رايت في هذه الليلة وقد رايتني
اسجد في ماء وطين من صبحتها وفيه فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبحة احدى وعشرين واما الثالث والعشرون
فلحديث عبد الله بن انيس المتقدم ايضا وجزم جماعة من الشافعية بانها ليلة
الحادي والعشرين ولكن قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم على
حنث من علق يوم العشرين عتق عبده ليلة القدر انه لا يعتق تلك الليلة بانقضاء
الشهر على الصحيح بناء على انها في العشر الاخير وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل
في كل سنة الى ليلة من ليالي العشر وحاصله قولان ووجه واختار النووي
في الفتاوي وشرح المهذب راي ابن خزيمة وجزم ابن حبيب من المالكية ونقله
الجمهور وحكاه صاحب العدة من الشافعية ورجحه ان ليلة القدر خاصة بهذه
الامة ولم تكن في الامم قبلهم وهو معترض بحديث ابي ذر عند النساي حيث
قال فيه قلت يا رسول الله اتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية
وعمدتهم قول مالك في الموطا بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار

امته عن اعمار الماضية فاعطاه الله ليلة القدر وهذا محتمل للتاويل فلا يدفع
الصريح في حديث ابي ذر كما قاله الحافظان ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح الباري
قال وقد ظهر لليلة القدر علامات منها في صحيح مسلم عن ابي بن كعب ان الشمس
تطلع من صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعا ليلة
القدر لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة ولاحمد من
حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها صافية كان فيها قمرا ساطعة ساكنة
ضاحية لا حر فيها ولا برد ولا يحل لكوكب يرمي به فيها وان من امارتها ان الشمس
في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان ان يخرج معها
حينئذ وروى البيهقي في فضايل الاوقات ان المياه المالحة تعذب في تلك الساعة
وقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره
رواه مسلم من حديث عايشة وفي البخاري عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر
شد ميزره واحيا ليله وايقظ اهله وجزم عبد الرزاق بان شد ميزره هو اعتزال
النسا وحكاه عن الثوري وقال الخطابي يحتمل ان يراد به الجد في العبادة كما يقال
شددت لهذا الامر ميزري اي تشمرت له ويحتمل ان يراد به التشمير والاعتزال
معا ويحتمل ان يراد به الحقيقة والمجاز فيكون المراد شد ميزره حقيقة فلم يحله و
اعتزل النساء والتشمر للعبادة وقوله واحيا ليله اي سهره فاحياه بالطاعة او احيا نفسه
بسهره فيه لان النوم اخو الموت فاضاف الى الليل اتساعا لان النايم اذا حيي باليقظة

حيي ليلة بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تناموا فتكونوا كالاموات
فتكون بيوتكم كالقبور فقد كان عليه السلام يخص العشر الاخير اعمال لا
يعملها في بقية الشهر فمنها احياء الليل فيحتمل ان المراد احياء الليل كله ويشهد له حديث
عايشة من وجه ضعيف واحيا الليل كله وفي المستدرك عنها ايضا قالت كان عليه السلام
يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد الميزر وفي حديث ضعيف
عن انس عند ابي نعيم كان عليه السلام اذا دخل شهر رمضان قام ونام فاذا كان اربعا
وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان يريد باحياء الليل احياء غالبه وقد قال الشافعي
في القديم من شهد العشاء والصبح في جماعة ليلة القدر فقد اخذ بحظه منها وروي
في حديث مرفوع عن ابي هريرة من صلى العشاء الاخرة في جماعة في رمضان فقد ادرك
ليلة القدر رواه ابو الشيخ ومنها انه كان يوقظ اهله للصلوة في ليالي العشر دون
غيره من الليالي ومنها تاخير الفطور الى السحور ففي حديث انس وعايشة انه عليه السلام كان
في ليالي العشر يجعل عشاه سحورا ولفظ حديث عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا كان
رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد الميزر واجتنب النسا واغتسل بين الاذانين
وجعل العشاء سحورا اخرجه ابن ابي عاصم ولفظ حديث انس كان اذا دخل العشر الاخر
من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاه والسناد الاول مقارب
والثاني فيه حفص بن عباب وقال فيه ابن عدي انه من انكر ما لقيت له لكن يشهد
له حديث الوصال المخرج في الصحيح كما قدمته ومنها اغتساله عليه السلام بين العشا

المغرب والعشاء روي من حديث علي وفي اسناده ضعف النوع السادس
في ذكر حجه وعمره عم اعلم ان الحج حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحة الجود
ومشاهدة لذلك المشهد العلي الرحماني والمام بمعهد العهد الرباني ولا يخفى
ان نفس الكون بتلك الاماكن شرف وعلو وان التردد في تلك المواطن فخار وسمو
فان المحال المحترمة لم تزل تفرع على الحال فيها من سجال وصفها بفيض عام وحسبك
في هذا ما يحكى في ابيات عن مجنون بني عامر

رأى المجنون في البيداء كلبا ۔ فجر عليه للاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ۔ وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني ۔ رأته مرة في حي ليلى

فينبغي للعبد ان يهتم بامر الحج ويبادر اليه وينهض فاتر عزمه انهاضا ويحثه
عليه ولا يتوانا في عشل در ان سنيات العمر يصابون المغفرة ولا يتكاسل
عن البدار فيعرضه للفوات بركوب عمياء الخاطرة وروي ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قال اراد الحج فليتعجل رواه ابو داود في حديث علي بن ابي طالب عنه عم من ملك
راحلة وزادا يبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا
الحديث رواه الترمذي خطب عليه السلام فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم
الحج فحجوا رواه مسلم والنسائي من حديث ابي هريرة وفي رواية النسائي من حديث
ابن عباس مرفوعا ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس التميمي كل عام يا رسول الله

فقال

فقال لو قلت نعم لوجب الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة وقد
اجمعوا على انه لا يتكرر الا لعارض كالنذر واختلفوا هل هو على الفور والتراخي
فقال الشافعي وابو يوسف وطائفة هو على التراخي الى ان انتهى الى حال تظن فواته
لو اخره عنها وقال مالك وابو حنيفة واخرون هو على الفور واختلفوا ايضا
في وقت ابتداء فرضه فقيل قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف في سنته
فالجمهور على انها سنة ست لانه نزل فيها واتموا الحج والعمرة لله وهذا ينبني على
ان المراد بالاتمام ابتداء الفرض ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وابراهيم
النخعي بلفظ واقيموا رواه الطبري باسانيد صحيحة عنهم وقيل المراد بالاتمام
الاكمال بعد الشروع وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع في قصة
ضمام ذكر الامر بالحج وكان قدومه على ما ذكر الواقدي سنة خمس وهذا يدل
ان ثبت على تقدمه على سنة خمس او وقوعه فيها وقالت طائفة باخر نزول
فرضه الى التاسعة والعاشرة واحتجوا بان صدر سورة ال عمران نزل عام الوفود
وفيه قدم وفد نجران على رسول الله عم وصالحهم على اداء الجزية والجزية
نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة ال عمران وناظر اهل الكتاب
ودعاهم الى التوحيد ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا في انفسهم بما فاتهم
من التجارة من المشركين لما انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس الاية فاعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الاية والمناداة بها

انما كان في سنة تسع وبعث الصديق يؤذن بذلك في مكة في موسم الحج واردفه
بعلي في الترمذي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلث حجج حجتين
قبل ان يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة فساق ثلثا وستين بدنة ثم جاء علي
من اليمن ببقيتها فيها جمل في انفه برة من فضة فنحرها الحديث وعن ابن عباس
حج صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر ثلث حجج اخرجه الحاكم وابن ماجة وهو مبني
على عدد وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك
وقد اخرج الحاكم بسند صحيح الى الثوري ان النبي عم حج قبل ان يهاجر حججا وقال ابن
الجوزي حج حججا لا يعلم عددها وقال ابن الاثير كان عليه السلام يحج كل سنة
قبل ان يهاجر وقال جابر في حديثه الطويل كما في رواية مسلم مكث صلى الله
تسع سنين لم يحج ثم اذن في العاشرة ان رسول الله حاج فقدم المدينة بشر كثير
كلهم يلتمس ان يأتم برسول الله عم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى اتينا
ذا الحليفة فولدت اسماء بنت عميس محمد بن ابي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله
كيف اصنع قال اغتسلي واستثفري بثوب واحرمي فصلى رسول الله صلى الله عم
في المسجد ثم ركب القصواء حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري
بين يديه من راكب وماش عن يمينه مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله عم
بين اظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به وفي
رواية عند النسائي قال جابر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين

من ذي القعدة وخرجنا معه حتى اذا اتى ذا الحليفة الحديث وكان خروجه
عليه السلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر
ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر وكان نساؤه كلهن
معه فطاف عليهن تلك الليلة ثم اغتسل غسلا ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع
الاول وفي الترمذي عن خارجة بن زيد عن ابيه تجرد رسول الله عم لاهلاله
واغتسل وفي الصحيحين ان عائشة طيبته بذريرة وفي رواية قالت كاني انظر
الى وبيص الطيب في مفارقه عليه السلام وهو محرم وفي رواية قالت طيبته عند
احرامه ثم طاف في نسائه ثم اصبح محرما زاد في رواية ينضح طيبا وفي رواية طيبته
طيبا لا يشبه طيبكم تعني ليس له بقاء وهذا يدل على استحباب التطيب عند ارادة
الاحرام ولا يضر بقاء لونه ورائحته وانما يحرم في الاحرام ابتداؤه وهذا مذهب
الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف واحمد بن حنبل وحكاه الخطابي عن اكثر الصحابة
وحكاه النووي عن جمهور العلماء من السلف والخلف وذهب مالك الى منع التطيب
قبل الاحرام بما يبقى رائحته بعده لكنه قال ان فعل فقد اساء ولا فدية عليه وعن
عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحرم غسل راسه بخطمي
واشنان رواه الدارقطني وفي حديث انس عند ابي داود والترمذي انه عم
صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيداء اهل وفي رواية ابن عمر عند
البخاري ومسلم وغيرهما ما اهل الا من عند المسجد يعني مسجد ذي الحليفة

ركعتيه او جبه في مجلس فاهل بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع ذلك منه اقوام فحفظته
عنه ثم ركب فلما استقلت به ناقته اهل وادرك ذلك منه اقوام وذلك ان الناس
انما كانوا يأتون اليه ارسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل فقالوا انما اهل رسول الله
حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علا على شرف
البيدا اهل وادرك ذلك منه اقوام فقالوا انما اهل حين علا على شرف البيدا وايم الله
لقد اوجب في مصلاه واهل حين استقلت به ناقته واهل حين علا على شرف البيدا
قال سعيد بن جبير فمن اخذ بقول عبد الله بن عباس اهل في مصلاه اذا فرغ من ركعتيه
وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من مذهب الشافعي ان الافضل ان يحرم اذا انبعث
به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى للاحرام ركعتين
غير فرض الظهر انتهى قلت ثبت في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان
يركع بذي الحليفة ركعتين ثم اذا استوت به الناقة قايمة عند مسجد ذي الحليفة
قال النووي فيه استحباب صلوة ركعتين عند ارادة الاحرام ويصليهما قبل
الاحرام ويكونان نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه القاضي
وغيره عن الحسن البصري انه يستحب كونهما بعد صلاة فرض قال لانه روي ان هاتين
الركعتين كانتا صلوة الصبح والصواب ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث وقد
اختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كان مفردا
او قارنا او متمتعا وروي كل منهما في البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس

في ذلك

في ذلك على ستة اقوال احدها انه حج مفردا لم يعتمر معه الثاني حج متمتعا تمتعا حل
منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله القاضي ابو يعلى وغيره الثالث انه حج متمتعا تمتعا لم يحل
لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا الرابع انه حج قارنا طاف له طوافين وسعى له سعيين
الخامس انه حج مفردا اعتمر بعده من التنعيم السادس انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا
بالحج والعمرة ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وساق الهدي
واختلفوا ايضا احرامه على ستة اقوال احدها انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها
الثاني انه لبى بالحج وحده واستمر عليه الثالث انه لبى بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة
الرابع انه لبى بالعمرة وحدها وادخل عليه الحج الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين
فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه السادس لبى بالحج والعمرة معا وقد اطنب ابو جعفر
الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه في زيادة على الف ورقة كما ذكره
جماعة من العلماء وبينه ابن حزم في حجة الوداع بيانا شافيا ومهد المحب الطبري
تمهيدا بالغا واشار اليه القاضي عياض والنووي في شرحهما لمسلم ونقحه الحافظ
ابن حجر مستوفيا الكثير من مباحثه استيفاء كافيا والذي ذهب اليه الشافعي
في جماعة انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا لم يعتمر معه واحتج بما في الصحيحين
ان عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من
اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول الله صلى الله
بالحج فهذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم عنها انه صلى الله ع م

اهل بالحج وحده ولمسلم ايضا عن ابن عباس اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابن
ماجة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج وعن ابن عمر انه صلى الله عم
افرد الحج رواه البخاري قالوا وهو لاء لهم قرب في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو
احسن الصحابة سيا قا لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله
من المدينة الى اخرها فهو اضبطها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذ بخطام
ناقته صلى الله عم في حجة الوداع وانكر على من رجح قول انس على قوله وقال كان انس
يدخل على النساء وهن مكشفات الروس واني كنت تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني
لعابها اسمعه يلبي بالحج واما عايشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف
وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره وفعله في خلواته وعلانيته مع كثرة فهمها وعظم
فطنتها واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع كثرة
بحثه وتحفظه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره واخذه اياها
من كبار الصحابة واحتجوا ايضا بان الخلفاء الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الائمة
الاعلام وقادة الاسلام والمقتدي بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك
الافضل بانه لم ينقل عن احد منهم كراهة الافراد وقد نقل منهم كراهة التمتع
والجمع بينهما حتى فعله علي رضي الله عنه لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع
بخلاف التمتع والقران وذهب النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان
قارنا قال ويويده انه صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك

ان

ان القران افضل من الافراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا ولم ينقل احد ان الحج وحده
افضل من القران انتهى وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو لم يعتمر
في تلك السنة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر ويترجح رواية من روى القران بامور
منها ان معه زيادة علم على من روى الافراد والتمتع اختلف عليه باين فاشهر
من روى عنه الافراد عايشة وقد ثبت عنها انه اعتمر مع حجته وابن عمر قد ثبت
عنه انه صلى الله عليه وسلم بدا بالعمرة ثم اهل بالحج وجابر وقد روي انه اعتمر مع
حجته ايضا وبان القران رواه عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة لم يختلف
عليهم فيه وبانه لم يقع في شي من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال افردت
ولم تمتعت بل صح عنه انه قال لولا ان معي الهدي لاحللت وايضا فان من روى
القران لا يحتمل حديثه التاويل الا بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول
على اول الحال وينتفي التعارض ويويده ان من جاء عنه الافراد جاء عنه صورة
القران فانه محمول على سفر واحد للنسكين ويويده ان من جاء عنه التمتع لما وصفه
بصورة القران لانهم اتفقوا على انه لم يحل من عمرته حتى تم جميع الحج وهذه احدى
صور القران وايضا فان رواية القران جات عن بضعة عشر صحابيا انتهى وعدهم
ابن القيم سبعة عشر عايشة ام المومنين وعبد الله بن عباس وعمر ابن الخطاب
وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان باقراره لعلي وعمران بن الحصين والبرا
بن عازب وحفصة ام المومنين وابو قتادة وابن ابي اوفى وابو طلحة و

والهرماس بن زياد وام سلمة وانس بن مالك وسعد بن ابي وقاص وجابر وابن عمر قال
فهولاء سبعة عشر صحابيا منهم من روي فعله ومنهم من روي لفظه احرامه
ومنهم من روي خبره عن نفسه ومنهم من روي امره به فان قيل كيف يجعلون
منهم ابن عمر وجابرا وعايشة وابن عباس وعايشة تقول اهل رسول الله صلى الله
بالحج وفي لفظ افرد الحج والاول في الصحيحين والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول
لبى بالحج وحده ذكره البخاري وهذا ابن عباس يقول اهل بالحج رواه مسلم وهذا جابر يقول
افرد الحج رواه ابن ماجة قيل ان كانت الاحاديث عن هولاء تعارضت وتساقطت فان
احاديث الباقين لم تتعارض فهب ان احاديث ما ذكرتم لا حجة فيها على القران ولا
على الافراد فما الموجب للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها وصحتها فكيف
واحاديثهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها انتهى وهذا وهذا يقتضي
رفع الشك عن ذلك والمصير الى انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ومقتضى ذلك
ان يكون القران افضل من الافراد والتمتع وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين
وبه قال ابو حنيفة واسحاق بن راهويه واختاره من الشافعية المزني وابن المنذر
وابو اسحاق المروزي ومن المتاخرين الشيخ تقي الدين السبكي وبحث مع النووي في
اختياره انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا وان الافراد مع ذلك افضل مستندا الى انه
صلى الله عليه وسلم اختار الافراد اولا ثم ادخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في اشهر
الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من افجر الفجور وتعقب بان البيان قد سبق منه صلى الله عليه وسلم

في عمره الثلاث فانه احرم بكل منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت
فيها وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ولو كان اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز
فقط مع ان الافضل خلافه لاكتفى في ذلك بامره اصحابه ان يفسخوا حجهم الى العمرة
انتهى ومذهب الشافعي ومالك وكثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران
وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان التمتع افضل وهو مذهب
احمد لكونه صلى الله عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت الهدي لاحللت ولا يتمنى الا
الافضل واجيب بانه انما تمناه تطييبا لقلوب اصحابه لحزنهم على فوات موافقته والا
فالافضل ما اختاره الله تعالى له واستمر عليه صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة واستمر
عليها وحجتهم حديث ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وقال ابن شهاب عن عروة ان عايشة اخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم
في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن ابي
وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه واجيب
بان التمتع عندهم يتناول القران ويدل له ما في الصحيحين عند سعيد بن المسيب
اجتمع علي وعثمان فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال علي ما تريد الى امر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا استطيع ان ادعك فلما راى علي ذلك
اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم وان هذا هو الذي

فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على انه صلى الله عليه وسلم فعله
لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا ام لا فقد اتفق علي وعثمان على انه
عليه السلام تمتع وان المراد بالتمتع عندهم القران وايضا فانه عليه السلام قد تمتع
تمتع قران باعتبار ترفهه بترك احد السفرين انتهى وفي فتح الباري عن احمد من ساق
الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومن لم يسق الهدي فالتمتع
له افضل ليوافق ما تمناه وامر به اصحابه انتهى واما من قال انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا
ثم اعتمر عقيبه من التنعيم وغيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة ولا التابعين
ولا الائمة الاربعة ولا احد من اهل الحديث قاله ابن تيمية واما من قال
انه حج متمتعا حل فيه من احرامه يوم التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث
معاوية انه صلى الله عليه وسلم قصر عن راسه بمشقص على المروة وحديثه
في الصحيحين ولا يمكن ان يكون هذا في غير حجة الوداع لان معاوية اسلم بعد الفتح
والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن زمن الفتح محرما ولا يمكن ان يكون في عمرة الجعرانة
لوجهين احدهما انه في بعض الفاظ الصحيح وذلك في حجته الثاني ان في رواية
النسائي باسناد صحيح وذلك في ايام العشر وهذا انما كان في حجته وهذا مما انكر
الناس على معاوية وغلطوه فيه واصابه فيه ما اصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر
في رجب كما سياتي وساير الاحاديث الصحيحة كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم
لم يحل عن احرامه الى يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدي

لاحللت

الجزء

لاحللت وقوله اني سقت الهدي وقرنت فلا احل حتى انحر وهذا خبر عن نفسه
لا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه قاله في زاد المعاد واما
اختلاف الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج او العمرة
او القران والجمع بينهما فكل تاول بما يناسب مذهبه الذي قدمته قال البغوي
والذي ذكره الشافعي في كتاب الاختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان
ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر بها واذن
فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما
يقال بنا فلان دارا ويريد امر ببنايها وكما روي انه عليه الصلاة والسلام رجم
ماعزا وانما امر برجمه ثم احتج بانه كان عليه السلام افرد الحج انتهى وقال الخطابي
نحوه وقال النووي كان صلى الله عليه وسلم اولا مفردا ثم احرم بالعمرة بعد ذلك و
ادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى الافراد فهو الافضل يعني حمله على ما اهل
به في اول الحال ومن روى القران اراد ما استقر عليه امره ومن روى التمتع اراد
به التمتع اللغوي والارتفاق فقد ارتفق بالقران لارتفاق التمتع وزيادة
وهو الاقتصار على فعل واحد وقال غيره اراد بالتمتع ما امر به غيره قالوا وبهذا
الجمع ينتظم الاحاديث كلها ويزول عنها الاضطراب والتناقض وقالت
طايفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا واحتجوا باحاديث صحيحة صريحة

تزيد على العشرين منها حديث انس في صحيح مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل بهما لبيك عمرة وحجا رواه عن انس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون
عن انس ان لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كان اهلالا بالحج وعمرة معا واما من قال انه صلى الله عليه وسلم اهل بالعمرة
وادخل عليها الحج فحجته ما في البخاري من حديث ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدا صلى الله
فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وقد تقدم في الاحاديث الكثيرة الصريحة انه صلى الله
بدا بالاهلال بالحج ثم ادخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل في هذا الحديث
قوله بدا بالاهلال فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج واجيب عنه بان المراد به صورة الاهلال
اي لما ادخل العمرة على الحج لبى بهما فقال لبيك بعمرة وحجا معا ومذهب الشافعي
انه لو ادخل الحج على العمرة قبل الطواف صح وصار قارنا فلو احرم بالحج ثم ادخل
عليه العمرة ففيه قولان للشافعي اصحهما لا يصح احرامه بالعمرة لان الحج اقوى
منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوي انتهى
وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته
فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين رواه مسلم
وابو داود وفي رواية الترمذي قلد نعلين واشعر الهدي في الشق الايمن
بذي الحليفة واماط عنه الدم وفي رواية لابي داود بمعناه وقال ثم سلت
الدم بيده وفي اخرى باصبعه وعند النسائي اشعر بدنه من الجانب الايمن وسلت

الدم

الدم عنها وقلدها وفي اخرى امر ببدنه فاشعر في سنامها من الشق الايمن ثم سلت
عنها الدم وقلدها نعلين وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوي اربعة
دراهم رواه الترمذي في الشمايل وابن ماجة من حديث انس رواه الطبراني
في الاوسط من حديث ابن عباس عن اسما بنت ابي بكر قالت خرجنا مع رسول الله
حجاجا حتى اذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عايشة الى جنب رسول الله
وجلست الى جنب ابي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة
ابي بكر واحدة مع غلام لابي بكر فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع فطلع عليه وليس معه
بعيره فقال له ابو بكر اين بعيرك فقال اضللته البارحة قال ابو بكر بعير واحد تضله
وطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع وما
يزيد على ذلك ويتبسم رواه ابو داود وخرج معه صلى الله عليه وسلم اصحابه لا يعرفون الا الحج
كما قالت عايشة فبين لهم عليه السلام وجوه الاحرام وجوز لهم الاعتماد في
اشهر الحج فقال من احب ان يهل بعمرة فليهل ومن اهل بحج فليهل رواه البخاري
ولاحمد من شاء فليهل بعمرة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء وودان اهدى
له الصعب بن جثامة حمارا وحشيا فرده عليه فلما راى ما في وجهه قال انا لم نرده
عليك الا انا حرم رواه البخاري ومسلم وله في رواية حمار وحش وفي رواية
عجز حمار وحش يقطر دما وفي رواية وشق حمار وحش وفي رواية عضوا من لحم
صيد ورواه ابو داود وابن حبان من طريق عطا عن ابن عباس انه قال

يا زيد بن ارقم هل علمت ان رسول الله فذكره واتفقت الروايات كلها انه رده عليه
الا ما رواه ابن وهب والبيهقي من طريق باسناد حسن من طريق عمرو بن امية
ان الصعب اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو بالجحفة فاكل منه
واكل القوم قال البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله رد الحي وقبل اللحم قال
في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر فان كانت الطرق محفوظة فلعله رده حيا لكونه
صيد لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة اخرى حيث علم انه لم يصده لاجله
وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس للمحرم ان يذبح
حمار وحش حي وان كان اهدى له لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه صيد له فرده
عليه ونقل الترمذي عن الشافعي انه رده لظنه انه صيد لاجله من اجله فتركه على وجه
التنزه ويحتمل ان يحمل القبول المذكور في حديث عمرو بن امية على وقت اخر وهو حال
رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة و
في غيرها من الروايات بالابواء او بودان وقال القرطبي يحتمل ان يكون الصعب
احضر الحمار مذبوحا ثم قطع منه عضوا بحضرته صلى الله عليه وسلم فقدمه
له فمن قال اهدى حمارا اراد بتمامه مذبوحا لا حيا ومن قال لحم حمار اراد ما قدمه
للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من اطلق حمار واراد بعضه مجازا
قال ويحتمل انه اهداه له حيا فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو منه ظانا
انه انما رده عليه لمعنى يختص بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم الكل قال والجمع

مهما امكن اولى من توهيم بعض الرواة قال النووي قال الشافعي واخرون ويحرم تملك
الصيد بالبيع والهبة ونحوهما وفي ملكه بالارث خلاف واما لحم الصيد فان
صاده او صيد له فهو حرام سواء صيد له باذنه او بغير اذنه وان صاده
حلال لنفسه وان لم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه للمحرم او باعه لم يحرم عليه
هذا مذهبنا وبه قال مالك واحمد وداود قال ابو حنيفة لا يحرم عليه ما
صيد له بغير اعانة منه وقالت طايفة لا يحل له لحم الصيد اصلا سواء صاده او
صاده وصاده غيره له قصدا ولم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض عن
علي بن عمر وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قالوا
والمراد بالصيد المصيد ولظاهر حديث الصعب بن جثامة فانه صلى الله ع م
رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل بانك صدته لنا واحتج الشافعي وموافقوه
بحديث ابي قتادة المذكور في صحيح مسلم فانه صلى الله ع م قال في الصيد الذي صاده
ابو قتادة وهو حلال قال للمحرمين هو حلال فكلوه وفي الرواية الاخرى قال فهل
معكم منه شيء قالوا معنا رجله فاخذها رسول الله ع م فاكلها ولما مر صلى الله ع م
بوادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا قال وادي عسفان قال لقد مر به هود
وصالح على بكر بن احمر بن خطمهما الليف وازرهما العبا وارديتهما النمار
يلبيان يحجان البيت العتيق رواه احمد وفي رواية مسلم من حديث ابن عباس لما مر
بوادي الازرق قال كاني انظر الى موسى من الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا

بهذا الوادي وله جؤار الى الله بالتلبية و وادي الازرق خلف امج بفتح الهمزة
والميم والجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة ميل واحد ولم يعين وفي رواية
البخاري ولفظه اما موسى كاني انظر اليه اذا انحدر من يلبي قال المهلب هذا وهم
من بعض رواته لانه لم يات في اثر ولا خبر ان موسى حي وانه سيحج وانما اتى ذلك
عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله الحديث الاخر ليهلن ابن مريم
بفج الروحاء انتهى وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم وقد ذكر البخاري الحديث
في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه فيقال ان الراوي غلط فزاده
وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس افيقال ان الراوي غلط فزاد يونس
وتعقب ايضا بان توهيم المهلب للراوي وهم منه والا فاي فرق بين
موسى وعيسى لانه لم يثبت ان عيسى منذ رفع نزل الى الارض وانما ثبت انه سينزل
واجيب بان المهلب اراد ان عيسى لما ثبت انه سينزل كان كالمحقق فقال كاني انظر
فقيل ان ذلك رؤيا منام تقدمت له فاخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك ورؤيا
الانبياء وحي وقيل هو على الحقيقة لان الانبياء احياء عند ربهم يرزقون
فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم عن انس انه راى موسى قائما في قبره
يصلي قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعي
انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويؤيده ان عمل الاخرة ذكر ودعاء
لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية لكن تمام هذا التوجيه ان يقال

المنظور اليه

المنظور اليه هي ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت
ليلة الاسراء واما اجسادهم فهي في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل الله
لروحه مثالا فيرى في اليقظة كما يرى في النوم وقيل كانه مثلت احوالهم
التي كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا قال
كاني وقيل كانه اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة قطعه به قال كاني انظر اليه انتهى
وقد ذكرت في مقصد الاسراء من ذلك ما يكفي والله الموفق ولما نزل صلى الله عليه وسلم
بسرف خرج الى اصحابه فقال من لم يكن معه هدي فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل
ومن كان معه الهدي فلا وحاضت عائشة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال
ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت قولك لاصحابك فمنعت العمرة قال وما شانك قالت
لا اصلي قال فلا يضرك انما انت امراة من بنات ادم كتب الله عليك ما كتب عليهن
فكوني في حجك فعسى الله ان يرزقكيها رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي
وفي رواية قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذكر الا الحج حتى جئنا سرف
فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقال ما يبكيك فقلت والله
لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال ما لك لعلك نفست قلت نعم قال هذا شيء
كتبه الله على بنات ادم افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري
وقد اختلف فيما احرمت به عائشة كما اختلف هل كانت متمتعة ام مفردة واذا
كانت متمتعة فقيل انها كانت اولا احرمت بالحج وهو ظاهر هذا الحديث وفي حجة

الوداع من المغازي عند البخاري من طريق هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت فيمن اهل
بعمرة وزاد احمد من وجه اخر عن الزهري ولم اسق هديا وفي رواية الاسود
عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحتمل
في الجمع ان يقال اهلت عايشة بالحج مفردة كما صنع غيرها من الصحابة ثم امر النبي صلى الله
ان يفسخوا الحج الى العمرة ففعلت عايشة ما صنعوا فصارت متمتعة ثم لما دخلت مكة
وهي حايض ولم تقدر على الطواف لاجل الحيض امرها ان تحرم بالحج وقال القاضي عياض
واختلف في الكلام على حديث عايشة فقال مالك ليس العمل على حديث عروة عن
عايشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن البر يريد ليس عليه في رفض العمرة وجعلها
حجا بخلاف جعل الحج عمرة فانه وقع للصحابة واختلف في جوازه من بعدهم لكن اجاب
جماعة من العلماء عن ذلك باحتمال ان يكون معنى قوله ارفضي عمرتك اي اتركي التحلل
وادخلي عليها الحج فيصير قارنة ويؤيده قوله في رواية لمسلم وامسكي عن العمرة اي عن
اعمالها وانما قالت عايشة وارجع الحج لاعتقادها ان افراد العمرة بالعمل افضل
كما وقع لغيرها من امهات المؤمنين واستبعد هذا التاويل لقولها في رواية
عطا عنها وارجع انا بحجة ليس معها عمرة اخرجه احمد وهذا يقوي قول الكوفيين
ان عايشة تركت العمرة وحجت مفردة وتمسكوا في ذلك بقوله لها دعي عمرتك
وفي رواية اقضي عمرتك ونحو ذلك واستدلوا به على ان للمراة اذا اهلت بالعمرة
متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة وتهلل بالحج مفردا كما صنعت عايشة

لكن

لكن في رواية عطا عنها ضعف والرافع للاشكال في ذلك ما رواه مسلم من حديث
جابر ان عايشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
اهلي بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال قد حللت من حجك وعمرتك
قالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حين حججت قال فاعمرها
من التنعيم ولمسلم من طريق طاوس عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم طوافك
ليسعك لحجك وعمرتك فهذا صريح في انها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك
وعمرتك وانما اعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها لم تطف بالبيت
لما دخلت معتمرة وقد وقع في رواية مسلم وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا
هويت الشيء تابعها عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من كان معه هدي فليهلل بالحج
مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم
بالحج وفي منتهى سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جاء في رواية عايشة او بعد
طوافه بالبيت كما جاء في رواية جابر ويحتمل تكرار الامر بذلك في الموضعين
وان العزيمة كانت اخرا حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة وفي رواية قالت عايشة
فمنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من احرم بعمرة ولم يهد
فليحلل ومن احرم بعمرة واهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن اهل بحج فليتم حجه وهذا
الحديث ظاهر في الدلالة لابي حنيفة واحمد وموافقيهما في ان المعتمر المتمتع اذا
كان معه الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب مالك والشافعي

وموافقيهما انه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شئ في الحال سوا
كان ساق هديًا ام لا واحتجوا بالقياس على من يسق الهدي وبانه تحلل من نسكه فوجب
ان يحل له كل شئ كما لو تحلل المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية بانها مختصرة من الروا ية
التي ذكرها مسلم عن عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى الله ع م من كان معه هدي
فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل بهما جميعًا فهذه الرواية مفسرة للمحذوف
من الرواية التي احتج بها ابو حنيفة وتقديرها ومن احرم بعمرة فليهلل بالحج ولا يحل
حتى يحر هديه ولا بد من هذا التاويل لان القصة واحدة والراوي واحد فتعين
الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله اعلم ولما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذا طوى بضم الطاء وبفتحها وقيدها الاصيلي بالكسر عند ابا ر الزاهر بات بها بين
الثنيتين فلما اصبح صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري وللنسايي كان عليه السلام
ينزل بذي طوى يبيت به يصلي صلاة الصبح حين يقدم الى مكة فصلى رسول الله ع م
ذلك على اكمة خشنة غليظة ليس في المسجد الذي ثني ثمه ولكن من اسفل ذلك
على اكمة خشنة غليظة وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دخلها من اعلاها
وفي حديث ابن عمر في الصحيح كان صلى الله ع م يدخل من الثنية العليا يعني اعلى مكة
من كدا بفتح الكاف والمد قال ابو عبيد لا يصرف وهذه الثنية هي التي ينزل منها الى
الغلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم ولم يقع انه

صلى

صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلًا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله ع م احرم من الجعرانة
ودخل مكة ليلًا فقضى امر العمرة ثم رجع ليلة فاصبح بالجعرانة كما رواه اصحاب السنن الثلاثة
من حديث محرش الكعبي وعن عطا قال ان شئتم فادخلوا ليلًا انكم لستم كرسول الله ع م
انه كان اماما فاحب ان يدخلها نهارًا ليراه الناس رواه النسايي ثم دخل عليه السلام
مكة لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب
بني شيبة والمعنى فيه ان باب الكعبة في جهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من ابوابها وايضا
فلان جهة باب الكعبة اشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان
عليه السلام اذا راى البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا ومهابة
وبرا رواه الثوري عن ابي سعيد الشامي عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة بن
اسيد كان عليه السلام اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفًا وتعظيمًا و
تكريمًا وبرًا ومهابة وزد من شرفه وعظمه ممن حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا ومهابة
ولم يركع عليه السلام تحية المسجد انما بدا بالطواف لان تحية المسجد البيت
كما صرح به كثير من اصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود
وفي رواية جابر عند البخاري استلم الركن والاستلام افتعال من السلام اي التحية
قاله الازهري وقيل من السلام بالكسر اي الحجارة والمعنى انه يومي بعصاه الى الركن حتى
يصيبه وكانت محنية الراس وهي المراد بقوله في الحديث المحجن واعلم ان للبيت اربعة
اركان الاول له فضيلتان كون الحجر الاسود فيه وكونه على قواعد ابراهيم وللثاني

الثانية فقط وليس للاخرين منها شيء فلذلك يقبل الاول ويستلم الثاني فقط ولا
يقبل الاخران ولا يستلمان وروي الشافعي عن ابن عمر قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا وكان اذا استلم الركن قال بسم الله
والله اكبر وكلما اتى الحجر قال الله اكبر رواه الطبراني وهل كان صلى الله عليه وسلم
طايفا على بعيره ام على قدميه ففي مسلم عن عايشة طاف عليه السلام في حجة الوداع
على بعيره وفيه عن ابي الطفيل رايته عليه السلام يطوف بالبيت على بعيره وقد
اختلف في علة ذلك فروى ابو داود من حديث ابن عباس ان صلى الله عليه وسلم
قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته وفي حديث جابر عند مسلم انه صلى الله
طاف راكبا ليراه الناس وليسألوه فيحتمل ان يكون فعل ذلك للامرين قال ابن بطال
فيه جواز دخول الدواب التي يؤكل لحمها المسجد اذا احتيج الى ذلك لان بولها
لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب وتعقب بانه ليس في الحديث دلالة على عدم
الجواز مع الحاجة بل ذلك دائر مع التلويث وعدمه فحيث يخشى التلويث يمتنع
الدخول وقد قيل ان ناقته عليه السلام كانت منوقة اي مدربة معلمة فيؤمن
معها ما يحذر من التلويث قال بعضهم وهذا كان والله اعلم في طواف الافاضة
لا في طواف القدوم فان جابرا حكى عنه الرمل في الثلاثة الاول وذلك لا يكون
الا مع المشي ولم يقل احد رملت به راحلته وانما قالوا رمل اي بنفسه وقال
الشافعي اما سعيه الذي طاف لمقدمه فعلى قدميه انتهى ولما استلم صلى الله عليه وسلم

الحجر

الحجر مضى على يمينه فرمل ثلثا ومشى اربعا وكان ابتداء الرمل في عمرة القضية
لما قدم صلى الله عليه وسلم مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون انه
يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة فجلسوا مما يلي الحجر وامرهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا ثلثة اشواط ويمشوا بين الركنين ليرى المشركون
المشركين جلدهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء
اجلد من كذا وكذا رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما كان في حجة
الوداع رمل صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان سنة مستقلة قال الطبري
قد ثبت انه عليه السلام رمل ولا مشرك يومئذ بمكة يعني في حجة الوداع
فعلم انه من مناسك الحج الا ان تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة فكان
كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية بل لصفتها
فلا شيء عليه انتهى فلو ترك الرمل في الثلاث لم يقضه في الاربع لان هيئتها السكينة
فلا تتغير والله اعلم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه اتى المقام فقرا واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت قرا فيهما
قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب
الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعاير الله ابدا وابما بدا
الله به فبدا بالصفا فرقا عليه حتى راى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره
وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك
قال هذا ثلث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبّت قدماه فى بطن الوادى رمل حتى
اذا صعدتا مشى حتى اتى المروة وفى حديث ابى الطفيل عند مسلم وابى داود قال
قلت لابن عباس اخبرنى عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك
يزعمون انه سنة قال صدقوا وكذبوا قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق
من البيوت قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين
يديه فلما كثر عليه ركب والمشى فى السعى افضل هذا لفظ رواية مسلم وفى اوله
ذكر الرمل فى طواف البيت وعند ابى داود ان قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا
واصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوا على ان يحجوا العام المقبل فيقيموا
ثلثة ايام فقدم عليه السلام فقال لاصحابه ارملوا بالبيت وفيه طاف
صلى الله ع م بين الصفا والمروة على بعير لان الناس كانوا لا يدفعون عنه ع م ولا
يضربون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله ايديهم
الحديث وكان صلى الله ع م اذا وصل الى المروة رقى عليها واستقبل البيت وكبر الله
وحده كما فعل على الصفا حتى اذا كان اخر طواف على المروة قال لو انى استقبلت
من امرى ما استدبرت لم اسق الهدى وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى
فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن جعشم فقال يا رسول الله العامنا هذا ام لابد

فشبك

فشبك رسول الله صلى الله ع م اصابعه واحدة فى الاخرى وقال دخلت العمرة فى
الحج هكذا مرتين لا بل لابد ابد وهذا معنى فسخ الحج الى العمرة قال النووى وقد اختلف
فى هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة تلك السنة خاصة ام باق لهم ولغيرهم الى يوم القيمة
فقال احمد وطائفة من اهل الظاهر ليس خاصا بل هو باق الى القيمة فيجوز لكل من احرم
بالحج وليس معه هدى ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل باعمالها وقال مالك والشافعى و
ابو حنيفة وجماهر العلماء من السلف والخلف هو مختص بهم فى تلك السنة لا
يجوز بعدها وانما امروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة
فى اشهر الحج ومما يستدل به للجماهير حديث ابى ذر فى مسلم كانت المتعة فى الحج لاصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يعنى فسخ الحج الى العمرة وفى النسائى عن الحارث
بن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارايت فسخ الحج الى العمرة لنا خاصة ام للناس
عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل خاصة قال واما الذى فى حديث
سراقة العامنا هذا ام لابد فقال لابد ابد فمعناه جواز الاعتمار فى اشهر الحج
والقران كما سبق تفسيره فالحاصل من مجموع طرق الاحاديث ان العمرة فى اشهر
الحج جايزة الى يوم القيمة وكذلك القران وان فسخ الحج الى العمرة مختص بتلك
السنة والله اعلم انتهى وفى رواية للنسائى ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا
خاصة يعنى متعة النساء ومتعة الحج ومتعة النساء هى نكاح المراة الى اجل كان ذلك
مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح يوم فتح مكة ثم نسخ فى ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيمة

و قد كان فيه خلاف في العصر الاول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وكان صلى الله عليه وسلم
مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة تقصر الصلاة فيه وكانت
مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منا اربعة ايام ملفقة لانه في الرابع وخرج في الثامن
فصلى بها احدى وعشرين صلاة من اول ظهر الرابع الى اخر ظهر الثامن ومن يوم دخوله
مكة وخروجه يوم النفر الثاني من منا الى الابطح عشرة ايام سوا وقدم علي من اليمن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بما اهللت فقال بما اهل رسول الله صلعم
فقال لو لا ان معي الهدي لاحللت رواه الشيخان من حديث انس وفي حديث البرا عند
الترمذي والنسائي دخل علي على فاطمة رضي الله عنهما فوجدها قد نضحت البيت
بنضوح فغضب فقالت مالك فان رسول الله صلى الله عم قد امر اصحابه فاحلوا قال
قلت اني اهللت باهلال النبي صلى الله عم قال فاتيته فقال رسول الله صلى الله عم كيف
صنعت قال وقال لي انحر من البدن سبعا وستين او ستا وستين وامسك لنفسك
ثلاثا وثلثين او اربعا وثلثين وامسك من كل بدنة منها بضعة وفي رواية جابر عند
مسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت
ابي امرني بهذا فقال صدقت ما قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك
قال فان معي الهدي فلا تحل قال فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي اتى
به النبي صلعم مائة قال فحل الناس كلهم وقصروا الا النبي صلعم ومن كان معه هدي فلما كان
يوم التروية وكان يوم الخميس ضحى وركب صلى الله عم توجه بالمسلمين الى منى وقد احرموا بالحج

من كان

من كان احل منهم وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشا
والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وامر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق
ضب ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما كانت قريش تصنع
في الجاهلية وكانت الحمس وهم من قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ويقولون
نحن قطين الله اي جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكان الناس كلهم يبلغون عرفات
وذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس وعن جبير بن مطعم قال اضللت
حمارا لي في الجاهلية فوجدته بعرفة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا
بعرفات مع الناس فلما اسلمت عرفت ان الله وفقه لذلك وفي رواية كان رسول الله صلعم
في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف
معهم ويدفع اذا دفعوا الحديث ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة وجد القبة
قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس امر بالقصوى فرحلت له فركب
فاتى بطن الوادي فخطب الناس وقال ان دماكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا كل شي من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع
ودما الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث
كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا
اضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله في
النساء فانكم اخذتموهن بامان واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن

ان لا يوطين فرشكم احدًا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح
ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما ان لا تضلوا بعده
ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسالون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد انك
قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس
اللهم اشهد ثلاث مرات ثم بلال ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل
بينهما شيئًا وهذا الجمع المذكور مختص بالمسافر عند الجمهور وعن مالك والاوزاعي
وهو وجه للشافعية ان الجمع بعرفة وجمع للنسك فيجوز لكل احد قال الاسنوي
فلا يجوز الا للمسافر بلا خلاف قال الشافعي والاصحاب واذا خرج الحاج يوم التروية
ونووا الذهاب الى اوطانهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم
ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى اتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى
الى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان دعائه صلى الله
يوم عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي ولك رب تراثي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر و
وسوسة الصدر وشتات الامر اللهم اني اعوذ بك من شر ما تجيء به الريح رواه
الترمذي من حديث علي وفي رواية ذكرها رزين كان اكثر دعائه عليه السلام يوم
عرفة بعد قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذي تقول
اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي واليك مآبي وعليك يارب تراثي اللهم اني

اعوذ

اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذي
شر وفي الترمذي افضل الدعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون من قبلي
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وكان
من دعائه في عرفة ايضًا كما في الطبراني الصغير من حديث ابن عباس اللهم انت
تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى عليك من امري انا البائس الفقير
المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه اسالك مسالة المسكين وابتهل
اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك
رقبته وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم انفه لا تجعلني بدعائك رب شقيا
وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤلين ويا خير المعطين واتاه صلى الله عليه وسلم
ناس من اهل نجد فسالوه كيف الحج فامر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع
قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج ايام منى ثلثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
ومن تاخر فلا اثم عليه رواه الترمذي وفي رواية جابر عند ابي داود قال عليه السلام
بعرفة وقفت ههنا وعرفة كلها موقف وهناك انزلت عليه اليوم اكملت
لكم دينكم الاية كما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهناك
سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فامر صلى الله عليه وسلم ان يكفن في
ثوبه ولا يمس بطيب وان يغسل بماء وسدر ولا يغطى راسه ولا وجهه واخبر
ان الله يبعثه يوم القيمة يلبي رواه البخاري ومسلم اي يبعث على هيئته التي

مات عليها واستدل بذلك بقاء احرامه خلافا للمالكية والحنفية قال النووي
يتاول هذا الحديث على ان النهي عن تغطية وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية
وجهه بل هو صيانة للراس فانهم لو غطوا وجهه يؤمن يغطوا راسه انتهى قال
الحافظ بن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفات والله اعلم
ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص افاض صلى الله عليه وسلم
من عرفة وارد ف اسامة خلفه وقد شنق للقصوى الزمام حتى ان راسها
ليصيب مورك رحلها ويقول ايها الناس السكينة السكينة فلما اتى جبلا من الجبال
ارخى لها قليلا حتى تصعد ما فاض من طريق المازمين وفي رواية بن عباس انه عليه السلام
سمع وراه زجرا شديدا وضربا للابل ورواه فاشار بسوطه وقال ايها الناس
عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع يعني بالاسراع وفي رواية ابي داود افاض
من عرفة وعليه السكينة ورديفه اسامة فقال ايها الناس عليكم بالسكينة
فان البر ليس بايجاف الخيل والابل فما رايتها رافعة يديها عادية حتى اتى جمعا
وفي رواية اسامة بن زيد عند الشيخين كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص
قال هشام والنص فوق العنق واخرج الطبراني في المعجم عن سالم ابن عبد الله
عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افاض من عرفات وهو يقول
اليك تغدو قلقا وضينها مخالفا دين النصارى دينها
قال في النهاية والحديث مشهور بابن عمر من قوله والقلق الانزعاج والو

بالضاد المعجمة حزام الرحل ولما كان في اثناء الطريق نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبال وتوضا وضوءا خفيفا فقال له اسامة الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة
امامك فركب حتى اتى المزدلفة وهي المسمى بجمع بفتح الجيم وسكون الميم وسميت
لان ادم اجتمع فيها مع حوا فازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة انما سميت جمعا
لانه يجمع فيها بين صلاتين وقيل الناس يجتمعون فيها ويزدلفون الى الله اي
يتقربون اليه بالوقوف فيها انتهى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب
والعشاء كل واحدة منها باقامة ولا يصلي اثر كل واحدة منهما وفي رواية فاقام
المغرب ثم اناخ الناس في منازلهم ولم يحلوا حتى اقام العشاء الاخرة فصلى ثم حلوا
وترك عليه السلام قيام الليل تلك الليلة ونام حتى اصبح لما تقدم له من الاعمال
بعرفة من الوقوف من الزوال الى بعد المغرب واجتهاده عليه السلام في الدعا
وسيره بعد الغروب الى المزدلفة واقتصر فيها على صلاة المغرب والعشاء قصرا
ورقد بقية ليلته مع كونه عليه السلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه
ولكنه اراح نفسه الشريفة لما تقدم في عرفة ولما هو بصدده يوم النحر من كونه
نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنة وذهب الى مكة لطواف الافاضة ورجع
الى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الاسانيد وعن ابن عباس بن مرداس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب اني قد غفرت
لهم ما خلا الظالم فاني اخذ للمظلوم منه قال اي ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة

وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما اصبح بالمزدلفة اعاد الدعا فاجيب الى ما
سال قال فضحك صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
بابي انت وامي ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله سنك
قال ان عدو الله ابليس علم ان الله قد استجاب دعاي وغفر لامتي اخذ التراب
فجعل يحثوه على راسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكني ما رايت من جزعه رواه
ابن ماجة ورواه ابو داود من الوجه الذي رواه ابن ماجة ولم يضعفه وقد
جاء في بعض الروايات عن غير العباس ما يبين المراد من الامة من وقف بعرفة
وقال الطبري انه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفايها وقد رواه
البيهقي بنحو رواية ابن ماجة ثم قال وله شواهد كثيرة فان صح بشواهده ففيه الحجة
وان لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم بعضا
دون الشرك انتهى وقال الترمذي في الحديث الصحيح من حج ولم يرفث ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى
خاصة دون العباد فلا تسقط حقوقا نفسها فمن كان عليه صلاة او كفارة
ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لانه حقوق لا ذنوب انما الذنب تاخير
فنفس التاخير يسقط بالحج لا هي انفسها فلو اخرها بعده تجدد اثم اخر فالحج المبرور
يسقط اثم المخالفة لا الحقوق وقال ابن تيمية من اعتقد ان الحج ما وجب عليه من الحقوق
كالصلوة سنتات والا قتل ولا يسقط حق لادمي اجماعا والله اعلم انتهى واستاذنت

سودة

سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع وكانت ثقيلة فاذن لها فقالت عايشة
فليتني كنت استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنته سودة وفي
رواية فاستاذنته ان تدفع قبل حطمة الناس وكانت امراة بطيئة فاذن لها ان تدفع
قبل حطمة الناس قالت عايشة فلان اكون استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما استاذنته سودة احب الي من مفروح به رواه البخاري وفي رواية ابي داود والنسائي
ارسل صلى الله عليه وسلم بام سلمة ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت
فافاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
عندها وعند مسلم بعث ام حبيبة من جمع بليل وفي رواية البخاري ومسلم والنسائي
عن ابن عباس قال ارسلني صلى الله عليه وسلم مع ضعفة اهله فصلينا الصبح بمنى
ورمينا الجمرة وفي رواية الموطا والصحيحين والنسائي عن اسماء انها نزلت ليلة جمع
المزدلفة فقامت تصلي فصلت ساعة ثم قالت يا بني هل غاب القمر قلت لا ثم صلت ساعة
ثم قالت هل غاب القمر فقلت نعم قالت فارتحلوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اذن للظعن بالضعف لنسا في الهوادج وقد اختلف السلف في ترك البيت بالمزدلفة
فقال علقمة والنخعي والشعبي من تركه فاته الحج وقال عطا والزهري وقتادة والشافعي
والكوفيون واسحاق عليه دم ومن بات بها لم يجزه الدفع قبل النصف وقال مالك
ان مر بها فلم ينزل فعليه دم وان نزل فلا دم عليه متى دفع انتهى ولما طلع الفجر
صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر حين تبين الصبح باذان واقامة وفي البيهقي والنسائي

باسناد صحيح على شرط مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال للفضل بن عباس يوم النحر التقط لى
حصًا فالتقط له حصيات مثل حصى الخذف وهو بالمعجمتين ولم يكسرها كما يفعل من
لا علم عنده وفى رواية للنساى قال عليه السلام لابن عباس غداة النحر وهو عليه السلام
على راحلته هات القط لى فلقط حصيات من حصى الخذف فلما وضعهن فى يده قال
بامثال هولاء واياكم والغلو فى الدين فانما هلك من قبلكم بالغلو فى الدين قال العلما
وفى هذا الحديث دليل على استحباب اخذ الحصيات بالنهار وهو راي البغوى قال
ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه الشافعى فى الام والاملاء لكن الجمهور كما قال
الرافعى على استحباب الاخذ بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب ان يلتقط جميع ما يرمى به
فى الحج وبه جزم فى التنبيه واقره عليه النووى فى تصحيحه ولكن الاكثرون كما قال الرافعى
على استحباب الاخذ ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعى ايضا فى شرح المهذب والاحتياط
ان يزيد فربما سقط منهما شئ انتهى ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم القصوا حتى اتى المشعر الحرام
فرقى عليه فاستقبل القبلة فحمد الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر
جدًا فدفع قبل ان تطلع الشمس وفى رواية غير جابر وكان المشركون لا يفيضون
حتى تطلع الشمس وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع
الشمس وفى حديث على عند الطبرى لما اصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف
على قزح واردف الفضل ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى اسفر دفع وفى
رواية جابر واردف صلى الله عليه وسلم الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر ابيض وسيما

فلما

فلما دفع صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الاخر وفى رواية كان الفضل
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها
وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر قالت يا رسول الله
ان فريضة الله على عباده فى الحج ادركت ابى شيخا كبيرًا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه
قال نعم وذلك فى حجة الوداع رواه الشيخان وغيرهما وقد روي ايضا من حديث
عبد الله بن عباس لكن رجح البخاري رواية الفضل لانه كان ردف النبى صلى الله
حينئذ وكان عبد الله بن عباس تقدم الى منى مع الضعفة فكان الفضل حدث اخاه
بما شاهده فى تلك الحالة ويحتمل ان يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمي جمرة العقبة فحضره
عبد الله بن عباس فنقله تارة عن اخيه لكونه صاحب القصة وتارة عما شاهده
ويؤيده ما فى الترمذي ان السؤال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ من الرمى وان
العباس كان شاهدًا وفيه انه عليه السلام لوى عنق الفضل فقال العباس يا رسول الله
لويت عنق ابن عمك قال رايت شابا وشابة فلم امن عليهما الشيطان وظاهر هذا
ان العباس كان حاضرًا لذلك فلا مانع ان يكون ابنه عبد الله ايضا كان معه وفى هذا الحديث
دلالة على جواز النيابة فى الحج عمن لا يستطيع من الاحياء خلافا لمالك فى ذلك
وليث قال لا يحج عن احد مطلقا كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع على انه لا يجوز
ان يستنيب من يقدر على الحج بنفسه فى الحج الواجب واما النفل فيجوز عند ابى حنيفة

خلافا للشافعي وعن احمد روايتان انتهى وفي رواية ابن عباس قال ردف رسول الله
من عرفة الى المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة
العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية جابر فلما اتى عليه السلام بطن محسر حرك
ناقته واسرع السير قليلا قال الاسنوي سببه ان النصارى كانت تقف فيه كما قاله
الرافعي او العرب كما قاله في الوسيط وامرنا بمخالفتهم قال وظهر لي فيه معنى اخر وهو
انه مكان نزل فيه العذاب على اهل الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب فيه الاسراع
لما ثبت في الصحيح امره المار على ديار ثمود ونحوهم بذلك قال غيره وهذه كانت عادته
صلى الله عليه وسلم في المواضع التي نزل فيها باس الله باعدائه وسمي وادي محسر لان
حسر فيه اي اعيى وانقطع عن الذهاب انتهى ثم سلك صلى الله عليه وسلم الطريق
الوسطى التي تخرج الى الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات
يكبر مع كل حصيات رمى بطن الوادي وجعل البيت يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة
وكان رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر ضحى كما قاله جابر في رواية مسلم والترمذي
وابي داود والنسائي وفي رواية ام الحصين عند ابي داود رايت اسامة وبلالا
احدهما اخذا بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر رافع ثوبه
يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وفي رواية النسائي ثم خطب فحمد الله واثنى عليه
وذكر قولا كثيرا وعن ام جندب رايته عليه السلام يرمي الجمرة من بطن الوادي
وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسالت عن الرجل فقالوا الفضل

ابن عباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس لا يقتل بعضكم بعضا واذا
رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف وفي هذا دليل على جواز استظلال المحرم
بالمحمل ونحوه وتقدم انه عليه السلام ضربت له قبة من شعر بنمرة وفي رواية جابر
عند مسلم وابي داود قال رايته عليه السلام يرمي على راحلته يوم النحر وهو
يقول خذوا عني مناسككم لا ادري لعلي لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية قدامة
عند الترمذي رايته يرمي الجمار على ناقة له صهبا ليس ضرب ولا طرد ولا اليك
اليك انتهى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر ثلثا وستين بدنة ثم
اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر
فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها وفي رواية جابر عند مسلم نحر عليه السلام
عن نسائه بقرة وقالت عايشة نحر صلى الله عليه وسلم عن ال محمد في حجة الوداع بقرة واحدة
رواه ابو داود ثم اتى رسول الله منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ واشار الى جانبه
الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس وفي رواية انه قال للحلاق ها واشار
بيده الى الجانب الايمن فقسم شعره بين من يليه ثم اشار الى الحلاق الى الجانب
الايسر فحلق فاعطاه ام سليم وفي اخرى فبدا بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين
بين الناس ثم قال بالايسر فصنع مثل ذلك ثم قال ههنا ابو طلحة فدفعه اليه و
في اخرى رمى جمرة ثم انصرف الى البدن فنحرها والحجام جالس وقال بيده عن
راسه فحلق الشق الايمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الاخر فقال اين

ابو طلحة فاعطاه اياه رواه الشيخان وعند الامام احمد انه استدعى الحلاق فقال
له وهو قايم على راسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر امكنك رسول الله من شحمة
اذنه وفي يدك الموسى قال فقلت له اما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعم الله علي ومنه
قال اجل وقال البخاري وزعموا ان الذي حلق للنبي صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة
بن عوف انتهى وهو عند ابن خزيمة في صحيحه وعند الامام احمد وقلم صلى الله عليه وسلم
اظفاره وقسمها بين الناس وعنده ايضا من حديث محمد بن زيد ان اباه حدثه انه شهد
النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم اضاحي فلم يصبه
شيء ولا صاحبه فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه في ثوبه فاعطاه فقسم منه على
رجال وقلم اظفاره فاعطاه صاحبه وكان يخضب بالحنا والكتم وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله صلى
وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر
للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين وقال وللمقصرين رواه الشيخان وليس فيه
تعيين هل قاله صلى الله عليه وسلم في الحديبية او في حجة الوداع قالوا ولم يقع في شيء
من طرقه التصريح لسماعه لذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولو وقع لقطعنا بانه
كان في حجة الوداع لانه شهدها ولم يشهد الحديبية وقد وقع تعيين الحديبية
من حديث جابر عند ابي قرة في السنن ومن طريقه الطبراني في الاوسط ومن حديث
المسور بن مخرمة عند ابن اسحاق في المغازي وورد تعيين حجة الوداع من حديث ابي

مريم

مريم السلولي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام الحصين عند مسلم ومن حديث
قارب بن الاسود الثقفي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام عمارة عند الحارث
فالاحاديث التي فيها تعيين حجة الوداع اكثر عددا واصح اسنادا ولهذا قال النووي
عقب احاديث ابن عمر وابي هريرة وام الحصين هذه الاحاديث تدل على ان هذه الواقعة
كانت في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور وقيل كان في الحديبية وجزم امام الحرمين
في النهاية ان ذلك كان في الحديبية ثم قال النووي ولا يبعد ان يكون وقع ذلك في
الموضعين انتهى وكذا قال ابن دقيق العيد انه الاقرب قال في فتح الباري بل هو المتعين
لتظافر الروايات بذلك في الموضعين الا ان السبب في الموضعين مختلف فالذي في
الحديبية كان لسبب توقف من توقف من الصحابة عن الاحلال لما دخل عليهم من
الحزن لكونهم منعوا من الوصول الى البيت مع اقتدارهم في انفسهم فخالفهم النبي
صلى الله عليه وسلم وصالح قريشا ان يرجع من العام المقبل فلما امرهم بالاحلال
توقفوا فاشارت ام سلمة ان يحل هو صلى الله عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه
فحلق بعض وقصر بعض فكان من بادر الى الحلق اسرع الى امتثال الامر ممن اقتصر
على التقصير وقد وقع التصريح بهذا السبب في حديث ابن عباس فان في اخره
عند ابن ماجة وغيره انهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين ظاهرت لهم بالترحم
قال لانهم لم يشكوا واما السبب في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة الوداع فقال
ابن الاثير في النهاية كان اكثر من حج معه صلى الله عليه وسلم لم يسق الهدي فلما امرهم

ان يفسخوا الحج الى العمرة ثم يتحللوا منها ويحلقوا رؤسهم شق عليهم ثم لما لم يكن
لهم بد من الطاعة كان التقصير فى انفسهم اخف من الحلق ففعله اكثرهم فرجح
صلى الله ع م فعل من حلق لكونه ابين فى امتثال الامر انتهى قال الحافظ بن حجر وفيما
قاله نظر وان تابعه عليه غير واحد لان المتمتع يستحب فى حقه ان يقصر فى العمرة
ويحلق فى الحج اذا كان ما بين النسكين متقاربا وقد كان ذلك فى حقهم كذلك
والاولى ما قاله الخطابى وغيره ان عادة العرب انها كانت تحب توفير الشعور
والتزين بها وكان الحلق فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن فعل
الاعاجم فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا على التقصير انتهى وفى رواية عبد الله
بن عمرو بن العاص وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى
للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم اشعر فحلقت قبل ان انحر قال اذبح
ولا حرج ثم جاء رجل اخر فقال يا رسول الله لم اشعر فنحرت قبل ان ارمى فقال ارم
ولا حرج قال فما سئل عن شئ قدم ولا اخر الا قال افعل ولا حرج رواه مسلم
وفى رواية حلقت قبل ان ارمى وفى رواية وقف صلى الله ع م على راحلته فطفق
ناس يسألونه فيقول القايل منهم يا رسول الله انى لم اكن اشعر ان الرمى قبل النحر
فنحرت قبل الرمى فقال صلى الله ع فارم ولا حرج قال فما سمعته يسأل يومئذ
عن امر مما ينسى المرء ويجهل عن تقديم بعض الامور قبل بعض واشباهها الا قال
صلى الله ع م افعلوا ذلك ولا حرج وفى رواية انه عليه السلام بينما هو قايم

يخطب يوم النحر فقام اليه رجل فقال ما كنت احسب ان كذا وكذا قبل كذا وكذا وفى رواية
حلقت قبل ان انحر نحرت قبل ان ارمى واشباه ذلك وفى رواية حلقت قبل ان اذبح
ذبحت قبل ان ارمى ومن المعروف ان الترتيب اولى وذلك ان وظايف يوم النحر بالاتفاق
اربعة اشياء رمى جمرة العقبة ثم نحر الهدى او ذبحه ثم الحلق والتقصير ثم
طواف الافاضة مع السعى بعده وقد تقدم انه صلى الله ع م رمى جمرة العقبة
ثم نحر ثم حلق وقد اجمع العلماء على مطلوبية هذا الترتيب واجمعوا ايضا
على تقديم بعضها على بعض الا انهم اختلفوا فى وجوب الدم فى بعض المواضع
ومذهب الشافعى وجمهور السلف والعلماء وفقهاء الحديث الجواز وعدم
وجوب الدم لقوله عليه السلام للسايل لا حرج هو ظاهر فى رفع الاثم
والفدية معا لان اسم الضيق يشملهما وقال الطحاوى ظاهر الحديث يدل
على التوسعة فى تقديم بعض هذه الاشياء على بعض الا انه يحتمل ان يكون قوله لا حرج
اى لا اثم فى ذلك الفعل وهو كذلك لمن كان ناسيا او جاهلا واما من تعمد
المخالفة فتجب عليه الفدية وتعقب بان وجوب الفدية يحتاج الى دليل و
لو كان واجبا لبينه صلى الله ع م حينئذ لانه وقت الحاجة ولا يجوز تاخيره
وتمسك الامام احمد بقوله فى الحديث لم اشعر وبما فى رواية يونس عند مسلم
وصالح عند احمد فما سمعته يومئذ يسأل عن امر مما ينسى المرء ويجهل من تقديم
من تقديم بعض الامور قبل بعضها الا قال افعل ولا حرج بانه كان ناسيا

او جاهلا فلا شي عليه وان كان عالما قال ابن دقيق العيد ما قاله احمد قوى
من جهة ان الدليل دل على وجوب اتباع الرسول في الحج لقوله خذوا عني
مناسككم وهذه الاحاديث المرخصة في تقديم ما وقع عنه تاخيره قد قرنت
بقول السايل لم اشعر فيختص الحكم بهذه الحالة ويبقى حالة العمد على اصل وجوب
الاتباع في الحج انتهى وعن ابي بكرة قال خطبنا رسول الله صلعم يوم النحر قال ان الزمان
قد استدار كهيئة خلق الله السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة
حرم ثلث متواليات ذو القعده وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين
جمادين وشعبان وقال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه
سنسميه لغير اسمه فقال اليس ذا الحجة قلنا بلى فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله
فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان
دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا بلدكم هذا في شهركم
هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم فلا ترجعون بعدي كفارا ضلالا يضرب
بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد
فرب مبلغ اوعى من سامع رواه الشيخان وفي رواية للبخاري فودع الناس ووقع
في طريق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر سبب ذلك ولفظه انزلت
اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق وعرف
انه الوداع فامر براحلته القصوى فرحلت له فركب ووقف بالعقبة واجتمع اليه الناس

فقال

فقال ايها الناس فذكر الحديث وفيه دلالة مشروعية الخطبة يوم النحر بمنى
وبه اخذ الشافعي ومن تبعه وخالف ذلك المالكية والحنفية قالوا خطب الحج ثلثة
سابع يوم الحجة ويوم عرفة بها وثاني يوم النحر بمنى ووافقهم الشافعي الا انه قال
بدل ثاني ثالثه لانه اول النفر وزاد خطبة رابعة وهي يوم النحر قال وبالناس
حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم من الرمي والذبح والحلق والطواف
وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة ليست من متعلقات الحج لانه لم يذكر فيها
شيئا من امور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة ولم ينقل احد انه علمهم فيها
شيئا من الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انه لم تقصد لاجل الحج قال ابن بطال انما
ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي اجتمع من الدنيا فظن الذي راه انه
خطب قال واما ما ذكره الشافعي ان بالناس حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور
فليس بمتعين لان الامام يمكنه ان يعلمهم اياها يوم عرفة انتهى واجيب
بانه صلى الله عليه وسلم نبه في الخطبة المذكورة على تعظيم يوم عرفة وعلى
تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام وقد جزم الصحابة المذكورون بتسميتها
خطبة فلا يلتفت لتاويل غيرهم وما ذكره من امكان تعليم ما ذكر يوم عرفة
يعكر عليه في كونه يرى مشروعية الخطبة ثاني يوم النحر وكان يمكن ان يعلموا ذلك
يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم التروية جميع ما يوتى به من اعمال الحج لكن لما
كان في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع تجديد التعليم بحسب تجديد الاسباب

واما قول الطحاوى انه لم ينقل انه علمهم شيئا من اسباب التحلل فلا يبقى وقوع
ذلك وشيء منه فى نفس الامر بل قد ثبت فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
انه شهد النبى صلى الله عم يخطب يوم النحر وذكر فيه السوال عن تقدم بعض المناسك
على بعض فكيف ساغ للطحاوى هذا النفى المطلق انتهى وقد روى ابو داود والنسا
عن عبد الرحمن بن معاذ التيمى قال خطبنا رسول الله عم ونحن بمنى ففتحت اسماعنا حتى
كنا نسمع ما يقول ونحن فى منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار
فوضع اصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين فنزلوا فى مقدم
المسجد وامر الانصار ان ينزلوا من وراء المسجد قال ثم نزل الناس بعد وفى روا
عن عبد الرحمن بن عوف معاذ عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس بمنى ونزل لهم فقال لينزل المهاجرون
ههنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار ههنا واشار الى ميسرة القبلة ثم لينزل
الناس حولهم وعن ابى نجيح عن ابيه عن رجلين من بنى بكر قالا راينا رسول الله
يخطب بين اوسط ايام التشريق ونحن عند راحلته وهى خطبة رسول الله عم التى
خطب بمنى رواه ابو داود وعن رافع بن عمرو المزنى قال رايت رسول الله عم
يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلى يعبر عنه والناس بين
قايم وقاعد رواه ابو داود ايضا وعن ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين قال
حدثتنى جدتى سرا بنت نبهان وكانت ربة بيت فى الجاهلية قال خطبنا النبى صلى الله

صلى الله عليه وسلم يوم الروس فقال اى يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال
اليس اوسط ايام التشريق وفى رواية انه خطب وسط ايام التشريق رواه ابو داود
ايضا ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فافاض الى البيت فطاف طواف الافاضة
وهو طواف الزيارة والركن والصدر وفى البخارى ويذكر عن ابى حسان عن ابن
عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت ايام منى واتى صلى الله عليه
زمزم وبنو عبد المطلب يسقون عليها فقال انزعوا بنى عبد المطلب فلولا ان يغلبكم
الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه وفى رواية ابن عباس
فشرب وهو قايم وفى رواية فحلف عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير لكن لم يعين
فيها حجة الوداع ولا غيرها انما التعيين فى رواية جابر عند مسلم واختلف
اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ففى رواية جابر عند مسلم انه عليه
صلى بمكة وكذلك قالت عايشة وفى حديث عمر فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم
افاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى فرجح ابن حزم فى كتاب حجة الوداع له
قول عايشة وجابر وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما اولى من الواحد
ولان عايشة اخص الناس به ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها
ولان سياق جابر لحجة صلى الله عم من اولها الى اخرها اتم سياق واحفظ القصة
وضبطها حتى ضبط جزئياتها حتى امرا منها لا يتعلق بالمناسك وهو نزوله عم
فى الطريق فبال عند الشعب وتوضا وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو

اضبط فكان صلاة الظهر يوم النحر اولى فان حجة الوداع كانت فى آذار وهو تساوى
الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها
الناس ونحر بدنه وقسمها وطبخ له من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق
راسه وتطيب ثم افاض وطاف وشرب من ماء زمزم ووقف عليهم وهم
يسقون وهذه اعمال يظهر منها انها لا تنقضى فى مقدار يمكن معه الرجوع الى منى
بحيث يدرك الظهر فى فصل آذار ورجحت طايفة اخرى قول ابن عمر لانه يحفظ عنه
فى حجته ع م انه صلى الفرض بجوف مكة بل انما كان يصلى بمنزله بالمسلمين مدة مقامه فان
حديث ابن عمر متفق عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان
رواته احفظ واشهر وبان حديث عايشة قد اضطرب فى وقت طواف فروى عنها
انه طاف نهاراً وفى رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل وفى رواية عنها انه افاض
من اخر عنها يومه فلم تضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلاة وايضاً
فان حديث ابن عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث عايشة من رواية محمد بن اسحاق
عن عبد الرحمن بن القاسم وابن اسحاق يختلف فى الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل
عنعنه فلا تقدم على حديث عبد الله بن عمر انتهى ثم رجع صلى الله ع م الى منى فمكث
بها ليالى ايام التشريق يرمى الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر
مع كل حصاة ويقف عند الاولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمى
الثالثة فلا يقف عندها رواه ابو داود من حديث عايشة وعن ابن عمر عند الترمذى

كان

كان صلى الله ع م اذا رمى الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعاً وفى رواية ابى داود كان يستقبل
القبلة فى الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمى جمرة العقبة من بطن الوادى الحديث
واستاذنه صلى الله ع م العباس بن عبد المطلب ان يبيت بمكة ليالى منى من اجل السقاية
فاذن له رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر وفى رواية الاسماعيلى
رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالى منى من اجل سقايته وفيه دليل على وجوب المبيت
بمنى وانه من مناسك الحج لان التعبير بالرخصة يقتضى ان يقابلها العزيمة وان الاذن
وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او ما فى معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب
قال الجمهور وفى قول للشافعى وهو رواية عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة
ووجوب الدم بتركه مبنى على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل
يختص الاذن بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم والعلة فى ذلك اعداد الماء
للشاربين وجزم الشافعى بالحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف فوته او مريض
يتعهده باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاة خاصة وهو قول احمد قالوا ومن
ترك المبيت لغير عذر وجب عليه دم من كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه وسلم
بعد الظهر يوم الثلثا بعد ان كمل رمى ايام التشريق ولم يتعجل فى يومين الى المحصب
وهو الابطح وحده ما بين الجبلين الى المقبرة وهو خيف بنى كنانة فوجد ابا رافع قد
قد ضرب قبة هناك وكان على ثقله قال ابو رافع لم يامرنى صلى الله ع م ان انزل الابطح
حين خرج من منى ولكنى جئت فضربت فيه قبته فجاء فنزل رواه مسلم وفيه وفى

البخاري عن انس انه عليه السلام صلى الظهر والعصر يوم النفر بالابطح ومنهما من
حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من الغد يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا
بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك ان قريشا وكنانة
تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ليس التحصيب بشيء انما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي التحصيب من امر المناسك الذي يلزم فعله لكن لما نزله صلى الله عليه وسلم كان
النزول به مستحبا اتباعا لنفره على ذلك وقد فعله الخلفاء بعده كما في مسلم
وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشا ثم رقد
رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت فطاف به رواه البخاري وهذا طواف الوداع و
مذهب الشافعي انه واجب يلزم بتركه دم على الصحيح وهو قول اكثر العلماء وقال
مالك وداود وهو سنة لا شيء بتركه واختلف في المراة اذا حاضت بعد ما طافت
طواف الافاضة هل عليها طواف الوداع ام لا وكان ابن عباس يرخص لها ان تنفر اذا
حاضت وكان ابن عمر يقول في اول امره لا تنفر ثم قال في اخر امره ان رسول الله صلى الله
رخص لهن رواه الشيخان وعن عايشة ان صفية بنت حيي حاضت فذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال احابستنا هي قالوا انها قد افاضت قال فلا اذن ومعنى قوله
احابستنا هي اي ما منعتنا من التوجه من مكة في الوقت الذي اردنا التوجه فيه
ظنا منه صلى الله عليه وسلم انها ما طافت طواف الافاضة وانما قال ذلك لانه كان يتركها

ويتوجه

ويتوجه ولا يامرها بالتوجه معه وهي باقية على احرامها فيحتاج الى ان يقيم حتى
تطهر وتطوف وتحل الحل الثاني وفي رواية فحاضت صفية فاراد النبي صلى الله
منها ما يريد الرجل من اهله فقلت يا رسول الله انها حايض قال احابستنا هي الحديث
وهذا مشكل لانه صلى الله عليه وسلم ان كان علم انها طافت طواف الافاضة
فكيف يقول احابستنا هي وان كان ما علم فكيف يريد وقاعها قبل التحلل الثاني
ويجاب عنه بانه صلى الله عليه وسلم ما اراد ذلك منها الا بعد ان استاذنه
نساؤه في طواف الافاضة فاذن لهن فكان بانيا على انها قد حلت فلما قيل له
انها حايض جوز ان يكون وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الافاضة فاستفهم
عن ذلك فاعلمته عايشة انها طافت معهن فزال عنه ما خشيه من ذلك انتهى
وقالت عايشة يا رسول الله ينطلقون بحج وعمرة وانطلق بحج فامر عبد الرحمن بن
ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه الشيخان وفي رواية
لمسلم انها وقفت المواقف كلها حتى اذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة
ثم قال لها يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك جميعا فقالت
يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حين حججت قال فاذهب بها يا عبد الرحمن
فاعمرها من التنعيم وذلك ليلة الحصبة زاد في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا
سهلا اذا هويت شيئا تابعها عليه وقد كانت عايشة قارنة لانها كانت قد
اهلت بالعمرة فحاضت فامرها فادخلت عليها الحج وصارت قارنة واخبرها

ان طوافها بالبيت وبين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها
اذ ترجع صواحبها بحج وعمرة مستقلتين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن
وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها فامر اخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبًا لقلبها ثم
ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعًا الى المدينة فخرج من كدا بضم الكاف مقصورًا
وهي عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قيقعان واختلف في المعنى
الذي لاجله خالف صلى الله عليه وسلم بين طريقيه فقيل ليتبرك به كل من طريقه وقيل الحكمة
في ذلك المناسبة لجهة العلو عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه للاشارة
الى فراقه وقيل لان ابراهيم عليه السلام لما دخل مكة دخل منها وقيل غير ذلك
وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم لقي ركبًا
بالروحاء فقال من القوم فقال المسلمون يا رسول الله فرفعت امرأة صبيًا لها من
محفه فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم
لذي الحليفة بات بها قال بعضهم نزوله لم يكن قصدًا وانما كان اتفاقًا حكاه
القاضي اسماعيل في احكامه عن محمد بن الحسن وتعقبه والصحيح انه كان قصدًا لئلا
يدخل المدينة ليلًا ويدخل المدينة كبر ثلثا وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ايبون تايبون عابدون ساجدون
لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخلها
اي المدينة نهارًا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة والمهملتين وهو مكان

معروف

الجزء

معروف وكل من العرس والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى مكة على ستة
اميال من المدينة انتهى ملخصًا من فتح الباري وغيره والله اعلم واما عمره صلى الله عليه وسلم
والعمرة في اللغة الزيارة ومذهب الشافعي واحمد وغيرهما انها واجبة كالحج و
المشهور عن المالكية انها تطوع وهو قول الحنفية وقد اعتمر صلى الله عليه وسلم
اربع عمر ففي الصحيحين وسنن الترمذي وابو داود عن قتادة قال سالت انسًا
كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حج حجة واحدة واعتمر اربع عمر عمرة في ذي القعدة
وعمرة الحديبية وعمرة مع حجته وعمرة الجعرانة قسم غنيمة حنين هذا لفظ رواية
الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية الصحيحين اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة
الا التي مع حجته عمرة الحديبية او زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام
المقبل في ذي القعدة وعمرة من جعرانة حيث قسم غنايم حنين في ذي القعدة
في حجته وعن محرش الكعبي انه صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلًا معتمرًا فدخل مكة ليلًا
فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فاصبح بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج
في بطن سرف حتى جامع الطريق طريق جمع ببطن سرف ومن اجل ذلك خفيت عمرته على
الناس رواه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه
قبل ان يحج رواه ابو داود وعن عروة ابن الزبير قال كنت انا وابن عمر مستندين
الى حجرة عايشة وانا اسمع صوتها بالسواك تستن قال فقلت يا ابا عبد الرحمن
اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعايشة اي امتاه الا تسمعين ما يقول

عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقال يغفر الله
لابي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة الا وانه لمعه قال وابن عمر
يسمع ما قال لا ولا نعم سكت وفي رواية ابي داود عن عروة عن عايشه قالت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة وعمرة في شوال وفي رواية له
عن مجاهد قال سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرتين فبلغ
عايشة فقالت لقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي
قرنها بحجة الوداع وقد ذكرت الاختلاف فيما كان عليه السلام محرما به في حجة
الوداع والجمع فيما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن عايشة انه عليه السلام
كان مفردا وحديثها هذا يشعر بانه كان قارنا وكذا ابن عمر قد انكر على انس لكونه قال
انه عليه السلام كان قارنا مع ان حديثه هذا المتقدم يدل على انه كان قارنا لانه لم ينقل
انه عليه السلام اعتمر مع حجته ولم يكن متمتعا لانه عليه السلام اعتذر عن ذلك
بكونه ساق واحتاج بعضهم الى تاويل ما وقع عن عايشة وابن عمر هنا فقال انما
يجوز نسبة العمرة الرابعة اليه صلى الله عليه وسلم باعتبار انه امر الناس بها وعملت
بحضرته لا انه صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه وانت اذا تاملت ما تقدم من
اقوال الايمة في حجته صلى الله عليه وسلم من الجمع استغنيت عن هذا التاويل المتعسف
قال بعض العلما المحققين وفي عدهم عمرة الحديبية التي صد عنها صلى الله عليه وسلم
ما يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى حجة قول الجمهور انه يجب القضا على من صد

عن البيت

عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة
وانما سميت عمرة القضية والقضا لان النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا
انها وقعت قضاء عن عمرة التي صد عنها اذ لو كان كذلك لكان واحدة واما حديث
ابي داود عن عايشة انه اعتمر في شوال فان كان محفوظا فلعله يريد العمرة الجعرانة
حين خرج في شوال ولكن انما احرم بها في القعدة وانكر ابن القيم ان يكون صلى الله
اعتمر في رمضان نعم قد اخرج الدارقطني من طريق العلا بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود
بن زيد عن ابيه عن عايشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة
رمضان فافطر وصمت وقصر واتممت وقال ان اسناده حسن لكن يمكن حمله على
ان قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون المراد سفر فتح مكة فانه كان في
رمضان واعتمر عليه السلام في تلك السنة من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما تقدم و
اما قول ابن القيم في الهدي ايضا ولم يكن في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة
خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة و
قد اقام بمكة بعد الوحي ثلثة عشر سنة لم ينقل عنه احد انه اعتمر خارجا من مكة في
تلك المدة اصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي العمرة الداخل الى مكة لا عمرة من كان
بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل هذا على عهده احد قط الا عايشة وحدها انتهى
فيقال عليه بعد ان فعلته عايشة بامره فقد دل على مشروعيته وروى الفاكهي وغيره
من طريق محمد بن سيرين قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم

وعن طريق عطا قال من اراد العمرة ممن هو من اهل مكة او غيرها فليخرج الى التنعيم او الى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره في ذلك سواء

النوع السابع من عباداته عليه السلام في نبذة من ادعيته وذكره وقراءته

اختلف هل الدعا افضل ام تركه والاستسلام للقضا افضل فقال الجمهور الدعا افضل وهو من اعظم العبادة ويؤيده ما اخرجه الترمذي من حديث انس رفعه الدعا مخ العبادة وقد تواردت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب في الدعاء والحث عليه واخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعاء فاذا اتممت الدعاء علمت ان الاجابة معه وفي هذا يقول القائل

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه ... من جود كفك ما عودتني الطلبا

فالله تعالى يحب تذلل عبيده بين يديه وسؤالهم اياه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم منه اليه وعياذهم به منه وفرارهم منه اليه كما قيل

قالوا اتشكو اليه ... ما ليس يخفى عليه
فقلت ربي يرضى ... ذل العبيد لديه

وقالت طائفة الافضل ترك الدعاء والاستسلام للقضا واجابوا عن قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم بان اخرها دل على ان المراد بالدعاء هو العبادة قال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعا في الاية على ظاهره واما قوله تعالى بعد ذلك ان الذين يستكبرون عن عبادتي فوجه الربط ان الدعاء اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر

عن الدعا

عن الدعاء وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعا استكبارا ومن فعل ذلك كفر واما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان ملازمة الدعاء والاستكثار منه ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه وقال القشيري في الرسالة اختلف اي الامرين اولى الدعا او السكوت والرضا لما في التسليم من الفضل انتهى وشبهتهما ان الداعي لا يعرف ما قدر له فدعاؤه ان كان على وفق القدرة فهو تحصيل الحاصل وان كان على خلافه فهو معاند واجيب بانه اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدر الله تعالى كان اذا دعا وبالا ومعاندة وفائدة الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون المدعو به موقوفا على الدعاء لان الله تعالى خلق الاسباب ومسبباتها انتهى وقد ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية الدعاء فقال اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد وقال عليه السلام في رجل يدعو اوجب ان ختم بامين رواه ابو داود وقال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم على المسالة فان الله لا مكره له رواه البخاري وغيره ومعنى العزم الجد فيه وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى وان كان مامورا في جميع ما يريد فعله ان يعلقه بمشيئة الله تعالى وقيل معنى الجزم العزم ان يحسن الظن بالله في الاجابة فانه يدعو كريما وقد قال ابن عيينة لا يمنعن احدا الدعا

ما يعلم من نفسه يعني من التقصير فان الله تعالى دعاء اشر خلقه وهو ابليس قال انظرني
الى يوم يبعثون قال عليه السلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي
رواه الشيخان وغيرهما وكان عليه السلام يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى
ذلك رواه ابو داود من حديث عايشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة المقاصد
الصحيحة او تجمع الثناء على الله تعالى واداب المسألة وكان صلى الله عليه وسلم
يقول في دعائه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي
فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي اليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير و
اجعل الموت راحة لي من كل شر رواه مسلم من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم
انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله
من حال اهل النار رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم متعني
بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثاري
رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ايضا وكان اكثر دعائه ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه الشيخان من حديث انس وكان يقول
رب اعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني
وانصرني على من بغى علي رب اجعلني شاكرا لك ذاكرا لك راهبا مطواعا لك
مخبتا اليك اواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي و
ثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي

وكان يقول اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت
اللهم اعوذ بعزتك لا اله الا الله انت ان تضلني انت الحي الذي لا يموت والجن والانس
يموتون رواه الشيخان عن ابن عباس وكان يقول اللهم اني اسالك الهدى والتقى
والعفاف والغنى رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وكان يقول اللهم
اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي
جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما
اخرت واسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر
وانت على كل شيء قدير رواه الشيخان من حديث ابي موسى وكان اكثر دعائه يا
مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي من حديث ام سلمة وكان يقول
اللهم عافني في جسدي وعافني في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني
لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين
رواه الترمذي وكان يقول اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي
من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس رواه النسائي وكان يقول اللهم
اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بقوم فتنة
فاقبضني اليك غير مفتون رواه في الموطا وكان يدعو اللهم فالق الاصباح و
جاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر
وامتعني بسمعي وبصري وقوتي وتوفني في سبيلك رواه في الموطا وكان ع م

يتعوذ فيقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ
بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه الشيخان من حديث
انس وفي رواية ابي داود اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين
وغلبة الرجال وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجذام والبرص والجنون
ومن سيئ الاسقام رواه ابو داود والنساي من حديث انس وكان يقول اللهم
اني اعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن علم لا
ينفع واعوذ بك من هذه الاربع رواه الترمذي والنساي من حديث ابن عمرو
بن العاص وكان يقول اللهم اني اعوذ بك زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاة
نقمتك وجميع سخطك رواه مسلم وابو داود من حديث ابن عمرو بن العاص
ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة واعوذ بك من
ان اظلم او اظلم رواه ابو داود من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم اني
اعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق رواه ابو داود من حديث
ابي هريرة ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بيس الضجيع واعوذ بك
من الخيانة فانها بيست البطانة رواه ابو داود والنساي من حديث ابي هريرة
ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة
الاعداء رواه النساي وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الهرم واعوذ بك
من التردي ومن الغرق والحرق والهرم واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت

واعوذ

واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لديغا رواه ابو
داود والنساي من حديث ابي اليسر وكان يتعوذ من عين الجن والانس فلما نزلت
المعوذتان اخذ بهما وترك ما سوى ذلك رواه النساي وكان اذا خاف قوما
قال اللهم نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم رواه ابو داود وكان
يعوذ الحسن والحسين ويقول ان اباكما كان يعوذ بها اسمعيل واسحاق اعوذ بكلمات
الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة رواه البخاري والترمذي
وقد استشكل صدور هذه الادعية ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ووجوب عصمته واجيب بانه امتثل ما
امر الله به من تسبيحه وسواله المغفرة من قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ويحتمل ان
يكون قاله على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى لما علم انه
قد غفر له ويحتمل ان يكون سواله ذلك لامته او للتشريع والله اعلم وكان عليه السلام
عند الكرب وهو ما يهجم الانسان مما ياخذ بنفسه ويحزنه ونغمه يدعو لا اله الا الله العظيم
الحليم لا اله الا الله رب السموات والارضين رب العرش العظيم رواه البخاري
وفي رواية لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله
الا الله رب السموات والارضين ورب العرش الكريم قال الطيبي صدر هذا الثنا
بذكر رب ليناسب كشف الكرب لانه مقتضى التربية ومنه التهليل المشتمل على التوحيد
وهو اصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام المقدرة والحلم الذي تدل

على العلم اذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما اصل الاوصاف الاكرامية انتهى وكان صلى الله عليه وسلم همه امر رفع راسه الى السماء وقال سبحان الله العظيم رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وكان عليه السلام اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث رواه ابو داود من حديث انس وقال عليه السلام ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني عن ابي هريرة وتقدم في المقصد الثامن مزيد لذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم راد الضالة وهادي الضالة انت تهدي من الضلالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما رواه ابو داود عن انس وقال ابو موسى الاشعري كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه وعنده ايضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اني ابرا اليك مما صنع خالد لكن في حديث انس لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في شيء من دعائه الا في الاستسقاء وهو حديث صحيح ويجمع بينه وبين ما تقدم بان الرفع في الاستسقاء يخالف غيره اما بالمبالغة الى ان يصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعاء الى حذو المنكبين ولا يعكر على ذلك انه ثبت في كل منهما حتى يرى

بياض

بياض ابطيه بل يجمع بان تكون رؤية البياض في الاستسقاء ابلغ منها في غيره واما ان الكفين في الاستسقاء يليان الارض وفي الدعاء يليان السماء قال الحافظ عبد العظيم المنذري وبتقدير الجمع فجانب الاثبات ارجح انتهى وروى الامام احمد والحاكم وابو داود انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجة ويبسطهما وهذا يقتضي ان يكونا متفرقتين مبسوطتين لا كهيئة الاغتراف قال الحافظ ابن حجر غالب الاحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء انما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعاء وروى ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وهل يمسح بهما وجهه اما في القنوت في الصلوة فالاصح لا لعدم وروده فيه قال البيهقي لا احفظ فيه عن احد من السلف شيئا وان روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلوة وقد روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم خارجها فاما فيها فعمل لم يثبت فيه خبر ولا اثر ولا قياس والاولى ان لا يفعله وقد دعا صلى الله عليه وسلم لانس فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته رواه البخاري وفي الادب المفرد له عن انس قال قالت ام سليم وهي ام انس خويدمك الا تدعو له فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته واغفر له وفي الصحيح ان انسا كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت وفاته سنة احدى وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله مائة وثلاث

سنين قال خليفة وهو المعتمد واكثر ما قيل في سنة انه بلغ مائة سنة وسبع سنين
واقل ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين واما كثرة ولده فروى مسلم قال انس فوالله
ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم وورد
في حديث رواه الشيخان ان انسا قال اخبرتني ابنتي امينة اي بضم الهمزة وفتح الميم
وسكون المثناة التحتية بعدها نون انه دفن من صلبي الى مقدم الحجاج البصرة مائة
وعشرون وقال ابن قتيبة في المعارف كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى راى
كل واحد منهم من ولده مائة ذكر لصلبه ابو بكرة وخليفة بدر وزاد غيره
رابعا وهو المهلب بن ابي الصفرة واخرج ابن سعد عن انس قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر له فقد دفنت من صلبي مائة واثنين
وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وارجو الرابعة
واخرج الترمذي عن ابي العالية في ذكر انس وكان له بستان ياتي في كل سنة
الفاكهة مرتين فكان فيه ريحان يفوح منه ريح المسك ورجاله ثقات ودعا
لمالك بن ربيعة السلولي ان يبارك له في ولده فولد له ثمانون ذكرا رواه ابن عساكر
وارسل عليه السلام الى علي يوم خيبر وكان ارمد فتفل في عينيه وقال اللهم
اذهب عنه الحر والبرد قال فما وجدت حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت
عيناي وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله
لا علم لي بالقضاء فقال ادن مني فدنا منه فضرب يده على صدره وقال اللهم

اهد

اهد قلبه وثبت لسانه قال علي والله ما شككت في قضاء بين اثنين رواه ابو داود
وغيره وعاد صلى الله عليه وسلم عليا فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال
قم قال علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد رواه الحاكم وصححه البيهقي وابو نعيم
ومرض ابو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي ادع ربك
الذي تعبد ان يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام ابو طالب كانما نشط من عقال
قال يا ابن اخي ان ربك الذي تعبد ليطيعك قال وانت يا عماه لئن اطعت الله
ليطيعنك رواه ابن عدي والبيهقي وابو نعيم من حديث انس وتفرد به
الهيثم وهو ضعيف ودعا عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين
اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التاويل رواه البغوي وابن سعد و
في رواية البخاري اللهم علمه الكتاب فكان عالما بالكتاب خير الامة بحر العلم
رئيس المفسرين ترجمان القران وكونه في الدرجة العليا والمحل الاقصى
لا يخفى وقال النابغة الجعدي لما قال ولا خير في حلم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرا ولا خير في امر اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الا اصدرا
لا يفضض الله فاك اي لا يسقط الله اسنانك وتقديره لا يسقط الله اسنان فيك
فحذف المضاف قال فاتى عليه اكثر من مائة سنة وكان من احسن الناس ثغرا و
رواه البيهقي وقال فيه فلقد رايته ولقد اتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب
له سن وفي رواية ابن اسامة وكان من احسن الناس ثغرا واذا اسقطت سن نبت له

اخرى وعند ابن السكن فرايت سنان النابغة ابيض من البرد لدعوته صلى الله عليه وسلم
وسقاه عليه السلام عمرو بن اخطب ماء في قدح قوارير فراى فيه شعرة فاخذها
فقال اللهم جمله فبلغ ثلاثا وتسعين سنة وما في لحيته وراسه شعرة بيضاء
واخرج البيهقي عن انس ان يهوديا اخذ من لحية النبي صلى الله عليه وسلم قذى
فقال اللهم جمله فاسودت لحيته بعدما كانت بيضاء وقال عبد الرزاق انبانا
معمر عن قتادة قال حلب يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم
جمله فاسودت شعره حتى صار اشد سوادا من كذا وكذا قال معمر وسمعت
غير قتادة يذكر انه عاش تسعين سنة وابو داود في المراسيل والبيهقي وقال
مرسل شاهد لما قبله وقال عليه السلام لابن الحمق الخزاعي وقد سقاه عليه السلام
اللهم امتعه بشبابه فمرت له ثمانون سنة لم ير شعره بيضا رواه ابو نعيم
وغيره وجاءته فاطمة وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله عليه وسلم
ووضع يده على صدرها ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمه بنت محمد قال
عمران بن الحصين فنظرت اليها وقد علا الدم على الصفرة في وجهها ولقيتها
بعد فقالت ما جعت يا عمران ذكره يعقوب بن سليمان الاسفرايني في دلايل الاعجاز
ودعا عليه السلام لعروة بن جعد البارقي اللهم بارك له في صفقة يمينه قال
فما اشتريت شيئا قط الا ربحت فيه وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في
صدره اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرس بعد وقال لسعد

ابن ابي وقاص اللهم اجب دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني
في الاوسط ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن انس زاد البيهقي
من وجه اخر قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا او فضة
الحديث قال القاضي عياض وقد فتح الله عليه ومات فحفر الذهب في تركته بالفؤوس
حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة
الف وقيل صولحت احداهن لانه طلقها في مرض موته على ثمانين الفا واوصى بخمسين
الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق
مرة بعير فيها سبعماية بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها
وباحلاسها وذكر الطبري فيما عزاه للصفوة عن الزهري انه تصدق بشطر ماله اربعة
الاف ثم تصدق باربعين الف دينار ثم حمل على خمسماية فرس في سبيل الله ثم حمل
على خمسماية فرس وكان عامة ماله من التجارة ودعا على مضر فاقحطوا حتى اكلوا العلهز
وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش ولما تلى عليه السلام والنجم اذا هوى قال
عتيبة بن ابي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتيبة
مع اصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بالشام راى اسد فجعلت فرايصه ترعد
فقيل له من اي شيء ترعد فوالله ما نحن وانت في هذا الا سواء فقال ان محمدا دعا علي
ولا والله ما اظلت هذه السماء من ذي لهجة اصدق من محمد ثم وضعوا العشا فلم يدخل
يده فيه حتى جاء النوم فاحاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء

الاسد يستنشق روسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فمضغه مضغة وهو يقول لم
اقل لكم ان محمدا اصدق الناس ومات ذكره يعقوب الاسفرايني وتقدم في ذكر اولاده
عليه السلام قصته بنحو هذا وعن مازن الطاي وكان بارض عمان قلت يا رسول الله
اني امرء مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء والحت علينا السنون فاذهبن الاموال
واهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما احد ويا تينا
بالحياء ويهب لي ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراة القران
وبالحرام الحلال واته بالحياء وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني كلما كنت
احد واخصبت عمان وتزوجت اربع حراير ووهب الله لي حيان بن مازن رواه البيهقي
ولما نزل عليه السلام تبوك صلى الى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال صلى الله عليه وسلم قطع صلوتنا
قطع الله اثره فاقعد لم يقم رواه ابو داود والبيهقي لكن سنده ضعيف فاكل عنده
رجل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها الى فيه قط
والرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة بن عين بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية
وطلب معاوية فقيل له انه ياكل فقال في الثانية لا اشبع الله بطنه فما شبع بطنه
ابدا رواه البيهقي من حديث ابن عباس وكان معاوية رديفه يوما فقال يا معاوية
ما يليني منك قال بطني قال اللهم املاه علما وحلما رواه البخاري في تاريخه وقال
لابن زوان اللهم اطل شقاه وبقاه فادركه شيخا كبيرا شقيا يتمنى الموت وكم له
صلى الله عليه وسلم من دعوات مستجابات وقد افرد القاضي عياض بابا في الشفا

ذكر فيه طرفا منها وكذا الامام يوسف بن يعقوب الاسفرايني في كتاب دلايل الاعجاز فكم
اجابه الله تعالى الى مسوله واجناه من شجرة دعايه وثمرة سوله اما احاديث ابي هريرة عند
البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعوا بها واريد
ان اجسى دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة فقد استشكل ظاهره بما ذكرته وبما وقع لنبينا
ولكثير من الانبيا صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة فان ظاهره ان لكل نبي
دعوة مجابة فقط واجيب بان المراد بالاجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا
ذلك من دعواتهم فهم على رجاء الاجابة وقيل معنى قوله لكل نبي دعوة اي افضل دعواته
ولهم دعوات اخرى وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في امته اما باهلاكهم
واما بنجاتهم واما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب وقيل لكل
منهم دعوة تخصه لدنياه او لنفسه كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
وقول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني وقول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي واما قول الكرماني في شرحه على البخاري فان قلت هل جاز الا يستجاب
دعاء النبي م قلت لكل نبي دعوة مستجابة واجابة الباقي في مشية الله فقال العيني
هذا السؤال لا يعجبني فان فيه بشاعة وانا لا اشك ان جميع دعوات النبي صلى الله عليه وسلم
مستجابة وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لانه ليس بمحصور انتهى ولم ينقل انه م
دعا بشيء فلم يستجب وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على ساير
الانبيا حيث اثر امته على نفسه واهل بيته بدعوته المجابة ولم يجعلها دعاء عليهم

بالحلاوة كما وقع لغيره صلوات الله وسلامه عليهم وظاهر الحديث يقتضي انه عليه السلام اخر الدعاء والشفاعة ليوم القيمة فذلك اليوم يدعو ويشفع ويحتمل ان يكون المؤخر ليوم القيمة ثمرة تلك الدعوة ومنفعتها واما طلبها فحصل من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وقد امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالترقي في مراتب التوحيد بقوله فاعلم انه لا اله الا الله فانه ليس امر بتحصيل ذلك العلم لانه عالم بذلك ولا بالثبات لانه معصوم فتعين ان يكون للترقي في مرتبة ومقاماته اشارة الى ان العلم به تعالى والسير اليه لا نهاية له ابدا لجميع العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية في العالم منتظم في سلك تحقيقها ومستتر من افنان طواياها ولذا اكتفي بعلمها له صلى الله عليه وسلم في الاية فالشان كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله وقد قال تعالى له عليه السلام واذكر اسم ربك واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية لانه لا بد في اول السلوك من الذكر باللسان مدة ثم يزول الاسم ويبقى المسمى فالدرجة الاولى هي المرادة بقوله واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية هي المرادة بقوله واذكر ربك وفي استيفاء مباحث ذلك الطول يخرج عن الغرض وقد تقدم جملة من اذكاره عليه السلام مفرقة في الوضوء والصلوة والحج وغير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب اليه في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة كما رواه عنه ابو هريرة عند البخاري وظاهره انه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل ان يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم يقول هذا

اللفظ

اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما اخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم ماية مرة وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور ماية مرة ويحتمل ان يريد بقوله في حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة المبالغة ويحتمل ان يريد العدد بعينه ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث ابن عمر المذكور وانه يبلغ ماية مرة وقد وقع من طريق اخرى عن ابي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم ماية مرة لكن خالف اصحاب الزهري في ذلك نعم اخرج النسائي ايضا من رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم ماية مرة واخرج النسائي ايضا من طريق عطا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم ماية مرة واستغفاره عليه السلام تشريعا لامته او من ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك فان قلت ما كيفية استغفاره عليه السلام فالجواب انه ورد في حديث شداد بن اوس عند البخاري سيد الاستغفار ان يقول اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي

فاغفرلي فانه لايغفر الذنوب الا انت قال من قالها من النهار موقنا بها فمات
من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات
قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة فتعين ان هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله
لايترك الافضل واما قراته عليه السلام وصفتها فكانت مدا يمد بسم الله
ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن انس ونعتتها ام سلمة قراة مفسرة
حرفا حرفا رواه ابو داود والنساى والترمذي وقالت ايضا كان عليه السلام
يقطع قراته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف
رواه و قالت حفصة كان يرتل السورة حتى يكون اطول من اطول منها رواه مسلم
و قال البراء كان يقرا في العشا والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا
او قراة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراته عليه السلام
ترتيلا لاهذا ولاعجلة بل قراة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراته اية اية وكان
عندحروف المد وكان يتغنى بقراته ويرجع صوته بها احيانا كما رجع يوم الفتح
في قراة انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه ا ا ا ثلث مرات
ذكره البخاري واذا جمعت هذا الحديث الى قوله زينوا القران باصواتكم و
قوله ليس منا من لم يتغن بالقران وقوله اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت
يتغنى بالقران اي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقران ان يتلوه ويجهر به يقال
فيه اذن ياذن اذنا بالتحريك علمت ان هذا الترجيع منه صلى الله عليه وسلم كان

اختيارا

اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لاجل هز الناقة لما كان داخلا تحت
الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتاسى به وهو يرى
هذا من هز الناقة له حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراته فنسب الترجيع الى
فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعا وقد استمع عليه السلام
ليلة لقراة ابي موسى الاشعري فلما اخبره بذلك قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته
لك تحبيرا اي حسنته وزينته بصوتي تزيينا وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله
زينوا القران باصواتكم من باب المقلوب اي زينوا اصواتكم بالقران فان القلب
لاوجه له قال ابن الاثير ويؤيد ذلك تاييدا لاشبهة فيه حديث ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء حلية وحلية القران حسن الصوت
والله اعلم وقد اختلف العلماء في هذه المسالة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل
النزاع في ذلك ان يقال ان التطريب والتغني على وجهين احدهما ما اقتضته الطبيعة
وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل اذا خلي وذلك وطبعه واسترسلت
طبيعته جات بذلك التطريب والتلحين فهذا جايز وان اعانته طبيعته على فضل
تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته
تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لايملك من نفسه دفع التحزين
والتطريب في القراة ولكن النفوس تقبله وتستحليه وتستملحه لموافقة الطبع وعدم
التكلف والتصنع فهو مطبوع لامتطبع وكلف لامتكلف فهذا هو الذي كان

السّلف يفعلونه ويسمعونه وهو التغني المحمود وهو الذي يتاثر به التالي والسامع والوجه
الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنايع ليس من الطبايع السماحة بدليل لا تحصل
الا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم اصوات الغنا بانواع الالحان البسيطة والمركبة
على ايقاعات مخصوصية واوزان مخترعة لا يحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي
كرها السّلف وعابوها وانكروا القراة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصوا
من غيره وكل من له علم باحوال السّلف يعلم قطعًا انهم براء من القراة بالحان الموسيقى
المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وانهم
اتقى الله من ان يقروا بها ويسوغوها ويعلم قطعًا انهم كانوا يقرون بالتحزين
والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقران ويقرونه لشجا تارة وتطرب اخرى هذا
في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة اتقاضى الطباع له بل ارشد اليه وندب اليه
صلى الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله لمن قرا به وقال ليس منا من لم يتغن بالقران
وليس المراد الاستغناء به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن
الصوت والجهر به معنى والمعروف في كلام العرب ان التغني انما هو الغنا الذي هو حسن
الصوت بالترجيع قال الشاعر تغن بالشعر اما كنت قايله ان الغنا لهذا الشعر مضمار
وروى ابن ابي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعًا تعلموا القران وغنوا به واكتبوه الحديث
والله اعلم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى الاشعري يقرا فقال لقد اوتي هذا
مزمارا من مزامير ال داود يعني مزامير داود نفسه كما ذكره اهل المعاني وفي طريق اخر كما

تقدم

تقدم انه موسى قال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا قال ابن المنير فهذا
يدل على انه كان يستطيع ان يتلو شيء من المزامير عند المبالغة في التحبير لانه قد تلا مثلها
وما بلغ الحد فكيف لو بلغ حدًا استطاعته وقد كان داود عليه السلام اذا اراد ان
يتكلم على بني اسرايل يجوع سبعة ايام لا ياكل ولا يشرب ولا ياتي النساء ثم يامر سليمان
فينادي في الضواحي والنواحي والاكام والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا
ثم يخرج له منبر الى الصحراء فيجلس عليه وسليمان قايم على راسه فياتي الانس والجن
والطير والوحش والهوام والعذاري المخدرات يسمعون الذكر فياخذ في الثناء على
الله بما هو اهله فيموت طايفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة فيموت طايفة فاذا استحر
الموت بالخلق قال له سليمان يا نبي الله قد استحر الموت بالناس وقد مزقت المستمعين
كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل سريره الى بيته وينادي منادي سليمان ايها الناس
من كان له مع سليمان داود قريب وحميم فليخرج لافتقاده فكانت المراة ياتي بالسرير
فتقف على زوجها او ابنها او اخيها فتدخل به المدينة فاذا افاق داود في اليوم
الثاني يا سليمان ما فعل عباد بني اسرائل فيقول له سليمان قد مات فلان وفلان وهلم
جرا فيضع يده داود على راسه وينوح ويقول يا رب داود اغضبان انت على داود
حتى انه لم يمت فيمن مات خوفا منك او شوقا اليك فلا يزال ذلك دابه الى المجلس الاخر
واقام داود عليه السلام على ذلك ما شاء الله تعالى ولا اظن بما ذكرته من حال بني اسرايل
انهم في ذلك اغلا من هذه الامة فاما المزامير فحسبك ما ذكر من حال ابي موسى الاشعري

واما الموت من الموعظة شوقا او خوفا فلنا فيه طريقان احدهما ان نقول ان القوة
التي اوتيها هذه الامة تقاوم الاحوال الواردة عليها فتتماسك الحياة ولا
تفنى القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتابيدات الالهية فلفرط قوة هذه
الامة ان شاء الله تعالى تقارب عند سلفها الصالح ما بين حال سماع الموعظة وحال
عدم سماعها لتوالى احوال الذكر واطوار اليقين وقد قال بعضهم لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا فتماسك قوة السلف عند واردات الاحوال هو الذي فرق بينهم و
بين من قبلهم الا ترى ان داود وسليمان عليهما السلام وهما اصحاب المزامير لم يتفق
لهما الموت كما اتفق لمن مات وما ذاك من نقصيرهما في الخوف والشوق ولكن من القوة
الربانية التي امدهما بها ولا خلاف بان داود عليه السلام وان لم يمت من الذكر افضل
ممن مات امته واما نواحه على كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيده شرفا لا من
التقصير عن احاد امته بل لارتفاعه عنهم درجات وزلفى والى هذه القوة الالهية
اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد راى انسانا يبكى من الموعظة فقال
هكذا كنا حتى قست القلوب عبر عن القوة بالقسوة تواضعا ومرتبته بحمد الله محفوظة
ومنزلته مرفوعة والطريق الثاني ان نقول قد روي ما لا يخفى كثرة عن هذه الامة مثل
ما اتفق في مجلس داود عليه السلام موت المستمعين في مجلس السماع قديما وحديثا
ولابي اسحاق الثعلبي جزء في القتلى القران رويناه وعندي من ذلك جملة ارجوا
تدوينها بل قد روي عن كثير من المريدين انهم ماتوا بمجرد النظر الى المشايخ كما يحكى

ان مريدا لابي تراب النخشبي كان يتجلى له الحق تعالى في كل يوم مرات فقال له ابو تراب
لو رايت ابا يزيد لرايت امرا عظيما فلما ارتحل المريد مع شيخه ابي تراب النخشبي لابي يزيد و
وقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له ابو تراب يا ابا يزيد نظرة منك قتلته وقد كان
يدعى رؤية الحق فقال له ابو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان الحق يتجلى له على
قدر مقامه فلما راني تجلى له الحق تعالى على قدري فلم يطق فمات واصطلاح اهل
الطريق في التجلي معروف وحاصله رتبة من المعرفة جلية عليه ولم يكونوا يعنون
بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى عليه السلام على خصوصيته لن تري والتي
قيل فيها على العموم لا تدركه الابصار واذا فهمت ان مرادهم الذي اثبتوه غير
اباحة السماع المعنى الذي حصل منه الناس على الناس في الدنيا ووعد الخواص به في الاخرى فلا
ضير بعد ذلك عليك ولا طريق لسوء الظن بالقوم اليك ومتولى السرائر انتهى ملخصا
واذا علمت هذا فاعلم ان السماع في طريق القوم معروف وفي الجواذب الى المحبة
معدود موصوف وقد نقل اباحته ابو طالب في القوت عن جماعة من الصحابة
كعبد الله جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وكذا عن الجنيد والسري
وذي النون واحتج له الغزالي في الاحياء بما يطول ذكره خصوصا في اوقات
السرور المباحة تاكيدا له وتهييجا كعرس وقدوم غايب ووليمة وعقيقة وحفظ
قران وختم درس وكتاب وتاليف وفي الصحيحين من حديث عايشة ان ابا بكر
دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى يدففان ويضربان ورسول الله صلى الله

متنفش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر
فانها ايام عيد وفي رواية دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان
يغنيان بغناء بعاث وهو بضم الموحدة والعين المهملة اخره مثلثه اسم حصن
للاوس وبالمعجمة تصحيف اي ينشدان الاشعار التي قيلت يوم بعاث وهو حرب
كانت بين الانصار فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة
الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل صلى الله عليه وسلم وقال دعهما
وتعقب بان في الحديث الاخر عند البخاري عن عايشة وليستا بمغنيتين فنفت عنهما
من طريق المعنى ما اثبته لهما باللفظ لان الغنا يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم وعلى
الحدا ولا يسمى فاعله مغنيا وانما يسمى بذلك من ينشد بتمطط وتكسير وتهييج وتشوق
لما فيه من تعريض بالفواحش او تصريح قال القرطبي قولها يعني عايشة ليستا مغنيتين اي ليستا
ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك قال وهذا منها تحرز عن الغنا المعتاد
عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا اذا كان في شعر فيه وصف
محاسن النساء او الخمر وغيرها من الامور المحرمة لا يختلف في تحريمه قال واما ما ابتدعه
الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على
كثير ممن ينسب الى الخير حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجان والصبيان حتى رقصوا
بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم الى ان جعلوه
من باب القرب وصالح الاعمال وان ذلك يثمر سني الاحوال وهذا على التحقيق من اثار

الزندقة

الزندقة انتهى والحق ان السماع اذا وقع بصوت حسن بشعر متضمن للصفات العلية
والنعوت النبوية المحمدية عريا عن الالات المحرمة والحظوظ الخسيسة الغبية والشبه
الدنية واثار كامن المحبة الشريفة العلية وضبط السامع نفسه ما امكنه بحيث لا يرفع
صوته بالبكاء ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب
لله ولرسوله ويستحيل لئلا ينزل ما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن في غاية ولتمام تزكية
النفس نهاية تعم تركه والاشتغال بما هو اعلى اسلم لخوف الشبهة وللخروج من الخلاف
الا نادرا وقد نقل عن الامام الشافعي ومالك وابي حنيفة وجماعة من العلماء الفاظ
تدل على التحريم ولعل مرادهم ما كان فيه تهييج شيطاني واذا كان النظر في السماع باعتبار
تاثيره في القلب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك باختلاف الاشخاص
واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب وهو لمن يقي ربه برقبة مشير للكامن
في النفوس من الازل حين خاطبنا الحق تعالى بقوله الست بربكم فما كان في القلب
من رقة ووجد وحقيقة فهو من حلاوة ذلك الخطاب والاعضا كلها ناطقة بذكره
مستطيبة لاسمه فالسماع من اكبر مصايد النفوس واذا اقترن بالحان المناسبة
وكان الشعر متضمنا لذكر المحبوب الحق برز الكامن وداعت الاسرار سيما في ارباب
البدايات وقد شوهد تاثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهائم
فقد شوهد تدلي الطيور من الاغصان على اولى النغمات الفايقة والالحان الرايقة
وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحدا تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر

لقوة نشاطه فى سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه
فتراه اذا طالت عليه البوادى واعياه الاعيا تحت المحمل اذا سمع منادى الحدا
يمد عنقه ويصغى الى الحادى ويسرع فى سيره وربما اتلف نفسه فى شدة السير
وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه وقد حكى من ذكره فى الاحياء عن ابى بكر
الدينورى ان عبدا اسود قتل جمالا كثيرة بطيب نغمته اذ حداها وكانت محملة احمالا
ثقيلة فقطعت مسيرة ثلثة ايام فى ليله واحدة وانه حدا على جمل غيرها بحضرته فهام
الجمل وقطع حباله وحصل له هو ما غيبه من حسه حتى خر لوجهه فتاثير السماع
محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج زايد فى غلظ الطبع وكثافته
على الجمال واذا كانت هذه البهايم تتاثر بالنغمات فتاثير النفوس الانسانية
اولى

نعم لولاك ما ذكر العقيق ... ولا جابت له الفلوات نوق
نعم اسعى اليك على جفونى ... تدانى الحى او بعد الطريق
اذا كانت تحن لك المطايا ... فما ذا يفعل الصب المشوق

فزيدة السماع تلطيف السر ومن ثم وضع العارف الكبير سيدى على الوفوى حزبه
المشهور على الالحان والاوزان اللطيفة تنشيطا لقلوب المريدين وترويحا
لاسرار السالكين فان النفوس كما قدمناه لها حظ من الالحان فاذا قبلت هذه
الواردات السنية الفايضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات الفايقة
والاوزان الرايقة تشربتها العروق واخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفى

الحمدى فاثمرت شجرة خطاب الازل بما سقيته من موارد هذه اللطايف عوارف المعارف
تنبيه زعم بعضهم ان السماع ادعى للوجد من التلاوة واظهر تاثيرا والحجة عن ذلك
ان جلال القران لا تحتمله القوى البشرية المحدثة ولا تحتمل صفاتها المخلوقة ولو كشف
للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت والالحان مناسبة للطباع
بنسبة الحظوظ لا بنسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الاشجان
والاصوات بما فى الابيات من الاشارات واللطايف شاكل بعضها بعضا فكان
اقرب الى الحظوظ واخذ الى القلوب بمشاكلة المخلوق قاله ابو النصر السراج
المقصد العاشر فى اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته الى حضيرة قدسه
لديه صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله فى
الاخرة بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلى الدرجات وتشريفه بخصايص
الزلفى فى مشهد مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود
وانفراده بالسودد فى مجمع جامع الاولين والاخرين وترقيه فى جنة عدن ارقى
مدارج السعادة وتعاليه فى يوم المزيد اعلى معالى الحسنى وزياده وفيه ثلثة
فصول الفصل الاول فى اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته الى حظيرة قدسه
لديه صلى الله عليه وسلم اعلم وصلنى الله واياك بحبل تاييده واوصلنا بلطفه
الى مقام توفيقه وتسديده ان هذا الفصل مضمونه يسكب الدموع من الاجفان
ويجلب الفجايع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على اكباد ذوى الايمان

ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من
الانبياء حتى يخير واول ما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب
اجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا
فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دين الذي دعوتهم اليه افواجا فقد اقترب
اجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما امرت
من اداء الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وقد
قيل ان هذه السورة اخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في
حجة الوداع وقيل عاش بعدها احد وثمانين يوما وعند ابي حاتم من حديث ابن
عباس عاش بعدها تسع ليال وعن مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلثا ولابي يعلى
من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الوداع وفي حديث ابن عباس عند الدارمي
لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة قال نعيت
الي نفسي فبكيت قال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي فضحكت الحديث وروى الطبراني
من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله صلى الله
نفسه فاخذ باشد ما كان قط اجتهادا في امر الاخرة وللطبراني ايضا من حديث جابر لما نزلت
هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الي نفسي فقال له جبريل وللاخرة
خير لك من الاولى وروي في حديث ذكره ابن رجب في اللطايف انه تعبد حتى صار كالشن

البالي

البالي وكان عليه السلام يعرض القران كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين
وكان يعتكف العشر الاواخر من رمضان فاعتكف في ذلك العام واكثر من الذكر والاستغفار
وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم في اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب
ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقلت له انك
تدعوا بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم فقال ان ربي اخبرني اني ساري علما
في امتي واني اذا رايته ان اسبح بحمده واستغفره ثم تلى هذه السورة واخرج ابن مردويه
من طريق مسروق عن عايشة وروى الشيخان من حديث عقبة ابن عامر قال صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات
ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيدا وان موعدكم الحوض
واني لانظر اليه وانا في مقامي هذا واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض
واني لست اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا
فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم وعن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله
بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر
وقال يا رسول الله فديناك باباينا وامهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا
الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين ان يوتيه
زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك باباينا وامهاتنا

٤

قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا به فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر فلو كنت متخذ
امن اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد
خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر رضي الله عنه رواه البخاري ومسلم ولمسلم من
حديث جندب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابا
بكر فهم المرمز الذي اشار به النبي صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض موته
فاستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكى وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب
اجله في اخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم
فلعلي لا القاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع
صلى الله عليه وسلم من حجه الى المدينة جمع الناس بماء يدعى خما في طريقه بين مكة
والمدينة فخطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول
ربي فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال الحافظ ابن رجب
وكان ابتداء مرضه عليه السلام في اخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر
يوما في المشهور وكانت خطبته التي خطب بها الناس المذكورة في حديث ابي سعيد
الذي قدمته في ابتداء مرضه الذي مات فيه فانه خرج كما رواه الدارمي وهو معصوب
الراس بخرقة حتى هوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذي نفسي بيده اني لانظر
الى الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الى اخره ثم هبط عنه

فما

فما رئي عليه حتى الساعة فلما عرض النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر باختياره
اللقاء على البقاء ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير
صاحبه الخصيص به ثاني اثنين اذ هما في الغار وكان اعلم الامة بمقاصد الرسول
فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال بل نفديك باموالنا وانفسنا واو
لادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه واخذ في مدحه والثناء عليه
على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته فقال ان
امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لما كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح له ان يخالل مخلوقا فان الخليل من جرت محبة
خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا البشر كما قيل
قد تخللت مسلك الروح مني … وبذا سمي الخليل خليلا
اثبت له اخوة الاسلام
ثم قال صلى الله عليه وسلم لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي
بكر اشارة الى ان ابا بكر هو الامام بعده فان الامام يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف
وذلك من مصالح المسلمين ثم اكد هذا المعنى بامره صريحا ان يصلي بالناس ابو بكر
فروجع في ذلك وهو يقول مروا ابا بكر ان يصلي فولاه امامة الصلوة ولذا قال
الصحابة عند بيعة ابي بكر رضي الله عنه رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لديننا افلا نرضاه لدنيانا وكان ابتداء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى بيت ميمونة كما ثبت فى رواية معمر عن الزهري وفى سيرة ابى معشر كان فى بيت
زينب بنت جحش وفى سيرة سليمان كان فى بيت ريحانة والاول هو المعتمد وذكر الخطابي
ان ابتداه يوم الاثنين وقيل يوم السبت وقال الحاكم ابو احمد يوم الاربعا واختلف
فى مدة مرضه فالاكثر انها ثلثة عشر يوما وقيل اربعة عشر وقيل اثنا عشر وذكرهما
فى الروضة وصدر بالثانى قيل عشرة ايام وبه جزم سليمان التيمى فى مغازيه واخرجه
البيهقى باسناد صحيح وفى البخاري قالت عايشة لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتد وجعه استاذن ازواجه ان يمرض فى بيتى فاذن له فخرج وهو بين الرجلين
تخط رجلاه فى الارض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل اخر قال عبيد الله
فاخبرت عبد الله بالذى قالت عايشه فقال لى عبد الله بن عباس هل تدري من
الرجل الاخر الذى لم تسم عايشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي ابن ابى طالب
الحديث وفى رواية مسلم عن عايشة فخرج بين الفضل ابن عباس ورجل اخر
وفى رواية اخرى رجلين احدهما اسامة وعند الدارقطني اسامة والفضل و
عند ابن حبان فى اخرى بريرة ونوبة بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل
وهو اسم امة وقيل عبد وعند ابن عباس سعد من وجه اخر الفضل وثوبان
واجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بانه وجه تعدد فيتعدد من اتكاه
عليه وعن عايشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لنسائه انى لا استطيع
الدور فى بيوتكن فان شيتن اذنتن لى رواه احمد وفى رواية هشام ابن عروة
عن

عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اين انا غدا اين انا غدا يريد يوم عايشة
وذكر ابن سعد باسناد صحيح عن الزهري ان فاطمة هى التى خاطبت امهات المؤمنين
بذلك فقالت لهن انه يشق عليه الاختلاف وفى رواية ابن ابى مليكة عن عايشة ان
دخوله عليه السلام بيتها كان يوم الاثنين ونوبته يوم الاثنين الذى يليه وفى
مرسل ابى جعفر عند ابن ابى شيبة انه صلى الله عليه وسلم قال اين اكون غدا كررها فعرفن
ازواجه انما يريد عايشة فقلن يا رسول الله قد وهبنا ايامنا لاختنا عايشة وفى رواية
هشام بن عروة عن ابيه عند الاسماعيلي كان يقول اين انا حرصا على بيت عايشة فلما كان
يومى اذن له نساؤه ان يمرض فى بيتى وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم من جنازة بالبقيع وانا اجد صداعا فى راسى وانا اقول وا راساه ثم قال
ما ضرك لو مت قبلى فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكانى
بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بدا فى وجعه الذى مات فيه رواه احمد والنسائي
وفى البخاري قالت عايشة وا راساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وانا حى
فاستغفر لك وادعو لك فقالت عايشة واثكلياه والله انى لاظنك تحب موتى
فلو كان ذلك لظللت اخر يومك معرسا ببعض ازواجك فقال صلى الله عليه وسلم
بل انا وا راساه لقد هممت واردت ان ارسل الى ابى بكر وابنه فاعهد ان يقول القائل
او يتمنى المتمنون ثم قلت يابى الله ويدفع المؤمنون او يدفع الله ويابى المؤمنون

و قوله بل انا و راساه اضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع راسك واشتغلي
فان قلت قد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه و روى احمد في الزهد عن طاوس
انه قال انين المريض شكوى وجزم ابو الطيب و ابن الصباغ وجماعة من الشافعية
ان انين المريض مكروه قلت تعقبه النووي فقال هذا ضعيف او باطل فان المكروه
ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عايشة هذا
ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر
اولى انتهى قال في فتح الباري ولعلهم اخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى
تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضا وتورث شماتة الاعداء
واما اخبار المريض صديقه وطبيبه عن حاله فلا باس به اتفاقا فليس الوجع
شكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو راض فالمعول في ذلك
على عمل القلب لا على اللسان وقد تبين كما نبه عليه في اللطايف ان اول
مرضه عليه السلام كان صداع الراس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى
اشتدت به في مرضه فكان يجلس في مخضب و نصب عليه الماء من سبع قرب
لم تحلل اوكيتهن يتبرد بذلك وفي البخاري قالت عايشة لما دخل بيتي واشتد
وجعه قال اهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس
فاجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب
عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن به الحديث وقيل

فى الحكمة

فالحكمة في هذا العدد ان له خاصية في رفع الضرر السم والسحر وسياتي ان شاء الله تعالى
انه عليه السلام قال هنا اوان انقطاع ابهري اي من ذلك السم و تمسك بعض من انكر
نجاسة سؤر الكلب و زعم ان الامر بالغسل منه سبعا انما هو لدفع السمية التي في
ريقه وكانت عليه صلوات الله وسلامه عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده
عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء و يضاعف لنا
الاجر رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا والحاكم وقال صحيح الاسناد كلهم من رواية
ابي سعيد الخدري و قالت عايشة ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم و عن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك
كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك اجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم
يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه
البخاري والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل الم الحمى
وقيل ارعادها الموعوك وتحريكها اياه وعن الاصمعي الوعك الحر فان كان محفوظا
فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها قال ابو هريرة ما من وجع يصيبني احب الي من الحمى
انها تدخل في كل مفصل من ابن ادم وان الله يعطي كل مفصل قسطا من الاجر
واخرج النسائي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان اخت حذيفة قالت
اتينا النبي صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده فاذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى

فقال ان من اشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم يلونهم و في حديث
عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة او ركوة فيها ماء فجعل يدخل
يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات الحديث
رواه البخاري وروى ايضا عن عروة انه صلى الله عليه وسلم ما زال اجد الم الطعام
الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم و في رواية
ما زالت اكلة خيبر تعادني والاكلة بضم اللقمة التي اكل من الشاة وبعض الرواة
بفتح الالف وهو خطأ لانه عليه السلام لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله ابن الاثير
معنى الحديث انه نقض عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك
يثور عليه احيانا والابهر عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب اذا انقطع مات
صاحبه وقد كان ابن مسعود وغيره يرون انه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
من السم وعند البخاري ايضا قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيدي النبي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية مالك وامسح بيده رجاء بركتها ولمسلم فلما مرض مرضه الذي مات فيه
جعلت انفث فيه وامسح بيد نفسه لانها كانت اعظم بركة من يدي واطلقت على
السور الثلاث المعوذات تغليبا و في البخاري عن عايشة دخل عبد الرحمن بن
ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن
سواك رطب يستن به فابده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت السواك

فقضمته

فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما
رايته استن استنانا قط احسن منه الحديث قوله فابده بتشديد الدال اي مد نظره
اليه وقولها فقضمته بكسر الضاد المعجمة اي لطوله ولازالة المكان الذي تسوك
به عبد الرحمن ثم طيبته اي لينته بالماء وفي رواية له ايضا قالت ان من نعم الله
علي ان الله جمع بين ريقه عند موته دخل على عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت
اخذه لك فاشار براسه ان نعم وفي رواية عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة
فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة فاخذتها فمضغت راسها
ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها كاحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت
يده وسقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في اخر يوم من الدنيا واول يوم
من الاخرة وفي حديث خرجه البيهقي العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها
في مرضه ايتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ايتيني به امضغه لكي يختلط ريقي بريقك
لكي يهون علي عند الموت قال الحسن لما كرهت الانبياء الموت هون الله عليهم
ذلك بلقاء الله وبكلما احبوا من تحفة او كرامة حتى ان نفس احدهم لتنزع من
بين جنبيه وهو يحب لذلك لما قد مثل له وفي المسند عن عايشة ايضا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه ليهون علي لاني رايت بياض كف عايشة
في الجنة وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتها

في الجنة حتى ليهون على بذلك موتي كأني أرى كفيها يعني عائشة فقد كان عليه السلام
يحب عائشة حباً شديداً حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة
ليهون عليه موته فإن العيش إنما يطيب باجتماع الأحبة وقد سأله صلى الله عليه وسلم
رجل فقال أي الناس أحب إليك فقال عائشة فقال من الرجال فقال أبوها ولهذا
قال لها في ابتداء مرضه لما قالت وارأساه وددت أن ذلك كان وأنا حي فأصلي
عليك وأدفنك فعظم ذلك عليها وظننت أنه يحب فراقها وإنما كان عليه السلام
يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما ويروى أنه كان عنده صلى الله عليه وسلم
في مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه
فدعا بها فوضعها في كفه وقال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق
بها كلها رواه البيهقي انظر إذا كان هذا سيد المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف حال من لقي الله وعنده دماء المسلمين
وأموالهم المحرمة وما ظنه بربه تعالى و في البخاري من طريق عروة عن عائشة رض
قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها
بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم
أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه
فضحكت وفي رواية مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيها مشي النبي
فقال مرحباً يا بنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها ولأبي داود والترمذي

وابن حبان

وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت ما رأيت أحداً أشبه سمتاً
وهدياً ودلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة
وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها وقبلها وأجلسها في
مجلسه وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فأكبت
عليه فقبلته واتفقت الروايتان على أن الذي سارها به أولاً فبكت هو إعلامه
إياها بأنه ميت من مرضه ذلك واختلفتا فيما سارها به فضحكت ففي رواية
عروة أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقاً به وفي رواية مسروق أنه إخباره
إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة وجعل كونها أول أهله لحوقاً به مضموماً إلى الأول
وهو الراجح فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة
وهو من الثقات الضابطين فمما زاده مسروق قول عائشة فقلت ما رأيت
كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت ما كنت لأفشي سر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت
أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين
ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي وفي رواية عائشة بنت
طلحة من الزيادة أن عائشة لما رأت بكاها وضحكها قالت إن كنت لأظن أن هذه المرأة
من أعقل النساء فإذا هي من النساء ويحتمل تعدد القصة وفي رواية عروة
الجزم بأنه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها أنه ظن ذلك بطريق

الاستنباط مما ذكره من معارضة القران وقد يقال لا منافاة بين الخبرين الا
بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها اول اهله لحوقا به سببا لبكائها و
لضحكها معا باعتبارين فذكر كل من الروايتين ما لم يذكره الاخر وقد روى
النسائي من طريق ابي سلمة عن عايشة في سبب البكاء انه ميت وفي سبب الضحك
الامر الاخير ولابي سعد من رواية ابي سلمة عنها ان سبب البكاء موته
وسبب الضحك لحاقها به وعند الطبراني من وجه اخر عن عايشة انه قال لفاطمة
ان جبريل اخبرني انه ليس امراة من نساء المؤمنين اعظم رزية منك فلا تكوني
ادنى امراة منهن صبرا وفي الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع
كما قال صلى الله عليه وسلم فانهم اتفقوا على ان فاطمة رضي الله عنها كانت
اول من مات من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بعده حتى ازواجه عليه السلام
وقد كان صلى الله عليه وسلم من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه ثم يفيق واغمي
عليه مرة فظنوا ان وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير اليهم ان لا يلدوه
فقالوا كراهية المريض للدواء فلما افاق قال الم انهكم ان تلدوني فقالوا كراهية
المريض للدواء فقال لا يبقى احد في البيت الا لد وانا انظر الا العباس فانه
لم يشهدكم رواه البخاري واللدود ما يجعل في جانب الفم من الدواء فاما ما يصب
في الحلق فيقال له الوجور وفي الطبراني من حديث العباس انهم اذابوا
قسطا بزيت ولدوه به وفي قوله لا يبقى احد في البيت الا لد الى اخره مشروعية

القصاص

القصاص فيما يصاب به الانسان وفيه نظر لان الجميع لم يتعاطوا ذلك وانما
فعل ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه قال ابن العربي اراد ان
لا ياتوا يوم القيمة وعليهم حقه فيقعوا في خطيئة عظيمة وتعقب بانه كان
يمكن ان يقع العفو وانه كان لا ينتقم لنفسه والذي يظهر انه اراد بذلك تاديبهم
لئلا يعودوا فكان ذلك تاديبا لا اقتصاصا ولا انتقاما قيل وانما كره اللد
مع انه كان يتداوى لانه تحقق انه يموت في مرضه ومن تحقق كره له التداوي
قال الحافظ بن حجر رحمه الله وفيه نظر والذي يظهر ان ذلك كان قبل التخيير
والتحقق وانما انكر التداوي لانه كان غير ملايم لدايه لانهم ظنوا ان به
ذات الجنب فداووه بما يلايمها ولم يكن فيه ذلك كما هو الظاهر في سياق الخبر
وعند ابن سعد قال كانت تاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة فاشتد به
فاغمي عليه فلددناه فلما افاق قال كنتم ترون ان الله يسلط على ذات الجنب
ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى احد في البيت الا لد فما بقي احد في
الا لد ولددنا ميمونة وهي صايمة وروى ابو يعلى بسند ضعيف فيه ابن لهيعة
من وجه اخر عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم مات من ذات الجنب وجمع بينهما
بان ذات الجنب تطلق بازاء مرضين احدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن
والاخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاول هو المنفي هنا وقد وقع في رواية
الحاكم في المستدرك ذات الجنب من الشيطان والثاني هو الذي اثبت هنا وليس فيه

محذوركالاول وفى حديث ابن عباس عند البخاري لما حضر رسول الله صلى الله
وفى البيت رجال فقال النبى صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا
بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم
القران حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا
يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو و
الاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا قال عبيد الله فكان ابن عباس
يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان
ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم قال المازري انما جاز للصحابة
الاختلاف فى هذا الكتاب مع صريح امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها
ما ينقلها عن الوجوب فكانه ظهر منه قرينة دلت على ان الامر ليس على التحتم
بل على الاختيار فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن
بانه صلى الله عليه وسلم قال غير ذلك من غير قصد جازم وقال النووي
اتفق العلماء على قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق نظره لانه
خشي ان يكتب امورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة واراد
ان لا يسد باب الاجتهاد على العلماء فى تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على
اشارة الى تصويبه واشاره بقوله حسبنا كتاب الله تعالى ما فرطنا فى الكتاب
من شئ ولا يعارض ذلك قول ابن عباس ان الرزية الى اخره لان عمر كان افقه قطعا

ولايقال

ولا يقال ابن عباس لم يكتف بالقران مع انه حبر القران واعلم الناس بتفسيره
وتاويله ولكنه اسفا على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه لكونه اولى من الاستنباط
الاستنباط والله اعلم ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم وجعه قال مروا ابا بكر
فليصل بالناس فقالت له عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام
مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا ابا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل
مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس رواه الشيخان
وابو حاتم واللفظ له وفى رواية ان ابا بكر رجل اسيف وفى حديث عروة عن عائشة
عند البخاري فمر عمر فليصل بالناس قالت قلت لحفصة قولى له ان ابا بكر اذا قام
فى مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل
بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لاصيب منك خيرا والاسيف بوزن فعيل
وهو بمعنى فاعل من الاسف وهو شدة الحزن والمراد به رقيق القلب ولابن حبان
من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة فى هذا الحديث قال عاصم الاسيف
الرقيق الرحيم وصواحب جمع صاحبة والمراد انهن مثل صواحب يوسف فى اظهار
خلاف ما فى الباطن ثم ان هذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي
عائشة ووجه المشابهة بينهما فى ذلك ان زليخا استدعت النسوة واظهرت لاكرامهن
بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو ان ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها

فى محبته وان عايشة ان سبب ارادتها صرف الامامة عن ابيها لكونه لا يسمع المامومين
القراة لبكايه ومرادها زيادة على ذلك وهو ان لا يتشام الناس به وقد صرحت
هى بذلك كما عند البخاري فى باب وفاته عليه السلام فقالت لقد راجعته وما حملنى
على كثرة مراجعته الا انه لم يقع فى قلبى ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه ابدا
والا كنت ارى انه لن يقوم احد مقامه الا تشام الناس به ونقل الدمياطى ان الصديق
صلى بالناس سبع عشرة صلاة وقد ذكر الفاكهانى فى الفجر المنير مما عزاه لسيف بن
عمر فى كتاب الفتوح ان الانصار لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد
وجعا اطافوا بالمسجد فدخل العباس فاعلمه عليه السلام بمكانهم واشفاقهم
ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على بن ابى طالب كذلك فخرج
صلى الله عليه وسلم متوكيا على على والفضل والعباس امامهم والنبى صلى الله ع م
معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه
فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغنى انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبى
قبلى فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا انى لاحق بربى وانكم لاحقون به فاوصيكم
بالمهاجرين الاولين خيرا واوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول
والعصر ان الانسان لفى خسر الى اخرها وان الامور تجرى باذن الله تعالى ولا يحملنكم
استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن
خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم

واوصيكم

واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان يحسنوا
اليهم الم يشاطروكم فى الثمار الم يوسعوا لكم فى الديار الم يوثروكم على انفسهم
وبهم الخصاصة الا فمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز
عن مسيئهم ولا تستاثروا عليهم الا وانى فرط لكم وانتم لاحقون بى الا وان
موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى
يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم
واذا فجر الناس عقوهم وفى حديث انس عند البخاري قال مر ابو بكر والعباس
بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلس النبى ص م
منا فدخل احدهما على النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب على راسه حاشية
برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم
بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا
من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشى وعيبتى اراد انهم بطانته
وموضع سره وامانته والذين يعتمد عليهم فى اموره واستعار الكرش والعيبة
لذلك لان المجتر يجمع علفه فى كرشه والرجل يضع ثيابه فى عيبته وقيل اراد
بالكرش الجماعة اى جماعتى وصحابتى يقال عليه كرش من الناس اى جماعة قاله فى
النهاية وذكر الواحدى بسند وصله بعبد الله بن مسعود قال نعى لنا رسول الله ص م
نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عايشة قال حياكم الله

بالسلام رحمكم الله خيركم رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله اوكم الله وصيكم
بتقوى الله واستخلف عليكم الله واحذركم الله انى لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله
فى بلاده وعباده فانه قال لى ولكم تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال اليس فى جهنم مثوى
للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى اجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة
الماوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال اهل بيتى الادنى فالادنى قلنا
يا رسول الله فيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وان شيتم فى ثياب مصر او حلة يمنية قلنا
يا رسول الله من يصلى عليك قال اذا انتم غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى
هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان اول من يصلى على جبريل ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا على فوجا فصلوا
على وسلموا تسليما وليبدا بالصلوة رجال اهل بيتى ثم نساؤهم ثم انتم واقروا
السلام على من غاب من اصحابى ومن تبعنى على دينى من يومى هذا الى يوم القيمة قلنا
يا رسول الله من يدخلك قبرك قال اهلى مع ملائكة ربى وكذا رواه الطبرانى فى
وهو واه جدا وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح
يقول انه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى ثم يخير فلما اشتكى و
حضره القبض وراسه على فخذى غشى عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف
البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذى

كان

كان يحدثنا وهو صحيح وفى رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مستند الى
ظهره يقول اللهم اغفر لى وارحمنى والحقنى بالرفيق الاعلى رواه البخارى من طريق
الزهرى عن عروة وما فهمته عايشة من قوله عليه السلام اللهم الرفيق الاعلى
انه خير نظير فهم ابيها رضى الله عنه من قوله عليه السلام ان عبدا خيره الله ما بين
الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ان العبد المراد هو النبى صلى الله عليه وسلم
حتى بكى كما قدمته ذكره الحافظ بن حجر وعند احمد من طريق المطلب بن عبد المطلب
بن عبد الله عن عايشة ان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لما من نبى يقبض الا يرى
الثواب ثم يخير ولاحمد ايضا من حديث مويهبة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوتيت مفاتيح خزاين الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى
والجنة فاخترت لقاء ربى والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس
رفعه خيرت بين ان ابقى حتى ارى ما يفتح على امتى وبين التعجيل فاخترت التعجيل
وفى رواية ابى بردة ابن موسى عن ابيه عند النسايى وصححه ابن حبان فقال
اسال الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكايل واسرافيل وظاهره ان
الرفيق المكان الذى تحصل المرافقة فيه مع المذكورين وقال ابن الاثير فى النهاية
جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال
الله رفيق بعباده من الرفق والرافة انتهى وقيل المراد به حظيرة القدس وقال
السهيلى الحكمة فى اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن

التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر
باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرًا بالذكر
انتهى ملخصًا قال الحافظ بن رجب وقد روي ما يدل على انه قبض ثم راي مقعده من الجنة
ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففي المسند قالت عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ما من نبي الا يقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير بين ان ترد اليه الى
ان يلحق فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حتى مالت
عنقه فقلت قضى قالت فعرفت الذي قال فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت
اذن والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقًا و
في البخاري من حديث عروة عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا او يخير
فلما اشتكى وحضره القبض وراسه على فخذ عايشة غشي عليه فلما افاق شخص
بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى ونبه السهيلي على ان النكتة
في الاتيان بهذه الكلمة بالافراد اشارة الى ان اهل الجنة يدخلونها على قلب
رجل واحد وفي صحيح ابن حبان عنها قالت اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراسه في حجري فجعلت امسحه وادعو له بالشفاء فلما افاق قال اسال الله الرفيق
الاعلى مع جبريل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم اشتد به الامر قالت

عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم قالت و
كان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم
اعني على سكرات الموت في رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات
قال بعض العلماء ان ذلك من شدة الالام والاوجاع لرفعته وقال الشيخ
ابو محمد المرجاني تلك السكرات سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له اهله
في السياق واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدًا نلقى الاحبة محمد وصحبه فاذا
كان هذا طربه في هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهذا موضع تقصر العبادة عن وصف بعضه
وفي حديث مرسل ذكره الحافظ بن رجب انه عليه السلام قال اللهم انك تاخذ الروح
بين العصب والقصب والانامل فاعني عليه وهونه علي وعند الامام احمد و
الترمذي من طريق القاسم عنها قالت ورايته وعنده قدح فيه ماء وهو يموت
فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم اعني على سكرات الموت
ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها واكرباه لكرب ابتاه فقال لها لا كرب على
ابيك بعد اليوم رواه البخاري قال الخطابي زعم من لا يعد من اهل العلم ان المراد
بقوله عليه السلام لا كرب على ابيك بعد اليوم ان كربه كان شفقة على امته لما علم
من وقوع الاختلاف والفتن بعده وهذا ليس بشيء لانه كان يلزم ان تنقطع شفقته
على امته بموته والواقع انها باقية الى يوم القيمة لانه مبعوث الى من جاء بعده و

اعمالهم تعرض عليه وانما الكلام على ظاهره وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه السلام
من شدة وكان عليه السلام فيما يصيب جسده من الالام كالبشر ليتضاعف
له الاجر انتهى وروي ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انه حضر من ابيك ما الله
تعالى تبارك منه احدا الموافاة يوم القيمة وفي البخاري من حديث انس بن مالك
ان المسلمين بينما هم في صلوة الفجر من يوم الاثنين وابو بكر يصلي بهم لم يفجاهم
الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عايشة فنظر اليهم وهم
في صفوف الصلوة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلوة قال انس وهم
المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار
اليهم بيده صلى الله عليه وسلم ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر
وفي رواية ابي معمر عنده ايضا وكلها من حديث انس لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم
ثلاثا فاقيمت الصلاة فذهب ابو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا
قط كان اعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال
فاوما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر ان يتقدم وارخى الحجاب الحديث
رواه الشيخان وعنه ان ابا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم
الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلوة كشف رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قايم كان وجهه ورقة مصحف
ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه مسلم وقد جزم موسى
بن عقبة عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا
لابي الاسود عن عروة وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال لما بقي من اجل رسول الله
ثلاث نزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله قد ارسلني اليك اكراما لك
وتفضيلا لك وخاصة لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول كيف تجدك
فقال اجدني يا جبريل مغموما واجدني يا جبريل مكروبا ثم اتاه في اليوم الثاني
فقال له مثل ذلك ثم اتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استاذن
فيه ملك الموت فقال جبريل يا احمد هذا ملك الموت يستاذن عليك ولم
يستاذن على ادمي قبلك فلا يستاذن على ادمي بعدك قال ايذن له فدخل ملك
الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل ارسلني اليك
وامرني ان اطيعك في كل ما تامر ان امرتني ان اقبض روحك قبضتها وان امرتني اتركها
تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقايك قال صلى الله عليه وسلم فامض
يا ملك الموت لما امرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا اخر موطئ من الارض انما
كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم وجاءت
التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة ان في الله عزاء من كل مصيبة

وخلفا من كل هالك و د ركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما
المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال على اتدرون
من هذا هو الخضر عليه السلام رواه البيهقي في دلايل النبوة وفى تخريج احاديث
الاحياء للحافظ العراقي وذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر مما ذكره في الاحياء
وان النووي انكر وجود الحديث وقال انما ذكره الاصحاب ثم قال العراقي قد رواه
الحاكم في المستدرك من حديث انس ولم يصححه ولا يصح وروى ابن ابي الدنيا عن انس
ايضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم
رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل
على اصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث
وفيه ثم ذهب الرجل فقال ابو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا احدا
فقال ابو بكر لعل هذا الخضر جاء تعزينا رواه ابن ابي الدنيا ايضا من حديث علي
بن ابي طالب وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين
وبين جده والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في
الام وليس فيه ذكر للخضر عليه السلام قال البيهقي قوله ان الله اشتاق الى لقايك
معناه قد اراد لقاءك بان يردك من دنياك الى معادك زيادة في قربك وكرامتك
انتهى واخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبي صلى الله عليه وسلم

في مرضه وراسه على حجر علي فاستاذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال
له علي ارجع فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا
فلما دخل قال ان ربك يقريك السلام فبلغني ان ملك الموت لم يسلم على اهل بيت
قبله ولا يسلم بعده وقالت عايشة توفي صلى الله عليه وسلم في بيتي في يومي بين سحري
ونحري وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه البخاري والحاقنة بالحاء المهملة والقاف
والنون اسفل من الذقن والذاقنة طرف الحلقوم والسحر بفتح السين وسكون الحاء
المهملتين هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة والمراد انه صلى الله
توفي وراسه بين حنكها وصدرها وهذا يعارضه ما اخرجه الحاكم وابن سعد من
طرق انه صلى الله عليه وسلم مات وراسه في حجر علي لان كل طريق منها كما قاله الحافظ
ابن حجر لا يخلو من شيء فلا يلتفت لذلك والله اعلم قال السهيلي وجدت في
بعض كتب الواقدي ان اول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع
عند حليمة الله اكبر واخر كلمة تكلم بها الرفيق وروى الحاكم من حديث انس
ان اخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربي الرفيع ولما توفي صلى الله عليه وسلم
كان ابو بكر غايبا بالسنح يعني بالعالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه السلام
قد اذن في الذهاب اليها فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى
وكان يقول انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى عليه السلام فلبث عن قومه اربعين
ليلة والله لارجو ان تقطع ايدي رجال وارجلهم فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه الخبر

الى بيت عايشة فدخل فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكي
ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك حيا
وميتا ذكره الطبري في الرياض وقالت عايشة اقبل ابو بكر على فرس من مسكنه
بالسنح حتى دخل نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عايشة فبصر رسول الله
وهو مسجى ببردة فكشف عن وجهه واكب عليه فقبله ثم بكى وقال بابي انت وامي
لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها رواه البخاري واختلف
في قول ابي بكر رضي الله عنه لا يجمع الله عليك موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك
بالرد على من زعم انه سيجيء فيقطع ايدي رجال لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة
اخرى فاخبر انه اكرم على الله من لم يجمع الله موتتين كما جمعها على غيره كالذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف وكالذي مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة واسلمها
وقيل اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى ليسال ثم يموت وهذا جواب
الداودي وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك وقيل كنى بالموت
الثاني عن الكرب اي لا يلقى بعد كرب هذا الموت كربا اخر قاله في فتح الباري وعنها
ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ابو بكر فكشف
عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي انت وامي طبت حيا
وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف
على رسلك فلما تكلم ابو بكر جلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان

يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك
ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية
فنشج الناس يبكون رواه البخاري يقال نشج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه
من غير انتحاب وعن سالم بن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فاخذ بقايم سيفه وقال
لا اسمع احدا يقول مات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي
هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فخرجت الى المسجد فاذا بابي بكر فلما رايته اجهشت بالبكاء فقال يا سالم امات
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا اسمع احدا
يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فاقبل
ابو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فوضع البرد عن وجهه
ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال انك ميت وانهم ميتون يا ايها
الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
قال عمر فوالله لكاني لم اتل هذه الايات قط خرجه الحافظ ابو احمد حمزة
بن الحرث كما ذكره الطبري في الرياض له وقال خرج الترمذي معناه بتمامه
واستنشى الريح شمها اي شم ريح الموت وعند احمد عن عايشة قالت سجت النبي

ثوبا فجاء عمر والمغيرة ابن شعبة فاستاذ نوا فاستاذ نت لهما وجذبت الحجاب
فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين ثم جاء ابو بكر
فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله
وفي حديث ابن عباس عند البخاري ان ابا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس
فقال اجلس يا عمر فابى عمر ان يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال ابو بكر اما
بعد من كان يعبد محمدا فان محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال والله لكان
الناس لم يعلموا ان الله انزل الاية حتى تلاها ابو بكر فتلقاها الناس منه فما اسمع
بشرا من الناس الا يتلوها وفي حديث ابن عمر عند ابن ابي شيبة ان ابا بكر مر بعمر
وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله
المنافقين قالوا وكانوا اظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال ايها الرجل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم
ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم اتى المنبر الحديث قال القرطبي ابو عبد الله
المفسر وفي هذا اول دليل على شجاعة الصديق فان الشجاعة حدوها ثبوت القلب
عند حلول المصايب ولا مصيبة اعظم من موت النبي صلى الله فظهرت عنده شجاعته
وعلمه قال الناس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب الامر فكشفه

الصديق

الصديق بهذه الاية فرجع عمر عن مقالته التي قالها كما ذكره الوايلي ابو نصر عبد الله
في كتاب الابانة عن انس بن مالك انه سمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين بويع
ابو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره
عليه السلام ثم قال اما بعد فاني قلت لكم امس وانها لم تكن كما قلت واني والله
ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكني كنت ارجوا ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
يدبرنا اي يكون اخرنا موتا او كما قال فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على
الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدي
له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو نصر المقالة التي قالها ثم رجع
عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى تقطع ايدي وارجل
وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه وخشي الفتنة وظهور المنافقين فلما
شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس
ذايقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلوها في سكك
المدينة كانها لم تنزل قط الا ذلك اليوم انتهى وقال ابن المنير لما مات رسول الله
طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من قعد ومنهم من اخرس فلم يطق الكلام و
منهم من اضني وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن اخرس يذهب به ويجاء
ولا يستطيع كلاما وكان علي ممن اقعد فلم يستطع حراكا واضني عبد الله بن انيس

فمات كمدا وكان اثبتهم الصديق رضى الله عنهم جا، وعيناه تهملان وزفراته
تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم
فاكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك
ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجلت عن البكاء ولو ان موتك
كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك
ووقع في حديث ابن عباس وعايشة عند البخاري ان ابا بكر قبل النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ما مات كما قدمناه وكذا في رواية غيره وفي رواية يزيد بن بابنوس
عنها عند احمد انه اتاه من قبل راسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه
ثم رفع راسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال واخليلاه وعند ابن ابي شيبة
عن ابن عمر فوضع فاه على جبينين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله
ويبكي ويقول بابي انت وامي طبت حيا وميتا وعن عايشة ان ابا بكر دخل
على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على
صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه اخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره
الطبري قال ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما تضمن ثباته
بان يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافتا به صوته ثم التفت اليهم و
قال لهم ما قال واخرج البيهقي وابو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه انهم
شكوا في موته صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لم يمت فوضعت اسماء بنت عميس

يدها

الجزء

يدها بين كتفيه عليه السلام فقالت قد توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه
فكان هذا الذي قد عرف به موته واخرجه ابن سعد عن الواقدي ايضا ولما
توفي عليه السلام قالت فاطمة يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه من جنة الفردوس
ماواه يا ابتاه الى جبريل ننعاه رواه البخاري قال الحافظ بن حجر رحمه الله و
قد قيل الصواب الى جبريل نعاه جزم بذلك سبط الجوزي في مراة الزمان قال
والاول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن وزاد الطبراني يا ابتاه من ربه
ما ادناه وقد عاشت فاطمة رضى الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة اشهر
فاضحكت تلك المدة وحق لها ذلك على مثل ليلى يقتل المرء نفسه
وان كان من ليلى على الهجر طاويا واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض صلى الله عليه وسلم
صعد ملك الموت باكيا الى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء
ينادي وامحمداه الحديث كل المصايب تهون عند هذه المصيبة في سنن ابن ماجة
انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايها الناس ان احد من الناس او من المؤمنين
اصيب مصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان احدا من
امتي لن نصاب بمصيبة بعدي اشد عليه من مصيبتي وقال الجوزي كان الرجل من اهل
المدينة اذا اصابته مصيبة جاء اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في
رسول الله اسوة حسنة ويعجبني قول القائل
اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بان المرء غير مخلد واصبر كما صبر الكرام فانها

نوب تنوب اليوم تكشف في غد   واذا اتتك مصيبة تشجى بها   فاذكر مصابك بالنبي محمد

ويرحم الله القائل

تذكرت لما فرق الدهر بيننا   فعزيت نفسي بالنبي محمد   وقلت لها ان المنايا سبيلنا

فمن لم يمت في يومه مات في غد   كادت الجمادات تتصدع من الم مفارقته صلى الله

فكيف بقلوب المؤمنين لما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن

اليه وصاح كان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال هذه خشبة تحن الى رسول الله

فانتم احق وتشتاقوا اليه وروى ان بلالا لما كان يوذن بعد وفاته عليه السلام

وقبل دفنه فاذا قال اشهد ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والحنيب فلما دفن

ترك بلال الاذان   ما امر عيش من فارق الاحباب   خصوصا من كانت رؤيته حياة الالبا

لو ذاق طعم الفراق رضوى   لكان من وجده يميد   قد حملوني عذاب شوق

يعجز عن حمله الحديد   وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف

وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحى ودفن يوم الثلثا وقيل فعند ابن سعد

في الطبقات عن علي رض توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم

الثلثا وعنده ايضا عن عكرمة توفي يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد

حتى دفن من الليل وعنده ايضا عن عثمان بن محمد الاخنسي توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس

ودفن يوم الاربعاء وروى ايضا عن ابي بن عباس بن سهل عن ابيه عن جده توفي

يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلثا حتى دفن يوم الاربعاء ورثته عمته صفيه بمراثي كثيرة منها قولها

الايا

الا يا رسول الله كنت رجائنا   وكنت بنا برا ولم تك جافيا

وكنت رحيما هاديا ومعلما   ليبك عليك اليوم من كان باكيا

لعمرك ما ابكي النبي لفقده   ولكن لما اخشى من الهجر آتيا

كان على قلبي لذكر محمد   وما خفت من بعد النبي المكاويا

افاطم صلى الله رب محمد   على جدث امسى بيثرب ثاويا

فدى لرسول الله امي وخالتي   وعمي وخالي ثم نفسي وماليا

فلو ان رب الناس ابقى نبينا   سعدنا ولكن امره كان ماضيا

عليك من الله السلام تحية   وادخلت جنات من العدن راضيا

ارى حسنا ايتمته وتركته   يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه ابو سفيان بن الحارث فقال

ارقت فبت ليلي لا يزول   وليل اخي المصيبة فيه طول

واسعدني البكا وذاك فيما   اصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت   عشية قيل قد قبض الرسول

واضحت ارضنا مما عراها   تكاد بنا جوانبها تميل

فقدنا الوحي والتنزيل فينا   يروح به ويغدو جبرئيل

وذاك احق ما سالت عليه   نفوس الناس او كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا   بما يوحى اليه وما يقول

ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر ... وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر ابيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق بقوله

لما رايت نبينا متجندلا ... ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه ... والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك ان حبك قد ثوى ... فالصبر عنك لما بقيت يسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي ... غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدايع من بعده ... تعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق ايضا

ودعنا الوحي اذ وليت عنا ... فودعنا من الله الكلام
سوي ما قد تركت لنا رهينا ... تضمنه القراطيس الكرام

ولقد احسن حسان بقوله يرثيه عم

كنت السواد لناظري ◦ فعمى عليك الناظر ◦ من شاء بعدك فليمت ◦ فعليك كنت احاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول ابي بكر الصديق رجع الى قوله قال وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع يخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه

فسكن

فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول الخبر ذكره ابن عباس القصار في شرحه لبردة الابوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس الازهار وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه ويقع في كثير من نسخ الشفا وروى عن عمر بن الخطاب رض انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكا والصواب فيها التخفيف لان هذا الكلام انما سمع من عمر رض بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ونبهت عليه في حاشية الشفاء والله اعلم ويؤيد هذا قوله في الخبر نفسه بابي وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كبرة سنه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل

واخرج ابن عساكر عن ابي ذويب الهذلي قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان وقت السحر هتف هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام ... بين النخيل ومقعد الاطام

قبض النبي محمد فعيوننا ٭ تبدي الدموع عليه بالتسجام ٭ فوثبت من نومي فنظرت
الى السماء فلم ارا لا السعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض
او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام
فقلت مه فقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق عن عايشة
انهم لما ارادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله عم
من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا القى الله عليهم النوم
حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون
من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه
يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلايل النبوة و
روي ابن ماجة بسند جيد عن علي يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بير
غرس قال في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الراء والسين المهملة وقد روي
ابن النجار انه عليه السلام قال رايت الليلة اني اصبحت على بير من الجنة فاصبح على بير غرس
فتوضا منها وبزق فيها وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولى بالماء
القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والعباس
وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون
الماء واعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني الا انت فانه لا يرى
احد عورتي الا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي قال غسل علي النبي صلى الله عليه وسلم

فكان

فكان يقول وهو يغسله بابي انت وامي طبت حيا وميتا واخرج ابو داود وصححه الحاكم
عن علي قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيئا
وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجد وا مثلها
قط قيل وجعل علي يده خرقة وادخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا
مساجده ومفاصله ووضاوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه
عودا وندا وذكر ابن الجوزي انه روى عن جعفر بن محمد قال كان الماء يستنقع من جفون
النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما غسله عليه السلام
اقتلص ماء محاجر عينيه فشربه وانه ورث بذلك علم الاولين والاخرين وقال
النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عايشة قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ثلاثة اثواب سحولية بيض اخرجه النساي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
عن عروة واتفق عليه الايمة الستة من طريق هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة
بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي
ولا ابن ماجة زاد مسلم اما الحلة فانما شبه على الناس فيها انها اشتريت له ليكفن فيها
فتركت الحلة وكفن في ثلثة اثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله بن ابي بكر فقال
لاحبسنها حتى اكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها
فباعها فتصدق بثمنها وفي رواية له ادرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حلة يمنية كانت لعبد الله بن ابي بكر ثم نزعت عنه وذكر الحديث وفي رواية اصحاب

السنن الاربعة فذكر لعايشة قولهم في ثوبين و بردة وحبرة فقالت قد اتى بالبرد
ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح و في رواية البيهقي
في ثلثه سحولية والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر وهو رواية
الاكثرين وفي النهاية تبعًا للهروي فالفتح منسوب الى السحول وهو القصار لانه
يسحلها اي يغسلها او الى سحول وهي قرية باليمن واما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب
الابيض النقي ولايكون الامن قطن وفيه شذوذ لانه نسب الى الجميع وقيل ان اسم
القرية بالضم ايضًا والكرسف بضم الكاف واسكان الراء وضم السين مالفا
القطن وقال الترمذي روي في كفن النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة
وحديث عايشة اصح الاحاديث ذلك والعمل عليه عند اكثر اهل العلم من الصحابة
وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال ابو عبد الله يعني الحكم تواترت الاخبار عن
على بن ابي طالب وابن عباس وعايشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن المعقل في تكفين
النبي صلى الله عليه وسلم في ثلثة اثواب ليس فيها قميص ولاعمامة وعن عبد الله بن
محمد بن عقيل عن ابن الحنفية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب
و قد روي هذا الحديث احمد في مسنده و ذكر بن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل او
ممن بعده و قد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولاعمامة فالصحيح ان معناه انه ليس
في الكفن قميص ولاعمامة اصلا والثاني ان معناه انه كفن في ثلاثة اثواب خارج
عن القميص والعمامة قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والاول اظهر في المراد وذكر

النووي في شرح مسلم تفسير الشافعي وجمهور العلماء وهو الصواب الذي يقتضيه
ظاهر الحديث و قال ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص و
عمامة انتهى و ترتب على هذا اختلافهم في انه هل يستحب ان يكون في الكفن قميص وعمامة ام لا
فقال مالك والشافعي واحمد يستحب ان تكون الثلاثة لفايف ليس فيها قميص ولاعمامة
واختلفوا في زيادة القميص والعمامة وغيرهما على اللفايف الثلاثة لتقيير خمسة
الحنابلة انه مكروه و قال الشافعية انه جايز غير مستحب و قال المالكية انه يستحب للرجال
والنسا وهو في حق النساء اكد قالوا والزيادة الى السبعة غير مكروهة وما زاد عليها
سرف وقال الحنفية ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص ولفافة وقد اجمع
المسلمون على وجوبه وهو فرض كفاية فيجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من تلزمه
نفقته واختلف اصحابنا في الزوجة اذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها
او على زوجها فذهب الى الاول الرافعي في الشرح الصغير والمحرر والنووي
في المنهاج وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة و
شرح المهذب و قال فيه قيد الغزالي وجوب الكفن على الزوج بشرط اعسار المرأة
وانكروه عليه انتهى ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعًا ثم ان الواجب
ثوب واحد وهو حق الله تعالى لاتنفذ وصية الميت باسقاطه بخلاف الثاني
والثالث فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطهما وفي الحديث ايضا دلالة
على ان القميص الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه

قـــل النووى فى شرح مسلم وهذا هو الصواب الذى لا يتجه غيره لانه لو ابقى مع رطوبة
لافسدا لاكفان قال واما الحديث الذى فى سنن ابى داود عن ابن عباس ان النبى صلى الله
كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه الذى توفى فيه فحديث ضعيف لا يصح
الاحتجاج به لان يزيد بن زياد احد رواته مجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف بروايته
الثقات وفى حديث بن عباس عند ابن ماجة لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم
يوم الثلثا وضع على سريره فى بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يصلون
عليه حتى اذا فرغوا دخل النساء حتى اذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس
على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد وفى رواية ان اول من صلى عليه الملائكة
افواجا ثم اهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه اخرا وروى انه لما صلى اهل بيته
لم يدر الناس ما يقولون فسالوا ابن مسعود فامرهم ان يسالوا عليا فقال لهم قولوا
ان الله وملائكته يصلون على النبى الاية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات
الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وما سبح لك من شئ يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك باذنك السراج المنير وعليه
السلام ذكره الشيخ زين الدين ابن الحسين المراغى في كتابه تحقيق النصرة ثم قالوا اين ندفنه
فقال ابو بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هلك نبى قط
الا يدفن حيث يقبض روحه وقال على وانا ايضا سمعته وجعفر ابو طلحة لحد رسول الله

النووي

فى موضع فراشه حيث قبض قد اختلف فيمن ادخله قبره واصح ما روى انه نزل في قبره
عمه العباس وعلى وقثم بن العباس والفضل ابن العباس وكان اخر الناس عهدا برسول الله
قثم بن العباس وروى انه بنى في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة بحرانية
كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك قـــل
النووي وقد نص الشافعى وجميع اصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة
او مضربة او مخدة ونحو ذلك تحت الميت فى القبر وشذ البغوى من اصحابنا فقال فى كتابه
التهذيب لا باس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهية ذلك كما قال الجمهور واجابوا عن
هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلك
وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهية ان يلبسها احد بعد النبى صلى الله عليه وسلم
انتهى وفى كتاب تحقيق النصرة قال ابن عبد البر ثم اخرجت يعنى القطيفة من القبر لما فرغوا
من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة ولما دفن صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة
فقالت كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت
من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشات تقول

ماذا على من شم تربة احمد — ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصايب لو انها — صبت على الايام عدن لياليا

قال رزين ورش قبره صلى الله عليه وسلم رشه بلال بن رباح بقربة بدا من قبل
راسه حكاه ابن عساكر وجعل عليه من حصبا العرصة حمراء وبيضاء ورفع قبره

ع

من الارض قدر شبر وفي حديث عايشة عند البخاري قالت قال رسول الله صلى الله
في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
لولا ذلك ابرز قوله قبره غير انه خشي او خشي ان يتخذ مسجدا كذا في رواية ابي عوانة عن
هلال خشي او خشي على الشك في رواية الضم مهملة يمكن ان تفسر بانها هي التي منعت
من ابرازه والهاء ضمير الشان وكانها ارادت نفسها ومن وافقها على ذلك وهذا يقتضي
انهم فعلوه باجتهاد بخلاف رواية الفتح فانها تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو
الذي امرهم بذلك وقوله لابرز قبره اي لكشف قبره صلى الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه
الحايل والمراد الدفن خارج بيته وهذا قالته عايشة رضي الله عنها قبل ان يوسع المسجد
ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتاتى لاحد ان يصلي
الى جهة القبر الكريم مع استقباله القبلة وفي البخاري ايضا من حديث ابي بكر بن عياش
عن سفيان التمار انه حدثه انه راى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما اي مرتفعا
زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي بكر وعمر كذلك واستدل به على ان المستحب تسنيم
القبور وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد ومالك المزني وكثير من الشافعية
وادعى القاضي حسين اتفاق الاصحاب عليه وتعقب بان جماعة من قدماء الشافعية
استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي وبه جزم الماوردي اخرون وقول سفيان
التمار لا حجة فيه كما قال البيهقي لاحتمال ان قبره صلى الله عليه وسلم في الاول لم يكن
مسنما فقد روى ابو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن ابي بكر قال دخلت على

على

على عايشة فقلت يا امه اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفت
لي عن ثلثة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء زاد الحاكم فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقدما وابا بكر راسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمر راسه
عند رجلي وعمر راسه عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معاوية
فكانها كانت في الاول مسطحه ثم لما بني جدار القبر في امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة
قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة وقد روى ابو بكر الاجري في كتاب
صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق اسحاق بن عيسى بن بنت داود بن ابي هند
عند غنيم بن بسطام المديني قال رايت قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة
عمر بن عبد العزيز فرايته مرتفعا نحوا من اربع اصابع ورايت قبر ابي بكر وراء قبره
ورايت قبر عمر وراء قبر ابي بكر اسفل منه ثم الاختلاف في ذلك في ايهما افضل
لا في اصل الجواز ورجح المزني التسنيم من حيث المعنى بان المسطح يشبه ما يصنع للجلوس
بخلاف المسنم ويرجح التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد انه امر بقبر فسوي
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وعن هشام بن عروة عن
ابيه لما سقط عليهم الحايط يعني حايط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان الوليد
بن عبد الملك اخذوا في بنايه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها قدم النبي صلى الله
فما وجدوا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم
ما هي الا قدم عمر رواه البخاري ايضا والسبب في ذلك ما رواه الاجري من طريق شعيب

ابن اسحاق بن عروة قال اخبرني ابي قال كان الناس يصلون الى القبر الشريف فامر عمر بن
عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي اليه احد فلما هدم بدت قدم بساق وركبة
ففزع عمر بن عبد العزيز فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته فسرى عن عمر بن
عبد العزيز وروى الآجري قال رجاء بن حيوة قبر ابي بكر عند وسط النبي صلى الله
وعمر خلف ابي بكر عند وسطه وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم فان امكن الجمع
والا فحديث القاسم اصح واما ما اخرجه ابو يعلى من وجه اخر عن عايشة ابو بكر
عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف انتهى ملخصا من فتح الباري وقد اختلف
اهل السير وغيرهم في صفة القبور المقدسة على سبع روايات اوردها ابن عساكر في
تحفة الزائر ونقل اهل السير عن سعيد بن المسيب قال بقي في البيت موضع قبر
في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسى بن مريم عليهما السلام ويكون قبره الرابع
وفي المنتظم لابن الجوزي عن ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل
ابن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت
فيدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر كذا ذكره
في تحقيق النصرة والله اعلم فان قلت تقدم انه عليه السلام توفي يوم الاثنين
ودفن يوم الاربعاء فلم اخر دفنه عليه السلام وقد قال صلى الله عليه وسلم
لاهل بيت اخر واذ دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه فالجواب لما ذكر من
عدم اتفاقهم على موته او لانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن قال قوم في البقيع

وقال اخرون في المسجد وقال قوم يحمل الى ابيه ابراهيم حتى يدفن عنده حتى قال
العالم الاكبر صديق الامة سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت ذكره ابن
ماجة والموطا كما تقدم وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي
يحب ان يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه او لانهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع
بين المهاجرين والانصار في البيعة فنظروا فيها حتى استقر الامر في الخلافة و
نظامها فبايعوا ابا بكر ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى عن ملاء منهم وكشف الله بهم
الكربة من اهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في
في دفنه فغسلوه وكفنوه ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم
روحه الكريمة لا كزينة المدينة يوم قدوم الملك اذ كان عرش الرحمن
قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا فاستبشار العدوم روحه فكيف بقدوم روح الارواح
لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه كما رواه
ابو داود من حديث انس وفي رواية الدارمي قال انس ما رايت يوما كان احسن
ولا اضوء من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رايت
يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
الترمذي لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء وما نفضنا
ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا ومن اياته عليه السلام ما ذكر

وقالوا

بعد موته حزن حماره عليه حتى تردى في بير وكذا ناقته فانها لم تاكل ولم تشرب
حتى ماتت ومن ذلك ما اخبر به انه كاين بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه مما ذكرت
بعضه في المقصد الثامن وفي حديث ابي موسى عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد
هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا
امره وانما كان قبض النبي قبل امته خيرا لانهم اذا قبضوا قبله انقطعت اعمالهم
واذا اراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظون على ما امروا به من
العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب الفصل الثاني
في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف اعلم ان زيارة قبره الشريف من اعظم القربات
وارجى الطاعات والسبيل الى اعلى الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من
ربقة الاسلام وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الاعلام وقد اطلق بعض
المالكية وهو ابو عمران الفاسي كما ذكره في المدخل من حديث الطالب انها واجبة قال
ولعله اراد وجوب السنن المؤكدة وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين
مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه ابو
عبد الحق في احكامه الوسطى في الصغير وسكت عنه وسكوته عن الحديث
فيه دليل على صحته وفي المعجم الكبير للطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال من جاءني زايرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعا يوم
القيمة وصححه ابن السكن وروى عنه صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم
يفد الي فقد جفاني ذكره فرحون في مناسكه والغزالي في الاحيا ولم يخرجه العراقي
بل اشار الى ما اخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن انس بلفظ ما من
احد من امتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن
حبان في الضعفا والدارقطني في العلل وغرايب مالك واخرين كلهم عن
ابن عمر مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح وعلى تقدير ثبوته فليس المراد
قوله فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفاء واجبة حينئذ اذى
والاذى حرام بالاجماع فيجب الزيارة اذ ازالة الجفاء واجبة ح فمن تمكن
من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك وعن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من
الامنين رواه البيهقي عن رجل من ال حاطب لم يسمه وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعا
او شهيدا رواه البيهقي وغيره عن رجل من ال عمر لم يسمه عن عمر وعن انس ابن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة كان
في جواري يوم القيمة رواه البيهقي ايضا قال العلامة زين الدين بن الحسين المراغي
وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه وسلم قربة للاحاديث الواردة

في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول الاية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا يقال ان استغفار
الرسول لهم انما هو في حياته وليست الزيارة كذلك لما اجاب بعض المحققين
ان الاية دلت على تعليق وجدان الله تعالى توابا بثلاثة امور المجيء واستغفارهم
واستغفار الرسول لهم وقد حصل استغفار الرسول لجميع المومنين لانه صلى الله
قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات فاذا وجد
مجيئهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته وقد
اجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي واوجبها الظاهرية
فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور
تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلماء لا فرق
في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء وان كان محل الاجماع على استحباب
زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف الاشهر في مذهب الشافعي الكراهة
قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم والصلاة
في مسجده فان فيه من الرغبة ما لا غنى بك ولا باحد عنه وينبغي لمن نوى الزيارة ان
ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لانه احد المساجد الثلاثة
التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها عند مالك وليس لشد الرحال الا اليها
وهو افضلها عند مالك الى غير المساجد الثلاثة تفضيل لان الشرع لم يجئ به وهذا الامر

لا يدخله قياس لان شرف البقعة انما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص
في هذه دون غيرها وقد صح ان عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم فالسفر اليها قربة لعموم الادلة ومن نذر الزيارة
وجبت عليه كما جزم به ابن كج من اصحابنا وعبارته اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم
لزمه الوفاء وجها واحدا انتهى ولو نذر اتيان المسجد الاقصى للصلاة لزمه ذلك
على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج عنه بالصلوة في المسجد الحرام
وصحح النووي ايضا انه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة قال وعليه الشافعي
في البويطي وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب
يتضمن منع شد الرحل للزيارة النبوية المحمدية وانه ليس من القرب بل بضد ذلك
ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء الاسقام فشفا صدور المومنين
وحكى الشيخ ولي الدين العراقي ان والده كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن
بن رجب الدمشقي في التوجه الى بلد الخليل عليه السلام فلما دنى من البلد قال
نويت الصلوة في مسجد الخليل عليه السلام ليحترز عن شد الرحل لزيارته على طريقة
شيخ الحنابلة ابن تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام ثم قلت
له اما انت فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة
مساجد وقد شددت الرحل الى مسجد رابع واما انا فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم
لانه قال زوروا القبور افقال لا قبور الانبياء قال فبهت وينبغي لمن اراد الزيارة

ان يكثر من الصلوة والتسليم عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليردد الصلوة عليه والتسليم وليسال الله ان ينفعه بزيارته وسيعده بها في الدارين وليغتسل وليلبس النظيف من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا لما راي وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم القوا انفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وساروا اليها فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه وروينا مما ذكره القاضي عياض في الشفاء ان ابا الفضل الجوهري لما ورد الى المدينة زائرا وقرب من بيوتها وترجل ومشى باكيا يقول منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا   فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة   لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وانبئتانا العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة اربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير ابو عبد الله بن القاسم بن الحكيم وكان ارمد فلما دخلنا ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا لتلك الاثار واعظاما لمن حل تلك الديار فاحس بالشفاء فانشد لنفسه في وصف الحال

ولما راينا من ربوع حبيبنا   بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا

وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا   شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا

وحين تبدى للعيون جمالها   ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا

نزلنا

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة   لمن حل فيها ان نلم به ركبا

نسح سجال الدمع في عرصاته   ونلثم من حب لواطيه الترابا

وان بقائي دونه لخسارة   ولو ان كفي تملا الشرق والغربا

فيا عجبا ممن يحب بزعمه   يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا

وزلات مثلي لا تعدد كثرة   وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا

ولما كنت سائرا لقصد الزيارة في ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين وثمانماية ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الارواح المبشر بقرب المزار من شرف الديار تسابق الزوار اليه وتعالوا بالصعود عليه استعجالا لمشاهدة تلك الاثار فبرقت لوامع الانوار النبوية وهبت عرف نسمات المعارف المحمدية فطبنا وغبنا اذ شهدنا اعلام ديار اشرف البرية قلنا

الامع برق يغتدي ويروح   ام النور من ارض الحجاز يلوح

وريح الصبا هبت بطيب عرفهم ۰ ام الروض في وجه الصبا يفوح ۰ اذا ريح ذاك الحي هبت فانها حياة لمن يغدو لها ويروح ۰ ترفق بنا يا حادي العيس وانتفت ۰ فللنور بين الواديين وضوح فما هذه الا ديار محمد ۰ وذاك سناها يغتدي ويروح ۰ والا فما للركب هاج اشتياقهم فكل من الشوق الشديد يصيح ۰ وانت مطايا الركب حتى كانها ۰ حمام على اقضب الاراك تنوح وقد مدت الاعناق شوقا وطرفها ۰ الى النور من تلك الديار لموح ۰ رات دار من تهوي فؤاد اشتياقها ومدمعها في الوجنتين سفوح ۰ اذا العيس باحت بالغرام ولم تطق ۰ جفا فما للصب ليس يبوح ۰

ولما قربنا من المدينة واعلامها وتدانينا من معاينة رباها الكريمة واكامها ۰

وانتشقنا عرف لطايف ازهارها وبدت لناظرنا بوارق انوارها وترادفت
واردات المنح والعطايا ونزل القوم عن المطايا فانشدت متمثلا
اتيتك زايرا وددت اني جعلت سواد عيني امتطيه ومالي لا اسير على الماء اتي
الى قبر رسول الله فيه ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت
من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض الثرى والجدارات فقلت
ايها المغرم المشوق هنيئا • ما انالو زمن لذيذ التلاق • قل لعينيك تهملان سرورا •
طالما اسعداك يوم الفراق • واجمع الوجد والسرور وابتهاجا • وجميع الاشجان والاشواق •
وامر العين ان تفيض انهمالا • وتوالي بدمعها المهراق • هذه دارهم وانت محب •
ما بقاء الدموع في الاماق • وكان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسال عن الخبر و
يستحب عن صلاة الركعتين قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف
عليه الصلاة والسلام فان كان استحب الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة و
هو استدراك حسن قاله بعض شيوخنا وفي منسك بن فرحون فان قلت المسجد انما يشرف
باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي البداءة بالوقوف عنده صلى الله عليه وسلم
قلت قال ابن حبيب في اول كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر
بن عبد الله رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلم عليه وهو بفناء المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب
فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم علي قال ورخص بعضهم في تقديم الزيارة

على الصلاة وقال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله اعلم
انتهى وينبغي للزاير ان يستحضر من الخشوع ما امكنه وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر
والاسرار وفي البخاري ان عمر رضي الله عنه قال لرجلين من اهل الطايف لو كنتما من اهل
لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا و
روي عن عايشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوتا الوتد يوتد والمسمار يضرب
في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا توذوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل علي بن ابي طالب مصراعي داره الا بالمناصع توقيا
لذلك نقله بن زبالة فيحيا الادب معه كما في حياته وينبغي للزاير ان يتقدم الى القبر
الشريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو ابلغ في الادب من الاتيان
من جهة راسه المكرم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم بان
يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل
الكبير اليوم لان هناك عدة قناديل وقد روي ان مالكا لما ساله ابو جعفر المنصور
العباسي يا ابا عبد الله استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعو فقال له مالك
ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله
عز وجل وينبغي ان يقف عند محاذاة اربع اذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع
غاض البصر في مقام الهيبة كما يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين

يديه وسماعه لسلامه كما هو فى حال الحياته اذ لا فرق بين موته وحياته فى مشاهدته
لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزايمهم وخواطرهم وذلك عنده جلى لا خفاء
فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى فالجواب ان من انتقل الى عالم البرزخ من المومنين
يعلم احوال الاحياء غالبًا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور من مظنة ذلك
من الكتب وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس يوما الا و يعرض على النبى
اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثل
الزاير وجهه الكريم عليه السلام فى ذهنه ويحضر جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم
حرمته وان اكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه الا كاخى السرار تعظيما لما عظم الله من شانه
وقد روى ابن النجار ان امراة سالت عايشة رضى الله عنها ان اكشفى لى عن قبر رسول الله
فكشفته فبكت حتى ماتت وحكى عن ابى الفضايل الحموى احد خدام الحجرة المقدسة انه
شاهد شخصًا من الزوار الشيوخ اتى باب مقصورة الحجرة الشريفة فطاطا راسه نحو العتبة
فحركوه فاذا هو ميت وممن شهد جنازته ثم يقول الزاير بحضور قلب وغض طرف
وصوت وسكون جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبى الله
السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا صفوة الله
السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك يا قايد الغر المحجلين
السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى ازواجك
الطاهرات امهات المومنين السلام عليك وعلى اصحابك اصحابك اجمعين السلام

عليك

عليك وعلى ساير الانبياء وساير عباد الله الصالحين جزاك الله يا رسول الله
افضل ما جزى نبيا عن امته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك
الغافلون اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك عبده ورسوله وامينه وخيرته
من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت
فى الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك وعن حفظه فليقل ما تيسر منه او
مما يحصل به الغرض وفى التحفة ان ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون
فى هذا جدًا فعن مالك بن انس امام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشان من رواية
ابن وهب عنه يقول السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته وعن نافع بن
عمر انه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد ثم اتى القبر المقدس فقال السلام عليك
يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه وينبغى ان يدعو ولا
يتكلف السجع فانه قد يودى الى الاخلال بالخشوع وقد حكى جماعة منهم الامام
ابو نصر بن الصباغ فى الشامل الحكاية المشهورة عن العتبى واسمه محمد بن عبيد الله
بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن ابى سفيان صخر بن حرب وتوفى فى سنة ثمان
وعشرين ومايتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزى فى مثير الغرام
الساكن عن محمد بن حرب الهلالى قال اتيت قبر النبى صلى الله عليه وسلم فزرته
وجلست بحذايه فجاء اعرابى فزاره ثم قال يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا
صادقا قال فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوجد والله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبي ومستشفعا بك الى ربي وانشأ يقول

ياخير من دفنت في القاع اعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفدا لقبر انت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف اعرابي على قبره الشريف وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف ياهذا تسال العتق لك وحدك هل لا سالت لجميع الخلق اذهب فقد اعتقناك من النار

ان الملوك اذا شابت عبيدهم ... في رقهم عتقوهم عتق ابرار

وانت ياسيدي اولى بذا كرما ... قد شبت في الرق فاعتقني من النار

وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يارب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي ياهذا ما اذنالك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يافلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره والاولى ان ينادي يارسول الله وان كانت الرواية يامحمد انتهى قد نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الانوار في الادعية والاذكار فان اوصاه احد بابلاغ السلام

الى

الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يارسول الله من فلان ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر رضي الله عنه لان راسه بحذاء منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه الاكثر فيقول السلام عليك ياخليفة سيد المرسلين السلام عليك يامن ايد الله به يوم الردة الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم رض عنه وارض عنا به ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول السلام عليك يامن ايد الله به الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم رض عنه وارض عنا به ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام على سيدنا ابي بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ويسال الله تعالى بجاهه ان يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه وقد روي ابو داود من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وعند ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة مرفوعا ومن صلى علي نائيا بلغته وعن سليمان بن سحيم مما ذكره القاضي عياض في الشفاء قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم ولا شك ان حياة الانبياء عليهم السلام ثابتة معلومة

مستمرة ونبينا صلى الله عليه وسلم افضلهم واذا كان كذلك فينبغي ان تكون حياته
صلى الله عليه وسلم اكمل واتم من حياة سايرهم فان قال سقيم الطبع ردي الفهم لو
كانت حياته صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال الا رد
الله على روحي يجاب عن ذلك من وجوه احدها ان هذا اعلام بثبوت وصف الحياة و
دايما الثبوت رد السلام دايما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم
يجب وجوده عند ملزومه او ملزوم ملزومه فوصف الحياة ثابت دايما لان
ملزوم ملزومه ثابت دايما وهذا من نفاثات سحر البيان في اثبات المقصود باكمل انواع
البلاغة واجمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها ان ذلك
عبارة عن اقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية الى عالم الدنيا
وقواليا الاجساد الترابية وتنزل الى دايرة البشرية حتى يحصل عند ذلك رد السلام
وهذا الاقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لمحة اكثر من الف
الف الف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي والالتفات الروحاني ولقد رايت
من ذلك ما لا استطيع ان اعبر عنه ولقد احسن من سيل كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم
على من يسلم عليه في مشارق الارض ومغاربها في ان واحد فانشد قول ابي الطيب
كالشمس في وسط السماء ونورها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من حال الملايكة هذا
سيدنا عزرايل عليه السلام يقبض مائة الف روح في وقت واحد ولا يشغله قبض

عن

عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا
صلى الله عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه
متلذذا بسماع خطابه وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
في اواخر الخصايص من المقصد الرابع وروى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال
لما كان يوم الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد
وكان لا يعرف وقت الصلوة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وذكره ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني ابن المسيب فلما حضرت الظهر سمعت
الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان
والاقامة في القبر المقدس لكل صلوة حتى مضت الثلاث ليال يعني ليالي ايام الحرة وقد
روى البيهقي وغيره من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبياء احياء
في قبورهم يصلون وفي رواية ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة
ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في الصحيح منها قوله
صلى الله عليه وسلم مررت بموسى وهو قايم يصلي في قبره وفي حديث ابي ذر في
قصة المعراج انه لقي الانبياء في السموات وكلموه وكلمهم وقد ذكرت مزيد بيان
لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته وفي ذكر الخصايص الكريمة في مقصد
معجزاته وفي مقصد الاسراء والمعراج وهذه الصلوات والحج الصادر من الانبياء
ليس على سبيل التلذذ ويحتمل ان يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا

في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور من غير خطاب بتكليف وبالله التوفيق
واذا ثبت بقوله بشهادة قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون حياة الشهيد ثبت للنبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى
والذي عليه جمهور العلماء ان الشهداء احياء حقيقة وهل ذلك للروح فقط او
للجسد معها بمعنى عدم البلى لهم فيه قولان وقد صح عن جابر ان اباه وعمرو بن الجموح
وكانا ممن استشهدا باحد ودفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا
وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن
جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين احد ست واربعون
سنة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في شهداء احد والذي نفسي بيده لا
عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه رواه البيهقي عن ابي هريرة وقد قال ابن
شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة
الزهراء واليوم الازهر فانهما يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء رواه
داود ابن ماجة ونقل ابن زبالة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كلمه روح القدس لم يؤذن للارض ان تاكل من لحمه وقد ثبت ان نبينا صلى الله
مات شهيدا لاكله يوم خيبر من شاة مسمومة سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر بن
البراء وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان الم السم يتعاهده الى ان مات
به ولذا قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى كان الان قطعت ابهري

والابهريان

والابهريان عرقان يخرجان من القلب يتشعب منهما الشرايين كما ذكره في الصحاح قال
العلماء فجمع الله بذلك بين النبوة والشهادة انتهى وقد اختلف في محل الوقوف
للدعاء فعند الشافعية انه قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرته وقال ابن فرحون
من المالكية اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعاء ففي الشفاء قال مالك في رواية
ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعاء ووجهه الى القبر الشريف
لا الى القبلة وقد سال الخليفة المنصور مالكا فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيمة وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن فرحون ولعل ذلك
اختلاف قول وانما امر المنصور بذلك لانه يعلم ما يدعو ويعلم اداب الدعاء بين
يديه صلى الله عليه وسلم فامن عليه من سوء الادب فافتاه بذلك وافتى العامة
ان يسلموا وينصرفوا لئلا يدعوا تلقاء وجهه الكريم ويتوسلوا به في حضرته
الى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به او فيما يكره او يحرم فمقاصد الناس وسرائرهم
مختلفة واكثرهم لا يقوم باداب الدعاء ولا يعرفها فلذلك امرهم مالك بالسلام
والانصراف انتهى ورايت مما نسب للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه ولا يدعوا
هناك مستقبل الحجرة ولا يصلي اليها ولا يقبلها فان هذا كله منهي عنه باتفاق
الايمة ومالك من اعظم الايمة كراهية ذلك والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان
ان يستقبل القبر وقت الدعاء كذب على مالك كذا قال والله اعلم واما قوله

الابوصيري في بردة المديح   لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه   طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقال شارحها العلامة بن مرزوق وغيره كانه اشارة الى النوعين المستعملين في الطيب

لانه اما ان يستعمل بالشم واليه اشار بقوله لمنتشق واما بالتضميخ واليه اشار بملتثم

قال واقل ذلك بتعفير جهته وانفه بتربته حال السجود في مسجده عليه السلام فليس

المراد به تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب

وكذا قال ابن مرزوق طوبى فعل من الطيب وهذا مبني على ان المراد بان تربته افضل

انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر ادركه

من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المؤمن في ذلك فان المؤمن لا يعدل بشم

رايحة تربته عليه الصلوة والسلام شيئا من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة

الحسية لادرك ذلك كل احد فالجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد

بل حتى توجد الشرايط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك

وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رايحة المسك

مع ان الرايحة قايمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية

لا جرم لا يدركها من الاحياء الا من كشف له الغطا من الاولياء المقربين لان متاع

الاخرة باق ومن في الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد ولا ريب عند من له

ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره عليه السلام روضة من رياض الجنة بل افضلها

واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه السلام الذي هو اطيب ولا مرية

انه

انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس ويرحم الله ابا العباس احمد بن محمد العريف حيث

يقول في قصيدته التي اولها   اذا ما حدى الحادي باجمال يثرب   فليت المطايا فوق حذي يعشق

ثم قال بعد ابيات   فما عبق الريحان الا وتربها   اجل من الريحان طيبا واعبق وله ايضا

راحت ركايبهم تبدي روايحها   طيبا فيا طيب ذاك الوفد اشياحا

نسيم قبر النبي المصطفى لهم   روض اذا نشروا من ذكرها فاحا

ولله در القايل   فاح الصعيد بجسمه فكانه   روض يتم بعرفه المتارج

ما جسمه مما يغيره الثرى   والروح منه كالصباح الابلج   قال ابن بطال في قوله

المدينة تضع طيبها هو مثل ضربه للمؤمن الساكن فيها الصابر على لاوايها مع فراق

الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع نفسه من الله والتزم هذا الامر بان صدقه

وبضع ايمانه وقوى لاغتباطه بسكنى المدينة ولقربه من رسوله كما يضوع ريح الطيب

فيها ويزيد عبقا على ساير البلاد خصوصية خص الله تعالى بها بلدة رسوله عليه السلام

التي اختار تربتها لمباشرة جسده الطيب وقد جاء في الحديث ان المؤمن يقبر في التربة

التي خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة افضل الترب كما انه عليه السلام افضل البشر

فلهذا والله اعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على ساير البلدان انتهى وينبغي للزاير ان

يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم

فجدير بمن استشفع به ان يشفعه الله واعلم ان الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث

يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث منه فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة

بلفظ الاستغاثة او التوسل او التشفع او التجوة او التوجه لانهما من الجاه والوجاهة
ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو اعلا منه ثم ان كلا من
الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبى صلى الله عليه وسلم كما ذكره فى تحقيق
النصرة ومصباح الظلام واقع فى كل حال قبل خلقه وبعد خلقه فى مدة حياته فى
الدنيا
وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيمة فاما الحالة الاولى فحسبك
ما قدمته فى المقصد الاول من استشفاع ادم عليه السلام به لما اخرج من الجنة
وقول الله تعالى له يا ادم لو تشفعت الينا بمحمد فى اهل السموات والارض لشفعناك
وفى حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقى وغيرهما واذ سالتنى بحقه فقد غفرت
لك ويرحم الله ابن جابر حيث قال ______ به قد اجاب الله ادم اذ دعا
ونجى فى بطن السفينة نوح وما ضرت النار الخليل لنوره ومن اجله نال الفداء ذبيح
واما التوسل به بعد خلقه فى مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه السلام
وعند القحط وعدم الامطار كذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته
فى مقصد المعجزات ومقصد العبادات فى الاستسقاء ومن ذلك استغاثة ذوى
العاهات به وحسبك ما رواه النسايى والترمذى عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا
اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافينى قال فامره ان يتوضا فيحسن
وضوءه ويدعوا بهذا الدعاء اللهم انى اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبى
الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربك فى حاجتى لتقضى اللهم شفعه فى وصححه
البيهقى

البيهقى وزاد فقام وقد ابصر واما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته فى البرزخ
فهو اكثر من ان يحصى او يدرك بالاستقصاء وفى كتاب مصباح الظلام فى المستغيثين
بخير الانام للشيخ ابى عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لى داء اعيا
دواء الاطباء واقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن
والعشرين من جمادى الاولى سنه ثلاث وتسعين وثمانماية بمكة زادها الله شرفا
ومن على من بالعود اليها فى عافية بلا محنة فبينما انا نايم اذا رجل معه قرطاس يكتب
فيه هذا دواء لداء احمد بن القسطلانى من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف النبوى
ثم استيقظت فلم اجد بى شيئا مما كنت اجده وحصل الشفاء ببركة النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم
ووقع لى ايضا فى سنة خمس وثمانين وثمانماية فى طريق مكة بعد رجوعى من الزيارة
الشريفة لقصد مصر ان صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها اياما فاستشفعت
به صلى الله عليه وسلم فى ذلك واتانى آت فى منامى ومعه الجنى الصارع لها فقال
قد ارسله لك النبى صلى الله عليه وسلم فعاقبته وحلفته ان لا يعود اليها ثم استيقظت
وليس بها قلبة كانما نشطت من عقال ولا زالت فى عافية من ذلك حتى فارقتها
بمكة فى سنة اربع وتسعين وثمانماية فالحمد لله رب العالمين واما التوسل به فى عرصات
القيمة فمما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار فى حديث الشفاعة فعليك ايها
الطالب ادراك السعادة والمومل لحسن الحال فى حضرت الغيب والشهادة بالتعلق
باذيال عطفه وكرمه والتطفل على موايد نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع

بقدره المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالى واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع والهلع
لكافة الرسل الكرام واجعله امامك فيما نزل بك من النوازل وامامك فيما تحاوله
من القرب والمنازل فانك تظفر من المراد باقصاه وتدرك رضى من احاط بكل شئ
علمًا واحصاه واجتهد مادمت بطيبه الطيبة حسب طاقتك فى تحصيل انواع
القربات ولازم قرع ابواب السعادات باظافير الطلبات وارق فى مدارج العبادات
ولج فى سرادق المرادات   تمتع ان ظفرت بنيل قرب   وحصل ما استطعت من ادخار
فها انا قد بحت لكم عطائى   وها قد صرت عندى فى جوارى   فخذ ما ردت من كرم وجود
ونيل ما شئت من نعم غزارى   وقد وسعت ابواب التدانى   وقد قربت للزوار دارى
فمتع ناظريك فها جمالى   تجلى للقلوب بلا استتار   ولازم الصلوات مكتوبة و
نافلة فى مسجده المكرم خصوصًا بالروضة التى ثبت انها من رياض الجنة كما رواه البخارى
قال ابن ابى جمرة معناه تنقل تلك البقعة بعينها فى الجنة فتكون روضة من رياض الجنة
ويحتمل ان يكون المراد ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة فى الجنة قال والاظهر
الجمع بين الوجهين معًا يعنى احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه
روضة فى الجنة قال ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس
اما الدليل على ان العمل فيها يوجب روضة فى الجنة فلانه اذا كانت الصلوة فى
مسجده عليه السلام بالف فيما سواه من المساجد فلهذه البقعة زيادة على باقى البقيع
كما كان للمسجد زيادة على غيره واما الدليل على كونها بعينها فى الجنة وكون المنبر ايضًا

على

على الحوض كما اخبر به عليه السلام وان الجذع فى الجنة والجذع فى البقعة نفسها
فبالعلة التى وجبت للجذع الجنة هى فى البقعة سواء على ما اذكره بعد ان شاء الله تعالى
والذى اخبر بهذا اخبر بهذا فينبغى الحمل على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر من
من قواعد الشرع ان للبقيع المباركة ما فائدة بركتها لنا والاخبار لنا فيها الا لتعميرها
بالطاعات فان الثواب فيها اكثر وكذلك للايام المباركة ايضًا فعلى هذا يكون الموضع
روضة من رياض الجنة الان ويعود روضة كما كان فى موضعه ويكون للعامل
بالعمل فيه روضه فى الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما العلو منزلته عليه السلام
ولما خص الخليل عليه السلام بالحجر من الجنة خص الحبيب عليه الصلوة والسلام بالروضة
من الجنة وهنا بحث لم جعلت هذه البقعة من بين ساير البقع روضة من رياض
الجنة فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا الحكمة فحينيذ يحتاج الى البحث والاظهر
انها الحكمة وهى انه قد سبق فى العلم الربانى بما ظهر ان الله عز وجل فضله على جميع
خلقه وان كل ما كان منه بسبب ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل على جنسه
كما استقرى فى كل اموره من بدء ظهوره عليه السلام الى حين وفاته فى الجاهلية
والاسلام فمنها ما كان من شان امه وما نالها من بركته مع الجاهلية الجهلاء حسب
ما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتى الاتان وحتى البقعة التى
تجعل الاتان يدها عليها تخضر من حينها وهو من ذلك كله معلوم وكان مشيه
عليه السلام حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله وحيث وضع عليه السلام

يده المباركة ظهر فى ذلك كله من الخيرات والبركات حسا ومعنى كما هو منقول
معروف ولما شاتا لقدرة انه عليه السلام لا بد له من بيت ولا بد له من منبر وانه
بالضرورة يكثر تردده عليه السلام بين المنبر والبيت فالحرمة التى اعطا اذا كان من مسه
واحدة بمباشرة او بواسطة حيوان وغيره تظهر البركت والخير فكيف مع كثرة ترداده عم
فى البقعة الواحدة مرارا فى اليوم الواحد طول عمره من وقت هجرته الى حين وفاته فلم يبق
لها من الترفيع بالنسبة الى عالمها اعلام مما وصفنا وهو انها كانت من الجنة وتعود اليها
وهى الان اليها وللعامل فيها مثلها فلو كانت مرتبته يمكن ان يكون ارفع من هذه فى هذه
الدار لكان لهذه اعلام مرتبة مما ذكرنا فى جنسها فان احتج محتج لانهم له بان يقول ينبغى
ان يكون ذلك للمدينة بكمالها لانه عليه السلام كان يطاوها بقدمه مرارا فالجواب
انه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها ومن ذلك ان ترابها شفاء كما اخبر عليه السلام
مع شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها من الدخال وتلك الفتن العظام وانه صلى الله
اول ما يشفع لاهلها يوم القيمة وان كان بها من الوباء والحمار فع عنها وانه بورك
فى طعامها وشرابها واشياء كثيرة فكان التفضيل لها بنسبة ما اشرنا اليه ولا بان
تردده عليه السلام فيما بين المنبر والبيت اكثر مما سواه من ساير المساجد فالبحث
تاكد بالاعتراض لانحابت البركة متناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة والقرب
من تلك النسمة المرفعة لا خفاء فيه الا على ملحد اعمى البصيرة فالمدينة ارفع المدن
والمسجد ارفع المساجد والبقعة ارفع البقع وقضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة

انتهى

انتهى قال الخطابى المراد من هذا الحديث الترغيب فى سكنى المدينة وان من لازم ذكر الله
فى مسجدها آل به الى روضة الجنة وسقى يوم القيمة من الحوض انتهى وتقدم فى الخصايص
من مقصد المعجزات مزيد لذلك عند مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله
قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقد
اختلف العلماء فى المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم فى مكة والمدينة
ايهما افضل ومذهب سفيان بن عيينة والشافعى واحمد فى اصح الروايتين
عنه وابن وهب ومطرف وابن حبيب الثلاثة من المالكية وحكاه الساجى عن عطا
ابن ابى رباح والمكيين والكوفيين وحكاه ابن عبد البر عن عمر وعلى وابن مسعود
وابى الدرداء وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير العلماء ان مكة افضل من المدينة
وان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان الامكنة تشرف بفضل العبادة فيها على
غيرها مما يكون العبادة فيها مرجوحة وقد حكى ابن عبد البر انه روى عن مالك ما يدل
على ان مكة افضل الارض كلها قال ولكن المشهور عن اصحابه فى مذهبه تفضيل
المدينة انتهى وقال مالك المدينة ومسجدها افضل ومما احتج به اصحابنا لتفضيل مكة
حديث عبد الله بن الحمراء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على
راحلته يقول والله انك لخير ارض الله واحبها الى ولولا انى اخرجت منك
ما خرجت قال الترمذى حسن صحيح وقال ابن عبد البر هذا من اصح الاثار عنه عم
قال وهذا قاطع فى محل الخلاف انتهى فعند الشافعى والجمهور معناه اى الحديث

الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه افضل من الصلوة في مسجدي وعند مالك
وموافقيه الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد تفضله بدون الالف وعن
عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا
افضل من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام
افضل من مائة صلاة في هذا رواه احمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه وزاد
يعني في مسجد المدينة والبزار ولفظه صلاة في مسجدي هذا افضل من الف
صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه مائة قال المنذري واسناده
صحيح ومما يستدل به المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة انه صلى الله عليه وسلم
قال صلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه وجمعة في مسجدي كالف جمعة
فيما سواه ورمضان في مسجدي كالف رمضان فيما سواه ومذهب عمر بن الخطاب
وبعض الصحابة واكثر المدنيين كما قاله القاضي عياض ان المدينة افضل هو احد
الروايتين عن احمد واجمعوا على ان الموضع الذي ضم اعضاءه الشريفة صلى الله
عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجي
والقاضي عياض بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في
فضايل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي انها افضل من العرش وصرح الفاكهاني
بتفضيلها على السموات ولفظه واقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا قال
ولم ار من تعرض لذلك والذي اعتقد لو ان ذلك عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه

فيه

بحث

فيه وقد جاء ان السموات شرفت بمواطئ قدميه بل لو قال قائل ان جميع بقاع
الارض افضل من جميع بقاع السماء لشرفها بكونه صلى الله عليه وسلم حالا فيها
لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتعين انتهى وحكاه بعضهم عن الاكثرين لخلق الانبيا
منها ودفنهم فيها لكن قال النووي ان الجمهور على تفضيل السماء على الارض اي
ما عدا ما ضم الاعضاء الشريفة وقد استشكل ما ذكر من الاجماع على فضلية ما ضم
اعضاءه الشريفة على جميع بقاع الارض ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام
في تفضيل بعض الاماكن على بعض من ان الاماكن والازمان كلها متساوية ويفضلان
بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما قال ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل العباد فيهما
من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما ان الله تعالى يجود على عباده بتفضيل
اجر العاملين فيهما انتهى ملخصا لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي ما حاصله ان
الذي قاله لا ينبغي ان يكون التفضيل لامر اخر وان لم يكن عمل لان قبر رسول الله ع م
يتنزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه
ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون افضل وليس محل
عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلى الله عليه وسلم و
فقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم حي كما تقرر
وان اعماله مضاعفة اكثر من كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال ومن
فهم هذا انشرح صدره ما قاله القاضي من تفضيل ما ضم اعضاءه الشريفة ع م

باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في الموضع الذي خلق منه والثاني بنزول الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى ولا نسلم ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم انتهى وقد روى ابو يعلى عن ابي بكر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبض النبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها الى الله اليه احبها الى ربه تعالى لان حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الى الله ورسوله كيف لا يكون افضل وقد قال عليه السلام اللهم ان ابراهيم دعاك بمكة واني ادعوك بالمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم بمكة ومثله معه ولا ريب ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم افضل من دعاء ابراهيم لان فضل الدعاء على قدر فضل الداعي وصح انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا راها من حبها وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع نصيره كذلك فيجتمع فيه الحبان قيل ضعفه ابن عبد البر ولو سلمت صحته فالمراد احب البقاع اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب ارض الله الى الله والزيادة التضعيف بمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد السمهودي بان ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ القصد به الدعاء لدار هجرته بان يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله محمول على بدء الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة

واظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتى مكة فقد نالها وانابها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعد ولهذا افترض الله على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلى الله عليه وسلم على الاقتداء به في سكناها والموت بها فكيف لا يكون افضل قال واما مزيد المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع ما يربو عليها ومذهبنا شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله بالمنزل ولهذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يصب من اخذ من قوله بمزيد المضاعفة تفضيل مكة اذ غايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل مع ان دعاه صلى الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية ايضا وقد قال يبارك في العدد القليل فيربو نفعه على الكثير ولهذا استدل به على التفضيل المدينة وان اريد من حيث المضاعفة الكعبية فقط فالجواب ان الكلام فيما عداها فلا يرد شيء مما جاء في فضلها ولا ما بمكة من مواضع النسك لتعلقه بها ولذا قال عمر رضي الله عنه لعبد الله المخزومي انت القايل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها بيته فقال عمر لا اقول في حرم الله وبيته شيئا ثم كرر عمر قوله الاول فاعاد جوابه فاعاده له لا اقول في حرم الله وبيته شيئا فاشير على عبد الله فانصرف وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جاء في فضل الزيارة

والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة على القول به فقد كانت
سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول الفرايض واكمال الدين حتى كثر تردد
جبريل عليه السلام بها ثم استقر بها صلى الله عليه وسلم الى يوم قيام الساعة
ولهذا قيل لمالك ايما احب اليك المقام هنا يعني المدينة او بمكة فقال هنا وكيف
لا اختار المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في اقل ساعة وروى الطبراني حديث
المدينة خير من مكة وفي رواية للجندي افضل من مكة فيه محمد بن عبد الرحمن
الرداد ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطى وقال ابو زرعة لين
وقال ابن عدي روايته ليست محفوظة وقال ابو حاتم ليس بقوي وفي الصحيحين
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى
يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني
الله بالهجرة اليها ان كان قاله عليه السلام بمكة او بسكناها ان كان قاله بالمدينة
وقال القاضي عبد الوهاب لا معنى لقوله تاكل القرى الا رجوع فضلها عليها
اي على القرى وزيادتها على غيرها وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك
غلبة فضلها على فضل غيرها اي الفضايل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى
تكون عدما وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى لان الامومة لا يمحى معها ما هي له
ام لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل ان يكون المراد غلبة اهلها على القرى

والاقرب

والاقرب حمله عليهما اذ هو ابلغ في الغرض المسوق له انتهى ما قاله السمهودي وقد
اطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي
تفضيل مكة لان هوى كل نفس اين حل حبيبها على لربع العامرية وقفة
ليملي على الشوق والدمع كاتب ومن مذهبي حب الديار لاهلها وللناس
فيما يعشقون مذاهب على ان للقلم في ارجاء تفضيل المدينة مجالا واسعا
ومقالا جامعا لكن الرغبة في الاختصار تطوي اطراف بساطه والرهبة من
الاكثار تصدف عن تطويله وافراطه وقد استنبط العارف ابن ابي جمرة من قوله
عليه السلام المروي في البخاري ليس من بلد الا سيطاؤه الدجال الا مكة والمدينة
التساوي بين فضل مكة والمدينة قال وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما
في الفضل لان جميع الارض يطاؤها الدجال الا هذين البلدين فدل على تسويتهما
في الفضل قال ذلك ايضا من وجوه النظر لانه ان كان خصت المدينة بمدفنه
عليه السلام واقامته بها ومسجده فقد خصت مكة بمسقطه عليه السلام
بها ومبعثه منها وهي قبلته فمطلع شمس ذاته المباركة مكة ومغربها المدينة واقامته
بعد النبوة على المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته عليه السلام بالمدينة عشر سنين
في كل واحدة منها كذا قال وانت اذا تاملت قوله عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث
سعد ياتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخا والمدينة خير
لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج احد رغبة عنها الا اخلف الله فيها

خيراً منه ظهر لك ان فيه اشعاراً بذم الخروج من المدينة بل نقل الشيخ محب الدين الطبري
عن قوم انه عام ابداً مطلقا و قال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لاوى المدينة وشدتها
احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيمة او شهيدا وفيه عن سعيد مولى المهري
انه جاء الى ابي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكى
اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له على جهد المدينة ولاويها فقال له
ويحك لا امرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر احد على
لاويها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة واللاواء بالمد الشدة والجوع
واو في قوله الا كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان هذا الحديث
رواه جابر بن عبد الله وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسما
بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد
اتفاق جميعهم ورواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة الاظهر
انه قاله عليه السلام وتكون او للتقسيم ويكون شهيدا لبعض اهل المدينة وشفيعا
لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين واما شهيدا لمن مات بعده او غير ذلك
وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين وللعالمين في القيمة وعلى
شهادته على جميع الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبة وزيادة منزلة
وحظوة واذا قلنا او للشك فان كانت اللفظة الصحيحة شهيدا اندفع الاعتراض

لانها

لانها زائدة على الشفاعة المدخرة لغيرهم وان كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص
اهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الامة ان هذه شفاعة اخرى
غير العامة وتكون هذه الشفاعة لاهل المدينة بزيادة الدرجات وتخفيف الحساب
او بما شاء الله من ذلك وباكرامهم يوم القيمة بانواع الكرامات لكونهم على منابر
او في ظل العرش والاسراع بهم الى الجنة او غير ذلك من خصوص الكرامات
وكيف لا يتحمل المشقات

من يحب ان يتمتع بسيد اهل الارض والسموات ونيل ما وعد به من جزيل المثوبات
وجنيل الهبات وانجاز وعد الصادق بشفاعته وشهادته وبلوغ قصده و
ارادته في المحيا والممات وكم عسى تكون شدة المدينة ولاواها والى متى تستمر
مشقتها وبلواها لو تاملت يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف
العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون فيها وربما يوجد فيهم من هو قادر
على الانتقال فلا ينتقل وقوى على الرحلة فلا يرتحل ويوثر وطنه مع امكان
الارتحال والقدرة على الانتقال على ان المدينة على شظف العيش بها في غالب
الاحيان قد وسع الله فيها على بعض السكان حتى من اصحابنا من غير اهلها ممن
استوطنها فيها وحسن حاله وتنعم بها باله دون سائر البلدان فان من الله على المرء بشر
ذلك هنالك والا فالصبر للمومن اولى فمن وفقه الله تعالى صبره في اقامته
بها ولو على احر من الجمر فيتجرع مرارة غصتها ليتجلى عروس منصتها ويلتقي زهرا من

لاونها ليوفى بذلك من مصايب الدنيا وبلاوئها وقد روى البخارى من حديث
ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الايمان ليارز الى
المدينة كما تارز الحية الى جحرها اى ينقبض وينضم ويلتجى مع انها اصل فى انتشاره
فكل مومن له من نفسه سايق اليها فى جميع الازمان لحبه فى ساكنها صلى الله
فاكرم بسكانها ولو قيل فى بعضهم ما قيل فقد خطوا بشرف المجاورة بهذا الحبيب
الخليل وقد ثبت لهم حق الجوار وان عظمت لساتهم فلا يسلب عنهم اسم
الجار وقد عمم عليه الصلاة والسلام فى قوله مازال جبريل يوصينى بالجار
ولم يخص جارا دون جار وكلما احتج به يحتج من رمى بعض عوامهم السنية
بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا ثبت ذلك فى شخص منهم فلا يترك
اكرامه ولا ينقص احترامه فانه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه
شرف مساكنته فى الدار وكيف ما دار بل يرجى ان يختم له بالحسنى ويمنح بهذا
القرب الصورى قرب المعنى

فيا ساكنى اكناف طيبة كلكم ... الى القلب من اجل الحبيب حبيب

ولله در ابن جابر حيث قال

هنا لكم يا اهل طيبة قد حقا ... فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى ... سواها وان جار الزمان ولو شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا

فبشرا كم نلتم عناية ربكم ... فها انتم فى بحر نعمته غرقا
تزون رسول الله فى كل ساعة ... ومن يره وهو السعيد به حقا
متى جيتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوى الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع الاحسان حزنا ولا رقا
بطيبة مثواكم واكرم مرسل ... يلاحظكم فالدهر يجرى لكم وفقا
وكم نعمة لله فيها عليكم ... وشكرا ونعم بالشكر تستبقا
امنتم من الدجال فيها فحولها ... ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذلك من الطاعون انتم بمامن ... فوجه الليالى لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم ... وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه انتم ... وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا عنها الدنيا يريدها ... اتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
اتخرج عن حوز النبى وحرزه ... الى غيره سفيه مثلك قد حقا
لين سرت تبغى من كريم اعانة ... فاكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم وليس بزايد ... ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه ... ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش فى حمى خير الانام ومت به ... اذا كنت فى الدارين تطلب ان ترقا
اذا قمت فيما بين قبر ومنبر ... بطيبة فاعرف اين منزلك الارقا

لقد سعد الرحمن جار محمد ومن جار في رحاله فهو الاشقى

وقد روى الترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الاسلمية وفي البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون وفيه عن ابي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة ابواب على كل باب ملكان قال في فتح الباري وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولها واجيب بان الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وانما المراد ان ذلك يترتب عليه وينشا عنه لكونه سببه فاذا استحضر ما تقدم في المقصد الثامن من انه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله اياها فان فيه اشارة الى ان كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله لا يتمكن من طعن احد منهم وقد اجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهذا الذي قاله يقتضي انه دخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محي الدين النووي في الاذكار بان الطاعون لم يدخل المدينة اصلا ولا مكة ايضا ولكن نقل جماعة انه دخل مكة في الطاعون العام الذي كان في

سنة

سنة تسع واربعين وسبعمائة بخلاف المدينة فلم يذكر احد انه وقع الطاعون بها اصلا فاجاب بعضهم بانه عليه السلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لان الطاعون ياتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الاجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون قال الحافظ ابن حجر ويظهر لي جواب اخر بعد استحضار الذي اخرجه احمد من رواية ابي عسيب بمهملتين اخره موحدة بوزن عظيم رفعه اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وهو ان الحكمة في ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من اصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبية كما في حديث عايشة ثم خير صلى الله عليه وسلم في امرين يحصل بكل منهما الاجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج الى جهاد الكفار واذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة تضعف اجساد الذين يحتاجون الى التقوية لاجل الجهاد فدعى بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة اصح بلاد الله بعد ان كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق اجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة فكان منع دخول الطاعون من خصايصها ولوازم دعائه لها بالصحة وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لان الاطباء من اولهم الى اخرهم عجزوا ان يدفعوا

الطاعون عن بلد بل عن قرية وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة
انتهى ملخصًا والله اعلم ومن خصايص المدينة ان غبارها شفاء من الجذام والبرص
بل من كل داءٍ كما رواه رزين العبدري في جامعه من حديث سعد وزاد في حديث
ابن عمر وعجوتها شفاء من السم ونقل البغوي عن ابن عباس في قوله تعالى لنبوئنهم
في الدنيا حسنة انها المدينة وذكر ابن النجار تعليقًا عن عايشة رضي الله عنها انها
قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت بالقران وروى الطبراني في الاوسط باسناد
لا باس به عن ابي هريرة يرفعه المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة
ومثوى الحلال والحرام وبالجملة فكل المدينة وترابها وطرقها وفجاجها ودورها
وما حولها قد اشتملته بركته صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتركون بدخوله
منازلهم ويدعون اليها والى الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله من
ركوب دابة في الارض وقال لا اطاء بحافر دابة في عراص كان صلى الله عليه وسلم
ونبغي ان ياتي مسجد قبا للصلوة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره
راكبًا وماشيًا رواه مسلم وفي رواية له ياتي بدل يزور فيصلي فيه ركعتين وعنده
ايضًا ان ابن عمر كان ياتيه كل سبت ويقول رايت النبي صلى الله عليه وسلم ياتيه كل
سبت وعند الترمذي وابن ماجة والبيهقي من حديث اسيد بن ظهير الانصاري
يرفعه صلاة في مسجد قبا كعمرة قال الترمذي حسن غريب وقال المنذري
لا نعرف لاسيد حديثًا صحيحًا غير هذا ورواه احمد وابن ماجة من حديث سهل

بن

بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم اتى مسجد قبا فصلى فيه صلاة كان له كاجر عمرة
وصححه الحاكم وينبغي ايضًا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقصد المزارات
التي بالمدينة الشريفة والاثار المباركة والمساجد التي صلى فيها عليه السلام
التماسًا لبركته ويخرج الى البقيع لزيارة من فيه فان اكثر الصحابة ممن توفي بالمدينة
في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفون بالبقيع وكذلك سادات اهل البيت
والتابعين وروي عن مالك انه مات بالمدينة من الصحابة عشرة الاف وكذلك
امهات المؤمنين سوى خديجة فانها بمكة وميمونة فانها بسرف وقد كان صلى الله عليه وسلم
يخرج اخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مومنين رواه مسلم لكن
قال ابن الحاج في المدخل وقد فرق علماؤنا بين الافاقي والمقيم في التنفل بالطواف
والصلوات فقال الطواف في حق الافاقي افضل له والتنفل في حق المقيم افضل قال
وما نحن بسبيله من باب اولى فمن كان مقيمًا خرج الى زيارة اهل البقيع ومن كان
مسافرًا فليغتنم مشاهدته عليه السلام وحكي عن العارف ابن ابي جمرة انه لما دخل
المسجد النبوي لم يجلس الا الجلوس في الصلوة وانه لم يزل واقفًا بين يديه صلوات
الله وسلامه عليه وكان قد خطر له ان يذهب الى البقيع فقال الى اين اذهب هذا باب الله
المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين انتهى وروى ابن النجار مرفوعًا مقبرتان
مضيئتان لاهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لاهل الدنيا بقيع الغرقد ومقبرة
بعسقلان وعن كعب الاحبار قال نجدها في التورية يعني مقبرة المدينة كفتة

محفوفة بالنخيل موكل بها ملائكة كلما استلأت اخذوا فكفاؤها فى الجنة واخرج ابو حاتم
من حديث ابن انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم
عمر ثم اتى البقيع فيحشرون معى ثم انتظر اهل مكة حتى تحشر بين الحرمين **الفصل الثالث**
فى تفضيله عليه السلام فى الاخرة بفضايل الاولئيات الجامعة لمزايا التكريم و
الدرجات العاليات وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود المغبوط عليه من الاولين
والاخرين وانفراده بالسودد فى مجمع جامع الانبياء والمرسلين ورقية فى جنة
عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد فى اعلا معالى الحسنى وزيادة
اعلم ان الله تعالى كما فضل نبينا صلى الله عليه وسلم فى البدء بان جعله اول الانبياء
فى الخلق واولهم فى الاجابة فى عالم الذر يوم الست بربكم فضله ختم كمال الفضايل
فى العود فجعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع واول من يؤذن
له بالسجود واول من ينظر الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته اذ ذاك
واول الانبياء يقضى بين امته واولهم اجازة على الصراط بامته واول داخل الجنة
وامته اول الامم دخولا اليها وزاده من لطايف التحف ونفايس الطرف ما لا يحد ولا
يعد فمن ذلك انه يبعث راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته ادم فمن
دونه واختصاصه ايضا بالسجود لله تعالى امام العرش وما يفتحه الله عليه فى
سجوده من التحميد والثناء عليه وما لم يفتحه على احد قبله ولا يفتح على احد بعده
زيادة فى كرمه وقربه وكلام الله تعالى له يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل

نعط

نعط واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا الا النظر اليه تعالى ومن ذلك تكراره
تكراره فى الشفاعة وسجوده ثانية وثالثة وتجديد الثناء عليه والتحميد بما يفتح
الله عليه من ذلك وكلام الله تعالى له فى كل سجدة يا محمد ارفع راسك وقل تسمع واشفع
تشفع فعل المدل على ربه الكريم عليه الرفيع عنده المحب ذلك منه تشريفا له وتكريما
وتبجيلا وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام يغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته بين الانبياء وامهم واتيانهم
اليه يسألونه الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفاعته فى
اقوام قد امروا بهم الى النار ومنها الحوض الذى ليس فى الموقف اكثر واردا منه
وان المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته ومنها انه يشفع فى رفع درجات
اقوام لا يبلغها اعمالهم وهو صاحب الوسيلة التى هى اعلا منزلة فى الجنة الى غير
ذلك مما يزيده تعالى به جلالة وتعظيما وتبجيلا وتكريما على رؤس الاشهاد من الاولين
والاخرين والملائكة اجمعين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
فاما تفضيله صلى الله عليه وسلم باوليته انشقاق القبر المقدس عنه فروى مسلم
من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم
القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى ادم فمن سواه الا تحت لوائى
وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذى وعن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتى اهل البقيع

فيحشرون ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين قال الترمذي حسن صحيح ورواه
ابو حاتم وقال حتى يحشر ونقدم وعن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
يصعقوا الناس حين يصعقون فاكون اول من قام فاذا موسى اخذ بالعرش فما ادري
اكان فيمن صعق وفي رواية فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا
ادري اكان موسى فيمن صعق فافاق قبلي وكان ممن استثنى الله رواه البخاري
والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا او راى شيئا ففزع منه ولم يبين في هذه الرواية
من الطريقين محل الافاقة من اي الصعقتين ووقع في رواية الشعبي عن ابي هريرة في تفسير
سورة الزمر اني اول من يرفع راسه بعد النفخة الاخيرة والمراد بقوله ممن استثنى الله
قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقد استشكل كون جميع
الخلق يصعقون مع ان الموتى لا احساس لهم فقيل المراد الذين يصعقون هم الاحياء
واما الموتى فهم في الاستثناء في قوله الا من شاء الله اي الا من سبق له الموت قبل
ذلك فانه لا يصعق والى هذا جنح القرطبي ولا يعارضه ما ورد في الحديث ان موسى
ممن استثنى الله لان الانبياء احياء عند الله وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد
صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء والارض وتعقبه القرطبي بانه صرح صلى الله
بانه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا انما هو عند نفخة البعث انتهى
ووقع في رواية ابي سلمة عند ابن مردويه انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة فانفض
التراب عن راسي فاتي قائمة العرش فاجد موسى قائما عندها فلا ادري انفض التراب

عن

عن راسه او كان ممن استثنى الله واختلف في المستثنى من هو على عشرة اقوال فقيل الملائكة
وقيل الانبياء وبه قال البيهقي في تاويل الحديث في تجويزه ان يكون موسى ممن استثنى
الله قال ووجهه عندي انهم احياء كالشهداء فاذا نفخ في الصور الاولى صعقوا
ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار وقيل الشهداء واختاره
الحليمي قال وهو مروي عن ابن عباس فان الله تعالى يقول احياء عند ربهم يرزقون
وضعف غيره من الاقوال وقال ابو العباس القرطبي صاحب المفهم الصحيح انه لم
يات في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل وتعقبه تلميذه في التذكرة فقال قد ورد
في حديث ابي هريرة فانهم الشهداء وهو صحيح وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
سال جبريل عليه السلام عن هذه الاية من الذين لم يشا الله ان يصعقوا قال هم شهداء الله
صححه الحاكم وقيل هم حملة العرش وجبرئيل وميكائيل وملك الموت لم يموتون واخرهم
ملك الموت وقيل هم الحور العين والولدان في الجنة وتعقب بان حملة العرش
ليسوا من سكان السموات والارض لان العرش فوق السموات كلها وبان جبرئيل
وميكائيل وملك الموت من الصافين المسبحين ولان الحور العين والولدان
في الجنة وهي فوق السموات ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء
فلا شك انها بمعزل عما خلقه الله للفناء ثم انه وردت الاخبار بان الله تعالى
يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يحييهم الله تعالى واما اهل الجنة
فلم يات عنهم ولا الاظهر انها دار خلود فالذي يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه

قابلا للموت فالذي خلق فيها اولى ان لا يموت فيها ابدًا فان قلت ان قوله كل شئ
هالك الا وجهه يدل على ان الجنة نفسها تفنى ثم تعاد ليوم الجزاء ويموت الحور ثم
يحيون اجيب بانه يحتمل ان يكون معنى قوله كل شئ هالك اى انه قابل للهلاك فيهلك
ان اراد الله به ذلك الا هو سبحانه فانه قديم والقديم لا يمكن ان يفنى انتهى ملخصًا
من تذكرة القرطبى ويؤيد القول بعدم موت الحور قولهن نحن الخالدات فلا نموت
كما فى الحديث ولا يقال المراد من قولهن الخلود الكاين بعد القيمة لانه لا خصوصية
فيه والاوصاف المشتركة لا يتناهى بها والله اعلم وفى كتاب العظمة
لابى المسيح ابن حبان من طريق وهب بن منبه من قوله قال خلق الله الصور من لؤلؤ
بيضا فى صفاء الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان اسرافيل
فامره ان ياخذ الصور فاخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسه
فذكر الحديث وفيه ثم تجتمع الارواح كلها فى الصور ثم يامر الله اسرافيل فينفخ فيه
فتدخل كل روح فى جسدها فعلى هذا فالنفخ يقع فى الصور اولا ليتصل النفخ بالروح
الى الصور وهى الاجساد فاضافة النفخ الى الصور الذى هو القرن حقيقة والى
الصور التى هى الاجساد مجاز وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ثم
ينفخ فى الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا ثم يرسل الله مطرا كانه
الطل فينبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والليت
بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة العنق وهما ليتان واصغى امال

واخرج البيهقى بسند قوى عن ابن مسعود موقوفًا ثم يقوم الصور بين السماء والارض
فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى لله خلق فى السموات والارض الا مات الا من شاء
ربك ثم يكون بين النفختين اربعون سنة الاولى يميت الله بها كل حى والاخرى
يحيى الله بها كل ميت ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجًا اذا بعثوا وانا قائدهم
اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى ولواء الحمد يومئذ بيدى
وانا اكرم ولد آدم على ربى يطوف على الف خادم كانهم بيض مكنون ولؤلؤ
منثور رواه الدارمى وقال الترمذى حديث غريب ولم يقل وانا امامهم
لان دار الاخرة ليست دار تكليف وفى حديث رواه صاحب كتاب حادى
الارواح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة وبلال بين يديه
ينادى بالاذان وفى كتاب ذخاير العقبى للطبرى مما عزاه لتخريج الحافظ السلفى
من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث الانبياء على
الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة على ناقتى العضباء والقصوى
واحشر انا على البراق خطوها عند اقصى طرفها ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة
واخرجه الحاكم (الطبرانى ونحوه) بلفظ يحشر الانبياء على الدواب وابعث على البراق ويبعث
بلال على ناقة من نوق الجنة فينادى بالاذان محضًا وبالشهادة حقًا حتى اذا قال

اشهد ان محمدا رسول الله شهد له المومنون من الاولين والاخرين وعند ابن بخويه
فى فضايل الاعمال عن كثير بن مرة الحضرمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبعث ناقة ثمود لصالح فيركب من قبره حتى توافى به المحشر وانا على البراق اختصصت
به من دون الانبيا يوميذ ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادى على ظهرها
بالاذان حقا فاذا سمعت الانبياء وامما اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
قالوا وما نحن نشهد على ذلك وذكر الشيخ زين الدين المراغى مما عزاه لابن النجار فى تاريخ
المدينة عن كعب الاحبار والقرطبى فى التذكرة وابن ابى الدنيا عن كعب انه دخل على عايشة
رضى الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع
الا نزل سبعون الفا من الملايكة حتى يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون
على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الفا ملك
يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم يصلون على القبر صلى الله عليه وسلم سبعون
الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض خرج فى سبعين
الفا من الملايكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم وفى نوادر الاصول للحكيم الترمذى
من حديث ابن عمر قال خرج رسول الله عليه السلام ويمينه على ابى بكر وشماله على
عمر فقال هكذا نبعث يوم القيمة وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فاكسى
حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام
غيرى رواه الترمذى وفى رواية جامع الاصول عنه انا اول من تنشق الارض

فاكسى

فاكسى وفى رواية كعب حلة خضراء وفى البخارى من حديث ابن عباس عنه صلى الله
تحشرون حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وان اول الخلايق يكسى يوم القيمة
ابراهيم واخرجه البيهقى وزاد واول من يكسى من الجنة ابراهيم يكسى حلة من الجنة
ويوتى بكرسى فيطرح عن يمين ثم يوتى بى فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه
انه يجلس عن يمين العرش ولا يلزم من تخصيص ابراهيم عليه السلام بانه اول من يكسى
ان يكون افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه السلام
خرج من قبره فى ثيابه التى مات فيها والحلة التى يكسىها يوميذ حلة الكرامة بقرينة اجلاسه
عند ساق العرش فتكون اولية ابراهيم فى الكسوة بالنسبة لبقية الخلق واجاب الحليمى بانه
يكسى ابراهيم اولا ثم يكسى نبينا عليهما السلام على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا اعلى
واكمل فتجبر بنفاستها ما فات من الاولية فى حديث ابى سعيد عند ابى داود وصحح
ابن حبان انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها وعند الحارث ابن ابى اسامة واحمد
بن منيع فانهم يبعثون فى اكفانهم ويتزاورون فى اكفانهم ويجمع بينه وبين
ما فى البخارى بان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا ويحشرون كلهم عراة ثم تكسى
الانبياء واول من يكسى ابراهيم عليه السلام او يخرجون من القبور بالثياب التى
ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم لابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون اول من يكسى ابراهيم
وحمل بعضهم حديث ابى سعيد على الشهداء فيكون ابى سعيد سمعه فى الشهداء

مبحث لواء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فحمله على العموم وامار واه الطبراني في الرياض النضرة وعزاه للامام احمد في المناقب عن مخدوج
بن زيد الذهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اما علمت يا علي انه اول من يدعى به يوم القيمة
بي فاقوم عن يمين العرش في ظله فاكسى حلة خضراء من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم اثر
بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حللا خضراء من حلل الجنة الا وان
امتي اول الامم يحاسبون يوم القيمة ثم ابشر اول من يدعى بك فيدفع لك لوائي وهو
لواء تسير به بين السماطين ادم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائي يوم و
طوله مسيرة الف سنة وستماية سنة سنانه ياقوتة حمراء قبضته فضة بيضاء
زجه درة خضراء له ثلث ذوايب من نور ذوابة في المشرق وذوابة في المغرب
والثالثة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم
الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر
الف سنة وعرضه مسيرة الف سنة فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين
عن يسارك حتى تقف بيني وبين ابراهيم في ظل العرش ثم تكسى حلة من الجنة والسماطان
من الناس والنخل الجانبان رواه ابن سبيع في الخصايص بلفظ قال سال عبد الله بن
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لواء الحمد ما صفته قال طوله مسيرة
الحديث فقال الحافظ قطب الدين الحلبي كما نقله المحب بن الهايم انه موضوع بين
الوضع قال والله اعلم بحقيقة لواء الحمد وفي حديث ابي سعيد عند الترمذي
بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة

ولا

ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي الحديث
واللواء الراية وفي عرفهم لا يمسكها الا صاحب الجيش ورئيسه ويحتمل ان تكون
بيد غيره باذنه وتكون تابعة له ومتحركة بحركته تميل معه حيث مال الا انه يمسكها
بيده اذ هذه الحالة اشرف وفي استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها ولا
يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل ممسكا لها اشد القتال ولذا لا يليق بامساكها
كل احد بل مثل علي رضي الله عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه
الله ورسوله وانما اضاف اللواء الى الحمد الذي هو الثناء على الله بما هو اهله لان
ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الانبياء وقد اختلف في هيئة
حشر الناس ففي البخاري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس على ثلث طرايق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلثة على
بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم
حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم
حيث امسوا رواه الشيخان وقد مال الحليمي الى ان هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور
وجزم به الغزالي وقيل انهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور في حديث
ابن عباس عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون
حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
ثم يفترقون حالهم من ثم الى الموقف كما في حديث ابي هريرة يحشر الكافر على وجهه قال

رجل يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال أليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا
قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة اخرجه الشيخان وفي حديث ابي ذر عند النسا
مرفوعا ان الناس يحشرون ثلثة افواجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم
الملائكة على وجوههم وفوجا يمشون ويسعون وفي حديث سهل بن سعد مرفوعا
يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفرا كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد رواه
الشيخان وفي حديث عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه تدنو الشمس من الارض يوم القيمة
فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف ساقه فمنهم من يبلغ ركبتيه فمنهم من يبلغ
فخذيه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ فاه
واشار بيده الجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه وله
شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الاسود وليس بتمامه وفيه تدنو الشمس
يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في
العرق وهذا ظاهر في انهم يستوون في وصول العرق اليهم ويتفاوتون في حصوله
فيهم فان قلت الشمس محلها السماء وقد قال الله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل
والالف واللام في السماء للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع
فالجواب يجوز ان تقام بنفسها دانية من الناس في الحشر ليقوى هوله وكربه عافانا
الله من كل مكروه وقال ابن ابي جمرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن دلت
الاحاديث الاخرى على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثرون ويستثنى الانبياء والشهداء

ومن

ومن شاء الله فاشدهم الكفار ثم اصحاب الكبائر ثم من بعدهم واخرج ابو يعلى وصححه
ابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين
قال مقدار نصف يوم من خمسين سنة فيهون على المومنين كتدلي الشمس الى ان تغرب
واخرج احمد وابن حبان نحوه من حديث ابي سعيد والبيهقي وفي البعث عن ابي هريرة
يحشر الناس قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السما فيلجمهم العرق
من شدة الكرب وفي البخاري من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يعرق
الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق
حتى يبلغ اذانهم وعند البيهقي من حديث ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا اربعين
عاما شاخصة ابصارهم الى السماء لا يكلمهم والشمس على رؤسهم حتى يلجم
العرق كل بر منهم وفاجر وفي حديث ابي سعيد عند احمد انه يخفف الوقوف
عن المومنين حتى يكون كصلوة مكتوبة وسنده حسن وللطبراني من حديث ابن
عمر ويكون ذلك اليوم اقصر على المومن من ساعة من نهار وجاء عن عبد الله بن عمرو
بن العاصي ان الذي يلجمه العرق الكافر اخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عنه
قال يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم العرق قيل له فاين المومنين قال على كراسي
من ذهب ويظلل عليهم الغمام وبسند قوي عن ابي موسى قال الشمس فوق
رؤس الناس يوم القيامة واعمالهم تظلهم واخرج ابن المبارك في الزهد وابن ابي
شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيمة حر

عشر سنين ثم تدنو من جماجم الرؤس حتى يكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الارض ثم يرتفع حتى يعزعن الرجل زاد ابن المبارك في روايته ولا يضر حرها يومئذ مومنا ولا مومنة قال القرطبي المراد من يكون كامل الايمان لما يدل لحديث المقداد وغيره انهم يتفاوتون في ذلك بحسب اعمالهم وفي رواية عند ابي يعلى وصححها ابن حبان ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيمة حتى يقول يا رب ارحني ولو الى النار وهو كالصريح في ان ذلك كله في الموقف ومن تامل الحالة المذكورة عرف عظيم الهول فيها وذلك ان النار تحف بارض الموقف وتدني الشمس من الرؤس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الارض وما ذا يروونه من العرق مع ان كل واحد لا يجد الا قدر موضع قدميه فكيف يكون حال هولاء مع تنوعهم فيه ان هذا مما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الايمان بامور الاخرة وان ليس للعقل فيه مجال ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وانما يوخذ بالقبول فتامل رحمك الله شدة هذا الازدحام والانضمام والاتساق والالتصاق واجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم من ساير اصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلافهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل الا ظل عرش الله ربك بما قدمته مع ما انضاف الى ذلك من نخر الانفاس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكروب ولا ريب ان هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والماء ثم اعز موجود واعظم مفقود فلا منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله

وزاده فضلا وشرفا لديه ولا مشرب لامته سواه ولا تبرد اكبادهم الا به فالشربة منه كما ورد به تروي الظما وتشفي من الصدا وتذهب بكل دا فلا يظما شاربها ولا يسقم بعدها ابدا وفي حديث انس عند البزار من شرب منه اي من الحوض شربة لم يظما ابدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا وزاد في حديث ابي امامة عند احمد وابن حبان ولم يسود وجهه ابدا وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عند الشيخين حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظما ابدا قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض يكون بعد الصراط وذهب الاخرون الى العكس والصحيح ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والاخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بان الكوثر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثرا لانه يمد منه فغاية ما يوخذ من كلام القرطبي ان الحوض يكون قبل الصراط لان الناس يردون الموقف عطاشا فيرد المومنون الحوض وتتساقط الكفار في النار بعد ان يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب فيقال الا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وفي حديث ابي ذر مما رواه مسلم ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لان الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمومنون

يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي
يصب من الكوثر فى الحوض وظاهر الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء
من النهر الذي داخلها وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم
من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب
والنجاة من النار لان ظاهر حال من لا يظمأ ان لا يعذب بالنار ولكن يحتمل ان من قدر
عليه التعذيب منهم ان لا يعذب فيها بالظمأ بل بغيره وعن انس قال سالت رسول الله
ان يشفع لى يوم القيمة فقال انا فاعل ان شاء الله قلت فاين اطلبك قال اول ما تطلبنى
على الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان
لم القك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا اخطى هذه الثلاث
مواطن رواه الترمذي وقال حسن غريب وفى حديث ابن مسعود عند احمد ثم
اوتى بكسوتى فالبسها فاقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطنى به
الاولون والاخرون قال ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض الحديث وقد بين
فى حديث عمرو بن العاصي عند البخاري ان الحوض مسيرة شهر وزاد فى رواية مسلم
من هذا الوجه وزواياه سواء وهذه الزيادة كما قاله فى فتح الباري تدفع تاويل
من جمع بين مختلف الاحاديث فى تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول
وفى حديث ابى برزة عند الطبرانى وابن حبان فى صحيحه ما بين ناحيتى حوضى كما بين
ايلة وصنعا مسيرة شهر عرضه كطوله وفى حديث انس عند الشيخين كما بين صنعا

والمدينة

والمدينة وفى حديث عتبة بن عبد السلمى عند احمد وابن حبان فى صحيحه ما بين صنعى
الى بصرى وفى حديث ابى امامة عند الطبرانى ما بين عدن وعمان بضم المهملة و
تخفيف الميم وقال ابن الاثير فى النهاية فى حديث الحوض عرضه من مقامى الى عمان
هى بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما بالضم
والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى وهذه المسافات متقاربة وظن بعضهم انه
وقع اضطراب فى ذلك وليس كذلك واجاب النووي عن ذلك بانه ليس فى ذكر المسافة
القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وحاصله
يشير الى انه اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بان المسافة الطويلة فاخبر بما كان
كان الله تفضل عليه الساعة شيئا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها
مسافة فان قلت هل لكل نبى من الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض
هناك يقوم عليه كنبينا فالجواب انه اشتهر اختصاص نبينا عليه السلام بالحوض
قال القرطبي فى المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به ان الله تعالى
قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفاته وشرابه
فى الاحاديث الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها العلم القطعى اذ روى ذلك عنه
من الصحابة نيف على الثلاثين ومنهم فى الصحيحين ما ينيف على العشرين وفى غيرهما
بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت روايته ثم رواه عن الصحابة المذكورين امثالهم
ومن بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف واهل السنة

من الخلف انتهى ولكن خرج الترمذي من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضًا و
اشار الى انه اختلف في وصله وارساله وان المرسل اصح والمرسل اخرجه ابن ابي
الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضًا
وهو قايم على حوضه بيده عصىً يدعو من عرف من امته الا وانهم يتباهون ايهم
اكثر تبعًا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعًا واخرج الطبراني من وجه اخر عن سمرة
موصولا مرفوعًا مثله وفي سنده لين واخرج ابن ابي الدنيا ايضا من حديث سعيد
رفعه وكل نبي يدعو امته ولكل نبي حوض ومنهم من ياتيه الفئام ومنهم
من ياتيه العصبة ومنهم من ياتيه الواحد ومنهم من ياتيه الاثنان ومنهم
من لا ياتيه احد واني لاكثر الانبياء تبعًا يوم القيامة وفي اسناده لين فان ثبت
فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فانه لم ينقل
نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به في سورة انا اعطيناك الكوثر انتهى ملخصًا
من فتح الباري والفئام كما في الصحاح الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه و
العامة تقول فيام بلا همز وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة رفعه قال ترد علي
امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابله فقالوا يا رسول الله تعرفنا
قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرًا محجلين من اثار الوضوء قالوا
والحكمة في الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد ان يرشد كل احد الى حوض
نبيه كما تقدم ان لكل نبي حوضًا فيكون هذا من جملة انصافه ورعاية اخوانه

من

من النبيين لا انه يطردهم بخلا عليهم ويحتمل ان يكون يطرد من لا يستحق الشرب
من الحوض والله اعلم وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال الحوض اربعة اركان
الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذي
النورين والرابع بيد علي بن ابي طالب فمن كان محبًا لابي بكر مبغضًا لعمر لا يسقيه
ابو بكر ومن كان محبًا لعلي مبغضًا لعثمان لا يسقيه علي ابن ابي طالب رواه ابو سعيد
في شرف النبوة والغيلاني واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود
فقد قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقامًا محمودًا اتفق المفسرون على ان كلمة
عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان لفظة عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانًا
في شيء ثم احرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع احدًا في شيء ثم لا يعطيه ذلك
وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة قال الواحدي
اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه
الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي قال الامام ابن الخطيب اللفظ مشعر
بذلك لان الانسان انما يصير محمودًا اذا احمده حامد والحمد انما يكون على الانعام
فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقامًا انعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قوم فحمدوه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز ان يكون هو تبليغ الدين
وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلًا في الحال وقوله عسى ان يبعثك ربك مقامًا
محمودًا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم حمد بالغ عظيم كامل ومن

المعلوم ان حمد الانسان على سعيه فى التخلص عن العقاب اعظم من سعيه فى زيادة
من الثواب لاحاجة به اليها لان احتياج فى دفع الالام العظيمة عن النفس فوق
احتياجه الى تحصيل المنافع الزايدة التى لاحاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب
ان يكون المراد من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة فى اسقاط
العقاب على ما هو مذهب اهل السنة ولما ثبت ان لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا
ثم وردت الاخبار الصحيحة فى تقدير هذا المعنى كما فى البخاري من حديث ابن عمر قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه
ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيمة
جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى فذلك
المقام المحمود فاذا ثبت هذا فيجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤكد هذا الدعاء المشهور
وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون ونصب قوله مقاما
على الظرفية اى وابعثه يوم القيمة فاقمه مقاما او على انه مفعول له به وضمن معنى
ابعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال اى ابعثه ذا مقام قال الطيبى وانما
نكره لانه افخم واجزل اى مقاما محمودا بكل لسان وقول النووي ان الرواية
ثبتت بالتنكير وانه كان حكاية اللفظ القران متعقب بانه جاء فى هذه الرواية
بعينها بالتعريف عند النسايى قال ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود
الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول الثانى قال حذيفة

يجمع

يجمع الله الناس فى صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت فقال فهذا هو المراد من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا رواه الطبرانى وقال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة
رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه فى الشفاعة يفيد اقدام الناس
على حمده فيصير محمودا واما ما ذكره من الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد
فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده على هذا القول فالجواب لان الحمد
فى اللغة مختص بالثناء المذكور فى مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد
فى غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث مقام يحمده عاقبته قال الامام فخر الدين
وهذا ايضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه القول الرابع قيل هو اجلاسه عليه السلام
على العرش وقيل على الكرسى روي عن ابن مسعود انه قال يقعد الله تعالى محمدا م
على العرش قال مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش قال الواحدي وهذا قول
رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه
الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت البارك والقاعد فانبعث ويقال بعث
الله الميت اى اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد
والثانى يوجب انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم
لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله علوا كثيرا والثالث

انه تعالى قال مقاما محمودًا و لم يقل مقعدًا و المقام موضع القيام لا موضع العقود
و الرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهمما
و لا يفهم منه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل اليه الا القليل
العقل عديم الدين انتهى و تعقب القول الثانى بانه تعالى يجلس على العرش كما اخبر جل
و علا عن نفسه المقدسة بلا كيف و ليس اقعاد محمد صلى الله عليه و سلم على العرش
موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله و
تشريفا له على خلقه و اما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند ربك
و رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فكل هذا و نحوه عائد على الرتبة و المنزلة و
الحظوة و الدرجة الرفيعة لا الى المكان و قال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلانى
قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل و لا من جهة النظر
و قال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال و بالغ الواحدى فى رد هذا
القول و نقل النقاش عن ابى داود صاحب السنن انه قال من انكر هذا فهو متهم
و قد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبى و عن ابن عباس عند ابى الشيخ قال ان محمدا يوم
القيمة يجلس على كرسى الرب بين يدى الرب فيحتمل ان تكون الاضافة اضافة
تشريف و على ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد و غيره و يحتمل ان يكون المراد بالمقام المحمود
الشفاعة كما هو المشهور و ان يكون الاجلاس هى المنزلة المعبر عنها بالوسيلة
كذا قاله بعضهم و اختلف ان يكون الاجلاس علامة الاذن فى الشفاعة و اختلف

فى فاعل الحمد من قوله تعالى محمودًا فالاكثر على ان المراد به اهل الموقف و قيل النبى
صلى الله عليه و سلم اى انه يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده فى الليل و الاول ارجح
لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاما محمودًا يحمده اهل الجمع كلهم و يجوز ان يحمل
على اعم من ذلك اى مقاما يحمد القائم فيه و كل من عرفه و هو مطلق فى ما يجلب الحمد
من انواع الكرامات و استحسن هذا ابو حيان و ايده بانه نكرة فدل على انه ليس المراد
مقاما مخصوصا انتهى فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة
فاى شفاعة هى فالجواب ان الشفاعة التى وردت فى الاحاديث فى المقام المحمود
نوعان النوع الاول العامة فى فصل القضا و الثانى فى الشفاعة فى اخراج
المذنبين من النار لكن الذى يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العظمى العامة
فان اعطاه لواء الحمد و ثناؤه على ربه و كلامه بين يديه و جلوسه على كرسيه
كل ذلك صفات للمقام المحمود الذى يشفع فيه ليقضى بين الخلق و اما شفاعته فى
اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك و قد انكر بعض المعتزلة و الخوارج الشفاعة
فى اخراج من دخل من المذنبين و تمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
و بقوله تعالى ما للظالمين من حميم و لا شفيع يطاع و اجاب اهل السنة بان هذه
الايات فى الكفار قال القاضى عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا
و وجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
و رضى له قولا و قوله لا يشفعون الا لمن ارتضى و قوله عسى ان يبعثك ربك

مقاما محمودًا المفسّر بها عندنا الاكثرين كما قدمنا و قد جاءت الاثار التى يبلغ مجموعها
التواتر بصحة الشفاعة فى الاخرة لمذنبى المؤمنين وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله
ارايت ما يلقى امتى من بعد و سفك بعضهم دماء بعض و سبق لهم من الله ما سبق
للامم قبلهم فسالت الله ان يوتينى شفاعة يوم القيامة ففعل و فى حديث ابى هريرة
لكل نبى دعوة مستجابة يدعوا بها و اريد ان اختبى دعوتى شفاعة لامتى فى الاخرة و
فى رواية انس فجعلت دعوتى شفاعة لامتى وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن
تصرفه حيث جعل دعوته المجابة فى اهم الاوقات حاجاتنا فجزاه الله عنا افضل الجزاء
وعن ابى هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك فى الشفاعة قال شفاعتى لمن شهد
ان لا اله الا الله مخلصًا يصدق بها لسانه قلبه وعن ابى زرعة عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم هل تدرون مم ذلك
يجمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعى
وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون و لا يحتملون فيقول
الناس الا ترون الى ما انتم فيه الى ما بلغتم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول
بعض الناس لبعض ابوكم ادم فياتونه فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك الله
بيده و نفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا
الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى

اذهبوا

اذهبوا الى نوح فياتون نوحًا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض
وقد سماك الله عبدًا شكورًا الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى
ربك فيقول ان ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه
قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى
ابراهيم فياتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبى الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربى غضب غضبًا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسى نفسى
نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى فياتون موسى فيقولون يا موسى انت
رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس الا ترى الى ما نحن فيه اشفع لنا
الى ربك فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله وانى قتلت نفسًا لم اومر بقتلها نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى
اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد الا ترى الى ما نحن فيه اشفع لنا
الى ربك فيقول عيسى ان ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن
يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبًا نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى
محمد فياتون محمدًا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم
الانبياء و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر الا ترى الى ما نحن فيه

اشفع لنا الى ربك فانطلق فاتى تحت العرش فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامد
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعط
واشفع فارفع راسى فاقول امتى يا رب امتى يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك
من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى
ذلك من الابواب رواه البخارى ومسلم قال فى فتح البارى وقد استشكل قولهم
لنوح انت اول الرسل من اهل الارض فان ادم نبى مرسل وكذا شيث وادريس
وهم قبل نوح ومحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة بقوله اهل الارض
لان ادم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض وان الثلاثة كانوا انبياء ولم يكونوا
رسلا والى هذا جنح ابن بطال فى حق ادم وتعقبه القاضى عياض بما صححه ابن حبان
من حديث ابى ذر فانه كالصريح فى انه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على
شيث وهو من علامات الارسال ومن الاجوبة ان رسالة ادم كانت الى بنيه وهم
موحدون ليعلمهم شريعته ونوح رسالته كانت الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد
وذكر الغزالى فى كتاب كشف علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف ادم واتيانهم
نوحا الف سنة وكذا بين كل نبى ونبى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ
ولم اقف لذلك على اصل قال ولقد اكثر فى هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول
لها فلا يغتر بشئ منها ووقع فى رواية حذيفة ان الخليل عليه السلام قال لست بصاحب
ذلك انما كنت خليلا من وراء وراء بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز فيها البناء على الضم

للقطع عن الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره ابو البقاء قال الاخفش
يقال لقيته من وراء بالضم وقال اذا انا لم اومن عليك ولم يكن
لقاؤك الا من وراء وراء ويجوز فيها النصب والتنوين جوازا جيدا قاله
ابو عبد الله الابى ومعناه لم اكن فى التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقيل
مراده ان الفضل الذى اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ايتوا موسى الذى كلمه الله
بلا واسطة وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له
الرؤية والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذى هو من وراء محمد
وسبق مزيد لذلك فى الخصايص واما ما ذكره من الكلمات الثلاث فقال البيضاوى
الحق انها انما كانت من معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق
منها استقصارا لنفسه عن الشفاعة لان من كان اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان
اعظم خوفا واما قوله عن عيسى انه لم يذكر ذنبا فوقع فى حديث ابن عباس عند احمد
والنسائى انى اتخذت الها من دون الله وفى حديث النضر بن انس عن ابيه حدثنى
نبى صلى الله عليه وسلم قال انى لقائم انظر امتى عند الصراط اذ جاء عيسى فقال يا محمد
هذه الانبياء قد جاءتك يسئلون لتدعو الله ان يفرق جمع الامم الى حيث شاء لغم
ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ وان
هذا الذى وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار
فى النار وان عيسى هو الذى خاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبياء

يسالونه فى ذلك وفى حديث سلمان عند بن ابى شيبة ياتون محمدا فيقولون يا نبى الله
انت فتح الله بك وختم وغفر الله لك ما تقدم وما تاخر وجئت فى هذا اليوم وترى
ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول انا صاحبكم فيجوس الناس حتى ينتهى الى باب
الجنة فان قلت ما الحكمة فى انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الجنة اجيب
بان ارض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة واشفاق ومقام
الشافع يناسب ان يكون فى مكان اكرام وفى حديث ابى بن كعب عند ابى يعلى رفعه فاسجد
له سجدة يرضى بها عنى ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عنى وفى حديث ابى بكر الصديق فيطلق
اليه جبريل فيخر ساجدا قد رجمعة فيقال يا محمد ارفع راسك وفى رواية النضر بن
انس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع راسك وعلى هذا فالمعنى
يقول لى على لسان جبريل والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل
سجوده وبعده وفيه ويكون فى كل مكان ما يليق به فانه ورد فى رواية فاقوم
بين يديه فيلهمنى محامد لا اقدر عليها ثم اخر ساجدا وفى رواية البخارى فارفع
راسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنى وفى رواية ابى هريرة عند الشيخين فاتى تحت العرش
فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه لم يفتحه على احد قبلى
ثم قال يا محمد ارفع راسك الحديث وفى رواية البخارى من حديث قتادة عن انس ثم
اشفع فيحد لى حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبى اى يبين لى كل
طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا اتعداه مثلا ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعة

الحجة

ثم فيمن اخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب والذى
يدل عليه سياق الاخبار ان المراد به تفضيل مراتب المخرجين فى الاعمال الصالحة
كما وقع عند احمد عن يحيى القطان عن سعيد بن ابى عروبة وفى رواية ثابت عند
احمد فاقول اى رب امتى امتى فيقول اخرج من كان فى قلبه مثقال شعيرة وفى
حديث سلمان فيشفع فى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة
حبة خردل فذلك المقام المحمود وفى رواية ابى سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجد
فى قلبه مثقال دينار من خير قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين واما قوله
فى رواية انس عند البخارى فاخرجهم من النار فقال الداودى كان الراوى هذا
الحديث ركب شيئا على غير اصله وذلك ان فى اول الحديث ذكر الشفاعة فى الاراحة
من كرب الموقف وفى اخره ذكر الشفاعة فى الاخراج من النار وذلك انما يكون
بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط فى تلك الحالة فى النار
ثم يقع بعد ذلك الشفاعة فى الاخراج وهو اشكال قوى وقد اجاب عنه النووى
ومن قبله القاضى عياض بانه قد وقع فى حديث حذيفة وعن ابى هريرة فياتون
محمدا فيقوم ويؤذن له فى الشفاعة وترسل معه الامانة والرحم فيقومان
جنبتى الصراط يمينا وشمالا اى يقفان فى ناحيتى الصراط قال القاضى عياض فبهذا
يتصل الكلام لان الشفاعة التى لجاء الناس اليه فيها هى لاراحة الناس من كرب
الموقف ثم تجئ الشفاعة فى الاخراج انتهى والمعنى فى قيام الامانة والرحم انهما

لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للامين والخاين
وللواصل وللقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وقد وقع في حديث
ابي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد تمييز المنافقين
من المومنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع
كل امة ما كانت تعبد هو اول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف وبهذا يجتمع
متون الاحاديث وترتب معانيها انتهى فظهر انه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع
ليقضي بين الخلق وان الشفاعة فيمن يخرج من النار وان العرض والميزان ونطاير
الصحف تقع في هذا الموطن ثم ينادي لتتبع كل امة ما كانت تعبد فتسقط الكفار
في النار ثم يميز بين المومنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق
ثم يوذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفا نور المنافقين فيسقطون في النار
ايضا ويمر المومنون عليه الى الجنة فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا
عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة وقد قال النووي ومن قبله
القاضي عياض الشفاعات خمس الاول في الاراحة من هول الموقف الثانية في ادخال
قوم الجنة بغير حساب الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا
الثالثة في اخراج من دخل النار من العصاة الرابعة في رفع الدرجات انتهى الخامسة
في رفع الدرجات انتهى فاما الاولى فيدل عليها حديث ابي هريرة وغيره المتقدم و
حديث انس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس يوم القيمة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا

حتى يريحنا من مكاننا فياتون آدم فيقولون انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وامر الملايكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم
ويذكر خطيئته ايتوا نوحا وذكر اتيانهم الانبياء واحدا واحدا الى ان قال فياتوني
فاستاذن على ربي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي ارفع راسك
سل تعط وقل يسمع واشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث واما الثانية
وهي ادخال قوم الجنة بغير حساب فيدل عليها ما في اخر حديث ابي هريرة عند البخاري
ومسلم الذي قدمته فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد ادخل
امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة قال ابو حامد والسبعون
الالف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا ياخذون صحفا وانما
هي براات مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براة فلان قد غفر له وسعد
سعادة لا شقاء بعدها ابدا فما مر عليه شيء اسر من ذلك المقام واما الثالثة وهي
ادخال قوم حوسبوا ان لا يعذبوا فيدل على ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم
ونبيكم على الصراط يقول رب سلم واما الرابعة وهي التي في اخراج من ادخل النار من
العصاة فدلايلها كثيرة وقد روي البخاري عن عمران بن الحصين مرفوعا يخرج قوم من
النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين واما الخامسة وهي في رفع الدرجات
فقال النووي في الروضة انها من خصايصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك مستندا
فالله اعلم وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم

لعمه ابي طالب في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح ان العباس قال لرسول الله صلى الله عم
ان اباطالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته
في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح ايضا من طريق ابي سعيد انه عم
قال لعله ينفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي
منه دماغه وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة لحديث سعيد
رفعه لا يثبت احد على لاوائها الا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيمة وتعقبه
الحافظ بن حجر بان متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الاول بانه لو عد مثل ذلك
لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اول من اشفع
له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل الطايف رواه البزار واخرى لمن زار قبره الشريف
واخرى لمن اجاب المؤذن ثم صلى عليه صلى الله عليه وسلم واخرى في التجاوز عن تقصير
الصلحاء لكن قال الحافظ بن حجر انها مندرجة في الخامسة وزاد القرطبي انه اول شافع
في دخول امته الجنة قبل الناس ويدل له ما رواه وزاد في فتح الباري اخرى مرفوعا
فيمن استوت حسناته وسيئاته ان يدخل الجنة لما اخرجه الطبراني عن ابن عباس قال
السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد رحمه الله والظالم لنفسه واصحاب
الاعراف لشفاعته صلى الله عليه وسلم وارجح الاقوال في اصحاب الاعراف انهم
قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وشفاعة اخرى وهي شفاعته فيمن قال لا اله
الا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية الحسن عن انس فاقول يارب ايذن لي فيمن قال لا

اله

اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن عزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار
من قال لا اله الا الله فالوارد على الخمسة اربعة وما عداها لا يرد كما ترد الشفاعة
في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة احوال الدنيا فان قلت
فاي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته اما الاولى فلا تختص بهم بل هي
لاراحة الجمع كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات الظاهر انه
يشاركهم فيه بقية الامم فالجواب انه يحتمل ان المراد الشفاعة العظمى التي للاراحة
من هول الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة لكنهم الاصل فيها وغيرهم
تبع لهم ولهذا كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها انه قال يارب امتي
امتي فدعا فيهم فاجيب وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك ويحتمل ان تكون الشفاعة الثانية
وهي التي في ادخال قوم الجنة بغير حساب هي المختصة بهذه الامة فان الحديث الوارد
فيها يدخل من امتي الجنة سبعون الفا الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم ويحتمل
ان يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة في الشفاعات الخمس وكون غير هذه الامة
يشاركونهم فيها او في بعضها لا ينافي ان يكون عليه السلام اخر دعوته شفاعة
لامته فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم انبياؤهم ويحتمل ان تكون الشفاعة
لغيرهم تبعا كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى والله اعلم وعن بريدة ان رسول الله عم
قال اني لارجو ان اشفع يوم القيمة عدد ما على الارض من شجرة ومدرة رواه احمد
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن اخر الامم واول من يحاسب يقال

ابن الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون الاولون رواه ابن ماجة وفي رو حديث ابن
عباس عند ابي داود الطيالسي مرفوعا فاذا اراد الله ان يقضي بين خلقه نادي مناد
ابن محمد وامته فاقوم وتتبعني امتي غر محجلين من اثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه
فنحن الاخرون الاولون واول من يحاسب وتفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم
كادت هذه الامة ان تكون انبيا كلها وقد صح ان اول ما يقضي بين الناس في الدماء
رواه البخاري و للنسائي مرفوعا اول ما يحاسب عليه العبد الصلوة واول ما يقضي بين
الناس الدما و في البخاري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال انا اول من يجثوا يوم
القيمة بين يدي الرحمن للخصومة يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة
من كفار قريش قال ابو ذر وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم الاية وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيمة
حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه وجسمه فيما ابلاه رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي البخاري
من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب و روى البزار
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج لابن ادم ثلثة دواوين ديوان
فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله
لاصغر نعمة احسبه قال في ديوان النعم خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب
عمله الصالح وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح

فاذا

فاذا اراد الله ان يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك
احسبه قال ووهبت لك نعمي وروى الامام احمد بسند حسن عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختصمن كل شي يوم القيمة حتى الشاتان فيما انتطحتا
وعن انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه
فقال له عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب
العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله كيف تصنع باخيك ولم يبق
من حسناته شي قال يا رب فليحمل اوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبكاء قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال الله للطالب
ارفع بصرك فانظر فقال يا رب ارى مداين من فضة مكللة باللولو لاي نبي هذا او
لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك
قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال الله تعالى
فخذ بيد اخيك وادخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما
عن عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن انس عنه وقال الحاكم صحيح الاسناد كذا قال
وقد قيل ان رجلا لو له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخله الجنة
حتى يرضى خصمه وقيل يوخذ بدانق سبعماية صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيري
في التحبير ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان

يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون
الجزاء بحسبها وقد ذكر الله تعالى الميزان فى كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ
الافراد والجمع فقيل ان صورة الافراد محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين
وقال بعضهم يحتمل ان يكون تعددها بتعدد الاعمال فيكون هناك موازين
للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله وذهبت طايفة الى انه
ميزان واحد يوزن بها الجميع وانما ورد فى الاية بصيغة الجمع للتفخيم وليس
المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله كذبت قوم نوح المرسلين والمراد رسول
واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف فى كيفية وضع الميزان والذى
جاء فى كتب الاحوال الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش
ثم يوتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة
وكفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول واختلف
ايضا فى الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال انفسها فهى وان كانت اعراضا
الا انها تجسم يوم القيمة فتوزن وقيل الموزون صحايف الاعمال ويدل له
حديث البطاقة المشهور وقد رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو
بن العاص يرفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا من امتى على رؤس الخلايق يوم القيمة
فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من
هذا شيئا اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول

لا

لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله عبده ورسوله فيقول احضر وزنك
فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات
فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله
شىء فان قلت ان شان الميزان ان يوضع فى كفته شىء وفى الاخرى ضده فتوضع الحسنات
فى كفة والسيات فى كفة والذى يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان ياتى
عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان فى كفة والكفر فى اخرى اجاب الترمذى
الحكيم بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد فى كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة
المترتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات ويدل لما قاله قوله عليه السلام
بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل عليه السلام عن لا اله
الا الله امن الحسنات هى فقال من اعظم الحسنات خرجه البيهقى وغيره ويجوز كما
قاله القرطبى فى التذكرة ان تكون هذه الكلمة هى اخر كلامه من الدنيا كما فى حديث
معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة
وفى التحبير للقشيرى قيل لبعضهم فى المنام ما فعل الله بك قال وزنت حسناتى
فرجحت السيات على الحسنات فسقطت صرة فى كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة
فاذا فيها كف تراب القيته فى قبر مسلم وفى الخبر اذا خفت حسنات المومن اخرج
رسول الله عليه السلام بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان التى فيها حسناته

فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المومن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي
ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك
على قد وفيتك بها احوج ما تكون اليها ذكره القشيري في تفسيره وذكر الغزالي انه
يوتى برجل يوم القيمة فما يجد حسنة ترجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى
رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد
احدا يكلمه في ذلك الامر الا يقول انا احوج لذلك منك فيايس فيقول له رجل لقد لقيت الله
فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما اظنها تغني عني شيا خذها هبة فينطلق
بها فرحا مسرورا فيقول الله ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب اتفق من امري كيت وكيت
قال فينادي الله تعالى بصاحبه الذي وهبه الحسنة فيقول له تعالى كرمي اوسع من
كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة وكذا تستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله
تعالى له لست من اهل الجنة ولا من اهل النار فياتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان
فيها مكتوب اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيومر به الى النار قال
فيطلب الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول الله تعالى ردوه فيقول له ايها العبد
العاق لاي شيء تطلب الرد الي فيقول الهي اني ساير الى النار وكنت عاقا لابي
وهو ساير الى النار مثلي فضعف علي عذابي وانقذه منها فضحك الله تعالى ويقول
عققته في الدنيا وبررته في الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة وقد
روي حذيفة ان صاحب الميزان يوم القيمة جبريل عليه السلام وهو الذي

يزن

يزن الاعمال يوم القيمة واختلفا ايضا في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم
الراجح ان الموزون في الاخرة يصعد عكس ما في الدنيا واستشهد في ذلك بقوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب الا انه قال الزركشي وهو غريب مصادم لقوله تعالى فاما من
ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وهل يوزن الاعمال كلها ام خواتيمها حكي عن وهب
بن منبه انه قال يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل بقوله عليه السلام انما الاعمال
بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال
بعض اهل العلم فيما حكاه القرطبي في التذكرة ولن يجوز احد الصراط حتى يسال
في سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسال عن الايمان بالله وهو شهادة ان لا
اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز ثم يسال على القنطرة الثانية عن الصلوة
فان جاء بها تامة جاز ثم يسال في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به
تاما جاز جاز ثم يسال في الرابعة عن الزكوة فان جاء بها تامة جاز ثم يسال في الخامسة
عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسال عن الغسل
والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ثم يسال في السابعة وليس في القناطر اصعب
منها فيسال عن ظلامات الناس وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب
الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل
ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان

غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله و
منهم من يخردل ثم ينجو الحديث رواه البخاري وفي حديث حذيفة وابي هريرة عند
مسلم ونبيكم قايم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى ياتي الرجل
فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مامورة باخذ
من امرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها
في الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة
سقط في النار قاله ابن العربي ويوخذ من قوله فمخدوش الى اخره ان المارين على الصراط
ثلثة اصناف ناج بلا خدش وهالك من اول وهلة ومتوسط بينهما حصاب ثم ينجوا
وفي حديث المغيرة عند الترمذي شعار المؤمنين على الصراط رب سلم سلم ولا يلزم
من كون هذا الكلام شعار المؤمنين ان ينطقوا به بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين
بالسلامة فيسمى ذلك شعارا لهم وفي حديث ابن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر
اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديهم الحديث وفيه فيمرون
على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر
كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد
الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يحبوا على وجهه
ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال
كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها فقال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط

احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها الحديث رواه ابن ابي الدنيا والطبراني وروى
مسلم قال ابو سعيد بن هلال بلغني ان الصراط احد من السيف وادق من الشعرة
وفي رواية ابن منده من هذا الوجه قال سعيد بن هلال بلغني ووصله البيهقي عن
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم مجزوما به وفي سنده لين ولابن المبارك من مرسل
عبيد بن عمير ان الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب انه ليوخذ بالكلوب الواحد
اكثر من ربيعة ومضر واخرجه ابن ابي الدنيا من هذا الوجه وفيه والملايكة على جنبتيه
يقولون رب سلم سلم وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة
الف سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوي ادق
من الشعر واحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله
ذكره ابن عساكر في ترجمته قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد
بن هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل
الوادي الواسع اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل وقد ذهب بعضهم
الى ان المراد بقوله تعالى وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه ممدود
على النار وروي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود
على الصراط وقيل الورود الدخول وعن ابي سمية قال اختلفنا في الورود فقال
بعضنا لا يدخلها مومن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت
جابر بن عبد الله فقلنا انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا فقلت له انا

اختلفنا في ذلك فقال بعضنا لا يدخلها مومن ولا بعضنا يدخلونها جميعًا فاهوي
باصبعيه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الورود الدخول لا يبقي بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردًا وسلامًا كما
كانت على ابراهيم حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا
ونذر الظالمين رواه احمد والبيهقي باسناد حسن واخرج ابن الجوزي كما ذكره
القرطبي في التذكرة رفعه الراوون على الصراط كثر واكثر من يزل عنه النساقال
فاذا صار الناس على طرفي الصراط نادي ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا
على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيالها من ساعة ما اعظم خوفها واشد
حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفا ويتاخر عنها من كان فيها عظيما و
يتاخر عنها من كان مكينا ثم يوذن لجهنم بعد ذلك في الجواز على الصراط على
قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد صلى الله عليه وسلم نادوا وا محمدا
وا محمداه فيبادر عليه السلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل اخذ بحجزته
فينادي صلى الله عليه وسلم رافعا صوته رب امتي امتي لا اسئلك اليوم نفسي
ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب
سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن
اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم
اما نهيتم عن كسب الاوزار اما انذرتم كل الانذار اما جاءكم النبي المختار ذكره

ابن

ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق وقد جاء في حديث ابي هريرة عنه صلى الله
قال من احسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط رواه ابو نعيم وفي حديث من
من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة و
وروي القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيمة جمع الانبيا
نبيا نبيا وامة امة ويضرب الجسر على جهنم وينادي اين محمد وامته فيقوم رسول الله
وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله ابصار اعدائه فتهافتوا
في النار يمينا وشمالا ويمضي النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتتلقاهم
الملائكة فيدلونهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي الى ربه فيوضع
له كرسي عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله ويتبعه امته
برها وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدائهم فيها فيها فتهافتوا
في النار يمينا وشمالا الحديث واعلم ان في الاخرة صراطين احدهما مجاز لاهل المحشر
كلهم الا من دخل الجنة بغير حساب او يلتقطه عنق النار فاذا خلص من الصراط الاكبر
حبسوا على صراط اخر لهم ولا يرجع الى النار احد من هولاء ان شاء الله لانهم قد
عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم وقد روي البخاري من حديث
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار
فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم
في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده

لاحدهما هدي فى الجنة بمنزلة منه بمنزله كان فى الدنيا واما صلى الله عليه وسلم
بانه اول من يقرع باب الجنة واول من يدخلها ففى صحيح مسلم من حديث المختارين فلفل
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة
وانا اول من يقرع باب الجنة وفيه ايضا من حديث انس قال قال صلى الله عليه وسلم
اتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت
لا افتح لاحد قبلك رواه الطبرانى وزاد فيه قال فيقوم الخازن ويقول لا افتح لاحد
قبلك ولا اقوم لاحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة فيه اظهار لمزيته
ومرتبته وانه لا يقوم فى خدمة احد بعده بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته وهو
كالملك عليهم وقد اقامه الله فى خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وروي سهيل ابن ابى صالح عن زياد المهري عن انس بن مالك قال قال رسول الله عليه وسلم
انا اول من ياخذ بحلقة الجنة ولا فخر وهو فى مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس
وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم
القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه
الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس
ثلث فزعات فياتون ادم فذكر الحديث الى ان قال فياتونى فانطلق معهم
قال ابن جدعان قال انس فكانى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ
بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويرحبون فيقولون

مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد فيقال ارفع راسك الحديث رواه
الترمذي وقال حسن وفى حديث سلمان فياخذ بحلقة الباب وهى من ذهب فيقرع
الباب فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح وفى حديث الصور ان المؤمنين اذا انتهوا الى باب
الجنة تشاوروا فيمن يستاذن لهم فى الدخول فيقصدون ادم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم
موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم
الى الله عز وجل فى فصل القضاء ليظهر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على ساير البشر
كلهم فى المواطن كلها وروي ابو هريرة مرفوعا انا اول من يفتح له باب الجنة الا ان امراة
تبادرنى فاقول لها ما لك وما انت فتقول انا امراة قعدت على يتامى رواه ابو يعلى
ورواته لا باس بهم وقال المنذري اسناده حسن ان شاء الله وقوله تبادرنى
اي لتدخل معي او تدخل فى اثري ويشهد له حديث انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا
وقال باصبعيه السبابة والوسطى رواه البخاري من حديث سهل بن سعد قال ابن
بطال حق على من سمع هذا الحديث ان يعمل به ليكون رفيق النبى صلى الله عليه وسلم
فى الجنة ولا منزلة فى الجنة افضل من ذلك انتهى ويحتمل ان يكون المراد قرب المنزلة
حالة دخول الجنة كما فى الحديث قبله ووجه التشبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم
من شانه ان يبعث الى قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلا لهم ومرشدا و
وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل امر دينه بل ولا دنياه ويعلمه
ويحسن ادبه وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه

قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم
عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فعيسى روح الله وقال اخر وادم اصطفاه الله
فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا و
هو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وهادم اصطفا
الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله فيدخلنيها
ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين ولا فخر رواه الترمذي وعن
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا
بعثوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وقايدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا وانا
مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وانا اكرم ولد
آدم على ربي ولا فخر ويطوف على الف خادم كانهم اللولوء المكنون رواه الترمذي
والبيهقي واللفظ له وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن الاخرون الاولون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة رواه مسلم وعنه ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاخرون الاولون يوم القيمة نحن اول الناس دخولا
الجنة فهذه الامة اسبق الامم خروجا من الارض واسبقهم الى اعلا مكان في الموقف
واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم الى فصل القضا واسبقهم الى الجواز على الصراط

واسبقهم

واسبقهم الى دخول الجنة وهي اكثر اهل الجنة وروى عبد الله بن الامام احمد
من حديث ابي هريرة لما نزلت هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال
صلى الله عليه وسلم انتم ثلث اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا اهل
الجنة قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري وفي حديث بهز بن حكيم
رفعه اهل الجنة عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون وعن عمر بن الخطاب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة حرمت على الانبيا كلهم حتى ادخلها وحرمت
على الامم حتى تدخلها امتي قال الدارقطني غريب عن الزهري فان قلت فما تقول
في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال اصبح رسول الله صلعم
فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك
امامي الحديث اجاب عنه ابن القيم بان تقدم بلال بين يديه صلعم
انما هو لانه كان يدعو الى الله اولا بالاذان ويتقدم اذانه بين يدي النبي صلعم
فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث
النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة وبلال بين يديه بالاذان فتقدمه
بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم واظهارا لشرفه وفضيلته لا سبقا
من بلال له وروى ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله عليه وسلم
اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة التي تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله
وددت اني كنت معك حتى انظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول

من تدخل من امتي وقد دل هذا الحديث على ان لهذه الامة بابا مختصا يدخلون
منه الجنة دون ساير الامم فان قلت من اي ابواب الجنة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم
فالجواب انه قد ذكر الترمذي الحكيم ابواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة
فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان
قلت كم عدة ابواب الجنة فاعلم ان في الحديث ابي هريرة عند الشيخين مرفوعا من
انفق زوجين في سبيل الله دعي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل
الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان
من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب
الصيام الريان وروي الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا ما
منكم من احد يتوضا فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله الا فتحت له من ابواب الجنة الثمانية بزيادة من قال القرطبي وهو
يدل على ان ابواب الجنة اكثر من ثمانية قال وانتهى عددها الى ثلاثة عشر بابا كذا قال
فان قلت اي الجنان يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم منحني الله واياك التمتع بذاته
القدسية في الحضرة الفردوسية ان الله تعالى قد اتخذ من الجنان دارا اصطفاها لنفسه
وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله يختار من كل نوع
اعلاه وافضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمدا صلى الله عليه وسلم
وربك يخلق ما يشاء ويختار وفي الطبراني من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله

ينزل الله

الجزء

ينزل الله تعالى في اخر ثلث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الثانية في جنة
عدن وفي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها احد الا الانبياء والشهداء
والصديقون وفيها ما لم يره احد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط اخر ساعة من الليل
فيقول الا من مستغفر فيستغفرني فاغفر له الا سايل يسالني فاعطيه الا داع
يدعوني فاستجيب له حتى يطلع الفجر وفي حديث انه اري جنة عدن ومنازل المرسلين
منها واري منازله فوق منازلهم وروي ابو الشيخ عن سمرة بن عطية قال خلق
الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيبا
لاوليائي فتامل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولافضل
بريته اعتناء وتشريفا واظهارا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتميزه بذلك عن
غيره وروي الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلق الله ثلثة اشياء بيده خلق ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس الفردوس
ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث وفيه ابو معشر نجيح
بن عبد الرحمن تكلم فيه وروي الدارمي ايضا عن عبد الله بن عمر خلق الله اربعة
اشياء بيده العرش والقلم وعدنا وادم عليه السلام ثم قال لساير الخلق كن
فكان وعنده ايضا عن ميسرة قال ان الله لم يمس شيا من خلقه غير ثلاث خلق
ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس جنة عدن بيده فجنة عدن اعلا الجنان
وسيدتها وهي قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي يقع فيه الرؤية وعليها يدور

ثمانية اسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن من الجنان جنة الفردوس واسط
البستان وهي اوسط الجنان التي دون جنة عدن وافضلها ثم جنة الخلد ثم جنة
النعيم ثم جنة الماوى وهي التي ياوي اليها جبريل والملائكة وعن مقاتل ياوي
اليها ارواح الشهداء ثم دار السلام لانها دار السلامة من كل مكروه ثم دار المقام
واعلم ان للجنة اسماء عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها فهي
مترادفة من هذا الوجه ومختلفة باعتبار صفاتها فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول
لتلك الذوات وما اشتملت عليه من انواع النعيم والسرور وقرة العين وهذه
اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان لانه يستر داخله بالاشجار والجنان كثيرة
جدا كما قال صلى الله عليه وسلم لام حارثة لما قتل ببدر قالت يا رسول الله الا تحدثني
عن حارثة فان كان في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت بالبكاء عليه فقال يا
ام حارثة انها جنان في الجنة وان ابنك قد اصاب الفردوس الاعلى وقال تعالى
لمن خاف مقام ربه جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما جنتان فهذه اربع وقال
عليه السلام جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما
رواه الشيخان من حديث ابي موسى الاشعري وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة
الى الداخلين فيها ثلثة جنة اختصاص الهي وهي التي يدخلها الاطفال الذين لم
يبلغوا الحلم ومن اهلها اهل الفترات ومن لم تصل اليه دعوة رسول الجنة
الثانية جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الاماكن التي كانت

معينة لاهل النار لو دخلوها الجنة الثالثة جنة الاعمال وهي التي ينزل
الناس فيها باعمالهم فمن كان افضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة اكثر
وسواء كان الفاضل دون المفضول او لم يكن غير انه فضيلة في هذا المقام
لهذه الحالة من عمل من الاعمال الا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين اصحابها بحسب
ما يقتضي احوالهم وقال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني الى الجنة الحديث
فعلم انها كانت مخصوصة فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم الا
وله جنة مخصوصة ونعيم خاص بنياله من دخلها وقد يجمع الواحد من الناس في
الزمان الواحد اعمالا من العبادات فيوجر في الزمان الواحد من وجوه كثيرة فيفضل
غيره ممن ليس له ذلك فقد تبين ان نيل المنازل والدرجات في الجنان بالاعمال
واما الدخول فلا يكون الا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل احدا الجنة عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته اي يلبسنيها ويسترني بها ماخوذ
من غمد السيف وهو غلافه وعند الامام احمد باسناد حسن من حديث ابي سعيد الخدري
لن يدخل احد الجنة الا برحمة الله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته وقال بيده فوق راسه يعني ان الجنة انما تدخل برحمة الله وليس عمل
العبد مستقلا بدخولها وان كان سببا ولهذا اثبت الله دخولها بالاعمال في قوله
تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها

بالاعمال فى قوله لن يدخل احد منكم الجنة بعمله و لاتنافى بين الامرين لما ذكره سفيان

وغيره قال كانوا النجاة من النار بعفو الله و دخول الجنة برحمة الله واقسام المنازل

والدرجات بالاعمال و يدل له حديث ابى هريرة ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها

بفضل اعمالهم رواه الترمذى قال ابن بطال يحمل الاية على ان الجنة تنال الجنة

تنال المنازل فيها بالاعمال فان درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال

ويحمل الحديث على دخول الجنة والدخول فيها ثم اورد على هذا الجواب قوله تعالى

سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فصرح بان دخول الجنة ايضا بالاعمال

واجاب بانه لفظ مجمل بينه بالحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها

بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك اصل الدخول ثم قال ويجوز ان يكون الحديث مفسرا

للاية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله تعالى لكم وتفضله عليكم

لان اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا اصل دخول الجنة برحمته حيث الهم

العاملين ما نالوا به ذلك ولا يخلو شئ من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد

تفضل الله عليهم ابتداء بايجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم واشار الى نحوه القاضى عياض

فقال وان من رحمة الله وتوفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه

العامل بعمله وانما هو بفضل الله ورحمته وقال غيره لاتنافى بين ما فى الاية والحديث

لان الباء التى اثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره

وان لم يكن مستقلا بحصوله والباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها

احد العوضين مقابلا للاخر نحو اشتريت منه بكذا فاخبر ان دخول الجنة ليس فى مقابلة

عمل احد وانه لولا رحمة الله بعبده لما ادخله الجنة لان العمل بمجرده ولو تناهى لا

يوجب بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضا لها لانه ولو وقع على الوجه الذى يحبه

لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمل لا يوازى نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه

من الشكر على تلك النعمة بقية لم يقم بها فلذلك لو عذب اهل سمواته واهل ارضه

لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من اعمالهم كما فى

حديث ابى بن كعب عند ابى داود وابن ماجة وهذا فصل الخطاب مع الجبرية

النفاة للحكمة والتعليل القايلين بان القيام بالعبادة ليس الا لمجرد الامر من

غير ان يكون سببا للسعادة فى معاش ولا معاد ولا لنجاة المعتقدين ان النار

ليست سببا للاحراق ولا الماء سببا للارواء والتبريد والقدرية الذين

يتفوهون بنوع من الحكمة والتعليل القايلين بان العبادات شرعت اثمانا لما يناله

العباد من الثواب والنعيم وانها بمنزلة استيفاء الاجير اجرته محتجين بان الله

تعالى يجعلها عوضا كما فى قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبقوله عليه السلام

حاكيا عن ربه تعالى يا عبادى انما هى اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها وهولاء

الطائفتان متقابلتان اشد التقابل وبينهما اعظم التباين فالجبرية لم تجعل للاعمال

ارتباطا بالجزاء البتة والقدرية جعلت ذلك كله بمحض الاعمال وثمنا لها و

الطايفتان جاريتان منحرفتان عن الصراط المستقيم الذى فطر الله عليه عباده

وجات به رسله ونزلت به كتبه وهو ان الاعمال اسباب موصلة الى الثواب
والعقاب مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الاسباب لمسبباتها وان الاعمال
الصالحة من توفيق الله تعالى ومنته وصدقته على عبده ان اعانه عليها ووفقه
لها وخلق فيه اراداتها والقدرة عليها وحببها اليه وزينها فى قلبه وكره اليه
اضدادها ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه بل غايتها ان تكون شكرا له تعالى
ان قبلها سبحانه ولهذا نفى عليه السلام دخول الجنة بالعمل ردا على القدرية
القايلين بالجزاء بمحض الاعمال وثمنا لها واثبت سبحانه وتعالى دخول الجنة
بالعمل ردا على الجبرية الذين لم يجعلوا للاعمال ارتباطا بالجزاء فتبين انه لا تنافى
بينهما اذ توارد النفى والاثبات ليس على معنى واحد فالمنفى استحقاقها بمجرد الاعمال
وكون الاعمال ثمنا وعوضا لها ردا على القدرية والمثبت الدخول بسبب العمل ردا
على الجبرية والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وقال الحافظ شيخ الاسلام
بن حجر يحمل الحديث على ان العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة
ما لم يكن مقبولا واذا كان كذلك فامر القبول الى الله تعالى وانما يحصل برحمة الله
لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اى تعملونه من العمل المقبول
ولا يضر هذا ان تكون الباء للمصاحبة او الالصاق والمقابلة ولا يلزم
من ذلك ان تكون سببية ثم رايت النووى جزم بان ظاهر الايات ان دخول الجنة
بسبب الاعمال والجمع بينها وبين الحديث ان التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها

وقبولها

وقبولها انما هو رحمة الله وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث
ويصح انه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى انتهى وروى الدارقطنى
عن ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل انا لشرار امتى
فقالوا فكيف انت لخيارها قال اما خيارها فيدخلون الجنة واما شرار امتى
فيدخلون بشفاعتى ذكره عبد الحق فى العاقبة واما تفضيله صلى الله عليه وسلم
فى الجنة بالكوثر وهو على وزن فوعل من الكثرة سمى به هذا النهر العظيم لكثرة مائه
وانيته وعظم قدره وخيره فقد روى مسلم وابو داود والنسائى من طريق
محمد بن فضيل وعلى بن مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن انس واللفظ لمسلم قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فى المسجد اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه
متبسما قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت على انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن
الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال
اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربى عز وجل
الحديث لكن فيه اطلاق الكوثر على الحوض وقد جاء صريحا فى حديث عند البخارى
ان الكوثر هو النهر الذى يصب فى الحوض وعند احمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض
وعند مسلم يغث فيه يعنى الحوض ميزابان يمدان من الجنة احدهما من ذهب
والاخر من ورق قوله يغث بالغين المعجمة اى يصب وفى البخارى من حديث قتادة
عن انس قال لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه

ح فقد نقل المفسرون فى تفسير الكوثر اقوالا تزيد على العشرة ذكرت منها كثيرا فى المقصد السادس من هذا الكتاب واوليها قول ابن عباس انه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبى صلى الله فلا معدل عنه صح صح

قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر ورواه ابن جرير عن
شريك بن ابي نمر قال سمعت انس بن مالك يحدثنا قال لما اسري بالنبي صلى الله
مضى به جبريل فاذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهبت يشم ترابه
فاذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال هو الكوثر الذي خبا لك ربك
ورواه احمد عن انس ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه
ربي لهو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن ابي عبيدة عن عايشة رض
قال سألتها عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم شاطياه
عليه در مجوف انيته كعدد النجوم رواه البخاري وقوله شاطياه اي حافتاه
والضمير في قوله عليه عايدا الى جنس الشاطي ولهذا لم يقل عليهما وفي
بعضها شاطياه در مجوف وقوله در مجوف اي القباب التي على جوانبه وروي
ورواه النسائي بلفظ قالت نهر في بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه
قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وبطنان
بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون ووسط بفتح المهملة والمراد باعلاها
اي ارفعها قدرا او المراد اعدلها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل رواه احمد وابن ماجة وقال الترمذي حسن صحيح
وروي عن ابن عباس في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه

سبعون

سبعون الف فرسخ وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل شاطياه اللؤلؤ و
الزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبياء رواه ابن ابي الدنيا موقوفا
وعن انس قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال نهر اعطانيه
الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق
البخت واعناق الجزر قال عمر انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكلتها انعم منها رواه الترمذي وقال حسن والجزر بضم الجيم والزاي جمع
جزور وهو البعير قال الحافظ ابن كثير قد تواتر يعني حديث الكوثر من طرق
تفيد القطع عند كثير من ايمة الحديث وكذلك احاديث الحوض قال وهكذا
روي عن انس وابي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف ان الكوثر نهر
في الجنة واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة
الرفيعة والفضيلة فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي
فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة قال الحافظ عماد الدين ابن كثير الوسيلة علم على اعلا منزلة
في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي اقرب
امكنة الجنة الى العرش وقال غيره الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب يقال

توسلتاي تقربت وتطلق على المنزلة العلية كما قال في هذا الحديث
فانها منزلة في الجنة على انه يمكن ردها الى الاول فان الواصل الى تلك
المنزلة قريب من الله فتكون كالقرية التي يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى
اعظم الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم
له محبة كانت منزلته اقرب المنازل الى الله تعالى وهي اعلا درجة في الجنة
وامر صلى الله عليه وسلم امته ان يسالوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى
وزيادة الايمان وايضا فان الله تعالى قدرها له باسباب منها دعاء
امته له بها بما نالوه على يده من الهدى والايمان واما الفضيلة فهي المرتبة
الزايدة على ساير الخلايق ويحتمل ان تكون منزلة اخرى وتفسيرا للوسيلة
وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة
عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله الوسيلة رواه في المسند و
ذكره ابن ابي الدنيا وقال درجة ليس في الجنة اعلا منها فسلوا الله ان
يوتينها على روس الخلايق وروي ابن مردويه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا سالتم الله فسلوا الى الوسيلة قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال
علي وفاطمة والحسن والحسين لكن قال الحافظ عماد الدين بن كثير انه حديث
غريب منكر بهذا الوجه وعند ابن ابي حاتم من حديث علي ايضا انه قال على منبر
الكوفة ايها الناس ان في الجنة لولوتين احدهما بيضاء والاخرى صفراء

فاما

فاما الصفراء فانها الى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤ البيضاء
سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلثة اميال وغرفها وابوابها واسرتها وسكانها
من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته والصفراء
فيها مثل ذلك هي لابراهيم عليه السلام واهل بيته وهو اثر غريب كما نبه الحافظ
بن كثير ايضا وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
اعطاه الله تعالى في الجنة الف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من طريقه ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف فهو في
حكم المرفوع خاتمة عن عايشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي
من ولدي واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى اتيك فانظر اليك
واذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني
اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى
نزل جبريل عليه السلام بهذه الاية ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا رواه ابو نعيم وقال الحافظ ابو عبد الله المقدسي لا اعلم باسناد هذا
الحديث باسا كذا نقله في حادي الارواح وذكره البغوي في معالم التنزيل بلفظ نزلت
يعني الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه
يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال
يا رسول الله ما بي وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة
حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان
ادخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت
الاية وكذا ذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل هو عبد الله بن زيد
الانصاري الذي راى الاذان وليس المراد ان يكون من اطاع الرسول مع النبيين
والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة
بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة حيث يمكن كل
واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم
بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه
المعية وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس ان رجلا قال يا رسول الله متى
الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من
احببت قال انس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت
مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر
وارجو ان اكون معهم بحبي اياهم وفي الحديث الالهي الذي رواه حذيفة كما عند
الطبراني بسند قوي عن نبيه انه تعالى قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت

عليه

عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث وفيه من الزيادة على حديث
الحديث البخاري ويكون من اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين
والشهداء في الجنة فلله درها من كرامة بالغة ونعمة على المحبين سابغة فالمحب
يرقى في درجات الجنات على اهل المقامات بحيث ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب
الغاير في افق السموات لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه
فالمرء مع من احب ولكل عمل جزاء وجزاء المحبة المحبة والوصول والقرب
من المحبوب رؤيت امراة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك
قالت غفر لي قيل لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي
النظر اليه نوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي ان نذله بعذابنا بل نجمع
بينه وبين من يحبه وانظر الى قوله تعالى طوبى لهم وحسن ماب وان طوبى
اسم شجرة في الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى
من وراء سور الجنة وان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار
مومن منها غصن فما من جنة من الجنات الا وفيها من شجرة طوبى ليكون سر
كل نعيم ونصيب كل ولي من سره عليه السلام وانه صلى الله عليه وسلم
ملاء الجنة فلا ولي ينعم في جنة الا والرسول متنعم بتنعمه لانا لولى ما وصل
الى ما وصل اليه من التنعيم الا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان
سر النبوة قايما به في تنعمه وكذلك ابليس ملاء النار فلا عذاب لاحد من اهلها

الا و ابليس لعنه الله سر تعذيبه و مشارك له فيه وفي البحر لابي حيان عند تفسير
قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين في دار رسول الله
صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء و المؤمنين و اذا علمت هنا فاعلم ان
اعظم نعيم الجنة و اكملة التمتع بالنظر الى وجه الرب تبارك و تعالى و رسوله عم
و قرة العين بالقرب من الله و رسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي اكبر من الجنان
و ما فيها كما قال تعالى و رضوان من الله اكبر و لا ريب ان الامر اجل مما يخطر بباب
او يدور في خيال و لا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحظيرة القدس
بمعية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم فاي نعيم و اي لذة و اي قرة عين
و اي فوز يداني تلك المعية و لذتها و قرة العين بها و هل فوق نعيم قرة العين بمعية
الله و رسوله نعيم فلا شيء و الله اجل و لا اكمل و لا اجل و لا اجلا و لا اغلا و لا
اغلا من حضرة يجتمع فيها المحب باحبابه في مشهد مشاهد الاكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم
و معبودهم الاله الخلق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف فينفهق
عليهم نور يسري في ذواتهم فيبهتون من جمال الله و تشرق من ذواتهم بنور
ذاك الاقدس بحضرة الرسول الاراس و يقول لهم الحق جل جلاله سلام عليكم
عبادي و مرحبا بكم اهل و دادي انتم المؤمنون الامنون لاخوف عليكم اليوم
و لا انتم تحزنون انتم اوليائي و جيراني و احبابي اني انا الله الجواد الغني و
هذه داري قد اسكنتكموها و جنتي قد ابحتكموها و هذه بيدي مبسوطة ممتدة

عليكم

عليكم و انا ربكم انظر اليكم لا اصرف نظري عنكم انا لكم جليس و انيس فارفعوا الي
حوائجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم و الرضى عنا فيقول لهم
جل جلاله هذا وجهي فانظروا اليه و ابشروا فاني عنكم راض ثم يرفع الحجاب و يتجلى
لهم فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤسكم فليس هذا موضع سجود يا عبادي ما
دعوتكم الا لتستمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم فلا اسخط عليكم
ابدا فما احلاها من كلمة و ما الذها من بشرى فعندها يقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن و احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب و لا يمسنا
فيها لغوب ان ربنا لغفور شكور و هذا يدل على ان جميع العبادات تزول في الجنة
الا عبادة الشكر و الحمد و التسبيح و التهليل الذي يدل عليه الحديث الصحيح انهم
يلهمون ذلك كالهام النفس كما في مسلم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عم
قال ياكل اهل الجنة فيها و يشربون و لا يتمخطون و لا يبولون و يكون طعامهم
جشاء و رشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح و الحمد كما يلهمون النفس تسبيحهم
و تحميدهم يجري مع الانفاس فليس عن تكليف و الزام و انما هو عن تيسير و الهام
و وجه التشبيه ان تنفس الانسان لا بد له منه و لا كلفة و لا مشقة في فعله
و كذلك يكون ذكر الله تعالى على السنة اهل الجنة و سر ذلك ان قلوبهم قد
تنورت بمعرفته و ابصارهم و ابصارهم قد تمتعت برؤيته و غمرتهم سوابغ
نعمه و امتلات افئدتهم بمحبته و مخاللته فالسنتهم ملازمة لذكره و قد اخبر الله

عن شانهم فى ذلك بقوله تعالى فى كتابه العزيز وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده
واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين و قوله تعالى دعواهم
فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
قال كاتبه وجامعه احمد بن الخطيب القسطلانى فهذا اخر ما جرى به قلم المدد
من هذه المواهب اللدنية ۞ وسطرته يد الفيض من المنح المحمدية وذلك وان كثر
لقليل فى جنب شرفه الشامخ ۰ ولو تتبعنا ما منحه الله به من مواهبه وشرفه به
من مناقبه لما وسعت بعض بعضه الدفاتر ۰ وكلت دون مرماه الاقلام ۰ و
وجفت المحابر وضاقت عن جمعه الكتب ۰ وعجزت عن جمله النجب ۰ وعلى تفنن
واصفيه بحسنه ۰ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف والى الله اتضرع ان
يجعله خالصا لوجهه الكريم ۰ مخلصا من الشوائب الرياء و دواعى التعظيم ۰
وان ينفعنى به والمسلمين والمسلمات ۞ فى المحياء وبعد الممات انه قريب
مجيب ۰ سائلا من وقف عليه من فاضل انار الله بصيرته ۞ وجبل على
الانصاف سريرته ۞ ان يصلح بحلمه عثارى وزللى ۞ ويسد بسداد
فضله خطاى وخللى ۞ فالكريم يقيل العثار ۞ ويقبل الاعتذار ۞ خصوصا
عذر مثلى مع قصر باعه فى هذه الصناعة ۞ وكساد سوقه لما لديه من مزجاة
البضاعة ۰ وما ابتلى به من شواغل الدنيا الدنية ۰ والعوارض البدنية ۰ و
تحمله من الاثقال التى لو حملها رضوى لتضعضع ۞ او انزلت على ثبير لخشع

ونصدع

ونصدع ۰ لكننى اخذت غفلة الظلام الغاسق ۰ والليل الواسق ۰ فسرقته من
ايدى العوائق ۰ والليل يعين السارق ۰ واستفتحت مغالق المعانى ۰ بمفاتيح فتح
البارى ۰ واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفايس الدرارى ۰ حامدا لله تعالى
على ما انعم والهم وعلم ما لم اكن اعلم ۰ مصليا ومسلما على رسوله محمد اشرف
انبيايه وافضل مبلغ لانبايه ۰ وعلى اله واصحابه واحبابه
وخلفائه ۰ صلاة لا ينقطع مددها ولا
يفنى امدها ۰ ابدا الاباد ۰ وفى
سائر الزمان ۰

قد استكتب هذه النسخة الجليلة المسماة بالمواهب اللدنية من تاليفات الامام احمد بن الخطيب القسطلانى
نعمده الله تعالى بغفرانه عمدة الاعيان والاكابر محسن الضعفاء والاصاغر والى اقاليم الجود والكرم
الفايض فى الافاق والانفس بمعالى الهمم حضرته ذو الفقار اغا حال كونه رئيس الخازن للخزاين
الخاصة اللهم اجعل جنابه العالى معادن اليمن والكرامة ومواطن الامن والسلامة
فى دولة السلطان بن السلطان السلطان محمد خان بن السلطان ابراهيم خان لا زالت اقطار
السلطان الاعظم والخاقان الافخم سيد سلاطين العرب والعجم
الارض مشرقة بانوار عدله وما برحت فرق اعداء الله مقهورة بصدمات قهره وقد وقع
الفراغ من تحريرها فى اليوم الخامس عشر من شهر ذى القعدة الشريفة لسنة ست وستين والف
وكان الابتداء بكتابتها فى اليوم الثامن عشر من شهر رجب المرجب لسنة خمس وستين والف
على يد افقر الانام الى رحمة الملك العلام محمد بن درويش الاقسرائى عاملهما الله تعالى بلطفه الجلى والخفى